صاحبه احمد

مفتي قاضي زاده

المجلد الاول من تفسير الحدادي

بسع

ايا صوفيه

١٨٨

[illegible]

[illegible]

[illegible]

حدادی
لام

١٨٨

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البر والبحر خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان
السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وعلى
أكرمه الله تعالى بالرأفة والحسنى حرره العبد الفقير
أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين
غفر لهما

تأليف
الفقيه العالم الفاضل
الصالح الورع الزاهد
فخر الدين أبو بكر بن علي الحداد
تغمده الله برحمته و
أسكنه فسيح جنته
آمين

الحمد لله سبحانه
ثم ساقه التقدير إلى سلك ملك العبد الفقير
محمد الحمر(؟) متعه الله تعالى به وبأمثاله
بلطفه وكرمه وفضله
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كرّمنا بالنور المبين • وهدانا للحق اليقين • كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد • والصلوة والسلام على نبي الرحمة • وامام الحكمة المنتخب من طينة الكرم • وسلالة المجد الاقدم • سيد المرسلين وخاتم النبيين • وعلى آله الطيبين الطاهرين • قوله عز وجل • بسم الله الرحمن الرحيم تعليم منه سبحانه ليذكروا اسمه عند افتتاح القراة وغيرها تبركا به • ومعناه ابدا بسم الله لان حرف البا مع ساير حروف الجرّ لا يستغني عن فعل مضمر او مظهر فكان ضمير البا في هذه الاية الامر واختلف الناس في معنى اشتقاق الاسم واكثر اهل اللغة على انه مشتق من السمو وهو الرفعة • ومعنى الاسم التنبيه على المسمى والدلالة عليه • وقال بعضهم مشتق من السمة وهي العلامة فكان الاسم علامة للمسمى • واما الله فقال بعضهم هو اسم علم لا اشتقاق له مثل قولك فرس ورجل وجبل • ومعناه عند اهل اللسان المستحق للعبادة ولذلك سمت العرب اصنامهم آلهة لاعتقادهم استحقاقها للعبادة • وقال بعضهم هو من قولهم اله الرجل الى فلان ياله الها اذا فزع اليه من امر نزل به فآلهه اي اجاره وامنه • ويقال للمألوه اليه اله كما قالوا للمؤتم به امام ومعناه ان الخلايق يالهون ويتضرعون اليه في الحوايج والشدايد • واختلفوا في بسم الله الرحمن الرحيم هل هي آية من الفاتحة فقال قرا الكوفة هي آية منها وابا ذلك اهل المدينة واهل البصرة • واما قوله الرحمن الرحيم فهما اسمان ماخوذان من الرحمة ووزنهما من الفعل نديم وندمان من المنادمة وفعلان ابلغ من فعيل وهو من ابنية المبالغة ولا يكون الا في الصفات كقولك شبعان وغضبان ولهذا كان اسم الرحمن مختصا بالله لا يوصف به غيره واما اسم الرحيم فمشترك • وعن عثمان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الرحمن العاطف على جميع خلقه بادرار الرزق عليهم فالرحمة من الله هي الانعام على المحتاج ومن الادميين رقة القلب وانما جمع بين الرحمن والرحيم للنهاية في الرحمة والاحسان بعد الاحسان • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هما اسمان رقيقان احدهما ارق من الاخر ولو في اللطيفان كان احسن وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكتب في اوايل الكتب في اول الاسلام باسمك اللهم حتى نزل بسم الله مجريها

فكتب

فكتب بسم الله ثم نزل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن فنزل بسم الله الرحمن الرحيم في سورة النمل وكتب حينيذ بسم الله الرحمن الرحيم • فان قيل لم قدم اسم الله على الرحمن الرحيم قيل لانه اسم لا ينبغي الا لله عز وجل • وقيل في تفسير قوله تعالى هل تعلم له سميا اي هل تعرف في السهل والجبل والبر والبحر والمشرق والمغرب احدا اسمه الله غير الله • وقيل هو اسمه الاعظم وقدم الرحمن على الرحيم لان الرحمن اسم خاص به الله والرحيم مشترك • ويقال رجل رحيم ولا يقال رحمن • وقيل الرحمن امدح والرحيم ارأف وانما اسقطت الالف من بسم الله واصله باسم الله لانها كثرت على السنة العرب عند الاكل والشرب والقيام والقعود فحذفت اختصارا من الخط فان ذكرت اسما غيره من اسما الله لم تحذف الالف لقلة الاستعمال نحو قولك باسم الرب وباسم العزيز وان اتيت بحرف سوى البا لم تحذف الالف ايضا نحو قولك لاسم الله حلاوة في القلوب وليس اسم كاسم الله وكذلك باسم الرحمن وباسم الجليل واقرا باسم ربك سورة الفاتحة سبع آيات وخمس وعشرون كلمة • ومائة وثلث وعشرون حرفا • وهي مكية عند ابن عباس ومدنية عند مجاهد وقتادة والله اعلم قوله تعالى عز وجل الحمد لله رب العالمين الحمد والشكر نظيران الا ان الحمد اعم من حيث ان فيه معنى المدح من المنعم عليه ولا يكون الشكر الا من المنعم عليه • والشكر اعم من الحمد من حيث انه يكون من اللسان والقلب والجوارح • والحمد لا يكون الا باللسان وتدبير الفرق بينهما بنقيضيهما فنقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفران وقوله رب العالمين الرب في اللغة اسم لمن يربي الشي ويصلحه يقال لسيد العبد رب ولزوج المراة رب وللمالك رب ولا يقال الرب معرفا بالالف واللام الا لله عز وجل والله تعالى هو المربي والمحول من حال الى حال من نطفة الى علقة الى مضغة الى غير ذلك الى اجل مسمى وقوله رب العالمين العالم جمع لا واحد له من لفظه كالنفر والرهط وهو اسم لمن يعقل مثل الانس والجن والمليكة لانك لا تقول رايت عالما من الابل والبقر والغنم الا انه حمل اسم العالم في هذه السورة على كل ذي روح رب ودرج لتغليب العقلا على غيرهم عند الاجتماع وربما قيل للسموات وما دونها مما احاطت به عالم كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله ثمانية عشر الف عالم وان دنياكم منها عالم وقوله الرحمن الرحيم قد تقدم تفسيره وقوله

عز وجل مالك يوم الدين اى يوم الحساب فان قيل لم خص يوم الدين وهو مالك الدنيا والاخرة قيل لان الله
تعالى لا ينازعه احد فى ملك ذلك اليوم كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار • وقرا عاصم والكسائى
مالك يوم الدين بالالف والباقون بغير الف • قال اهل النحو ملك امدح من مالك لان المالك قد يكون فى
غير ملك ولا يكون الملك الا مالكا • وروى ان ابا هريرة رضى الله عنه كان يقرا مالك يوم الدين على النداء
المضاف اى يا مالك يوم الدين • وقرا انس بن مالك ملك يوم الدين جعله فعلا ماضيا قوله عز وجل
اياك نعبد واياك نستعين لا يحسن ادخال اياك فى غير المضمرات • وحكى عن الخليل اذا بلغ الرجل الستين
فاياه وايا الشواب فاضافه الى ظاهر وهو قبيح مع جوازه ولا يكون الا اذا تقدم فان تاخر قلت نعبدك ولا يجوز
نعبد اياك • فان قيل لم قدم اياك نعبد وهلا قال نعبدك قيل ان العرب اذا ذكرت شيئين قدمت
الاهم فالاهم وذكر المعبود فى هذه الاية اهم من ذكر العبادة فقدمه عليها والكاف من اياك فى موضع خفض
بمنزلة عصاك واجاز الفراء ان يكون فى موضع نصب فكانه جعل اياك بكماله ضمير المنصوب • فان قيل
لم عدل عن الغايبة الى المخاطبة قلنا مثله كثير فى القران قال الله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم قوله
عز وجل اهدنا الصراط المستقيم اى رشدنا الطريق القايم الذى ترضاه وهو الاسلام وهذا دعا
ومسيلة بلفظ الامر لان الامر لمن دونك والمسيلة لمن فوقك • فان قيل ما معنى اهدنا وانتم مهتدون
قيل هذا سوال فى مستقبل الزمان عند دعوة الشيطان وقيل معناه ثبتنا على الطريق المستقيم لا تقلب
قلوبنا بمعصيتنا ونظيره قوله تعالى فى قصة ابراهيم عليه السلام اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين
اى ثبت على الاسلام وفى الصراط اربع لغات صراط بالصاد وسراط بالسين وبالزاى الخالصة وباشمام
الصاد الزاى وكل ذلك قد قرى به • فبالسين قراة قنبل وبالاشمام زايا قراة خلف وقرا الباقون بالصاد
الصافية وقوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم هم الانبياء واهل طاعة الله تعالى واختلف القراء فى
صراط كان كاختلافهم فى الصراط قوله عز وجل غير المغضوب عليهم ولا الضالين المغضوب عليهم هم اليهود
والضالين هم النصارى • واما امين فليس من السورة • ولكن روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه
كان يقوله ويامر به • وقال لقننى جبريل عليه السلام بعد فراغى من فاتحة الكتاب امين • وقال انه

قولكم صح

كالطابع

كالطابع على الكتاب • وقيل معنى امين اللهم استجب • وقيل معناه يا امين اى يا الله فامين اسم من اسماء الله •
وقيل معناه اللهم اغفر لى • وفى امين لغتان المد والقصر قال الشاعر فى القصر • تباعد عنى فطحل اذ رايته
امين فزاد الله ما بيننا بعدا • وقال فى المد • صلى الاله على لوط وشيعته • ابا عبيدة قل بالله امينا •
قال الاخر فى المد ايضا • يا رب لا تسلبنى حبها ابدا • ويرحم الله عبدا قال امينا • قال صلى الله عليه
وسلم فاتحة الكتاب رقيه من كل شىء الا السام وهو الموت • وروى ان جبريل قال للنبى صلى الله عليه
وسلم كنت اخشى العذاب على امتك فلما نزلت الفاتحة امنت لانها سبع ايات وجهنم لها سبعة ابواب
فمن قراها صارت كل اية طبقا على باب سورة البقرة خمسة وعشرون الف حرف وخمسماية حرف • و
ستة الاف كلمة ومائة واحدى وعشرون كلمة • ومايتان وست وثمانون اية • قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لكل شىء سنام وسنام القران سورة البقرة من قراها فى بيته نهارا لم يدخل بيته شيطان
ثلثة ايام • ومن قراها فى بيته ليلا لم يدخله شيطان ثلث ليال • وقال صلى الله عليه وسلم تعلموا
البقرة وال عمران فانهما يجيان يوم القيمة كالغمامتين وكفرقين من طير صوا فيحاجان عن صاحبهما • وقال
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة البقرة وال عمران جعل الله له يوم القيمة جناحان يطير بهما على الصراط
كالبرق • وقال صلى الله عليه وسلم تعلمها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة يعنى السحرة •
بسم الله الرحمن الرحيم • قوله عز وجل الم اختلفوا فى تفسير الم وساير حروف التهجى • فروى عن
عمر وعثمان وابن مسعود ان الحروف المقطعة من المكتوم الذى لا يفسر وافقهم فى ذلك الشعبى وقال
ان لله تعالى سرا فى كتبه وان سره فى القران الحروف المقطعة • وقال بعضهم انها من المتشابهات التى استاثر
الله بعلمها فنحن نومن بتنزيلها ونكل الى الله تاويلها • وقال على رضى الله عنه لكل شىء صفوة وصفوة
هذا الكتاب حروف التهجى • وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان معناه انا الله اعلم اى ان كل حرف قايم
مقام كلمة وكذلك الر معناه انا الله ارى والمر انا الله اعلم وارى • والمص انا الله اعلم وافصل
وكهيعص الكاف من كافى والها من هادى واليا من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق • ويقال
الالف مفتاح اسمه الله واللام لطيف والميم مجيد ومعناه الله اللطيف المجيد انزل الكتاب ويقال الالف

الله واللام جبريل والميم محمد • معناه الله انزل جبريل على محمد بهذا القرآن • وقيل هذا قسم اقسم الله به ان
هذا الكتاب الذي انزل على محمد هو الكتاب الذي عند الله وجوابه لا ريب فيه • وقال محمد بن كعب الالف آلاء
الله واللام لطفه والميم ملكه • وقال اهل الاشارة الالف انا واللام لي والميم مني **فصل** وهذه الحروف موقوفة
لانها هجا وحروف الهجا لا تعرب كالعدد في قولهم واحد اثنان واذا ادخلوا الواو حركوا لانه صار في حد الاسما
فيقال الف ولام كالعدد • وكذلك قال الاخفش هي ساكنة لا تعرب • وقوله الم رفع بالابتدا وذلك
خبره والكتاب صلة لذلك ويحتمل ان يكون الم خبرا مقدما تقديره ذلك الكتاب الذي وعدتك ان اوحيه
اليك الم • ومن ابطل محل الحروف جعل ذلك ابتدا والكتاب خبره والم صلة فيكون لذلك معنيان احدهما
ان ذلك بمعنى هذا وقد يستعمل ذلك بمعنى هذا • قال خفاف قول له والرمح يأطر متنه • تأمل خفافا انني
انا ذلكا • اي انني هذا اطر يعود عطفه والثاني على الاضمار كانه قال هذا القرآن ذلك الكتاب الذي وعدت
في التورية والانجيل ان اوحيه اليك • وقيل الم ابتدا وذلك ابتدا آخر والكتاب خبره والجملة خبر الاول •
وقال بعض المفسرين اختلف في هذا الكتاب • فقال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد هو القرآن فعلى هذا
يكون ذلك بمعنى هذا كقوله تعالى وتلك حجتنا اي هذه حجتنا • وقيل معناه ذلك الكتاب الذي ذكرته
في التورية والانجيل وقوله عز وجل **ذلك الكتاب لا ريب فيه** اي لا شك فيه ونصب ريب لتعميم النفي
الا ترى انك تقول لا رجل في الدار بالنصب فيكون نفيا عاما • واذا قلت لا رجل في الدار بالرفع جاز ان
يكون في الدار رجلان وثلثة قوله عز وجل **هدى للمتقين** نصب على الحال اما من ذلك الكتاب كانه قال
ذلك الكتاب هاديا واما من لا ريب فيه كانه قال لا ريب فيه في حال هدايته ويجوز ان يكون موضعه
رفعا على اضمار هو وفيه • فان قيل لم خص المتقين وهو هدى لهم ولغيرهم قيل تخصيص الشي بالذكر
لا يدل على نفي ما عداه وفائدة التخصيص تشريف للمتقين ومثله انما تنذر من اتبع الذكر وانما انت منذر
من يخشاها قوله تعالى **الذين يؤمنون بالغيب** اي بالبعث والحساب والجنة والنار • وقيل الغيب
هو الله قوله تعالى **ويقيمون الصلوة** اي الصلوات الخمس بشرايطها في مواقيتها قوله تعالى **ومما رزقناهم
ينفقون** يعني الزكوة وهو الاظهر لان الله تعالى قرن بين الصلوة والزكوة في مواضع كثيرة واقامة

الصلوة

الصلوة طهارة الابدان واعطا الزكوة طهارة الاموال وبالاموال قوام الابدان • وقد قيل هو نفقة
الرجل على اهله • قيل لما نزل قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة الاية قالت اليهود
نحن نؤمن بالغيب ونقيم الصلوة وننفق مما رزقنا الله فانزل الله تعالى والذين يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك فالذي انزل اليه القرآن والذي انزل من قبله التورية والانجيل وساير الكتب المنزلة
فتفرقوا من ذلك • فان قيل لم قال وبالاخرة هم يوقنون ولم يقل يؤمنون قيل لان الايقان توكيد
الايمان واليقين بالاخرة يقين خبره ودلالته ومعنى الاية وبالدار الاخرة هم يعلمون ويستيقنون
انها كائنة قوله تعالى **اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون** اي اهل هذه الصفة على رشد
وثبات وصواب من ربهم والمفلحون الناجون الفايزون بالجنة وقيل هم الباقون في الثواب والنعيم المقيم
قوله عز وجل **ان الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون** يعني مشركي العرب • وقال
الضحاك نزلت في ابي جهل وخمسة من اهل بيته • وقال الكلبي يعني اليهود • وقيل المنافقين والكفر هو
الجحود والانكار وقوله تعالى **انذرتهم** الانذار التحذير والتخويف ام لم تنذرهم لا يؤمنون وهذه الاية
خاصة فيمن حقت عليه كلمة العذاب والشقاوة في سابق علم الله قوله تعالى **ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم** اي طبع على قلوبهم والختم والطبع بمعنى واحد وهو التغطية للشي والمعنى طبع الله على
قلوبهم اي اغلقها فاقفلها فليست تعي خيرا ولا تفهمه على سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به وانما
وحده وقد تخلل بين الجمعين لانه مصدر والمصادر لا تثنى ولا تجمع وقيل اراد سمع كل واحد منهم
كما يقال اتاني برأس كبشين اراد برأس كل واحد منهما • وقال سيبويه توحيد السمع يدل على الجمع لانه توسط
جمعين كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وقوله تعالى عن اليمين والشمائل يعني الانوار والايمان
وقرا ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم وتم الكلام عند قوله وعلى سمعهم ثم قال **وعلى ابصارهم غشاوة** اي غطا •
وحجاب فلا يرون الحق • وقرا المفضل بن محمد غشاوة بالنصب كانه اضمر فعلا وحمله على الختم اي
ختم على ابصارهم غشاوة يدل عليه قوله تعالى وجعل على بصره غشاوة • وقرا الحسن غشاوة بضم
الغين • وقرا الجحدري غشاوة بفتح الغين • وقرا اصحاب عبد الله غشوة بفتح الغين بغير الف ومن رفع

غشاوة فعلى الابتدا قوله تعالى وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يعنى القتل والاسر وقال الخليل العذاب ما يمنع
الانسان من مراده وقيل هو ايصال الالم الى الحى مع الهوان به ولهذا لا يسمى ما يفعل الله بالبهايم والاطفال
عذابا لانه ليس على سبيل الهوان قوله عز وجل وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا
هُمْ بِمُؤْمِنِينَ نزلت هذه الاية فى المنافقين عبد الله بن ابى بن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس ومن
تابعهم كانوا يقولون للصحابة امنا بالذى امنتم به ونشهد ان صاحبكم صادق وليس هم كذلك فى الباطن
اذا خلوا وكانوا يقولون فيما بينهم هذه خلة نسلم بها عن محمد واصحابه ونكون مع ذلك متمسكين
بديننا فقال الله عز وجل وما هم بمؤمنين وانما وحد فى اول الاية وجمع الضمير فى اخرها لان لفظ
من للوحدان ومعناه يصلح للمذكر والمؤنث والاثنين والجماعة فعدل تارة الى اللفظ وتارة الى المعنى
ومنه قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله الاية ومن يقنت منكن لله ورسوله الاية قوله عز وجل يُخَادِعُونَ
اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا اى يخالفون الله ويكذبونه ويكذبون المؤمنين ويخالفونهم فى ضمايرهم وهم
المنافقون واصل الخدع فى اللغة الاختفا ومنه قيل للبيت الذى يخبا فيه المتاع مخدع فالمخادع يظهر
خلاف ما يضمر وقال بعضهم اصل الخداع فى اللغة الفساد قال الشاعر ابيض اللون لذيذ طعمه
طيب الريق اذا الريق خدع اى فسد فيكون المعنى يفسدون ما اظهروا بالسنتهم بما اضمروا فى قلوبهم و
قيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى فلما اسفونا انتقمنا منهم اى اسفوا
نبينا وقوله تعالى والذين يوذون الله ورسوله اى اولياء الله لان الله تعالى لا يوذى ولا يخادع وقد
يكون المفاعلة من واحد كالمسافرة فان قيل ما وجه مخادعتهم لله وهو لا يخفى عليه شى وما وجه
مخادعة المؤمنين ومخادعة انفسهم قيل المخادعة الاخفا يقال انخدعت الضبة فى حجرها والله
تعالى لا يخادع فى الحقيقة ولكن اطلق عليه اسم المخادعة لما فعلوا فعل المخادعين ولو كان يصح لهم
خداعهم لقال يخدعون الله وقيل معناه يخادعون رسول الله واما مخادعة المؤمنين فاظهارهم
لهم الاسلام تقية وقيل اظهار الاسلام لهم ليكرموهم ويبجلوهم وقيل اظهروا لهم ذلك ليفشوا اليهم
سرهم فينقلوه الى اعدايهم واما مخادعة انفسهم فضرر ذلك عليهم قال الله تعالى وما يخادعون

الا انفسهم

الا انفسهم لان وبال الخداع عايد اليهم فكانهم فى الحقيقه انما يخدعون انفسهم قوله تعالى وَمَا يَشْعُرُونَ اى
وما يعلمون انه كذلك والشعر هو العلم الدقيق الذى يكون حادثا من الفطنه وهو من شعار القلب و
منه سمى الشاعر شاعرا لفطنه ما يدق من المعنى والوزن ومنه الشعر لدقته ويقال ما شعرت به اى ما
علمت به وليت شعرى ما صنع فلان اى ليت علمى واختلف القرا فى قوله تعالى وما يخادعون فقرا نافع وابن
كثير وابو عمرو يخادعون بالالف وقرا الباقون يخدعون بغير الف على اشهر اللغتين وافصحهما واختار
ابو عبيد ولا خلاف فى الاول انه بالالف قوله عز وجل فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ اى شك ونفاق وسمى النفاق مرضا
لانه يهلك صاحبه ولانه يضطرب فى الدين يوالى المؤمنين بالقول والكفار بالقلب فحاله كحال المريض
الذى هو مضطرب بين الحيوة والموت وقيل ان الشك الم القلب والمرض الم البدن فسمى الشك مرضا لما
فيه من الهم والحزن والقا فى فزادهم الله بمعنى المجازاة وقيل على وجه الدعا وقيل سمى النفاق مرضا
لانه يضعف الدين واليقين كالمرض الذى يضعف البدن وينقص قواه ولانه يودى الى الهلاك بالعذاب
كما ان المرض فى البدن يودى الى الهلاك بالموت قوله تعالى فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا اى شكا ونفاقا وعذابا
وهلاكا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اى وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم بمعنى مولم قوله تعالى بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ
قال بعضهم البا فى بما صلة اى لهم عذاب اليم بكذبهم وتكذيبهم الله ورسوله فى السر فيكون ما مصدرية
والاولى اعمال الحروف فيما وجدها مساغ اى بالشى الذى يكذبون به وفى قوله يكذبون خلاف بين القرا
قرا اهل الكوفة بفتح اليا وتخفيف الذال اى بكذبهم اذ قالوا امنا وهم غير مومنين قوله عز وجل وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قرا الكسائى ويعقوب وهشام وجىء وسيق وحيل وسى وسيئت باشمام
الضمة ومعنى الاية واذا قيل للمنافقين وقيل لليهود اى اذا قال لهم المؤمنون لا تفسدوا فى الارض
بالكفر والمعصية والمداهنة وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران قَالُوا
إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ اى عاملون بالطاعة ومصلحون بالمداهنه لانهم كانوا يقولون لا نعادى المؤمنين
ولا الكفار نداري هؤلاء وهؤلاء حتى اذا غلب احد الفريقين لا ياتينا من دايرتهم شى يقول الله تعالى
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ الا كلمة تنبيه والمعنى انهم هم المفسدون بالمداهنه والعاملون بالمعصية

وقوله تعالى هم عماد وتاكيد قوله تعالى ولكن لا يشعرون اى لا يعلمون ما اعد الله لهم من العذاب وقيل لا يعلمون انهم كذلك قوله تعالى واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس اى اذا قيل للمنافقين صدقوا كما صدق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا انصدق كما صدق الجهال يقول الله تعالى الا انهم هم الجهال بتركهم التصديق فى السر ولكن لا يعلمون انهم جهال • وقيل معناه امنوا كما امن عبد الله بن سلام وغيره من مومنى اهل الكتاب والسفها جمع سفيه وهو البهات الكذاب المتعمد بخلاف ما يعلم • وقال قطرب السفيه العجول الظلوم القايل خلاف الحق قوله عز وجل واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا قال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس كان عبد الله بن ابى بن سلول الخزرجى عظيم المنافقين من رهط سعد بن عبادة وكان اذا لقى سعدا قال نعم الدين دين محمد وكان اذا رجع الى روساء قومه من اهل الكفر قال شدوا ايديكم بدين ابايكم فانزل الله هذه الاية • وقال الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس قال نزلت هذه الاية فى عبد الله بن ابى واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله لاصحابه انظروا كيف ارد هولاء السفها عنكم فذهب فاخذ بيد ابى بكر رضى الله عنه فقال مرحبا بالصديق وسيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر رضى الله عنه وقال مرحبا بسيد بنى عدى بن كعب الصادق القوى فى دين الله عز وجل الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد على كرم الله وجهه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له على رضى الله عنه اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله فقال مهلا يا ابا الحسن والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم • وفى رواية والله انى مومن بالله ورسوله ثم افترقوا • فقال عبد الله لاصحابه كيف رايتمونى فعلت فاذا رايتموهم فافعلوا كما فعلت فاثنوا عليه وقالوا لا نزال بخير ما عشت فرجع المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك فانزل الله هذه الاية ومعناها واذا لقوا الذين امنوا ابا بكر واصحابه قالوا امنا كايمانكم وقرا محمد بن السميقع واذا لاقوا وهما بمعنى واحد واصل لقوا لقيوا فاستثقلت الضمة على اليا فنقلت الى القاف وسكنت اليا والواو فحذفت

اليا لالتقاء الساكنين قوله تعالى واذا خلوا الى شياطينهم اى مع شياطينهم وهم روساهم فى الضلالة قال الاخفش كل عات متمرد فهو شيطان ومعنى خلوا رجعوا ويجوز ان يكون من الخلوة يقال خلوت به وخلوت معه وخلوت اليه كلها بمعنى واحد • قال ابن عباس شياطينهم روساوهم وكبراوهم وكهنتهم وهم خمسة نفر من اليهود ولا يكون كاهن الا معه شيطان منهم كعب بن الاشرف بالمدينة وابو بردة فى بنى اسلم وعبد الدار فى جهينه وعوف بن عامر فى بنى اسد وعبد الله بن السودا بالشام والشيطان المتمرد العاتى من كل شى ومنه قيل للحية النضناض شيطان قال الله تعالى طلعها كانه روس الشياطين اى الحيات وقوله تعالى قالوا انا معكم اى على دينكم وانصاركم وقوله تعالى انما نحن مستهزون اى بمحمد واصحابه باظهار قول لا اله الا الله محمد رسول الله قوله عز وجل الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون اى يجازيهم على استهزايهم فسمى الجزا باسم المبتدا اذ كان مثله فى الصورة كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فسمى الجزاء السيئة سيئة قال الله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه والثانى ليس باعتدا قوله تعالى ويمدهم اى يمهلهم ويتركهم فى ضلالتهم يتحيرون • يقال مد فى الشر وامد فى الخير • وقال يونس المد فى معنى الترك والامداد فى معنى الاعطا • وقيل مد وامد بمعنى واحد • وقال الاخفش ويمدهم اى يمد لهم فحذف اللام والطغيان مجاوزة الحد يقال طغا الما اى اذا جاوز حده • وقيل لفرعون انه طغى اى اسرف فى الدعوى حيث قال انا ربكم الاعلى وقرا ابن محيصن ويمدهم بضم اليا وكسر الميم وهما لغتان الا ان المد اكثر ما ياتى فى الشر قال الله تعالى ونمد له من العذاب مدا والامداد فى الخير قال الله تعالى ونمددكم باموال وبنين وقال تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين • وقيل معنى الله يستهزئ بهم اى يوبخهم ويعيبهم ويجهلهم • وقيل معناه ان الله يطلع المومنين على نفاقهم وقال ابن عباس هو ان يطلع الله المومنين يوم القيمة وهم فى الجنة على المنافقين وهم فى النار فيقولون لهم اتحبون ان تدخلوا الجنة فيقولون نعم فيفتح لهم باب الى الجنة ويقال لهم ادخلوا فياتون يتقلبون فى النار فاذا انتهوا الى الباب سد عليهم وردوا الى النار ويضحك المومنون منهم فذلك قوله تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون الى قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يومر بناس من المنافقين الى الجنة حتى اذا دنوا منها ووجدوا رايحتها ونظروا الى ما اعد الله

لاهلها من الكرامة نودوا ان اصرفوهم عنها فيرجعون بحسرة وندامة لم ترجع الخلايق بمثلها فيقولون يا ربنا
لو ادخلتنا النار قبل ان ترينا ما اريتنا كان اهون علينا فيقول الله تعالى هذا الذي اردت بكم هبتم الناس
ولم تهابوني اجللتم الناس ولم تجلوني كنتم تراءون الناس باعمالكم خلاف ما كنتم تروني من قلوبكم فاليوم اذيقكم
من عذابي مع ما حرمتكم من ثوابي • فان قيل لم امر الله بقتال الكفار المتعلنين بالكفر ولم يامر بقتال المنافقين
وهم في الدرك الاسفل من النار وخالف بين احكامهم واحكام الكفار المظهرين الكفر واجراهم مجرى
المسلمين في التوارث والانكحة وغيرها • قيل عقوبات الدنيا ليست على قدر الاجرام وانما هي على ما يعلم
الله من المصالح ولهذا اوجب رجم الزاني المحصن ولم يزل عنه الرجم بالتوبة والكفر اعظم من الزنا ولو تاب
منه قبلت توبته وكذلك اوجب الله على القاذف بالزنا الجلد ولم يوجبه على القاذف بالكفر واوجب
على شارب الخمر الجلد ولم يوجبه على شارب الدم قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي
اخذوا الضلالة وتركوا الهدى واختاروا الكفر على الايمان وانما اخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعا لان
الشراء والتجارة راجعان الى الاستبدال والاختيار لان كل واحد من المتبايعين يختار ما بيد صاحبه على ما
في يده قوله عز وجل فما ربحت تجارتهم اي فما ربحوا في تجارتهم تقول العرب ربح بيعك وخسرت صفقتك
ونام ليلك توسعا قال الله تعالى فاذا عزم الامر • وقرا ابن ابي عبلة فما ربحت تجاراتهم على الجمع وقوله تعالى
وما كانوا مهتدين اي من الضلالة وقيل معناه وما كانوا مصيبين في تجارتهم قوله تعالى مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا اي مثل المنافقين في اظهارهم الاسلام وحقنهم دماءهم واموالهم كمثل رجل في مفازة
في ليلة مظلمة يخاف السباع على نفسه فيوقد نارا يامن بها السباع فلما اضاءت النار ما حول المستوقد
طفيت فبقي في الظلمة كذلك المنافق يخاف على نفسه من قبل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه له فيسلم
رياء الناس فيحقن دمه ويناكح المسلمين فيكون له نور بمنزلة نور نار المستوقد فاذا بلغ اخر عمره
لم يكن لايمانه اصل في قلبه ولا حقيقة في عمله سلب نور الايمان عند الموت فيبقى في ظلمة الكفر وقوله تعالى
استوقد يعني اوقد قال الشاعر • وداع دعا من يجيب الى الندا • فلم يستجبه عند ذاك مجيب • وقوله تعالى
كمثل الذي يعني الذين دليله سياق الاية ونظيره قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم

المتقون

المتقون • فان قلت كيف يجوز تشبيه الجماعة بالواحد قلت لان الذي اسم ناقص فيتناول الواحد و
الاثنين كمن وما وفي الاية ما يدل على ان معناه الجمع وهو قوله تعالى وتركهم وقد يجوز تشبيه فعل
الجماعة بفعل الواحد مثل قوله تعالى تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت وقوله تعالى اضاءت
يقال ضاء القمر يضوء ضوءا واضاء يضيء اضاءة واضاءه غيره يكون لازما ومتعديا • وقرا محمد بن
السميقع ضاءت بغير الف • وحوله نصب على الظرف قوله تعالى ذهب الله بنورهم اي اذهب الله نورهم
وانما قال بنورهم والمذكور في اول الاية النار لان النار فيها شيئان النور والحرارة فذهب نورهم وبقيت الحرارة
عليهم وفي بعض التفاسير • قال ابن عباس وقتادة والضحاك معنى الاية مثلهم في كفرهم ونفاقهم كمن اوقد نارا في
ليلة مظلمة في مغارة فاستضاء به واستدفى وراى ما حوله فاتقى ما يحذر ونجا مما يخاف وامن
فبينما هو كذلك اذ طفيت ناره فبقي مظلما خايفا متحيرا فكذلك المنافقون اذا اظهروا كلمة الايمان و
استناروا بنورها واعتزوا بعزها فناكحوا المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنايم وامنوا على اموالهم
واولادهم فاذا ماتوا عادوا في الظلمة والخوف وبقوا في العذاب والنقمة قوله تعالى صم بكم عمي اي هم
صم عن الهدى يسمعون الحق بكم لا يتكلمون بخير عمي لا يبصرون الهدى بقلوبهم كما قال تعالى وتراهم ينظرون اليك
وهم لا يبصرون • وقيل معناه صم يتصامون عن الحق بكم يتباكمون عن قول الحق عمي يتعامون عن النظر الى الحق
يعني الاعتبار • وقرا عبد الله صما بكما عميا بالنصب على معنى وتركهم كذلك وقيل على الذم وقيل على الحال
وقوله تعالى فهم لا يرجعون اي عن الضلالة والكفر الى الهدى والايمان قوله عز وجل او كصيب من السماء
فيه ظلمات ورعد وبرق هذا مثل اخر ضربه الله تعالى لهم ايضا معطوف على المثل الاول اي مثلهم
كمثل الذي استوقد نارا ومثلهم ايضا كصيب قال اهل المعاني او بمعنى الواو يريد وكصيب كقوله او يزيدون
وانشد الفراء • وقد زعمت سلمى باني فاجر • لنفسي تقاها او عليها فجورها • اي وعليها فجورها ومعنى الاية
مثل المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم والقران كصيب اي كمطر نزل من السماء ليلا على قوم في مفازة
فيه ظلمات ورعد وبرق كذلك القران نزل من الله فيه ظلمات اي بيان الفتن وابتلاء المومنين بالشدايد
في الدنيا ورعدا اي زجر وتخويف وبرق اي تبيان وتبصرة فجعل اصحاب المطر اصابعهم في اذانهم من الصواعق

مخافة الهلاك كذلك المنافقون كانوا يجعلون اصابعهم في اذانهم من بيان القران ووعده ووعيده وما فيه
من الدعا الى الجهاد مخافة ان يقتلوا في الجهاد ويقال مخافة ان تميل قلوبهم الى ما في القرآن • وعن الحسن انه قال
في الآية تشبيه الاسلام بالصيب لان الصيب يحيي الارض والاسلام يحيي الكافر قال الله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه
وقوله تعالى كصيب اي كاصحاب الصيب لاستحالة تشبيه الحيوان بالصيب وتمثيل العاقل بغير العاقل وقوله تعالى
من الصواعق جمع صاعقه وهي صوت وبرق فيه قطعة من النار لا تاتي على شيء الا احرقته وقوله تعالى من السماء
كل ما علاك فهو سما والسما يكون واحدا وجمعا قال الله تعالى ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات و
قيل هو جمع واحده سماوة والسماوات جمع الجمع مثل جرادة وجراد وجرادات والسما تذكر وتؤنث قال
الله تعالى السما منفطر به وقال اذا السما انفطرت وقوله تعالى فيه ظلمات اي في الصيب • وقيل في الليل كناية
عن غير مذكور وظلمات جمع ظلمة وضمة اللام على الاتباع لضمة الظا • وقرا الاعمش ظلمات بسكون اللام على
اصل الكلام لانها ساكنة في التوحيد • وقرا اشهب العقيلي ظلمات بفتح اللام لانه لما اراد تحريك اللام حركها
الى اخف الحركات كقول الشاعر • فلما راونا باديا ركباتنا • على موطن لا تخلط الجد بالهزل • وقوله تعالى ورعد
الرعد هو الصوت الذي يخرج من السحاب • وبرق هي النار التي يخرج منه قال مجاهد الرعد ملك يسبح بحمده
ويقال لذلك الملك رعد ولصوته ايضا رعد • وقال عكرمة الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقها كما يسوق
الراعي الابل • وقال شهر بن حوشب يزجي السحاب كما يزجي الراعي الابل فاذا تبددت السحاب ضمها فاذا اشتد
غضبه طارت فيه النار فهي الصواعق والصواعق ايضا المهالك وهي جمع صاعقة والصاعقة والصاقعة
والصعقة كلها الهلاك ومنه قيل صعق الانسان اذا غشي عليه وصعق اذا مات قوله تعالى يجعلون
اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت اي مخافة الموت وهو نصب على المصدر وقيل بنزع الخافض
وقرا قتادة حذار الموت قوله تعالى والله محيط بالكافرين اي عالم بهم يدل عليه قوله تعالى وان الله قد
احاط بكل شيء علما وقيل معناه والله مهلكهم وجامعهم في النار دليله ان يحاط بكم اي تهلكوا جميعا
قوله تعالى عز وجل يكاد البرق يخطف ابصارهم اي يختلس ابصار المسافرين من شدة ضوئه كذلك البيانات
من القران يكاد يذهب بابصار المنافقين فياخذهم الى الله ليقبلوا الدين ومعنى يكاد اي يقرب من ذلك ولم

يفعل

يفعل • وقرا ابن ابي اسحق يخطف بنصب الخا وتشديد الطا اي يختطف فادغم وقوله تعالى كلما اضاء لهم مشوا
فيه اي كلما اضا البرق للمسافرين مشوا في ضوئه واذا اظلم عليهم بقوا في الظلمة كذلك المنافقون لما امنوا
مشوا فيما بين المومنين فلما ما توا بقوا في ظلمة البرق وفي حرف عبد الله مضوا فيه قوله تعالى ولو شا الله
لذهب بسمعهم وابصارهم اي لذهب بسمع المسافرين بالرعد وابصارهم بالبرق كذلك لو شا الله لذهب
بسمع المنافقين وابصارهم بزجر القران ووعده ووعيده والبيان الذي فيه وجعلهم صما عميا في الحقيقة
عقوبة لهم وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير اي من ذهاب السمع والبصر قوله عز وجل يا ايها الناس
اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون قال ابن عباس يا ايها الناس خطاب لاهل
مكة ويا ايها الذين امنوا خطاب لاهل المدينة وهو هاهنا عام وقوله تعالى اعبدوا ربكم اي وحدوه
واطيعوه وقوله تعالى الذي خلقكم اي اوجدكم وانشاكم بعد ان لم تكونوا شيئا وقوله تعالى والذين من
قبلكم اي وخلق الذين من قبلكم لعلكم تتقون اي لكي تنجوا من السخط والعذاب • قال سيبويه لعل وعسى
حرفا ترج وهما من الله واجبتان قوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء اي هو الذي
جعل وقيل اعبدوا ربكم الذي جعل لكم الارض فراشا اي بساطا وقوله تعالى والسماء بناء انما اطلق البنا
على السما دون الارض لان خلقها بعد الارض قال الله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى
الى السما فسواهن • قال ابن عباس كل سما مطبقة على الاخرى كالقبة وسما الدنيا ملتزقة اطرافها بالارض
وقوله تعالى وانزل من السماء ماء اي من السحاب سمي سماء لقربه من السما وقيل معناه من نحو السماء وقيل
لان الله تعالى ينزل المطر من السما الى السحاب ومن السحاب الى الارض وقيل يخلق الله المطر في السحاب ثم ينزله
منه الى الارض قوله تعالى فاخرج به من الثمرات ظاهر المراد قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا اي امثالا ونظرا
وانتم تعلمون ان الله خلق كافة الاشيا دون غيره وان ليس للاصنام عليكم نعمة يستحق بها عبادتكم قوله
تعالى وان كنتم في ريب اي في شك مما نزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه ليس مني وان محمدا
يختلقه من نفسه فاتوا بسورة من مثله اي من بشر مثله والها في مثله عايدة الى النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل معناه فاتوا بسورة من مثل ما نزلنا قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله اي الهتكم ومن رجوتم

معونته فى الاتيان بسورة مثله ان كنتم صادقين انه ليس من الوحى وقوله تعالى فأتوا امر تعجيز لانه تعالى
علم عجز العباد عنه قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا اى فان لم تاتوا بمثله ولن تاتوا بذلك ابدا فاتقوا
النار التى وقودها الناس والحجارة اى حطبها الناس والحجارة وقيل المراد بالحجارة حجارة الكبريت لانها اسرع
وقودا وانتن رايحة واشد حرا والصق بالبدن قوله تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم اى
بان لهم موضع نصب بنزع الخافض قوله تعالى جنات اى بساتين تجرى من تحت شجرها ومساكنها وغرفها
انهار الماء والعسل والخمر واللبن قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل
اى كلما اطعموا من انواع الثمرات بالبكر والعشيات اذا اتوا به بكرة قالوا هذا الذى اوتينا به عشية واذا اتوا
به عشية قالوا هذا الذى اوتينا به بكرة فاذا طعموه وجدوا طعمه غير الطعم الذى طعموه من قبل وقوله تعالى
واتوا به متشابها اى فى المنظر مختلفا فى الطعم قوله تعالى ولهم فيها ازواج مطهرة اى نساء وجوار لا يحضن
ولا يتغوطن ولا يلدن ولا يحتجن الى ما يتطهرن منه ولا يحسدن ولا يغرن ولا ينظرن الى غير ازواجهن مهذبات
فى الخلق والخلق طاهرات من كل دنس وعيب قوله تعالى وهم فيها خالدون اى هم مع هذه الكرامات
دايمون لا يموتون ولا يخرجون ابدا • وسئل صلى الله عليه وسلم ما بال اهل الجنة عملوا فى عمر قصير فخلدوا
فى الجنة وما بال اهل النار عملوا فى عمر قصير فخلدوا فى النار فقال لكل واحد من الفريقين يعتقد انه لو عاش ابدا
عمل ذلك العمل • والبشارة المطلقة هو الخبر السار الذى يحدث عنده الاستبشار والسرور وان كان قد
يستعمل مقيدا فيما يسوء كما قال تعالى فبشرهم بعذاب اليم • ولهذا قال علماؤنا فيمن قال اى عبيدى بشرنى بقدوم
فلان فهو حر فبشره جماعة من عبيده واحدا بعد واحد ان الاول يعتق دون غيره لان البشارة حصلت بخبره
خاصة بخلاف ما اذا قال اى عبيدى خبرنى بقدوم فلان فاخبره واحدا بعد واحد فانهم يعتقون جميعا
قوله تعالى ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها هذا مثل اخر للمنافقين وسببه لما ذكر الله
فى المنافقين المثلين المتقدمين قالوا ان الله اعلى واجل من ان يضرب هذه الامثال فانزل الله هذه الاية لان البعوضة
تحيى ما دامت جايعة فاذا شبعت هلكت فكذلك المنافقون يحيون ما افتقروا فاذا شبعوا بطروا وهلكوا
فكانه قال تعالى كيف استحيى من ضرب المثل فى المنافقين وانا اضربه بالبعوض الذى هو مثلهم وقيل ان المشركين

لما نزل

لما نزل قوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله
اولياء كمثل العنكبوت قالوا ان الله تعالى يضرب المثل بالذباب والعنكبوت فانزل الله هذه الاية كانه قال
لا استحيى بضرب المثل بالبعوض والعنكبوت مع صغرهما فانهما يعجزان الهتهم ومعنى الاية ان الله لا يمنعه
الحيا ان يضرب الحق شبها ما بعوضة فما اكبر منها مثل الذباب وغيره وقيل فما فوقها فى الصغر قوله تعالى فاما
الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اى فيعلمون ان المثل حق من ربهم واما الكافرون فيقولون اى شى اراد
الله بذكر البعوض والذباب مثلا قوله تعالى يضل به كثيرا اى قل لهم يا محمد يضل ويخذل بالمثل كثيرا
من الناس ويوفق لمعرفته كثيرا وما يضل به الا الفاسقين يعنى الخارجين عن طاعة الله قيل هم اليهود
فى هذه الاية واما قوله مثلا ما قيل نكرة معناه ان يضرب مثلا شيئا من الاشيا بعوضة فما فوقها وقيل الاصح
انها زايدة مثل فيما نقضهم ولا اعراب لها فيتخطاها الناصب والخافض الى ما بعدها وقيل نصب بعوضة على
معنى ما بين بعوضة الى ما فوقها فاذا القى بين والى نصب وقيل الى الكلام هى احسن الناس ما قرنا قوله تعالى
مثلا ونصب على القطع عند الكوفيين غير انه قطع الاضافة اى بهذا المثل وعند البصريين على الحال اى ما اراد
الله بالمثل فى هذه الحالة قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله نعت للفاسقين ومن جعله مبتدا وقف على
الفاسقين وقوله تعالى ينقضون عهد الله اى يتركون امر الله ووصيته من بعد تغليظه وتوكيده والعهد
ما اخذ الله على النبيين ومن تبعهم ان لا يكفروا بالنبى صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته وصفته
قوله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يعنى الرحم الذى امرهم بصلته قوله تعالى كيف تكفرون بالله
وكنتم اى وكنتم نطفا فى اصلاب ابايكم فاحياكم فى ارحام امهاتكم واخرجكم نسما صغارا ثم يميتكم عند
انقضا اجالكم ثم يحييكم للبعث ثم اليه ترجعون فى الاخرة قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا
يعنى من الشجر والثمار والدواب ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات فان قيل هذه الاية يقتضى ان خلق السما
بعد الارض وقال تعالى فى اية اخرى ام السما بناها ثم قال والارض بعد ذلك دحاها قيل مجموع الايتين
يدل على ان خلق الارض قبل السما الا ان بسط الارض بعد خلق السما قوله تعالى واذ قال ربك للملايكة انى
جاعل فى الارض خليفة يعنى ادم وذريته قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها واختلفوا فى معنى الخليفة

فروي ان رجلاً سأل طلحة والزبير وكعباً وسلمان ما الخليفة وما الملك فقال طلحة والزبير ما ندري وقال سلمان
الخليفة هو الذي يعدل في رعيته ويقسم بينهم بالسوية ويشفق عليهم شفقة الرجل على اهله والوالد على ولده
ويقضي بكتاب الله تعالى فقال كعب ما كنت احسب ان احداً يعرف الخليفة من الملك غيري ولكن الله ملاء سلمان علماً
وحلماً وعدلاً • وروي ان عمر رضي الله عنه قال لسلمان املك انا ام خليفة فقال سلمان ان انت جبيت ارض
المسلمين درهماً او اقل او اكثر ووضعته في غير حقه فانت ملك وان انت فعلت بالعدل والانصاف فانت خليفة
فاستغفر عمر رضي الله عنه • وروي ان معوية كان يقول اذا جلس على المنبر يا ايها الناس ان الخلافة ليست بجمع
المال ولا تفريقه ولكن الخلافة العمل بالحق والحكم بالعدل واخذ الناس بامر الله عز وجل كذا في تفسير الثعلبي رحمه الله
قوله تعالى اتجعل فيها من يفسد فيها اي يعصيك فيها **ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** اي ننزهك
من السوء ونصلي لك ونطهر انفسنا لك وقيل اللام في نقدس لك زايدة اي نقدسك قوله تعالى **قال اني اعلم ما لا
تعلمون** اي علم انه سيكون فيهم انبيا وقوم صالحون يسبحون بحمدي ويقدسون لي ويطيعون امري • وروي
ان الله تعالى لما خلق الارض جعل سكانها الجن بني الجان وجعل سكان السموات الملئكة لاهل كل سما عبادة اهون
من التي فوقها وكان ابليس مع جند من الملئكة في سما الدنيا وكان رئيسهم واسمه عزازيل فلما افسدت الجن بنوا الجان
الذين سكنوا الارض فيما بينهم وسفكوا الدماء عملوا المعاصي بعث الله اليهم ابليس مع جند فهبطوا الى الارض
واجلوا الجن منها والحقوهم بجزاير البحار وسكن ابليس والجند الذين معه في الارض • فلما اراد الله ان يخلق
ادم وذريته قال للملئكة الذين كانوا مع ابليس في الارض اني جاعل في الارض خليفة فتعجبوا من ذلك وقالوا
اتجعل فيها من يفسد فيها كما فعلت الجن بنوا الجان ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فلما قالوا هذا القول خرجت
لهم نار من الحجب فاحرقت عشرة الاف ملك منهم واعرض الرب سبحانه عن الباقين حتى طافوا حول العرش سبع
سنين يقولون لبيك اللهم لبيك اعتذاراً اليك قوله تعالى **وعلم ادم الاسماء كلها** وذلك ان الله لما قال
للملئكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا فيما بينهم يخلق ربنا ما يشا فلن يخلق خلقاً افضل ولا اكرم عليه منا
وان كان خيراً منا فنحن اعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره • فلما اعجبوا بعلمهم وعبادتهم فضل الله
ادم عليهم بالعلم فعلمه الاسماء كلها وهي اسما الملئكة وقيل اسما ذريته • وقال ابن عباس اسماء كل شيء من الدواب

والطيور

والطيور والامتعة حتى الشاة والبقرة والبعير وحتى القصعة والسكرجة • وقيل اسما كل شيء من الحيوان والجمادات
وغيرها فقيل هذا فرس وهذا حمار وهذا بغل حتى اتى على اخرها **ثم عرضهم** تلك الشخوص المسميات على الملائكة
ولم يقل عرضها رده الى الشخوص المسميات لان الاعراض لا تعرض وان شئت قلت لان فيهم من يعقل فغلبهم وفي
قراة ابي **ثم عرضها** وقال الضحاك علم الله ادم اسما الخلق والقرى والمدن والاجبل واسما الطير والشجر واسما
ما كان وما يكون وكل نسمة الله باريها الى يوم القيمة وعرض تلك الاسما **على الملئكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء
ان كنتم صادقين** بان الخليفة الذي اجعله يفسد فيها ويسفك الدما اراد بذلك كيف تدعون علم
ما لم يكن وانتم لا تعلمون علم ما ترون وتعاينون • وقال الحسن وقتادة معناه ان كنتم صادقين اني لا اخلق
خلقاً الا كنتم اعلم منه وافضل فقالت الملئكة اقراراً بالعجز واعتذاراً **سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا** اي
تنزيهاً لك عن الاعتراض في حكمك وتدبيرك **انك انت العليم** بخلقك **الحكيم** في امرك وسبحانك منصوب
على المصدر اي نسبح سبحاناً في قول الخليل وقيل على النداء المضاف اي سبحانك قوله تعالى الحكيم له معنيان
احدهما المحكم للفعل كقولهم عذاب اليم اي مولم وضرب وجيع اي موجع فعلى هذا هو صفة فعل والاخر
بمعنى الحاكم فحينئذ يكون صفة ذات قوله تعالى ادم الادمة مشرب سواداً وقيل هي كل لون يشبه لون التراب

لون صح

فلما ظهر عجز الملئكة قال الله تعالى **يا ادم انبئهم باسمائهم** اي اخبرهم باسمائهم فسمى كل شيء باسمه والحق
كل شيء بجنسه **فلما انباهم باسمائهم قال الله الم اقل لكم** يا ملئكتي **اني اعلم غيب السموات والارض** وما كان
فيها وما يكون **واعلم ما تبدون** من الخضوع والطاعة لادم **وما كنتم تكتمون** في انفسكم له من العداوة و
قيل اعلم ما تبدون يعني الاقرار بالعجز والاعتذار وما كنتم تكتمون من الكراهة في استخلاف ادم عليه السلام
وقيل معناه اعلم ما اظهرتم من الطاعة وما اضمر ابليس من المعصية لله تعالى في الامر بالطاعة لادم
عليه السلام • وذلك ان الله لما صور ادم وراه ابليس قال للملئكة الذين معه ارايتم هذا الذي لم تروا
من الخلايق مثله ان امركم الله بطاعته ما ذا تصنعون قالوا نطيع واضمر الخبيث في نفسه انه لا يطيع وقيل
معناه اعلم ما تبدون يعني قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما كنتم تكتمون يعني قولهم لن يخلق الله خلقاً
افضل ولا اعلم ولا اكرم عليه منا • فان قيل في قوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء امر تكليف ما لا يطاق

فهل يجوز تكليف ما لا يطاق قلنا الصحيح انه ليس بتكليف وهذا كمن يلقي المسئلة على من يتعلم منه فيقول اخبرني
بجواب هذه المسئلة ولا يريد بذلك ان يامره بجوابها لانه يعلم انه لا يعرفه بل يقصد ان يقرر عليه انه لا يعرف
جوابها ليكون اشد حرصا على تعلم تلك المسئلة قوله تعالى واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس
ابى واستكبر وكان من الكافرين ظاهر الاية ان ابليس كان من الملئكة لانه مستثنا منهم والى هذا ذهب جماعة من
العلما وقالوا معنى قوله في اية اخرى الا ابليس كان من الجن يعني من خزان الجنان • وذهب جماعة اخرون
الى انه من اولاد الجان لانه مخلوق من نار وله ذرية والملائكة من نور وليس لهم ذرية فعلى هذا يكون
مستثنى منقطعا مثل قوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن • وقيل سبب كونه مع الملئكة لما حاربت [الملئكة هم]
الجن سبوا ابليس صغيرا فنشا معهم • فلما امر الملئكة بالسجود امتنع وكفر وعاد الى اصله وقوله تعالى
اسجدوا لادم هو سجود تعظيم وتحية لا سجود صلاة ولا عبادة نظيره في قصة يوسف عليه السلام
وخروا له سجدا وكان ذلك تحية الناس وتعظيم بعضهم بعضا ولم يكن وضع الوجه على الارض
وانما كان الانحنا فلما جا الاسلام ابطل ذلك بالسلام • وفي الحديث ان معاذ بن جبل لما رجع من اليمن
سجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما هذا
قال رايت اليهود يسجدون لاحبارهم والنصارى يسجدون لقسيسهم فقال صلى الله عليه وسلم
مه يا معاذ كذب اليهود والنصارى انما السجود لله عز وجل • وقال بعضهم سجدوا على الحقيقة جعل
ادم قبلة لهم والسجود لله كما جعلت الكعبة قبلة لصلاة المومنين والصلوة لله عز وجل • وانما سمي ادم
لانه خلق من التراب والتراب بلسان العبرانية ادام بالمد ومنهم من قال سمي بذلك لادمته لانه كان
ادم اللون وكنيته ابو محمد وابو البشر وقوله الا ابليس منصوب على الاستثنا ولا ينصرف للعجمة والمعرفة و
قوله تعالى واستكبر اي تكبر وتعظم عن السجود لادم وقوله تعالى وكان من الكافرين اي وصار من الكافرين
كقوله تعالى فكان من المغرقين • وقال اكثر المفسرين معناه وكان في علمه السابق من الكافرين الذين وجبت
لهم الشقاوة • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة وسجد اعتزل الشيطان
يبكي ويقول يا ويله امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فابيت فلي النار وقوله عز

وجل

وجل وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وذلك ان ادم كان في الجنة وحشيا لم يكن له من
يجالسه ويوانسه فنام نومة فخلق الله تعالى زوجته حوا من قصيراه من شقه الايسر من غير ان احس
ادم بذلك ولا وجد له الما ولو الم من ذلك لما عطف رجل على امراة • فلما هب ادم من نومه اذ هو
بحوا جالسة عند راسه كاحسن ما خلق الله قال لها من انت قالت زوجتك خلقني الله لك فقالت
الملئكة عند ذلك امتحانا له يا ادم ما هذه قال امراة قالوا وما اسمها قال حوا قالوا ولم سميت حوا
قال لانها خلقت من حي قالوا يا ادم اتحبها قال نعم قالوا لحوا اتحبينه يا حوا قالت لا وفي قلبها اضعاف
ما في قلبه من حبه فلو صدقت امراة في حبها لزوجها لصدقت حوا قوله تعالى وكلا منها رغدا اي
واسعا كثيرا حيث شئتما واين شئتما وكيف شئتما ولا تقربا هذه الشجرة قيل هي الكرم وقيل التين وقيل
شجرة من احسن اشجار الجنة عليها كل نوع من اطعمة الجنة ثمرها مثل كلية البقر الين من الزبد واحلى من الشهد
واشد بياضا من اللبن قوله تعالى فتكونا من الظالمين اي فتصيرا من الضاوين لانفسكما بالمعصية واصل
الظلم وضع الشي في غير موضعه قوله تعالى فازلهما الشيطان عنها اي عن الجنة ومعنى ازلهما استزلهما
وقرا حمزة فازالهما الشيطان وهو ابليس وهو فيعال من شطن اي بعد سمي بذلك لبعده من الخير وعن رحمة الله
وقوله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه اي من النعيم وذلك ان ابليس اراد ان يدخل الجنة ليوسوس
لادم فمنعه الخزنة فاتى الحية وكانت من احسن الدواب لها اربع قوايم كقوايم البعير وكانت من خزان الجنة
وكانت لابليس صديقا فسالها ان تدخله في فمها فادخلته في فمها ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون
فلما دخل الجنة وقف بين يدي ادم وحوا فناح عليهما نياحة وبكى وهو اول من ناح فقالا له ما يبكيك
قال ابكي عليكما تموتان وتفارقان ما انتما فيه من النعيم والكرامة فاغتما لذلك فقال يا ادم هل ادلك
على شجرة الخلد فابا ان يقبل منه فقاسمهما بالله اني لكما لمن الناصحين فاغترا وما كانا يظنان ان احدا يحلف
بالله كاذبا فبادرت حوا الى اكل الشجرة ثم ناولت ادم حتى اكلها • روي ان سعيد بن المسيب كان يحلف بالله
ما يستثني ما اكل ادم من الشجرة وهو يعقل ولكن حوا سقته الخمر حتى اذا سكر قادته اليها فاكل فلما اكلوها فت
عنهما ثيابهما وبدت سواتهما واخرجا من الجنة قيل ان ادم دخل الجنة عند الضحوة واخرج ما بين الصلوتين

مكث نصف يوم من ايام الاخرة خمسماية عام **مسئلة** قالت القدرية ان الجنة التى سكنها آدم لم تكن جنة
الخلد وانما كانت بستانا من بساتين الدنيا قالوا لان الجنة لا تكون فيها ابتلاء ولا تكليف **فالجواب** انا قد اجمعنا
على ان اهل الجنة ما مورون فيها بالمعرفة ومكلفون ذلك وجواب اخر ان الله قادر على الجمع بين الاضداد
فارى ادم المحنة فى الجنة وارى ابراهيم النعمة فى النار ليلا ييأس العبد من ربه ولا يقنط من رحمته وليعلم ان له ان يفعل
ما يشا واحتجوا بان من دخل الجنة مستحيل عليه الخروج منها • فالجواب ان من دخلها للثواب لا يخرج منها ابدا
وادم لم يدخلها للثواب الا ترى ان رضوان وخزان الجنان يدخلونها ثم يخرجون منها وابليس ايضا كان خازن
الجنة فاخرج منها قوله عز وجل **وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوا** اى قلنا لادم وحوا وابليس والحية والطاوس
انزلوا الى الارض بعضكم لبعض عدو فابليس عدو لادم وذريته والحية يلدغ ابن ادم وابن ادم يشدخ راسها
قيل ان ابليس قال لادم وحوى ايكما اكل من الشجرة كان مسلطا على صاحبه فابتدرا الى الشجرة فسبقت حوى فاكلت
منها واطعمت ادم • وقيل ان ادم قال لها يا حوى ويحك ما تعلمين ان الله قد نهانا عنها فقالت اما تعلم سعة
رحمة الله فاكلت منها واطعمته • قيل ان ابليس لما دخل الجنة فى فم الحية سال الطاوس عن الشجرة التى نهى الله
ادم وحوى عنها فدله عليها فغضب الله على الطاوس فاهبطه ببيسان وهو موضع بسواد العراق واهبط
ابليس بساحل بجابله وهى مدينة الى جنب البصرة واهبطت الحية باصبهان قوله تعالى **ولكم فى الارض مستقر
ومتاع الى حين** اى الى وقت انقضا اجالكم ومنتهى اعماركم • روى ان ابراهيم بن ادهم كان يقول اورثتنا تلك الاكلة
حزنا طويلا قوله تعالى **فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه** قرا ابن كثير بنصب ادم ورفع كلمات يعنى جاءت
الكلمات ادم من ربه وفى قوله فتاب عليه اختصار وتغليب لذكر الامر وقد تاب عليه وعلى حوى واختلفوا
فى الكلمات التى تلقاها ادم • قيل نزل بها جبريل وهى سبحانك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى وارحمنى
وانت خير الراحمين • سبحانك لا اله الا انت وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى انك انت الغفور الرحيم •
سبحانك لا اله الا انت وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسى فتب على انك انت التواب الرحيم • هكذا روى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم • وعن ابن عباس انها • ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين •
وروى انه قال يا رب ارايت ما اتيت اشىء ابتدعته من نفسى قد قدرته على قبل ان تخلقنى فقال بل شىء قد قدرته

وبحمدك صح

او شىء صح

عليك

عليك قبل ان اخلقك قال يا رب فكما قدرته على فاغفر لى • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحاج
ادم وموسى فقال له موسى انت ادم الذى اغويت الناس واخرجتهم من الجنة الى الارض فقال له ادم انت موسى
الذى اعطاك الله علم كل شىء واصطفاك على الناس برسالته قال نعم قال اتلومنى على امر كان قد كتب على ان افعله
من قبل ان اخلق فحج ادم موسى • وعن شهر بن حوشب قال بلغنى ان ادم لما اهبط الى الارض مكث ثلثماية سنة لا يرفع
راسه حياء من الله عز وجل • وقال ابن عباس بكا ادم وحوى على ما فاتهما من نعيم الجنة ولم يا كلا ولم يشربا اربعين
يوما ولم يقرب ادم حوى مائة سنة وقوله تعالى فتاب عليه اى تجاوز عنه **انه هو التواب الرحيم** اى يقبل
توبة عباده رحيم بخلقه وقوله تعالى **قلنا اهبطوا منها جميعا** ادم وابليس والحية والطاوس **فاما يأتينكم
منى هدى** اى كتاب ورسول **فمن تبع هداى فلا خوف عليهم** فيما يستقبلهم **ولا هم يحزنون** على ما خلفوا وقوله
تعالى **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا** يعنى القرآن **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** لا يخرجون منها قوله
عز وجل **يا بنى اسرائيل** اى يا اولاد يعقوب ومعنى اسرائيل اى صفوة الله وايل هو الله وقيل اسر هو العبد وايل هو الله
فمعناه عبد الله وهو خطاب لليهود والنصارى وانما سمى يعقوب لان يعقوب وعيصا كانا تومين فاقتتلا
فى بطن امهما فاراد يعقوب ان يخرج فمنعه عيص وقال والله لئن خرجت قبلى لاعترضن فى بطن امى فاقتلها
فاخر يعقوب وخرج عيص واخذ يعقوب بعقبه فخرج بعد فسمى يعقوب فلذلك سمى عيصا لما عصى فخرج
قبل يعقوب وكان عيص احبهما الى ابيه وكان يعقوب احبهما الى امه وكان عيص صاحب صيد فلما كبر اسحق
وعمى قال لعيص يا بنى اطعمنى لحم صيد واقترب منى حتى ادعو لك بدعاء دعا لى به ابى ابراهيم عليه السلام
وكان عيص رجلا اشعر وكان يعقوب اجرد فخرج عيص يطلب الصيد فقالت امه ليعقوب يا بنى اذهب الى
الغنم فاذبح شاة منها ثم اشوها والبس جلدها وقدمها الى ابيك وقل انا ابنك عيص ففعل ذلك يعقوب
فلما جا قال يا ابتاه كل قال من انت قال ابنك عيص فمسه فقال المس مس عيص والريح ريح يعقوب فقالت امه
هو ابنك عيص فادع له قال قدم طعامك فقدمه فاكل منه ثم قال ادن منى فدنا منه فدعا له ان يجعل الله فى
ذريته الانبيا والملوك وذهب يعقوب فجاء عيص فقال قد جئتك بالصيد الذى امرتنى قال يا بنى قد سبقك
اخوك يعقوب فغضب وقال والله لاقتلنه فقال اسحق يا بنى قد بقيت لك دعوة فهلم ادعو لك بها فدعا

وحوى صح

ان تكون ذريته عدد التراب وان لا يملكهم احد غيرهم قوله تعالى ● اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اى احفظوا
واشكروا ● قال الحسن ذكر النعمة شكرها ● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المتحدث بنعم الله شاكر وتاركها
كافر وقوله تعالى نعمتى اراد نعمى لفظها واحد ومعناها جمع نظيرها قوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها والعدد
لا يقع على الواحد وقوله تعالى انعمت عليكم اى على اجدادكم واسلافكم وذلك ان الله تعالى فلق لهم البحر فانجاهم
من فرعون واهلك عدوهم واورثهم ديارهم واموالهم وظلل عليهم الغمام فى التيه تقيهم حر الشمس وجعل لهم عمودا
من نور يضئ لهم بالليل اذا لم يكن ضوء القمر وانزل عليهم المن والسلوى وفجر لهم اثنى عشر عينا وانزل عليهم التورية فيها
بيان كل شئ يحتاجون اليه فى دينهم ودنياهم فهذه نعم من الله كثيرة لا يحصى وقوله تعالى واوفوا بعهدى الذى
عهدت اليكم فى التورية اوف بعهدكم اى ادخلكم الجنة وانجز لكم ما وعدتكم ● وقرا الزهرى اوف بالتشديد على التاكيد
يقال وفى واوفى ووفى بمعنى واحد قيل ان الله تعالى قد عهد الى بنى اسرايل فى التورية انى باعث من بنى اسمعيل نبيا
اميا فاتبعوه فمن تبعه وصدق بالنور الذى ياتى به غفرت له ذنوبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين
اجرا باتباعه ما جاء به موسى والانبيا من بنى اسرائيل واجرا باتباعه ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ●
وقال قتادة هو العهد الذى اخذه الله عليهم فى قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرايل وبعثنا منهم اثنى عشر
نقيبا الى قوله قرضا حسنا فهذا قوله واوفوا بعهدى ثم قال لاكفرن عنكم سياتكم الايه فهذا قوله اوف
بعهدكم وقيل معناه اوفوا لى بشرط العبودية اوف بشرط الربوبية وقال اهل الاشارة اوفوا بعهدى فى دار
محنتى بحفظ حرمتى اوف بعهدكم فى دار نعمتى على بساط كرامتى بقربى ورؤيتى قوله تعالى واياى فارهبون
اى خافونى فى نقض العهد قوله تعالى وامنوا بما انزلت يعنى القران مصدقا لما معكم اى موافقا لما معكم
من التورية والانجيل وساير الكتب فى التوحيد والنبوة وبعض الشرايع نزلت فى كعب بن الاشرف واصحابه من
علما اليهود ورؤسائهم ولا تكونوا اول كافر به اى لا تكونوا اول من يكفر بالقران فيتابعكم اليهود على ذلك
وقوله تعالى ولا تشتروا باياتى ثمنا قليلا وذلك ان علما اليهود ورؤساهم كانت لهم ماكل يصيبونها
من سفلتهم وعوامهم باخذون منهم شيئا معلوما كل عام من زرعهم وضروعهم ونقودهم فخافوا انهم ان
بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه وامنوا به تفوتهم تلك الماكل والرياسة واختاروا

الدنيا على الاخرة والها فقوله كافر به عايد الى ما انزلت على محمد ويجوز ان تكون عايدة الى قوله لما معكم
لانهم كتموا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته فى التورية فاذا كفروا بالقران فقد كفروا بالتورية
وقوله تعالى واياى فاتقون اى فاخشونى فى امر محمد صلى الله عليه وسلم لا فيما يفوتكم من الرياسة والماكل
قوله عز وجل ولا تلبسوا الحق بالباطل قال مقاتل وذلك ان اليهود اقروا ببعض صفة محمد صلى الله عليه
وسلم وكتموا بعضها ليصدقوا فى ذلك فقال الله تعالى ولا تلبسوا الحق الذى تقرون به وتبينونه بالباطل
الذى تكتمونه فالحق بيانه والباطل كتمانه ● وقيل معناه لا تكتموا الحق بالباطل هو ايمانهم ببعض ما جاء به
النبى صلى الله عليه وسلم وكفرهم ببعضه وتكتموا الحق يعنى نعت النبى صلى الله عليه وسلم وصفته
وقوله تعالى وانتم تعلمون اى يعلمون انه نبى مرسل وقوله تعالى وتكتموا الحق يحتمل ان يكون تكتموا جزما
على النهى ويحتمل ان يكون نصبا على معنى وان تكتموا اى لا تجمعوا بين اللبس والكتمان فهذا مثل ● لا تنه عن
خلق وتاتى مثله ● وقوله تعالى ولا تلبسوا الحق اى لا تخلطوا يقال لبست عليه الامر اى خلطته قوله تعالى
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة اى حافظوا على الصلوات الخمس لمواقيتها بركوعها وسجودها وادوا زكوة اموا لكم
المفروضة وقوله تعالى واركعوا مع الراكعين اى صلوا مع المصلين محمد واصحابه فى الجماعات الى الكعبة
يخاطب اليهود فعبر بالركوع عن الصلوة اذ كان ركنا من اركانها كما عبر باليد عن الجسد فى قوله بما قدمت
يداك وبالعتق عن النفس كقوله تعالى الزمناه طايره فى عنقه والفايدة فى تكرار ذكر الصلوة لئلا يتوهم
توهم ان الصلوة لا تجب الا على من يجب عليه الزكوة ● وقيل ان اليهود كانوا يصلون بغير ركوع فامروا
بالركوع فى الصلوة قوله عز وجل اتامرون الناس بالبر خطاب لعلماء اليهود كانوا يخبرون مشركى العرب
قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بان رسولا سيظهر يدعو الى الحق فاتبعوه واجيبوا دعوته ● فلما
بعث النبى صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فانزل الله هذه الاية مذكرا لهم ما كان منهم وقوله تعالى
وتنسون انفسكم اى تتركون انفسكم فلا تتبعونه وقوله وانتم تتلون الكتاب يعنى التورية وتعلمون
ما فيها من وجوب اتباعه افلا تعقلون ان ذلكم حجة عليكم وانه نبى حق فتصدقونه وتتبعونه قوله تعالى
واستعينوا بالصبر والصلوة اى استعينوا على ما يستقبلكم من انواع البلايا ● وقيل على طلب الاخرة

بالصبر على اداء الفرايض وبالصلوة على تمحيص الذنوب • وقيل استعينوا بالصبر والصلوة على ما يذهب منكم من الرياسة والمأكلة باتباع محمد صلى الله عليه وسلم • وقال مجاهد الصبر في هذه الاية الصوم • وقيل الواو هنا بمعنى على تقديره استعينوا فيما ينوبكم بالصبر على الصلوة كقوله تعالى وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها • وروي ان ابن عباس نعيت اليه بنت له وهو في سفر فاسترجع قال عورة سترها الله ومؤنة كفاها الله واجر ساقه الله ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال صنعنا ما امرنا الله به واستعينوا بالصبر والصلوة واصل الصبر هو الحبس يقال قتل فلان صبرا اذا حبس حيا حتى مات • وقيل الصبر هو الصوم ويسمى شهر رمضان شهر الصبر وسمي الصوم صبرا لان صاحبه يحبس نفسه عن الطعام والشراب قوله عز وجل وانها لكبيرة الا على الخاشعين يحتمل ان ها كناية عن الصلوة لانها اشرف الطاعات ويحتمل ان يكون عن الاستعانة ويحتمل ان يكون المراد بها الصبر والصلوة جميعا كما قال الله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه فاكتفى بذكر احدهما دلالة على الاخر ونظير القول الاول قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها رد الكناية الى الفضة لانها اغلب واعم وقال تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها رد الكناية الى التجارة لانها الاهم وافضل • وقال الاخفش رد الكناية الى كل واحدة منهما اراد كل خصلة منهما لكبيرة كقوله تعالى كلتا الجنتين اتت اكلها يعني كل واحدة منهما وقال تعالى وجعلنا ابن مريم وامه اية ولم يقل ايتين اراد جعلنا كل واحد منهما اية قوله تعالى وانها لكبيرة اي ثقيلة شديدة الا على الخاشعين اي المؤمنين • وقيل الا على العابدين المطيعين • وقيل الخايفين • وقيل المتواضعين • وقال الزجاج الخاشع الذي يرى اثر الذل والخشوع عليه • وقيل الخشع اذا دمي بصره الى الارض واخشع اذا طاطا راسه للسجود والخشوع والخضوع نظيران الا ان الخضوع يكون بالبدن والخشوع بالبصر والصوت والقلب كما قال تعالى خاشعة ابصارهم وخشعت الاصوات ان يخشع قلوبهم قوله عز وجل الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي الذين يعلمون ويستيقنون لانهم لو كانوا شاكين لكانوا كافرين • ومثله اني ظننت اني ملاق حسابيه اي ايقنت قوله تعالى وانهم اليه راجعون فيجزيهم باعمالهم قوله عز وجل يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين اي عالمي زمانكم قوله تعالى واتقوا يوما معناه واخشوا يوما اي عذاب يوم لا تجزي نفس عن

وامه

نفس شيئا

نفس شيئا اي لا تكفي ولا تغني وفيه اضمار تقديره واتقوا يوما لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئا من الشدايد والمكاره وقيل معناه لا تغني نفس مومنة ولا كافرة عن نفس كافرة شيا وقوله تعالى ولا تقبل منها شفاعة لانها كافرة وكانت اليهود تزعم ان اباءهم الانبيا كابراهيم واسحق ويعقوب يشفعون لهم فايسهم الله عن ذلك بهذه الاية • وقرا اهل مكة والبصرة تقبل بالتاء لتانيث الشفاعة وقرا الباقون باليا لتقديم الفعل ولان تانيثه غير حقيقي وقرا قتادة لا يقبل منها شفاعة بيا مفتوحة ونصب الشفاعة اي لا يقبل الله قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل اي فداء كما كانوا ياخذون في الدنيا وسمي الفداء عدلا لانه يساوي المفدي ويماثله قال الله تعالى او عدل ذلك صياما والفرق بين العدل والعدل بكسر العين مثل الشيء من جنسه وبفتحها بدله قد يكون من جنسه او من غير جنسه مثل قوله طعام مسكين او عدل ذلك صياما وقوله ولا هم ينصرون اي لا يمنعون من عذاب الله قوله عز وجل واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يعني نجينا اسلافكم وانما عدها منة عليهم لانهم نجوا بنجاتهم • وقرا ابراهيم النخعي نجيتكم على التوحيد وآل فرعون اشياعه واتباعه واسرته وعترته واهل دينه وفرعون هو الوليد بن مصعب وكان من العماليق جمع عملاق وهي قبيلة وقوله عز وجل يسومونكم سوء العذاب اي يكلفونكم ويذيقونكم اشد العذاب واسواه وذلك ان فرعون جعل بني اسرائيل خدما وخولا فصنف يبنون وصنف يحرثون ويزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن منهم في عمل من هذه الاعمال فعليه الجزية فذلك سوء العذاب • وقيل انهم كلفوا الاعمال القذرة وقيل تفسيره ما بعده يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وقرا ابن محيصن يذبحون بالتخفيف ومن قرا بالتشديد فعلى التكثير وذلك ان فرعون راى في منامه نارا اقبلت من بيت المقدس فاحرقت مصر واحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فسال الكهنة فقالوا يولد في بني اسرائيل غلام يكون هلاكك على يديه فامر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل وترك كل انثى ففعلوا ذلك واسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فقال القبط لفرعون ان الموت وقع في مشيخة بني اسرائيل وانت تذبح صغارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها فترك وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها قوله ويستحيون نساءكم اي يتركوهن احياء فلا يذبحونهن بل يستخدمونهن • وقيل معناه

يستحيون من الحيا الذي هو الرحم فان القوم كانوا ينظرون الفروج نساء بني اسرائيل ليعلموا هل هن حبالى ام لا
وقوله **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم** يعني في سومهم اياكم سوء العذاب محنة وفتنة عظيمة وقيل معناه وفي انجاى
اياكم منهم نعمة عظيمة والبلاء ينصرف على وجهين النعمة والمحنة قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقوله
عز وجل **واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم** وذلك انه لما دنا هلاك فرعون امر الله موسى ان يسري ببني اسرائيل
من مصر فامر موسى قومه ان يسرجوا في بيوتهم الى الصبح والقى الله على القبط الموت فاشتغلوا بدفنهم وخرج
موسى في ستمائة الف وعشرين الفا سوى الذرية وكان موسى على ساقتهم وهارون على مقدمتهم فخرج فرعون
في طلبهم وعلى مقدمته هامان في الف الف وسبعمائة الف وسابقوا اسرائيل حتى وصلوا البحر والما في غاية الزيادة
ونظروا فاذا هم بفرعون وقومه وذلك حين اشرقت الشمس فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى كيف نصنع وما الحيلة
وفرعون خلفنا والبحر امامنا فقال موسى كلا ان معي ربي سيهدين فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه
فلم نطعه فاوحى الله اليه ان كنه فضربه بعصاه وقال انفلق ابا خالد باذن الله عز وجل فانفلق فكان كل
فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وارسل الله الريح والشمس على قعر البحر فصار
يبسا فخاضت بنو اسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن جانبيه الما كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضا فخافوا
وقال كل سبط قد قتل اخواننا فاوحى الله الى جبال الما ان تشبكي فصار الما شبكات يرى بعضهم بعضا ويسمع
بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر اي فلقناه وصيرنا الما يمينا وشمالا
وقوله فانجيناكم اي من الغرق ومن آل فرعون وقوله **واغرقنا آل فرعون** وذلك ان فرعون لما وصل الى البحر و
راه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر انفلق لهيبتي حتى ادرك اعداى وعبيدي الذين ابقوا فاقتلهم ادخلوا
البحر فهاب قومه ان يدخلوه ولم يكن في خيل فرعون انثى فجا جبريل على فرس انثى وديق فتقدمهم فخاض البحر
فلما شمت خيول فرعون ريحها اقتحمت البحر في اثرها حتى خاضوا كلهم البحر وجا ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم
ويقول لهم الحقوا باصحابكم حتى اذا خرج جبريل من البحر وهم اولهم ان يخرج امر الله البحر ان ياخذهم
فالتطم عليهم فغرقوا جميعا وذلك بمرأى من بني اسرائيل فذلك قوله تعالى واغرقنا آل فرعون **وانتم تنظرون** الى
مصارعهم قوله عز وجل **واذ واعدنا موسى اربعين ليلة** وذلك ان بني اسرائيل لما امنوا عدوهم ودخلوا مصر

لم يكن لهم

لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها فوعد الله موسى ان ينزل عليهم التورية فقال موسى لقومه اني ذاهب
لميقات ربي فاتيكم بكتاب فيه بيان ما تاتون وما تذرون وواعدهم ثلثين ليلة من ذي القعدة وعشرا من
ذي الحجة واستخلف عليهم اخاه هارون فلما اتى الوعد جا جبريل عليه السلام على فرس يقال له فرس الحيوة
لا تصيب شيا الا حي به فلما راى السامري جبريل عليه السلام على ذلك الفرس قال ان لهذا شانا وكان رجلا
منافقا قد اظهر الاسلام فاخذ قبضة من تربة حافر فرس جبريل وكان بنو اسرائيل قد استعاروا حليا كثيرا
من قوم فرعون حين ارادوا الخروج من مصر بعلة عرس فاهلك الله قوم فرعون وبقيت تلك الحلي في ايدي بني
اسرائيل فلما لم يرجع موسى قال السامري لبني اسرائيل ان الامتعة والحلي التي استعرتموها من قوم فرعون غنيمة
لا تحل لكم فاحفروا حفيرة فادفنوها فيها حتى يرجع موسى ففعلوا ذلك فلما اجتمعت الحلي صاغها السامري
وكان رجلا صايغا وجعل عليها القبضة التي اخذها من اثر حافر فرس جبريل فخرج عجلا من ذهب فخار
فذلك قوله تعالى عجلا جسدا له خوار فعبدوه من دون الله • قال السدي كان يخور والسامري يقول
هذا الهكم واله موسى فنسيه اي تركه هاهنا وخرج يطلبه فلما راوا العجل وسمعوا قول السامري افتتن
بالعجل ثمانية الاف منهم فعبدوه من دون الله • وقال بعضهم معنى الاية واذكروا اذ اخبر الله موسى ان يوتيه
الالواح فيها التورية على راس ثلثين يوما من ذي القعدة وامره ان يصومها فصامها فوجد من فيه خلوفا
اي تغير رايحه فاستاك فامره الله ان يصوم عشرة اخرى من اول ذي الحجه كما قال تعالى في موضع آخر
واتممناها بعشر فقال السامري في الايام العشرة لبني اسرائيل قد تمت الثلثون ولم يرجع موسى وانكم قد استعرتم
من نساء الفرعون حليهم حين سار بكم من مصر فلما لم تردوا عليهن حليهن لم يرد الله علينا موسى فهاتوا ما معكم
من الحلي حتى نحرقه فلعل الله ان يرد علينا موسى فجمعوا الحلي وكان السامري صايغا فاتخذ من ذلك عجلا
فصار العجل جسدا له خوار فعبدوه فذلك قوله تعالى **ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون** قال ابن
عباس فصار عجلا له لحم ودم وشعر وقيل جعل فيه خروقا فكانت الريح تقع في تلك الخروق فيسمع منها
مثل الخوار فاوهمهم ان ذلك الصوت خواره وقوله تعالى من بعده وانتم ظالمون من بعد انطلاق موسى الى
الجبل وانتم ظالمون اي ضارون لانفسكم بالمعصية وواضعون العبادة في غير موضعها وفي قوله وعدنا

خلاف بين القرا فقرا ابو عمرو ويعقوب وعدنا بغير الف في جميع القرآن وقرا الباقون بالالف وهي قراة ابن مسعود فمن
قرا بغير الف قال لان الله تعالى هو المنفرد بالوعد والقران ينطق به كقوله وعد الله وان الله وعدكم وعد الحق
ونحوها ومن قرا بالالف فقال قد تجي المفاعلة من واحد كقولهم عاقبت اللص وعافاك الله وطارقت النعل
وسافرونا فقي قال اهل اللغة الوعد في الخير والوعيد في الشر قال الشاعر • واني اذا اوعدته او وعدته • •
لمخلف ايعادي ومنجز موعدي • والعجل والعجول ولد البقرة • وانما قرن التاريخ بالليل دون النهار لان العرب
وضعت التاريخ على سنين القمر وانما يهل بالليل وقيل لان الظلمة اقدم من الضوء والليل خلق قبل النهار
قال الله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار قوله تعالى ثم عفونا عنكم من بعد ذلك اي تركناكم فلم
نستا صلكم من قوله عليه السلام اعفوا اللحا وقيل محونا ذنوبكم من قول العرب عفت الريح المنزل فعفا وقوله
عز وجل من بعد ذلك اي من بعد عبادتكم العجل وقوله تعالى لعلكم تشكرون اي لكي تشكروا عفوي عنكم و
صنيعي اليكم • واختلف العلما في ماهية الشكر فقال ابن عباس هو الطاعة بجميع الجوارح لرب الخلايق في
السر والعلانية • وقال الحسن شكر النعمة ذكرها • وقال الفضيل شكر كل نعمة ان لا يعصى الله تعالى بعدها •
وقال ابو بكر الوراق حقيقة الشكر معرفة المنعم وان لا تعرف لنفسك في النعمة حقا بل تراها من الله عز وجل
قال الله وما بكم من نعمة فمن الله ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم قال موسى يا رب كيف استطاع
ادم ان يودي شكر ما اجريت عليه من نعمك خلقته بيدك وسجدت له ملايكتك واسكنته جنتك
فاوحى الله اليه ان ادم علم ان ذلك كله مني ومن عندي فذلك شكره • وقال الجنيد حقيقة الشكر العجز
عن الشكر وقال بعضهم الشكر ان لا ترى النعمة البته بل ترى المنعم • وقال ابو عثمان الحيري صدق الشكر
ان لا يمدح بلسانك غير المنعم • وروي عن الشبلي انه قال الشكر التواضع تحت روية المنه • وقيل
الشكر خمسة اشيا مجانبة السيات والمحافظة على الحسنات ومخالفة الشهوات وبذل الطاعات
ومراقبة رب السموات • وسيل ابو الحسن علي بن عبد الرحيم من اشكر الشاكرين فقال الطاهر من الذنوب يعد
نفسه من المذنبين والمجتهد بعد اداء الفرايض يعد نفسه من المقصرين والراضي من الدنيا بالقليل يعد نفسه
من الراغبين والقاطع بذكر الله دهره يعد نفسه من الغافلين فهذا اشكر الشاكرين قوله عز وجل واذ

آتينا

آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون قال مجاهد والفرا هما شيء واحد يعني التورية وما يفرق به
بين الحق والباطل وقد سمى الله تعالى التورية فرقانا في موضع آخر وهو قوله تعالى ولقد اتينا موسى و
هارون الفرقان وضياء وسمى الله نصرة المومنين يوم بدر على الكفار فرقانا كما قال وما انزلنا على عبدنا
يوم الفرقان اراد به يوم بدر • وانما عطف الشي على نفسه وكرر لان العرب تكرر الشي اذا اختلفت الفاظه
قال عنترة • حييت من طلل تقادم عهده • اقوى واقفر بعد ام الهيثم • وقال الكسائي الفرقان نعت الكتاب
يريد واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان فرق بين الحلال والحرام والكفر والايمان والوعد والوعيد
فزيدت الواو فيه كما تزاد في النعوت من قولهم فلان حسن وطويل ودليل هذا التاويل قوله تعالى ثم اتينا
موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شي • وقال قطرب اراد بالفرقان القران وفي الاية
اضمار ومعناه واذ اتينا موسى الكتاب ومحمدا الفرقان قوله تعالى لعلكم تهتدون اي بهذين الكتابين
وقال بعضهم اراد بالفرقان انفلاق البحر وهو من عظيم الايات يدل عليه قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر
قوله تعالى واذ قال موسى لقومه يعني الذين عبدوا العجل يا قوم انكم ظلمتم انفسكم اي اضررتم انفسكم
باتخاذكم العجل الها قالوا فاي شي نصنع وما الحيلة فقال فتوبوا الى باريكم اي فارجعوا الى خالقكم
وكان ابو عمرو يختلس الهمزة الى الجزم في قوله باريكم ويامركم ويشعركم وينصركم طلبا للخفة وقوله تعالى
فاقتلوا انفسكم اي ليقتل البري المجرم وقوله تعالى ذلكم خير لكم عند باريكم يعني القتل قال ابن عباس ابا الله
عز وجل ان يقبل توبة بني اسرائيل الا بالحال الذي كرهوا ان يقاتلوهم حين عبدوا العجل • وقال قتادة جعل
الله توبتهم القتل لانهم ارتدوا والكفر يبيح الدم وقرا قتادة فاقيلوا انفسكم من الاقالة اي استقبلوا
العثرة بالتوبة فلما امرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله تعالى فجلسوا بالافنية محتبين واظلت عليهم
القوم الخناجر فكان الرجل يرى ابنه واخاه واباه وقريبه وصديقه فلا يمكنهم الا المضي لامر الله وقيل لهم
من حل حبوته او مد طرفه الى قاتله او اتقا بيد او رجل فهو ملعون مردود توبته فكانوا يقتلونهم
الى المسا فلما كثر فيهم القتل دعا موسى وهرون وبكيا وتضرعا وقالا يا رب هلكت بنو اسرايل البقيه البقيه
فامرهم الله تعالى ان يرفع السلاح عنهم ويكفوا عن القتل وقد قتل منهم الوف كثيرة فاشتد ذلك

قابل صح

على موسى فاوحى الله اليه اما يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي منهم
كفر عنه ذنوبه وذلك قوله تعالى فتاب عليكم اى ففعلتم ما امركم به فتاب عليكم اى فتجاوز عنكم انه هو
التواب الرحيم وفى بعض التفاسير ان موسى عليه السلام قال لهم بعدما رجع من الجبل واعطاه الله التورية
انكم ظلمتم انفسكم بعبادتكم العجل فتوبوا الى باريكم فاقتلوا انفسكم اى ليقتل الذين لم يعبدوا العجل الذين
عبدوه فقالوا يا موسى نحن نفعل ذلك فاخذ عليهم المواثيق ليصبرن على القتل فاصبحوا بافنية البيوت
كل بنى اب على حدة فاتاهم هرون والاثنى عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل بالسيوف فقال لهم هرون
هؤلاء اخوانكم قد اتوكم شاهرين السيوف فاتقوا الله واصبروا فلعن الله رجلا حل حبوته او قام
من مجلسه او مد طرفه اليهم او اتقاهم بيده او رجله فقالوا امين فجعلوا يقتلونهم الى المسا وقام
موسى يدعو ربه لما شق عليه من كثرة الدماء فنزلت التوبة وقيل له ارفع السيف فانى قد قبلت
توبتهم جميعا من قتل منهم ومن لم يقتل وجعلت ذلك القتل لهم شهادة وغفرت لمن بقى منهم فكان
القتلى سبعين الفا والقاتلون اثنا عشر الفا • وكان السبب فى امتحانهم بذلك انه كان فيهم من عرف
بطلان عبادة العجل الا انهم لم ينهوا الاخرين لخشية وقوع القتال فيما بينهم فابتلاهم الله بما تركوا النهى
عن المنكر لاجله قوله عز وجل واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وذلك ان الله عز وجل
امر موسى ان ياتيه فى ناس من بنى اسرائيل فاختار موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم وقال لهم صوموا
وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا ذلك فخرج بهم موسى الى طور سينا لميقات ربه فلما بلغوا هنالك
امرهم موسى بالمكث فى اسفل الجبل وصعد هو فقالوا لموسى اطلب لنا نسمع كلام الله فوقع على الجبل
غمام ابيض فغشاه كله وكان موسى عليه السلام اذا كان يناجى ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع
احد من بنى ادم ان ينظر اليه فضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتى دخلوا فى الغمام وخروا سجدا فسمعوه
وهو يكلم موسى يامره وينهاه فاسمعهم الله تعالى انى انا الله لا اله الا انا اخرجتكم من مصر فاعبدونى
ولا تعبدوا غيرى • فلما فرغ موسى وانكشف الغمام واقبل اليهم قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة اى
لا نصدق حتى نرى الله عيانا وعلانية فاخذتهم الصاعقة اى نزلت نار من السما فاحرقتهم جميعا وقيل

سمعوا

سمعوا اصواتا فماتوا يقال صعق فلان اى هلك • وقرا عمر وعثمان وعلى الصعقة بغير الف • وقرا ابن عباس
جهرة بفتح الها وهما لغتان فلبثوا موتى يوما وليلة قوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون
وذلك انهم لما هلكوا جعل موسى يبكى ويتضرع ويقول يا رب ماذا اقول لبنى اسرائيل اذا اتيتهم وقد اهلكت
خيارهم لو شئت اهلكتهم من قبل واياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشد ربه حتى احياهم الله
عز وجل جميعا رجلا بعد رجل ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون • فان قيل كيف يقبل الله التوبة بعد
الموت • قيل البعث فى دار الدنيا كالانتباه من النوم لان الله ردهم الى التكليف فى الدنيا واحياهم ليستوفوا
بقية اجالهم وارزاقهم قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام اى فى التيه تقيكم حر الشمس وذلك انهم
كانوا فى التيه ولم يكن لهم كن يسترهم فشكوا ذلك الى موسى فانزل الله عليهم غماما ابيض اى سحابا رقيقا
ليس بغمام المطر لكن ارق واطيب منه فاظلهم وكان يدلى لهم بالليل عمود من السماء من نور فيسير معهم بالليل
حيث ساروا مكان القمر فقالوا هذا الظل قد حصل فاين الطعام فانزل الله عليهم المن قال مجاهد هو
شىء كالصمغ كان يقع على الاشجار وطعمه كالشهد وقال الضحاك هو الترنجبين وقال وهب هو الخبز الرقاق
وقال السدى عسل كان يقع على الشجر بالليل وكان ينزل عليهم هذا المن كل ليلة يقع على اشجارهم مثل
الثلج لكل انسان منهم صاع كل ليلة فان اخذ اكثر من ذلك دود وفسد ويوم الجمعة ياخذ صاعين لانه
كان لم ياتهم يوم السبت وقيل هو شىء حلو كان يسقط على الشجر كالشهد المعجون بالسمن وكان ياخذ كل واحد
منهم كل غداة صاعا يكفيه يومه وليلته فان اخذ اكثر من ذلك فسد عليه فقالوا يا موسى قتلنا هذا
المن بحلاوته فادع لنا ربك يطعمنا لحما فدعا فانزل الله عليهم السلوى وهو طاير يشبه السمانى
فى عرض ميل وقدر طول رمح فى السما بعضه على بعض • وقال المورخ السلوى هو العسل بلغة كنانة فاخذ
كل واحد منهم منه ما يكفيه يوما وليلة ويوم الجمعة ياخذ ما يكفيه يومين قوله تعالى كلوا من طيبات
ما رزقناكم اى وقلنا لهم كلوا من حلال ما رزقناكم ولا تدخروا لغد فادخروا لغد فقطع الله عنهم ذلك
ودود وفسد ما ادخروا • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنوا اسرائيل لم يخبث الطعام ولم
يخنز اللحم ولولا حوى لم تخن انثى زوجها قوله تعالى وما ظلمونا اى ما ضرونا بالمعصية ولكن كانوا انفسهم

كذا قال ابن عباس واكثر المفسرين بعث الله تعالى له مطر السما فى صح

يظلمون اى يضرون باستيجابهم عذابى وقطع مادة الرزق الذى كان ينزل عليهم بلا كلفة ولا مشقة
فى الدنيا ولا حساب ولا تبعه فى العقبى وهذا كله فى التيه قوله عز وجل واذ قلنا ادخلوا هذه القرية
اى قلنا لبنى اسرائيل بعد انقضا التيه على لسان يوشع بعد موت موسى وهرون ادخلوا مدينه اريحا يقرب
بيت المقدس وهى قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقه • قال الضحاك هذه القرية يعنى
الرملة والاردن وفلسطين • وقال مجاهد بيت المقدس وقال مقاتل ايليا قوله تعالى فكلوا منها حيث شئتم
رغدا اى واسعا بلا حساب وقوله وادخلوا الباب سجدا يعنى بابا من ابواب القرية وكان لها سبعة ابواب
وقيل باب مسجد بيت المقدس سجدا اى ركعا منحنين متواضعين وقوله حطة اى قولوا مسالتنا حطة
وقال ابن عباس امروا بالاستغفار وقيل امروا ان يقولوا لا اله الا الله وقيل قولوا انما قيل لنا حق • وقال
قتادة وحط عنا خطايانا • وعن ابن عباس ايضا قال معناه قولوا لا اله الا الله لانها تحط الذنوب وما كان
يحط الذنوب يصح ان يرحم عنه بحطه وذلك انهم كانوا قد اذنبوا باباءهم دخول اريحا فلما فصلوا عن
التيه احب الله ان يستنقذهم من الخطيئة وحطه رفع على الحكاية فى قول ابى عبيدة • وقال الزجاج تقدير
مسالتنا حطه ومن قرا حطة بالنصب فمعناه حط عنا ذنوبنا حطة وقوله تعالى نغفر لكم خطاياكم قراه
اهل المدينه بياء مضمومة واهل الشام بتاء مضمومة والباقون بنون مفتوحة وسنزيد المحسنين احسانا
وثوابا قوله عز وجل فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم اى خالفوا فقالوا حطه سمقانا اى حنطة حمرا
بلغتهم قالوا هذا القول منهم استهزاء وتبديلهم مكان القول الذى امروا به ان يقولوا حطة • وقال الحسن
امروا ان يقولوا حطة فقالوا حنطة وامروا ان يدخلوا الباب ركعا فدخلوا زحفا على استاههم وقيل
متحرفين قال مجاهد طوطى لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوا ولم يركعوا ودخلوا زحفا وانتصب قولا
على المصدر اى وقالوا قولا غير الذى قيل لهم وقوله تعالى فانزلنا على الذين ظلموا رجزا اى عذابا من السماء
ارسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم فى ساعة واحدة سبعون الفا فجاة وقيل نزلت بهم نار فاحرقتهم
لتبديلهم ما امروا به وقوله تعالى بما كانوا يفسقون اى يعصون ويخالفون امر الله قوله عز وجل واذ استسقى
موسى لقومه اى سال لهم السقيا وذلك انهم عطشوا فى التيه فقالوا يا موسى من اين لنا الشراب وكان قولهم له حال

نزولهم فى الارض القفر بعد غرق فرعون فاستسقالهم موسى فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك الحجر وكان عصاه
من اس الجنة طوله عشرة اذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان فى الظلمة نورا وكان ادم حمله معه من
الجنة الى الارض فتوارثه الانبياء صاغرا عن كابر حتى وصل الى شعيب فاعطاه موسى • واما الحجر الذى امر موسى
بضربه فقد اختلف فيه المفسرون • قال وهب بن منبه كان موسى يضرب لهم اقرب حجر من عرض الحجارة فيتفجر عيونا لكل
سبط عين وكانوا اثنى عشر سبطا ثم تسيل كل عين فى جدول الى السبط الذى امر ان يسقيهم ثم انهم قالوا ان
فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه يا موسى لا تقرعن الحجارة ولكن كلمها تطعك لعلهم يعتبرون
فقالوا كيف بنا اذا افضينا الى الارض التى ليست فيها حجارة فحمل موسى معه حجرا فحيث ما نزلوا القاه • وقال
اخرون كان حجرا مخصوصا بعينه والدليل على ذلك دخال الالف واللام عليه وذلك للتعريف • ثم
اختلفوا فيه ما هو قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا مثل راس الرجل يحمله معه فاذا احتاجوا الى
الماء وضعه وضربه بعصاه • وروى انه كان رخاما وقيل كان حجرا فيه اثنا عشر حفرة ينبع من كل حفرة
عين ماء عذب فرات فاذا اخذوا حاجتهم من الماء واراد موسى حمله ضربه بعصاه فغار الماء وانقطع •
وكان يسقى كل يوم ستمائة الف • وقال سعيد بن جبير هو الذى وضع موسى عليه ثوبه ليغتسل حين رموه
بالادرة ففر الحجر بثوبه ومر به على ملاء من بنى اسرائيل حتى علموا انه ليس بادر • فلما وقف الحجر اتاه جبريل
عليه السلام فقال يا موسى ان الله عز وجل يقول لك ارفع هذا الحجر فلى فيه قدرة ولك فيه معجزة •
وقد ذكر الله تعالى ذلك فى قوله لا تكونوا كالذين موسى فبراه الله مما قالوا فحمله موسى ووضعه فى
مخلاته وكان اذا احتاج الى الماء ضربه بعصاه • وقصة ذلك الحجر ما روى عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال كان بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوءة بعض وكان موسى يغتسل
وحده فقالوا ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه ادر فذهب يغتسل مرة فوضع ثوبه على حجر ففر
الحجر بثوبه فجمح موسى فى اثره يقول ثوبى يا حجر ثوبى يا حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوءة موسى فقالوا والله
ما بموسى من باس فقام بعد ما نظر بنو اسرائيل اليه فاخذ موسى ثوبه فطفق بالحجر ضربا قيل ضربه موسى
اثنى عشر ضربة وكان يظهر على كل ضربة مثل ثدى المراة ثم يتفجر بالانهار المطردة فذلك قوله تعالى

آذوا صح

فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وفي الاية اضمار واختصار تقديره فقلنا اضرب بعصاك الحجر فضرب فانفجرت
اي سالت واصل الانفجار الانشقاق والانتشار ومنه فجر النهار لانه ينشق من الظلام • واما قوله في موضع
اخر فانبجست فالانبجاس اول ما يتفاطر من الما وينشق والانفجار حين السيلان وكان الانبجاس في اول القصة
والانفجار في اخرها والانبجاس اقل من الانفجار • وقال بعضهم هو حجر امر الله موسى ان ياخذ من اسفل البحر
حين مر فيه مع قومه • وقيل انه من الجنة وقوله تعالى قد علم كل اناس مشربهم اي موضع مشربهم
ويكون بمعنى المصدر مثل المدخل والمخرج والمطلع وكان كل سبط يشربون من عين لا يخالطهم فيها غيرهم
للعصبية التي كانت بينهم قوله تعالى كلوا واشربوا من رزق الله اي فقلنا كلوا من المن والسلوى واشربوا من
الماء فهذا كله من رزق الله الذي ياتيكم بلا مشقة ولا مؤنة ولا تبعة قوله تعالى ولا تعثوا في الارض
مفسدين العيث والعثو اشد الفساد وانما جمع بين العيث والفساد وان كان معناهما واحدا تاكيدا كما
يقال كذب ومين وزور وظلم وجور اي قيل لهم كلوا واشربوا ولا تسرعوا الى الفساد في الارض عابثين والدليل
على ان العيث هو الفساد قال الشاعر • لولا الحياء وان راسي قد عثا • فيه المشيب لزرت ام القسم • قوله عز
وجل واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد وذلك انهم وجدوا المن والسلوى وملوهما • قال الحسن
كانوا اناسا اهل كراث وابصال واعداس فنزعوا الى عكرهم عكر السوء واشتاقت طبايعهم الى ما جرت
عليه عاداتهم فقالوا لن نصبر على طعام واحد يعنون المن والسلوى وانما قال طعام واحد وهما اثنان
لان العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد وعن الواحد بلفظ الاثنين كقوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان
وانما يخرج من الملح دون العذب • وقال عبد الرحمن بن زيد كانوا يعجنون المن والسلوى فيصير طعاما واحدا
فياكلونه قوله تعالى فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثايها قرا يحيى بن وثاب وطلحة
بن مصرف وقثايها بضم القاف وهي لغة تميم قوله تعالى وفومها قال ابن عباس الفوم الخبز يقول العرب فوموا لنا
اي اختبزوا لنا ويقال لساير الحبوب التي تختبز الفوم يقول الرجل لجاريته فومي اي اختبزي • وقال عطا هو الحنطة
وهي لغة قديمة • وقال الكلبي هو الثوم قال حسان • وانتم اناس لئام الاصول • طعامكم الفوم والحوقل
يريد الثوم والبصل والعرب تعاقب بين الفا والثا فتقول للقبر جدث وجدف ودليل هذا التاويل انها في

مصحف

مصحف عبد الله وثومها بالثاء قوله تعالى وعدسها وبصلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم
بالعدس فانه مبارك مقدس وانه يرق القلب ويكثر الدمعة وانه بارك في سبعون نبيا اخرهم عيسى عليه
السلام فقال لهم موسى اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وفي مصحف ابي اتبدلون الذي هو ادنى اي
اخس واردى بالذي هو خير يعني المن والسلوى وقوله تعالى اهبطوا مصرا معناه ان ابيتم الا ذلك
فاهبطوا مصرا من الامصار ولو اراد مصر بعينها لم يصرفه كقوله تعالى ادخلوا مصر ان شاء الله امنين •
وقال الضحاك هي مصر موسى وفرعون ودليل هذا القول قراة الحسن وطلحة مصر بغير تنوين جعلوها معرفة
فاجتمع فيها التعريف والتانيث من حيث اراد البقعة فلم ينصرف قوله تعالى وضربت عليهم الذلة اي الذل
والهوان بالجزية وقوله تعالى والمسكنة اي زي الفقر فتراهم كانهم فقرا وان كانوا مياسير وقيل فقر القلب
فلا يرى في اهل الملل اذل ولا احرص على المال من اليهود قوله تعالى وباءوا بغضب من الله اي رجعوا وقيل
استحقوا والباء صلة وقيل احتملوا واقروا به • ومنه الدعاء الماثور ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي و
غضب الله عليهم ذمه اياهم وتوعده لهم في الدنيا وانزال العقوبة بهم في العقبى قوله تعالى ذلك
بانهم اي ذلك الغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله اي بصفة محمد واية الرجم في التورية والانجيل
والفرقان قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق قرا السلمي ويقتّلون بالتشديد والنبيين في جميع القران
بالتشديد من غير همز وتفرد نافع بهمز النبيين فمن همز فمعناه المخبر من قول العرب انبا ينبي انباء ومن حذف الهمزة
فانه اراده لكن حذفه طلبا للخفة لكثرة استعمالها وقيل لانه بمعنى الرفيع ماخوذ من النبوة وهي المكان
المرتفع يقال نبا الشي بغير همز اذا ارتفع وقوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق اي بلا جرم مثل زكريا
ويحيى وساير من قتل اليهود من الانبياء • وفي الخبر ان اليهود قتلوا سبعين نبيا في اول النهار وقامت سوق
بقلهم في اخر النهار وقيل قتلوا في يوم واحد ثلثماية نبي قوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
اي يتجاوزون امري ويرتكبون محارمي قوله عز وجل ان الذين امنوا والذين هادوا اي ان الذين امنوا
بموسى والتورية ثم لم يتهودوا والذين امنوا بعيسى ولم يتسموا بالنصرانية والذين تهودوا وتنصروا وتصابوا
من امن منهم بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

اختلف العلما فى تسمية الذين هادوا بهذا الاسم فقال بعضهم سموا بذلك لانهم هادوا اى تابوا من عبادة العجل كقوله تعالى اخبارا عنهم انا هدنا اليك اى تبنا • وقال بعضهم لانهم هادوا اى مالوا عن الاسلام وعن دين موسى عليه السلام يقال هاد يهود هودا اذا مال • واختلفوا ايضا فى تسمية النصارى بذلك قال مقاتل لان اصلهم من قرية يقال لها ناصره كان ينزلها عيسى وامه فنسبوا اليها • قال الزهرى سموا بذلك لان الحواريين قالوا نحن انصار الله والصابئين قرا اهل المدينة بترك الهمزة وقرا الباقون بالهمزة وهو الاصل يقال صبا يصبو صبوا اذا مال وخرج من دين الى دين • واختلفوا فى الصابئين منهم فقال عمر هم طايفة من اهل الكتاب ذبايحهم ذبايح اهل الكتاب وبه قال السدى • وقال ابن عباس لا دين لهم ولا تحل ذبايحهم ولا مناكحة نسائهم • وقال مجاهد هم قبيلة نحو الشام بين اليهود والمجوس لا دين لهم وكان لا يراهم من اهل الكتاب • وقال مقاتل وقتادة هم يقرون بالله ويعبدون الملئكة ويقرون الزبور ويصلون الى الكعبة اخذوا من كل دين شيا • وقال الكلبى هم قوم بين اليهود والنصارى يحلقون اوساط روسهم ويجبون مذاكيرهم • وقال عبد العزيز بن يحيى قد انقرضوا فلا عين ولا اثر قوله تعالى ان الذين امنوا اى على التحقيق وعقد التصديق وهم الذين امنوا بعيسى ثم لم يتهودوا ولم يتنصروا ولم يتصابوا وانتظروا خروج محمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وقيل هم طلاب الدين منهم حبيب النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وابو ذر الغفارى وسلمان الفارسى وبحيرا الراهب امنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فمنهم من ادركه وتابعه ومنهم من لم يدركه وقيل هم مومنوا الامم الماضية وقيل هم المومنون من هذه الامة • قوله والذين هادوا اى الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا ولم يغيروا • والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يبدلوا وماتوا على ذلك • والصابئين من امن بالله واليوم الاخر اى من مات منهم وهو مومن وقوله تعالى وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم انما ذكر بلفظ الجمع لان لفظة من تصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمونث قال الله تعالى ومنهم من يستمع اليك ومن يقنت منكن • قال الفرزدق فى التثنيه • شعر • فان عاهدتنى لا تخوننى • تكن مثل من يا ذيب يصطحبان • فان قيل ما معنى اعطا اجر المومن وهو عامل لنفسه • قيل لما حمل على نفسه

المشقه وحرمها شهواتها فاجره فى الاخرة عوض عما فاته من اللذات فى الدنيا وقوله تعالى فلا خوف عليهم فيما تواطوا من الاجرام ولا هم يحزنون على ما اقترفوا من الاثام لما سبق لهم فى الاسلام وقيل لا خوف عليهم فى الكباير فانى اغفرها ولا هم يحزنون على الصغاير فانى اكفرها قوله عز وجل واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور اى واذا اخذنا ميثاقكم يا معشر اليهود ورفعنا فوقكم الطور وهو الجبل بالسريانيه فى قول بعضهم وقالوا ليس من لغة فى الدنيا الا وهى فى القران • وقال الحذاق من العلما لا يجوز ان يكون فى القران لغة غير لغة العرب لان الله تعالى قال قرانا عربيا • وقال بلسان عربى وانما قال هذا واشباهه وفاق وقع بين اللغتين وقد وجدنا الطور فى كلام العرب قال جرير • فان توسل الجن يستانسوا بها • وان يسلما صاحب الطور ينزل • والماخوذ عليهم ميثاقان الاول حين اخرجهم من صلب ادم كالذر والثانى الذى اخذ عليهم فى التورية وساير الكتب والمراد فى هذه الاية الثانى وذلك ان الله تعالى انزل التورية فامر موسى قومه بالعمل باحكامها فابوا ان يقبلوا ويعملوا بها للاصار والاثقال التى كانت فيها وكانت شريعة ثقيلة فامر الله جبريل فقطع جبلا على قدر عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ فرفعه فوق روسهم مقدار قامة الرجل • وعن ابن عباس امر الله جبلا من جبال فلسطين فانقطع من اصله حتى قام على روسهم مثل الظله • وقال عطا رفع الله فوق روسهم الطور وبعث نارا من قبل وجوههم واتاهم البحر الملح من خلفهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم بقوة اى قبلوا ما اتيناكم بجد ومواظبة فى طاعة الله وفى اضمار اى وقلنا لهم خذوا وقوله تعالى واذكروا ما فيه اى احفظوه واعملوا بما فيه وقيل معناه واذكروا ما فيه من الثواب والعقاب وفى حرف ابى بكر واذكروا بدال مشددة وكسر الكاف • وفى حرف عبد الله وتذكروا ما فيه ومعناها اتعظوا به وقوله تعالى لعلكم تتقون اى لكى تنجوا من الهلاك فى الدنيا والعذاب فى العقبى فان قبلتموه وفعلتم ما امرتم به والا رضختكم بهذا الجبل واغرقتكم فى البحر واحرقتكم بهذا النار • فلما راوا ان لا مهرب منه قبلوا ذلك وسجدوا خوفا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود مخافة ان يقع عليهم فصارت سنة فى اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم فلما رفع الجبل قالوا يا موسى سمعنا واطعنا ولولا الجبل ما اطعنا قوله عز وجل ثم توليتم من بعد ذلك اى عرضتم وعصيتم من بعد

احذ الميثاق ورفع الجبل فلولا فضل الله عليكم بتاخير العذاب عنكم لكنتم من الخاسرين اى لصرتم من المغبونين
فى العقوبة وذهاب الدنيا والاخرة قوله عز وجل ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت وذلك انهم
كانوا فى زمن داود بارض يقال لها ايله على ساحل البحر بين المدينة والشام وكانت مسكن بنى اسرائيل
وكان قد حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت وكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت فى البحر الا اجتمع
هناك حتى يخرجن خراطيمهن من الما لامنها فى ذلك اليوم فاذا مضى يوم السبت تفرقن ولم يخرجن ولزمن لجة
البحر فذلك قوله تعالى اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم فعمد رجال
فحفروا حفيرة عشية الجمعة حتى يدخل السمك وساقوا اليها الما من البحر فاقبل الموج بالحيتان فحبسوا السمك
فيها يوم السبت واخذوا منها ليلة الاحد وقالوا نحن لا نصطاد يوم السبت وكان فى القرية نحو من
سبعين الفا فصنف منهم امسك عن الاصطياد ونها وصنف امسك ولم ينه وصنف منهم انتهكوا الحرمة
وكان الذين نهوا اثنى عشر الفا فلما ابى المجرمون قبول نصحهم قال الناهون والله لا نساكنكم فى القرية واحدة
فقسموا القرية بجدار ولعنهم داود عليه السلام وغضب الله لاصرارهم على المعصية فخرج
الناهون ذات يوم من بابهم والمجرمون لم يفتحوا بابهم ولا خرج منهم احد • فلما ابطاوا تسوروا عليهم
الحايط فاذا هم جميعا قردة فمكثوا ثلثة ايام ثم هلكوا ولم يكن ممسوخ مسخ فوق ثلثة ايام ولم يتوالدوا
فذلك قوله تعالى فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اى صاغرين مطرودين بلغة كنانة قال مجاهد و
قتادة والربيع • وقال ابو روق يعنى خرسا لا يتكلمون دليله قوله تعالى اخسوا فيها ولا تكلمون • و
قيل مبعدون من كل خير • وروى عن ابن مسعود انهم لم يلدوا بعد ما مسخوا قال وكذلك الممسوخ لا يكون
له نسل وقيل انهم كانوا رجالا ونسا فمسخهم الله تعالى الذكر ذكرا والانثى انثى وكانوا يتعاوون وكانت
تسيل دموعهم ولم ياكلوا ولم يشربوا ثم اهلكهم الله تعالى فجات ريح فهبت بهم والقتهم فى الما وما مسخ
الله تعالى امة الا اهلكها قوله عز وجل فجعلناها نكالا اى القردة وقيل المسخة وقيل العقوبة
وقيل القرية وقوله تعالى نكالا اى عقوبة وعبرة وفضيحة لما بين يديها وما خلفها اى عقوبة لما مضى
من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم وقال قتادة معناه جعلنا تلك العقوبة جزاء لما تقدم من ذنوبهم قبل نهيهم

عن الصيد

عن الصيد وما خلفها من العصيان باخذ الحيتان بعد النهى وقيل لما بين يديها من عقوبة الاخرة وما
خلفها من فضيحة فى دنياهم فيذكرون بها الى يوم القيمة وقوله تعالى وموعظة للمتقين اى عظة وعبرة
للمومنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يتقون الشرك والكباير والفواحش فلا يفعلون مثل فعلهم
قوله عز وجل واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة هذه الاية نزلت بعد قوله تعالى واذ
قتلتم نفسا ولو كانت مقدمة فى التلاوة لان قتل النفس كان قبل ذبح البقرة • والقصة فيه ما روى
ان بنى اسرائيل قبلهم فى التورية ايما قتيل وجد بين قريتين فليقس الى ايهما اقرب ثم ليوخذ اهل تلك القرية
وليحلف خمسون شيخا من شيوخهم بالله ما قتلوه ولا علموا له قاتلا فقتل رجل من بنى اسرائيل ابن عم لهما
اسمه عاميل ليرثاه وكان لعمهما ابنة عم حسنة فخافا ان ينكحها فقتلاه لذلك وحملاه الى جانب قرية
فاخذ اهل تلك القرية به فجاوا الى موسى عليه السلام وقالوا ادع الله تعالى ان يطلعنا على قاتله فاوحى
الله اليه مرهم ان يذبحوا بقرة فامرهم بذلك ليضرب المقتول ببعض تلك البقرة فيحيا فيخبرهم عن قاتله فقالوا
اتتخذنا هزوا اى يستهزئ بنا يا موسى حين سالناك عن القتل وتامر بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لتباعد
الامرين فى الظاهر ولم يدروا ما الحكمة فيه • وقرا ابن محيصن يتخذنا بالياء يعنون الله عز وجل ولا يستبعد
هذا من جهلهم لانهم هم الذين قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة وفى قوله عز وجل هزوا ثلاث لغات هزوا
بالتخفيف والهمز ومثله كفوا وهى قراة الاعمش وحمزة وخلف • وهزوا وكفوا مثقلان مهموزان
وهى قراة ابى عمرو واهل الحجاز والشام والكسائى وهزوا وكفوا مثقلان بغير همز وهى قراة حفص عن
عاصم وكلها لغات صحيحة فصيحة معناها الاستهزا • فقال لهم موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
اى امتنع بالله ان اكون من المستهزئين بالمومنين فلما علم القوم ان ذبح البقرة عزم من الله قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هى البقرة كبيرة ام صغيرة • وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال والذى نفس
محمد بيده لو انهم عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها لاجزت ولكن شددوا على انفسهم بالمسئلة فشدد الله عليهم
وانما كان تشديدهم تقديرا من الله عز وجل وحكمة منه • وكان السبب فيه ان رجلا من بنى اسرائيل كان برا بابيه
وبلغ من بره ان رجلا اتاه بلولوة فابتاعها بخمسين الفا وكان فيها فضل • فقال ان ابى نايم ومفتاح

قالوا صح

الصندوق تحت رأسه فامهلني حتى يستيقظ وأعطيك الثمن قال فايقظه واعطني الثمن قال ما كنت لافعل
ولكن ازيدك عشرة الاف وامهلني حتى ينتبه ابي فقال الرجل انا احط عنك عشرة الاف ان ايقظت اباك و
عجلت النقد فقال وانا ازيدك عشرين الفا ان انتظرت انتباه ابي ففعل ولم يوقظ الرجل اباه فاعقبه الله ببره
اباه ان جعل البقرة تلك بعينها عنده وامر بني اسرائيل ان يذبحوا تلك البقرة بعينها • وقال ابن عباس كان في بني اسرائيل
رجل صالح له ابن طفل كان له عجلة فاتى بالعجلة الى غيضة وقال اللهم اني استودعك هذه العجلة لابني
حتى يكبر ومات الرجل فنشأت العجلة في الغيضة وصارت عوانا وكانت تهرب من كل من رآها • فلما كبر الابن وكان
بارا بامه كان يقسم الليلة اثلاثا يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا فاذا اصبح ذهب
يحتطب على ظهره ويبيعه في السوق ثم يتصدق بثلثه وياكل ثلثه ويعطي امه ثلثه فقالت له امه يوما ان
اباك ورثك عجلة وذهب بها الى غيضة كذا واستودعها الله فانطلق اليها وادع اله ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب ان يردها عليك فان من علامتها انك اذا نظرت اليها تخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من
جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها وصفا لونها فاتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال
اعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب فاقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها
فتكلمت البقرة باذن الله وقالت ايها الفتى البار بوالدته اركبني فان ذلك اهون عليك قال ان امي لم تامرني
بذلك ولكن قالت قدها بعنقها فقالت البقرة وحق اله بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي ابدا فانطلق
فانك لو امرت الجبل ان ينقلع من اصله وينطلق معك لفعل لبرك بامك فجاء بها الى امه فقالت له يا بني
انك فقير ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فاذهب وبع هذه البقرة وخذ ثمنها فقال بكم
قالت بثلثة دنانير ولا تبعها بغير رضاي ومشورتي وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلثة دنانير فانطلق
بها الى السوق فبعث الله ملكا في صورة بشر ليختبر كيف بر الفتى بوالدته فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة
قال بثلثة دنانير واشترط عليك رضا والدتي • فقال الملك بستة دنانير ولا تستامر امك فقال لو اعطيتني
وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا امي فردها الى امه فقالت بعها بستة دنانير على رضى مني فانطلق بها وقال
للملك انها امرتني ان لا انقصها من ستة دنانير على ان استامرها • فقال الملك انا اعطيك اثنا عشر

على ان لا تستامرها فابى ورجع الى امه فاخبرها فقالت يا بني ان الذي ياتيك ملك في صورة
انسان فقل له اتامرنا ان نبيعها ام لا فاتاه فقال له ما قالت امه فقال له اذهب الى امك و
قل لها امسكي هذه البقرة فان موسى يشتريها منكم لقتيل يقتل من بني اسرائيل فلا تبيعوها الا بملء مسكها
دنانير فامسكوها وقدر الله على بني اسرائيل ذبحها مكافاة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة •
وروي انها كانت لرجل يبيع الجوهر فجاءه ابليس بجراب من اللؤلؤ يساوي مائتي الف فعرضه عليه بمائة الف
فوجد الجوهري المفتاح تحت راس ابيه وهو نايم فقال كيف اوقظ ابي لربح مائة الف فكره ان يوقظه
فرجع وقال ان ابي نايم والمفتاح تحت راسه فقال له ابليس اذهب اوقظه وانا ابيعك بخمسين
الفا فذهب فلم يحتمل قلبه ذلك فرجع فلم يزل ابليس يحط من الثمن حتى بلغ عشرة دراهم فلم يوقظ
اباه وترك الشرا فجعل الله في ماله البركة حتى اشتروا بقرته بملء مسكها ذهبا قوله عز وجل ادع لنا
ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر وفي مصحف عبد الله سل لنا ربك يبين لنا
ومعنى الاية قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما سنها قال موسى انه يعني الله عز وجل يقول انها بقرة لا فارض
ولا بكر اي لا كبيرة ولا صغيرة وارتفع فارض وبكر باضمار هي اي لا هي فارض ولا هي بكر • قال مجاهد
والاخفش الفارض الكبيرة المسنة التي لا تلد والبكر الفتية الصغيرة التي لم تلد • قال السدي البكر
التي لم تلد قط الا واحدا وقيل معناه لا فارض اي ليست بكبيرة قد ولدت بطونا كثيرة ولا بكر اي لم تلد
قوله تعالى عوان بين ذلك اي وسط بين الصغيرة والكبيرة قد ولدت بطنا او بطنين وجمعها عون
قوله تعالى فافعلوا ما تؤمرون اي فعلوا ما تومرون به من الذبح ولا تكثروا السوال ثم عادوا في السوال
فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ما موضع ما رفع بالابتدا ولونها خبره وقرا الضحاك ما لونها نصبا كانه
اعمل فيه التبيين وجعل ما صلة قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها قيل يعني سودا مثل قوله جمالات
صفر اي سود كذا قال الحسن والعرب يسمي الاسود اصفر قال الشاعر • تلك خيلي منها وتلك ركابي • هن
صفر اولادها كالزبيب • والصحيح انها صفر لان السود لا يوكد بالفاقع وانما يوكد بالحالك يقال
في المبالغة في الوصف اصفر فاقع واحمر قاني واسود حالك واخضر ناضر وابيض ناصع ويقال ابيض يقق

قالوا

ربك صح

فمعنى فاقع اى صاف شديد الصفرة • وقال ابن عباس صفرا فاقع لونها شديدة الصفرة • وقال القتيبي غلط من
قال الصفرا هاهنا السودا لان هذا غلط فى نعوت البقر وانما هو فى نعوت الابل قوله تعالى تسر الناظرين اى تعجب
الناظرين اليها لتمام خلقها وكمال حسنها ونصوع لونها • قال على رضى الله عنه من لبس نعلا صفرا قل همه
لان الله تعالى يقول صفرا فاقع لونها تسر الناظرين • فان قيل لم امروا بذبح البقرة دون غيرها قيل لان
القربان يكون من الابل والبقر والغنم وكانوا يحرمون لحم الابل كما قال تعالى الا ما حرم اسرائيل على نفسه يعنى
لحوم الابل وكان ذبح البقرة افضل من ذبح الغنم فخصت بذلك قوله عز وجل قالوا ادع لنا ربك يبين
لنا ما هى اسائمة ام عاملة قوله تعالى ان البقر تشابه علينا هذه قراءة العامة وقرا محمد الاموى ان
الباقر هو جمع البقر قال قطرب يقال فى جمع البقر بقر وباقر وبقور وباقور • فان قيل لم قال تشابه والبقر جمع
ولم يقل تشابهت قيل فيه ثلاثة اقوال احدها انه ذكر لتذكير لفظ البقر كقوله تعالى اعجاز نخل منقعر •
وسئل سيبويه عن هذا فقال كل جمع حروفه اقل من حروف واحده فان العرب تذكره • وقال الزجاج
معناه ان جنس البقر وقوله تعالى تشابه فيه سبع قراءات تشابه بفتح التاء والهاء وتخفيف الشين وهى قراءة
العامة • وقرا الحسن تشابه بالتخفيف وهاء مضمومة يعنى تتشابه • وقرا الاعرج تشابه بفتح التاء والتشديد
وضمها على معنى تتشابه • وقرا مجاهد تشبه كقراءة الاعرج الا انه بغير الف • وفى مصحف ابى تشابهت اثبته
لتانيث البقرة • وقرا ابن اسحق تشابهت بالتشديد • وقرا الاعمش متشابه قوله وانا ان شاء الله لمهتدون
يعنى الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم الى اخر الابد وقوله
تعالى قال انه يقول انها بقرة لا ذلول اى لا مذللة بالعمل تثير الارض اى ليست بحراثة ولا تسقى الحرث اى ليست
ناضحة لا يسقى عليها الزرع وقوله مسلمة اى برية من العيوب • وقال الحسن مسلمة القوايم ليس فيها اثر العمل
قوله تعالى لا شية فيها اى لا عيب فيها وقال قتادة لا بياض فيها اصلا وقال مجاهد لا بياض فيها ولا سواد
وقيل ليس فيها لون يفارق سائر لونها والذلول فى الدواب بمنزلة الذليل فى الناس يقال رجل ذليل ودابة
ذلول قوله تعالى قالوا الان جئت بالحق اى بالوصف البين التام فطلبوها ولم يجدوها بكمال وصفها
الا عند الفتى البار بوالدته فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا • وقال السدى بوزنها عشر مرات ذهبا

وقوله تعالى
فذبحوها

وقوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون اى من غلاء ثمنها وقيل وما كادوا يجدونها باجتماع اوصافها
وقيل لان كل واحد منهم خشى ان يكون القاتل من قبيلته قوله عز وجل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها
يعنى عاميل وهذه الاية اول القصة ومعناها واذكروا اذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها اى اختلفتم فيها
كذا قال ابن عباس ومجاهد ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم كنت خير شريك لا تدارى ولا تمارى •
وقال الضحاك فادارأتم فيها اى اختصمتم • وقال عبد العزيز بن يحيى شككتم • وقال الربيع تدافعتم
واصل الدرء الدفع يعنى القى ذاك على هذا وهذا على ذاك يدافع كل واحد عن نفسه كقوله ويدرءون
بالحسنة السيئة وقوله والله مخرج ما كنتم تكتمون اى مظهر ما كنتم من امر القاتل قوله عز وجل فقلنا
اضربوه ببعضها اى اضربوا المقتول ببعض البقرة اى بعضو منها واختلفوا فى هذا البعض ما هو فقال ابن عباس
العضو الذى يلى الغضروف وهو المقتل • وقال الضحاك بلسانها • وقال سعيد بن جبير بعجب ذنبها وهو
العصعص لانه اساس البدن الذى ركب عليه وهو اول ما يخلق واخر ما يبلى • وقال مجاهد بذنبها
وقيل بفخذها وقيل فخذها الايمن • وقال السدى بالبضعة التى بين كتفيها ففعلوا ذلك فضربوه
قام القتيل حيا باذن الله واوداجه تشخب دما فسالوه من قتلك فقال فلان وفلان لابنى عم له ثم
اضطجع ميتا فاخذا فقتلا وفى الاية اختصار تقديره فقلنا اضربوه ببعضها فضربوه فحيى قوله تعالى
كذلك يحيى الله الموتى اى كما احيى عاميل بعد موته كذلك يحيى الله الموتى ويريكم اياته اى عجائب قدرته
ودلالته لعلكم تعقلون اى لكى تفهموا احياء الموتى وغير ذلك قال الواقدى كل شىء فى القران لعلكم
فهو بمعنى لكى غير الذى فى الشعراء وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون فانه بمعنى كانكم تخلدون فلا
تموتون • والله سبحانه وتعالى كان قادرا على احيائه بغير السبب لان الله امرهم بذلك لان احياء
الميت بالميت اكد دليلا وابين قدرة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك قال الكلبى قالوا بعد ذلك
لم نقتله نحن وانكروا ولم يكن اعمى قلبا ولا اشد تكذيبا منهم لنبيهم عند ذلك فقال الله تعالى ثم قست
قلوبكم من بعد ذلك قال الكلبى قست اى يبست وفسدت وقال ابو عبيدة جفت وقال الواقدى جفت
فلم تلن وقيل سودت وقال الزجاج تاويل القسوة ذهاب اللين والخشوع والخضوع وقيل قست

اى غلظت وقوله تعالى من بعد ذلك اى من بعد احياء الميت وقيل من بعد هذه الايات التى تقدمت من مسخ القردة
والخنازير ورفع الجبل وخروج الانهار من الحجر وغير ذلك فهى كالحجارة اى غلظها وشدتها ويبسها او اشد
يبسا وغلظا ومعنى او اشد بل اشد كقوله كلمح البصر او هو اقرب وقيل بمعنى الواو اى واشد قسوة وكقوله تعالى
من بيوتكم او بيوت ابائكم ومثل لبعولتهن او ابائهن او اباء بعولتهن وكقوله تعالى اثما او كفورا وقرأ ابو
جعفر او اشد قساوة ثم عذر الله الحجارة وفضلها على القلب القاسى واخبر ان منها ما يكون فيه رطوبة
ولا يتردى من علو الجبل الى اسفله من مخافة الله عز وجل فقال تعالى وان من الحجارة لما يتفجر
منه الانهار وقرأ مالك بن دينار ينفجر بالنون كقوله فانفجرت وفى مصحف ابى منها الانهار رد الكناية الى
الحجارة وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء قرأ الاعمش يتشقق وقوله تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله
اى ينزل من علو الجبل الى اسفله من خشية الله وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع ولا تاتى بخير فقيل
لا يهبط من الجبال حجر بغير سبب ظاهر الا وهو مجعول فيه التمييز قوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون وعيد
وتهديد اى ما الله بتارك عقوبة ما تعملون بل يجازيكم به قوله تعالى افتطمعون ان يؤمنوا لكم خطاب
للنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه اى افترجون ايها المؤمنون ان تصدقكم اليهود فيما اتاكم به نبيكم محمد
وقد كان فريق يسمعون كلام الله يعنى التورية ثم يحرفونه اى يغيرونه من بعد ما عقلوه اى من بعد ما فهموه
وعلموه كما غيروا اية الرجم وصفة النبى صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وهم يعلمون اى وهم يعلمون
انهم كاذبون هذا قول مجاهد وقتادة وعكرمة والسدى وقال ابن عباس ومقاتل والكلبى نزلت هذه الاية
فى السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه لما اخذتهم الرجفة واحياهم الله بدعاء موسى قالوا يا موسى
اسمعنا كلام الله فطلب ذلك فاجابه الله تعالى وامرهم ان يتطهروا ويطهروا ثيابهم ويصوموا ففعلوا
ثم خرج بهم موسى حتى اتوا الطور فلما غشيهم الغمام سمعوا صوتا كصوت الشبور فسجدوا فسمعوا كلام الله
يقول انى انا الله ربكم لا اله الا انا الحى القيوم ولا تعبدوا الها غيرى ولا تشركوا بى شيئا واوصيكم ببر الوالدين
وان لا تحلفوا بى كاذبين ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا يقتل بعضكم بعضا ولا تشهد بعضكم على بعض شهادة
زور واطعموا المساكين وصلوا القرابة ولا تظلموا اليتيم ولا تقهروا الضعيف فلما سمعوا خرجت ارواحهم

منهم صح

ثم ردت اليهم فقالوا يا موسى انا لا نطيق ان نسمع كلام الله فلما رجعوا الى قومهم قال فريق منهم سمعنا الله عز وجل
يقول فى اخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا ولا باس والمعنى بهذه الاية
تعزية الصحابة فى ان اليهود ان كذبوا النبى صلى الله عليه وسلم فلهم سابقة فى الكفر والتحريف قوله عز وجل
واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا قرأ ابن السميفع واذا لاقوا قيل يعنى المنافقين من اهل الكتاب فى وقت موسى فانه
كان فى قومه منافقون كما فى امتنا وقيل المراد به منافقوا هذه الامة وانما ذكرهم الله هنا مع اليهود لانهم
كانوا من اليهود قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ومعناه واذا لقى المنافقون من اليهود الذين امنوا يعنى
ابا بكر واصحابه من المؤمنين قالوا امنا كايمانكم ونشهد بان محمدا صادق ونجده فى كتابنا بنعته وصفته
واذا خلوا الى رؤسائهم قالهم رؤساؤهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسد ووهب بن يهودا وغيرهم من رؤساء
اليهود اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اى تخبرونهم انهم على الحق ليكون لهم الحجة عليكم عند الله فى الدنيا و
الاخرة اذ كنتم مقرين بصحة امرهم ولم تتبعوهم وقال الكلبى معناه اتحدثونهم بما قضى الله عليكم فى كتابكم
ان محمدا حق وقوله صدق ومنه قيل للقاضى الفتاح وقال الكسائى بما بينه الله لكم وقال الواقدى بما انزل
الله عليكم نظيره لفتحنا عليهم بركات من السماء اى انزلنا وقال ابو عبيد والاخفش بما من الله عليكم واعطاكم
قوله تعالى ليحاجوكم به عند ربكم اى ليخاصموكم ويحتجوا بقولكم عند ربكم وقال بعضهم هو ان الرجل من المسلمين
يلقى قريبه وصديقه من اليهود فيسأله عن امر محمد صلى الله عليه وسلم فيقول انه حق وهو نبى فيرجعون
الى رؤسائهم فيلومونهم على ذلك وقيل ان كعب بن الاشرف وغيره من رؤساء الكفر كانوا يقولون لعبد الله
بن ابى واصحابه اذا اقررتم بنبوة هذا النبى وان ذكره فى التورية حق تاكدت حجته عليكم وقال مجاهد
ان النبى صلى الله عليه وسلم سب يهود بنى قريظة فقال لهم يا اخوان القردة والخنازير يا عبدة الطاغوت
فقال بعضهم لبعض من خبر محمدا بهذا ما سمعه الا منكم او ما خرج هذا الا منكم واصل الفتح فتح المغلق
ثم استعمل فى مواضع كثيرة من فتح البلدان وفتحك على القارى وقد يكون الفتح بمعنى الحكم كما فى هذه الاية
ومثل قوله ربنا افتح بيننا ويسمى القاضى الفاتح بلغة عمان وقد يكون الفتح بمعنى النصر مثل قوله تعالى
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اى يطلبون النصرة عليهم وقوله تعالى فلا تعقلون اى فليس

عليكم صح

لكم ذهن الانسانية قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون اى ما يسرون من تكذيب
النبى صلى الله عليه وسلم فيما بينهم وما يعلنون مع الصحابة من التصديق وقوله تعالى ومنهم اميون
اى ومن اليهود من لا يحسن القراة ولا الكتابة الا ان يحدثهم كبارهم فيظنونه حقا فيصدقونهم وهو كذب
قوله تعالى لا يعلمون الكتاب الا امانى اختلفوا فى معنى الامانى قال الكلبى معناه لا يعلمون الا ما يحدثهم به
علماؤهم وقال ابو روق القراة عن ظهر القلب ولا يقرؤن فى الكتب ودليل هذا قوله تعالى الا اذا تمنى القى الشيطان
فى امنيته اى الا اذا قرا القى الشيطان فى قراته قال الشاعر • تمنى كتاب الله فى اول ليله • وفى اخره لاقى حمام المقادر
وقال مجاهد الامانى الكذب والاباطيل كقول عثمان رضى الله عنه ما تمنيت منذ اسلمت اى ما كذبت • واراد
بالامانى الاشيا التى كتبها علماؤهم من عند انفسهم ثم اضافوها الى الله من تغيير صفة النبى صلى الله عليه وسلم
وقال الحسن يعنى يتمنون على الله الباطل والكذب مثل قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقولهم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم نحن ابنا الله واحباؤه قوله تعالى وان هم الا يظنون اى ما هم
الا يظنون ظنا وتوهما لا حقيقة ويقينا قاله قتادة والربيع وقال مجاهد معناه وان هم الا يكذبون قوله
تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله نزلت هذه الاية فى علماء اليهود
الذين غيروا صفة النبى صلى الله عليه وسلم فى التورية فكتبوها محمد سبطا طويلا وازرق سبط الشعر
وكانت صفته فى التورية حسن الوجه جعد الشعر اسمر ربعة فبدلوا وقالوا هذا من عند الله واذا سئلوا
عن صفته قرؤا ما كتبوه فيجدونه مخالفا لصفته فيكذبونه وانما فعلت اليهود ذلك لانهم خافوا ذهاب
ملكهم وزوال رياستهم حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا فى تغيير صفته ليمنعوا
الناس عن الايمان والويل الشدة فى العذاب وقيل الهلاك وقيل الخزى ويكنى عنه بويس وويح وقيل هو
واد فى جهنم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يقع الى قعره وقيل يسيل فيه صديد اهل النار وقيل
لو جعلت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره وقوله تعالى ليشتروا به ثمنا قليلا يعنى ما كان لهم من الماكل
والهدايا من اغنيائهم الحق الله بهم ثلث ويلات فيما غيروا من الكتاب وقوله تعالى وويل لهم مما يكسبون اى
مما يصيبون من الماكل والهدايا ولفظ الايدى للتاكيد كقولهم مشيت برجلى ورايت بعينى قال الله تعالى

ولا طاير

ولا طاير يطير بجناحيه قوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة اختلفوا فى هذه الايام
ما هى قال ابن عباس ومجاهد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود يقول مدة الدنيا
سبعة الاف سنه وانما يعذب بكل الف سنة يوما واحدا ثم ينقطع العذاب عنا بعد سبعة ايام فانزل
الله هذه الاية وقال قتادة وعطا يعنون الاربعين يوما التى عبد اباؤهم فيها العجل وهى مدة غيبة موسى عليه
السلام وفى بعض التفاسير اختلف فى مقدار عبادتهم العجل فقيل عشرة ايام وقيل سبعة ايام وقيل اربعون
يوما فقال الله تكذيبا لهم قل يا محمد اتخذتم عند الله عهدا اى موثقا ان لا يعذبكم الا هذه المدة فلن يخلف
الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون وروى انه يقال لهم عند مضى الاجل يا اعداء الله قد
مضى الاجل وبقى الابد ولفظ المعدودة للقلة كقوله بثمن بخس دراهم معدودة وفى الصوم اياما معدودات
واحتج اصحابنا بقوله عليه السلام المستحاضة تدع الصلوة ايام اقرائها وقوله عليه السلام دعى
الصلوة ايام اقرائك ان اقل الايام ثلثه واكثرها عشرة لانه يقال لما دون الثلثه يوم ويومان وفيما زاد
على العشرة احد عشر يوما وليس لاحد ان يعترض على هذا بقوله فى اية الصيام اياما معدودات اراد بها
الشهر كله لان ظاهر لفظ الايام من الثلثة الى العشرة الا انه قد يذكر ويراد به الزيادة وقد فسر الله تعالى
ايام الصوم بالشهر فانعقد بذلك التفسير • واما ايام الحيض فمبهمة فلا بد ان يكون محصورة لان الاحكام
يختلف بحال الحيض والطهر فكان حمل اللفظ على ظاهره وحقيقته اولى وقوله تعالى بلى من كسب سيئة
اى ليس كما تقولون قال الكسائى الفرق بين بلى ونعم ان بلى اقرار بعد جحد ونعم جواب استفهام بغير جحد فاذا
قيل لك الست فعلت كذا تقول بلى وقيل لك لم تفعل كذا تقول بلى واذا قيل لك فعلت كذا قلت نعم قال الله
تعالى الم ياتكم نذير قالوا بلى وقال الله تعالى الست بربكم قالوا بلى وقال فى غير الجحود هل وجدتم ما وعد ربكم
حقا قالوا نعم وانما قال ها هنا بلى للجحود الذى قبله وهو قوله لن تمسنا النار والسيئة هنا الشرك وقوله
تعالى واحاطت به خطيئته وقرا اهل المدينة خطياته بالجمع وقرا الباقون خطيئته على الواحد • و
الاحاطة الاحداق بالشئ من جميع نواحيه اى سدت عليه طريق النجاة ومات على الشرك وقيل السيئة
الذنوب التى وعد عليها العقاب والخطيئة الشرك ولا بد ان تكون الخطيئة اكبر من السيئة لانها احاط بغيره

كان اكبر منه واصل بلى بل وهو لرد الكلام الماضي واثبات كلام آخر مستبدا وانما زيدت اليا لتحسين الوقف
وقيل اصله بل لا فخفف • وعن الربيع بن خثيم في معنى قوله واحاطت به خطيآته قال هو الذي يموت على خطيئته
قبل ان يتوب ومثله قال عكرمة وقال مقاتل يعني اصر عليها وقال الكلبي معنى واحاطت به خطيئته اي اوبقته
ذنوبه قوله تعالى فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون ظاهر المعنى قوله عز وجل واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل اي اخذنا عليهم في التورية
العهد الشديد لا تعبدون الا الله بالتا قرا ابن كثير وحمزة والكسائي وقرا الباقون باليا • قال ابو عمرو الا تراه
تقول وقولوا للناس فدلت المخاطبة على التا • قال الكسائي انما ارتفع لا تعبدون لان معناه اخذنا ميثاق
بني اسرائيل ان لا تعبدون الا الله فلما القي ان رفع ومثله لا تسفكون دماكم ونظيره قوله تعالى قل اغير الله تأمروني
اعبد يريد ان اعبد فلما حذف ان الناصبة عاد الفعل الى المضارعة • وقرا ابي بن كعب لا تعبدوا جزما على النهي
اي قلنا لهم لا تعبدوا الا الله ومعنى الاية امرناهم باخلاص العبادة لله قوله عز وجل وبالوالدين احسانا
اي وصيناهم بالوالدين احسانا برا بهما وعطفا عليهما وانما قال وبالوالدين واحدهما والد لان المذكر
والمؤنث اذا اقترنا غلب المذكر لخفته وقوته قوله تعالى وذي القربى واليتامى والمساكين اي وبذي القربى
اي وصيناهم بصلة الرحم واليتامى جمع يتيم وهو الطفل الذي لا اب له والمساكين الفقرا قوله تعالى وقولوا
للناس حسنا اختلف القراء فيه فقرا زيد بن ثابت وابو العاليه وعاصم وابو عمرو ونافع بضم الحا و
جزم السين وهو اختيار ابي حاتم ودليله قوله تعالى بوالديه حسنا وقوله ثم بدل حسنا بعد سوء •
وقرا ابن مسعود وحمزة والكسائي وخلف حسنا بفتح الحا والسين وهو اختيار ابي عبيد قال انما اثرنا هاهنا لانها
نعت بمعنى قولا حسنا وقرا عيسى بن عمر بضم الحا والسين والتنوين وهو لغة مثل النصب والسحت وقرا عاصم الجحدري
احسانا بالالف • وقرا ابي بن كعب وطلحة بن مصرف حسنى بالتانيث مرسلة ومجازه كلمة حسنى ومعنى الاية ايها
الروسا من اليهود قولوا للسفلة قولا حسنا اي حقا وصدقا وبينوا لهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم كما في
التورية ولا تكتموها ولا تغيروا صفة محمد صلى الله عليه وسلم هذا قول ابن عباس وابن جبير وابن جريج
ومقاتل ودليله قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اي صدقا وقيل معناه مروهم بالمعروف

وانهوهم

وانهوهم عن المنكر قوله تعالى واقيموا الصلوة واتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم
معرضون ثم توليتم اي اعرضتم عن العهد والميثاق وقوله الا قليلا منكم هو عبد الله بن سلام واصحابه
وانتصب قليلا على الاستثناء قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم اي لا يقتل
بعضكم بعضا بغير حق وانما قال ذلك لمعنيين احدهما ان كل قوم اجتمعوا على دين واحد فهم كنفس واحدة
والاخر وهو ان الرجل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقاد ويقتص منه • وقرا طلحة بن مصرف
لا تسفكون بضم الفا وهما لغتان مثل يعرشون ويعكفون وقرا بعضهم لا تسفكون بالتشديد على التكثير
قوله تعالى ولا تخرجون انفسكم من دياركم اي لا يخرج بعضكم بعضا من داره وقوله تعالى ثم اقررتم
اي ثم اعترفتم بان هذا العهد قد اخذ عليكم وعلى ابائكم وانه حق وانتم تشهدون اليوم على ذلك
يا معشر اليهود وقوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم اي ثم انتم يا هؤلاء فحذف حرف النداء
للاستغنا بدلالة الكلام عليه كقوله تعالى ذرية من حملنا مع نوح وقوله تقتلون انفسكم
قرا الحسن تقتلون بالتشديد والاية خطاب ليهود قريظة والنضير كانت بنوا قريظة حلفا الاوس
وبنوا النضير حلفا الخزرج وكان كل فريق يقاتل الفريق الاخر فاذا غلبهم سبا ذراريهم واخرجهم
من ديارهم قوله تعالى تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان قرا اهل الشام وابو عمرو ويعقوب
تظاهرون بتشديد الظا ومعناه تتظاهرون فادغم التا في الظا مثل اثاقلتم وادّاركوا • وقرا عاصم
والاعمش وحمزة وطلحة والحسن والكسائي تظاهرون بالتخفيف حذفوا تا التفاعل وبقوا تا الخطاب
مثل قوله تعالى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وما لكم لا تناصرون • وقرا ابي ومجاهد وقتادة
تظهرون بالتشديد من غير الف اي تتظهرون ومعناهما جميعا واحد تعاونون والتظاهر التعاون سمي بذلك
لاسناد ظهره الى ظهر صاحبه وقوله تعالى بالاثم والعدوان اي بالمعصية والظلم قوله تعالى وان
ياتوكم اسارى تفادوهم متصل بقوله ولا تخرجون انفسكم لان قوله وان ياتوكم داخل في الميثاق
ومعناه فكوا اسراكم من غيركم بالفدا • قرا السلمي ومجاهد وابن كثير وابو عمرو وابن عامر اسارى بالالف
وتفدوهم بغير الف • وقرا الحسن اسرى بغير الف تفادوهم بالالف • وقرا النخعي وطلحة والاعمش

وحمزة اسرى تفدوهم كلاهما بغير الف • وقرا شيبة ونافع وعاصم وقتادة والكسائى ويعقوب أسارى تفادوهم كلاهما بالالف والاسرى جمع اسير مثل مريض ومرضى وصريع وصرعى وقتيل وقتلى والاسارى جمع اسرى ايضا مثل سكارى وكسالى ولا فرق بين الاسارى والاسرى فى الصحيح وقال بعضهم المقيدون المشددون اسارى والاسرى هم المأسورون غير المقيدين وقوله تعالى تفدوهم اى بالمال • وتفادوهم اى مفادات الاسير بالاسير واسرى فى موضع نصب على الحال ومعنى الآية ما قال السدى ان الله تعالى اخذ على بنى اسرائيل فى التورية ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد وامة وجدتموه من بنى اسرائيل فاشتروه واعتقوه وكانت قريظة حلفا الاوس والنضير حلفا الخزرج وكانوا يقتتلون فى حرب سمير فقاتلهوا قريظة مع حلفائهم والنضير مع حلفائهم فاذا غلبوا اخربوا ديارهم واخرجوهم منها واذا اسر رجل من الفريقين كلاهما جمعوا له حتى تفدوه فتعيرهم العرب بذلك فيقولون كيف تقاتلونهم وتفدونهم فيقولون انا قد امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم قالوا فلم يقاتلونهم قالوا انا نستحيى ان تستذل حلفاؤنا فذلك حين عيرهم الله تعالى فقال ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وفى الآية تقديم وتاخير تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وهو محرم عليكم اخراجهم وان ياتوكم اسارى تفدوهم فكان الله تعالى اخذ عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة عليهم من اعدائهم وفدا اسرائهم فاعرضوا عن كل ما امر الله تعالى به الا الفدا فقال الله تعالى افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فايمانهم الفدا وكفرهم القتل والاخراج والمظاهرة وقال مجاهد يقول ان وجدته فى يد غيرك فديته وانت تقتله بيدك قوله تعالى فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحيوة الدنيا اى فما جزاء من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض الا ذل وهوان فى الدنيا يعنى بالخزى قيل بنى قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير عن منازلهم يقال فى السوء والشر خزى يخزى خزيا وفى الحياء خزى يخزى خزاية قوله تعالى ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب وهو عذاب النار • وقرا السلمى والحسن وابو رجا تردون بالتاء كقوله تعالى افتؤمنون قوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون بالياء مدنى ومكى وابو بكر ويعقوب والباقون بالتاء قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة

الدنيا

الدنيا بالآخرة اى استبدلوا الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب اى لا يهون ولا هم ينصرون من عذاب الله وقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل اى اعطينا موسى التورية جملة واحدة واردفنا واتبعنا من بعده رسولا من بعد رسول يقال قفا اثره وقفاه غيره فى التعدية ماخوذ من قفا الانسان قال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم • وقيل ان الله انزل التورية على موسى جملة واحدة وامره ان يحملها فلم يطق فبعث الله بكل آية ملكا فلم يطيقوا حملها فبعث الله بكل حرف ملكا فلم يطيقوا • فخففها الله على موسى فحملها وعمل بها قوله تعالى وآتينا عيسى ابن مريم البينات يعنى من احيا الموتى وابراء الاكمه والابرص ونزول المائدة ومعنى البينات الدلالات الواضحات والعلامات الواضحات وقوله تعالى وايدناه بروح القدس الآد والايد هما القوة اى واعناه بجبريل خففه ابن كثير القدس وثقله الآخرون وهما لغتان مثل الرعب والسحب قال السدى والضحاك وقتادة روح القدس جبريل • قال الحسن القدس هو الله عز وجل وروحه جبريل عليه السلام واضافه الى نفسه تكريما وتخصيصا نحو بيت الله وناقة الله وعبد الله • وقال السدى القدس البركة وقد اعظم الله تعالى بركة جبريل اذ نزل عامة وحى انبيائه على لسانه وتاييد عيسى بجبريل عليه السلام انه كان قرينه يسير معه حيث ما سار ورفعه الى السماء حين ارادوا اليهود قتله • وقيل سمى جبريل روح القدس لان بمجيئه يحيا الكفار بالاسلام والقدس الطاهر وقيل المبارك • وقال ابن عباس وسعيد بن جبير روح القدس اسم الله الاعظم وبه كان يحيى الموتى ويرى الناس تلك العجايب • وقال ابن زيد هو الانجيل جعله الله روحا كما جعل القرآن لمحمد روحا قال الله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا فلما سمعت اليهود بذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما تقص علينا من الانبياء فعلت فاتنا بما اتى به عيسى ان كنت صادقا • قال الله تعالى افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم اى فكلما جاءكم ايها اليهود رسول بما لا يوافق هواكم استكبرتم اى تكبرتم وتعظمتم عن الايمان به ففريقا كذبتم مثل عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام وفريقا تقتلون مثل زكريا ويحيى وساير من قتلوا من الانبيا عليهم السلام والالف فى افكلما الف استفهام معناه التوبيخ والزجر قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف اى قالت اليهود قلوبنا ممنوعة من القبول فرد الله عليهم بقوله

بل لعنهم الله بكفرهم اى انهم القوا كفرهم فاشتد اعجابهم به ومحبتهم له فمنعهم الله الالطاف والفوايد التى منح الله
المؤمنين مجازاة لهم على كفرهم ● قرا ابن محيصن غلُف بضم اللام وقرا الباقون بجزمها فمن خفف فهو جمع الاغلف مثل
اصفر وصفر وهو الذى عليه غشاوة وغطا بمنزلة الاغلف غير المختون والاقلف مثله اى عليها غشاوة فلا
نعى ولا نفقه ما تقول يا محمد قاله قتادة ومجاهد نظيره قوله تعالى وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه
ومن ثقل غلف فهو جمع غلاف مثل حجاب وحجب وكتاب وكتب ومعناه قلوبنا اوعية لكل علم فلا نحتاج الى
الى علمك وكتابك قاله عطا وابن عباس ● وقال الكلبى يريدون اوعية لكل علم فهى لا تسمع حديثا الا وعته
الا حديثك لا تعيه ولا تعقله فلو كان فيه خير لفهمته ولوعته قال الله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم واصل
اللعن الطرد والابعاد فمعناه طردهم الله اى ابعدهم من كل خير ● وقال النضر بن شميل الملعون المخزى والمهلك
قوله عز وجل فقليلا ما يؤمنون قال قتادة معناه ما يؤمن منهم الا قليل وهو عبد الله بن سلام واصحابه لان
من امن من المشركين اكثر ممن امن من اليهود فعلى هذا القول ما صلة معناه فقليلا يؤمنون ونصب قليلا على
الحال وقيل على معنى صاروا قليلا ويؤمنون وقيل معناه اعانهم بالله قليل لانهم يؤمنون ببعض ويكفرون
ببعض وانتصب قليلا على هذا التاويل على معنى ايمانا قليلا يؤمنون ● وقال معمر معناه لا يؤمنون الا بقليل
مما فى ايديكم ويكفرون باكثر وعلى هذا القول يكون قليلا منصوبا بنزع الخافض وما صلة اى فبقليل يؤمنون
وقال الواقدى وغيره معناه لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وهذا كقول الرجل لاخر ما اقل ما تفعل كذا يريد
لا تفعله البته قوله عز وجل ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم يعنى القران موافقا لما
معهم يعنى التورية وساير الكتب فى التوحيد والدعا الى الله وقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين
كفروا اى وكانوا من قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم يستنصرون بذكر القران وبنبى اخر الزمان على الذين
جحدوا توحيد الله كانوا اذا قاتلوا المشركين قالوا اللهم انصرنا عليهم باسم نبيك وبكتابك الذى تنزله
على الذى وعدتنا انك باعثه فى اخر الزمان الذى نجد صفته فى التورية وكانوا يرجون ان ذلك النبى
منهم وكانوا اذا قالوا ذلك نصروا وكانوا يقولون لاعدايهم من المشركين اظل زمان نبى يخرج فنصدقه
ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به اى فلما بعث محمد

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وعرفوا بصفته فى كتابهم ولم يكن منهم كفروا به وغيروا صفته بغيا وحسدا
كما بعث من غير بنى اسرائيل مخافة زوال رياستهم فلعنة الله على الكافرين قوله تعالى بئسما اشتروا به
انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا اى بئسما باعوا به انفسهم من الهدايا بكتمان صفة محمد صلى الله عليه
وسلم انهم اختاروا الدنيا على الاخرة فباعوا انفسهم بان يكفروا بما انزل الله يعنى القران حسدا منهم
للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل معناه بئس الذى اختاروا لانفسهم حتى استبدلوا الباطل بالحق والكفر
بالايمان وقوله تعالى بغيا اصل البغى الفساد يقال بغى الجرح اذا فسد ومد ومعنى قوله بغيا اى بالبغى
وقوله تعالى ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده يعنى الكتاب والنبوة على محمد صلى الله عليه
وسلم قوله تعالى فباؤوا بغضب على غضب قال قتادة الغضب الاول حين كفروا بعيسى والانجيل والثانى
حين كفروا بمحمد والقران صلوات الله عليهما فاستوجبوا اللعنة على اثر اللعنة ● وقال السدى الغضب
الاول بعبادتهم العجل والثانى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتبديل صفته قوله تعالى وللكافرين
عذاب مهين اى وللجاحدين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم عذاب مهين يهانون فيه
فلا يعزون قوله تعالى واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله اى اذا قيل لليهود المدينة صدقوا بالقران قالوا
نؤمن بما انزل علينا يعنون التورية ويكفرون بما وراءه اى يجحدون بما سوى الذى انزل عليهم كقوله تعالى
فمن ابتغى وراء ذلك اى سواه وقوله تعالى وهو الحق يعنى القران مصدقا لما معهم اى موافقا للتورية
وساير الكتب ونصب مصدقا على الحال وقوله تعالى قل فلم تقتلون انبياء الله اى قل لهم يا محمد ان كنتم
تصدقون بالتورية فلم تقتلون انبيا الله وليس فيما انزل عليكم قتل الانبيا قوله تعالى ان كنتم مؤمنين
اى فلم تقتلون انبيا الله ان كنتم مؤمنين بالتورية وقد نهيتم فيها عن قتلهم وقوله لم اصله لما فحذفت
الالف فرقا بين الخبر والاستفهام كقوله فيم وبم وعم وعلام وحتام وقوله عز وجل ولقد جاءكم موسى
بالبينات اى بالدلالات الواضحات والايات التسع ثم اتخذتم العجل من بعده ذلك الها وانتم ظالمون
اى كافرون بالله وفايدة الاية ان تكذيب الانبيا من دابكم وعادتكم كما ان موسى جاكم بالبينات ثم اتخذتم
العجل الها قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور اى اخذنا عليكم العهد فى التورية

ورفعنا فوقكم الطور اى الجبل خذوا ما اعطيناكم بجد ومواظبة فى طاعة الله تعالى وقوله تعالى واسمعوا
اى اسمعوا ما فيه من حلاله وحرامه وما تؤمرون به اى استجيبوا واطيعوا سميت الطاعة سمعا لانها سبب الطاعة
والاجابة • ومنه قولهم سمع الله لمن حمده اى اجابه وقال الشاعر • دعوت الله حتى خفت ان لا • يكون الله
يسمع ما اقول • اى يجيب وقوله تعالى وقالوا سمعنا وعصينا اى سمعنا قولك وعصينا امرك ولولا مخافة
الجبل ما قبلنا قالوا ذلك بعد ما رفع الجبل عنهم قوله تعالى واشربوا فى قلوبهم العجل اى سقوا فى قلوبهم حب
العجل بكفرهم وخالطها ذلك كاشراب اللون لشدة الملازمة قوله تعالى قل بئسما يامركم به ايمانكم اى قل لهم
يا محمد بئس شيئا يامركم به ايمانكم من عبادة العجل من دون الله اى بئس الايمان ايمان يامركم بالكفر وقوله ان
كنتم مؤمنين اى ان كنتم مؤمنين بزعمكم لانهم قالوا نؤمن بما انزل علينا فكذبهم الله قوله عز وجل قل ان كانت
لكم الدار الاخرة [عند الله صح] خالصة هذا جواب قول اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم
لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه فكذبهم الله والزمهم الحجة فقال قل لهم
يا محمد ان كانت لكم الدار الاخرة يعنى الجنة خالصة اى خاصة وقيل صافية من دون الناس فتمنوا الموت
اى فاسالوا الله الموت فان من كان بهذه الصفة فالموت خير له ولا سبيل الى دخول الجنة الا بعد الموت
وقوله تعالى ان كنتم صادقين اى فى قولكم فقولوا اللهم امتنا فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم بعد
نزول هذه الاية ان كنتم صادقين فى مقالتكم فقولوا اللهم امتنا فوالذى نفسى بيده لا يقولها رجل
منكم الا غص بريقه فمات مكانه فابوا ان يفعلوا ذلك • قال ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو قالوا ذلك ما بقى على وجه الارض يهودى الا مات • فلما لم يقولوا ذلك انزل الله تعالى قوله ولن
يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم اى اسلفت من المعاصى وكتمان صفة النبى صلى الله عليه وسلم وقوله
ابدا يعنى فى مدة العمر اما بعد ذلك فانهم يتمنونه فى الاخرة وقت مشاهدة العذاب وانما اضاف الى
الايدى لان اكثر المعاصى تكون باليد قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حيوة اللام لام القسم
والنون تاكيد القسم تقديره والله لتجدنهم يا محمد يعنى اليهود ومعنى الاية لتعلمن اليهود احرص الناس
على البقاء وفى مصحف ابى على الحياة قوله تعالى ومن الذين اشركوا قيل انه متصل بالكلام الاول معناه •

واحرص

واحرص من الذين اشركوا قال الفراء وهذا كما يقال هو اسخى الناس ومن حاتم اى واسخى من حاتم • وقيل هو ابتداء و
تمام الكلام عند قوله حيوة ثم ابتدا بواو الاستئناف واضمر ليود اسما تقديره ومن الذين اشركوا قوم يود احدهم
وقيل معناه ولتجدنهم احرص الناس على حيوة واحرص من الذين اشركوا واراد بالذين اشركوا المجوس ومن
لا يؤمن بالبعث وقوله لو يعمر الف سنة اى ان يعمر قوله تعالى وما هو بمزحزحه من العذاب ان
يعمر اى وما احدهم بمباعده من العذاب تعميره اى وما التعمير بمباعده من العذاب والله بصير بما يعملون
تمام الاية مفسر قوله عز وجل قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله قال ابن عباس
ان حبرا من الاحبار عالما من علماء اليهود يقال له ابن صوريا قال للنبى صلى الله عليه وسلم كيف نومك
فانا نعرف نوم النبى الذى يجيء فى اخر الزمان قال تنام عيناى وقلبى يقظان قال صدقت فاخبرنا عن
الولد امن الرجل ام من المراة قال اما العظم والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر والشعر
فمن المراة قال صدقت • فما بال الولد يشبه اعمامه ليس فيه شبه من اخواله ويشبه اخواله ليس فيه شبه
من اعمامه • فقال ايهما علا ماؤه صاحبه كان شبه له قال صدقت • بقيت خصلة ان قلتها امنت بك
واتبعتك اى ملك ياتيك بالوحى قال جبريل • قال ذاك عدونا ينزل بالقتال والشدة ورسولنا
ميكائيل ينزل بالسرور والرخاء فلو كان ميكائيل هو الذى ياتيك امنا بك وصدقناك • فقال عمر رضى
الله عنه انا اشهد ان من كان عدوا لجبريل فانه عدو لميكائيل فقال لا تقولن هذا فانزل الله هذه الاية
وقال مقاتل ان اليهود قالت ان جبريل عدونا امر ان يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا • وقال قتادة و
عكرمة والسدى كان لعمر رضى الله عنه ارض باعلا المدينة ممرها على مدارس اليهود وكان عمر
اذا اتى ارضه ياتيهم ويسمع منهم ويكلمهم فقالوا يا عمر ما فى اصحاب محمد احب الينا منك انهم يمرون
بنا فيؤذوننا وانت لا تؤذينا وانا لنطمع فيك • فقال عمر رضى الله عنه والله ما اجيئكم لحبكم اياى
ولا اسالكم انى شاك فى دينى وانما ادخل اليكم لازداد بصيرة فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى
اثاره فى كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذى ياتيه من الملائكة قال جبريل قالوا ذاك عدونا يطلع محمدا
على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وشدة وان ميكائيل اذا جاء جاء بالخصب والسلامة فقال

عمر اتعرفون جبريل وتنكرون محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا نعم فقال عمر اني اشهد ان من كان عدوا
لجبريل فهو عدو لميكائيل ومن كان عدوا لهما فان الله عدو له ثم رجع عمر الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الايات وقال لقد
وافقك ربك يا عمر • فقال عمر رضي الله عنه لقد رايتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر قال الله تعالى
تصديقا لقول عمر قل من كان عدوا لجبريل اي قل لهم يا محمد من كان عدوا لجبريل اذ هو المنزل للكتاب على
فانه نزله على قلبك بامر الله لا من تلقاء نفسه وانما انزله هو مصدقا لما بين يديه من الكتب التي في ايديكم
لا مكذبا لها وانه وان كان فيما انزل الامر بالحرب والشدة على الكافرين فانه هدى وبشرى للمؤمنين وقيل
معناه على وجه الترغيم اي فان جبريل هو الذي نزل عليك برغمهم • وفي جبريل سبع قراءات جبرئيل مهموز مشبع
مفتوح الجيم والراء وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف قال الشاعر • شهدنا وما تلقا لنا من كتيبة • مدا الدهر
الا جبرائيل امامها • وجبرائيل ممدود مشبع على وزن جبراعيل وهي قراءة ابن عباس وعلقمة بن وثاب • وجبرائل
ممدود مختلس على وزن جبراعل وهي قراءة طلحة بن مصرف • وجبرئل مهموز مقصور مختلس وهي قراءة يحيى بن
ادم • وجبرال المقصور مشدد اللام من غير يا وهي قراءة يحيى بن يعمر • وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز
وهي قراءة ابن كثير • وجبريل بكسر الجيم والراء من غير همز وهي قراءة علي رضي الله عنه وابن المسيب والحسن واهل
البصرة والمدينة • وقد روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم • وجبريل بلغة السريانية عبد الله
فان جبر هو العبد وايل هو الله • وعن معاذ رضي الله عنه قال انما جبريل وميكائيل كقولك عبد الله وعبد
الرحمن وقيل جبريل ماخوذ من جبروت الله وميكائيل من ملكوت الله قوله تعالى فانه نزله على قلبك يعني فان
جبريل نزل القران كناية عن غير مذكور كقوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة وحتى توارت بالحجاب يعني
الشمس قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين
معناه من كان عدوا لهؤلاء فليكن وهذا على التهديد فان الله عدو للكافرين يعني اليهود وانما قال عدو للكافرين
ولم يقل عدو لهم لانه لو قال ذلك لم يعلم بذلك ان عداوة جبريل يكون كفرا بل كان يجوز ان يتوهم متوهم
ان عداوة جبريل يكون فسقا ولا يكون كفرا فازال الله هذا الاشكال • وفي ميكائيل اربع لغات ممدود

مشبع

مشبع على وزن ميكاعيل وهي قراءة اهل مكة والكوفة والشام • وميكائل ممدود مهموز مختلس مثل ميكاعل
وهي قراءة اهل المدينة • وميكئل مهموز مقصور على وزن ميكعل وهي قراءة الاعمش وابن محيصن وميكال بغير
همز وهي قراءة ابي عمرو • وميكائيل معناه عبيد الله ميك عبد وايل هو الله وكذلك اسرائيل وهذه اسما اعجمية
دفعت الى العرب فلفظت بها بالفاظ مختلفة • وانما عطف جبريل وميكائيل على الملائكة بعد دخولهما في اسم
الملائكة لفضيلتهما مثل قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية • ومعنى الاية من كان
عدوا لاحد من هؤلاء فان الله عدو له • والواو فيه بمعنى او يعني من كفر بالله او ملائكته او كتبه لان الكافر بالواحد
كافر بالكل فقال ابن صوريا يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه • وما انزل الله عليك من اية بينة فانزل الله قوله
تعالى ولقد انزلنا اليك ايات بينات اي واضحات مفصلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام
قوله تعالى وما يكفر بها الا الفاسقون وهم اليهود وغيرهم سمي الكفر فسقا لان الفسق الخروج من شيء الى شيء
واليهود خرجوا من دينهم بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم والفاسقون هم الخارجون عن امر الله قوله
تعالى اوكلما عاهدوا عهدا واو العطف دخلت عليها الف الاستفهام كما تدخل على الفا في قوله تعالى افانت
تسمع الصم فتتخذونه وذريته اولياء وعلى ثم كقوله اثم اذا ما وقع • قرا ابن سماك او كلما ساكنة الواو وعلى النسق
وكلما انتصب على الظرف قوله تعالى عاهدوا عهدا يعني اليهود • قال ابن عباس لما ذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم لهم ما اخذ الله عليهم وما عهد اليهم فيه قال مالك بن الصيف والله ما عهد الينا في محمد عهدا
ولا ميثاقا فانزل الله هذه الاية توضحه قراءة ابي رجاء العطاردي وكلما عوهدوا عهدا فجعلهم مفعولين
ودليل هذا التاويل قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس الاية • وقال
بعضهم هو ان اليهود عاهدوا لئن خرج محمد لنؤمنن به ولنكونن معه على مشركي العرب وينفوهم
عن بلادهم فلما بعث نقضوا العهد وكفروا به دليله قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق
لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله اي طرحه وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون صدق ما جاء به
النبي صلى الله عليه وسلم اي انهم يعلمون ذلك ولكنهم تجاهلوه كانهم لا يعلمون قوله تعالى نبذ فريق
من الذين اوتوا الكتاب يعني التورية كتاب الله يعني القران وقيل التورية ايضا لانهم اذا نبذوا القران

فقد نبذوا التورية • والنبذ الطرح • وقرا ابن مسعود نقضه فريق وقال عطا هي العهود التي كانت بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اليهود كفعل قريظة والنظير دليله قوله تعالى الذين عاهدت منهم ثم
ينقضون عهدهم في كل مرة فكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يعينوا عليه احدا فنقضوا
واعانوا مشركي قريش عليه يوم الخندق • وانما قال فريق منهم لان علماهم هم الذين نبذوا عنادا مع العلم به
وانما قال بل اكثرهم لان منهم من آمن وهو ابن سلام وكعب الاحبار وغيرهما والنبذ وراء الظهر مثل من يستخف بالشيء
ولا يعمل به يقول العرب جعل هذا خلف ظهرك وتحت قدمك ودبر اذنك اي تركه واعرض عنه قال الله تعالى
واتخذتموه وراءكم ظهريا • وانشد الزجاج • نظرت الى عنوانه فنبذته • كنبذك نعلا اخلفت من نعالكا •
قوله عز وجل واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان يعني اليهود وهو عطف على نبذ فريق كانه قال
نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين من السحر على ملك سليمن ومعنى ما تتلوا اي ما تلت قبلهم شياطين
الجن والانس على ملك سليمن اي على عهد ملك سليمان قيل معنى تتلو تكذب يقال فلان تتلى من فلان اذا صدق
في الحكاية عنه وتلا عليه اذا كذب عليه كما يقال قال عنه وقال عليه • وقال ابن عباس تتلوا اي تتبع
وتعمل وقال عطا تحدث وتتكلم به • وقرا الحسن الشياطون بالواو في موضع الرفع في كل القران • وسئل ابو
حامد الخارجي عن قراة الحسن هذه فقال هو لحن فاحش عند اكثر اهل الادب غير ان الاصمعي زعم انه سمع اعرابيا
يقول بستان فلان حوله بساتون • وقصة ذلك ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجات على لسان اصف
هذا ما علم اصف بن برخيا سليمن الملك ثم دفنوها تحت مصلاه حين نزع الله ملكه ولم يشعر بذلك سليمن
فلما مات عليه السلام استخرجوها من تحت مصلاه وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه واما
علماء بني اسرايل وصلحاؤهم فقالوا معاذ الله ان يكون هذا علم سليمان • واما السفلة فقالوا هذا علم
سليمان واقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب انبيائهم وقالوا انما تم ملكه بالسحر وبه سخر الجن والانس والطير
والرياح فلم يزالوا على ذلك لاختلاف وفشت الملامة لسليمن حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
وانزل عذره على لسانه واظهر براءته مما رمي به من الكفر تكذيبا لليهود فقال عز وجل وما كفر سليمان
ولكن الشياطين كفروا اي هم الذين كتبوا السحر وهم الذين يعلمونه الناس هذا قول الكلبي وقال السدي كانت

الشياطين تصعد الى السماء فتقعد منها مقاعد للسمع فيستمعون كلام الملئكة فيما يكون في الارض من موت
او من غيره فياتون الكهنة فيخلطون بما سمعوا كذبا وزودا في كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم
بذلك فالتفت الناس الى ذلك وفشا في بني اسرائيل ان الجن تعلم الغيب فبعث سليمان في الناس وجمع تلك الكتب
وجعلها في صندوق ودفنها تحت كرسيه وقال لا اسمع احدا يقول ان الشياطين يعلم الغيب الا ضربت عنقه
فلما مات سليمن وذهبت العلما الذين كانوا يعرفون امر سليمن فتمثل شيطان على صورة انسان فاتا
نفرا من بني اسرائيل وقال هل ادلكم على كنز قالوا نعم قال فاحفروا تحت الكرسي وذهب معهم فاراهم المكان
فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما اخذوها قال الشيطان ان سليمن كان يضبط الجن والانس والشياطين
بهذه الكتب وفشا في الناس ان سليمن عليه السلام كان ساحرا واتخذ بنو اسرائيل الكتب ولذلك اكثر ما يوجد
السحر في اليهود فلما جا محمد صلى الله عليه وسلم خاصمته اليهود بهذا فبرا الله سليمن وانزل هذه الاية
قوله تعالى وما كفر سليمن اي بالسحر فان السحر كفر ولكن الشياطين كفروا • قرا اهل الكوفة الا عاصما واهل الشام
بتخفيف النون ورفع الشياطين وكذلك في الانفال ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى • وقرا الباقون بالتشديد
ونصب ما بعده قوله تعالى يعلمون الناس السحر قال بعضهم السحر العلم والحذق بالشيء قال الله تعالى وقالوا يا
ايها الساحر اي العالم وقال بعضهم هو التمويه بالشيء حتى يتوهم انه شيء ولا حقيقة له كالسراب عن من راه
قال الله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى قوله تعالى وما انزل على الملكين ببابل محل ما نصب بايقاع
التعليم عليه معناه ويعلمون الذين انزل على الملكين ويجوز ان يكون نصبا بالاتباع اي واتبعوا ما انزل على
الملكين قرا ابن عباس والحسن والضحاك ويحيى وابن كثير بكسر اللام من الملكين وقال هما رجلان ساحران
كانا ببابل لان الملئكة لا يعلمون الناس السحر قوله تعالى ببابل هي بابل العراق قوله تعالى هاروت وماروت
اسمان سريانيان وهما في محل الخفض على تفسير الملكين بدلا منهما الا انهما فتحا لعجمتهما ومعرفتهما وكانت قصتهما
على ما حكاه ابن عباس والمفسرون ان الملئكة راوا ما يصعد الى السماء من اعمال بني ادم الخبيثة وذنوبهم
الكثيرة وذلك زمن ادريس عليه السلام فعيروهم بذلك وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الارض واخترتهم
فهم يعصونك فقال الله تعالى لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لارتكبتم ما ارتكبوا قالوا

الربع

سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض
فاختاروا هاروت وماروت وكانا من عباد الملئكة واصلحهم فركب الله فيهما الشهوة واهبطهما الى الارض
وامرهما ان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير حق والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين
الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا به الى السما • قال قتادة فما مر عليهما شهر حتى افتتنا
وذلك انه اختصم اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من اجمل النساء وكانت من اهل فارس ملكة في بلدها فلما راياها
اخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فابت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فابت وقالت
لا الا ان تعبدا ما اعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذا فان الله
تعالى نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي انفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها
عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلوة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم واهون الثلثة شرب
الخمر فشربا وانتشيا ووقعا بالمراة وزنيا فلما فرغا راهما انسان فقتلاه • قال الربيع بن انس وسجدا للصنم
فمسخ الله عز وجل الزهرة كوكبا • وقال الكلبي والسدي انها قالت لهما لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به
الى السما فقالا باسم الله الاكبر فقالت ما انتما مدركاني حتى تعلمانيه فقال احدهما للاخر علمها فقال اني اخاف الله قال
الاخر فاين رحمة الله فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السما فمسخها الله كوكبا فعلى قول هؤلاء هي الزهرة
بعينها وقيدوها فقالوا هي الكوكب الحمرا يدل على صحة هذا القول • ما روي عن علي رضي الله عنه قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا راى سهيلا قال لعن الله سهيلا انه كان عشارا باليمن واذا راى الزهرة قال لعن الله
الزهرة فانها فتنت ملكين • وكان ابن عمر رضي الله عنهما اذا راى الزهرة قال لا مرحبا ولا اهلا • وعن ابن عباس
ان المراة التي فتنت هاروت وماروت مسخت فهي هذه الكوكب الحمرا يعني الزهرة وانكر الاخرون هذا وقالوا ان
الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي اقسم الله بها فقال تعالى فلا اقسم بالخنس وانما المراة التي فتنت هاروت وماروت
كان اسمها زهرة من جمالها فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر هذه المراة لموافقة الاسمين
فلعنها وكذلك سهيل كان رجلا عشارا باليمن فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم ذكره فلعنه
والله اعلم • قال المفسرون فلما امسيا هاروت وماروت بعدما اصابا الذنب هما بالصعود الى السما فلم

نطاوعهما

نطاوعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس النبي صلى الله عليه وسلم فاخبراه بامرهما و
سالاه ان يشفع لهما وقالا انا راينا يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع اهل الارض فاشفع لنا
الى ربك ففعل ادريس فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا عذاب الدنيا اذ
علما انه ينقطع عنهما بابل يعذبان • واختلف العلما في عذابهما فقال ابن مسعود هما معلقان بشعورهما
الى يوم القيمة • وقال قتادة كبلا من اقدامهما الى اصول افخاذهما • وقال مجاهد ان جبا مليت نارا فجعلا
فيها • وقيل معلقان منكسان في السلاسل • وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد • وروي ان
رجلا اراد تعلم السحر فقصدهما فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة اعينهما مسودة وجوههما
ليس بين السنتهما وبين الماء الا قدر اربع اصابع وهما يعذبان بالعطش فلما راى ذلك هاله
مكانهما فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا من انت قال رجل من الناس قالا ومن اي امة انت قال
من امة محمد صلى الله عليه وسلم قالا او قد بعث محمد قال نعم قالا الحمد لله واظهرا الاستبشار
فقال الرجل ومم استبشاركما قالا انه نبي الساعة وقد دنا انقضا عذابنا قوله عز وجل وما يعلمان
من احد يعني الملكين ومن صلة اي لا يعلمان احدا السحر حتى ينصحاه اولا وينهياه ويقولا انما نحن فتنة
ومحنة فلا تكفر بتعلم السحر فيقولان له ذلك سبع مرات • قال السدي وعطا فان ابا الا التعلم قالا له
ايت هذا الرماد فبل فيه فيخرج منك نور ساطع في السما فتلك المعرفة وينزل شي اسود حتى يدخل
مسامعه يشبه الدخان وذلك غضب الله وقوله تعالى عز وجل انما نحن فتنة انما وحدها لانها
مصدر والمصادر لا تثنى ولا تجمع مثل قوله وعلى سمعهم وفي مصحف ابي وما يعلم الملكان من احد •
وتعلم السحر لا يكون اثما كمن يقول لرجل علمني ما الزنا وما السرقة فيقول هو كذا وكذا ولكنه
حرام فلا تفعله وهما كانا لا يصفان السحر لاحد حتى يقولا انما نحن اختبار وابتلاء للناس
فلا تكفر ايها المتعلم اي لا تتعلم العمل به • وعن عايشة رضي الله عنها قالت قدمت علي امراة من اهل دومة
الجندل تبغي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته لتساله عن شي دخلت فيه من امر السحر ولم
تعمل به فلما لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بكت حتى رحمتها وقالت اني اخاف ان اكون قد هلكت كان لي

زوج ففا بعنى فدخلت على عجوز فشكوت ذلك اليها فقالت ان فعلت ما امرك فاجعله يا تيك فلما كان
الليل جاتنى بكلبين اسودين فركبت احدهما وركبت الاخر فلم يكن كثيرا حتى وقفنا ببابل فاذا برجلين معلقين
بارجلهما فقالا ما جا بك قلت لنتعلم السحر فقالا انما نحن فتنة فلا تكفرى وارجعى فقلت لا قالا فاذهبى الى ذلك
التنور فبولى فيه فذهبت ففزعت ولم افعل فجئت اليهما فقالا لى فعلت قلت نعم قالا هل رايت شيئا قلت لا
قالا كذبت انك لم تفعلى ارجعى الى بلادك انما نحن فتنة فلا تكفرى فابيت فقالا اذهبى الى ذلك التنور فبولى
فيه فذهبت فاقشعر جلدى فرجعت اليهما فقلت قد فعلت قالا هل رايت شيئا قلت لا فقالا كذبت لم تفعلى
ارجعى الى بلادك فلا تكفرى فابيت فقالا اذهبى الى ذلك التنور فبولى فيه فرايت فارسا مقنعا بحديد خرج
منى حتى ذهب فى السما وغاب عنى حتى لم اره فجئتهما فقلت قد فعلت فقالا ما رايت قلت رايت فارسا مقنعا
بالحديد يخرج منى فذهب فى السماء حتى غاب قالا صدقت ذاك ايمانك خرج منك اذهبى فلما رايت انى
لا اريد شيئا الا كان سقط فى يدى وندمت والله يا ام المومنين ما فعلت شيئا قط ولا افعله ابدا قوله تعالى
فيتعلمون منهما ما يفرقون بين المرء وزوجه قيل معناه يعمل به الساحر فيكفر بالعمل فيقع الفرقة بينه وبين
زوجته بالردة اذا كانت مسلمة وقيل معناه يسعى بينهما بالنميمة والاغرا والافساد وتمويه الباطل لكى
يبغض كل واحد منهما صاحبه فيفارقه • قرا الحسن بين المرء بالتشديد وقرا الزهرى بضم الميم والهمزة
وقرا الباقون بفتح الميم والهمزة وما هم بضارين به اى بالسحر من احد اى احدا وقوله الا باذن الله اى بعلمه و
قضائه ومشيته قوله تعالى ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم اى يضرهم فى الاخرة ولا ينفعهم فى الدنيا • و
قيل معناه يضرهم ولا ينفعهم كلاهما فى الاخرة لان السحر كان ينفعهم فى دنياهم لانهم يتكسبون به قوله تعالى
ولقد علموا لمن اشتراه اى علمت اليهود لمن اشتراه اى لمن اختار السحر والكفر على الايمان ما له فى الاخرة من خلاق
اى من نصيب وقال الحسن من دين ولا وجه عند الله • وقال ابن عباس من قوام • وقيل من خلاص • قال امية
تدعون بالويل فيها لا خلاق لهم • الا السرابيل من قطر واغلال • اى لا خلاص لهم قوله تعالى ولبئس ما شروا به
انفسهم اى باعوا به انفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق وقيل لبئس ما باع المستعملون السحر به
انفسهم بعقوبة الاخرة وذهب جماعة الى ان قوله وما انزل على الملكين عطف على وما كفر سليمن فى معنى

النفى كانه قال لم ينزل على الملكين ولكن الشياطين هاروت وماروت واتباعهما يعلمون الناس السحر •
والغرض من هذه الاية ان تهتك اليهود وكذبهم وحملهم على اخذ السحر من الشياطين وادعوا انهم اخذوه من سليمان
وان ذلك اسم الله الاعظم ليكتسبوا به قوله تعالى ولو انهم امنوا واتقوا اى لو ان اليهود امنوا بمحمد صلى الله
عليه وسلم والقران واتقوا اليهودية والسحر لمثوبة من عند الله خير اى لكان ثواب الله خيرا لهم من
كسبهم بالكفر والسحر قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وذلك ان المسلمين كانوا يقولون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم راعنا يا رسول الله وارعنا سمعك يعنون من المراعاة وكانت هذه اللفظة
شيئا قبيحا باليهودية قيل كان معناها عندهم اسمع لا سمعت فلما سمعها اليهود اغتنموها وقالوا فيما بينهم
كنا نسب محمدا سرا فاعلنوا له الان بالشتم فكانوا ياتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم
فسمعها سعد بن معاذ رضى الله عنه ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود عليكم لعنة الله والذى
نفسى بيده يا معشر اليهود لان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن
عنقه قالوا اولستم تقولونها فانزل الله هذه الاية • يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا لكيلا تجد
اليهود سبيلا الى سب رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقيل معناها يا ايها الذين امنوا لا تقولوا
للنبى صلى الله عليه وسلم راعنا اى اسمع الينا نسمع اليك • وقيل ان اليهود قالوا للنبى صلى الله
عليه وسلم اسمع الى كلامنا حتى نستمع الى كلامك • فنهى الله عنه اذ لا يجوز لاحد ان يخاطب احدا من
الانبيا الا على وجه التوقير والاعظام قوله تعالى وقولوا انظرنا يحتمل ان يكون من النظر الذى هو الروية
ويحتمل ان يكون انتظرنا حتى تبين لنا ما تعلمنا • وقال مجاهد معناه فهمنا وقال بعضهم معناه بين لنا
وقوله تعالى واسمعوا اى اسمعوا ما تومرون به والمراد اطيعوا وقوله تعالى وللكافرين عذاب اليم
تفسيره قد تقدم قوله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير
من ربكم اى ما يتمنا الذين كفروا من يهود المدينة ونصارى نجران ولا مشركى العرب عبدة الاوثان
ان ينزل عليكم ايها المومنون من خير من ربكم من الوحى وشرايع الاسلام قوله تعالى ولا المشركين مجرور
فى اللفظ بالنسق على من مرفوع فى المعنى بفعله كقوله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طاير يطير بجناحيه

وقوله تعالى من خير من ربكم اى خير كما تقول ما اتانى من احد فمن فيه وفى اخوانه صله وهى كثيرة فى القران
قوله تعالى والله يختص برحمته من يشاء اى يختار برحمته للنبوة والاسلام من يشاء يختص بها
محمدا صلى الله عليه وسلم والاختصاص اوكد من الخصوص لان الاختصاص لنفسك والخصوص
لغيرك والله ذو الفضل العظيم على من اختصه بالنبوة والاسلام قوله عز وجل ما ننسخ من اية
او ننساها قيل سبب نزول هذه الاية ان اليهود كانوا يقولون حين حولت القبلة الى الكعبة ان كان
الاول حقا فقد رجعتم وان كان الثانى حقا فقد كنتم على الباطل • وقيل سببه ان اليهود كانوا ينكرون
نسخ الشرايع ويقولون ان النسخ سبب الندامة ولا يجوز ذلك على الله فنزلت هذه الاية ردا عليهم
وبين انه يدبر الامر كيف يشا ومعناه ما نبدل من اية او نتركها غير منسوخة نات بخير من المنسوخة
اى اكثر فى الثواب وقيل الين واسهل على الناس ومثلها فى المصلحة والثواب قيل ان قوله بخير منها مثل
الامر بالقتال فرض الله فى القتال ولما فرض فى الجهاد ان يكون كل مسلم بدل عشرة من الكفار وكان لا
يحل له ان يفر من عشرة كما قال الله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ثم نسخ بقوله الان
خفف الله عنكم الاية • ولم يقل احد ان بعض القران خير من بعض فى التلاوة والنظم اذ جميعه معجز •
واما قوله تعالى او مثلها فهو مثل اية القبلة جعل الله ثواب الصلوة الى الكعبة بعد النسخ مثل ثواب
الصلوة الى بيت المقدس قبل النسخ • وروى ان المشركين قالوا الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر
ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا ما هذا القران الا كلام محمد
يقوله من تلقاء نفسه وهو كلام ينا قض بعضه بعضا فانزل الله تعالى واذا بدلنا اية مكان اية
والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون • وانزل ايضا ما ننسخ من اية او ننساها نات
بخير منها او مثلها قوله تعالى ما ننسخ قرا ابن عامر ننسخ بضم النون وكسر السين ومعناه على هذه القراة نجعله
نسخة من قولك نسخت الكتاب اذا كتبته • وقرا الباقون ننسخ بفتح النون والسين وقوله او ننساها
قرا سعيد بن المسيب وشيبه ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى وننسها بضم النون وكسر السين
ومعناه نامر بتركها • وقرا ابى بن كعب او ننسك • وقرا عبد الله ما ننسك من اية او ننسخها • وقرا

سالم مولى ابى حذيفه او ننسكها • وقرا ابو حاتم او ننسها بالتشديد • وقرا الضحاك او تنسها بضم
التا وفتح السين • وقرا سعد بن ابى وقاص او تنساها بتا مفتوحة • وعن القسم بن ربيعة قال سمعت
سعد بن ابى وقاص يقرا او تنسها فقلت له ان سعيد بن المسيب يقرا او ننسها فقال ان القران لم ينزل على ال
المسيب قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم سنقرئك فلا تنسى واذكر ربك اذا نسيت • وقرا عمر
بن الخطاب وابن عباس وعطا وابن كثير وابو عمرو والنخعى او ننساها بفتح النون الاولى وفتح السين
وبعدها همزة مهموزة ومعناه نتركها يقال نسبت الشئ اذا تركته ومنه قوله تعالى نسوا الله فنسيهم اى
فتركهم وقيل معناه نوخرها فلا نبدلها ولا ننسخها يقال نسا الله فى اجله وانسا الله فى اجله ومنه النسية
فى البيع قوله تعالى نات بخير منها اى بما هو اسهل وانفع واكثر اجرا لا ان اية خير من اية لان كلام الله
واحد وكله خير وقوله او مثلها يعنى فى المنفعة والثواب قوله تعالى الم تعلم ان الله على كل شىء قدير
اى من النسخ والتبديل قادر قال الزجاج لفظه استفهام ومعناه تفهيم وتقرير قوله تعالى الم تعلم ان الله
له ملك السموات والارض اى الم تعلم يا محمد ان الله له ملك السموات والارض ومن فيهن وانه اعلم بوجوه
الصلاح فيما يتعبدهم من ناسخ ومنسوخ ومتروك وغير متروك ويجوز ان يكون هذا الخطاب للنبى
صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره كقوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النسا وقوله تعالى وما لكم من
دون الله من ولى ولا نصير يجوز ان يكون تطيبا لنفوس المومنين وبيان انه وليهم وناصرهم وانه ينصر
اياهم يغلبون من سواهم ويجوز ان يكون وعيدا لمن لا يومن بالناسخ والمنسوخ اى ليس لكم قريب ينفعكم ولا
مانع يمنعكم من عذاب الله تعالى قوله عز وجل ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل
قال ابن عباس نزلت فى عبد الله بن ابى امية المخزومى وفى رهط من قريش اتوا النبى صلى الله عليه وسلم و
قالوا يا محمد اجعل لنا الصفا ذهبا ووسع لنا ارض مكة وفجر الانهار خلالها تفجيرا ونحن نومن بك
وقالوا ايضا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب الى اخر الاية
فانزل الله هذه الاية ومعناها اتريدون والميم صلة وقيل معناها بل وسالوا رؤية الله كما سالها
السبعون رجلا من بنى اسرائيل موسى وقوله رسولكم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ومن

يتبدل الكفر بالايمان اى من يختر الكفر على الايمان ويستبدله به فقد ضل سواء السبيل اى اخطا قصد
الطريق قوله عز وجل ودّ كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا نزلت فى نفر من اليهود
قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد لم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا
الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال لهم عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فانى
عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا • وقال حذيفة واما
انا فقد رضيت بالله وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا
ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه بذلك فقال اصبتما الخير وافلحتما فانزل الله تعالى ودّ
كثير من اهل الكتاب لو يردونكم يا معشر المؤمنين من بعد ايمانكم كفارا نصب كفارا بالرد وقيل بالحال وقوله
تعالى حسدا اى حسدا لكم لتشريف الله اياكم عليهم بوضع النبوة فيكم بعد ما كانت فى بنى اسرائيل وانتصب
حسدا على المصدر اى يحسدونكم حسدا وقيل بنزع الخافض تقديره للحسد قوله تعالى من عند انفسهم راجع الى
ودّ كثير من اهل الكتاب لا الى قوله حسدا لان حسد الانسان لا يكون الا من قبله فكان الله تعالى بين ان
مودتهم ردكم الى الكفر لا لان دينهم يامرهم بذلك ولكن ذلك من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فى التورية
وساير الكتب ان محمدا صلى الله عليه وسلم صدق وان دينه حق وقيل معنى من عند انفسهم اى لم يامرهم
الله بذلك قوله تعالى فاعفوا واصفحوا حتى ياتى الله بامره اى اتركوهم واعرضوا عنهم حتى ياتى الله بامره
اى حتى ياذن الله لكم فى مقاتلتهم وسبيهم وينصركم عليهم وقد جاء الله تعالى بامره حين استقرت ايات
النبى صلى الله عليه وسلم ومعجزاته ولم يؤمنوا امر الله النبى بقتالهم بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر الاية الى قوله وهم صاغرون وغير ذلك من الايات فقتلوا بنى قريظة واجلوا بنى النضير
وقيل معناه حتى ياتى الله بامره قيام الساعة ويجازيهم باعمالهم قوله تعالى واقيموا الصلوة وآتوا
الزكوة لما امر الله تعالى بالصفح عن اليهود علم ان ذلك يشق على المسلمين فامرهم الله بالاستعانة على
ذلك بالصلوة والزكوة كما قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة قوله تعالى وما تقدموا لانفسكم من
خير تجدوه عند الله يعنى من طاعة وعمل صالح تجدوا ثوابه ونفعه عند الله وقيل اراد بالخير

المال

المال كقوله تعالى ان ترك خيرا ومعناه وما تقدموا لانفسكم من زكاة وصدقة التمرة واللقمة تجدوه
عند الله مثل احد • وفى الحديث اذا مات العبد قالت الناس ما خلف وقالت الملئكة ما قدم • روى ان
على بن ابى طالب كرم الله وجهه دخل المقابر فقال السلام عليكم يا اهل القبور اموالكم قسمت ودوركم
سكنت ونساؤكم نكحت فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم فهتف به هاتف وعليكم السلام ما اكلنا
ربحنا وما قدمنا وجدنا وما خلفنا خسرنا قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى قال الفراء اراد يهودا فحذفت الياء الزائدة وقال الاخفش هود جمع هائد مثل عائذ وعوذ
وحائل وحول وفى مصحف ابى الا من كان يهوديا او نصرانيا • ومعنى الاية قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من
كان يهوديا ولا دين الا اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ولا دين الا النصرانية فانزل
الله تعالى تلك امانيهم يجوز ان يكون تلك كناية عن الجنة ويجوز ان يكون عن المقالة وامانيهم اباطيلهم
بلغة قريش وقيل شهواتهم التى تمنوها على الله بغير الحق قل لهم يا محمد هاتوا برهانكم اى حجتكم على ذلك من
التورية والانجيل ان كنتم صادقين ثم قال الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا لهم بلى اى ليس كما قالوا
بل يدخل الجنة من اسلم وجهه لله اى من اخلص دينه لله وقيل من فوض امره الى الله وقيل من خضع و
تواضع لله واصل الاسلام الاستسلام وهو الخضوع والانقياد وانما خص الوجه لانه اذا جاد
بوجهه فى السجود لم يبخل بسائر جوارحه وقوله تعالى وهو محسن اى محسن فى عمله وقيل معناه وهو مؤمن
مخلص فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم اى فيما يستقبلهم من اهوال يوم القيمة ولا هم يحزنون على ما
خلفوا فى الدنيا لانهم يتيقنون بثوابهم عند الله قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى
ليست اليهود على شىء قال ابن عباس صدق كل واحد من الفريقين ولو حلف على ذلك ما حنث وليس احد من
الفريقين على شىء قوله تعالى وهم يتلون الكتاب اى وكلا الفريقين يقرؤن كتاب الله ولو رجعوا الى ما
معهم من الكتاب لما اختلفوا قوله تعالى كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم اى الذين ليسوا باهل كتاب
نحو المجوس ومشركى العرب يقولون ايضا لن يدخل الجنة الا من كان على ديننا وقيل اراد بالذين لا يعلمون اباءهم
الذين مضوا • وقال مقاتل هم مشركوا العرب قالوا فى محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ليسوا على شىء

من الدين ● وقال ابن جريج قلت لعطا كيف قال الذين لا يعلمون من هم قال امم كانت قبل اليهود والنصارى مثل
قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ونحوهم قالوا في انبيائهم ليسوا على شيء وان الدين ديننا قوله تعالى
فالله يحكم بينهم يوم القيمة اى يقضي بين اليهود والنصارى والمشركين يوم القيمة اى يريهم من يدخل الجنة
عيانا ومن يدخل النار عيانا قوله تعالى فيما كانوا فيه يختلفون يعني من الدين قوله تعالى ومن اظلم ممن منع
مساجد الله ان يذكر فيها اسمه نزلت هذه الاية في ططوس بن ستيبيانوس الرومي واصحابه وذلك انهم
غزوا بني اسرائيل فقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم وحرقوا التورية وخربوا بيت المقدس والقوا فيه
الجيف وذبحوا فيه الخنازير وكان خرابا الى ان بناه المسلمون في ايام عمر رضي الله عنه ولم يدخل بيت
المقدس بعد عمارتها رومي الا خائفا مستخفيا لو علم به لقتل ● وقال قتادة والسدي نزلت في بخت النصر واصحابه
غزوا اليهود وخربوا بيت المقدس واعانهم على ذلك ططوس الرومي واصحابه النصارى من اهل الروم
ذلك لبغضهم اليهود الا ان هذا يشبه الغلط والاول اظهر لانه لا خلاف ان بخت نصر قبل مولد عيسى
بدهر طويل والنصارى انما ينتمون الى عيسى عليه السلام فكيف يكونون مع بخت نصر ومعنى الاية ومن اظلم
اى ومن اكفر واعتى ممن منع مساجد الله يعني بيت المقدس ومحاريبه وقوله ان يذكر موضع ان نصب على انه
مفعول ثان لان المنع يتعدى الى مفعولين وان شئت جعلته نصبا بنزع الخافض اى بان يذكر وقوله وسعى
في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين وقال قتادة ومقاتل لم يدخل بيت المقدس احد
من النصارى الا متنكرا مسارقة لو قدر عليه عوقب ونهك ضربا ● قال السدي اخيفوا بالجزية ● وقال
اهل المعاني هذا خبر فيه معنى الامر يقول اجهضوهم بالجهاد لئلا يدخلها احد منهم الا خائفا من القتل
والسبي قوله تعالى لهم في الدنيا خزي اى عذاب وهوان وهو القتل والسبي ان كانوا حربا والجزية ان لم
يكونوا حربا قوله تعالى ولهم في الاخرة عذاب عظيم وهو النار ● قال عطا نزلت هذه الاية في مشركي مكة
واراد بالمساجد المسجد الحرام منعوا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين عن ذكر الله فيه وصدوهم
عنه عام الحديبية فعلى هذا سعيهم في خرابها هو المنع عن ذكر الله فيها لان عمارة المساجد باقامة
العبادات فيها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين يعني اهل مكة يقول الله افتحها عليكم حتى تدخلوها

وتكونوا

وتكونوا اولى بها ففتحها الله عليهم وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي الا
لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان فمنعوا منها فهذا خوفهم لهم في الدنيا خزي
اى ذل وقتل ونفي ولهم في الاخرة عذاب عظيم وقيل المراد بالاية جميع الكفار الذين منعوا المسلمين
من المساجد وكل موضع يتعبد فيه فهو مسجد ● قال عليه السلام جعلت لي الارض مسجدا فعلى
هذا تقديره ومن اظلم ممن خالف ملة الاسلام اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اى يظهر الاسلام
على جميع الاديان ولا يدخل الكفار المساجد الا خائفين بعد ان كانوا لا يتركوا المسلمين ان يدخلوا مساجدهم
قوله عز وجل ولله المشرق والمغرب قيل معناه لا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله ان تذكروه حيث
كنتم من ارضه ● وقال ابن عباس نزلت هذه الاية في نفر من الصحابة رضي الله عنهم في سفر قبل تحويل
القبلة الى الكعبة فاصابهم الضباب وحضرت الصلوة فتحروا القبلة فصلوا فمنهم من صلى قبل المشرق
ومنهم من صلى قبل المغرب فلما ذهب الضباب استبان لهم انهم لم يصيبوا فلما قدموا سالوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الاية ● وقال عبد الله بن عامر كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ليلة سوداء مظلمة فنزلنا منزلا فجعل الرجل ياخذ الاحجار فيعمل مسجدا يصلي فيه
فلما اصبحنا اذا نحن قد صلينا الى غير القبلة فانزل الله هذه الاية ● وقال عبد الله بن عمر نزلت
في صلوة المسافر يصلي حيث ما توجهت به راحلته تطوعا ● كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي على راحلته في السفر اينما توجهت به ● وقال عكرمة نزلت في تحويل القبلة الى الكعبة
لما صلى اليها المسلمون بعد ما كانت قبلتهم بيت المقدس قالت اليهود مرة يصلون هكذا ومرة يصلون
هكذا فانزل الله هذه الاية ● فان قيل لم قال المشرق والمغرب على التوحيد وله المشارق والمغارب
قيل لانه اخرجه مخرج الجنس كما يقال اهلك الناس الدينار والدرهم قوله تعالى فثم وجه الله
اى رضا الله كقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله اى لرضاه ● وقيل معناه فثم وجه الله اى علمه محيط بهم
وقيل معناه فاينما تولوا وجوهكم ايها المؤمنون في سفركم وحضركم فثم قبلة الله التي وجهكم اليها فاستقبلوها
يعني الكعبة ● وقال الكلبي معناه فثم الله تعالى يعلم ويرى والوجه صلة كقوله تريدون وجه الله اى تريدونه

بالدعا وقوله كل شيء هالك الا وجهه اى الا هو وقوله ويبقى وجه ربك اى ويبقى ربك قوله تعالى ان الله
واسع عليم قال الكلبي يعني واسع المغفرة • وقال ابو عبيدة الواسع الغني يقال فلان يعطي من سعة اى من غنا • و
قال الفرا الواسع الجواد الذي يسع عطاؤه كل شيء • وقيل الواسع الرحيم دليله ورحمتي وسعت كل شيء •
وقيل الواسع العالم الذي يسع علمه كل شيء قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض وقوله عليم اى عالم
بنيا تهم حيث ما صلوا ودعوا قوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه نزلت في يهود المدينة حيث قالوا
عزير بن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح بن الله وفي مشركي العرب حيث قالوا الملئكة بنات الله وقوله
سبحانه نزه نفسه قوله تعالى بل له ما في السموات والارض عبيد وملك اى من كان مالك السموات
والارض فان الاشيا تضاف اليه من جهة الملك قوله تعالى كل له قانتون اى مطيعون وهذا تاويل
لا يستغرق الكل فيكون لفظ عموم اريد به الخصوص ثم سلكوا في تخصيصه طريقين احدهما راجع الى
عزير والمسيح والملئكة وهذا قول مقاتل والطريق الثاني راجع الى اهل طاعته دون الناس اجمعين وهذا
قول ابن عباس والفرا • وقال بعضهم هو عام في جميع الخلق ثم سلكوا في الكفار طريقين احدهما ان ظلالهم
يسجد لله وتطيعه وهو قول مجاهد ودليله قوله تعالى يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمايل سجدا لله
وقال الله تعالى وظلالهم والثاني قالوا هذا في يوم القيمة قاله السدي وتصديقه قوله تعالى وعنت
الوجوه للحي القيوم • وقال عكرمة ومقاتل معنى الاية كل له مقرون بالعبودية • وقال ابن كيسان
قايمون بالشهادة واصل القنوت القيام وقيل مصلون دليله امن هو قانت اناء الليل وقيل داعون
وسمي دعا الوتر قنوتا لانه يدعوا قايما قوله عز وجل بديع السموات والارض اى مبتدعها ومنشيهما
على غير مثال سبق واذا قضى امرا اى اذا اراد شيئا فانما يقول له كن فيكون وهذه الاية والتي قبلها
جواب عن قول جماعة من النصارى ناظروا النبي صلى الله عليه وسلم في امر عيسى عليه السلام فقال
لهم النبي صلى الله عليه وسلم هو عبد الله ورسوله فقالوا هل رأيت خلقا من غير اب فانزل الله هذه
الاية وما قبلها جوابا لهم ومعناها ان الله مبتدع السموات والارض وخالقهما فاذا اراد امرا مثل
عيسى بغير اب او من غير ذلك فانما يقول له كن فيكون كما اراده • والابداع ايجاد الاشيا على غير مثال سبق

والبديع

والبديع فعيل بمعنى مفعل والبديع اشد مبالغة من المبدع قوله تعالى فيكون من رفعه فمعناه فهو يكون
ومن نصبه فعلى جواب الامر بالفا • فان قيل قوله كن خطاب للموجود او للمعدوم ولا يجوز الاول
لان الشيء الكاين لا يؤمر بالكون والثاني لا يجوز ايضا لان المعدوم لا يخاطب • قيل انما قال ذلك على
سبيل المثل لان الاشيا لسهولتها عليه وسرعة كونها بامره بمنزلة ما يقول له كن فيكون • وهذا مثل
قوله ايتيا طوعا او كرها لم يرد بهذا ان السماء والارض كانتا في موضع فقال لهما ايتيا فجاءا من ذلك الموضع
ولكن اراد به تكوينهما فعلى هذا معنى كن فيكون اى يريد فيحدث قوله تعالى وقال الذين لا يعلمون
لولا يكلمنا الله اراد بالذين لا يعلمون يهود المدينة وغيرهم من الكفار وقيل النصارى وقيل مشركوا العرب
قالوا هلا يكلمنا الله عيانا بانك رسوله او تاتينا اية اى علامة دالة على صدقك ونبوتك يعنون
قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الاية قال الله عز وجل كذلك قال الذين من قبلهم مثل
قولهم يعني اليهود الذين قالوا لموسى ارنا الله جهرة قوله تعالى تشابهت قلوبهم اى قلوب الاولين والاخرين
منهم في القسوة والكفر ويقال تشابهت قلوب المشركين واليهود والنصارى في القسوة والكفر قوله تعالى
قد بينا الايات لقوم يوقنون اى لمن ايقن وطلب الحق والايات مثل بيان بعث النبي صلى الله عليه وسلم
وصفته في التورية وانشقاق القمر واعجاز القران وغير ذلك قوله تعالى انا ارسلناك بالحق اى ارسلناك
يا محمد بالصدق من قولهم فلان محق في دعواه اذا كان صادقا دليله قوله تعالى ويستنبؤنك احق هو
اى صدق وقال مقاتل معناه لن نرسلك عبثا بغير شيء بل ارسلناك بالحق دليله قوله تعالى وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق وهو ضد الباطل • قال ابن عباس بالقران دليله قوله تعالى بل كذبوا
بالحق لما جاءهم وقال ابن كيسان بالاسلام دليله قوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل قوله تعالى بشيرا
ونذيرا اى بشيرا للمؤمنين بالثواب ونذيرا للكافرين بالعقاب وقوله ولا تسال عن اصحاب الجحيم اى لست
تسال في الاخرة عن اصحاب الجحيم كما قال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال فانما عليك البلاغ ومن فتح التا
فعلى النهي وتاويله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعري ما فعل ابواي فنزلت هذه الاية
وفيه قراتان الجزم على النهي وهي قراة نافع وشيبة والاعرج ويعقوب وقرا الباقون بالرفع على النفي

يعني ولست تسال عنهم وقرا ابي وما تسال وقرا ابن مسعود ولن تسال والجحيم والجحم والجحمة معظم النار قوله تعالى
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وذلك انهم كانوا يسالون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنه
ويطمعونه في ان تتبعوه ان هادنهم فانزل الله هذه الاية وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على طلب
رضاهم طمعا في ان يرجعوا الى الحق وقيل كانوا يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم المسالمه ويطمعونه في انه
ان هادنهم تسلموا فامر الله النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يعطيهم ما طلبوا من الهدنه فاخبر انهم لا يرضون عنه
بذلك وهم يهود اهل المدينة ونصارى نجران • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هذا في القبلة وذلك ان يهود المدينه
ونصارى نجران كانوا يرجون ان يصلي النبي صلى الله عليه وسلم الى قبلتهم فلما صرف الله القبلة الى الكعبة شق
عليهم وايسوا منه ان يوافقهم على دينهم فانزل الله هذه الاية ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم
اي دينهم وقبلتهم بيت المقدس قوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى اي الصراط الذي دعا الله اليه وهو الذي انت
عليه هو صراط الحق قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم اي ان اتبعت ملتهم وصليت الى قبلتهم بعد الذي جاءك
من العلم اي بعد ما ظهر لك ان الدين الله الاسلام وان القبلة قد حولت الى الكعبة ما لك من الله من ولي ولا نصير
اي ما لك من الله من ولي ينفعك ويحفظك عن عقابه ولا نصير يدفع مضرة عقابه عنك وهذا خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد به عامة الناس مثل قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وقد علم الله انه لا يشرك
وهذا كما يقال في المثل اياك اعني فاسمعي يا جارة قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته قال
ابن عباس نزلت في اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب وكانوا اربعين رجلا اثنان وثلثون من الحبشه
وثمانيه من رهبان الشام منهم بحيرا • وقال الضحاك هم من امن من اليهود عبد الله بن سلام وسعيه بن عمرو واسيد
واسد ابنا كعب وابن يامين وعبد الله بن صوريا • وقال عكرمة هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
هم المؤمنون عامة وقوله تعالى يتلونه حق تلاوته قال الكلبي يصفونه في كتبهم حق صفته لمن سالهم من الناس
وعلى هذا القول تكون الهاء راجعة على محمد صلى الله عليه وسلم وقال اخرون هي عايدة على الكتاب • واختلفوا
في معناه قال ابن مسعود يتلونه حق تلاوته اي يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويقراونه كما انزل ولا يحرفونه
عن مواضعه • وقال الحسن معناه يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون علم ما اشكل عليهم الى عالمه •

وقال مجاهد يتبعونه حق اتباعه قوله تعالى اولئك يؤمنون به اي بالقرآن ويقرون بمحمد صلى الله
عليه وسلم وقوله ومن يكفر به اي بالقران ويجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فاولئك هم الخاسرون
وهم كعب بن الاشرف واصحابه قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم تقدم تفسيره وفايدة
تكرار القصص والالفاظ ان الله تعالى اراد برحمته ان يشهر القصص في اطراف الارض ويلقيها في كل سمع ويثبتها في
كل قلب ويزيد الحاضرين افهاما فان القرآن نزل بلسانهم • ومن مذهبهم ان التكرار ارادة التوكيد وزيادة
الافهام قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن اي اختبر بما يعتبر من السنن وهي عشر خصال
خمس في الراس وهي المضمضه والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الراس • وخمس في الجسد التقليم
والختان والاستنجا بالما وحلق العانه ونتف الابط وقيل معناه ابتلاه الله بالمناسك التي يعتبر بها
وهي عرفة والمزدلفة والرمي والطواف والسعي وقيل ابتلاه بامر عظيم فصبر واحسن الظن بالله فاول
ذلك الكوكب والقمر والشمس ثم النار فجعلها عليه بردا وسلاما ثم بالهجرة من اهله وولده ثم بالختان
على راس ثمانين سنة ثم بذبح الولد فاتخذ الله خليلا وقوله تعالى فاتمهن اي عمل بهن ولم يترك منهن شيا
قوله تعالى اني جاعلك للناس اماما اي مقتدى بك قال ابراهيم ومن ذريتي اي ومن اولادي فاجعل ايمة
يقتدى بهم واصل الذرية الاولاد الصغار مشتق من الذر لكثرته وقيل من الذرء وهو الخلق وفيه
ثلث لغات ذريه بكسر الذال وهي قراة زيد بن ثابت وذرية بفتح الذال وهي قراة ابي جعفر وذريه بضم
الذال وهي قراة العامة قوله قال لا ينال عهدي الظالمين علم الله ان في ذريته الظالم والظالم
لا يصلح اماما وفيه ثلث قرات عهدي الظالمون بالواو وهي قراة ابن مسعود وعهدي الظالمين باسكان
اليا وهي قراة الاعمش وحفص وحمزة وعهدي بفتح اليا وهي قراة العامة • واختلفوا في هذا العهد
قال عطا رحمتي وقال الضحاك طاعتي ودليله قوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقال السدي نبوتي
وقال حذيفه اماني دليله قوله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم وقال ابو عبيدة اماني دليله قوله
تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم قال السدي ليس للظالم ان يطاع في ظلمه قوله تعالى واذ جعلنا البيت
مثابة للناس وامنا يعني جعلنا الكعبة مثابه اي مرجعا • وقال ابن عباس يعني معاذا وملجا وقال ابن جبير

ومجاهد والضحاك يثوبون اليه من كل جانب ويحجونه ولا يملون منه فما من احد قصده الا ويتمنا العود اليه •
وقال قتادة وعكرمة مجمعا • وقال طلحة مثابا يحجون اليه ويثابون عليه قوله تعالى وامنا وصف البيت والمراد به
جميع الحرم كما قال بالغ الكعبة والمراد الحرم لا الكعبة لانه لا يذبح فيها ولا في المسجد ومعنى وامنا اي ماءمنا
يامنون فيه قال ابن عباس فمن احدث حدثا خارج الحرم ثم جاء اليه امن من ان يهاج فيه اي لم يتعرض له ولكن
لا يبايع ولا يخالط ولا يوكل به فاذا خرج منه اقيم عليه الحد ومن احدث في الحرم اقيم عليه الحد فيه وهذا
كانوا يتوارثونه من زمن اسمعيل الى ايام النبي صلى الله عليه وسلم وكانت العرب في الجاهلية يعتقد ذلك في
الحرم ويستعظم القتل فيه كان لو رجل منهم يرى فيه قاتل ابيه فلا يتعرض له ومن الامن الذي جعل الله فيه اجتماع
الطير والكلب ولا يهيج الكلب الصيد ولا ينفر الصيد من الكلب حتى اذا خرجا منه عدا الكلب على الصيد وعاد
الصيد الى الهرب قوله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قرا شيبه ونافع وابن عامر والحسن واتخذوا بفتح
الخا على الخبر وقرا الباقون بالكسر على الامر • قال ابن كيسان ذكروا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالمقام
ومعه عمر رضي الله عنه فقال يا رسول الله اليس هذا مقام ابينا ابراهيم قال بلى قال افلا نتخذه مصلى قال لم يومر
بذلك فلم تغب الشمس من يومهم حتى نزل واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى • وعن انس بن مالك قال قال عمر رضي الله
عنه وافقني ربي في ثلث قلت لو اتخذت مقام ابراهيم مصلى فانزل الله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت
يا رسول الله انه يدخل عليك البر والفاجر فلو حجبت امهات المومنين فانزل الله اية الحجاب قال وبلغني شيء كان بين امهات
المومنين وبين النبي صلى الله عليه وسلم فاستقريتهن اقول لتكفن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
او ليبدلنه الله تعالى ازواجا خيرا منكن حتى اتيت على اخر امهات المومنين فقالت ام سلمه يا عمر اما في اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعظ نساءه حتى تعظهن فامسكت فانزل الله تعالى عسى ربه ان
طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن • واختلفوا في قوله تعالى من مقام ابراهيم قال النخعي الحرم كله مقام
ابراهيم وقيل المسجد كله مقام ابراهيم وقال قتادة ومقاتل والسدي هو الصلوة عند مقام ابراهيم امروا
بالصلوة عنده ولم يومروا بمسحه ولا بتقبيله • وقصة ذلك ما روي عن ابن عباس لما اتى ابراهيم عليه
السلام بابنه اسمعيل وامه هاجر فوضعهما بمكة ومضى مدة وتزوج اسمعيل امراة من جرهم استاذن

ابراهيم

ابراهيم سارة ان ياتي هاجر فاذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل فقدم ابراهيم وقد ماتت هاجر فقال
لامراة اسمعيل اين صاحبك قالت ليس هو ها هنا ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم فيصطاد فقال
لها ابراهيم هل عندك من ضيافة من طعام او شراب قالت لا فقال لها اذا جا زوجك فاقريه السلام
وقولي له فليغير عتبة بابه وذهب وجا اسمعيل فوجد ريح ابيه فقال لامراته هل جاك احد قالت
جاني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشانه قال فما قال لك قالت قال اقري زوجك السلام وقولي له يغير
عتبة بابه فطلقها وتزوج اخرى فلبث ابراهيم ما شا الله ثم استاذن سارة في زيارة اسمعيل فاذنت له و
اشرطت عليه ان لا ينزل فجا فقال لامراة اسمعيل اين ذهب صاحبك قالت يتصيد وهو يجي الان ان شا الله
فانزل يرحمك الله قال هل عندك ضيافة قالت نعم فجات باللبن واللحم فدعا فيهما بالبركة ولو جات يومئذ
بخبز بر وشعير او تمر لكانت اكثر ارض الله برا فقالت له انزل حتى اغسل راسك فلم ينزل فجاته بالمقام فوضعته
في شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقي اثر قدمه عليه فغسلت شق راسه الايمن ثم حولت المقام الى شقه
الايسر فغسلته وبقي اثر قدمه عليه فقال اذا جا زوجك فاقريه السلام وقولي له قد استقامت
عتبه بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح ابيه فقال لامراته هل جاك احد قالت نعم شيخ احسن الناس
وجها واطيبهم ريحا فقال كذا وقلت له كذا وغسلت راسه وهذا موضع قدمه على المقام قال ذاك
ابراهيم • قال انس بن مالك رايت في المقام اثر اصابعه وعقبه واخمص قدمه غير انه اذهبه مسح الناس
بايديهم • وروي عن عبد الله بن عمر انه قال اشهد بالله ثلث مرات اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا ان الله طمس نورهما لاضا ما بين المشرق
والمغرب • وقيل مقام ابراهيم الحج كله عرفة والمزدلفة والرمي • وقيل الحرم كله • وقيل الحجر المعروف الذي وضعته
امراة اسمعيل تحت قدمه فغابت رجله فيه وهذا من معجزات ابراهيم عليه السلام قوله عز وجل وعهدنا
الى ابراهيم واسمعيل اي امرناهما واوصيناهما ان طهرا بيتي اي مسجدي يعني الكعبة من الاوثان والنجاسات
وعن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اوحى الي ان انذر قومك ان لا يدخلوا بيتا من
بيوتي الا بقلوب سليمة والسنة صادقة وايد نقية وفروج طاهرة ولا يدخلوا بيتا من بيوتي ولاحد عندهم

الحج

مظلمة فانى العنه مادام قايما بين يدى يصلى حتى يرد تلك الظلامة الى اهلها فاكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويكون من اوليايى واصفايى • وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وسل سيوفكم ورفع اصواتكم وحدودكم وخصومتكم وبيعكم وشراكم وجمروها يوم جمعكم واجعلوا على ابوابها مطاهركم • وقرا الحسن وحفص وهشام ونافع بيتى بفتح اليا والباقون باسكانها واضافه الله عز وجل البيت الى نفسه تخصيصا وتفضيلا قوله تعالى **للطايفين** وهم الغربا وقوله تعالى **والعاكفين** اى المقيمين والمجاورين وقوله تعالى **والركع السجود** يعنى المصلين وقيل اراد بذلك جميع المسلمين وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله فى كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة ينزل على هل البيت ستون للطايفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين قوله تعالى **واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا امنا** يعنى مكة والحرم امنا من الجدب والقحط وقيل من الحرب قوله تعالى **وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر** لا يكون الا ويوجد فيه انواع الثمار فاحب ابراهيم ان لا ياكل طعام الله الا الموحدون فاعلمه الله انه لا يخلق خلقا الا يرزقه فذلك قوله تعالى **ومن كفر فامتعه قليلا** اى سارزقه فى الدنيا يسيرا فقيل خشى ابراهيم ان لا يستجاب له فى الرزق كما لم يستجب له فى الامامة فخص المومنين فى المسيلة للرزق فاعلمه الله ان المومن والكافر فى الرزق سوا وقوله تعالى من امن منهم فى موضع نصب بدل من اهله بدل البعض من كل كقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقوله تعالى ومن كفر فامتعه قليلا اى فسارزقه الى منتها اجله • قرا ابن عامر فامتعه بفتح الالف وجزم العين ثم اضطره موصولة الالف مفتوحة الرا على جهة الدعا من ابراهيم عليه السلام • والباقون بالتشديد وقوله تعالى **ثم اضطره الى عذاب النار** اى الجيه الى عذاب النار فى الاخرة وبيس المصير اى بيس المرجع يصير اليه • واختلفوا فى مكة هل كانت حرما امنا قبل دعا ابراهيم او انما صارت كذلك بدعايه قيل انما صارت كذلك لا بدعايه بدليل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال انى حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة والاصح انها كانت حرما امنا قبل دعايه بدليل قوله عليه السلام ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ووضعها بين الاخشبين اى جبلين فعلى هذا كانت امنا قبل دعايه من الخسف والاصطلام

لاهله وكان الله قد جعل فى قلوب الناس هيبة ذلك المكان حتى كانوا لا ينتهكون حرمة من كان فيه بمال ولا نفس ثم بدعاء ابراهيم صارت حرما امنا بان امر الله الناس بتعظيمه على السنة الرسل • والواو فى قوله ومن كفر دليل على اجابة الله دعوة ابراهيم خاصة قوله تعالى **واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل** قيل ان الله تعالى خلق موضع البيت قبل ان يخلق الارض بالفى عام وكان ربوة بيضا على الما فدحيت الارض من تحتها • فلما اهبط الله ادم الى الارض كان راسه يلمس السما حتى صلع واورث اولاده الصلع ونفرت من طوله دواب الارض وكان يسمع كلام اهل السما وتسبيحهم ويانس اليهم فاشتكت نفسه فنقصه الله الى ستين ذراعا بذراع ادم فلما فقد ادم ما كان يسمع من اصوات الملايكة وتسبيحهم واستوحش وشكى الى الله فانزل الله ياقوتة من ياقوت الجنة لها بابان من زمرد اخضر باب شرقى وباب غربى وفيه قناديل من الجنة فوضعه على موضع البيت الان ثم قال يا ادم انى اهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشى وتصلى عنده كما يصلى عند عرشى وانزل عليه الحجر ليمسح به دموعه وكان ابيض • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحجر ياقوتة من ياقوت الجنة ولولا ما مسه المشركون بانجاسهم ما مسه ذو عاهة الا شفاه الله تعالى فتوجه ادم من ارض الهند الى مكة ماشيا وقيض له ملك يدله على البيت • فقيل لمجاهد يا ابا الحجاج الا كان يركب قال واى شى يحمله فوالله ان خطوته مسيرة ثلثة ايام وكل موضع وضع عليه قدمه صار عمرانا وما تعداه صار مفاوز وقفارا فاتى مكة وحج البيت واقام المناسك فلما فرغ تلقته الملايكة فقالوا بر حجك يا ادم فلقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام • قال ابن عباس حج ادم اربعين سنة من الهند الى مكة على رجليه فكانت الكعبة كذلك الى ايام الطوفان فرفعها الله تعالى الى السما الرابعة فهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه الى يوم القيمة وبعث الله جبريل حتى خبا الحجر الاسود فى جبل ابى قبيس صيانة له عن الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام • ثم امر الله ابراهيم بعدما ولد اسمعيل واسحق عليهما السلام ان يبنى بيتا له يعبد ويذكر فيه فلم يدر ابراهيم اين يبنى فسال الله ان يبين له موضعه فبعث الله اليه السكينة لتدله على موضع البيت وهى

يح هوج لها راسان تشبه الحية فتبعها ابراهيم حتى اتيا مكة فجعلت السكينة تطوف على موضع البيت كما تطوف الحية وامر ابراهيم ان يبني حيث يستقر السكينة فبنا وهذا قول علي كرم الله وجهه • وقال ابن عباس بعث الله تعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يسير في ظلها الى ان وافت مكة ووقفت على موضع البيت ونودي يا ابراهيم ابن على ظلها لا تزيد ولا تنقص فبنا بحيالها • وقال بعضهم ارسل الله جبريل ليدله على موضع البيت وذلك قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت فبنا ابراهيم واسمعيل البيت كان ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة والملئكة ينقلون الحجارة من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا والجودي ولبنان وحرا • قيل ان قواعده من حرا فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسمعيل ائتني بحجر حسن يكون للناس علما فاتاه بحجر فقال ائتني بحجر احسن من هذا فمضى اسمعيل ليأتي بحجر فصاح ابو قبيس يا ابراهيم ان لك عندي وديعة فخذها فاخذ الحجر الاسود ووضعه مكانه • وقيل ان الله تعالى امد ابراهيم واسمعيل تسعة املاك يعينوهما على بنا البيت فلما فرغا من بنايه جثيا على الركب وقالا ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم فقيل قد فعل لكما فقالا ربنا واجعلنا مسلمين لك فقيل قد فعل لكما ذلك فقالا ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي موحدين مخلصين والقواعد هي اساس الكعبة كذا قال الكلبي وقوله تعالى انك انت السميع العليم اي بنياتنا قوله تعالى واجعلنا مسلمين لك قرا عوف مسلمين على الجمع وقوله تعالى ومن ذريتنا امة اي واجعل من ذريتنا امة مخلصة لك بالتوحيد والطاعة وارنا مناسكنا اي عرفنا متعبداتنا وشرايع ديننا واعلام حجنا واصل النسك العبادة ويقال للعابد ناسك وقرا ابن مسعود وارهم مناسكهم رده الى الامة وقرا قتادة وابن كثير وارنا بسكون الرا في جميع القران وقرا ابو عمرو باختلاس كسرة الرا وقرا الباقون بكسر الرا فاجاب الله دعاهما فبعث جبريل عليه السلام فاراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال يا ابراهيم عرفت قال نعم فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات قوله تعالى وتب علينا اي تجاوز عن ذنوبنا الصغاير لان ذنوب الانبيا لا يكون الا الصغاير وقوله تعالى انك انت التواب الرحيم اي المتجاوز الرجاع بالرحمة على عباده قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم اي في ذريتنا الامة المسلمة اي ذرية ابراهيم واسمعيل من اهل مكة وقوله رسولا منهم اي من اهل نسبهم يتلوا عليهم اياتك اي يقرا عليهم كتابك ويعلمهم الكتاب الذي ينزل عليه ومعانيه والحكمة اي فقه الحلال

انت صح

والحرام

والحرام وقال مجاهد فهم القران • وقال مقاتل هي مواعظ القران وبيان الحلال والحرام • وقال ابن قتيبة هي العلم والعمل ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما • وقال بعضهم كل كلمة وعظتك او زجرتك او دعتك الى مكرمة او نهتك عن قبيح فهي حكمة وقيل الحكمة وضع الاشيا مواضعها وقيل هي السنة البينة قوله تعالى ويزكيهم اي يطهرهم من الكفر والفواحش والدنس والذنوب وقيل يصلحهم باخذ زكوة اموالهم وقال ابن كيسان ان يشهد لهم يوم القيمة بالعدالة اذا شهدوا للانبيا بالبلاغ قوله تعالى انك انت العزيز الحكيم العزيز هو المنيع الذي لا يغلبه شي الحكيم الذي يحكم بما يريد • وقال ابن عباس العزيز الذي لا يوجد مثله دليله قوله ليس كمثله شي • وقال الكلبي العزيز المنتقم ممن شا دليله قوله تعالى والله عزيز ذو انتقام • وقال الكسائي العزيز الغالب دليله وعزني في الخطاب اي غلبني وقال ابن كيسان العزيز الذي لا يعجزه شي • وقال المفضل العزيز الممتنع الذي لا تناله الايدي ولا يرد له امر ولا غالب له فيما اراد وقيل العزيز هو القوي ذو القدرة دليله قوله فعززنا بثالث اي قوينا واصل العزة في اللغة الشدة يقال عز علي كذا اذا شق والمراد بالرسول في هذه الاية محمد صلى الله عليه وسلم وبالكتاب القران • روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى اخي عيسى يعني قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فاستجاب الله دعا ابراهيم عليه السلام وبعث فيهم محمدا سيد الانبيا كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني عند الله لخاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه هذا تحريض من الله على ملة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التي هي ملة ابراهيم لان ابراهيم واسمعيل كانا سالا في دعائهما ان يجعل الله من ذريتهما بمكة رسولا لان الكلام كان في ذكر مكة ولم يكن احد من اهل مكة من ذريتهما نبيا سوى محمد صلى الله عليه وسلم وملة ابراهيم داخلة في ملة نبينا محمد مع الزيادات التي في شرايع هذه الملة • وسبب نزول هذه الاية ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام وقال لهما قد علمتما ان الله قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فملعون فاسلم سلمة وابا مهاجر ان يسلم فانزل الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم اي يترك دينه وشريعته يقال رغبت في الشي

اذا اردته ورغبت عنه اذا تركته والرغبة فى اللغة محبة للنفس فيه منفعه ولهذا لا يجوز فى صفات الله
راغب قوله تعالى الا من سفه نفسه اى خسر وهلك • وقال الكلبى ضل من قبل نفسه وقال بعض اهل اللغة سفه
بمعنى سفّه وقيل سفه نفسه اى جهل نفسه بمعنى لم يفكر فى نفسه ان لها خالقا وقيل سفه فى نفسه الا انه حذف
الخافض فنصب مثل قوله ولا تعزموا عقدة النكاح اى على عقدة النكاح ويقال ضربته الظهر والبطن اى على الظهر
والبطن واصل السفه والسفاهة الجهل وضعف الراى قوله تعالى ولقد اصطفيناه فى الدنيا اى بالرسالة
واصل الطا فيه التا حولت طا لقرب مخرجهما ولتطوع اللسان به قوله تعالى وانه فى الاخرة لمن الصالحين اى الفايزين
قاله الزجاج وقيل المستوجبين للكرامة وقيل فى الاية تقديم وتاخير تقديره ولقد اصطفيناه فى الدنيا والاخرة
وانه لمن الصالحين نظيره فى سورة النحل واتيناه فى الدنيا حسنة وانه فى الاخرة لمن الصالحين قوله تعالى اذ قال له ربه
اسلم اى استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما كقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله اى اثبت على
علمك • وقال ابن عباس انما قال له ذلك حين خرج من السرب وراى الكوكب والقمر والشمس فالهمه الله الاخلاص
فاستدل وعرف وحدانية الله فاسلم حينئذ وقال انى برئ مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات
والارض الاية وليس انه كان حين افلت الشمس كافرا لان الله تعالى لا ينبئ من كان كافرا قط ويجوز ان يكون
معنى الاسلام تسليم الامور الى الله تعالى والانقياد له من غير امتناع وعصيان وقال الكلبى معناه اخلص
دينك لله بالتوحيد • وقال عطا سلم نفسك الى الله وفوض امورك اليه وقيل خضع واخشع قوله تعالى
قال اسلمت لرب العالمين ظاهر المعنى قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب قرا اهل المدينة والشام
واوصى بالالف وقرا الباقون بالتشديد وهما لغتان يقال وصيته ووصّيته اذا امرته مثل انزل ونزل
وقوله تعالى بها يعنى بكلمة الاخلاص لا اله الا الله • وقال ابو عبيد ان شئت رددت الكناية الى الملة لانه ذكر
ملة ابراهيم وان شئت رددتها الى الوصية • وقال المفضل بالطاعة كناية عن غير مذكور وكناية الملة
هنا اصح لان ردها الى المذكور اولى من ردها الى المدلول وكلمة الاخلاص مدلول عليها فى ضمن قوله تعالى
قال اسلمت لرب العالمين • وبنو ابراهيم اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومداين قوله تعالى ويعقوب قيل سمى
يعقوب لانه خرج على اثر العيص اخذا بعقبه وقد مضت قصتهما وقيل سمى يعقوب لكثرة عقبه • قال

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت على اثر ثمانية الاف نبى اربعة الاف من بنى اسرائيل ومعنى الاية ووصى بها
ايضا يعقوب بنيه الاثنا عشر • وحكى عن مجاهد انه حكى عن بعضهم ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه داخلا
فى جملة الموصين قوله تعالى يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين اى الاسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون اى
مومنون وقيل مخلصون وقيل محسنون بربكم الظن وقيل مفوضون • روى انه لما نزلت هذه الاية قالت
اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب يوم مات وصى بنيه بدين اليهودية فانزل الله
تعالى قوله تعالى ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اى اكنتم ايها اليهود حضورا حين حضر يعقوب الموت
اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم الخليل واسمعيل الصادق واسحق
الحليم والمراد بحضور الموت حضور اسبابه لان من حضره الموت لا يتمكن من القول وقد يسمى سبب الشى باسمه كما قال
تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها • وقال الكلبى معنى الاية ان يعقوب لما دخل مصر راى اهلها يعبدون الاوثان
والنيران فجمع اولاده وخاف عليهم ذلك فقال لهم ما تعبدون من بعدى • وقال عطا ان الله تعالى لم يقبض
نبيا حتى يخيره بين الحيوة والموت فلما خير يعقوب قال انظرنى حتى اسال اولادى واوصيهم فجمع اولاده
واولاد اولاده وقال لهم قد حضر اجلى فما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله ابائك الاية قرا يحيى
بن يعمر واله ابيك على التوحيد قال لان اسمعيل عم يعقوب لا ابوه وقرا العامة واله ابائك على الجمع
وقالوا عم الرجل صنو ابيه • وقال النبى صلى الله عليه وسلم للعباس هذا بقية ابائى والعرب تسمى
العم ابا كما تسمى الخالة اما قال الله تعالى ورفع ابويه على العرش يعنى يعقوب وليان وهى خالة يوسف
عليه السلام وقوله تعالى تلك امة قد خلت اى لا تتكلوا ايها اليهود على ابائكم واسلافكم اعتمادا منكم
على شفاعتهم فانهم جماعة قد مضت قوله تعالى لها ما كسبت ولكم ما كسبتم اى لها جزاء ما عملت من
خير او شر ولكم جزاء ما عملتم وقوله تعالى ولا تسالون عما كانوا يعملون اى انما تسالون عن اعمالكم
قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قال ابن عباس نزلت فى رؤس يهود المدينة كعب بن
الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وابى ياسر وفى نصارى نجران السيد والعاقب واصحابهما
خاصموا المسلمين فى الدين فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبيا وكتابنا التورية افضل الكتب وديننا

اى بعد موتى صح

افضل الاديان وكفرت بعيسى والانجيل ومحمد والقران وقالت النصارى نبينا عيسى افضل الانبيا وكتابنا
الانجيل افضل الكتب ودينا افضل الاديان وكفرت بمحمد والقرآن وقال كل واحد من الفريقين للمسلمين كونوا
على ديننا فلا دين الا ذلك دعوهم الى دينهم فقال الله تعالى قل بل ملة ابراهيم حنيفا مسلما اى مخلصا
مايلا عن كل دين سوى الاسلام وما كان من المشركين يعني ابراهيم عليه السلام والحنف ميل صابع القدمين
سمى ابراهيم حنيفا لانه حنف عما كان يعبد اباؤه اى عدل وقيل الحنف الاستقامة وانما سمى الرجل المعوج
احنف تفاولا كما يقال للاعمى بصير والفايدة فى ذكر ملة ابراهيم انه لا شك انه احق عندنا وعند اليهود
والنصارى ولم يختلف الناس ان ملته الاسلام والتوحيد • وقال ابن عباس الحنيف هو المايل عن الاديان
كلها الى دين الاسلام • وقال مقاتل الحنيف المخلص وانتصب حنيفا على القطع عند الكوفيين لان تقدير
بل ملة ابراهيم الحنيف فلما سقطت الالف واللام لم يتبع النكرة المعرفة فانقطع منه فنصب • وقال البصريون
انتصب على الحال قوله تعالى قولوا آمنا بالله الاية وذلك انه جا احبار اليهود الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا له بمن نؤمن من الانبيا فانزل الله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا يعني القرآن
وما انزل الى ابراهيم وهى عشر صحف واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط يعني اولاد يعقوب
واحدهم سبط سموا بذلك لانه ولد لكل واحد منهم جماعة من الناس وسبط الرجل حافده ومنه
قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط من بني اسرائيل كالقبايل من العرب
والشعوب من العجم فكان فى الاسباط انبيا فلذلك قال الله تعالى وما انزل اليهم وقيل هم بنوا يعقوب
من صلبه صاروا كلهم انبيا وقوله تعالى وما اوتى موسى يعني التورية وعيسى يعني الانجيل وما
اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم اى لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى
بل نؤمن بجميع انبيا الله وكتبه فلما نزلت هذه الاية قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم على
اليهود والنصارى وقال ان الله امرني بهذا فلما سمعت اليهود بذكر عيسى انكروا وكفروا وقالوا لا نؤمن
بعيسى وقالت النصارى ان عيسى ليس بمنزلة الانبيا ولكنه ابن الله فانزل الله تعالى قوله تعالى فان
امنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق اى فان امنوا بجميع ما امنتم به

كايمانكم

كايمانكم وقيل معناه فان امنوا بما امنتم به ومثل صلة وهكذا كان يقراها ابن عباس ويقول اقروا
فان امنوا بما امنتم به فليس لله مثل وقيل بمعنى على وقيل الباء زايدة ومعنى الاية ان امنوا بالله ورسله
وكتبه فقد اهتدوا وقوله وان تولوا اى وان اعرضوا عن الايمان بالقران ومحمد صلى الله عليه وسلم
فانما هم فى شقاق اى خلاف وعداوة يقال فلان وفلان يتشاقان اى اخذ كل واحد فى شق غير شق صاحبه
دليله قوله تعالى حاكيا عن شعيب ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي اى خلافي • وقيل ماخوذ مما اذا اخذ
كل واحد فيما يشق على صاحبه • وقال مقاتل فانما هم فى ضلال • وقال الكسائى معناه فانما هم فى خلع
الطاعة • وقال الحسن معناه فانما هم فى بعاد وفراق الى يوم القيمة • وقيل لما انتهى النبي صلى الله
عليه وسلم الى قوله تعالى وما اوتى موسى وعيسى قالت النصارى له نؤمن بموسى وعيسى ولا نؤمن
بك فانزل الله تعالى قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل
من قبل وان اكثركم فاسقون وانما اضاف الله الانزال الى اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وانما كان
الانزال على ابائهم لانهم كانوا جميعا يعملون ذلك فاضاف الانزال اليهم كما قالوا قولوا امنا بالله وما
انزل الينا اى الى نبينا قوله تعالى فسيكفيكهم الله يعني اليهود والنصارى اى فسيكفيكم الله يا محمد
وساير المسلمين شر اليهود والنصارى وهو السميع لاقوالهم العليم باحوالهم فكفاه الله امرهم
بالقتل والسبي فى بنى قريظة والجلا والنفى فى بنى النضير والجزية والذلة فى نصارى نجران قوله تعالى
صبغة الله اى دين الله وفطرته لان دين الاسلام يوثر فى المتدين من الطهور والصلوة والوقار وساير
شعاير الاسلام كالصبغ الذى يكون فى الثوب ولا شئ فى الاديان احسن من دين الاسلام قال الله تعالى
ومن احسن من الله صبغة وقيل اراد بالصبغة الختان • وروى ان صنفا من النصارى كان اذا ولد لهم
ولد واتى عليه سبعة ايام صبغوه اى غمسوه فى ماء لهم يقال له المعمودى ليطهروه بذلك وقالوا هذا
طهور مكان الختان فقيل لهم صبغة الله اى التطهير الذى امر الله به ابلغ فى النظافة • واول من
اختتن ابراهيم عليه السلام بالقدوم وهو موضع بالشام وكان يوميذ ابن ثمانين وعشرين
سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة ونصب صبغة على الاغرا اى الزموا صبغة الله او اتبعوا

معناه صح

وقال الاخفش هو بدل من قوله تعالى بل ملة ابراهيم • وقال ابن كيسان صبغة الله اى وجهة الله يعنى القبلة
وقال الزجاج معناه خلقة الله من صبغت الثوب اذا غيرت لونه وخلقته فيكون المعنى ان الله تعالى ابتدا
الخلقة على الاسلام دليله قول مقاتل فى هذه الاية فطرة الله اى دين الله ويوضحه قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه كما تنتجون البهيمة فهل تجدون
من جدعا حتى يكونوا انتم تجدعونها قالوا يا رسول الله ارايت من يموت وهو صغير قال الله اعلم بما كانوا
عاملين • وقال ابو عبيد معناه سنة الله قوله تعالى ونحن له عابدون اى مطيعون وقوله تعالى
قل اتحاجوننا فى الله وذلك ان اليهود كانوا يقولون نحن اهل الكتاب الاول والعلم القديم وكانوا
يقولون هم والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه فامر الله تعالى النبى صلى الله عليه وسلم بهذه
الاية اى قل لهم يا محمد اتحاجوننا فى الله اى اتجادلوننا وتخاصموننا • وقرا الاعمش والحسن اتحاجونا
بنون واحدة مشددة وقوله تعالى فى الله اى فى دين الله وذلك انهم قالوا ان الانبيا كانوا منا وعلى
ديننا ولم يكونوا من العرب فلو كنت نبيا لكنت منا على ديننا وقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اى لنا
ديننا ولكم دينكم وهذه الاية منسوخة باية السيف قوله تعالى ونحن له مخلصون اى موحدون •
قال عبد الواحد بن زيد سالت الحسن عن الاخلاص ما هو قال سالت حذيفة عن الاخلاص ما هو قال
سالت النبى صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ما هو قال سالت جبريل عن الاخلاص ما هو قال
سالت رب العزة عن الاخلاص ما هو فقال سر من سرى اودعته قلب من احببت من عبادى • وقال صلى الله
عليه وسلم ما بلغ عبد حقيقة الاخلاص حتى لا يحب ان يحمد على شىء من علم الله • وقال سعيد بن جبير
الاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله ولا يشرك به فى دينه ولا يرائى بعمله احدا • وقال الفضيل ترك
العمل من اجل الناس ريا والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله عنهما • وقال يحيى بن معاذ
الاخلاص تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم • وقال بعضهم هو ما لا يكتبه الملكان ولا يفسده
الشيطان ولا يطلع عليه الانسان وقيل هو ان لا تشوبه الافات ولا يتبعه رخص التاويلات وقيل
هو ان يستوى افعال العبد فى الظاهر والباطن وقيل هو ان يكتم حسناته كما يكتم سيئاته • وقال ابو

سليمن

سليمن للمرائى ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان فى الناس ويزيد فى العمل اذا اثنى عليه قوله
تعالى ام يقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قرا ابن عامر وحمزة
والكسائى وخلف وحفص بالتاء للمخاطبة التى قبلها قل اتحاجوننا والتى بعدها قل انتم اعلم ام الله • وقرا
الباقون بالياء اخبارا عن اليهود والنصارى ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا
او نصارى ومعنى الاية اتحاجوننا بقولكم كونوا هودا او نصارى تهتدوا وقولكم لن يدخل الجنة الا من
كان هودا او نصارى ام بقولكم ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى مع
علمكم بخلاف ذلك وهذا استفهام بمعنى التوبيخ فانهم كانوا يزعمون ان الدين الصحيح هو اليهودية
والنصرانية وان هؤلاء الانبيا تمسكوا بها بقول الله تعالى قل لهم يا محمد انتم اعلم ام الله فان الله تعالى
قد اخبر انهم كانوا مسلمين وانهم لم يكونوا يهودا ولا نصارى فقالوا اما هو كما قلت وانا على دين ابراهيم
وما انت برسول الله ولا على دينه فانزل الله تعالى قوله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعنى
علما اليهود والنصارى لانهم علموا ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا حنفاء مسلمين
وان رسالة نبينا حق بينه الله فى التورية والانجيل فكتموه حسدا وطلبا للرياسة قوله تعالى
وما الله بغافل عما تعملون يعنى من كتمان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته يجازيكم
عليه فى الاخرة قوله تعالى تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون
قد تقدم تفسيرها وفايدة التكرار ان القرآن انزل على لغة العرب ومن عادتهم ذكر الجواب الواحد فى اوقات
مختلفة لاغراض مختلفة يعدون ذلك فصاحة وانما يعاب تكرار الكلام فى مجلس واحد لغرض
واحد قوله تعالى سيقول السفهاء من الناس اى الجهال ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها اى ما صرفهم
وحولهم عن قبلتهم التى كانوا عليها يعنى بيت المقدس نزلت فى اليهود ومشركى مكة ومنافقى المدينة طعنوا
فى تحويل القبلة وقال مشركوا مكة قد تردد على محمد امره واشتاق الى مولده ومولد ابائه وقد توجه
نحو قبلتكم وهو راجع الى دينكم عاجلا فقال الله تعالى قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط
مستقيم اى لله المشرق والمغرب ملكا وخلقا والخلق عبيده يحولهم كيف يشاء • وكان النبى صلى الله عليه

وسلم يصلي بمكة الى الكعبة وربما كان يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس • فلما هاجر الى المدينة امر
بان يصلي الى بيت المقدس لئلا يكذبه اليهود لان نعته في التورية ان يكون صاحب القبلتين يصلي الى بيت
المقدس نحوا من سبعة عشر شهرا او ثمانية عشر شهرا ثم يامره الله تعالى بالتحويل الى الكعبة ليمتحن اهل
الاسلام فيظهر من يتبع الرسول من غيرنا فقيل اليهود • فلما حولت القبلة الى الكعبة بعد اقامة الحجة على
الكفار علم انهم يقولون في نسخ القبلة اشيا يوذون بها النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر الله تعالى
نبيه بما سيقولون في المستانف ليتعجل التسلي ويعرف ان ذلك من باب الوحي والغيب فكان كما اخبر الله
تعالى ومعناه سيقول السفهاء وهم اليهود وكفار مكة ما الذي صرف اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
عن قبلتهم بيت المقدس قل يا محمد لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى طريق قايم وهو الاسلام وقبلة
الكعبة وقوله تعالى قل لله المشرق والمغرب اي من كان مالك المشرق والمغرب لا يعترض عليه في جميع
ما يامر ويجوز ان يكون معناه ان الله خالق الاماكن كلها فليس بعض ما خلق اولى ان يجعل قبلة في العقل
من بعض فوجب لانتها الى امر الله باستقبال ما شاء الله قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اي عدلا وقيل
خيارا • يقال في صفة النبي صلى الله عليه وسلم هو اوسط قريش حسبا ويقال فلان وسيط في قومه
ووسيط في حسبه اي كامل سنته في الكمال ولان المتوسط في الامور لا يفرط فيغلو ولا يقصر فيضيع
فهذه الاية لم تغلوا في الانبيا كغلو النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله ولم يقصروا كتقصير اليهود حيث كذبوا
الانبياء وقتلوهم واصله ان خير الاشيا اوسطها قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس اي شهدا
للنبيين صلوات الله عليهم بالتبليغ وقد يقام على مقام اللام مثل قوله وما ذبح على النصب
اي للنصب وقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا اي ويكون محمد صلى الله عليه وسلم عليكم
شهيدا معدلا مزكيا لكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والاخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار
الامم الم ياتكم نذير فينكرون ويقولون ما جانا من نذير فيسال الانبيا عن ذلك فيقولون قد بلغناهم
فيسالهم البينة اقامة للحجة عليهم وهو اعلم بذلك • فيوتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون
لهم بالتبليغ فتقول الامم الماضية من اين علموا ذلك وبيننا وبينهم مدة مديدة فيقولون علمنا ذلك

باخبار

باخبار الله تعالى ايانا في كتابه الناطق على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوتى بالنبي صلى الله
عليه وسلم فيزكي امته ويشهد بصدقهم قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع
الرسول ممن ينقلب على عقبيه اي ما امرتك يا محمد بالتوجه الى بيت المقدس ثم بالتحويل عنها الى الكعبة
الا لنميز من يتبع الرسول ممن يرجع الى دينه الاول • وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي انت عليها وهي
الكعبة كقوله تعالى كنتم خير امة اي انتم الا لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة ممن ينقلب على عقبيه
فيرتد ويرجع الى قبلة الاولى قوله لنعلم اي ليستقر علمنا عندكم • وقيل معناه ليعلم محمد صلى الله عليه
وسلم فاضاف علمه الى نفسه تفضيلا وتخصيصا كقوله تعالى ان الذين يوذون الله قوله تعالى وان كانت
لكبيرة اي وان كان اتباع بيت المقدس ثم الانتقال الى الكعبة لشديدا الا على الذين حفظ الله قلوبهم
على الاسلام قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اي تصديقكم بالقبلتين وقيل معناه وما كان الله
ليفسد صلاتكم الى بيت المقدس وذلك ان حيي بن اخطب واصحابه من اليهود قالوا للمسلمين اخبرونا
عن صلاتكم الى بيت المقدس كانت هدى او ضلالة فان كانت هدى فقد تحولتم عنها وان كانت ضلالة
فقد دنتم الله بها وان من مات منكم عليها لقد مات على الضلالة فكان قد مات قبل التحويل الى الكعبة
سعد بن زرارة من بني النجار والبرا بن معرور من بني سلمة ورجال اخرون فانطلق عشايرهم الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك وقالوا ان الله تعالى قد حولك الى قبلة ابرهيم فكيف باخواننا
الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس
قوله تعالى ان الله بالناس لرءوف رحيم الروف شديد الرحمة وهو الذي لا يضيع عنده عمل عامل رحيم بهم
حين قبل طاعتهم ونعيدهم في كل وقت بما يصلح لهم والجمع بين الرافة والرحمة في الاية للتاكيد كما في قوله
الرحمن الرحيم • وفي روف ثلاث قراات مهموز مثقل وهي قراة شيبة ونافع وابن كثير وابن عامر وحفص واختار
ابو حاتم قال الشاعر نطيع رسولنا ونطيع ربا • هو الرحمن كان بنا روفا • ورؤف مثقل وغير مهموز وهي
قراة ابي جعفر • ورؤف مهموز مخفف وهي قراة الباقين واختاره ابو عبيد قال جرير • ترى للمسلمين عليك
حقا • كفعل الوالد الروف الرحيم • والرافة اشد الرحمة قوله عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السماء

وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام وددت ان الله تعالى صرفني عن قبلة اليهود
الى غيرها فقال جبريل انما انا عبد مثلك لا املك شيئا فاسال ربك ان يحولك عنها فارتفع جبريل وجعل
النبي صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء ان ياتيه جبريل بما سال فانزل الله هذه الاية
قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة امره الله ان يصلي
الى بيت المقدس ليكون اقرب الى تصديق اليهود له اذا صلى قبلتهم مع ما يجدون من صفته في التورية • فروي
انه صلى الله عليه وسلم صلى هو واصحابه نحو بيت المقدس سبعة عشر شهرا وكانت الكعبة احب القبلتين الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم • واختلفوا في السبب الذي كان لاجله يكره قبلة بيت المقدس ويهوى الكعبة
فقال ابن عباس لانها قبلة ابيه ابراهيم عليه السلام • وقال مجاهد من اجل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد في
ديننا ويتبع قبلتنا • وقال مقاتل لما امر الله النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي الى بيت المقدس قالت اليهود
يزعم محمد انه نبي وما نراه احدث في نبوته شيئا اليس يصلي الى قبلتنا ويستن بسنتنا فان كانت هذه نبوة
فنحن اقدم واوفر نصيبا فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وازداد شوقا الى الكعبة وقال
وددت ان الله تعالى صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فاني ابغضهم وابغض موافقتهم فقال جبريل عليه
السلام انما انا عبد مثلك ليس لي من الامر شيء فاسال ربك ثم عرج جبريل عليه السلام فجعل النبي
صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء ان ينزل جبريل بما يحب من امر القبلة فانزل الله تعالى قد نرى
تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها اي فلنحولنك الى قبلة تحبها وتهواها فول وجهك
شطر المسجد الحرام اي نحوه وقصده فهو نصب على الظرف وقيل شطر الشيء نصفه فكان الله امره ان يحول
وجهه الى نصف المسجد الحرام والكعبة في النصف منه من كل جهة قوله تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره اي اينما كنتم من بر او بحر او سهل او جبل او شرق او غرب فولوا وجوهكم نحوه فحولت القبلة في رجب
بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين • قال مجاهد نزلت الاية ورسول الله صلى الله عليه وسلم
في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة فاستقبل الميزاب فسمي ذلك

بهذا صح

المسجد مسجد القبلتين • فلما حولت القبلة الى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما امرت وما هو الا شيء تبتدعه
من نفسك فتارة تصلي الى بيت المقدس وتارة تصلي الى الكعبة فلو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا
الذي كنا ننتظره فانزل الله تعالى قوله تعالى وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم يعني امر الكعبة
وانها قبلة ابراهيم ان اليهود والنصارى ليعلمون ان استقبال الكعبة حق من ربهم لان نعت النبي صلى الله عليه
وان صح
وسلم في التورية ان يكون صاحب القبلتين ثم هددهم فقال عز وجل وما الله بغافل عما تعملون
اي لا يخفى عليه جحودهم قوله تعالى ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك يعني اليهود
المدينة ونصارى نجران فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ايتنا باية كما اتى بها الانبياء قبلك فانزل الله
هذه الاية وقوله ما تبعوا قبلتك يعني الكعبة وقوله وما انت بتابع قبلتهم اي وما انت بمصل الى قبلتهم
بعد التحويل وما بعضهم بتابع قبلة بعض لان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى تستقبل المشرق
قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم اي ان صليت الى قبلتهم واتبعت ملتهم من بعد ما جاءك من العلم
انها حق وانها قبلة ابراهيم انك اذا لمن الظالمين اي الجاحدين الضارين لانفسهم وهذا وعيد على معصية
علم الله لانها لا يقع منه كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وقد علم الله انه لا يشرك قوله تعالى الذين اتيناهم
الكتاب يعني مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه يعرفونه اي يعرفون محمدا صلى الله عليه
وسلم كما يعرفون ابناءهم من بين الصبيان • وروي عن ابن عباس انه قال لما قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة قال عمر رضي الله عنه لعبد الله بن سلام قد انزل الله على نبيه عليه السلام
الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم كيف يا عبد الله هذه المعرفة قال يا عمر لقد عرفته فيكم
حين رايته كما اعرف ابني اذا رايته مع الصبيان يلعب وانا اشد معرفة لمحمد صلى الله عليه وسلم
مني لابني فقال عمر وكيف ذلك قال اشهد انه رسول الله حق من الله تعالى وقد نعته الله في كتابنا فقال له
عمر وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت واصبت قوله تعالى وان فريقا منهم ليكتمون الحق مثل كعب
بن الاشرف واصحابه يكتمون الحق يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وامر الكعبة وهم يعلمون ان
ذلك حق • روي ان عبد الله بن سلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الاية كنت

يا رسول الله اشد معرفة لك منى بابنى قال له وكيف ذلك قال لانى اشهد ان محمدا رسول الله صلى الله
عليه وسلم حقا يقينا ولا اشهد بذلك لابنى لانى لا ادرى ما احدثت النسا فقال له عمر وفقك الله
يا عبد الله قوله تعالى الحق من ربك اى هذا القرآن حق ● وقيل جاك الحق من ربك يا محمد ان الكعبة قبلة
ابراهيم تعلمها اليهود وقراء على رضى الله عنه الحق نصبا على الاغرا قوله تعالى فلا تكونن من الممترين اى
لا تكونن من الشاكين فى امر القرآن والقبلة والخطاب فى هذه الاية للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به
غيره وكذلك كل ما ورد عليك من هذا فهذا سبيله قوله تعالى ولكل وجهة هو موليها اى لكل ملة
من اليهود والنصارى قبلة هو موليها اى مستقبلها ومقبل اليها يقال وليته ووليت اليه اذا اقبلت اليه
ووليت عنه اذا ادبرت عنه ● وقيل معناه الله موليها اى يولى اهل كل ملة القبلة التى يريدونها وقراء
ابن عباس وابن عامر وابو رجا ولكل وجهة هو مولاها اى مصروف اليها وفى حرف ابى ولكل قبلة هو موليها
وفى حرف عبد الله ولكل جعلنا قبلة هو موليها قوله تعالى فاستبقوا الخيرات اى فبادروا بالطاعات
ايها المسلمون فقد ظهر لكم الحق واستبقوا الى اوامر الله وطاعته مبادرة من يطلب الاستباق اليها وتقدير
فاستبقوا الى الخيرات فحذف الخافض كقول الشاعر ● ثناى عليكم يا ابن حرب ومن يمل ● سواكم فانى مهتد غير مايل
يعنى ومن يمل الى سواكم قوله تعالى اينما تكونوا يات بكم الله جميعا اى اينما تكونوا انتم واهل الكتاب يقبض
الله ارواحكم ويجمعكم للحساب فيجزيكم باعمالكم وان كانت قد تفرقت بكم البقاع والملل وقيل هذا
خطاب للمؤمنين الذين قد سبق فى علم الله انهم يصلون الى الكعبة ومعناه اينما تكونوا فى شرق الارض
وغربها فى صلب الابا وارحام الامهات يجمعكم الله تعالى على هذه القبلة قوله تعالى ان الله على كل
شىء قدير اى من الخلق والبعث والحساب وغير ذلك قوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر
المسجد الحرام هذا تاكيد لامر التحويل الى الكعبة وبيان انه لا يتغير بنسخ كما تغير بيت المقدس ● وحيث مبنى
على الضم مثل منذ وقط وقيل رفع على الغاية مثل قبل وبعد وقرا عبيد بن عمير ومن حيث بالنصب
قال لانها ساكنة فى الاصل واذا اجتمع ساكنان حرك الثانى الفتح لانه اخف الحركات مثل ليت وكيف قوله
تعالى وانه للحق من ربك اى الامر بالتوجه الى الكعبة لصدق من ربك قوله تعالى وحيث ما كنتم فولوا

وجوهكم شطره بيان ان حكم النبى صلى الله عليه وسلم وامته فى التوجه الى الكعبة فى السفر والحضر
سوا لانه كان يجوز ان يظن ظان ان الفرق بين المسافر والمقيم كالتنفل على الراحلة فبين الله تعالى ان
المسافر كالمقيم فى التوجه قوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة اى لئلا يكون لليهود عليكم
حجة لان المسلمين لو لم يصلوا الى الكعبة لكان ذلك مخالفة للبشارة السابقة فيكون ذلك حجة لهم
بان يقولوا ليس هو النبى المبشر به قوله تعالى الا الذين ظلموا منهم اى لا يحاجكم احد الا من ظلم فيما وضح له
واحتج بغير الحق واراد بالذين ظلموا قريشا واليهود وكانت حجة قريش الباطلة ان قالوا انما رجع الى
الكعبة لانه علم انها قبلة آبائه وهو الحق وكذا يرجع الى ديننا ويعلم انه حق ● واما اليهود فانهم يقولون
ان كانت قبلتنا ضلالة فقد صليت اليها سبعة عشر شهرا وان كانت هدى فقد انصرفت عنها ●
وقيل لان اليهود يقولون ان محمدا لم ينصرف عن بيت المقدس مع علمه بانه حق الا انه انما يفعل برايه و
يزعم انه امر به ● وقيل ان من حجة مشركى مكة انهم قالوا لما صرفت القبلة الى الكعبة ان محمدا قد تحير
فى دينه فتوجه الى قبلتنا وعلم اننا اهدى سبيلا منه وانه لا يستغنى عنا ويوشك انه يرجع الى ديننا
كما رجع الى قبلتنا فاجابهم الله تعالى بهذه الاية لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم نفى
ان لا يكون لاحد حجة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لسبب تحويلهم الى الكعبة الا الذين
ظلموا من قريش فان لهم قبلهم حجة لما ذكرنا ومعنى الحجة الخصومة والجدال والدعوى الباطلة كقوله لا حجة
بيننا وبينكم اى لا خصومة وقوله اتحاجوننا فى الله وليحاجوكم وحاججتم كلها بمعنى المخاصمة والمجادلة
لا بمعنى الدليل والبرهان وموضع الذين نصب بنزع الخافض تقديره الا للذين ظلموا ● وقال الفرا موضعه
نصب بالاستثنا وانما قال منهم ردا الى لفظ الناس لانه عام وان كان كل واحد منهم غير الاخر ● وقال بعضهم
هذا استثنا منقطع من الكلام الاول ومعناه لئلا يكون للناس كلهم عليكم حجة اللهم الا الذين ظلموا فانهم
يحاجونكم بالباطل ويجادلونكم بالظلم وهذا كما يقول فى الكلام للرجل الناس كلهم لك حامدون الا الظالم
لك وكقولهم للرجل ما لك عندى حق الا ان تظلم وما لك حجة الا الباطل ● وقال ابو روق معنى الاية لئلا
يكون للناس يعنى اليهود عليكم حجة وذلك انهم قد عرفوا ان الكعبة قبلة ابراهيم عليه السلام وقد كانوا

وجدوا فى التورية ان محمدا صلى الله عليه وسلم يحوله الله اليها لئلا يكون لهم حجة فيحتجوا بان النبى
صلى الله عليه وسلم الذى نخبر سيحول اليها ولم تحول انت فلما حول النبى صلى الله عليه وسلم ذهبت
حجتهم ثم قال الا الذين ظلموا منهم يعنى لا ان نظلموكم فيكتموا ما عرفوا من ذلك • وكان ابو عبيدة يقول الا ههنا بمعنى
ولا كانه قال لئلا يكون للناس عليكم حجة ولا الذين ظلموا والذين ظلموا لا تكون لهم حجة قال الشاعر • وكل اخ
مفارقة اخوه • لعمر ابيك الا الفرقدان • يعنى والفرقدان ايضا يفترقان • وقال اخر • ما بالمدينة دار غير واحدة
دار الخليفة الا دار مروانا • يعنى ولا دار مروان وانما حسن ذلك بعد قوله غير واحدة قوله عز وجل فلا تخشوهم
واخشونى اى لا تخشوا الكفار فى انصرافكم الى الكعبة وفى تظاهرهم عليكم فى المحاجة والمحاربة فانى وليكم اظهركم
عليهم بالحجة والنصر واخشونى فى تركها ومخالفتها قوله تعالى ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون عطف على
قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة اى ولكى اتم نعمتى عليكم بهدايتى اياكم الى قبلة ابراهيم عليه السلام فتتم لكم
الملة الحنيفية • وقال على كرم الله وجهه تمام النعمة الموت على الاسلام • وروى عنه انه قال النعم ستة الاسلام
والقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم والستر والعافيه والغنا عما فى ايدى الناس قوله تعالى ولعلكم تهتدون
من الضلالة قوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا هذه الكاف للتشبيه ويحتاج الى شئ يرجع اليه • واختلفوا
فيه فقال بعضهم هو راجع الى ما قبله تقديره فلا تخشوهم واخشونى ولاتم نعمتى عليكم كما ارسلت فيكم رسولا
منكم فيكون ارسال الرسول مؤديا باتمام النعمة والاية خطاب للعرب اى ولاتم نعمتى عليكم كما ابتدا ان النعمة
بارسال رسول منكم اليكم لان اختياره من العرب نعمة عظيمة وشرفهم واستدعا الى الاسلام لانه لو اختار
من العجم لكانت العرب مع عزتها ونخوتها لا تتبعه قوله تعالى يتلوا عليكم اياتنا يعنى القرآن ويزكيكم اى يصلحكم
باخذ زكاتكم ويامركم باشيا تكونوا بها ازكيا ويعلمكم الكتاب والحكمة اى القرآن والفقه والمواعظ و
معرفة التاويل والسنة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من الاحكام وشرايع الاسلام واقاصيص الانبيا واخبارهم
ما لم تكونوا تعلمون قبل رسالته ويعنى بهذا الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل فاذكرونى
اذكركم متصل بما قبله اى كما انعمنا عليكم برسالة رجل منكم اليكم فاذكرونى ومعنى الاية قال ابن عباس فاذكرونى
بالطاعة اذكركم بمعونتى وقال ابن جبير معناه اذكرونى بطاعتى اذكركم بمغفرتى • وقال الفضيل اذكرونى

اى لعلكم تهتدوا صح

بطاعتى

قلّ ثم

بطاعتى اذكركم بثوابى • روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من اطاع الله فقد ذكر الله وان قلت صيامه
وصلاته ومن عصى الله فقد نسى الله وان كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن • وقيل معناه اذكرونى
بالتوحيد والايمان اذكركم بالدرجات والجنان • وقال ابو بكر رضى الله عنه كفى بالتوحيد عبادة وكفى
بالجنة ثوابا • وقال ابن كيسان معناه اذكرونى بالشكر اذكركم بالزيادة • وقيل اذكرونى على ظاهر الارض اذكركم
فى بطنها • وقال الاصمعى رايت اعرابيا واقفا يوم عرفة بعرفات وهو يقول الهى عجت اليك الاصوات بضروب
اللغات يسئلونك الحاجات وحاجتى اليك ان تذكرنى عند البلاء اذا نسينى اهل الدنيا • وقيل معناه اذكرونى
فى الدنيا اذكركم فى العقبى • وقيل اذكرونى بالطاعات اذكركم بمعافات دليله قوله تعالى من عمل صالحا
من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة • وقيل معناه اذكرونى فى الخلاء والملاء اذكركم فى الخلاء
والملاء • بيانه ما روى فى الخبر ان الله تعالى قال فى بعض الكتب انا عند ظن عبدى بى فليظن بى عبدى ما شا
فانا معه اذا ذكرنى فمن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منه ومن تقرب
الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن اتانى مشيا اتيته هرولة ومن اتانى
بقراب الارض خطيئة اتيته بمثلها مغفرة بعد ان لا يشرك بى شيئا • وقيل معناه اذكرونى فى الرخا اذكركم فى الشدة
والبلاء • وقيل اذكرونى بالتسليم والتفويض اذكركم باصلح الاختيار دليله قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو
حسبه • وقيل اذكرونى بالشوق والمحبة اذكركم بالوصل والقربة • وقيل اذكرونى بالتوبة اذكركم بغفران
الحوبة • وقيل اذكرونى بالدعا اذكركم بالعطا اذكرونى بالسوال اذكركم بالنوال اذكرونى بلا غفلة اذكركم
بلا مهلة اذكرونى بالندم اذكركم بالكرم اذكرونى بالمعذرة اذكركم بالمغفرة اذكرونى بالارادة اذكركم
بالافادة اذكرونى بالاخلاص اذكركم بالخلاص اذكرونى بالقلوب اذكركم بكشف الكروب اذكرونى بلا نسيان
اذكركم بالامان اذكرونى ذكرا فانيا اذكركم ذكرا باقيا اذكرونى بصفاء السر اذكركم بخالص البر اذكرونى
بالصفو اذكركم بالعفو اذكرونى بالتعظيم اذكركم بالتكريم اذكرونى بالمناجاة اذكركم بالنجاة اذكرونى بترك
الجفا اذكركم بحفظ الوفا اذكرونى بالجهد فى الخدمة اذكركم باتمام النعمة اذكرونى بالاستغفار اذكركم
بالاعتذار اذكرونى بالاعتراف اذكركم بمحو الاقتراف ولذكر الله اكبر • قال سفين ابن عيينة ان الله عز

بالتكريم صح

وجل قال لقد اعطيت عبادي ما لو اعطيت جبريل وميكائيل كنت قد اجزلت لهما قلت اذكروني اذكركم وقلت
لموسى قل للظلمة لا يذكروني فاني اذكر من ذكرني وان ذكري اياهم ان العنهم • قال ابو عثمن النهدي اني لاعلم
حين يذكرني ربي قيل كيف ذلك قال ان الله تعالى قال فاذكروني اذكركم فاذا ذكرت الله ذكرني قوله تعالى
واشكروا لي ولا تكفرون اي اشكروا لي نعم الدنيا والدين ولا تكفروا نعمتي واحساني اليكم قوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين اي استعينوا على ما الزمتكم من عبادة وشكر
بالصبر على اداء الفرايض واجتناب المحارم وبالمواظبة على الصلوة والاستكثار منها ان الله مع الصابرين
على اداء الفرايض قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء نزلت في قتلى بدر من
المسلمين وكانوا اربعة عشر رجلا وثمانية من الانصار وستة من المهاجرين كان الناس يقولون للرجل يقتل
في سبيل الله مات فلان وكان الكفار يقولون للشهداء على طريق الطعن ان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
يقتلون انفسهم في الحرب بغير سبب ثم يموتون فيذهبون فنهى الله المسلمين ان يقولوا مثل هذا القول
ونبه على ان ذلك كذب بقوله بل احياء • واختلفوا في حيوتهم والصحيح انهم اليوم احياء على الحقيقة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارواح الشهداء في اجواف طير خضر تسرح في رياض الجنة وتاكل
وتشرب من انهارها وتاوي بالليل الى قناديل من نور معلقة بالعرش • وقال الحسن ان الشهداء احياء عند الله
يصل اليهم الروح والفرح • وقيل ان مساكن الشهداء سدرة المنتهى وقال صلى الله عليه وسلم يعطى
الشهيد ست خصال عند اول قطرة من دمه يكفر عنه كل خطيئة ويرى مقعده من الجنة ويزوج من الحور العين
ويومن من الفزع الاكبر ومن عذاب القبر ويحلى حلية الايمان قوله تعالى ولكن لا تشعرون اي لا يشعرون انهم
كذلك قوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع اي ولنختبرنكم يا امة محمد بشيء من الخوف يعني خوف العدو
والفزع في القتال وقحط السنين وقلة ذات اليد ونقص من الاموال اي هلاك المواشي وذهاب الاموال
وقوله تعالى والانفس اراد به الموت والقتل والامراض قوله تعالى والثمرات اي لا تخرج الثمار والزرع
كما كانت تخرج من قبل وقيل اراد بالثمرات الاولاد لانهم ثمرة القلب وهم اذا اشتغلوا بالجهاد منعهم
ذلك عن عمارة البساتين ومناكحة النسا فتقل اولادهم وثمرة بساتينهم وقال بعضهم معناه ولنبلونكم

بشيء من الخوف اي خوف الله تعالى والجوع يعني صوم رمضان ونقص من الاموال اداء الزكوات والصدقات والانفس
الامراض والثمرات موت الاولاد لان الولد ثمرة فواده يدل عليه قوله عليه السلام اذا مات ولد العبد
قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة فواده فيقولون نعم فيقول
ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد
قوله تعالى وبشر الصابرين اي على هذه الشدايد والبلايا بالثواب لتطيب انفسهم • ثم وصفهم فقال الذين
اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الذين نعت للصابرين ومعناه الذين اذا اصابتهم
مصيبة من هذه المصايب قالوا انا لله عبيد وملك يحكم فينا بما يشاء من الشدة والرخاء ان عشنا فاليه
ارزاقنا وان متنا فاليه مردنا وانا اليه راجعون في الاخرة • قال عكرمة طفي سراج رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل يا رسول الله امصيبة هي قال نعم كل شيء يوذي
المومن فهو له مصيبة • وقال ابن جبير ما اعطي احد في المصيبة ما اعطيت هذه الامة يعني الاسترجاع ولو
اعطيها احد لاعطيها يعقوب عليه السلام الا تسمع الى قوله تعالى في فقد يوسف يا اسفا على يوسف • وقال
صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا
صالحا يرضاه قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون قال
ابن عباس مغفرة من ربهم ونعمة وقيل الصلوة هنا الثنا والرحمة والبركة وجمع الصلوات لانه عنى بها
الرحمة بعد الرحمة واولئك هم المهتدون الى الاسترجاع وقيل الى الجنة والثواب وقيل الى الحق والصواب
وقيل الرحمة التي لا يعلم مقاديرها الا الله كما قال تعالى في اية اخرى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا قرا هذه الاية قال نعم العدلان ونعم العلاوة يعني بالعدلين قوله صلوات
من ربهم ورحمة وبالعلاوة قوله وهم مهتدون • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله
تعالى اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في اهله او ولده او بدنه فاستقبل ذلك منه بصبر جميل استحييت
منه يوم القيمة ان انشر له ديوانا او انصب له ميزانا قوله تعالى ان الصفا والمروة من شعاير الله اي من اعلام
دينه ومتعبداته واراد بالشعاير هاهنا مناسك الحج • وسبب نزول هذه الاية ان انس بن مالك

ولد صح

رضى الله عنه قال كنا نكره الطواف بين الصفا والمروة لانهما كانا من مشاعر قريش فى الجاهلية فتركناه فى الاسلام
فانزل الله هذه الاية • وقال ابن عباس كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال له اساف وعلى المروة صنم على
صورة امراة يقال لها نايله وانما ذكروا الصفا لتذكير اساف وانثوا المروة لتانيث نايله • وزعم اهل الكتاب
انهما زنيا فى الكعبة فمسخهما الله حجرين فوضعا على الصفا والمروة ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون
الله تعالى وكان اهل الجاهلية اذا طافوا بين الصفا والمروة مسحوا الصنمين فلما جاء الاسلام كره المسلمون الطواف
بينهما لاجل الصنمين وقالت الانصار ان السعى من امر الجاهلية فانزل الله تعالى هذه الاية ان الصفا والمروة
من شعاير الله قوله تعالى فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما اى فلا اثم عليه فى الطواف
بينهما لمكان الاصنام عليهما فان الطواف بينهما واجب والجناح هو الاثم واصله يتطوف فادغمت التا
فى الطا وقرا ابو حيوة يطوف بهما مخففه • واختلف العلما فى السعى فقال ابو حنيفه واصحابه والثورى
هو واجب ويجبر بالدم • وقال مالك والشافعى هو فرض ولا يجبر بالدم كطواف الزيارة • وقال انس بن
مالك وابن الزبير ومجاهد هو تطوع ان فعله فحسن وان تركه لم يلزمه شى • واحتجوا بقراة ابن
عباس وابن سيرين فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وكذلك هو فى مصحف عبد الله وبقوله بعد ذلك
ومن تطوع خيرا وهذا دليل على انه تطوع • والجواب عنه ان لا صلة كقوله ما منعك ان لا تسجد
وقوله لا اقسم • وحجة من اوجبه ان الله سماها من شعاير الله واما قوله ومن تطوع خيرا فمعناه من زاد
على الطواف الواجب • وحجة من قال انه فرض تسمية الله له من شعايره قلنا هذا لا يدل على الفرضية
فان الله سمى المزدلفة المشعر الحرام ولا خلاف ان الدم يقوم مقامه • وسمى الصفا لانه جلس عليه صفى الله
ادم عليه السلام وسميت المروة لانها جلست عليها امراته حوا • واصل السعى ان هاجر ام اسمعيل لما عطش
ابنها اسمعيل وجاع صعدت على الصفا فقامت عليه تنظر هل ترى من احد فلم تر احدا فهبطت من الصفا
حتى جاوزت الوادى ورفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم اتت
المروة وقامت عليها تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فعلت ذلك سبع مرات قوله تعالى ومن تطوع قرا
حمزة والكساى يطوع بالياء وتشديد الطا والجزم وكذلك الثانى بمعنى يتطوع وقرا عبد الله يتطوع وقرا

الباقون

الباقون تطوع بالتا ونصب العين ومعنى الاية ومن زاد فى الطواف الواجب • وقال ابن زيد ومن
تطوع خيرا فاعتمر وقيل من تطوع بالحج والعمرة بعد حجة الواجبه • وقال الحسن من فعل غير المفروض
عليه من صلاة وزكوة ونوع من انواع الطاعات كلها فان الله شاكر عليم اى مجازله بعمله عليم
بنيته يشكر اليسير ويعطى الكثير ويغفر الكبير قوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى
هم علماء اليهود الذين كتموا امر النبى صلى الله عليه وسلم وصفته فى التورية وكتموا امر القبلة و
الاحكام والحلال والحرام من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب اى من بعد ما اوضحناه للناس فى التورية
والانجيل واراد بالناس بنى اسرائيل قوله تعالى اولئك يلعنهم الله اى يبعدهم الله من رحمته • و
اصل اللعن فى اللغة هو الطرد ويلعنهم اللاعنون اختلف المفسرون فى هولاء اللاعنين فقال قتادة
هم الملائكة وقال عطا الجن والانس وقال الحسن عباد الله اجمعون وقال ابن عباس كل شى الا الجن
والانس وقال مجاهد اللاعنون البهايم تلعن عصاة بنى ادم اذا اشتدت السنة وامسك القطر يقولون
هذا الشوم بنى ادم وقال عكرمة دواب الارض وهوامها حتى الخنافس والعقارب فيقولون منعنا
القطر بمعاصى بنى ادم وانما قال لهذه الاشيا اللاعنون ولم يقل اللاعنات لان من شان العرب اذا وصفت
شيا من البهايم والجمادات بما هو صفة للناس من قول وفعل ان تجرجوه على مذهب بنى ادم وجمعهم
كقوله تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام والشمس والقمر رايتهم لى ساجدين ولم يقل ساجدات واشباه
ذلك وفى الايه دلالة على وجوب اظهار علوم الدين وزجر عن كتمانها لان العبرة لعموم اللفظ لا بخصوص
السبب قوله تعالى الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا اى الا الذين تابوا من اليهودية واصلحوا اعمالهم فيما
بينهم وبين ربهم وقيل اصلحوا ما كان فسدوه ممن لا علم له وبينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى
كتابهم وشهدوا بالحق فيما عندهم من العلم فاولئك اتوب عليهم اى اتجاوز عنهم واقبل توبتهم وانا
التواب الرحيم اى المتجاوز عن التايبين الرحيم بهم بعد التوبة قوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار
هذا عام فى جميع الكفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين اما المومنون فيلعنوهم
فى الدنيا والاخرة واما الكفار فيلعن بعضهم بعضا فى الاخرة كما قال تعالى ويلعن بعضكم بعضا • وروى

ان الكافر يوقف يوم القيمة فيلعنه الله ثم الملئكة والناس اجمعون وقوله تعالى خالدين فيها اى فى اللعنة
والنار مقيمين وقيل ان اللعنة هنا النار لان اللعنة هى ابعاد الله من رحمته وذلك عذابه قوله تعالى
لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اى ولا هم يمهلون ويوجلون وقال ابو العاليه لا ينظرون فيعتذرون
قوله عز وجل والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم قال الكلبى نزلت هذه الاية فى كفار مكة
قالوا يا محمد صف لنا وانسب لنا ربك فانزل الله سورة الاخلاص وهذه الاية • وقال الضحاك عن ابن عباس
كان للمشركين فى الكعبة ثلثمائة وستون صنما يعبدونها من دون الله افكا واثرا فدعاهم الله الى التوحيد
والاخلاص فى عبادته فقال والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ويقال نزلت هذه الاية فى
صنف من المجوس يقال لهم الكائيه المانيه يقولون هما اثنان خالق الخير وخالق الشر ومعنى الاية ان الذى
يستحق ان يأله قلوبكم اليه فى المنافع والمضار وفى جميع حوايجكم وفى التعظيم له اله واحد لا يستحق
الالهية احد غيره • فلما نزلت هذه الاية عجب المشركون وقالوا ان محمدا يقول ان الهكم اله واحد فليأتنا
باية ان كان من الصادقين فانزل الله تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار و
الفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس اى فى تعاقب الليل والنهار فى الذهاب والمجئ والاختلاف ماخوذ
من خلف يخلف يعنى ان كل واحد منهما يخلف صاحبه اذا ذهب احدهما جاء الاخر خلافه اى بعده نظيره
قوله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة • وقال عطا اراد اختلاف الليل والنهار فى اللون والطول
والقصر والنور والظلمة والزيادة والنقصان والليل جمع ليلة مثل نخلة ونخل والليالى جمع الجمع والنهار
واحد وجمعه نهر • وقدم الليل على النهار لانه هو الاصل والاقدم • قال الله تعالى واية لهم الليل نسلخ
منه النهار وقوله تعالى والفلك تجرى فى البحر يعنى السفن واحده وجمعه سواء قال الله تعالى فى واحده واية لهم
انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون • وقال فى جمعه حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم • ويذكر ويؤنث •
قال الله تعالى فى التذكر الفلك المشحون • وقال فى التانيث والفلك التى تجرى فى البحر قوله تعالى بما ينفع الناس
يعنى ركوبها والحمل عليها فى التجارات والمكاسب وانواع المطالب قوله تعالى وما انزل الله من السماء من ماء
يعنى المطر فاحيا به الارض بعد موتها اى بعد يبسها وجدوبتها وبث فيها من كل دابة اى نشر وفرق فيها من كل

دابة من اجناس مختلفة منهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على اربع وتصريف
الرياح اى تقليبها دبورا وشمالا وجنوبا وصبا • وقيل تصريفها مرة بالرحمة ومرة بالعذاب وقرا حمزة
والكسائى وخلف وتصريف الريح بغير الف على الواحد وقرا الباقون الرياح على الجمع • قال ابن عباس
الرياح للرحمة والريح للعذاب • وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا هاجت الريح يقول اللهم
اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا قوله تعالى والسحاب المسخر اى المذلل بين السماء والارض سمى سحابا لانه
ينسحب بالسير فى سرعة وقوله تعالى لايات لقوم يعقلون اى لعلامات دالة على وحدانية الله لقوم
يعرفون انه لو كانت هذه الامور الى اثنين لاختلفا • وقيل لايات لقوم يعقلون فيعلمون ان لهذه الاشيا
خالقا وصانعا • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرا هذه الاية ولم يتفكر فيها ويعتبر بها
قيل ان السحاب كالمنخل يخرج منه المطر قطرة قطرة ولا تلتقى منه قطرتان فى الجو اذ لو خرج منهم سيالا
لاغرق ما اتى عليه كما فى طوفان نوح عليه السلام • قال الله تعالى فى طوفان نوح ففتحنا ابواب
السماء بماء منهمر قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وهم المشركون والانداد هم
الاصنام المعبودة من دون الله قاله اكثر المفسرين • وقال السدى يعنى سادتهم وقادتهم الذين كانوا يطيعونهم
فى معصية الله قوله تعالى يحبونهم كحب الله اى كحب المؤمنين الله يقال لعبت غلامى كبيع غلامك اى
كبيعك غلامك وانشد الفرا • ولست مسلما ما دمت حيا • على زيد كتسليم الامير • اى كتسليمى على الامير
وهذا قول اكثر العلما • وقال الزجاج تقدير الاية يحبونهم كحب الله يعنى يسوون بين هذه الاصنام وبين
الله تعالى فى المحبة قوله تعالى والذين امنوا اشد حبا لله اى يخلصون فى محبة الله لا يشركون به غيره
وهم يشركون معه معبوداتهم وقيل ان المؤمنين يعبدون الله فى كل حال والكفار يعبدون الاوثان
فى الرخا فاذا اصابتهم شدة تركوا عبادتها • وقال ابن عباس معناه اثبت وادوم وذلك ان المشركين كانوا
يعبدون صنما فاذا راوا شيا احسن منه تركوه واقبلوا على عبادة الاحسن • وقال قتادة ان الكافر
يعرض عن معبوده فى وقت البلا ويقبل على الله تعالى كما قال تعالى واذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين
له الدين والمؤمن لا يعرض عن الله فى السرا والضرا والشدة والرخا • وقيل لان الكفار يرون معبودهم مصنوعهم

الجزو السادس

والمؤمنون يرون الله تعالى لصانعهم قوله تعالى ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب قرا ابو رجا والحسن
وشيبة ونافع وقتادة ويعقوب وايوب ولو ترى بالتا على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والجواب محذوف تقديره ولو ترى يا محمد الذين ظلموا اي اشركوا اذ يرون العذاب لرايت امرا عظيما او لعلمت
ما يصيرون اليه او لعجبت منه • وقرا الباقون باليا ومعناه ولو يرى الذين ظلموا انفسهم عند رؤية العذاب
لعلموا ان القوة لله جميعا او لامنوا او يعلموا مضرة الكفر نظيره هذه الاية في المحذوف ولو ان قرانا سيرت
به الجبال او قطعت به الارض اي لكان هذا القرآن وقوله تعالى اذ يرون العذاب قرا ابن عامر اذ يرون
بضم اليا على التعدي وقرا الباقون بفتحها على اللزوم • وقيل معنا الاية ولو يرى عبدة الاوثان اليوم
ما يرون حين رويه شدة عذاب الله وقوته لتركوا عبادة الاوثان ومحبتها وهذا التاويل على قراة اليا
وقوله تعالى ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب للروسا والاتباع من عبدة الاوثان وقرا الحسن
وقتادة وشيبه وسلام ويعقوب ان القوة لله جميعا وان الله بالكسر فيهما على الاستيناف والكلام
تام عند قوله يرون العذاب مع اضمار الجواب كما ذكرنا وقرا الباقون بفتحها على معنى بان القوة معطوف
على ما قبل وقيل على معنى لرءوا ان القوة لله او لا يقنوا قوله تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
متصل بقوله شديد العذاب اي شديد العذاب وقت يتبرا المتبوعون من التابعين وراوا العذاب دخلوا جميعا
في النار وعاينوا ما فيها قرا مجاهد بتقديم الفاعلين على المفعولين وقرا الباقون بالضد والتابعون هم
الاتباع والضعفا والسفلة قاله اكثر المفسرين • وقال السدي هم الشياطين يتبرؤن من الانس قوله
تعالى وتقطعت بهم الاسباب قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني اسباب المودة والوصلات التي كانت
بينهم في الدنيا فصارت محابتهم عداوة • وقال الكلبي يعني الاسباب الارحام • وقال ابو روق الحلف
والعهود التي كانت بينهم في الدنيا وتقطع الاسباب اي لا يبقى لهم سبب الى رحمة الله تعالى بوجه من الوجوه
قوله تعالى وقال الذين اتبعوا اي قال السفلة والخدم لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبروا منا اي قالوا
لو ان لنا رجعة الى الدنيا لتبرانا منهم كما تبروا منا في الاخرة يقول الله تعالى كذلك يريهم الله اعمالهم
التي عملوها في الدنيا لغير الله حسرات عليهم اي كما اراهم العذاب وكما تبرا بعضهم من بعض كذلك يريهم الله

ان القوة لله جميعا صح

اعمالهم

اعمالهم التي عملوها في الدنيا لغير الله حسرات عليهم اي ندامات عليهم كما اراهم تبري بعضهم من بعض • وقيل اراد
اعمالهم الصالحة التي عملوها • وقال السدي ترفع لهم الجنة فينظرون اليها والى بيوتهم فيها لو اطاعوا الله
فيقال لهم تلك منازلكم لو اطعتم الله تعالى ثم يمنعون منها فذلك حين يندمون وقوله تعالى وما هم
بخارجين من النار اي التابعون والمتبوعون قوله عز وجل يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا اي من
الزرع والانعام وغير ذلك مما احل الله لكم والطيب صفة الحلال وهما واحد ويجوز ان يكون الحلال
المستلذ ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا طريقة التي يدعوكم اليها • وقيل نزلت هذه الاية
في ثقيف وخزاعة وبني عامر بن صعصعه كانوا يحرمون البحيرة والسايبه والوصيلة والحام وبعض الحروث •
ووجه دخول من التي هي للتبعيض ان كل ما في الارض لا يمكن اكله او لا يحل وقوله تعالى حلالا طيبا انتصبا على
الحال وقيل على المفعول اي كلوا حلالا طيبا مما في الارض وقوله تعالى خطوات الشيطان قرا شيبه ونافع
وعاصم في رواية ابي بكر والاعمش وحمزة وابو عمرو وابن كثير وفي رواية البزي بسكون الطا في جميع القرآن
وقرا ابن عباس والزهري والكسائي وحفص وقنبل بضم الخا والطا في جميع القرآن • وقرا علي رضي الله عنه
وسلام بضم الخا والطا وهمزة بعد الطا • وقرا ابو سمال العدوي وعبيد بن عمير خطوات بفتح الخا والطا
فمن اسكن الطا ابقاه على الاصل وطلب الخفه لانه جمع خطوة باسكان الطا ومن ضم الطا فانه اتبع ضمة الخا
ضمة الطا مثل ظلمة وظلمات وقربة وقربات ومن همز الواو مع الضم ذهب بها الى الخطيئة ومن فتح الخا
والطا فانه اراد جمع خطوة مثل تمرات • واختلف المفسرون في قوله خطوات الشيطان • فعن ابن عباس
ان خطوات الشيطان عمله • وقال مجاهد وقتادة والضحاك خطاياه • وقال الكلبي والسدي طاعته
وقال عطا زلاته وشهواته • وقال المورج اثاره • وقال القتيبي والزجاج طرقه انه لكم عدو مبين
اي بين العداوة وقيل مظهرها فقد ابان عداوته لكم باباءه السجود لابيكم ادم وغروره اياه حين اخرجه
من الجنة • ثم بين الله عداوته فقال انما يامركم بالسوء والفحشا اي بالاثم والمعاصي • وقيل السوء ما يجب
به التعزير والفحشاء ما يجب به الحد وقيل كل ما كان في القرآن من الفحشا فهو الزنا الا قوله تعالى
ويامركم بالفحشا فانه منع الزكوة وقيل الفحشا ما قبح من القول والفعل • وقال طاوس الفحشا ما لا

يعرف في شريعة ولا سنة • وقال عطا هي البخل • وقال السدي هي الزنا قوله تعالى وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
من تحريم الحرث والانعام وغير ذلك ومن وصفكم الله تعالى بالانداد والاولاد تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا •
فان قيل كيف يصح انه يامر الشيطان وهو لا يشاهد ولا يسمع صوته قيل معنى يامركم يدعوكم ويرغبكم كما يقول
الانسان نفسي تامرني بكذا اي تدعوني اليه قوله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله اي اذا قيل لهولاء الكفار
اتبعوا في التحليل والتحريم ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا اي ما وجدنا عليه اباءنا من عبادة
الاوثان وتحريم البحيرة والسايبة ونحو ذلك يقول الله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون اي ايتبعون
اباهم وان كانوا جهالا لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للسنه وقيل ان هذه الاية قصه مستانفه
وانها نزلت في اليهود فعلى هذا تكون الها والميم في قوله لهم كنايه عن غير مذكور • روي عن ابن عباس قال دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود والنصارى الى الاسلام ورغبهم فيه وحذرهم عذاب الله فقال
له رافع بن حارثة ومالك بن عوف بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا فهم كانوا خيرا منا واعلم فانزل الله تعالى
هذه الاية قوله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء هذا مثل ضربه الله
للكفار فوصفهم بعد ما امرهم ونهاهم فلم ياتمروا ولم ينتهوا بصفة الدواب معناه مثلك او مثلنا يا محمد
مع الذين كفروا ومثل واعظ الذين كفروا فحذف اختصارا كمثل الذي يصيح بما لا يدري ما يقال له الا انه
يسمع الصوت وهو الابل والبقر والغنم ينزجر بالصوت ولا تفقه ما يقال لها ولا يحسن جوابا فكما ان البهايم
لا تفهم كلام من يدعوها فكذا هولاء الكفار لا ينتفعون بوعظ النبي صلى الله عليه وسلم فهذا قول
ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وعطا والربيع واكثر المفسرين فانهم قالوا المراد بما لا يسمع الا دعاء ونداء
البهايم التي لا تعقل كالانعام والحمير ونحوها واضاف المثل الى الكفار اختصارا لدلالة الكلام عليه وتقدير
مثلك يا محمد ومثل الذين كفروا في وعظهم ودعايهم الى الله تعالى كمثل الراعي الذي ينعق اي يصوت ويصيح بها
يقال نعق ينعق نعقا ونعاقا اذا صاح وزجر قال الشاعر • فانعق بضانك يا جرير فانما • منتك نفسك في الخلاء
ضلالا • فكما ان هذه البهايم تسمع الصوت ولا تفهمه ولا تعقل ما يقال لها كذلك الكافر لا ينتفع بوعظ ان
امرته بخير او زجرته عن شر غير انه يسمع صوتك • وقال الحسن معناه مثلهم فيما اتيتهم به حين يسمعونه

ولا

ولا يعقلونه كمثل راعي الغنم الذي ينعق بها فاذا سمعت الصوت رفعت رؤسها فاستمعت الى الصوت والدعا
ولا يعقل منه شيئا ثم يعود بعد ذلك الى مراعيها لم تفقه ما ناداها به • وقال قوم معنى الاية مثل الكفار في
دعايهم الاصنام وعبادتهم الاوثان كمثل الرجل يصيح في جوف الجبال فيجيبه فيها صوت يقال له الصدى يجيبه
ولا ينفعه قوله تعالى الا دعاء ونداء • قيل ان الدعاء والندا واحد كما ان الحلال والطيب واحد وقيل الدعا
ما يكون للقريب والندا انما يكون مد الصوت للبعيد قوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون اي هم صم عن
الخير لا يسمعون الحق والعرب يقول لمن يسمع ولا يعمل بما يسمعه كانه اصم وقوله تعالى بكم اي خرس لا يتكلمون بخير
عمي لا يبصرون الهدى فهم لا يعقلون ما يومرون به قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما
رزقناكم اي من حلال ما رزقناكم من الحرث والانعام وساير الماكولات • قال صلى الله عليه وسلم ان الله
سبحانه طيب لا يقبل الا الطيب وان الله تعالى امر المومنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من
الطيبات وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم قوله تعالى واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون
اي واشكروا الله على ما رزقكم واباح لكم من النعم ان كنتم اياه تعبدون اي ان كنتم تقرون انه الهكم و
رازقكم وهذا امر اباحة وتخيير اعني قوله تعالى كلوا لان تناول المشتهى لا يدخل في التعبد وقد يكون
الاكل تعبدا في بعض الاحوال عند دفع ضرر النفس وتقويتها على الطاعة وعند مساعدة الضيف اذا
امتنع عن الاكل • فلما نزلت هذه الاية قالت الكفار اذا لم تكن البحيرة والسايبة والوصيلة محرمة في المحرمات
فانزل الله تعالى قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله قرا السلمي
انما حرم عليكم برا مضمومه مخففه الميتة والدم ولحم الخنزير رفعا • وروي عن ابي جعفر انه قرا حرم
بضم الحا وكسر الرا وتشديدها ورفع ما بعدها وقرا ابراهيم بن ابي عبله انما حرم عليكم الميته بنصب
الحا والرا وتشديد الرا ورفع الميته وما بعدها وجعل ما بمعنى الذي منفصلة ويكون موضع
ما نصبا باسم ان وما بعدها خبرها كما قال انما صنعوا كيد ساحر وقرا الباقون حرم بنصب وتشديد
الرا ونصب الميتة وما بعدها وجعلوا انما كلمة واحدة تاكيدا وتحقيقا والميتة ما لم يذك والدم يعني
المسفوح الجاري وهذه الاية مخصوصة بالسنه وهو قوله صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان

ودمان فالميتان السمك والجراد والدمان الكبد والطحال قوله تعالى ولحم الخنزير اراد جميع اجزائه وكل بدنه
فعبر عن ذلك باللحم لانه معظمه وقوامه قوله تعالى وما اهل به لغير الله اي ما ذكر عليه عند الذبح اسم
غير الله قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك يعني ما ذبح للاصنام والطواغيت كلها واصل الاهلال
رفع الصوت ومنه اهلال الحج وهو رفع الصوت بالتلبيه ومنه اهلال الصبي واستهلاله وهو صياحه
عند خروجه من بطن امه قوله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه قرا عاصم وحمزة ويعقوب
وابو عمرو فمن اضطر بكسر النون فيه وفيما يشابهه مثل ان اهلوا وامثاله وقرا ابن محيصن فمن اضطر بادغام الضاد
في الطا حتى يكون طا خالصة ومعنى الاية فمن احوج والجي الى ذلك بالمجاعة او الاكراه غير باغ اي غير طالب
لذلك وقيل غير طالب تلذذا ولا عاد اي ولا متجاوز قدر ما يسد به رمقه وقوله عز وجل غير باغ نصب
غير على الحال وقيل على الاستثنا واذا رايت غير يصلح في موضعها لا فهي حال واذا صلح في موضعها الا
فهي استثنا فقس على هذا وقال بعض المفسرين معنى غير باغ اي غير قاطع للطريق ولا عاد اي ولا مفارق للائمة
ولا مشاق للامة خارج عليهم بسيفه ومن خرج يخيف السبيل او يفسد في الارض وابق من سيده او فر
من غريمه او خرج عاصيا باي وجه كان فاضطر الى الميتة لم يجز له اكلها واضطر الى الخمر عند العطش لم يحل
له شربها وهذا قول مجاهد وابن جبير والكلبي بهذا التاويل اخذ الشافعي رضي الله عنه وقال ابو حنيفة
ومالك رضي الله عنهما يجوز ذلك لهم ولو كانوا بغاة خارجين على المسلمين كما يجوز لاهل العدل قال
ابن عباس والحسن ومسروق في تفسير قوله غير باغ اي غير باغ في الميتة ولا عاد في الاكل وقال مقاتل غير باغ اي
مستحل ولا عاد اي ولا متزود منها وقال السدي غير باغ في اكله شهوة وتلذذا ولا عاد اي لا ياكل حتى
يشبع منها ولكن ياكل منها ما يمسك رمقه وقال بعضهم غير باغ اي متجاوز للقدر الذي يحل له ولا عاد
اي لا يقصر فيما يحل له منها فلا ياكله قال مسروق بلغني انه من اضطر الى الميتة فلم ياكلها حتى مات دخل
النار واختلف الفقها في حد الاضطرار في ما يحل للمضطر اكله من الميتة فقال بعضهم انه لا يجوز له الاكل الا
عند خوف التلف في اخر الرمق وهو الصحيح وقال بعضهم اذا كان يضعف عن الفرايض وقال بعضهم اذا كان بحيث
لو دخل السوق لا ينظر الى شي سوى المطعوم واما مقدار ما ياكل عند الضرورة فقال ابو حنيفة لا ياكل الا

مقدار ما يسد به رمقه وهو احد قولي الشافعي وقال مالك ياكل حتى يشبع ويتزود منها فان وجد
شيا مباحا طرحها وقال مقاتل لا يزيد على ثلاث لقم قوله فلا اثم عليه اي فلا حرج عليه في اكلها ان الله غفور
لما اكل من الحرام في حال الاضطرار رحيم به حيث رخص له في ذلك فان قيل قوله تعالى فلا اثم عليه ينافي قوله
ان الله غفور رحيم لان الغفران يقتضي ثبات الاثم قيل لانه بالغفران قد يسرها لولا الاباحة لكانت
معصية وبرحمته جوز عند الضرورة احيا النفس بتناوله قوله عز وجل ان الذين يكتمون ما انزل الله من
الكتاب نزل في علما اليهود والنصارى قال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس كان علما اليهود ياخذون من سفلتهم
الهدايا وكانوا يرجون ان يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم من غيرهم خافوا
ذهاب ماكلتهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة محمد صلى الله عليه وسلم فغيروها ثم اخرجوها اليهم
وقالوا هذا نعت النبي الذي يخرج في اخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي الذي بمكة فاذا نظرت السفلة الى النعت
المغير وجدوه مخالفا لصفة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يتبعونه فانزل الله تعالى هذه الاية ان الذين يكتمون
ما انزل الله من الكتاب يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته ويشترون به اي بالمكتوم ثمنا قليلا
اي عوضا يسيرا يعني الماكل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار ذكر البطون
هنا للتاكيد يعني ما ياكلون الا ما يوردهم النار وهي الرشوة والحرام وثمن الدين والاسلام فلما كانت عاقبته النار
سماه في الحال نارا كقوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا يعني ان عاقبته النار
وقال عليه السلام في الذي يشرب في انية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم اخبر عن المال بالحال قوله عز
وجل ولا يكلمهم الله يوم القيمة اي لا يكلمهم كلاما ينفعهم ويسرهم كما يكلم اولياه من البشارة والرضا واما التهديد
فلا بد منه لقوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين وقيل معناه لا يسمعهم كلام نفسه بل يرسل اليهم ملايكة
العذاب فيكلمونهم بامر الله وانما اضاف السوال الى نفسه لان سوال الملايكة بامره قوله تعالى ولا يزكيهم اي لا
يطهرهم من دنس ذنوبهم ولا يثني عليهم خيرا ولا يصلح اعمالهم الخبيثة ولهم عذاب اليم اي مولم قوله تعالى
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار اي الذين مالوا الى التحريف
للتوريه والانجيل هم الذين استبدلوا الكفر بالايمان وقوله تعالى والعذاب بالمغفرة معناه ان الايمان بالنبي

صلى الله عليه وسلم يوجب المغفرة • والكفر به يوجب العذاب فيكون المستبدل للكفر بالايمان مشتريًا للعذاب
بالمغفرة قوله تعالى فما اصبرهم على النار • قال الحسن وقتادة والربيع والله ما لهم عليها من صبر ولكن ما اجراهم
على العمل الذي يقربهم الى النار • وقال الكسائي وقطرب ما اصبرهم على عمل اهل النار اي ما ادومهم عليه
وقيل معناه ما ابقاهم في النار • وقال عطاء والسدي معناه ما الذي صبرهم على النار واي شيء صبرهم
على النار حين تركوا الحق واتبعوا الباطل وقيل هو لفظ استفهام بمعنى التوبيخ لهم والتعجب لنا كانه قال لما
اجراهم على فعل اهل النار مع علمهم قالوا وهذه لغة يمانية • وقال الفراء اخبرني الكسائي قال اخبرني قاضي
اليمن ان خصمين اختصما اليه فوجبت اليمين على احدهما فحلف فقال له خصمه ما اصبرك على الله اي ما اجراك
على الله قوله تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بهم في الاخرة وقيل ذلك الضلال بان الله
نزل الكتاب بالحق بالعدل والصدق واختلفوا فيه فحينئذ يكون ذلك في موضع الرفع • وقال بعضهم
هو في محل النصب معناه فعلنا ذلك بهم بان الله او لان الله نزل الكتاب بالحق واختلفوا فيه وكفروا به
فنزع الخافض قوله تعالى وان الذين اختلفوا في الكتاب قيل هم اليهود والنصارى واراد بالكتاب التورية
والانجيل وما فيهما من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة امره ودينه وقيل هم الكفار كلهم
واراد بالكتاب القران واختلافهم فيه ان بعضهم قال هو سحر وبعضهم قال هو قول البشر وبعضهم قال هو
اساطير الاولين لفي شقاق بعيد اي خلاف طويل قوله عز وجل ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب قرا حمزة وحفص ليس البر بالنصب ووجه ذلك انهما جعلا ان وصلتها في موضع الرفع على اسم
ليس تقديره ليس توليتكم وجوهكم البر كقوله تعالى فكان عاقبتهما انهما في النار وقرا الباقون بالرفع على انه
اسم ليس • واختلف المفسرون في هذه الاية فقال قوم اراد بها اليهود والنصارى وكانت اليهود تصلي قبل
المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وزعم كل فريق منهم ان البر في ذلك فاخبر الله تعالى ان
البر غير دينهم وعملهم وعلى هذا القول قتادة والربيع ومقاتل وقيل لما حولت القبلة الى الكعبة كثر الخوض
في امر القبلة فتوجهت النصارى نحو المشرق واليهود نحو المغرب واتخذوهما قبلة وزعموا انه البر فاكذبهم
الله بهذا وبين ان البر في طاعة الله واتباع امره وان البر لا يتم الا بالايمان وقيل معناه ليس البر كله

في الصلاة

في الصلاة فقط ولكن البر الذي يؤدي الى الثواب بر من امن بالله واليوم الاخر والاقرار بالملائكة انهم
عباد الله ورسله لا كما قال بعض الكفار ان الملائكة بنات الله والاقرار بالنبيين كلهم • فان قيل لم جعل
من خبرا للبر ومن اسم والبر فعل وهم لا يخبرون البر زيد قيل معناه عند بعضهم ولكن البر الايمان بالله و
العرب تجعل الاسم خبرا للفعل كقولهم البر الصادق الذي يصل رحمه ويخفي صدقته يريد ونصلة
الرحم واخفا الصدقة فيكون من في موضع المصدر كانه قال ولكن البر الايمان بالله او البر بر من امن
بالله كما يقال الجود حاتم والشجاعة عنتر اي الجود جود حاتم والشجاعة شجاعة عنتر • ومثله قوله
تعالى واسئل القرية اي اهل القرية وما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اي كخلق نفس • وقال ابو عبيدة معناه
ولكن البار من امن بالله كقوله والعاقبة للتقوى اي للمتقي وقيل معناه ولكن ذا البر من امن بالله كقوله
هم درجات عند الله اي هم ذوو درجات قوله تعالى والملائكة والكتاب والنبيين اي من امن بالله
والملائكة كلهم والكتاب يعني الكتب والنبيين اجمع قوله تعالى واتى المال على حبه اختلفوا في الهاء الذي
في حبه فقال اكثر المفسرين الها في حبه راجعة الى المال يعني اعطا المال في صحته ومحبته اياه وضنته به
وهو صحيح يخشى الفقر ويامل الغنا ولا يمهل حتى اذا بلغت الحلقوم فيقول لفلان كذا ولفلان كذا وقيل
هي عايدة الى الله اي على حب الله تعالى وقيل على حب الايتاء قوله تعالى ذوي القربى اي اهل القرابة قال
صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح • وعن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه
وسلم قالت اعتقت جارية لي فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فقال
اجرك الله اما انك لو اعطيتها بعض اخوالك كان اعظم لاجرك وقوله تعالى وابن السبيل يعني المجتاز قال
مجاهد هو المسافر المنقطع عن اهله يمر عليك وقال قتادة هو الضيف ينزل بالرجل قال لقوله صلى الله
عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه • وقال صلى الله عليه وسلم حق الضيافة ثلث
فما فوق ذلك فهو صدقة وانما قيل للمسافر والضيف ابن السبيل لملازمته الطريق كما يقال للرجل الذي
اتت عليه الدهور ابن الليالي والايام وقوله تعالى والسائلين يعني المستطعمين الطالبين قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على ظهر فرس • وقال صلى الله عليه وسلم هدية الله الى المؤمن

السائل على بابه قوله تعالى وفي الرقاب يعني المكاتبين كذا قال اكثر اهل التفسير وقيل فدا الاسارى وقيل عتق النسمة وهو شراؤها للعتق وفك الرقبة قوله تعالى واقام الصلوة يعني المفروضة وقوله تعالى واتى الزكوة يعني الواجبة وقوله تعالى والموفون بعهدهم اذا عاهدوا يعني فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم وبين الناس اذا وعدوا انجزوا واذا حلفوا بروا او نذروا اوفوا واذا قالوا صدقوا واذا ايتمنوا ادوا • وقيل معناه الموفون بالعهود التي امر الله بالوفا بها من ساير المواثيق مدحهم على الوفا بما عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه من نصرته على الاعدا ومظاهرته بالجهاد • واختلفوا في رفع الموفين فقال الفرا والاخفش هو عطف على محل من في قوله ولكن البر من امن كانه قال ولكن البر المؤمنون والموفون وقيل هو رفع على الابتدا والخبر تقديره وهم الموفون قوله تعالى والصابرين في الباساء والضراء فانتصابه خلاف قال الكسائي عطف على ذوي القربى كانه قال واتى الصابرين • وقال بعضهم معناه اعني الصابرين وقال الخليل والفرا نصب على المدح والعرب تنصب على المدح والذم فالمدح مثل قوله تعالى والمقيمين الصلوة والذم مثل قوله تعالى ملعونين وقوله تعالى في الباسا يعني الشدة والفقر والضرا هي المرض والزمانة وفي هاتين الحالتين يعظم موقع الصبر على العبادة قوله تعالى وحين الباس اي وقت القتال وشدة الحرب يقال لا باس عليك اي لا شدة وقوله تعالى اولئك الذين صدقوا اي في ايمانهم وفي جهادهم واولئك هم المتقون محارم الله تعالى قيل جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسئله عن الايمان فقرا هذه الاية قوله تعالى عز وجل يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى نزلت هذه الاية في الاوس والخزرج وكان بينهما قتلى وجراحات في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الاخر في الكثرة والشرف فاقسموا ليقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات اوليائهم فلم ياخذها بعضهم من بعض حتى جا الاسلام فرفعوا امرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية وامرهم بالمساواة فرضوا وسلموا قوله تعالى فمن عفي له من اخيه شيء قيل ان من اسم القاتل من ترك له القود وصفح عنه من القصاص في قتل العمد فرضي بالدية وقوله من اخيه ان من اخي المقتول منه فليتبع العافي بالمعروف اي يترفق في طلب الدية من القاتل ولا يعنف وليود القاتل اليه باحسان اي لا يبخس ولا يماطل

في صح

هذا

هذا قول اكثر المفسرين قالوا العفو ان يقبل الدية في قتل العمد وقيل في تاويله ان العفو في اللغة ما سهل وتيسر قال الله تعالى خذ العفو اي ما سهل من الاخلاق فعلى هذا يكون قوله تعالى فمن عفي له اي ولي القتيل اذا بذل له من يد لاخيه شيء من المال من جانب القاتل فله اتباع بالمعروف اي فليقبله او ليود اليه القاتل بالاحسان قوله تعالى ذلك تخفيف من ربكم ورحمة اي ان الصلح عن القصاص على شيء من الدية او غير ذلك تسهيل من ربكم عليكم ورحمة رحمكم الله بها وذلك ان الله كتب على اهل التورية في النفس والجراح ان يقيدوا ولا ياخذوا الدية ولا يعفوا وعلى اهل الانجيل ان يعفوا ولا ياخذوا الدية فخير الله هذه الامة بين القصاص والدية والعفو قوله تعالى فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم اي اذا قتل الولي قاتل وليه بعد اخذ الدية منه فله عذاب اليم القتل في الدنيا والنار في الاخرة • ومن قتل بعد اخذ الدية يقتل ولا يعفى عنه • قال صلى الله عليه وسلم لا اعافي رجلا قتل بعد اخذ الدية وفي هذه الاية دليل على ان القاتل لا يصير كافرا ولا يخلد في النار لان الله تعالى خاطبهم فقال يا ايها الذين امنوا كتب عليكم وقال في اخر الاية فمن عفي له من اخيه شيء فسمى القاتل اخا للمقتول وقال تعالى ذلك تخفيف من ربكم ورحمة وهما يلحقان المؤمنين دون الكفار • ويروى ان مسروقا سيل هل للقاتل توبة فقال لا اغلق بابا فتحه الله قوله عز وجل ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب يعني ان الذي يريد قتل غيره اذا علم انه اذا قتل قتل امسك عن القتل وارتدع فيكون في ذلك حيوة له وحيوة للذي هم بقتله وفي هابيهما بقاء لمن يتعصب لهما لان الفتنة تثبت بالقتل فتودي الى المحاربة لا منتهى لها • وقيل اراد الاخرة لان من اقتص منه في الدنيا حي في الاخرة واذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الاخرة قوله تعالى يا اولي الالباب اي يا ذوي العقول لعلكم تتقون اي لكي تتقوا القتل مخافة القصاص قوله عز وجل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي فرض عليكم اذا حضر احدكم اسباب الموت من العلل والامراض ان ترك خيرا اي مالا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف وفي ارتفاع الوصية وجهان احدهما اسم ما لم يسم فاعله اي كتب عليكم الوصية والثاني خبر الجار والمجرور في قوله للوالدين وقوله تعالى بالمعروف اي لا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويترك الفقير كما قيل الوصية للاحوج فالاحوج وقوله تعالى حقا اي حقا

ولا يقيدوا صح

التي صح

بذلك في صح

فمعنى الحيوة سلامته في الا

واجبًا وهو نعت على المصدر معناه حق ذلك حقًا وقيل على المفعول اى جعل الوصية حقًّا وقوله تعالى
على المتقين اى على المؤمنين • وسبب نزول هذه الاية انهم كانوا فى ابتدا الاسلام يوصون للاباعد طلبا للريا
فامر الله من ترك خيرًا اى مالًا نظيره قوله تعالى وما تنفقوا من خيرٍ اى من مالٍ وقوله انى لما انزلت الى من خير
فقيرٌ اى من مالٍ وانه لحب الخير لشديد وقوله تعالى اذا حضر احدكم الموت اى اذا مرض احدكم لانه اذا عاين
الموت فقد شغل عن الوصية وهذه الاية منسوخة عند اكثر العلما واختلفوا باى دليل نسخت فقال بعضهم
باية المواريث وهذا لا يصح لان الله تعالى قال فيها من بعد وصية يوصى بها والصحيح انها نسخت بقوله عليه
السلام لا وصية لوارث وهذا الخبر وان كان خبر واحد فقد بلقته الامة بالقبول صح فجرى مجرى التواتر ويجوز نسخ القران
بمثل هذه السنة ولا تجب الوصيه الا على من عليه شى من الواجبات لله تعالى او لعباده ويستحب لمن لا شى عليه
الوصيه بالثلث لاقاربه الذين لا يورثونه بالرحم وفى جهات الخير اذا لم يخف ضررًا على ورثته قال الضحاك
من مات ولم يوص لذى قرابته فقد ختم عليه بمعصيه • وقيل لا يجب على احد وصيه لاحد فان اوصى
فحسن وان لم يوص فلا شى عليه وهذا قول على وابن عمر وعايشه وعكرمة ومجاهد والسدى قال عروة
ابن الزبير دخل على رضى الله عنه على مريض يعوده فقال انى اريد ان اوصى فقال له على رضى الله عنه ان الله
عز وجل قال ان ترك خيرًا وانما تترك شيئًا يسيرًا فدعه لعيالك فانه افضل • وروى نافع عن ابن
عمر انه لم يوص فقال اما رباعى فلا احب ان يشارك ولدى فيها احد • وروى ان رجلا قال لعايشه رضى
الله عنها انى اريد ان اوصى قالت كم مالك قال ثلثة الاف قالت كم عيالك قال اربعه قالت انما قال الله ان
ترك خيرًا وهذا شى يسير فاتركه لعيالك • وروى عن عروة ابن ثابت قال للربيع بن خيثم اوصى لى بمصحفك
فنظر الى ابنه وقال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله قوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه اى فمن
غير الوصيه من الاوصيا او الاوليا او الشهود بعد ما سمعه عن الميت وعلم صحته فانما اثمه على المبدل
دون الموصى ان الله سميع لما قاله الموصى عليم بما فعله الوصى وانما ذكر الوصية وهى مونثة لانها فى معنى
الايصا كقوله فمن جاءه موعظة من ربه رده الى الوعظ وقيل لان الوصيه قول فذهب الى المعنى وترك اللفظ
قوله تعالى فمن خاف من موص جنفًا او اثمًا لما توعد الله المبدل خاف الاوصيا من التبديل فكانوا اسفدون

وصية الميت وان جار فى وصيته واستغرق كل المال فانزل الله هذه الاية وبين ان الاثم فى تبديل الحق
بالباطل واذا غير الوصى من باطل الى حق على طريق الاصلاح فهو محسن فلا اثم عليه ومعنى الاية فمن علم
من موص جنفًا مثل قوله تعالى الا ان يخافا الا يقيما اى الا ان يعلما وقوله تعالى جنفا اى ميلا عن الحق
على جهة الخطا وقوله تعالى او اثما اى ميلا على جهة العمد بان زاد فى الوصية على الثلث او اقر بغير الواجب
او جحد حقًا عليه فاصلح الوصى بين ورثته الموصى وغرمايه بان رد الوصيه الى المعروف الذى امر
الله به فلا اثم عليه فى التبديل والها والميم فى قوله تعالى بينهم كناية عن الورثه والكناية تصح عن
المعلوم وان لم يكن مذكورًا قوله تعالى ان الله غفور رحيم يعنى غفور رحيم اذ رخص للوصى فى خلاف
الوصية على جهة الاصلاح قرا مجاهد وعطا وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وشيبه ونافع وحفص
موص بالتخفيف وقرا الباقون موص بالتشديد وقوله تعالى جنفا اى جورًا وعدولا عن الحق والجنف
الميل فى الكلام وفى الامور كلها • وقرا على كرم الله وجهه حيفا بالحا واليا اى ظلما قال الفرا الفرق بين
الجنف والحيف ان الجنف عدول عن الشى والحيف حمل على الشى حتى ينتقصه وعلى الرجل حتى ينتقص حقه •
قال المفسرون الجنف الخطا والاثم العمد ومعنى الاية من حضر مريضا وهو يوصى فخاف ان يخطى فى وصيته
ليفعل ما ليس له فعله او يتعمد جورًا فيها فيامر بما ليس له فلا حرج على من حضره ان يصلح بينه وبين
ورثته بان يامره بالعدل فى وصيته وينهاه عن الجنف فينظر للموصى وللورثة وهذا قول مجاهد قال
هذا حين يحضره الموت فاذا اشرف امره بالعدل واذا قصر قال افعل كذا اعط فلانا كذا • وقال الاخرون
هو اذا اخطا الميت فى وصيته او حاف فيها متعمدًا فلا حرج على وليه او وصيه او والى امر المسلمين
ان يصلح بعد موته بين الورثه وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل والحق وهذا قول ابن عباس
وقتادة والربيع • وروى عن عطا انه قال هو ان يعطى عند حضور اجله بعض ورثته دون بعض
مما سيرثونه بعد موته فلا اثم على من اصلح بين الورثة • وقال طاوس هو ان يوصى لبنى ابنه
يريد ابنه لبنى بنته ويريد بنته او الزوج ابنته يريد ابنه فلا حرج على من اصلح بين الورثه • و
قال السدى هو فى الوصية للاباعد والاقربين يميل الى بعضهم ويجنف على بعض فالاصلح ان لا ينفذها ولكن

يصلح بينهم على ما يرى انه الحق نيقص بعضا ويزيد بعضا • وقال ابن زيد فعجز الموصى ان يوصى للوالدين كما
امر الله وعجز الوصى ان يصلح فانزع الله ذلك منهم وفرض الفرايض • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله لم يرض بملك مقرب ولا نبى مرسل حتى تولى قسمة مواريثكم وقوله تعالى فاصلح بينهم ولم يجر للورثه
ولا للمختلفين فى الوصية ذكر لان سياق الاية وما تقدم من ذكر الوصيه يدل عليه • روى ان سعد بن
ابى وقاص قال مرضت مرضا اشرفت منه على الموت فعادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول
الله ان لى مالا كثيرا وليس ترثنى الا ابنت واحدة لى فاوصى بثلثى مالى قال لا قال قلت فبشطر مالى قال لا قلت
فثلث مالى قال نعم والثلث كثير انك يا سعد ان تترك ولدك غنيا خير من ان تتركهم عالة يتكففون
الناس • وروى ان جارا لمسروق اوصى فدعا مسروقا ليشهد فوجده قد بذر واكثر فقال لا اشهد ان
الله تعالى قد قسم بينكم فاحسن القسمة فمن يرغب برايه عن امر الله فقد ضل اوص لذى قرابتك الذين لا يرثون
ودع المال على قسم الله • وقال صلى الله عليه وسلم من جاف فى وصيته القى فى اللوا واللوا واد فى جهنم
وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الخير سبعين سنه فاذا اوصى وحاف فى وصيته
فيختم له بسوء عمله فيدخل النار قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام قال الحسن اذا سمعت الله تعالى
يقول يا ايها الذين فارع لها سمعك فانها لامر تومر به او لنهى تنهى عنه وقال جعفر الصادق لذة ما فى النداء
ازاله تعب العبادة والعنا قوله تعالى كما فرض على الذين من قبلكم من الانبيا والامم اولهم ادم عليه السلام
وهو ما روى عن على كرم الله وجهه انه قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم عند انتصاف النهار
فسلمت عليه فرد على السلام ثم قال يا على هذا جبريل يقريك السلام قلت وعليه السلام يا رسول الله
ثم قال يا على يقول لك جبريل صم من كل شهر ثلثة ايام يكتب لك باول يوم عشرة الاف سنة وباليوم الثانى
ثلثون الف سنة وباليوم الثالث مايه الف سنه فقلت يا رسول الله ثواب لى خاصة ام للناس عامة فقال
يا على يعطيك الله هذا الثواب ولمن يعمل مثل عملك بعدك قلت يا رسول الله وما هى قال ايام البيض ثلثة عشر
واربعة وخمسة عشر • قال عبيدة قلت لعلى رضى الله عنه لاى شى سميت هذه ايام البيض قال لما اهبط الله
ادم عليه السلام من الجنة احرقته الشمس فاسود جسده فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا ادم اتحب

امنوا صح

كتب عليكم الصيام اى فرض عليكم الصيام صح

ان بيض

ان بيض جسدك قال نعم قال صم من الشهر ثلثه عشر واربعة عشر وخمسه عشر فصام ادم عليه
السلام اول يوم فابيض ثلث جسده وصام اليوم الثانى فابيض ثلثا جسده وصام اليوم الثالث
فابيض كل جسده فسميت ايام البيض • قال المفسرون فرض الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه
وسلم وعلى المومنين صيام عاشورا وصوم ثلثه ايام من كل شهر حين قدم المدينه فكانوا يصومونها
الى ان نزل صوم شهر رمضان قبل قتال بدر بشهر وايام • وقال الحسن اراد بالذين من قبلنا النصارى
فشبه صيامنا بصيامهم لاتفاقهما فى الوقت والقدر لان الله تعالى فرض على النصارى صوم شهر
رمضان فاشتد ذلك عليهم لانه ربما كان ياتى فى الحر الشديد وكان يضرهم فى اسفارهم فاجتمع
راى علمايهم ورؤسايهم على ان يجعلوا صيامهم فى فصل من السنة بين الشتا والصيف فجعلوه فى الربيع
وزادوا فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين يوما • قال مجاهد اصابهم موتان عظيم فقالوا
زيدوا فى صيامكم فزادوا عشرا قبل وعشرا بعد فصار خمسين يوما قوله تعالى لعلكم تتقون
اى لكى تتقوا الاكل والشرب والجماع فى زمان الصوم وقيل معناه لتكونوا اتقيا واصل الصيام
والصوم فى اللغة الامساك يقال صامت الريح اذا سكنت وصامت الخيل اذا وقفت وامسكت عن
السير قال النابغه • خيل صيام وخيل غير صايمة • تحت العجاج واخرى تعلك اللجما • ويقال صام
النهار اذا اعتدل وقام قايم الظهيرة لان الشمس اذا بلغت كبد السما وقفت وامسكت عن السير سويعه قال
امرو القيس • فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة • ذمول اذا صام النهار وهجرا • وقال اخر • حتى
اذا صام النهار واعتدل • وسال للشمس لعاب ونزل • ويقال للرجل اذا امسك عن الكلام صام قال
الله تعالى انى نذرت للرحمن صوما اى صمتا فالصوم هو الامساك عن المفطرات قوله عز وجل
اياما معدودات يعنى شهر رمضان ثلثين يوما او تسعة وعشرين يوما • قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نحن امة امية لا نحسب ولا نكتب الشهر هكذا وهكذا وهكذا وعقد الابهام فى الثالثة
والشهر هكذا وهكذا وهكذا اتمام الثلثين ونصب اياما على الظرف اى فى ايام وقيل على خبر ما لم يسم
فاعله اى كتب عليكم الصيام اياما وقيل باضمار فعل اى صوموا اياما قوله تعالى فمن كان منكم مريضا

او على سفر فعدة من ايام اخر اى فافطر فعدة كقوله فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية
تقديره فحلق و فقد فعليه فدية فاختصر وتقديره فعليه عدة ولذلك ارتفع عدة • وقرا ابن ابى عبلة فعدة
بالنصب اى فليصم عدة واخر فى موضع خفض الا انها لا تنصرف لانها معدولة عن جهتها فكان حقها الاخريات
فلما عدل الى فعل لم يجر مثل عمر و زفر ومعنى الاية فليصم عدة من ايام اخر غير ايام مرضه او سفره قوله عز
وجل وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين قرا ابن عباس وعايشه وعطا وابن جبير وعكرمة
ومجاهد يطوقونه بضم اليا وفتح الطا والواو التشديد اى يكلفونه • وروى عن مجاهد وعكرمة ايضا
يطوقونه بفتح اليا وتشديد الطا والوا اى يتطوقونه بمعنى يتكلفونه • وروى عن ابن عباس ايضا يطيقونه
بفتح اليا وتشديد الطا واليا الثانية وفتحها بمعنى يطيقونه يقال طاق واطاق بمعنى واحد قوله تعالى فدية
طعام مسكين قرا اهل المدينة والشام فدية طعام مضافا مساكين جمعا اضاف الطعام الى الفدية
وان كانا واحدا لاختلاف اللفظين كقوله تعالى وحب الحصيد وقولهم مسجد الجامع وربيع الاول •
وقرا ابن عباس طعام مسكين على الواحد وهى قراءة الباقين غير نافع فمن وحد فمعناه لكل يوم طعام مسكين
واحد ومن جمع رده الى الجمع اى عليه اطعام مساكين فدية ايام يفطر فيها ومعنى الاية وعلى الذين
يطيقون الصوم فلم يصوموا فدية طعام مسكين وذلك انه كان يرخص فى الصوم الاول لمن يطيق الصوم
ان يفطر ويتصدق مكان كل يوم على مسكين ثم نسخ بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه قوله عز وجل فمن
تطوع خيرا فهو خير له قرا يحيى بن وثاب وحمزة والكسائى يطوع باليا وتشديد الطا وجزم العين
على معنى يتطوع وقرا الاخرون بالتا وفتح العين وتخفيف الطا على الفعل الماضى ومعنى الاية فمن تطوع
خيرا اى زاد على طعام مسكين واحد فهو خير له وان تصوموا خير لكم من ان تطعموا وتفطروا ان
كنتم تعلمون ثواب الله فى الصوم • واختلف العلما فى تاويل هذه الاية وحكمها فقال قوم كان ذلك فى اول
ما فرض الله الصوم وذلك ان الله عز وجل لما انزل فرض صيام شهر رمضان على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وامر اصحابه بذلك شق عليهم الصوم وكانوا قوما لم يتعودوا الصوم فخيرهم الله بين الصيام والاطعام
فكان من شا صام ومن شا افطر وافتدى بالطعام ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه

انه قراءة

ونزلت

ونزلت العزيمة فى ايجاب الصوم وعلى هذا القول معاذ بن جبل وانس بن مالك وسلمة بن الاكوع وابن عمر
وعلقمه وعكرمة والشعبى والزهرى وابراهيم والضحاك وهى احدى الروايات عن ابن عباس • وقال الاخرون
بل هذا خاص للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة الذين يطيقان الصوم ولكن يشق عليهما رخص لهما ان شاا افطرا
مع الفدية ويطعما لكل يوم مسكينا ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه وثبتت الرخصة
للذين لا يطيقونه وهذا قول الربيع ابن انس ورواية سعيد ابن جبير عن ابن عباس • وقال الحسن هذا فى
المريض كان اذا وقع عليه اسم المرض وكان يستطيع الصيام فهو بالخيار ان شا صام وان شا افطر
واطعم حتى نسخ ذلك فعلى هذه الاقاويل الاية منسوخة وهذا قول اكثر الفقها والمفسرين وقال قوم لم
تنسخ هذه الاية ولا شى منها وانما تاويلها وعلى الذين يطيقونه فى حال شبابهم وفى حال صحتهم وقوتهم
ثم عجزوا عن الصوم فدية طعام مسكين وجعلوا هذه الاية محكمة وهذا سعيد بن المسيب والسدى
واحدى الروايات عن ابن عباس فحمله ما ذكرنا من الاقاويل على قراءة من قرا يطيقونه من الاطاقه وهى القراءة
الصحيحة الذى عليها عامة اهل القران ومصاحف اهل البلدان واما على قراءة يطوقونه فقالوا انه
الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والمريض الذى لا يرجى برؤه فهم يكلفون ولا يطيقونه فلهم ان يفطروا و
يطعموا مكان كل يوم مسكينا وقالوا الاية محكمة قوله تعالى وان تصوموا خير لكم اى خير لكم من ان يفطروا
وتطعموا قوله تعالى ان كنتم تعلمون اى ان كنتم تعلمون ثواب الله تعالى فى الصوم ثم بين الله تعالى ايام الصيام
بقوله عز وجل شهر رمضان الذى انزل فيه القران قراءة العامة شهر بالرفع على معنى اتاكم شهر رمضان
وقال الفرا ذلكم شهر رمضان وقال الاخفش هو شهر رمضان وقال الكسائى كتب عليكم شهر رمضان وقيل
ابتدا وتعين خبر • وقرا الحسن ومجاهد شهر رمضان نصبا على معنى صوموا شهر رمضان • وقال
الاخفش نصب على الظرف اى كتب عليكم الصيام فى شهر رمضان • وقال بعضهم نصب على الاغرا اى الزموا شهر
رمضان • وقيل نصب على البدل من قوله تعالى اياما معدودات وسمى الشهر شهرا لشهرته • واختلفوا
فى رمضان فقال بعضهم هو اسم من اسما الله تعالى فيقال شهر رمضان كما يقال شهر الله ويدل على ذلك ما روى
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا رمضان انسبوه كما نسبه الله عز وجل فى القران

فقال شهر رمضان قال ابو عمرو انما سمى رمضان لانه رمضت فيه الفصال من الحر وقيل سمى بذلك لانه يرمض الذنوب اى يحرقها وقيل لان القلوب تاخذ فيه من حرارة الموعظة كما تاخذ الرمل والحجارة من حر الشمس وقال الخليل هو ماخوذ من الرمض وهو مطر ياتى فى الخريف سمى به هذا الشهر لانه يغسل الابدان من الاثام غسلا ويطهر قلوبهم تطهيرا قوله تعالى **الذى انزل فيه القران** روى ان عطية بن الاسود قال لابن عباس انه قد وقع الشك فى قوله تعالى شهر رمضان الذى انزل فيه القران وقوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر وانا انزلناه فى ليلة مباركة وقد نزل فى ساير الشهور قال الله تعالى وقرانا فرقناه الاية ● فقال انزل القران جملة واحدة من اللوح المحفوظ فى ليلة القدر فى شهر رمضان فوضع فى بيت العزة فى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبى عليه السلام نجوما عشرين سنة وذلك قوله عز وجل فلا اقسم بمواقع النجوم ● وقيل كان ينزل فى كل شهر من شهر رمضان الى السماء الدنيا ما كان ينزل فى تلك السنه فنزل من اللوح المحفوظ فى عشرين شهرا ونزل به جبريل فى عشرين سنة ● وقال بعضهم كان ابتدا انزاله على النبى صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان فاضيف انزال الكل الى ذلك وعن ابى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت صحف ابراهيم فى ثلث ليال مضين من رمضان ● وانزلت التورية فى ست ليال مضين من رمضان ● وانزلت الانجيل فى ثلث عشرة مضت من رمضان وانزلت الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم فى الرابعة والعشرين من رمضان ● وروى ان التورية انزلت فى اثنتى عشرة ليلة خلت من رمضان ● والانجيل فى ثمانى عشرة من رمضان قوله تعالى **هدى للناس** اى انزل القران هاديا للناس من الضلالة وانتصب هدى على القطع لان القران معرفة وهدى نكرة قوله تعالى **وبينات من الهدى والفرقان** اى ودلالات واضحات من الهدى والفرق بين الحق والباطل وقيل معناه وبينات من الحلال والحرام والحدود والاحكام ● وعن سعيد بن المسيب عن سلمان رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اخر يوم من شعبان فقال يا ايها الناس قد اظلكم شهر عظيم شهر مبارك شهر فيه ليلة القدر خير من الف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا فمن تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن ادى فيه فريضة ومن ادى فيه فريضة كان كمن ادى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد فيه رزق المومن وشهر اوله رحمة واوسطه مغفرة واخره

وانزلت الزبور فى ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان صح

عتق

عتق من النار من فطر فيه صايما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل اجره من غير ان ينقص من اجره شيا قالوا يا رسول الله ليس كلنا نجد ما يفطر الصايم فقال صلى الله عليه وسلم يعطى الله هذا الثواب من فطر صايما على مذقة لبن او تمر او شربة ما ومن اشبع فيه صايما سقاه الله من حوضى شربة لا يظما بعدها ابدا حتى يدخل الجنة وكان كمن اعتق رقبة ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له واعتقه من النار فاستكثروا فيه من اربع خصال خصلتان ترضون بهما ربكم وخصلتان لا غنا لكم عنهما فاما اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة ان لا اله الا الله وتستغفرونه واما اللتان لا غنا لكم عنهما فتسالون الله الجنة وتعوذون به من النار ● وعن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابواب السما وابواب الجنة لتفتح اول ليلة من شهر رمضان فلا تغلق الى اخر ليلة منه وليس من عبد يصلى فى ليلة منها الا كتب الله له بكل سجدة الف حسنه وسبعماية حسنة وبنى له بيتا فى الجنة من ياقوتة حمرا له سبعون الف باب لكل باب منها مصراعان من ذهب فاذا صام اول يوم من شهر رمضان غفر الله له كل ذنب الى اخر يوم من رمضان وكان كفارة الى مثله وله بكل يوم يصومه قصر فى الجنة له الف باب من ذهب واستغفر له سبعون الف ملك من غدوة الى ان توارى بالحجاب وله بكل سجدة يسجدها من ليل او نهار شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ● وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان اول ليلة من شهر رمضان نادى الجليل جلت قدرته وعظمته يا رضوان يحل جنتى وزينها للصايمين من امة محمد صلى الله عليه وسلم ولا تغلقها حتى ينقضى شهرهم ثم ينادى يا مالك اغلق ابواب جهنم عن الصايمين من امة محمد ثم لا تفتحها حتى ينقضى شهرهم ثم ينادى يا جبريل انزل الى الارض فغل من مردة الشياطين عن امة محمد حتى لا يفسدوا عليهم صيامهم ● ولله عز وجل فى كل يوم عند طلوع الشمس وعند وقت الافطار عتقا يعتقهم من النار عبيدا واما وله فى كل سما ملك له عرف تحت العرش وقوايمه فى تخوم الارض السابعة له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ينادى هل من تايب يتاب عليه هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سايل يعطى سوله ولو اذن الله للسموات والارض لتكلمتا لبشرتا من صام رمضان بالجنة ● وقال صلى الله عليه وسلم نوم الصايم عبادة وصمته تسبيح وعمله

مضاعف قوله عز وجل فمن شهد منكم الشهر فليصمه قراة العامة بجزم الميم وقرا الحسن والاعرج فليصمه بكسر
اللام وهي لام الامر وحقها الكسر اذا انفردت كقوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته فاذا وصلت بشيء
ففيه وجهان الجزم والكسر وانما توصل بثلثه احرف بالفا كقوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت و
بالوا وكقوله تعالى وليوفوا نذورهم وليطوفوا وبثم كقوله ثم ليقضوا تفثهم • واختلف العلما في معنى
هذه الاية فقال بعضهم معناها فمن شهد بالغا عاقلا مقيما صحيحا مكلفا فليصمه وبه قال ابو حنيفه
واصحابه وقال قوم معناه فمن دخل عليه شهر رمضان وهو مقيم في داره فليصم الشهر كله غاب بعد فسافر
او قام فلم يبرح قاله السدي والنخعي • قال قتادة ان عليا كان يقول اذا ادركه رمضان وهو مقيم
ثم سافر فعليه الصوم قالوا والمستحب له ان لا يسافر واذا ادركه رمضان مقيما ان امكنه حتى ينقضي الشهر •
وروي في ذلك عن ابراهيم بن طلحة انه جا الى عايشة رضي الله عنها يسلم عليها فقالت له فاين تريد
قال اريد العمرة قالت جلست حتى اذا دخل عليك شهر رمضان خرجت فيه قال قد خرج رحلي قالت اجلس حتى افطرت

اذا صح

فاخرج فلو ادركني رمضان وانا ببعض الطريق لاقمت له • وقال الاخرون معناه فمن شهد منكم الشهر
فليصم ما شهد منه وكان حاضرا فان سافر فله الافطار ان شاء قاله ابن عباس وعامه اهل التفسير
وهو اصح الاقاويل ويدل عليه ما روى ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح
صايما في رمضان حتى اذا كان بالكديد افطره • وعن الشعبي انه سافر في رمضان فافطر عند باب الجسر •
وعن ابي ميسرة انه خرج في رمضان حتى اذا بلغ القنطرة دعا بماء فشرب قوله عز وجل ومن كان مريضا او على
سفر فعدة من ايام اخر اي من كان مريضا او مسافرا فافطر فعليه قضا ما افطر فيه • واختلفوا في المرض الذي
اباح الله فيه الافطار فقال قوم هو كل مرض يسمى مرضا • قال طريف بن تمام دخلت على ابن سيرين في رمضان
وهو ياكل فلما فرغ قال انه وجعت اصبعي هذه • وقال الاخرون هو كل مرض كان الاغلب من مرض صاحبه
بالصوم الزيادة في علته زيادة غير محتملة • وقال الحسن وابراهيم اذا لم يستطع المريض ان يصلي الفرايض
قايما فله ان يفطر والاصل فيه انه اذا لم يمكنه الصوم واجهد افطر واذا لم يجهد فهو بمعنى الصحيح الذي يطيق
الصوم وقوله تعالى او على سفر • واختلفوا في صيام المسافر فقال قوم الافطار في السفر عزيمة واجبة وليس

برخصة فمن صام في السفر فعليه القضا اذا اقام وهو قول ابي هريرة وابن عباس وعروة بن الزبير
والضحاك وتمسكوا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر • وعن عبد الرحمن
بن عوف انه قال الصيام في السفر كالمفطر في الحضر • وقال الاخرون الافطار في السفر رخصة من الله عز
وجل والفرض الصوم فمن صام ففرضه ادا ومن افطر فبرخصة الله اخذ ولا قضا على من صام اذا
اقام وهذا هو الصحيح وعليه عامة الفقها يدل عليه ما روى جابر قال كنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في سفر فمنا الصايم ومنا المفطر فلم يكن بعضنا يعيب على بعض • وعن حمزة بن عمرو
انه قال يا رسول الله اني اجد في قوة على الصوم في السفر فهل علي جناح قال هي رخصة من الله تعالى
فمن اخذها فحسن ومن احب ان يصوم فلا جناح عليه فاما قوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام
في السفر فان اصله ما روى جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل في ظل شجرة يرش عليه
الما فقال ما بال صاحبكم هذا قالوا يا رسول الله هو صايم فقال ليس من البر ان تصوموا في السفر فعليكم
برخصة الله تعالى التي رخص لكم فاقبلوها وكذلك تاويل قوله عليه السلام الصايم في السفر كالمفطر
في الحضر يدل عليه حديث مجاهد عن ابن عمر انه مر برجل ينضح عليه الما في وجهه وهو صايم فقال له
افطر ويحك فاني اراك انمت على هذا دخلت النار • والذي يؤيد ما قلناه ما روى عن عروة وسالم
انهما كانا عند عمر بن عبد العزيز اذ هو امير على المدينة فتذاكروا الصوم في السفر فقال سالم كان ابن عمر
لا يصوم في السفر • وقال عروة كانت عايشه تصوم في السفر فقال سالم انما احدثك عن ابن عمر فقال عروة انما
احدثك عن عايشه فارتفعت اصواتهما فقال عمر بن عبد العزيز اللهم عفوا ان كان يسرا فصوموا وان كان
عسرا فافطروا • ثم اختلف في المستحب فقال قوم الصوم افضل وهو قول معاذ بن جبل وانس وابراهيم ومجاهد
وروي ان انس بن مالك امر غلاما له او غلاما له بالصوم في السفر فقيل له في هذه الاية فقال نزلت ونحن
نرتحل يومئذ جياعا وننزل على غير شبع فمن افطر فرخصته ومن صام فالصوم افضل • وقال الاخرون المستحب
الافطار لما روي عن جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكه عام الفتح في رمضان فصام
حتى اذا بلغ كراع الغميم فصام الناس فبلغه ان الناس قد شق عليهم الصيام فدعا بقدح ماء بعد العصر

فشرب والناس ينظرون فافطر بعضهم وصام بعضهم فبلغه ان ناسا صاموا فقال اولئك العصاة •
وعن يعلى بن يوسف قال سالت ابن عمر عن الصوم في السفر فقال ارايت لو تصدقت على رجل بصدقة
فردها عليك الم تغضب قلت بلى قال فانها صدقة من الله تعالى تصدق بها عليكم قوله تعالى يريد الله
بكم اليسر اى حين رخص الافطار للمريض والمسافر ولا يريد بكم العسر اى تكليف الصوم في المرض والسفر •
قرا يزيد بن القعقاع اليسر والعسر مثقلين في جميع القرآن وقرا الباقون بتخفيفهما وهما لغتان جيدتان
قوله تعالى ولتكملوا العدة قرا ابو بكر بتشديد الميم وقرا الباقون بالتخفيف وهو الاختيار لقوله تعالى
اليوم اكملت لكم دينكم والواو في قوله ولتكملوا العدة واو العطف واللام لام كى تقديره يريد الله بكم اليسر
اى يريد لان يسهل عليكم ولتكملوا العدة • قال الزجاج معناه فعل الله ذلك ليسهل عليكم ما افطرتم في
مرضكم وسفركم اذا برأتم واقمتم فقضيتموها وقيل ومعنى ولتكملوا العدة اى ولتتموا عدة ما افطرتم للمرض
والسفر وقيل معناه عدة ثلثين يوما اذا غم عليكم هلال شوال قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم
اى ولتعظموا الله بقلوبكم وافواهكم واعمالكم على ما هداكم لدينه وشرايعه ووفقكم ورزقكم شهر
رمضان وخصكم به دون ساير اهل الملل ويقال اراد بذلك التكبير في صلوة عيد الفطر وقال بعضهم
اراد به التكبير ليلة الفطر • قال ابن عباس حق على المسلمين اذا راوا هلال شوال ان يكبروا • وروى عن سعيد
بن المسيب وابى سلمة وغيرهما انهم كانوا يكبرون ليلة الفطر يجهرون بالتكبير قوله تعالى ولعلكم تشكرون
اى لكى يشكروا الله على الرخصة ونعمة الهدى وقوله عز وجل واذا سالك عبادى عنى فانى قريب الاية •
اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الاية فقال ابن عباس نزلت في عمر رضى الله عنه واصحابه حين اصابوا
من اهليهم في ليالى رمضان وسياتى قصتهم ان شا الله • وروى الكلبى عن ابى صالح عنه قال قال يهود المدينه
يا محمد كيف يسمع ربنا دعانا وانت تزعم ان بيننا وبين السما مسيرة خمسماية عام وان غلظ كل سما مثل ذلك
فانزل الله هذه الاية • وقال عطا وقتادة لما نزل قوله تعالى ادعونى استجب لكم قال رجل يا رسول الله كيف
ندعوا ربنا ومتى ندعوه فانزل الله هذه الاية • وقال الضحاك سيل بعض الصحابة رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله هذه الاية واذا سالك عبادى عنى فانى قريب

قال اهل

قال اهل المعانى فيه اضمار كانه قال فقل لهم يا محمد واعلمهم انى قريب منهم بالعلم قوله تعالى اجيب دعوة
الداع اذا دعان فان قيل ما وجه هذه الاية وقوله ادعونى استجب لكم وقد يدعوه كثير من خلقه
فلا يجيب دعاه • قلنا اختلف العلما في تاويل ذلك فقال بعضهم معنى الدعا هنا الطاعة ومعنى الاجابة
الثواب كانه قال اجيب دعوة الداع بالثواب اذا اطاعنى • وقيل معناه الخصوص وان كان اللفظ عاما
اى اجيب دعوة الداع اذا شيت واجيب دعوة الداع اذا وافق القضا واجيب دعوة الداع اذا كانت
الاجابة له خيرا • ويدل عليه ما روى عن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من مسلم دعى الله بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا اثم الا اعطاه الله بها احدى ثلث خصال
اما ان تعجل دعوته واما ان تدخر له في الاخرة واما ان تدفع عنه من السوء مثلها قالوا يا رسول الله
اذا نكثر قال الله اكثر • وقال بعضهم هو عام وليس فيه اكثر من اجابة الدعوة فاما اعطا الامنيه و
قضا الحاجة فليس بمذكور في الاية وقد يجيب السيد عبده والوالد ولده ولا يعطيه سوله فالاجابة
كاينه لا محاله عند حضور الدعوة لان قوله اجيب واستجيب هو خبر والخبر لا يعترض عليه النسخ
لانه اذا نسخ صار المخبر كذابا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا • ودليل هذا التاويل ما روى ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتح له ابواب في الدعا فتح له ابواب الاجابة • واوحى
الله تعالى الى داود عليه السلام قل للظلمة لا يدعونى فانى وجبت على نفسى ان اجيب من دعانى وانى
اذا اجبت الظالمين لعنتهم • وقيل ان الله تعالى يجيب دعا المومن في الوقت الا انه يوخر اعطا مراده
ليدعوه فيسمع صوته يدل عليه ما روى جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد
ليدعو الله تعالى وهو يحبه فيقول يا جبريل اقض لعبدى هذا حاجته واخرها فانى احب ان لا
ازال اسمع صوته وان العبد ليدعو الله وهو يبغضه فيقول يا جبريل اقض لعبدى هذا حاجته و
اعجلها فانى اكره ان اسمع صوته • وبلغنا عن يحيى بن سعيد قال رايت رب العزة في المنام فقلت يا رب كم
ادعوك فلا تستجيب لى فقال يا يحيى انى احب ان اسمع صوتك • وقال بعضهم ان للدعا آدابا وشرايط هى
اسباب الاجابة ونيل الامنيه فمن راعاها واستكملها كان من اهل الاجابة ومن اغفلها واخل بها

فهو من اهل الاعتدا فى الدعا • وقيل ما من احد يدعو الله تعالى على ما توجبه الحكمة الا وهو يجيب دعاه
والدعا على شرط الحكمة ان يقول اللهم افعل لى كذا وكذا ان لم يكن مفسدة فى دينى وفيما يرضيك عنى • وحكى
ان ابراهيم بن ادهم رحمه الله قيل له ما بالنا ندعو الله عز وجل فلا يستجيب لنا فقال لانكم عرفتم الله
فلم تطيعوه وعرفتم رسول الله فلم تتبعوه وعرفتم القرآن فلم تعملوا به واكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها
وعرفتم الجنة فلم تطلبوها وعرفتم النار فلم تهربوا منها وعرفتم الشيطان فوافقتموه وعرفتم الموت فلم تستعدوا
له ودفنتم الاموات فلم تعتبروا بهم وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس قوله عز وجل فليستجيبوا لى
اى فليجيبوا لى بالطاعة يقال اجاب واستجاب بمعنى واحد قال الشاعر • وداع دعى يا من يجيب الى الندا • فلم
يستجبه عند ذاك مجيب • وقال رجا الخراسانى معناه فليدعونى والاجابة من الله تعالى الاعطا ومن العبد
الطاعة وفى بعض التفاسير الاستجابة ان تقول بعد صلاتك لبيك اللهم لبيك الى اخر التلبية وقوله تعالى
وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون الايمان ان تقول امنت بالله وكفرت بالجبت والطاغوت وعدك حق ولقاوك
حق واشهد انك واحد فرد لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفوا احد واشهد ان الساعة اتية لا ريب فيها
وانك تبعث من فى القبور • وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما تركت هذه الكلمات بعد صلوة بعد ما نزلت
هذه الاية • وقال الكلبى ما تركتها منذ اربعين سنه فعلى هذا معنى الاستجابة الاجابة بالطاعه والانقياد
فى كل ما الزمه وقوله لعلهم يرشدون اى ليكونوا على رجا الرشد فى مصالح الدنيا والاخرة قوله عز وجل
احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم قال المفسرون كان الرجل فى ابتدا الامر اذا افطر حل له الطعام والشراب
والجماع الى ان يصلى العشا الاخرة او يرقد قبلها فاذا صلى العشا ورقد قبل الصلوة ولم يفطر حرم عليه
الطعام والشراب والجماع الى مثلها من القابلة ثم ان عمر رضى الله عنه واقع اهله بعد ما صلى العشا فلما اغتسل
اخذ يبكى ويلوم نفسه ثم اتى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى اعتذر اليك والى الله
من نفسى هذه الخاطيه انى راجعت اهلى بعد ما صليت العشا الاخرة فوجدت رايحة طيبة فسولت لى نفسى
فجامعت اهلى فهل لى من رخصة فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال
فاعترفوا بالذى كانوا صنعوا بعد العشا فنزل فى عمر واصحابه احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم اى

ابيح لكم

ابيح لكم فى ليلة الصيام الرفث • قرا ابن مسعود والاعمش الرفوث برفع الرا والفا وهما والرفوث والرفث كناية عن
الجماع • وقال ابن عباس ان الله حيى كريم فكلما ذكر الله تعالى فى القرآن من المباشرة والملامسة والافضا والدخول
فانما يريد به الجماع قال الشاعر • فظلنا هنالك فى نعمة • وكل اللذاذة غير الرفث • وقال القتيبى الرفث هو الافصاح
بما يجب ان يكنى به عن ذكر النكاح واصله الفحش والقول القبيح • وقال الزجاج الرفث كل كلمة جامعة لكل ما يريد
الرجال من النسا قوله عز وجل هن لباس لكم وانتم لباس لهن اى هن سكن لكم وانتم سكن لهن قاله اكثر المفسرين ونظيره
قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا اى سكنا ودليله قوله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها • وقال اهل
المعانى اللباس الشعار الذى يلى الجلد من الثياب فسمى كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما
فى ثوب واحد وانضمام جسد كل واحد منهما الى جسد صاحبه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب
الذى يلبسه • وقال بعضهم يقال لما ستر الشى لباسا فجاز ان يكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عن ما لا يحل
كما روى فى الخبر من تزوج فقد احرز نصف دينه قوله عز وجل • علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب
عليكم وعفى عنكم اى علم الله انكم كنتم تظلمون انفسكم بمعصيتكم وجماعكم بعد العشا الاخرة فى ليالى
الصوم فتجاوز عنكم ولم يعاقبكم على ذلك وعفا عنكم ذنوبكم فالان باشروهن اى جامعوهن فى ليالى
الصوم فهو حلال لكم سميت المجامعة المباشرة لتلاصق بشرة كل واحد منهما بصاحبه وقوله تعالى وابتغوا
ما كتب الله لكم اى واطلبوا ما قضى الله لكم من الولد • قال مجاهد ان لم تلد هذه فهذه • وقال ابن زيد وابتغوا
ما كتب الله لكم اى ما احل لكم من الجماع وقرا معاذ بن جبل واتبعوا ما كتب الله لكم من الاتباع يعنى ليلة القدر
وكذلك روى ابو الجوزا عن ابن عباس وقرا الاعمش واتوا ما كتب الله لكم اى فعلوا واشبه الاقاويل بظاهر
الاية فى تاويل قوله وابتغوا ما كتب الله لكم قول من تاوله على الولد لانه عقيب قوله فباشروهن وهو
امر اباحة وندب كقوله صلى الله عليه وسلم تناكحوا تكثروا فانى اباهى بكم الامم يوم القيمة حتى بالسقط
وقال اهل الظاهر هو امر ايجاب وحتم يدل عليه ما روى انس بن مالك ان امراة كان يقال لها الحولا
عطارة من اهل المدينة دخلت على عايشه رضى الله عنها فقالت يا ام المومنين زوجى فلان اتزين له
كل ليلة واتطيب كانى عروس زفت اليه فاذا اوى الى فراشه دخلت فى لحافه التمس بذلك رضى الله تعالى

فحول وجهه عني راه قد ابغضني فقالت اجلسي حتى يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فبينما انا
كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الروايح التي اجدها هل اتتكم الحولا ابتعتم
منها شيا قالت عايشة لا والله يا رسول الله فقصت عليه الحولا قصتها فقال لها اذهبي واسمعي له واطيعي
فقالت افعل يا رسول الله فما لي من الاجر قال ما من امراة رفعت من بيت زوجها شيا ووضعته تريد الاحسان
الا كتب الله لها حسنة ومحا عنها سيئة ورفع لها درجة وما من امراة حملت من زوجها حين تحمل الا كتب
الله لها من الاجر مثل القايم ليلة الصايم نهاره والغازي في سبيل الله وما من امراة ياتيها طلق الا كتب
الله لها بكل طلقة عتق نسمة وبكل رضعة عتق رقبة فاذا فطمت ولدها ناداها مناد من السما ايتها
المراة قد كفيت بالعمل فيما مضى فاستانفي العمل فيما بقي قالت عايشة قد اعطي النسا خيرا كثيرا فما بالكم يا
معشر الرجال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ما من رجل اخذ بيد امراته يراودها
الا كتب الله له حسنة وان عانقها فعشر حسنات وان قبلها فعشرون حسنة وان اتاها كان خيرا من الدنيا
وما فيها فاذا قام ليغتسل لم يمر الما على شعرة من جسده الا تمحا عنه سيئة ويعطا له درجة ويعطا
بغسله خيرا من الدنيا وما فيها وان الله عز وجل يباهي الملايكة يقول انظروا الى عبدي قام في ليلة باردة
يغتسل من الجنابة يتيقن باني ربه اشهدوا اني قد غفرت له قوله عز وجل وكلوا واشربوا حتى يتبين
لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر هذا امر اباحة مثل واذا حللتم فاصطادوا وشبهه
نزلت في رجل من الانصار يسمى صرمة بن انس هكذا قال الكلبي وقال معاذ بن جبل اسمه ابو صرمة وقال عكرمة
والسدي اسمه ابو قيس بن صرمة وقال مقاتل صرمة بن اياس • وكانت قصته انه ظل نهاره يعمل في ارض له
وهو صايم فلما امسى قال لاهله قدمي الطعام فارادت المراة ان تطعمه شيا سخنا فاخذت تعمل له سخينة
وكان في ذلك الوقت من صلى العشا او نام حرم عليه الطعام والشراب والجماع فلما فرغت من طبخ طعامه
اذ به قد نام فايقظته فكره ان يعصي الله تعالى ورسوله فابى ان ياكل فاصبح صايما مجهودا فلم ينتصف النهار
حتى غشي عليه فلما افاق اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اجهده الصوم فلما راه رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال له يا ابا قيس ما لك طليحا قال ظللت امس في النخل نهاري كله اجر بالجرير حتى امسيت

وفي بعض

وفي بعض النسخ اجر الجرير حتى امسيت فاتيت اهلي فارادت امراتي ان تطعمني شيا سخنا فابطات علي فنمت فايقظوني
وقد حرم الطعام والشراب فطويت واصبحت قد اجهدني الصوم فاغتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر اي كلوا في ليالي الصوم
واشربوا فيها حتى يتبين لكم بياض النهار وضوءه من سواد الليل وظلمته كذا قال المفسرون • وقيل معناه
حتى يتبين لكم الفجر الاول من الثاني قال الشاعر • الخيط الابيض قبل الصبح منصدع • والخيط الاسود جنح
وقت
الليل مركوم • وعن عدي بن حاتم قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة والصيام فقال
صل كذا وكذا وصم كذا وكذا فاذا غابت الشمس فكل واشرب حتى يتبين لك الخيط الابيض من الخيط الاسود
وصم ثلثين يوما الا ان ترى الهلال قبل ذلك قال فاخذت خيطين من شعر ابيض واسود وكنت انظر فيهما
فلا يتبين لي فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه وقال يا عدي
انما ذلك بياض النهار من سواد الليل وقوله تعالى من الفجر يعني المستطير الذي ينتشر وياخذ الافق وهو الثاني
وهو الفجر الصادق الذي تحل فيه الصلوة ويحرم فيه الطعام على الصايم واما الفجر الاول وهو الذي
سطع في السماء مستطيلا كذنب السرحان ولا ينتشر فذلك من الليل لا تحل فيه صلوة الفجر ولا يحرم
فيه الطعام على الصايم وهو الفجر الكاذب • وعن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يمنعكم من السحور اذان بلال ولا الصبح المستطيل ولكن الصبح المستطير في الافق قوله عز وجل
ثم اتموا الصيام الى الليل قال عبد الله بن ابي اوفى كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير
وهو صايم فلما غربت الشمس قال لرجل انزل فاجدح لنا فقال يا رسول الله لو امسيت قال انزل
فاجدح لنا فقال يا رسول الله ان علينا نهارا فقال له الثالثة فنزل فجدح له ثم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من هاهنا وادبر النهار من هاهنا فقد افطر الصايم وفي بعض الالفاظ
اكل او لم ياكل قوله عز وجل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد اصل العكوف والاعتكاف
اللبث والاقامة يقال عكف بالمكان اذا اقام به قال الله تعالى فاتوا على قوم يعكفون على اصنام
لهم اي يقيمون قال الفرزدق يصف القدور • ترى حولهن المعتفين كانهم • على صنم في الجاهلية عكف

والاعتكاف هو حبس النفس في المسجد على عبادة الله تعالى • واختلف العلما في معنى المباشرة التي نهي المعتكف
عنها فقال قوم هي المجامعة خاصة معناه ولا تجامعوهن ما دمتم معتكفين في المساجد قال ابن
عباس وعطا والضحاك والربيع • وقال قتادة ومقاتل والكلبي نزلت هذه الاية في نفر من الصحابة كانوا
يعتكفون في المسجد فاذا عرضت بالرجل منهم حاجة الى اهله خرج اليها فجامعها ثم يغتسل ويرجع
الى المسجد فنهوا ان يجامعوا نساهم ليلا ونهارا حتى يفرغوا من اعتكافهم • وقال ابن زيد المباشرة
الجماع واللمس والقبلة وانواع التلذذ والجماع مفسد للاعتكاف بالاجماع • واما المباشرة غير
الجماع فعلى ضربين ضرب يقصد به التلذذ بالمراة فهو مكروه ولا يفسد الاعتكاف عند اكثر
الفقها • وقال مالك يفسده • والضرب الثاني ما لا يقصد به التلذذ بالمراة فهو مباح كما جا في خبر
عايشه رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل راسه اليها فترجله وهو
معتكف • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتكف عشرا في رمضان كان كحجتين وعمرتين قوله
تعالى تلك حدود الله اي المجامعة في الاعتكاف معصية وقيل جميع ما في هذه الاية الى اخرها احكام
الله فلا تقربوها يعني المباشرة في الاعتكاف • وقيل احكام الله لا تقربوها بالخلاف كذلك يبين الله
لكم هذه الاحكام اي فهكذا يبين للناس ساير ادلته على دينه وشرايعه وقيل ساير اوامره ونواهيه
لكي يتقوا معاصيه وحدود الله • قال السدي شروط الله • وقال شهر بن حوشب فرايض الله • وقال
الضحاك معصية الله واصل الحد في اللغة المنع ومنه قيل للبواب حداد • وقال الخليل بن احمد
الحد الجامع المانع ومنه حدود الدار والارض وهي ما تمنع غيرها ان يدخل فيها • وسمي الحديد
حديدا لانه يمتنع به من الاعدا ويقال احدت المراة واحدت اذا امتنعت نفسها من الزينة فحدود الله
هي ما منع الله منها او منع من مخالفتها والتعدي لغيرها قوله تعالى فلا تقربوها اي فلا تاتوها
يقال قربت من الشي اقربه وقربته وقربت منه بضم الرا اذا دنوت منه وقوله تعالى كذلك
يبين الله اي هكذا يبين الله اياته للناس لكي يتقوها وينجوا من سخط الله والعذاب قوله عز وجل
ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اكل المال بالباطل على وجهين احدهما اخذه على وجه الظلم

بالغصب

بالغصب والخيانة وشهادة الزور واليمين الفاجرة • والثاني اخذه من جهات محظورة مع رضا صاحبه
مثل القمار واجرة الغنا والملاهي والنايحة وثمن الخمر والخنزير والربا واشباه ذلك ومعنى الاية و
لا ياكل بعضكم اموال البعض بالباطل اي من غير الوجه الذي اباحه الله تعالى واصل الباطل الشي الذاهب
الزايل يقال بطل يبطل بطولا وبطلانا اذا ذهب قوله تعالى وتدلوا بها الى الحكام اي ولا يظهروا حجتكم
للحكام بالباطل فيحكم الحاكم في الظاهر مع علم المحكوم له انه غير مستحق في الباطن واصل الادلا هو ارسال
الدلو في البير يقال ادلى دلوه اذا ارسلها قال الله تعالى فادلى دلوه ودلاها يدلوها اذا اخرجها ثم
جعل كل القا قول وفعل ادلا ومنه قيل للمحتج بدعواه ادلا بحجته لان الحجة سبب وصوله الى دعواه
كالدلو سبب وصوله الى الما • واختلف النحاة في محل قوله وتدلوا بها قال بعضهم الجزم لتكرر حرف
النهي اي لا تاكلوا ولا تدلوا وكذلك هو في حرف ابي باثبات لا • وقيل هو نصب على الظرف كقول الشاعر
لا تنه عن خلق وتاتي مثله • وقيل نصب باضمار ان الحقيقه وقال الاخفش نصب على الجواب بالواو
قوله عز وجل لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون اي لتاكلوا طايفة من اموال الناس بالظلم
والجور وانتم تعلمون انكم مبطلون في دعواكم • قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه
فيه بينة فيجحد المال ويخاصمهم فيه الى الحكام وهو يعرف ان الحق عليه ويعلم انه اثم اكل حرام • و قال
مجاهد معنى الايه لا تخاصم وانت ظالم • وقال الحسن هو ان يكون للرجل على صاحبه حق فاذا طالبه به
دعاه الى الحاكم فيحلف له ويذهب بحقه • وقال الكلبي هو ان يقيم شهادة الزور • وقال شريح لبعض الخصوم
اني قضي لك وانا اظنك ظالما ولا يسعني الا ان اقضي بما يحضرني من البينة وان قضاي لا يحل لك حراما • و
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر مثلكم ولعل بعضكم يكون الحن بحجته
من بعض فاقضي له فمن قضيت له بشي من مال اخيه فانما اقطع له قطعة من نار قوله عز وجل يسالونك
عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج نزلت هذه الاية في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين
سالا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم
يزداد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا ولا يكون على حالة واحدة فانزل الله تعالى

يسألونك يا محمد عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها وهي جمع هلال مثل رداء وأردية وسمي هلالاً لانه حين يرى يهل الناس بذكر الله اي يرفعون اصواتهم كما يقال اهل القوم بالحج اذا رفعوا اصواتهم بالتلبية وقوله تعالى قل هي مواقيت للناس اي هي بيان المواقيت التي يحتاج الناس اليها في صومهم وفطرهم وعدة نسائهم واجال ديونهم ومدة اجاراتهم وحيض الحائض وعدة الحامل وغير ذلك اخبرهم الله تعالى عن الحكمة في زيادة القمر ونقصانه واختلاف احواله فلهذا خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حال واحد وقوله والحج اي وبيان وقت حجهم ولو جعل القمر مدوراً كالشمس ابداً لم تعرف المواقيت ولا السنون ولا الشهور وقوله عز وجل وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها الاية قال المفسرون كان الناس في الجاهلية وفي اول الاسلام اذا احرم الرجل منهم بالحج والعمرة لم يدخل حائطاً ولا داراً ولا بيتاً من بابه فان كان من اهل المدر اي البيوت نقب نقباً في ظهر بيته ويتخذ سلماً اليه يدخل منه ويخرج ولا يدخل من الباب وان كان من اهل الوبر اي الخيام والفساطيط خرج ودخل من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل في الباب ولا يخرج منه حتى يحل من احرامه ويرون ذلك براً الا ان يكون الرجل من الحمس وهم قريش وكنانه وخزاعة وثقيف وجشم وبنوا عامر بن صعصعه وبنو نصر بن معويه سموا حمساً لتشددهم في دينهم وعلى انفسهم فانهم كانوا لا يستظلون ايام منى ولا يسلون السمن ولا ياقطون الاقط والحماسة الشدة والصلابة الا انهم كانوا مع هذا يدخلون البيوت من ابوابها بخلاف الفريق الاول • فلما كان في زمن الحديبية اهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة فدخل بستاناً من بابه قد خرب وهو محرم فاتبعه عطية بن عامر السلمي من غير الحمس فدخل معه من الباب وهو محرم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وانت محرم من غير الحمس فقال رايتك يا رسول الله دخلت الباب وانت محرم فدخلت على اثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا من الحمس فقال الرجل ان كنت احمسياً يا رسول الله فانا احمسي ايضاً لان ديننا واحد رضيت بهديك وسنتك يا رسول الله فانزل هذه الاية • وقال الزهري كان ناس من الانصار اذا اهلوا بالعمرة لا يستظلون بشيء ولا يدخلون البيت كيلا يحول بينهم وبين السماء شيء ما داموا محرمين حتى كان زمن الحديبية اهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل منهم على اثره من الانصار فقال له

رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لاني رايتك يا رسول الله دخلت فقال صلى الله عليه وسلم اني احمسي والحمس لا يبالون بذلك فقال الانصاري وانا احمسي يعني انا على دينك وسنتك فانزل الله هذه الاية وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها اي من خلفها اذا احرمتم • قرا حمزة والكسائي وعاصم ونافع وابن عامر وابن كثير بكسر الباء من البيوت في جميع القرآن وقرا الباقون بضمها قوله تعالى ولكن البر من اتقى اي ليس البر بان تاتوا البيوت من خلفها اذا احرمتم ولكن البر من اتقى الشرك والمعاصي قوله تعالى واتوا البيوت من ابوابها اي اتوا البيوت محرمين ومحلين من ابوابها قوله تعالى واتقوا الله لعلكم تفلحون اي اتقوا الله في جميع ما امركم به ونهاكم عنه لكي تنجوا من العقوبة وتفوزوا بالبقاء في الجنة • وقد روي عن بعضهم انه كان يقول في هذه الاية ليس البر ان تطلبوا المعروف من غير اهله ولكن اطلبوه من اهله قوله عز وجل وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم اي وقاتلوا في دين الله وطاعته الذين يقاتلونكم • قال الربيع وعبد الرحمن بن زيد هذه اول اية نزلت في القتال وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه خرجوا في العام الذي ارادوا فيه العمرة فنزلوا بالحديبية قريباً من مكة والحديبية اسم البير فسمي ذلك الموضع باسم البير فصد المشركون عن البيت فاقام بالحديبية شهراً ثم صالحه المشركون على ان يرجع عامه ذلك على ان يخلوا له مكة من العام القابل ثلثة ايام فيطوف وينحر الهدي ويفعل ما يشاء وصالحوه على ان لا يكون بينه وبينهم قتال الى عشر سنة فرجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة • فلما كان العام المقبل تجهز لعمرة القضا وكانوا خافوا من ان لا تفي قريش بذلك وكانوا يكرهون قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فانزل الله هذه الاية ومعناها وقاتلوا في طاعة الله الذين يبدؤنكم بالقتال ولا تعتدوا اي ولا تنقضوا العهد بالبداية بقتالهم قبل تقديم الدعوة ان الله لا يحب المعتدين اي المتجاوزين عن الحدود اي لا يرضى عنهم عملهم فلما نزلت هذه الاية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عن من كف عنه حتى نزل قوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فنسخت هذه الاية وامر بالقتال مع المشركين كافة • وقال بعضهم هذه الاية محكمة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتال ولم ينسخ شيء من حكم هذه الاية فعلى هذا القول معنى قوله ولا تعتدوا اي لا تقتلوا

بالقتال صح

النسا والصبيان والشيخ الكبير ولا من القى اليكم السلم وكف يده عن قتالكم فان فعلتم ذلك فقد اعتديتم وهذا
قول ابن عباس ومجاهد فمعنى الآية وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم اي الذين هم من اهل القتال دون
النسا والولدان الذين لا يقاتلون فعلى هذا القول الآية غير منسوخة • وقال يحيى بن عامر كتبت الى عمر بن
عبد العزيز اساله عن قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا فكتب الي ان ذلك
في النسا والذرية والرهبان ومن لم ينتصب للحرب منهم • وقال الحسن ولا تعتدوا اي لا تاتوا ما نهيتم عنه
وقال بعضهم لا تعتدوا ترك قتالهم • وقال بعضهم نزلت هذه الآية والقتال كان محظورا قبل الهجرة كما قال
تعالى وجادلهم بالتي هي احسن ثم امر الله بالقتال بعد الهجرة لمن قاتلهم بهذه الآية ثم نزلت آية اخرى في
الاذن بالقتال عامة لمن قاتلهم ولمن لم يقاتلهم وهو قوله تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا •
وعن سليمان بن بريدة عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث اميرا على سرية او
جيش اوصاه في نفسه خاصة بتقوى الله عز وجل ومن معه من المسلمين خيرا وقال اغزوا بسم الله
وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا وقوله عز و
جل واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي قاتلوا الذين يبدؤونكم بالقتال من اهل مكة حيث وجدتموهم واخرجوهم
كما اخرجوكم من مكة وقوله تعالى والفتنة اشد من القتل اي والشرك الذي هم فيه اعظم ذنبا من
قتلكم اياهم في الحرم والاشهر الحرم والاحرام هكذا قال عامة المفسرين وقال الكسائي الفتنة هاهنا
العذاب وكانوا يعذبون من اسلم قوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه اي اذا
بداكم بالقتال في غير الحرم ثم لجاوا الى الحرم فكفوا عن قتالهم ولا تقاتلوهم في الحرم حتى يقاتلوكم فيه
فان بدؤوكم بالقتال في الحرم فاقتلوهم فيه • قرا عيسى بن عمر وطلحة بن مصرف ويحيى بن وثاب والاعمش
وحمزة والكسائي ولا تقتلوهم بغير الف من القتل على معنى ولا تقتلوا بعضهم تقول العرب قتلنا بني تميم وانما
قتلوا بعضهم وقرا الباقون كلها بالالف من القتال • واختلفوا في حكم هذه الآية فقال بعضهم هي منسوخة
نهوا عن الابتدا بالقتال ثم نسخ ذلك بقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة وهذا قول قتادة و
الربيع • وقال مقاتل واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث ادركتموهم في الحل والحرم فلما نزلت هذه الآية

نسخها

نسخها قوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ثم نسختها آية السيف التي في برآءة فهي ناسخة منسوخة
وقال آخرون هذه الآية محكمة ولا يجوز الابتدا بالقتال في الحرم وهو قول مجاهد واكثر المفسرين
وسمي الكفر فتنة لانه يؤدي الى الهلاك كما ان الفتنة تؤدي الى الهلاك قوله تعالى فان انتهوا فان الله
غفور رحيم اي فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور لما مضى من جهلهم ولما سلف من كفرهم
رحيم بهم بعد توبتهم واسلامهم قوله عز وجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي قاتلوا المشركين حتى لا يكون
شرك اي قاتلوهم حتى يسلموا فليس يقبل من المشرك الوثني جزية ولا يرضى منه الا بالاسلام وليسوا
كاهل الكتاب الذين يؤخذ منهم الجزية والحكمة في ذلك ان مع اهل الكتاب كتبا منزلة فيها الحق وان
كانوا قد اهملوها فامهلهم الله بحرمة تلك الكتب من القتل وامر باذلالهم بالجزية ولينظروا في كتبهم
وليدبروها فيقفوا على الحق منها فيتبعوه • واما اهل الاوثان فليس لهم كتب ترشد الى الحق وكان
امهالهم زايدا في شركهم فابى الله تعالى ان يرضى منهم الا بالاسلام والقتل قوله تعالى ويكون الدين
لله اي ويكون الطاعة والعبادة لله وحده وان لا يعبد دونه شيء وقوله فان انتهوا فلا عدوان
الا على الظالمين اي فان انتهوا عن القتال والكفر فلا عدوان اي فلا سبيل ولا حجة في القتل في الحرم و
الشهر الحرام الا على الظالمين • قال قتادة وعكرمة في هذه الآية الظالم الذي ابى ان يقول لا اله الا الله
وانما سمي الكافر ظالما لوضعه العبادة في غير موضعها وقيل معناه فلا عدوان الا على الذين يبدؤون
بالقتال ومن الدليل على ان هذه الآية غير ناسخة للاولى انها معها في خطاب واحد ولا يصح النسخ
الا بعد التمكن من الفعل • قال ابن عباس فسار النبي صلى الله عليه وسلم فاخلوا له اهل مكة الحرم
ثلاثة ايام فدخل هو واصحابه وطافوا ونحروا الهدي واقاموا بمكة حتى قضوا حاجتهم من البيت
ثم رجعوا فانزل الله قوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص اي الشهر الذي دخلت
فيه مكة وهو ذو القعدة واعتمرت فيه انت واصحابك وقضيتم من مكة فيه وطركم في سنة سبع
بالشهر الحرام وهو ذو القعدة ايضا الذي صدوك فيه عن البيت انت واصحابك ومنعوكم من مرادكم
في سنة ست وقوله تعالى والحرمات قصاص اي اقتصصت لكم منهم في الشهر الحرام في ذي القعدة كما

صد وكم في شهر ذي القعدة مراغمة والحرمات قصاص جمع الحرمة كالظلمات جمع ظلمة والحجرات جمع حجرة و
الحرمة ما يجب حفظه وترك انتهاكه وانما جمع الحرمات لانه اراد الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة
الاحرام والقصاص المساواة وهو ان يفعل بالفاعل كما فعل قوله عز وجل **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا**
عليه بمثل ما اعتدى عليكم اي فمن اعتدى عليكم بالقتال في الحرم فكافيوه وقاتلوه كمثل ما فعل وسمى
الجزا اعتدا على مقابلة اللفظ قوله تعالى **واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين** اي اتقوا الله
في كل ما امرتم به ونهيتم عنه واعلموا ان الله مع المتقين بالنصر والمعونة قوله عز وجل **وانفقوا في**
سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفي هذه الاية نهي عن البخل معناه تصدقوا يا اهل الميسرة ولا
تمسكوا عن الانفاق في سبيل الله فان البخل والامساك عن ذلك هو الهلاك وهذا قول حذيفة والحسن
وعكرمة وعطا والضحاك • قال ابن عباس في هذه الاية انفق في سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم واحد
ولا يقولن احدكم اني لا اجد شيا • وقال السدي انفق في سبيل الله ولو عقالا وقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة معناه ولا تلقوا انفسكم فعبر بالبعض عن الكل كقوله تعالى ذلك بما قدمت يديكم وبما كسبت ايديكم
وانما حذف ذكر النفس هنا لان في الباء دليلا عليه والباء زايدة كقوله تعالى تنبت بالدهن والعرب لا تقول
القا بيده الا في الشر والالقا في التهلكة معناه لا تمسكوا بايديكم عن الصدقة في الجهاد فتهلكوا وقيل هو
الاسراف في الانفاق حتى لا يبقى له شي ياكله فيتلف • وقيل هو ان يخرج بين الصفين فيستقبل من غير
قصد نكاية العدو • وقيل معنى قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اي لا تقل ليس عندي شي • وقال
الحسن انهم كانوا ينفرون للغزو ولا ينفقون من اموالهم فانزل الله هذه الاية • وقال مقاتل لما امر الله
بالانفاق قال رجل امرنا بالنفقة في سبيل الله فان انفقنا اموالنا بقينا فقرا ذوي مسكنة فقال الله
تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة يعني انفقوا ولا تخشوا الفقر فاني رازقكم ومخلف عليكم • وعن ابي
الدردا وابي هريرة وعبد الله بن عمر وجابر وابي امامة والحسن بن علي بن ابي طالب وعمران بن الحصين
كلهم حدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من ارسل نفقة في سبيل الله واقام في بيته
فله بكل درهم سبعماية درهم ومن غزا بنفسه فانفق فله بكل درهم سبعماية الف درهم ثم تلى هذه

الاية

الاية والله يضاعف لمن يشا • وعن عكرمة انه قال يعني ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اي ولا تيمموا
الخبيث منه تنفقون • وقال زيد بن اسلم ان رجالا كانوا يخرجون في بعوث يبعثها رسول الله صلى
الله عليه وسلم بغير نفقة فاما ان يعطوهم واما كانوا عيالا وو بالا فامرهم الله تعالى بالانفاق على
انفسهم في سبيل فاذا لم يكن عندك ما تنفق فلا تخرج نفسك بغير نفقة ولا قوة فتلقي بيدك الى التهلكة
فتهلك من الجوع والعطش ومن المشي والتهلكة مصدر بمعنى الاهلاك وهو تفعلة من الهلاك ولم يجي في كلام
العرب مصدرا على تفعلة بضم العين الا هذا • وقال بعضهم التهلكة كل شي تصير عاقبته الى الهلاك قوله
عز وجل **واحسنوا ان الله يحب المحسنين** اي احسنوا في النفقة والافضال على المحتاج • وروى ابو الحورا
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال التهلكة عذاب الله فمعنى قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اي لا تتركوا الجهاد
فتعذبوا دليله قوله تعالى الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما • وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق • وقال ابن سيرين الالقا في التهلكة
هو القنوط من رحمة الله • وقال ابو قلابة هو الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة فيياس من رحمة
الله تعالى وينهمك في المعاصي فنهاهم الله عز وجل عن ذلك • وسيل بعضهم عن الالقا باليد في التهلكة
اهو الرجل يحمل على الكتيبة وهم الف بالسيف قال لا ولكنه الرجل يصيب الذنب فيقول لا توبة لي • وقال الفضيل
بن عياض في هذه الاية ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة باساة الظن بالله فاحسنوا الظن بالله ان الله يحب المحسنين
الظن بالله عز وجل قوله عز وجل **واتموا الحج والعمرة لله** اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وقيل
اتمام العمرة الى البيت واتمام الحج الى اخر الحج كله وقيل اتمامهما ان تكون النفقة حلالا وتنتهي عن جميع ما
نهى الله عنه وتاتي بجميع ما شرع الله من المشاعر والمواقف وقيل اتموا الحج والعمرة من المواقيت قوله عز
وجل **فان احصرتم فما استيسر من الهدي** اي ان منعتم من البيت بعد ما احرمتم بحج او عمرة فاردتم الاحلال
فعليكم ما تيسر من الهدي • وقال ابن عباس اعلاه بدنة واوسطه بقرة وادناه شاة يبعث المحصر بها الى
مكة ويواعدهم اليوم الذي يذبحوه عنه فاذا ذبح عنه حل ورجع الى اهله ثم يقضي ما كان احرم
به قوله عز وجل **ولا تحلقوا رؤسكم حتى تبلغ الهدي محله** اي لا يحلق احدكم راسه ولا يحل من

قد هلكت صح

الاحرام حتى يبلغ الهدى الحرم اى حتى تعلم ان هديه قد ذبح عنه فى الحرم قوله عز وجل فمن كان منكم مريضا اى من
كان مريضا من المحرمين محصرين او غير محصرين فلم يستطع الاقامة على شروط الاحرام فعجل وفعل شيئا مما يفعله الحلال
قبل ان ينحر عنه الهدى او به اذى من راسه اى او كان فى راسه قمل يوذيه لا يستطيع ان يصبر عليه فحلق راسه
فعليه فدية اما صنع صيام ثلثه ايام او صدقة على سته مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من تمر
او صاع من شعير او شاة يذبحها فى الحرم • روى عن كعب بن عجرة انه قال نزلت هذه الاية فى مر بى رسول الله صلى
الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهى فقال لى اتوذيك هوام راسك قلت نعم قال احلق راسك واطعم
سته مساكين لكل مسكين نصف صاع من حنطه او صم ثلثه ايام او انسك بنسيكة قوله تعالى فاذا امنتم
فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى اى فاذا امنتم الموانع من المرض والعدو وكل مانع يقال فى الاية اضمار
تقدير فاذا امنتم من العدو وبرأتم من المرض فاقضوا ما كنتم احرمتم به قبل الاحصار من حج او عمرة قوله تعالى
فمن تمتع بالعمرة الى الحج اى من بدأ بالعمرة فى اشهر الحج واقام بمكة فى عامه للحج فحج من غير ان يرجع الى اهله فعليه
ما تيسر من الهدى وقوله تعالى فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم اى فمن لم يجد الهدى
ولا ثمنه فعليه صيام ثلثة ايام فى الحج يصومها قبل يوم النحر متتابعا ومتفرقا وصيام سبعة ايام اذا رجع الى
اهله ويقال اذا رجع من منى ويقال اذا رجع الى ما كان عليه اى فرغ من امر الحج قوله تعالى تلك عشرة كاملة اى
كاملة للثواب وقيل كاملة للهدى قوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام اى ذلك التمتع والهدى
لمن لم يكن اهله حاضرى مكة قوله تعالى واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب اى اتقوا الله فى جميع ما
امرتم به ونهيتم عنه • وقد اختلف السلف فى وجوب العمرة فروى عن ابن مسعود والشعبى وابرهيم النخعى
انها تطوع وبه قال ابو حنيفة واصحابه ومالك • وعن عايشه وابن عباس وابن عمر ومجاهد انها واجبة
وبه قال الشافعى ولا دلالة فى هذه الاية على الوجوب لان لفظ الاتمام يقتضى نفى النقصان عنها اذا فعلت
لان ضد التمام هو النقصان وقرى والعمرة لله بالرفع على معنى الابتدا ومن نصب العمرة احتمل ان يكون للوجوب
لكن نصبها اتباعا للحج كذا قال الزجاج وقوله تعالى لله فان اهل الجاهلية كانوا يشركون فى احرامهم كانوا
يقولون لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا فامر الله تعالى

باخلاص

باخلاص القول والعمل لله تعالى • واما لفظ الاحصار فقد ذكر الكسائى واكثر اهل اللغة ان الاحصار هو
ان يكون بمرض وعدو والحصر ان يكون بحبس عدو ويقال احصره المرض والعدو فهو محصر وحصره العدو فهو
محصور وهذا على مذهب مستمر • وقال الفراء لا فرق بين الحصر والاحصار وهما شريكان فى المعنى وهذا قريب
من مذهب الشافعى فان عنده لا يكون المريض محصرا ولا يكون الاحصار الا بالعدو فاما المريض فلا يتحلل بالهدى
وان لم يقدر على الذهاب وانكر المبرد والزجاج على الفراء وقالا ان الحصر والاحصار مختلفان فى المعنى الا ترى انك
تقول حبست الرجل اذا جعلته فى الحبس واحبسته اذا عرضته للحبس والهدى فى اللغة اسم لما يهدى الى البيت
وهو جمع هديه كما يقال جدى وجديه • وعن عايشه وابن عمر انهما قالا ان الهدى انما يكون بقرة او بدنه
وفايدة قوله فما استيسر على هذا القول التخيير بين اعيان الابل والبقر ولا يجوز من كل شى الا الثنى فصاعدا
الا الجذع من الضان فانه يجزى على ما ورد فى الاضحية وهو ما مضى له ستة اشهر • والثنى البالغ من كل
شى وهو عند الفقها فى الغنم ما له سنة وفى البقر ما له سنتان وفى الابل ما له خمس سنين • واختلفوا فى
المحل المذكور فى قوله حتى يبلغ الهدى محله • قال ابن مسعود وابن عباس وعطا وطاوس ومجاهد محله
منحره وهو الحرم • وقال مالك والشافعى محله الموضع الذى احصر فيه فيكون معنى حتى يبلغ الهدى محله اى ينحر
الهدى فيحل كله وظاهر الاية يقتضى ان يبلغ الهدى بعد الاحصار مبلغا لم يكن بالغا قبل ذلك ولو كان
موضع الاحصار محلا للهدى لكان بالغا محله لوقوع الاحصار وادى ذلك الى البطلان الغاية المذكورة
فى الاية • واما قوله فى شان الحديبية والهدى معكوفا ان يبلغ محله فهو حجة فى ان المحل هو الحرم وليس
فى تلك الاية بيان موضع الذبح انه كان فى الحل والحرم فيحتمل ان الهدى كان ممنوعا عن الحرم ولما وقع الصلح
اطلقوا الهدى حتى ذبح فى الحرم • وذهب ابو يوسف ومحمد الى ان هدى المحصر بالحج موقت بيوم النحر وليس فى
هذه الاية ان المراد بالمحل الزمان لان قوله فان احصرتم عايد الى الحج والعمرة المذكورين فى اول هذه الاية
ولا خلاف ان هدى المحصر بالعمرة غير موقت بيوم النحر • وفى ظاهر قوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى
محله دليل ان المحرم اذا لم يجد الهدى لا يحل حتى يجد الهدى فيذبح عنه • وقال عطا يصوم عشرة ايام ويحل
كالمتمتع اذا لم يجد فصل واذا لم يصم الثلثه الايام قبل يوم النحر اغنى المتمتع والقارن • فقد اختلفوا فى

ذلك فقال عمر وابن عباس وابن جبير لا يجزيه الا الهدى ولا يحل الا به وهو قول ابى حنيفة واصحابه • وقال
ابن عمر وعايشه يصوم ايام منى وهو قول مالك • وقال على كرم الله وجهه يصوم بعد ايام التشريق وهو قول
الشافعى والفايدة فى قوله تلك عشرة كاملة • انه كان يجوز ان يتوهم ان البدل لا يلحق بالمبدل فى الثواب فبين
الله تعالى انه فى الكمال بمنزلة المبدل ان لو فعله ويقال ان الواو قد جاءت فى القرآن بمعنى او التى هى للتخيير
كما فى قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فربما يتوهم ان هذا مثله فاكد الله تعالى
صوم العشرة كلها بقوله تلك عشرة كاملة لازالة هذا الاشكال فصل واختلفوا فى حاضرى المسجد الحرام فقال
عطا ومكحول هم كل من دون المواقيت الى مكة وهو قول ابى حنيفة واصحابه الا ان ابا حنيفة واصحابه يقولون
اهل المواقيت بمنزلة من دونها لانهم كلهم فى حكم اهل مكة يجوز لهم دخولها بغير احرام • وقال ابن عباس
ومجاهد هم اهل الحرم • وقال الحسن وطاووس ونافع هم اهل مكة • وقال الشافعى هم من كان دون
ليلتين من مكة وذلك مقدار اقرب المواقيت الى مكة • وظاهر قوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد
الحرام يقتضى الاشارة الى الهدى والمتعة جميعا ولاباحة المتعة والقران لاهل المواقيت ومن دونها الى
مكة وذهب الشافعى الى ان قوله ذلك اشارة الى الهدى دون المتعة والقران فيجوز عنده المتعة والقران
لاهل مكة لكن لا هدى عليهم قوله عز وجل الحج اشهر معلومات فى هذه الاية تقدير حذف مبتداء تقديره
مدة الحج اشهر معلومات ويقال الحج فى اشهر معلومات ومثله غدوها شهر ورواحها شهر اى مدة غدوها
ومدة رواحها • واختلفوا فى هذه الاشهر فقال ابن عباس واكثر المفسرين انها شوال وذو القعدة وعشر من
ذى الحجة واما من قال انها شوال وذو القعدة وذو الحجة فليس بخلاف لان المراد بعض ذى الحجة لان الحج
كله لا محاله فى بعض هذه الاشهر فى جميعها ويجوز اضافته الى جميع هذه الاشهر وان كان هو فى بعضها الا ترى
انك تقول لقيت فلانا سنة كذا وقت يوم كذا يعنى بعض المرة قوله تعالى فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق
ولا جدال فى الحج اى من اوجب فيهن الحج بالتلبية او بما يقوم مقامها من ذكر او سوق الهدى فلا يرفث ولا
يفسق وهذا لفظ خبر بمعنى النهى كما ان قوله يتربصن ويرضعن خبران لفظا وامران معنى • والرفث قال ابن
عباس هو مراجعة النسا بذكر الجماع • والفسوق قال ابن عمر هو ما نهى الله عنه فى الاحرام واختار بعضهم

هذا القول

متوهم صح

ذلك صح

هذا القول وقالوا لو كان المراد به جميع المعاصى لكان لا يخص بالنهى عنها حالة الاحرام • وقال ابن عباس
وجماعة من المفسرين المراد بها جميع المعاصى وفايدة تخصيص حالته هذه بالنهى تعظيم حرمة هذه العبادة
كما يقال لا تغتب فى صومك • وكما قال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل وان
جهل عليه فليقل انى صايم • قوله تعالى ولا جدال فى الحج قال بعضهم الجدال ان تجادل صاحبك حتى تغضبه
او يغضبك وقيل كانت قريش تقف بالمزدلفة وكانت اليمن وربيعة يقف بعرفه خارج الحرم وكان كل
فريق منهم يجادل صاحبه فى الموقف فنزلت هذه الاية قوله تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله اى ما
تفعلوا من اسباب الحج وترك الرفث والفسوق والجدال يعلمه الله اى يقبله منكم فيجزيكم عليه والله تعالى
عالم من دون ان يفعلوا ولكن المراد به يعلمه الله مفعولا وكان من قبل يعلمه غير مفعول واراد الله تعالى
بهذا الحث على فعل الخير ودل به على العدل اذ بين انه لا يجازى العبد على ما يعلم منه وانما يجازيه على ما
نفع منه قوله تعالى عز وجل وتزودوا فان خير الزاد التقوى اى تزودوا فى سفر الحج والعمرة ما تكفون به
وجوهكم عن المسيلة نزلت فى قوم كانوا يخرجون باهاليهم بغير زاد ومتكلون على الناس ويسمون انفسهم
المتوكلة يقولون نحج بيت ربنا والله رازقنا • وقيل نزل فى قوم يتركون ازوادهم ويصيبون فى حجهم من
اهل الطريق ظلما فبين الله تعالى ان الزاد هو ان يتقوا ما لا يحل لا ان تلقوا ازوادكم وتصيرون كلا على الناس
ويقال فى الاية تقديم وتاخير تقديره وتزودوا من الطاعات واتقون يا اولى الالباب فان خير الزاد
التقوى ولا يمتنع ان يكون المراد به زاد الدنيا وزاد الاخرة كان الله حض على الزادين جميعا وامر
بالتزود لسفر الدنيا بالطعام ولسفر الاخرة بالتقوى فان النجاة من هلكات سفر الدنيا بالزواد ومن سفر
الاخرة بالعمل الصالح قال الشاعر • اذا انت لم ترحل بزاد من التقى • ولاقيت بعد الموت من قد تزودا •
ندمت على ان لا تكون كمثله • وانك لم ترصد كما كان ارصدا • واختلف العلما فى جواز الاحرام
بالحج قبل اشهر الحج • فروى عن ابن عباس وجابر وعطا ومجاهد وعكرمة انهم قالوا لا يحرم الرجل بالحج
قبل اشهر الحج • وقال عطاء من فعل ذلك فيجعلها عمرة • وقال الشافعى يكون عمره • وعن ابراهيم النخعى جواز
الاحرام بالحج قبل اشهر الحج وهو قول ابى حنيفه واصحابه ومالك والليث والثورى وحجتهم قوله

عز وجل يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج وهذا عموم فى كون الاهلة كلها وقتا للحج
ومعلوم ان الاهلة ليست بتعات لافعال الحج فوجب ان يكون حكم ذلك اللفظ مستعملا فى احرام الحج واما قوله
تعالى الحج اشهر معلومات فيحتمل انه توقيت لافعال الحج وان من قدم مكة قبل اشهر الحج محرما وطاف وسعى لم يكن
ذلك السعى معتدا به فى الحج وذهب بعض اصحابنا الى ان قوله تعالى الحج اشهر معلومات توقيت لاستحباب الاحرام
لانه اذا قدم الاحرام على شوال امتد مكثه فى الاحرام واضطر الى شىء من محرمات الاحرام فصل والنصب فى
قوله تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج على التنزيه ويقراها بالرفع والتنوين وكلا الوجهين
جايز فى كلام العرب واما قوله تعالى ولا جدال فى الحج فاكثر القرا على نصبه ولم ينقل فيه الرفع والتنوين
الا فى رواية شاذة ومن رفع الرفث والفسوق جعل ما بعده كلاما مبتدا قوله تعالى ليس عليكم
جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم روى عن عبد الله بن عمر ان رجلا ساله فقال انى لاكرى ابلى الى مكة
افتجزى من حجى فقال اولست تلبى وتقف بعرفات وترمى الجمار قال بلى • قال سال رجل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن مثل ما سالتنى عنه فلم يجبه حتى انزل الله هذه الاية ليس عليكم جناح ان
تبتغوا فضلا من ربكم فقال صلى الله عليه وسلم انتم حجاج ومعنى الاية ليس عليكم جناح
ان تطلبوا رزقا فى التجارة فى ايام الحج وكان ابن عباس يقراها ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من
ربكم فى مواسم الحج • وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان
يوم عرفه غفر الله للحاج الخالص واذا كان ليلة المزدلفة غفر الله للتجار واذا كان يوم منا
غفر الله للجمالين واذا كان عند جمرة العقبة غفر الله للسوال ولا يشهد ذلك الموقف خلق ممن
قال لا اله الا الله الا غفر له قوله عز وجل فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام معناه
اذا دفعتم من عرفات فاذكروا الله باللسان عند المشعر الحرام وهو الجبل الذى يقف عليه الناس
بالمزدلفه وقوله تعالى واذكروه كما هداكم اى اذكروه بالثنا والتوحيد والشكر ذكرا مثل هدايته
اياكم اى ذكرا يكون جزا هدايته قوله تعالى وان كنتم من قبله لمن الضالين اى وان كنتم من قبل هدايته
اياكم لمن الضالين عن الهدى وقيل ان المراد بالذكر الاول فى هذه الاية صلوة المغرب والعشا التى

تجمع بينهما فى وقت العشا بالمزدلفه والمراد بالذكر الثانى هو الذكر المفعول بالمزدلفه غداة جمع فى
موقف المزدلفة فعلى هذا يكون الذكر الاول غير الثانى وقد يسمى الصلوة ذكرا على معنى ان الذكر ركن
من اركانها والافاضه هى الدفع بالكثرة يقال افاض القوم فى الحديث اذا اندفعوا فيه واكثروا التصرف
وافاض الرجل اناءه اذا صبه وفاض الانا اذا انصب منه الما لامتلاوه وافاض البعير بجرته اذا رمى بها
متفرقة كثيرة وعرفات جمع عرفه وهى مكان واحد ذكرها بلفظ الجمع واراد به جمع اجزايها وسميت
عرفات لارتفاعها من بشر الارض • وقيل سميت بذلك لان ادم وحوى تعارفا بها بعد التفاقد
ويقال لان جبريل عرفها ابراهيم عليه السلام لتقف عليها حين كان يعلمه امر المناسك فقال
ابراهيم عرفت • وقال بعضهم سميت بذلك لان الناس يعترفون فى هذا اليوم على ذلك الموقف بذنوبهم
وقيل هى ماخوذة من العرف وهو الطيب قال الله تعالى عرفها لهم اى طيبها قوله تعالى ثم افيضوا من حيث
افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم قال عامة المفسرين كانت قريش وحلفاوها ومن دان
بدينها وهم الحمس لا يخرجون من الحرم الى عرفات وكانوا يقفون بالمزدلفه ويقولون نحن اهل الله
وسكان حرمه فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه فلسنا كساير الناس كانوا يتعظمون ان يقفوا مع ساير
العرب بعرفات ويقول بعضهم لبعض لا تعظموا الا الحرم فانكم ان عظمتم غير الحرم تهاون الناس
بحرمكم فقفوا بجمع فاذا افاض الناس من عرفات افاضوا من المشعر وهو المزدلفة فامرهم الله ان يقفوا
بعرفات ويفيضوا منها الى المزدلفه مع ساير الناس فيكون المراد بالافاضة فى هذه الاية على هذا القول
الافاضة من عرفات وكان ساير الناس غير الحمس يقفون بعرفات فانزل الله هذه الاية وامر قريشا و
غيرهم من الحمس ان يقفوا بعرفه حيث يقف الناس ويدفعوا منها معهم وانما ذكر الناس وامر قريشا
بالافاضة من حيث افاض الناس لان قريشا ومن دان بدينها كانوا قليلا والاضافة الى ساير الناس قوله تعالى
ثم افيضوا من حيث افاض الناس على هذا التاويل راجع الى اول الكلام كانه قال فمن فرض فيهن الحج فلا رفث
ولا فسوق ولا جدال فى الحج ثم افيضوا من حيث افاض الناس فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر
الحرام فيكون فى الاية تقديم وتاخير ويكون الامر بالاضافة عطفا على الاحرام دون الاضافة من عرفات

فكأنه قال احرموا كما امركم الله ثم افيضوا من حيث افاض الناس وعلى هذا التاويل جمهور المفسرين • وقال الضحاك
معنى الاية ثم افيضوا من المزدلفة التي يفيض منها قريش • وانما ذهب الضحاك الى ان المراد بالاضافة في هذه الاية
الاضافة من المزدلفة لان الله تعالى عطف هذه الاية على الاضافة من عرفات فعلم ان المراد بهذه الاضافة
الاضافة من المزدلفة الا ان عامة المفسرين على الوجه الاول والمراد بقوله من حيث افاض الناس هم العرب
كلهم غير الحمس • وقال الكلبي هم اهل اليمن • وقال الضحاك الناس هنا ابراهيم عليه السلام وحده لانه كان
الامام المقتدى به فسماه الله ناسا كما قال الله تعالى في اية اخرى ان ابراهيم كان امة وقد يسمى الرجل
الواحد باسم الناس كما قال الله تعالى ام يحسدون الناس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وكذلك قوله الذين
قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود الاشجعي ان الناس قد جمعوا لكم يعني ابا سفيان وانما يقال هذا لمن هو ذو ذنب
يقتدى به او يكون لسان قومه وامامهم • وقال الزهري الناس ها هنا ادم عليه السلام ودليله قراءة
ابن مسعود ثم افيضوا من حيث افاض الناسي يعني ادم وقال لانه نسي ما عهد اليه قال الله تعالى ولقد عهدنا
الى ادم من قبل فنسي وقوله تعالى واستغفروا الله ان الله غفور رحيم اي استغفروا الله هناك من ذنوبكم اي
في مواطن الحج فان الدعا في تلك المواطن جدير بالاجابة • وقال بعضهم هذا خطاب للحمس امرهم الله بالاستغفار
من ما كان منهم في الجاهلية من مخالفة امن يترك الوقوف بعرفات ان الله غفور لذنوب عباده اذا تابوا
رحيم بهم بعد التوبة ويقال معناه ان الله غفور رحيم للحاج • وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الحاج والعمار وفد الله تعالى ان دعوا اجابهم وان استغفروا غفر لهم • وقال صلى الله
عليه وسلم اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج • وقد اختلف العلماء في الوقوف بالمزدلفة فذهب اكثرهم
الى انه ليس بركن على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قدم ضعفة اهله بليل • وفي بعض الاخبار
انه قدم اغيلمة بني عبد المطلب بليل وجعل يلطخهم بيده ويقول اي بني لا ترموا جمرة العقبة الا مصبحين
فلو كان الوقوف بها فرضا لما رخص في تركه للضعفة كالوقوف بعرفة قوله عز وجل فاذا قضيتم مناسككم
فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا اي اذا فرغتم من متعبداتكم فاذكروا الله عز وجل بالخير
كذكركم اباءكم بل اشد ذكرا وذلك انهم كانوا يقفون بعد قضاء المناسك يوم النحر بين المسجد الذي بمنى

اغفر صح

وبين الجبل

وبين الجبل يتناشدون الاشعار ويتفاخرون بذكر فضايل ابائهم يقول احدهم يا رب ان عبدك
فلانا يعني اباه كان يفعل كذا وكذا من الخير فامرهم الله تعالى ان يذكروه فهو الذي فعل ذلك الخير
الى ابائهم وان اياديه عندهم اكثر واعظم من ايادي ابائهم عليهم • وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لهم بعد نزول هذه الاية ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء ان الناس من ادم
وان ادم من تراب لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى ثم تلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الاية •
وقال بعضهم معناه اذكروا الله بالتوحيد كما تذكرون اباكم بذلك فانكم لا ترضون ان ينسبوا الى
ابوين وكذلك لا ترضوا عن انفسكم باتخاذ الهين • وعن عطا والربيع والضحاك في قوله كذكركم اباءكم
هو كقول الصغير اول ما يفقه الكلام ابه ابه اي استغيثوا بالله وافزعوا اليه في جميع اموركم كما يفزع الصغير
الى ابيه في جميع اموره ويلهج بذكره • وعن ابي الجوزا قال قلت لابن عباس رضي الله عنه اخبرني عن قول
الله تعالى فاذكروا الله كذكركم اباءكم وقد ياتي على الرجل اليوم لا يذكر اباه فقال ابن عباس ليس كذلك
ولكن ان يغضب لله اذا عصي اشد من غضبك لوالديك اذا شتما • واما وجه نصب اشد فقال
الاخفش اذكروه ذكرا اشد ذكرا • وقال الزجاج هو في محل الخفض ولكنه لا ينصرف لانه صفة على وزن
افعل ونصب ذكرا على التمييز قوله عز وجل فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة
من خلاق نزلت في مشركي قريش كانوا يقولون في دعائهم في الحج اللهم ارزقنا ابلا وبقرا وغنما وعبيدا
واماء واموالا ولم يكونوا يسالون لانفسهم التوبة والمغفرة كانوا لا يرجون الا نعيم الدنيا ولا يخافون
البعث والنشور فبين الله تعالى بقوله وما له في الاخرة من خلاق اي من نصيب ولا ثواب والمعنى
من طلب بحجه امور الدنيا لا يريد بذلك ثواب الله تعالى فلا نصيب في ثواب له ~~وما له في الاخرة من نصيب~~
في الاخرة • وقال انس بن مالك كانوا يطوفون بالبيت عراة فيدعون ويقولون اللهم اسقنا المطر
واعطنا على عدونا الظفر • وقال قتادة هذا عند من لا يريد الدنيا لها انفق ولها عمل ولها نصب فهي همه
وسوله وطلبه ثم بين الله تعالى دعا المومنين بقوله عز وجل ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا
حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار واختلفوا في معنى الحسنتين فقال علي كرم الله وجهه

آتنا في الدنيا حسنة اي امراة صالحة وفي الاخرة حسنة الحور العين وقنا عذاب النار المراة السوء • وقال الحسن معناه اتنا في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة • وقال السدي معناه اتنا في الدنيا رزقا حلالا واسعا وعملا صالحا وفي الاخرة مغفرة وثوابا • وقال العطيه معناه اتنا في الدنيا العلم والعمل به وفي الاخرة تيسير الحساب ودخول الجنة • وقال مجاهد معنا الحسنة النعمة فكانهم سالوا الله نعمة الدنيا والاخرة وان يقيهم عذاب النار • وقيل معناه اتنا في الدنيا التوفيق والعصمة وفي الاخرة النجاة والرحمة • وقيل معناه اتنا في الدنيا اولادا ابرارا وفي الاخرة موافقة الانبيا • وقيل اتنا في الدنيا المال والنعمة وفي الاخرة تمام النعمة وهو الفوز من النار ودخول الجنة • وقيل معناه اتنا في الدنيا الدين واليقين وفي الاخرة اللقا والرضا • وقيل معناه اتنا في الدنيا الثبات على الايمان وفي الاخرة السلامة والرضوان • وقيل معناه اتنا في الدنيا الاخلاص وفي الاخرة الخلاص • وقيل معناه اتنا في الدنيا حلاوة الطاعة وفي الاخرة لذة الروية • وقال قتادة معناه اتنا في الدنيا عافية وفي الاخرة عافية ودليل ذلك ما روي انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد مريضا قد اضنى ونحل جسمه حتى صار كالفرخ المنتوف فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله بسر او تساله شيا قال كنت اقول اللهم ما كنت معاقبني به في الاخرة فعجله لي في الدنيا فقال سبحان الله اذا لا تستطيعه ولا تطيقه انك ضعيف لا تستطيع ان تقوم لعذاب الله هلا قلت ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار فدعا الرجل بذلك فشفاه الله عز وجل وابراه من مرضه • وقال سهل بن عبد الله معنا الاية ربنا اتنا في الدنيا السنة وفي الاخرة الجنة • وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال عند الركن اليماني ملك قايم منذ خلق الله السموات والارض يقول امين فاذا مررتم به فقولوا ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار • وقال عوف في هذه الاية من اتاه الله الاسلام والقران ومالا وولدا فقد اوتي في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة • وروي ان قوما قالوا لانس بن مالك ادع لنا فقال ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار فقالوا زدنا فاعادها فقالوا زدنا فاعادها فقال ما تريدون قد سالت الله لكم خير الدنيا والاخرة

قالوا

قال انس

قال انس وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ان يدعو بها يقول اللهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار قوله عز وجل **اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب** معناه ان الذين يسالون الله تعالى الدنيا والاخرة لهم حظ ونصيب وافر من الثواب والخير والجزا اكتسبوه في حجهم وفي هذا بيان استجابة دعايهم على القطع • وعن ابن عباس في هذه الاية ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابي مات ولم يحج افاحج عنه قال ارايت لو كان على ابيك دين فقضيته اما كان ذلك يجزي قال نعم قال فدين الله احق ان يقضى قال فهل لي من اجر فانزل الله عز وجل اولئك لهم نصيب مما كسبوا يعني من حج عن ميت كان الاجر بينه وبين الميت • وقال سعيد بن جبير جا رجل الى ابن عباس فقال اني اكريت دابتي واشترطت عليهم ان احج فهل يجزيني ذلك قال انت من الذين قال الله فيهم اولئك لهم نصيب مما كسبوا قوله تعالى والله سريع الحساب يعني اذا حاسب فحسابه سريع لا يحتاج الى عقد يد ولا وعي صدر ولا روية ولا فكر • وقال الحسن اسرع من لمح البصر وفي الخبر ان الله تعالى يحاسب العباد في قدر حلب شاة وان محاسبة الله تعالى ليست كمحاسبة الناس بعضهم لبعض يحاسبهم جميعا في لحظة واحدة يظن كل واحد انه يحاسبه خاصة لا يشغله شي عن شي • ومعنى الحساب تعريف الله تعالى عباده مقادير الجزا على اعمالهم وتذكيره اياهم بما قد نسوه يدل عليه قوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبيهم بما عملوا احصاه الله ونسوه وقيل معناه سريع الحساب اي سريع المجازاة وفيه اخبار عن سرعة فنا الدنيا وقيام الساعة قوله عز وجل **واذكروا الله في ايام معدودات** يعني اذكروا الله تعالى بالتكبير ادبار الصلوات وعند الجمرات يكبر مع كل حصاة وغيرها من الاوقات • واختلفوا في الايام المعدودات • فروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعطا والضحاك والنخعي ان الايام المعدودات ايام التشريق والايام المعلومات ايام العشر من ذي الحجة • وهكذا روي عن ابي حنيفه وابي يوسف ومحمد • وروي ايضا عن ابن عباس ان الايام المعدودات ايام العشر والايام المعلومات ايام النحر ولا شك ان في هذه الرواية غلطا وهي خلاف الكتاب لان الله تعالى عقب الايام المعدودات بقوله **فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه** وليس في العشر حكم يتعلق بيومين دون الثالث • وعن ابي يوسف ان المعلومات ايام النحر والمعدودات ايام

عز وجل

الله

التشريق وقال هذا القول سَنَدٌ لا الآمر لا الاثنين لان الله تعالى قال في ذكر الايام المعلومات على ما رزقهم
من بهيمة الانعام وقال في هذه الاية فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه فيوم النحر على هذه الرواية من المعلومات
دون المعدودات واخر ايام التشريق من المعدودات دون المعلومات واليوم الثاني والثالث
من ايام النحر من المعلومات والمعدودات جميعا • والجواب عن سند لا لابي يوسف من الاثنين ان
لفظ المعلومات يقتضي لشهرة ولفظ المعدودات يقتضي تقليل العدد كما في قوله دراهم معدودة
فاقتضى الظاهر ان المعدودات اقل من المعلومات ويحتمل ان يكون معنى على ما رزقهم من بهيمة الانعام
لما رزقهم كما قال الله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم اي لما هداكم فكان الله تعالى اراد بالمعلومات
ايام العشر لان فيها يوم النحر وفيه الذبح ويكون ذلك اليوم منكرا بسبب عليه اياما • واما الذكر
المذكور في هذه الاية فهو الذكر عند رمي الجمار في ايام التشريق • وقال بعضهم هو التكبير في ادبار
الصلوات في هذه الايام يكبر من صلوة الغداة من يوم عرفة الى صلوة العصر من اخر ايام التشريق
عند جماعة من الفقهاء والتاويل الاول اصح واقرب لظاهر القرآن لان الله تعالى عقب الذكر في هذه
الاية بقوله فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه اي من تعجل الرجوع الى اهله فلا اثم عليه في ترك الرمي في اليوم
الثالث ومن تأخر الى اخر النفر واقام هنالك في اليوم الثالث فلا اثم عليه قوله تعالى لمن اتقى اي لمن
اتقى الاثم والفسوق والتفريط في حقوق الحج كلها واما من لم يتق فغير موعود له الثواب • وقال ابن
عمر وابن عباس وعطا وعكرمه ومجاهد وقتادة والضحاك والنخعي والسدي معنى الاية فمن
تعجل في يومين من ايام التشريق فنفر في اليوم الثاني من ايام التشريق فلا اثم عليه في تعجيله ومن تأخر
عن النفر في اليوم الثاني من ايام التشريق الى اليوم الثالث حتى ينفر في اليوم الثالث فلا اثم عليه في التأخير
فان لم ينفر في اليوم الثاني واقام حتى تغرب الشمس فليقم الى الغد من اليوم الثالث فيرمي الجمار ثم ينفر مع
الناس • وقال بعضهم معنى الاية فمن تعجل في يومين فهو مغفور له لا اثم عليه ولا ذنب ومن تأخر
فكذلك وهو قول علي بن ابي طالب وابي الدرداء وابن مسعود والشعبي • قال معوية بن قرة خرج
من ذنوبه كيوم ولدته امه • وقال اسحق بن يحيى سألت مجاهدا عن ذلك فقال معناه فمن تعجل

في يومين

في يومين فلا اثم عليه الى قابل ومن تأخر فلا اثم عليه ايضا الى قابل وقوله تعالى لمن اتقى قال الكلبي معناه لمن
اتقى قتل الصيد فانه لا يحل له ان يقتل صيدا حتى تخلف ايام التشريق • وقال قتادة معناه لمن اتقى
ان يصيب في حجه شيئا مما نهى الله عنه • وقال ابو العالية معناه فلا اثم عليه لمن اتقى الله فيما بقي
من عمره وكان ابن مسعود يقول انما جعل مغفرة الذنوب لمن اتقى الله في حجه • قال ابن جريج وهي في مصحف
عبد الله فلا اثم عليه لمن اتقى الله • وعن ابن عباس معناه لمن اتقى عبادة الاوثان ومعاصي الله •
فان قيل كيف قال الله تعالى ومن تأخر فلا اثم عليه ومعلوم ان من تأخر فانما تأخر لاقامة واجب
فلا يليق بحاله ان يقال فلا اثم عليه بل يليق ان يقال ومن تأخر كان اعظم لاجره • قيل هذا على
مزاوجة الكلام • وقيل ان رمي الجمار لا يجوز ان يكون تطوعا اذ المتنفل به يكون عابثا فلما قال الله
تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه اوهم ذلك كون الرمي في ذلك اليوم الثالث تطوعا لان هذا
تخيير بين فعله وتركه فقال تعالى ومن تأخر فلا اثم عليه ليبين ان هذا واجب خير بين فعله وتركه
فصل والايام المسماة في الحج سته ايام يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر ويوم القر ويوم النفر ويوم
الصدر وسمي يوم التروية لان جبريل عليه السلام قال لابراهيم عليه السلام احمل معك من الماء واما عرفة
فقد ذكرنا لم سمي به ويوم النحر معلوم ويوم القر لاستقرار الناس بمنى ويوم النفر لانهم ينفرون من منى
الى مكة ويوم الصدر يصدرون الى اهاليهم ورمي الجمار مشروع في يوم القر والنفر والصدر وهي
ايام التشريق قوله عز وجل واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون هذا امر لهم بالتقوى في مستقبل
اعمارهم اي لا تتكلوا فيما اسلفتم من اعمال البر ولكن زيدوا في الطاعة في باقي العمر وقوله تعالى
واعلموا انكم اليه تحشرون اي في الاخرة يجازيكم باعمالكم اذ الحشر انما يكون للمجازات ومن تصور انه
لا بد من حشر ومحاسبة ومسايلة ولا بد من احد امرين اما الجنة او النار يدعوه ذلك الى التقوى
والتشديد والحشر في اللغة هو الجمع للناس من كل ناحية والمحشر هو المجمع فيكون معنى الاية واعلموا
انكم اليه تحشرون اي تجمعون قوله عز وجل ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله
على ما في قلبه وهو الد الخصام قال ابن عباس نزلت هذه الاية في الاخنس بن شريق كان حسن المنظر

حلو الكلام فاجر السريرة حلو فاشد يد الخصومة في الباطل وكان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم فيظهر له
الحسن ويحلف بالله انه يحبه ويتبعه وكان صلى الله عليه وسلم يسمع كلامه فيعجبه وكان يدنيه من
مجلسه فاظهر الله على نفاقه • ومعنى الاية ومن الناس من يعجبك كلامه وحديثه اي تفرح باظهاره الايمان
وتسر بقوله ويشهد الله على ما في قلبه اي يقول الله شهيد على ما في قلبي كما هو على لساني من الايمان وقوله تعالى
وهو الد الخصام اي شديد الخصومة في كل وجه اخذ من ابواب الخصومة من يمين وشمال غلبه في ذلك قوله
تعالى وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ اي اذا اعرض عنك
الاخنس يا محمد وفارقك اسرع مشيا في الارض ليعصي فيها ويضر المؤمنين وليهلك ما قدر عليه من زرع
ونسل والله لا يحب الفساد اي لا يرضى المعاصي • روي ان الاخنس خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم
فمر بزرع فاحرقه وبحمار فعقره فنزلت هذه الاية بما فيها من الوعيد فحسبه جهنم وصارت عامة في
جميع المفسدين • وقيل معنى الاية ليفسد فيها اي يوقع الفتنة بين الناس فيشتغلوا عن الزراعة وعن اعمالهم
فيكون في ذلك هلاك الحرث والنسل • وقيل يخيف الناس حتى يهربوا من شره فتخرب الضياع وينقطع نسل
الناس والدواب • وفي هذه الاية تحذير من الاغترار بظاهر القول وما يبديه الرجل من حلاوة المنطق
وامر بالاحتياط في امر الدين والدنيا حتى لا يقتصر على ظاهر امر الانسان خصوصا فيمن هو الد الخصام ومن
ظهرت منه دلايل الريبة ولهذا قالوا ان علينا استبراء حال من نراه في الظاهر اهلا للقضا والشهادة والفتيا
والامانة وان لا نقبل منهم ظاهرهم حتى يسال عنهم ويبحث عن امرهم اذ قد حذر الله تعالى امثالهم في توليتهم
على امور المسلمين الا ترى انه عقبه بقوله واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها فيحتمل ان يكون المراد بالتولي
ان يتولى امرا من امور المسلمين فاعلم الله بهذه الاية انه لا يجوز الاقتصار على الظاهر دون الاحتياط و
الاستبرا قوله عز وجل وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ اي اذا قيل لهذا المنافق احذر عقوبة
الله ولا تفسد اخذته المنعة والحمية والانفة بسبب الاثم الذي فيه والكفر الذي في قلبه يعني انه تكبر
وقال امثلي يقال له اتق الله ويقال حملته العزة على فعل ما يوجب الاثم وقوله تعالى فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ اي كفاه
النار في الاخرة عقوبة ونكالا قوله تعالى وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ اي لبيس القرار النار والمهاد الفرش الموطى للنوم كما

على دينه صح

جدل بالباطل والالد ماخوذ من لد في العنق وهما صفحتاه وتاويله ان خصومته صح

كما يهد

كما يُهدّ للطفل فلما كان المعذب يلقى في نار جهنم جعل ذلك مهادا له على معنى ان جهنم للكافرين مكان المهاد
للمؤمن في الجنة • ويحكى ان يهوديا كانت له حاجة الى هارون الرشيد فاختلف الى بابه زمانا فلم
يقض حاجته فوقف يوما على الباب فلما خرج هارون سعى بين يديه فقال له اتق الله يا امير المؤمنين
فنزل هارون عن دابته وخر ساجدا فلما رفع راسه امر بحاجته فقضيت فقيل له يا امير المؤمنين
نزلت عن دابتك لقول يهودي قال لا ولكن ذكرت قول الله واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه
جهنم قوله عز وجل وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ قال ابن عباس نزلت هذه الاية في صهيب
بن سنان وعمار بن ياسر وامه سمية وابوه ياسر وبلال وخباب بن الارت وغيرهم اخذهم المشركون في طريق مكة
فعذبوهم فاما صهيب فقال لهم انا شيخ كبير لا يضركم امنكم كنت ام من عدوكم اعطيكم جميع مالي ومتاعي و
ذروني وديني اشتريه منكم بمالي ففعلوا فاعطاهم ماله وتوجه الى المدينة فلما دخل المدينة لقيه
ابو بكر رضي الله عنه فقال ربح البيع يا صهيب قال وبيعك فلا يخسر وما ذاك يا ابا بكر فاخبره بما نزل فيه
وهو قوله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله • واما سمية وياسر فقتلا وكانا اول قتيلين قتلا
من المسلمين • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما بمكة اصبروا يا آل ياسر فان موعدكم الجنة •
واما الاخرون فانهم اعطوا على العذاب بعض ما اراد المشركون من كلمة الكفر وسب الاسلام وكانت قلوبهم
مطمئنة بالايمان فتركوا وقدموا المدينه وفيهم نزل قوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه
مطمئن بالايمان ومعنى قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه على هذا التاويل الذي ذكرناه ومن الناس من
يشري نفسه ودينه بماله • وعن عمر وعلي رضي الله عنهما انهما قالا في هذه الاية هو الرجل يامر بالمعروف
وينهى عن المنكر فيقتل عليه فعلى هذا معنى قوله تعالى يشري نفسه اي يبيع نفسه اي يبذلها في الجهاد في سبيل الله
وهذا من اسماء الاضداد قال الشاعر في شريت بمعنى بعت • وشريت بردا ليتني • من بعد برد كنت هامه • اي
هلكت وقوله تعالى ابتغاء مرضات الله نصب على انه مفعول له كانه قال لابتغاء مرضات الله وقوله
تعالى وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ اي رحيم بهم يرغبهم في الخير ويثيبهم عليه رافة بهم • ويقال انه لرافته
ورحمته امرهم ببيع انفسهم لكي ينالوا من كريم ثوابه ما هو خير لهم قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

ادخلوا فى السلم كافة قال ابن عباس نزلت هذه الاية فيمن اسلم من اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه
وذلك انهم عظموا السبت وكرهوا لحوم الابل والبانها واتقوا اشيا كانوا يتقونها قبل ان يسلموا وقالوا
يا رسول الله ان التورية كتاب الله فدعنا فلنقم بها فى صلوتنا بالليل فانزل الله تعالى هذه الاية وامرهم
ان يدخلوا فى جميع شرايع محمد صلى الله عليه وسلم ومعناها يا ايها الذين امنوا ادخلوا فى السلم كافة
اى فى الاسلام • وقال مجاهد فى احكام الدين واعماله واصله من الاستسلام والانقياد ولذلك قيل
للصلح سلم • وقال حذيفة فى هذه الاية الاسلام ثمانية اسهم الصلوة سهم والزكوة سهم والصوم سهم
والحج سهم والعمرة سهم والجهاد سهم والامر بالمعروف سهم والنهى عن المنكر سهم وقد خاب من لا سهم له •
وقال الحسن رضى الله عنه معنى الاية يا ايها الذين امنوا تكلموا بكلمة الايمان اى اقيموا على الايمان حث الله
تعالى هذه الاية جميع المومنين على الاسلام والطاعة كمن يشرى نفسه الا ترى قال بعد ذلك ولا تتبعوا
خطوات الشيطان اى لا تفعلوا فعل الد الخصام • وقيل ولا تتبعوا خطوات الشيطان اى لا تقتفوا اثاره لان
تركم شيا من شرايع الاسلام اتباع للشيطان قوله تعالى انه لكم عدو مبين اى انه عدو لكم ظاهر
العداوة • فان قيل كيف قال الله تعالى انه لكم عدو مبين وهو لم يبد لنا شخصه • قيل قد كان
ابدا العداوة لابينا ادم عليه السلام حين امتنع من السجود له وقال انا خير منه فكان ابداوه واظهار
العداوة لابينا ادم ابداء واظهارا لنا قوله تعالى كافة اى جميعا ماخوذ من كففت الثوب اى جمعته و
ضممت بعضه الى بعض ومعنى كافة فى اللغة مشتق من كف الشىء يكفه اى منعه وسميت الراحة مع الاصابع
كفا لانها يكف بها عن ساير البدن ورجل مكفوف اى كف بصره عن النظر ومنه قيل لحاشية القميص كفه
لانها تمنع من ان ينتشر وكل مستطيل فحرفه كفه بالضم وكل مستدير فحرفه كفه بالكسر نحو كف الميزان • واختلف
القرا فى السلم فقرا ابن عباس والاعمش السلم بكسر السين هنا وفى الانفال وسورة محمد وقرا اهل الحجاز و
الكسائى بالفتح وقرا حمزة وخلف فى الانفال بالفتح وسايرها بالكسر وقرا الباقون هنا بالكسر والباقى بالفتح
وهما لغتان قوله عز وجل فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم اى ان عدلتم
عن الطريق المستقيم بالخروج عن طاعة الله الى المعصية وقال ابن عباس معناه فان ملتم الى قول غيركم

من تحريم

من تحريم لحوم الابل والسبت من بعد ما جاءتكم البينات اى الدلالات والحجج يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم
وشرايعه فاعلموا ان الله عزيز حكيم اى غالب بالنقمة لا يعجزه شىء من ذلك وقوله حكيم اى محكم فى الفعل
حكيم فى امره ويقال عالم ذو حكمة فيما شرع لكم من دينه • وقال ابن حبان معنى فان زللتم اى اخطأتم •
وقال السدى فان ضللتم • وقال ابن عباس يعنى الشرك • وقرا ابو السمال العدوى فان زللتم بكسر اللام •
وفى هذه الاية تشبيه العصيان بزلة القدم قوله عز وجل هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام
والملئكة وقضى الامر افترق الناس فى تفسير هذه الاية على اربعة اقوال • فرقة منهم يتاولونها على ظاهرها
ويصفون الله بالاتى الذى هو زوال من مكان الى مكان وهذا القول غير مرضى تعالى الله عنه • وفرقة يفسرون
الاتيان تفسيرا مجملا لا يعدون ظاهر اللفظ يقولون ياتى كيف شا بلا كيف وهذا غير مرضى ايضا • واما
الفرقتان الاخريان من اهل السنة والجماعة فاحداهما لا يفسرون هذه الاية ويقولون نومن بظاهرها
ونسكت عن الخوض فى معناها لما فيه من الاشتباه والتشبيه • وقال الكلبى هذا من المكتوم الذى لا يفسر •
وقال ابن عباس نومن بها ولا نفسرها كما قال الله تعالى فى المتشابهات وما يعلم تاويله الا الله • واما
الفرقة الرابعة فيفسرونها ويردون مثل هذه المتشابهات الى الايات المحكمات ويقولون معناها ما ينظر
الكفار بعد قيام الحجة عليهم الا ان ياتيهم امر الله وهو الحساب وان ياتيهم عذاب الله لان الاتيان لفظ
مشتبه يحتمل حقيقة الاتيان ويحتمل اتيان الامر وقد قامت الدلالة على ان الله تعالى لا يجوز عليه
الاتيان والمجى والانتقال والزوال لان ذلك من صفات الاجسام والمحدثين والله تعالى منزه عن ذلك
قال على رضى الله عنه من زعم ان الله فى شىء او من شىء او على شىء فقد الحد لانه لو كان من شىء لكان محدثا ولو
كان فى شىء لكان محصورا ولو كان على شىء لكان محمولا • واذا كان لفظ الاتيان مشتبها وجب رده الى المحكم
نحو قوله تعالى فى سورة النحل هل ينظرون الا ان ياتيهم الملئكة او ياتى امر ربك • وقال بعضهم معناه
هل ينظرون الا ان ياتيهم الله بظلل من الغمام وبالملئكة او مع الملئكة فيكون فى بمعنى الباء فعلى هذا
التاويل زال الاشكال وسهل الامر • واما ذكر الظلة فى الاية فان الهول اذا بدا من الظلة المظلة من
السحاب كان اعظم واشد يدل عليه قوله تعالى فى قصة شعيب فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان

عذاب يوم عظيم • واما قوله والملائكة قرا ابو جعفر بخفض الملائكة عطفا على الغمام اى وفى ظلل من الملائكة اى
جماعة من الملائكة قوله والملائكة وتمام الله ظللا ولان الملائكة لا تسير بالاقدام ولكنها تطير بالاجنحة كما يطير
الطير • ومن قرا والملائكة بالرفع وهى قراءة الجمهور والاجماع فتقديره وتاتيهم الملائكة فى ظلل يدل عليه قراءة ابى
وعبد الله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله والملائكة فى ظلل من الغمام والغمام هو السحاب الرقيق الابيض سمى بذلك
لانه يغم اى يستر قوله تعالى وقضى الامر اى امضى الحكم بانزال الفريقين منازلهم من الجنة والنار قوله تعالى
والى الله ترجع الامور اى عواقب الامور ومصير الخلائق الى الله تعالى ومن قرا ترجع برفع التا فعلى ما لم يسم
فاعله ومن قرا بنصب التا فمعناه والى الله تصير الامور • ومن قرا بالياء فلان تانيث الامور غير حقيقى قوله عز وجل
سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة اى سل يا محمد يهود اهل المدينة كم اعطيناهم اى كم اعطينا اسلافهم
وآباءهم من علامة واضحة مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى
وغير ذلك مما كان فى وقت موسى عليه السلام من المعجزات كما اتيناك من المعجزات فلم يومن اولئك كما لم يؤمن
هؤلاء الكفار وهذا السؤال سؤال تقريع وانكار للكفار وتقرير لقلب النبى صلى الله عليه وسلم لا سؤال
الاستفهام لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يحتاج الى السؤال والمعنى كما ان هؤلاء لم يؤمنوا بالآيات
البينات التى اعطيتها فاولئك نعمتى وسل بنى اسرائيل اى انظر فى آيات بنى اسرائيل كم اعطيناهم من علامة واضحة
فى زمن موسى عليه السلام قوله عز وجل ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب
اى من يغير حجة الله الدالة على امر نبيه صلى الله عليه وسلم من بعد ما جاءته اى يغير حجة الله
بان يجحدها او يحرفها عن وجهها فان الله شديد العقاب اى شديد التعذيب لمن استحقه وسمى الله
تعالى الحجج نعمة لانها من اعظم النعم على الناس فى امر الدين قوله عز وجل زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون
من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة نزلت هذه الآية فى مشركى العرب ابو جهل واصحابه كانوا يتنعمون
بما بسط لهم فى الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد ويسخرون من المومنين الذين يرفضون الدنيا ويقبلون على
الطاعة والعبادة ويقولون لو كان محمد نبيا لاتبعه اشرافنا والله ما يتبعه الا الفقراء مثل ابن مسعود
وعمار وصهيب وسالم وابى عبيدة بن الجراح وبلال وخباب وعامر بن فهيرة وغيرهم هكذا قال الكلبى

وقال مقاتل

وقال مقاتل نزلت فى المنافقين عبد الله بن ابى واصحابه كانوا يتنعمون فى الدنيا بما بسط الله لهم فيها من الخير
ويسخرون من ضعفاء المومنين وفقراء المهاجرين ويقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم محمد صلى الله عليه
وسلم انه يغلب بهم وكانوا يعيرونهم بقلة ذات ايديهم • وقال عطا نزلت فى علماء اليهود ورؤسائهم من بنى
قريظة والنضير سخروا من فقراء المهاجرين فوعدهم الله تعالى ان يعطيهم اموال بنى قريظة والنضير بغير قتال
اسهل شئ وايسره • وعن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استذل مومنا او
مومنة او حقره لفقره وقلة ذات يده شهره الله تعالى يوم القيمة ثم يفضحه ومن بهت مومنا او مومنة او
قال فيه ما ليس فيه اقامه الله تعالى على تل من نار حتى يخرج مما قاله فيه وان المومن عند الله اعظم
من ملك مقرب وليس شئ احب الى الله تعالى من مومن تائب ومومنة تائبة وان المومن يعرف فى السماء
كما يعرف الرجل اهله وولده • وقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه لا تحقرن احدا من المسلمين فان
صغير المسلمين عند الله كبير • وقال يحيى بن معاذ بئس القوم قوم ان استغنى المومن بينهم حسدوه وان
افتقر بينهم استذلوه قوله عز وجل والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة اى فوقهم فى الدرجة يعنى الذين
اتقوا الشرك والفواحش والكبائر فوق الكفار يوم القيمة فى الجنة يكون المومنين فى عليين والكفار
فى الجحيم قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب قال ابن عباس يعنى كثيرا بغير مقدار اى يرزق
رزقا كثيرا لا يعرف حسابه • وقال الضحاك يعنى بغير تبعة يرزقه فى الدنيا ولا يحاسبه فى الآخرة •
وقيل معناه ان الله تعالى لا يحاسب على ما يرزق لانه لا شريك له فيما يعطيه ولا قسيم فينازعه
ولا يقال له لم اعطيت هذا وحرمت هذا ولا لم اعطيت هذا اكثر من هذا لانه عز وجل لا يسئل
عما يفعل • وقيل معناه يعطى من غير ان يخاف نفاد خزائنه فيحتاج الى حساب ما يخرج منها اذ كان
الحساب من المعطى انما يكون ليعلم قدر العطاء لئلا يتجاوز فى عطائه ما يجحف به فهو لا يحتاج الى
الحساب لانه عالم غنى لا يخاف نفاد خزائنه لانها بين الكاف والنون • وقيل معناه والله يرزق
من يشاء اى من الكفار وغيرهم بغير حساب اى بغير مقدار لا يعرف حسابه • وعن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل لولا ان يجزع عبدى المومن لعصبت

الى صح

الكافر بعصابة من حرير لصب الدنيا عليه صبا ومصداق ذلك قوله تعالى ولولا ان يكون الناس
امة واحدة الى آخر الآية ● وقال صلى الله عليه وسلم لو ان الدنيا عند الله تزن جناح بعوضة
ما سقى كافرا منها شربة ماء ● وعن قطرب في قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب اى ان الله يعطي
العدد المتناهي لا من عدد اكثر منه كما يفعله العباد لكن يعطي المتناهي من غير المتناهي ● فان قيل اليس الله
تعالى قال في آية اخرى جزاء من ربك عطاء حسابا فكيف قال في هذه الآية بغير حساب ● قيل العطاء
من جهة الله عز وجل على ضربين احدهما ثوابا والآخر تفضلا فما كان ثوابا كان له حساب لانه يكون
على قدر الاستحقاق بالعمل واما الفضل فلا يكون له حساب كما قال تعالى ليوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله والمراد بقوله عطاء حسابا الثواب دون التفضل والمراد بقوله والله يرزق من يشاء بغير
حساب التفضل ● فان قيل كيف قال بغير حساب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
حلالها حساب وحرامها عذاب ● قيل روي عن عايشة رضي الله عنها في معنى الحساب في المؤمنين
العرض ومن نوقش الحساب عذب ● فان قيل من الذي زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ● قيل ذهب بعض
المفسرين الى ان الذي زينها لهم هو ابليس كما قال الله في آية اخرى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم
وعن الحسن انه قال زينها لهم والله الشيطان فلا احد اذم للدنيا ممن خلقها قال الله تعالى قل متاع
الدنيا قليل وقال تعالى وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ● وذهب بعضهم الى ان الله تعالى هو
الذي زينها لهم اذ خلق فيها الاشيا المعجبة وركب الشهوات في قلوب العباد فنظر الذين كفروا الى الدنيا باكثر
من مقدارها فاغتروا بذلك كما قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم
احسن عملا وقالوا وانما فعل الله ذلك لان التكليف لا يتم الا مع الشهوة فان الانسان لا يجوز
ان يكلف الا بان يدعى لما تنفر عنه نفسه او بان يزجر عما تتوق اليه نفسه وهو معنى قوله عليه
السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ● وقرأ مجاهد وحميد زين للذين كفروا
بفتح الزاي على معنى زينها الله عز وجل لهم قوله عز وجل كان الناس امة واحدة قال ابن عباس معناه
كان الناس اهل ملة واحدة كفارا كلهم في ابتدا عهد نوح عليه السلام وكذلك في عهد ابراهيم

يعني

يعني ان من الانبياء عليهم السلام الذين بعث اليهم الانبيا كانت كفارا كما كانت هذه الامة وجايز
ان يقال كانت امة واحدة على الكفر وان كان فيهم مسلمون اذا كان المسلمون قليلين مقهورين في بعثه
لانصراف اسم الامة الى الاعم الاكثر ● وقال قتادة والضحاك كان الناس امة واحدة على الحق اي كانوا
مؤمنين في زمن آدم عليه السلام وبعد وفاته الى مبعث نوح عليه السلام وكان بين آدم ونوح
عشرة قرون كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى ثم اختلفوا في زمن نوح عليه السلام فبعث
الله اليهم نوحا وكان اول نبي بعث ثم بعث بعده النبيون ● وقال الكلبي هم اهل سفينة نوح كانوا كلهم
مؤمنون ثم اختلفوا بعد وفات نوح فبعث الله اليهم نبيه هود عليه السلام قوله عز وجل فبعث
الله النبيين مبشرين ومنذرين اي مبشرين بالجنة لمن اطاع الله تعالى ومنذرين بالنار والسخط
لمن عصاه قوله تعالى وانزل معهم الكتاب بالحق اي وانزل عليهم الكتاب لان الانبيا صلوات الله عليهم
لم يكونوا منذرين حتى ينزل الكتاب معهم وقوله بالحق اي بالعدل وقوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا
فيه اي ليقضي الكتاب بينهم بالحكمة واضاف الحكم الى الكتاب وان كان الله تعالى هو الذي يحكم على
جهة التفخيم لامر الكتاب وقوله فيما اختلفوا فيه اي من امر الدين قوله تعالى وما اختلف فيه الا
الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم اي ولم يختلف في امر الدين وبعث النبيين الا
الذين اعطوا الكتاب من بعد ما جاءتهم الدلالات الواضحات من الله وقوله بغيا بينهم نصب على انه
مفعول له اي لم يختلفوا الا للبغي والحسد والتفرق وذلك ان اهل الكتاب كانوا علموا حقيقة امر
النبي صلى الله عليه وسلم في كتبهم قبل مبعثه فلما بعثه الله كفروا به الا قليلا منهم قوله عز وجل
فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه اي فارشد الله المؤمنين لما اختلفوا
فيه من الحق الذي اختلف فيه اهل الزيغ باذنه اي بتوفيقه وقضايه وعلمه قوله تعالى والله
يهدي من يشاء الى صراط مستقيم اي والله يوفق لمعرفته من يشا ممن كان اهلا لذلك الى
طريق واضح يرضاه الله تعالى والامة في اللغة على وجوه منها الجماعة كقوله تعالى وجد
عليه امة من الناس يسقون وقوله قد خلت من قبلكم امم اي جماعات وقرون ومنها اتباع الانبيا

بعث صح

عليهم السلام كما نقول نحن من امة محمد صلى الله عليه وسلم ومنها الدين والملة كقوله تعالى انا وجدنا
اباءنا على امة ومنها الحين والزمان كقوله تعالى وادكر بعد امة ومنها الرجل القدوة للناس في الخير
قال الله تعالى ان ابراهيم كان امة ويسمى الامام امة ايضا لانه يجمع خصال الخير ومنها الرجل المنفرد
بدين على حالة لا يشركه فيه غيره • قال صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحده
وكان قد اسلم قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن بمكة يومئذ مومن غيره ثم تابعه بعد
ذلك ورقة بن نوفل وعاش ورقة الى وقت خروج النبي صلى الله عليه وسلم ومنها القامة يقال
فلان حسن الامة اى القامة والامة بالكسر النعمة يقال فلان ذى امة اى ذو نعمة • واما الكتب المنزلة
قبل القران فقد روى ان الله انزل على شيث خمسين صحيفة وكان يعمل بها هو ومن معه ومن بعده الى
زمن ادريس ثم انزل الله على ادريس عليه السلام ثلثين صحيفة فكان يعمل بها الى زمن ابراهيم ثم انزل
الله على ابراهيم عشر صحايف فكان يعمل بها الى زمن موسى ثم انزل الله على موسى عليه السلام
عشر صحايف قبل التورية فكان يعمل بها موسى ومن معه الى غرق فرعون ثم انزل الله التورية
فكان يعمل بها الى زمن داود ثم انزل الله تعالى الزبور على داود فكان يعمل بها الى زمن عيسى عليه
السلام ثم انزل الله الانجيل فكان يعمل بها الى بعث محمد صلى الله عليه وسلم ثم انزل الله القرآن
ناسخا لما قبله من الكتب قوله عز وجل ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من
قبلكم مستهم البأساء والضراء اى اظننتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة ولم يصبكم صفة الذين
مضوا من قبلكم اى ولم تبتلوا كما ابتلى الذين من قبلكم مستهم البأساء اى الشدة وهي القتل والضر وهو
البلاء والفقر والمرض • وقيل البأساء نقيض النعماء والضراء نقيض السراء قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول
والذين امنوا معه متى نصر الله اى حركوا وخوفوا حتى يقول الرسول والذين امنوا اى جهدوا حتى قال
كل رسول بعث الى امته متى فتح الله يقول الله تعالى الا ان نصر الله قريب يعني الا ان نصر الله لك ولامتك
يا محمد قريب عاجل كما نصرت الرسل قبلك والمثل قد يذكر بمعنى الصفة كما قال الله تعالى مثل الجنة
اى صفة الجنة • وذهب السدى الى ان هذه الاية نزلت بالمدينة يوم الخندق حين اشتدت مخافة

المومنين من العدو ووجه ايصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى قال فيما تقدم يا ايها الذين امنوا ادخلوا
في السلم ثم قال فهدى الله الذين امنوا وكان المسلمون اتكلوا على مجرد اهتدائهم فبين الله في هذه الاية
انه لا يجوز الاتكال على مجرد الايمان من غير مكابدة ما قاساه السلف من المومنين كما قال تعالى احسب
الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون • واما القراة في قوله حتى يقول الرسول فمن نصب فعلى
الاصل لان حتى تنصب الفعل ومن قرا بالرفع ادخل حتى على جملة ما بعده لا على الفعل خاصة كانه قال
حتى الرسول يقول فلا يظهر عمل حتى قال الشاعر • فيا عجبا حتى كليب تسبني • كان اباها نهشل او مجاشع •
قوله عز وجل يسئلونك ماذا ينفقون الاية قال ابن عباس نزلت هذه الاية جوابا عن سوال عمرو بن
الجموح الانصاري لما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة ورغب فيها الناس وذلك
قبل نزول الفرايض فقال عمرو يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من نتصدق فانزل الله هذه الاية • و
معناها يسئلونك اى شئ يتصدقون به فقل لهم ما تصدقتم به من مال فعلى الوالدين والاقربين و
اليتامى والمساكين والضيف النازل بكم قوله تعالى وما تفعلوا من خير فان الله به عليم اى وما تفعلوا
من خير من وجوه البر فان الله به عليم يحصيه ويجازيكم عليه لا يضيع عنده عمل عامل • فان قيل كيف
يطابق في هذه الاية الجواب هذا السوال لان السوال انما وقع على المنفق والجواب انما وقع على المنفق عليه
قيل ان الجواب مطابق لهذا السوال لان قوله وما انفقتم من خير تبيان للقليل والكثير لشمول اسم الخير فكان
الجواب صدر عن القليل والكثير مع بيان من تصرف اليه النفقة لان المسئول اذا كان حكيما يعلم ما يحتاج
اليه السايل اجاب عن كل ما يحتاج اليه • كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن
ماء البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته • وانما قال ذلك لانه علم انهم لما جهلوا احكام ماء البحر فانهم
اشد جهلا حكم ما فيه من الماكول كذلك هؤلاء لما جهلوا المنفق كان جهلهم بالمنفق عليهم اكثر فلهذا ذكر
الله المنفق عليهم مع ذكر المنفق • واختلفوا في هذه النفقة المذكورة هل هي واجبة ام لا • قال الحسن
المراد بها التطوع على من لا يجوز وضع الزكوة فيه كالوالدين والمولودين ووضع الزكوة فيمن يجوز
وضعها فيهم • وقال السدى هذه الاية منسوخة باية الزكوة والصحيح انها ثابتة الحكم عامة في الفرض

والتطوع لان الآية متى امكن استعمالها لم يجز الحكم بنسخها ويحتمل ان يكون المراد بها النفقة على الوالدين و
الاقربين اذا كانوا محتاجين قوله تعالى كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ قال ابن عباس لما كتب الله الجهاد على
المسلمين شق ذلك عليهم وكرهته نفوسهم وقبلته قلوبهم واحب الله تعالى ان يطيب نفوسهم بهذه الاية • و
قيل في وجه اتصالها بما قبلها ان ما قبلها ذكر التعبد بالنفقة التي يشق على البدن وفي هذه الاية ذكر ما لا
شيء في التعبد اشق منه وهو القتال ومعنى الاية فرض عليكم القتال وهو شاق عليكم واراد بالكراهة
كراهة الطبع لا عدم الرضا بالامر وهذا كما يكره الانسان الصوم في الصيف من جهة الطبع وهو مع ذلك
يحبه ويرضاه من حيث ان الله امر به قوله تعالى وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا
وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ اي لعلكم تكرهون الجهاد وهو خير لكم لما فيه من النصر لدين الله تعالى وقمع اعداء الله و
الفوز بالغنيمة مع عظم المثوبة واذ ذاك محل الشهدا وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم اي لعلكم تحبون القعود
عن الجهاد وهو شر لكم تحرمون الفتح والغنيمة والشهادة ويتسلط عليكم العدو قوله تعالى وَاللَّهُ يَعْلَمُ
وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ اي يعلم ما فيه مصلحتكم وما هو خير لكم في عاقبة اموركم وانتم لا تعلمون ذلك فبادروا
الى ما امرتم به اذ ليس كل ما تشتهون خيرا ولا كل ما تحذرون شرا • وفي هذه الاية دلالة على فرض القتال
كما قال تعالى كتب عليكم الصيام واراد به فرض الصيام ثم لا يخلو القتال المذكور في هذه الاية من ان يرجع الى
معهود قد عرفه المخاطبون وهو قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم وقوله ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه وتكون هذه الاية تاكيدا لذلك القتال المعهود الذي علم حكمه فيكون
القتال في هذه الاية راجعا الى جنس القتال فتكون هذه الاية مجملة مفتقرة الى البيان لانه من المعلوم ان
الله تعالى لم يامر بالقتال للناس كلهم فلا يصح اعتقاد العموم فيه فكان بيان هذا المجمل بقوله تعالى
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم قوله عز وجل
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ
إِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ قال ابن عباس في سبب نزول هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث ابن عمته عبد الله بن جحش قبل قتال بدر وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين وهو اميرهم

كتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا وقال له اذا نزلت منزلتين فافتح الكتاب واقراه
على اصحابك ثم امض لما امرتك به ولا تستكره احدا من اصحابك على السير معك فسار عبد الله حتى
بلغ منزلتين ثم فتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن اتبعك من اصحابك
حتى تنزل بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك تاتينا منهم بخبر والسلام • فقال عبد الله سمعا وطاعة
لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق القوم معه حتى وصلوا بطن نخلة بين مكة والطايف
فنزلوا هنالك فبينا هم كذلك اذ مر بهم عمرو بن الحضرمي في عير لقريش في اول يوم من رجب والمؤمنون
يظنون انه اخر يوم من جمادى الاخرى فامر عبد الله ان يحلقوا راس عكاشة ليشرف على المشركين فيظنوا
انهم عمار فيامنوا ففعل ذلك وامنه المشركون وقالوا قوم عمار لا باس عليكم منهم ورموا فقدر عبد الله
عمرو بن الحضرمي فقتله واستاسر بعض المشركين وهرب بعضهم الى مكة واستاق المسلمون العير فعيرهم
المشركون بذلك وقالوا استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخايف وتنصل فيه الاسنة ووقف
النبي صلى الله عليه وسلم في امر الغنيمة فانزل الله تعالى هذه الاية • ويقال لما امر الله المسلمين بالقتال
ظنوا عموم الامر في جميع الشهور فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعرفوا فنزلت هذه الاية والقول
الاول اقرب الى ظاهر القران ومعنى الاية يسالونك عن قتال في الشهر الحرام لان قوله قتال فيه يدل الاشتمال عن الشهر
الحرام وقوله تعالى قل قتال فيه كبير اي القتال في الشهر الحرام عظيم الذنب عند الله تعالى ثم استانف الكلام فقال
وصد عن سبيل الله اي منع الناس عن الكعبة ان ياتوها ويطوفوا بها وكفر به اي وكفر بالله تعالى • ويقال بالحج
او كفر بالمسجد الحرام • وقيل فيه تقديم وتاخير وتقديره وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفر بالله واخراج
اهل المسجد الحرام منه اعظم عقوبة عند الله من القتال في الشهر الحرام اي الكفار مع هذا الاجرام اولى
باللعنة ممن قتل مشركا في الشهر الحرام كما قال الله تعالى والفتنة اكبر من القتل اي الشرك بالله اعظم عقوبة
واثم من القتال • ومعنى كفرهم بالمسجد الحرام ان الله جعل المسجد الحرام للمؤمنين ولعبادتهم اياه فيه فلما
جعله الكفار لاوثانهم ومنعوا المسلمين منه كان ذلك كفرا منهم بالمسجد الحرام قوله عز وجل وَلَا
يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا معناه لا يزال اهل مكة يقاتلونكم ايها

المسلمون حتى يصرفونكم عن دينكم الاسلام الى دينهم الكفر ان قدروا على ذلك ثم حذر الله المؤمنين ليثبتوا
على الاسلام فقال عز وجل **ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا
والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** اى من يرجع منكم عن دين الاسلام فيمت على كفره فاولئك
حبطت اعمالهم التي عملوها في الدنيا والتي عملوها للآخرة اى لا يبقى لعمل من اعمالهم ثواب يجازون به في
الدارين واولئك اصحاب النار هم فيها مقيمون دائمون والصد والصرف والمنع نظاير يقال صد يصد
صدًا اذا صرف غيره عن الشيء وصد يصد صدودًا اذا اعرض بنفسه • ومن قرا يرتدد بدالين فهو لغة
اهل الحجاز ظاهر والتضعيف حذرًا من التقاء الساكنين • ومن قرا يرتد بالتشديد فهو لغة بني تميم ادغموا
الحرفين من جنس واحد وحركوه الى الفتحة وقوله فيمت جزم بالعطف على يرتد ولو كان جوابًا لكان
دفعًا واكثر الامة على ان النهي عن القتال في الشهر الحرام منسوخ نسخه سورة براءة وهو قوله تعالى قاتلوا
الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية لانها نزلت بعد حظر القتال بالشهر • فان قيل اذا كان
نفس الارتداد يحبط العمل حتى يبطل حجه الذي اداه فاين فائدة قوله فيمت وهو كافر • قيل انما ذكر الله
تعالى في هذه الآية امر الآخرة لان شيئًا يرجع الى احباط عمله في الماضي اذ المعلوم من حال المرتد انه اذا
عاد الى الاسلام والتوبة والعمل الصالح ومات على ذلك لا يعاقب في الآخرة • فلما جمع الله في هذه
الآية بين احباط عمله فيما يتصل بالدنيا والآخرة حتى يزول ثوابه الى العقاب الدائم كذلك شرط
موته على الكفر • روي في التفسير انه لما نزلت هذه الآية قام عبد الله بن جحش واصحابه فقالوا يا
رسول الله انطمع من ربنا ان تكون لنا هذه غزوة في الجهاد فنزل قوله تعالى • **ان الذين آمنوا** والذين
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم معناه
ان الذين صدقوا وهاجروا من مكة الى المدينة وجاهدوا في محاربة المشركين في طاعة الله تعالى
اهل هذه الصفة يطمعون مغفرة الله تعالى وجنته والله غفور لما كان منهم من القتل والاسر واخذ
الغنيمة في الشهر الحرام رحيم بهم حين رفع اثم ذلك عنهم والمهاجرة مفاعلة من الهجر وهي في هذا الموضع
هجران الموطن والعشيرة في رضى الله تعالى والهجر نقيض الوصل واطلق اللفظ في هذه الآية على المفاعلة

ويؤادّ ما ذكرناه

ويؤادّ ما ذكرناه • ونظير المساعدة وهي ضم الرجل ساعده الى ساعد اخيه بالتقوية والمعونة
واما المجاهدة فهي بذل الرجل الجهد من نفسه مع اخوانه ويجوز ان يراد بذلك ان يبذل الجهد
في قتال عدوه وقد فعل العدو مثل فعله فيصير مفاعله وانما قال الله تعالى اولئك يرجون
رحمت الله لان احدًا لا يعلم انه صاير الى ان يبلغ في الطاعة كل مبلغ الا بخبر الله تعالى او بخبر
النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يدري لعله قصر في شيء من الواجبات وما يدري ما الذي يكون
منه فيما بينه وبين موته ولا يعلم احد من المسلمين بما يختم له ختم الله لنا بالسعادة والشهادة
قوله تعالى عز وجل **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس** (واثمهما) **اكبر من نفعهما** قال ابن
عباس كان المسلمون يشربون الخمر في بدو الاسلام وهو لهم حلال وكان منادي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ينادي في اليوم والليلة وقت الصلوة الا من كان سكرانًا فلا يحضر مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الجماعة تعظيمًا للجماعة وتوقيرًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان عمر جا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بين لنا امر الخمر فانها مهلكة للمال مذهبة للعقل فنزلت
هذه الآية يسألونك عن الخمر والميسر • واما الميسر فقد كان جماعة من العرب يجتمعون فيشترون
جزورًا ثم يجعلون لكل واحد منهم سهمًا ثم يقترعون عليها فمن خرج سهمه بري من ثمنها واخذ نصيبه
من الجزور وبقي اخرهم عليه ثمن الجزور كله ولا يذوق من لحمها شيئًا فيقتسم اصحابه نصيبه وربما
كانوا يتصدقون بذلك على الفقرا فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله هذه
الآية • والميسر هو القمار يقال للقمار ميسر والمقامر الياسر • وقال مقاتل يسمى ميسرًا لانهم كانوا (ويجزؤنها)
يقولون يسروا لنا ثمن الجزور وذلك ان اهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزورًا فينحرونها اجزا
قال ابن عمر عشرة اجزا وقال الاصمعي ثمانية وعشرين جزا ثم يستهمون عليها بعشرة اقداح • و
يقال لها الازلام والاقلام سبعة منها لها انصبا وهي الفذ وله نصيب واحد والتوم وله نصيبان
والرقيب وله ثلثه والحلس وله اربعه والنافس وله خمسه والمسبل وله ستة والمعلى وله
سبعه وثلاثه منها لا انصبا لها وهي المنيح والسفيح والوغد ثم يجعلون القداح في خريطة يسمى

الربابة قال ابو دوب • وكانت ربابة وكانة • يسر يفيض على القداح ويصدع • ويضعون الربابة
على يد واحد عدل منهم عندهم ويسمى المجيل والمفيض ثم يجيلها ويخرج منها قدحا باسم واحد منهم
فايهم خرج سهمه اخذ نصيبه على قدر ما يخرج فان كان خرج له سهم من هذه الثلثة التي لا انصبا
لها • اختلفوا فيه قال بعضهم كان لا ياخذ شيئا ويغرم ثمن الجزور كله • وقال بعضهم لا ياخذ شيئا ولا
يغرم ويكون ذلك القدح لغوا فيعاد سهمه ثانيا فهؤلاء الياسرون ثم يدفعون ذلك الجزور الى
الفقرا ولا ياكلون منه شيئا وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لم يفعله منهم ويسمونه البرم فهذا
اصل القمار الذي كانت العرب تفعله وانما عنى الله تعالى بالميسر في هذه الاية انواع القمار كلها • وقال
طاوس ومجاهد وعطا كل شيء فيه قمار فهو من الميسر حتى لعب الصغار بالجوز والكعاب • وعن علي رضي الله
عنه قال النرد والشطرنج من الميسر • قال القسم كل شيء الهاك عن ذكر الله وعن الصلوة فهو ميسر • قال
ابن عباس فلما نزلت هذه الاية ترك بعض الناس الخمر وقالوا لا حاجة لنا فيما فيه اثم كبير ولم يتركها
بعضهم وقالوا ناخذ منفعتها ونترك اثمها وكانوا على ذلك حتى اصاب رجل من الصحابة خمرا
فانتشا منها فحضرت الصلوة فقام يصلي المغرب فقرا قل يا ايها الكافرون على غير وجهها قال اعبد ما
تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون وكانوا يشربونها قبل الصلوة وكانوا ياتينا ينشدون الاشعار في شربها ويفتخرون
فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب
والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم باراقة الخمر حتى امر بكسر الدنان تغليظا وتشديدا • ومعنى الاية
يسئلونك يا محمد عن الخمر والميسر قل فيهما اثم عظيم لان الخمر يوقع العداوة والبغضا ويحول بين الانسان
وبين عقله الذي يعرف به ما يجب عليه لخالقه والقمار يورث العداوة ايضا فان المقمور اذا راى غيره
قد فاز بماله من غير منفعة رجعت اليه بغضه وعاداه • وقيل معنى قوله تعالى قل فيهما اثم كبير اي وزر
عظيم من المشاتمة والمخاصمة وقول الفحش والزور وزوال العقل والمنع من الصلوة واستحلال المال

الغير بغير حق • وقرا اهل الكوفة الا عاصما قل فيهما اثم كبير بالثاء وقرا الباقون بالبا واختار ابو عبيد
وابو حاتم لقوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما ولقوله تعالى انه كان حوبا كبيرا قوله عز وجل ومنافع للناس
فالمنفعة في الخمر اللذة في شربها والتجارة فيها قبل التحريم والمنفعة في الميسر مصير الشيء الذي يصيبه من المال
في القمار بلا كد ولا تعب قوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما قال المفسرون اثم الخمر هو انه يشرب ويسكر ويوذي
الناس واثم الميسر هو ان يقامر فيمنع الحق ويظلم • وقال الربيع المنافع قبل التحريم والاثم بعد التحريم قوله
تعالى يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو معناه يسئلونك اي شيء يتصدقون به قل الفضل وما يسهل
عليك انفاقه وهذا نزل جوابا عن قول عمرو بن الجموح ماذا ننفق وفي الاية المتقدمة جواب عن قوله على
من نتصدق • واختلفوا في معنى قوله تعالى قل العفو • فقال ابن عمر وقتادة وعطا والسدي هو ما فضل من المال
عن العيال وهو رواية عن ابن عباس • وقال الحسن هو ان لا يفني مالك في النفقة ثم تقعد تسال الناس • وقال
مجاهد هو ما كان عن ظهر غنا • وقال الضحاك هو قدر الطاقة • وقال الربيع العفو هو الطيب كانه قال
افضل مالك واطيبه واصل العفو في اللغة الزيادة والكثرة قال الله تعالى حتى عفوا اي كثروا • وقال
صلى الله عليه وسلم اعفوا اللحا • والعفو ايضا ما ناخذ وتعطيه سهلا بلا تكلف من قولهم خذ ما عفاك
اي ما اتاك سهلا من غير اكراه ونظير هذه الاية من الاخبار ما روي ان رجلا قال يا رسول الله عندي دينار
قال انفقه على نفسك قال عندي اخر قال انفقه على اهلك قال عندي اخر قال انفقه على ولدك قال
عندي اخر قال انفقه على والديك قال عندي اخر قال انفقه على فرسك قال عندي اخر قال انفقه على
قرابتك قال عندي اخر قال انت ابصر به • وعن جابر قال اتى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببيضة من ذهب اصابها في بعض المعادن فقال يا رسول الله خذ هذه صدقة فوالله ما اصبحت املك
غيرها فاعرض عنه فاتى من ركنه الايمن فقال له مثل ذلك فاعرض عنه ثم اتاه من ركنه الايسر فقال له مثل
ذلك فاعرض عنه ثم قال له مثل ذلك فقال مغضبا هاتها فاخذها منه فحذفه بها حذفة لو اصابته
لشجته او عقرته ثم قال يجي احدكم بماله كله ليتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة ما كان
عن ظهر غنا وليبدا احدكم بمن يعول • قال الكلبي كان الرجل بعد نزول هذه الاية ان كان من اهل الزرع و

النخيل نظر الى ما يكفيه وعياله سنة ويتصدق بما فضل • وان كان من اهل التجارة امسك راس ماله ومن
الربح ما يتقوت به ويحتاج اليه ويتصدق بما فضل • وان كان ممن يعمل بيده امسك ما يكفيه وعياله
يومه ذلك ويتصدق بسايره وكانوا على ذلك الى ان فرضت الزكوة مقدرة معلومة • واختلفوا في
قراة قوله قل العفو • فقرا الحسن وقتادة وابو عمرو قل العفو رفعا على معنى الذي ينفقونه هو العفو وعلى
قل هو العفو ودليله قوله تعالى واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين • وقرا الباقون العفو
بالنصب على معنى قل انفقوا العفو ودليله قوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا قوله
عز وجل كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة اى مثل هذا البيان يبين الله لكم
اوامره ونواهيه ودلايله في الدين لعلكم تتفكرون في الدنيا انها دار فنا وبلا ولا يبقى فيها الا العمل الصالح
وفي امر الاخرة فانها دار رجا وبقا لا ينفع فيها الا ما يتقوى الله عز وجل • وقال المفضل كذلك يبين الله
لكم الآيات في امر النفقة لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة فتحبسون من اموالكم ما يصلحكم في معايش الدنيا
وتنفقون الباقي فيما ينفعكم في العقبى • وقال بعضهم معناه يبين لكم الآيات في امر الدنيا والاخرة لعلكم تتفكرون
في زوال الدنيا وفنايها فتزهدوا فيها وفي اقبال الآخرة وبقايها فيرغبون فيها وهذا القول قريب من الاول •
قال الزجاج انما قال كذلك يبين الله وهو يخاطب الجماعة فكان ينبغي ان يقول كذلكم لان الجماعة معناها
القبيل كانه قال كذلك ايها القبيل ويجوز ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لان خطابه
مشتمل على خطاب امته كما قال تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النسا • وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال تفكر ساعة خير من عبادة سنة قوله عز وجل ويسيلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير
وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح قال ابن عباس لما نزل في امر اليتامى ولا تقربوا مال
اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا اشفق
المسلمون من مخالطتهم وكان كل من في حجره يتيم يجعل لليتيم بيتا وطعاما وخادما على حدة وكانوا لا
يخالطون اليتامى في شي فشق ذلك عليهم فجا عبد الله بن رواحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ان الله تعالى لما نزل في اموال اليتامى ما انزل من الشدة افصح لنا يا رسول الله ان نخالطهم نستعير منهم الخادم

لهم صح

والدابه

والدابة ونشرب من لبن شاتهم فانزل الله هذه الآية ويسيلونك عن اليتامى اى مخالطة اليتامى قل
اصلاح لاموالهم خير الاشيا اذ هو خير من الانفاق قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم اى وان تشاركوهم
وتخلطوا اموالهم باموالكم في نفقاتكم ومطاعمكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من اموالهم
عوضا من قيامكم باموريهم وتكافيوهم على ما يصيبون من اموالكم فهم اخوانكم في الدين • وقرا طاوس
قل صلاح اليهم خير يعني الاصلاح لاموالهم من غير اجرة ولا اخذ عوض منهم خير واعظم اجرا • و
قرا ابو مخلد فاخوانكم بالنصب اى تخالطوا اخوانكم قوله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح اى يعلم من كان
غرضه بالمخالطة اصلاح امر اليتامى ومن يكون غرضه افساد امرهم قوله عز وجل ولو شا الله لاعنتكم
اى لاثمكم في مخالطتهم وضيق عليكم والعنت الاثم ويسمى الفجور عنتا لما فيه من الاثم واصل العنت الشدة
والمشقة يقال عقبة عنوت اى شاقة كيود • وقال ابو عبيدة معناه ولو شا الله لاهلككم قوله عز وجل
ان الله عزيز حكيم اى منيع غالب لا يمانع فيما فعل من المساهل والمشاق ذو حكمة فيما امركم به في امر اليتامى
وغير ذلك واسم اليتيم اذا اطلق انصرف الى الصغير الذي لا اب له والعرب تسمي المنفرد يتيما يقولون الدرة
اليتيمة يريدون بذلك انها منفردة لا نظير لها • وفي الآية ضروب من الاحكام منها قوله تعالى قل اصلاح لهم
خير يدل على جواز خلط الوصي ماله بمال اليتيم في مقدار ما يغلب على ظنه ان اليتيم ياكل قدر طعام نفسه
بغالب الظن ويدل على جواز التصرف في ماله بالبيع والشرا وجواز دفعه مضاربة اذا كان ذلك صلاحا و
يدل على ان لولي اليتيم ان يعاقد نفسه في ماله اذا كان فيه خير ظاهر لليتيم على ما قاله ابو حنيفة رحمه
الله ويدل على ان للوصي ايضا ان يوجر اليتيم ممن يعلمه الصناعات والتجارات او يستاجر من يعلمه ما له
فيه صلاح من امر الدين والادب لان كل ذلك من الصلاح وقوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم
فيه دليل على ان للولي ان يزوج اليتيم ابنته او يزوج اليتيمة ابنه او يتزوج اليتيمة لنفسه فيكون قد
خلط اليتيم بنفسه وعياله واختلط ايضا به يقال فلان خليط فلان اذا كان شريكا له في المال ويقال قد
اختلط فلان بفلان اذا صاهره ولا يكون التزويج الا للولي الذي يكون ذا نسب من اليتيم لان الوصاية
لا تستحق بها الولاية في النكاح قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يومن قال عبد الله بن عباس نزلت

هذه الآية في مرثد بن ابي مرثد الغنوي وكان شجاعا قويا بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج
منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته في الجاهلية فاتته
وقالت له يا مرثد الا تخلو فقال ويحك يا عناق ان الاسلام قد حال بيننا وبين ذلك فقالت
هل لك ان تتزوج بي فقال نعم لكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره ثم اتزوجك فقالت
أبي تتبرم ثم استغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما رجع الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم اعلمه بما كان من امره وامر عناق وما لقي بسببها فقال يا رسول الله ايحل لي ان اتزوجها فانزل الله هذه
الآية ومعناها ولا تتزوجوا المشركات حتى يصدقن بتوحيد الله تعالى • وقال المفضل اصل النكاح
الوطء ثم كثر ذلك حتى قيل للعقد التزويج النكاح فحرم الله نكاح المشركات عقدا ووطئا ثم استثنى
الحرائر الكتابيات فقال تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم قوله عز وجل ولأمة مؤمنة
خير من مشركة ولو اعجبتكم اي نكاح امة مؤمنة خير من نكاح حرة مشركة ولو اعجبتكم الحرة المشركة
حسنها وجمالها ومالها نزلت في امة سوداء كانت لحذيفة بن اليمان يقال لها خنساء فقال لها حذيفة يا خنساء
قد ذكرت في الملأ الاعلى مع سوادك ودمامتك وانزل الله ذلك في كتابه فاعتقها حذيفة وتزوجها
وقال السدي نزلت في امة سوداء لعبد الله بن رواحة كان قد غضب عليها عبد الله فلطمها ثم فزع واتى
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال صلى الله عليه وسلم وما هي يا عبد الله فقال
هي تشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلي فقال هذه مؤمنة
وقال عبد الله بن رواحة والذي بعثك بالحق نبيا لاعتقنها ولاتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من
المسلمين وقالوا اتنكح امة وقد عرضوا عليه حرة مشركة وكانوا يرغبون في نكاح المشركات رجاء اسلامهن
فانزل الله تعالى هذه الآية قوله تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا اي لا تزوجوا المشركين مسلمة حتى
يصدقوا بالله ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اي ولو اعجبكم الحر المشرك بماله وحسن حاله
قوله تعالى اولئك يدعون الى النار يعني المشركين والمشركات يدعون الى عمل اهل النار قوله تعالى
والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه اي والله الى اسباب الوصول الى الجنة والمغفرة ومخالطة

يدعو صح

المؤمنين

المؤمنين وغير ذلك باذنه اي بامره وعلمه الذي علم انه وصله لكم اليها قوله تعالى ويبين آياته للناس
لعلهم يتذكرون اي يبين امره ونهيه في التزويج وغيره للناس لعلهم يتعظون ويرغبون في اهل الديانة
والامانة • واعلم ان الظاهر ان اسم المشركات يتناول الوثنيات وقال الله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل
الكتاب ولا المشركين وقال تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ففرق بينهما في اللفظ وظاهر
العطف يقتضي ان المعطوف غير المعطوف عليه فعلى هذا لا يكون تزويج المسلمين بالكتابيات داخلا
في هذه الآية لكنا استفيد جوازه لهم بقوله تعالى في سورة المائدة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم • وعن ابن عباس والحسن ومجاهد ان هذه الآية عامة في جميع الكافرات والكتابيات منهم
وغير الكتابيات ثم نسخت منها الكتابيات باية المائدة • وعن ابن عمر انه كان اذا سئل عن نكاح اليهودية
والنصرانية قال ان الله حرم المشركات على المؤمنين ولا اعلم شيئا من الشرك اكبر من ان يقول ربها عيسى عليه
السلام او عبد من عباد الله والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم عدل في الاثم والجرم الاشراك
بالله • فان قيل فهذه الآية نهي عن نكاح المشركات بسبب وهو دعاء اهل الشرك الى النار وهذه العلة
تعم الكتابيات وغيرهن فكيف ابيح للمسلمين نكاح الكتابيات والعلة قائمة • قيل يحتمل ان يكون قوله
اولئك يدعون الى النار راجعا الى قوله ولا تنكحوا المشركين لا الى قوله ولا تنكحوا المشركات لان اولئك
كناية عن الرجال دون النساء ولا يجوز تزويج المسلمة من مشرك ولا كتابي قوله عز وجل ويسئلونك
عن المحيض قل هو اذى قال ابن عباس نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يقال له ابو الدحداح اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كيف نصنع بالنساء اذا حضن هل نقربهن او لا فنزلت
هذه الآية فلما نزلت الآية عمد المسلمون الى النساء الحيض فاخرجوهن من البيوت كما كانت الاعاجم
يفعل بنسائهم اذا حضن واذا فرغن واغتسلن ردوهن الى البيوت فقدم ناس من الاعراب المدينة
فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عزل النساء عنهم وقالوا يا رسول الله ان البرد شديد و
الثياب قليلة وقد عزلنا النساء فان اثرناهن بالثياب هلك اهل البيت بردا وان اثرنا اهل البيت
هلك النساء الحيض وليس كلنا نجد سعة فنوسع عليهم جميعا فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم

ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم تؤمروا ان تخرجوهن من البيوت وقرا عليهم الاية • وقال
بعضهم كانت العرب في الجاهلية اذا حاضت المراة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يساكنوها
في بيت ولم يجالسوها على فراش كفعل اليهود والمجوس فسال ابو الدحداح رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك وقال يا رسول الله كيف نصنع بالحيض فانزل الله هذه الاية • ووجه ايصال هذه
الاية بما قبلها انه اجرى فيما تقدم حديث نكاح من يحرم ومن يحل فبين الله تعالى بعده حال التحليل
والتحريم من الاية • وقال ابن عباس ما رايت قوما كانوا خيرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما سالوه الا عن ثلثه عشر مسيلة حتى كلهن في القران • يسالونك عن الشهر الحرام • يسالونك ماذا
ينفقون قل ما انفقتم • يسالونك ماذا ينفقون قل العفو • يسالونك عن الاهلة • يسالونك عن
الخمر والميسر • ويسالونك عن اليتامى • ويسالونك عن الساعة ايان مرساها • واذا سالك عبادي
عني • يسالونك عن الانفال • ويسالونك عن الروح • ويسالونك عن ذي القرنين • ويسالونك
عن الجبال • ومعنى الاية ويسالونك عن المحيض قل هو اذى اي الدم مستقذر نجس • وقال الكلبي الاذى
ما يغم ويكره من كل شيء قوله تعالى فاعتزلوا النساء في المحيض اي اعتزلوا مجامعتهن وهن حيض ولا تقربوهن
حتى يطهرن اي ولا تجامعوهن حتى ينقطع عنهن الدم • وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من وطي امراته وهي حايض فقضي بينهما ولد فاصابه جذام فلا يلومن الا
نفسه ومن احتجم يوم السبت او الاربعا فاصابه وضح فلا يلومن الا نفسه • فوطي النسا الحيض
حرام بنص القران فان وطيها زوجها ثم لزمته الكفارة • روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في رجل جامع امراته وهي حايض قال ان كان دما عبيطا فليتصدق بدينار فان كان صفرة
فبنصف دينار • ولا باس باستخدام الحايض ومباشرة بدنها اذا كانت متزرة والاستمتاع بما فوق
الازار • قال مسروق قلت لعايشه رضي الله عنها ما يحل للرجل من امراته اذا كانت حايضا قالت
كل شيء الا الجماع • وروي ان عايشه رضي الله عنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
مضطجعة في ثوب واحد وانها وثبت وثبة شديدة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم

قبض صح

ويسالونك عن المحيض

مالك

مالك لعلك نفست يعني حضت قالت نعم قال شدي عليك ازارك وعودي الى مضجعك • وعن ام
سلمه رضي الله عنها قالت بينما انا مضطجعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخميلة اذ حضت فانسللت
منها واخذت ثياب حيضي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفست قلت نعم فدعاني فاضطجعت
معه في الخميلة • وعن عايشه رضي الله عنها قالت كنت اغتسل انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
من اناء واحد ونحن جنبان وكنت اغسل راس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معتكف في
المسجد وانا حايض وكان يامرني اذا كنت حايضا ان اتزر ثم يباشرني • وسيلت عايشه رضي الله
عنها هل تاكل المراة مع زوجها وهي طامث قالت نعم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوني فاكل
معه وانا عارك وكان وكان ياخذ العرق فيضعه على فيه واعترق به ثم اضعه فياخذ ويشرب منه
ويضع فمه حيث وضعت من العرق ويدعوا بالشراب فيشرب ثم اخذ القدح فاشرب منه ثم اضعه
فياخذ فيشرب منه ويضع فمه حيث وضعت فمي من القدح فدلت هذه الاية على ان المراد الاعتزال
من الحيض جماعهن وذلك ان اليهود والمجوس كانوا يجتنبون الحيض في كل شيء وكانت النصارى يجامعونهن
ولا يبالون بالحيض فامر الله تعالى بالاقتصاد بين هذين الامرين وخير الامور اوسطها • قال انس
رضي الله عنه لما انزل الله تعالى ويسيلونك عن المحيض قل هو اذى الاية قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم افعلوا كل شيء الا الجماع فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع من امرنا شيا
الا خالفنا فيه قوله تعالى ولا تقربوهن حتى يطهرن قرا الاعمش وعاصم وحمزة والكساي تطهرن بالتشديد
اي يغتسلن يدل عليه قراة عبد الله حتى يتطهرن بالتا على الاصل وقرا الباقون يطهرن مخففا اي حتى
يطهرن من حيضهن وينقطع الدم • واختلف الفقها في الحايض متى يحل وطيها • فقال ابو حنيفه وصاحباه
اذا طهرت لعشرة ايام جاز وطيها دون الغسل وان طهرت لاقل من عشرة ايام لم يجز وطيها حتى يغتسل
او يمضي عليها وقت صلوة كامل • وقال مجاهد وطاوس وعطا اذا انقطع دمها وغسلت فرجها
وتوضات جاز وطيها • وقال الشافعي لا يحل وطيها الا بشرطين انقطاع الدم والاغتسال فمن قرا
يطهرن بالتشديد كان حجة للشافعي ومن تابعه ومن خففه كان حجة للمبيحين وطيها قبل الغسل

قوله تعالى فاتوهن من حيث امركم الله اى فاذا اغتسلن فجامعوهن من حيث امركم الله تجنبه فى الحيض
وهو الفرج قاله ابن عباس وقتادة والربيع • وقيل معناه فاتوهن من قبل النكاح والجهات التى يحل
فيها ان يقرب المراة فى الشريعة • وقال مجاهد كانوا على استخارة اتيانهن فى الادبار فى ايام الحيض فانزل
الله هذه الاية وحرم بها ما كانوا يفعلونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيان النسا فى
محارهن حرام • وقال ابن كيسان معناه لا تاتوهن صايمات ولا معتكفات ولا محرمات واتوهن وغشيانهن
لكم حلال قوله عز وجل ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين قال عطا ومقاتل والكلبى معناه ان الله
يرضى عمل التوابين من الذنوب ومن اتيان النسا فى وقت الحيض ويحب المتطهرين بالما عن الاحداث والحيض
والنجاسات والخباثات • وقال مجاهد معناه ان الله يحب التوابين عن الذنوب والمتطهرين عن ادبار
النسا ان ياتوها وقال من اتى امراة فى دبرها فليس من المتطهرين • وقال بعضهم معناه التوابين من الذنوب
والمتطهرين من الشرك • وقال سعيد بن جبير التوابين من الشرك والمتطهرين من الذنوب • وعن عبد الرحيم
معناه ان الله يحب التوابين من الكباير والمتطهرين من الصغاير • وقيل التوابين من الافعال والمتطهرين
من الاقوال • وقيل التوابين من الاقوال والافعال والمتطهرين من العقود والاضمار • وقيل التوابين
من الاثام والمتطهرين من الاجرام • وقيل التوابين من الذنوب والمتطهرين من العيوب والتواب هو
الذى كلما اذنب تاب • والمحيض مصدر يقال حاضت المراة حيضا ومحيضا ومحاضا كل ذلك مصدر
قوله عز وجل نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شيتم قال ابن عباس كانت اليهود يقولون انا نجد
فى التورية ان كل اتيان يوتا النسا غير مستلقيات فانه دنس عند الله ومنه يكون الحول والخبل
فى الولد فاكذبهم الله تعالى بهذه الاية • وعن جابر بن عبد الله قال كانت اليهود يقولون من جامع
امراته مجبيه من قفاها فى قبلها كان ولدها احول فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال كذبت اليهود فانزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شيتم •
وقال الحسن وقتادة ومقاتل والكلبى تذاكر المهاجرون والانصار واليهود اتيان النسا • فقال
المهاجرون انا ناتيهن باركات وقايمات ومستلقيات ومن بين ايديهن ومن خلفهن بعد ان يكون

المأتا واحدا

المأتا واحدا وهو الفرج • فقال اليهود ما انتم الا كالبهايم لكنا ناتيهم على هيئة واحدة وانا
لنجد فى التورية ان كل اتيان يوتى النسا غير مستلقيات فانه دنس عند الله ومنه يكون الحول
والخبل فذكر ذلك المسلمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انا كنا فى جاهليتنا
وبعد ما اسلمنا ناتى النسا كيف شينا وان اليهود عابت ذلك علينا وزعمت انا كذا وكذا فاكذب الله
اليهود ورخص للمسلمين فى ذلك • فقال نساؤكم حرث لكم • وعن ابن عباس قال كان هذا الحى من الانصار
مع اهل هذا الحى من اليهود وهم اهل الكتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم فى العلم وكانوا يقتدون
بكثير من فعلهم وكان من شان اليهود ان لا ياتوا النسا الا على حرف واحد وذلك اشد ما يكون على المراة
وكان هذا الحى من الانصار قد اخذوا ذلك من فعلهم وكان هذا الحى من قريش يشرحون النسا شرحا منكرا
ويتلذذون بهم مقبلات ومدبرات ومستلقيات • فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم
امراة من الانصار فذهب يصنع بها كذلك فانكرت عليه وقالت انما كنا نوتى على حرف فان شيت
فاصنع ذلك والا فاجتنبنى حتى سرى امرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله عز وجل نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شيتم مقبلات ومدبرات ومستلقيات والمعنى
نساؤكم محرث لكم اى مزدرع لكم للولد • وقال الزجاج معناه نساؤكم ذوات حرث لكم فبين
كيف تحرثون للولد واللذة اى فاتوا حرثكم كيف شيتم وحيث شيتم ومتى شيتم بعد ان يكون فى موضع
واحد وهو الفرج • قال ابو عبيد سميت المراة حرثا على وجه الكناية فانها للولد كالارض للزرع
وفى الاية دليل على تحريم الوطى فى الدبر لانه موضع الفرث لا موضع الحرث • وانما قال الله تعالى
نساؤكم حرث لكم وهذا من لطف كنايات القران • وقال اهل المعانى معنى الاية نساؤكم كحرث لكم كقوله
حتى اذا جعله نارا اى كنار • والعرب تسمى النسا حرثا قال الشاعر • اذا اكل الجراد حروث قوم •
فحرثى همه اكل الجراد • يريد امراتى وانشد احمد بن يحيى ثعلب • جيدا من هبة الله البنات الصالحات
وهن النسل والزرع وهن الشجرات • يجعل الله لنا فيما نشا البركات • انما الارحام ارضون لنا محترثات
فعلينا الزرع فيها وعلى الله النبات • قوله تعالى انى شيتم اى كيف شيتم • وقال سعيد بن المسيب

هذا فی العزل ای ان شئتم فاعزلوا وان شئتم فلا تعزلوا ودلیل هذا ما روی عن عبد الله انه قال تستأمر
الحرة فی العزل ولا تستأمر الامة وقد وهم بعض الناس فی تاویل هذه الایة وتعلق بظاهرها وجوز اتیان
المراة فی دبرها وهذا لا یصح لان قوله تعالی نساؤکم حرث لکم فأتوا حرثکم انی شئتم یقتضی اباحة
اتیان المراة فی موضع الحرث وهو القبل فان الولد انما یکون من اتیان المراة فی قبلها والقول بجواز اتیان
المراة فی دبرها باطل والصحیح انه حرام لما روی ابو هریرة رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله
علیه وسلم ملعون من اتی المراة فی دبرها • وعن عبد الله بن الحسین عن ابیه انه لقی سالم بن عبد الله
فقال له ما حدیث یحدث به نافع عن ابن عمر قال وما هو قال زعم ان عبد الله بن عمر لم یر باسا باتیان النساء
فی ادبارهن قال کذب العبد واخطا انما قال عبد الله یوتون فی فروجهن من ادبارهن والدلیل علی تحریم
الوطی فی الدبر قوله صلی الله علیه وسلم ان الله لا یستحیی من الحق لا تاتوا النساء فی ادبارهن • وعن ابن
عباس قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم لا ینظر الله تعالی الی رجل اتا رجلا او امراة فی دبرها • وعن
ابی هریرة قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ملعون من اتی المراة فی دبرها • وقال صلی الله
علیه وسلم من اتی حایضا او امراة فی دبرها او اتی کاهنا فصدقه فیما یقول فقد کفر بما انزل علی
محمد صلی الله علیه وسلم قوله عز وجل وقدموا لانفسکم من خیر تجدوه ای قدموا من العمل الصالح
لاخرتکم وقیل معناه سموا الله تعالی عند الجماع کما روی عن ابن عباس انه قال قال رسول الله
صلی الله علیه وسلم اذا اراد احدکم ان یاتی اهله فلیقل بسم الله اللهم جنبنی الشیطان
وجنب الشیطان ما رزقتنا فان قدر بینهما ولد لم یضره الشیطان • وقیل معنی وقدموا لانفسکم
النیة الصالحة عند ذلک وهو ان ینوی ربما قضی الله له ولدا یعبده • وقیل معناه وقدموا لانفسکم
هو التزویج بالعفایف لیکون الولد صالحا طاهرا • وقیل هو تقدیم الافراط • قال صلی الله علیه
وسلم من مات له ثلثه من الولد لم یبلغوا الحنث لم تمسه النار الا تحلة القسم فقالوا یا رسول الله واثنان
قال واثنان قال فظننا انه لو قیل له وواحدا قال وواحدا • وقال السدی والکلبی یعنی العمل الصالح
دلیله سیاق الایة واتقوا الله واعلموا انکم ملاقوه قوله تعالی واتقوا الله ای اخشوه ولا تقربوهن فی

حال الحیض

حال الحیض ولا علی وجه لا یحل واعلموا انکم ملاقوه یوم القیمة فیجزیکم باعمالکم قوله تعالی وبشر المومنین
ای المصدقین بالبعث والثواب بالجنة قوله عز وجل ولا تجعلوا الله عرضة لایمانکم ان تبروا و
تتقوا وتصلحوا بین الناس نزلت هذه الایة فی عبد الله بن رواحة الانصاری رضی الله عنه حلف لا
یدخل علی ختنه بشیر بن النعمان الانصاری ولا یکلمه ولا یصلح بینه وبین خصمه وجعل یقول حلفت
بالله ان لا افعل ولا یحل لی الا ان ابر فی یمینی فنزلت هذه الایة فدعاه رسول الله صلی الله علیه و
سلم وقرا علیه الایة وقال من حلف علی یمین فرای ان غیرها خیرا منها فلیات الذی هو خیر ولیکفر عن یمینه
ورجع الی الذی هو خیر • ومعنی الایة لا تجعلوا الله علة لایمانکم ای لا تجعلوا الیمین بالله مانعة لکم من البر
والتقوی وهو ان یجعل الرجل الیمین معترضا بینه وبین ما هو مندوب الیه او ما مور به من البر والتقوی
والاصلاح بفعل ذلک للامتناع من الخیر لان المعترض بین الشیئین یمنع وصول احدهما الی الاخر ومعنی ان
تبروا وتتقوا ای لا تبروا ولا تتقوا القطعة ولا تصلحوا بین المتشاجرین کما قال امرؤ القیس • فقلت یمین الله ابرح
قاعدا • ولو قطعوا راسی لدیک واوصالی • اراد بذلک لا ابرح وکان ابو العباس ینکر اضمار حرف
النفی فی هذه الایة ویقول هذا انما یکون فی تصریح الیمین کقولک والله اقوم بمعنی والله لا اقوم فاما فی مثل
هذا الموضع فلا یجوز حذف حرف النفی • قال والصواب ان معناه لا تجعلوا الله عرضة لایمانکم کراهة
ان تبروا فحذف المضاف واقام المضاف الیه مقامه ونظیر هذا قوله تعالی ولا یاتل اولوا الفضل منکم
والسعة ان یوتوا اولی القربی والمساکین • وذهب بعض المفسرین الی ان معنی الایة ولا تجعلوا الله عرضة
لایمانکم ای لا تعترضوا بالیمین بالله تعالی فی کل حق وباطل وهو نهی عن کثرة الحلف لما فی ذلک من الجراة علی
الله عز وجل والابتذال لاسمه فی کل حق وباطل یقال هذه عرضة لک ای عدلک تبتذلها فیما تشا • و
معنی ان تبروا علی هذا الاثبات ای لا تحلفوا فی کل شیء لان تبروا اذا حلفتم وتتقوا الماثم فیها ویجوز ان
یکون قوله تعالی ان تبروا مبتدا وخبره محذوف تقدیره ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بین الناس اولی وفعلی
هذا یکون موضع ان تبروا رفعا وعلی التاویل الاول یکون نصبا لان معناه لان تبروا موضعه نصب
بنزع الخافض • وقال مقاتل نزلت فی ابی بکر الصدیق حین حلف لا یصل ابنه عبد الرحمن حتی یسلم • وقال

افعلوا الخیر ودعوا الشر فکفر ابن رواحة عن یمینه صح

ابن جريج نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الافك • قال
المفسرون هذا في الرجل يحلف بالله ان لا يصل رحمه ولا يكلم قرابته ولا يتصدق ولا يصنع خيرا ولا يصلح
بين الاثنين فامر الله تعالى ان لا يحنث في يمينه ويفعل ذلك الخير ويكفر عن يمينه قوله تعالى والله سميع عليم
اي سميع لايمانكم عليم بما تقصدون باليمين عند الحلف قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن
يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم اختلف العلما في لغو اليمين المذكور في هذه الاية فقال قوم هو ما يسبق به اللسان
على سرعة وعجلة ليصل به كلامه من غير عقد ولا قصد مثل قول الانسان لا والله وبلى والله ونحو ذلك
فهذا لا كفارة فيه ولا اثم عليه وعلى هذا القول عايشة رضي الله عنها والشعبي وعكرمة ومجاهد • و
قال آخرون لغو اليمين هو ان يحلف الانسان على شيء يرى انه صادق فيه ثم تبين له خلاف ذلك فهو خطا
منه غير عمد فلا اثم عليه ولا كفارة وعلى هذا القول ابن عباس والزهري والحسن وابراهيم النخعي وقتادة
والربيع وزاد ابن ابي وفي ومكحول والسدي • وقال علي رضي الله عنه وطاوس اللغو اليمين في حالة
الغضب والضجر من غير عقد و مثله مروي عن ابن عباس يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا يمين
في غضب • وقال بعضهم هو اليمين في المعصيه لا يؤاخذه الله بالحنث فيها ويكفر وبه قال سعيد بن جبير •
وقال غيره ليس فيه في ذلك كفارة • وقال مسروق في الرجل يحلف على المعصية كفارته ان يتوب عنها فكل يمين
لا يحل له ان يفي بها فليس فيها كفارة ولو امره بالكفارة لامرته ان يتم على قوله يدل عليه ما روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا نذر فيما لا يملك فلا نذر له ومن حلف على معصيه فلا يمين له
وعن ابراهيم النخعي قال لغو اليمين ان يصل الرجل كلامه بالحلف كقوله والله لياكلن والله ليشربن ونحوها
لا يقصد بذلك اليمين ولا يريد به حلفا فليس عليه فيه كفارة يدل عليه ما روي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مر بقوم ينتضلون ومعهم رجل من اصحابه فرمى رجل من القوم فقال والله اصبت والله
اخطات فقال الرجل الذي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنث الرجل يا رسول الله فقال صلى الله
عليه وسلم كل ايمان الرماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة • وقالت عايشه ايمان اللغو ما كان في الهزل
والمراء والخصومة والحديث الذي لا يعقد عليه القلب • وقال زيد بن اسلم هو دعا الحالف على نفسه

كقوله اعمى الله بصري ان لم افعل كذا اخرجني الله من مالي ان لم اتك غدا قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما
كسبت قلوبكم اي بما تعمدتم الكذب وهو ان يحلف على شيء يعلم انه ليس كذلك والمعنى ولكن يؤاخذكم
بما عزمتم وقصدتم وتعمدتم لان كسب القلب العقد والنيه وقوله تعالى والله غفور حليم اي غفور لمن
تاب من اليمين الغموس حليم من الحالف اذ لم يعجل عليه بالعقوبه • وقيل معناه والله غفور لمن حنث و
كفر عن يمينه حليم حين رخص لكم في الحنث ولم يعاقبكم على اليمين على ترك البر واللغو في اللغة الكلام
الساقط الذي لا فايدة فيه ولا حكم له يقال الغيت الشيء اذا طرحته وقد يذكر اللغو ويراد به الكلام
الفاحش القبيح قال الله تعالى واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقال تعالى واذا مروا باللغو مروا
كراما قوله عز وجل للذين يؤلون من نسايهم تربص اربعة اشهر فان فاوا فان الله غفور
رحيم قال ابن عباس ان العرب في الجاهليه كان الرجل منهم يكره امراته ويكره ان يتزوجها غيره فيحلف
ان لا يطاها ابدا ولا يخلي سبيلها اضرارا فتبقى معلقة لا ذات زوج ولا مطلقة حتى يموت
احدهما فابطل الله ذلك من فعلهم وجعل الاجل في هذا بعد هذا القول اربعة اشهر اذا تمت
هذه المدة ولم يفي اليها بانت بتطليقة وفي قراة عبد الله للذين الوا من نسايهم على لفظ الماضي والايلا
الحلف يقال الى يولي ايلاء والاسم الاليه قال الشاعر • على الية وصيام شهر • امساك طايعا الا بكفي •
وجمع الالية الالايا قال الشاعر • قليل الالايا حافظ ليمينه • اذا نذرت منه الالية برت • والايلا
في الشرع هو الحلف على ترك الجماع الذي يكسب الطلاق بمضي المدة ومعنى الاية للذين يحلفون من نسايهم
لا يقربوهن انتظار اربعة اشهر والتربص التوقف • وقال بعضهم التربص التصبر قوله تعالى فان فاوا
فان رجعوا عما حلفوا عليه فقرب الرجل امراته او كان عاجزا عن الوطي ففاء بلسانه فان الله
غفور لذنب الاضرار بالامتناع عن الجماع رحيم بهم اذ رخص لهم القربان بالكفارة • وفي قراة
ابن مسعود فان فاوا فيهن • واختلف العلما فيما يكون موليا به على وجوه احدها ما روي عن علي
وابن عباس والحسن رضي الله عنهم ان الايلا هو الامتناع من الجماع على جهة الغضب والاضرار
بتاكيد اليمين حتى لو كان له ولد رضيع يخشى ان قرب امه ان تحمل فيضر ذلك بالولد فحلف

ان لا يقربها لم يكن موليا • وقال النخعي وابن سيرين والشعبي هو اليمين على ان لا يجامعها سوا كان في الغضب
او في الرضا وبهذا القول قال علماؤنا رحمهم الله تعالى حتى قال ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد كل يمين في
زوجة منعت جماع اربعة اشهر من غير حنث يلزمه او تعيين ايلاؤه وفي اخرى فهو ايلاؤ • والقول الثالث
ما روي عن سعيد بن المسيب ان الايلاؤ هو اليمين في الجماع وغير ذلك من الضرر حتى لو حلف لا يكلمها كان موليا
والقول الرابع قول عبد الله بن عمر انه اذا هجرها فهو ايلاؤ ولم يذكر الحلف • والتربص انتظار الشيء خيرا
او شرا يحل بك او به ولذلك سمي المحتكر متربصا لانتظاره غلاء السعر قال الشاعر • تربص بها ريب المنون لعلها
يطلق يوما او يموت خليلها • قوله عز وجل وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم اي وان حققوا
الطلاق بالاقامة على حكم اليمين الى تمام اربعة اشهر فان الله سميع لايلائهم عليم بهم وبنياتهم والعزم
في اللغة هو العقد على فعل في المستقبل يقال عزم على كذا اذا عقد قلبه عليه والعزم الشرعي المذكور
في هذه الاية على ثلثة اوجه • قال ابن عباس عزيمة الطلاق انقضا الاربعة اشهر قبل ان يفي من غير عذر
وهو قول ابن مسعود وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان رضي الله عنهم قالوا انها تبين بعد هذه المدة بتطليقه
وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه • وعن علي وابن عمر وابي الدردا رضي الله عنهم مثل القول الاول • وروي
عنهم ايضا انه يوقف بعد مضي المدة فاما ان يفيء واما ان يطلق وهذا قول عايشة وبه قال مالك والشافعي
فان امتنع عنهما فللشافعي قولان احدهما يحبسه الحاكم ولا يجبره على احد الامرين والثاني يطلق عليه الحاكم
وقال ابن جبير وسالم والزهري وعطا وطاوس اذا مضت اربعة اشهر فهي تطليقة رجعيه •
فان قيل قوله تعالى فان الله سميع عليم يقتضي ان عزيمة الطلاق مسموعة ولا يكون ذلك الا بقول من الزوج
بعد الايلاؤ • قلنا هذا القول لا يصح لان الله تعالى لم يزل سميعا ولا مسموع وقد قال الله تعالى وقاتلوا
في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم وليس هناك قول • قوله عز وجل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة

قول صح

قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر قال ابن عباس
كان اهل الجاهلية يطلق الرجل امراته فان كانت حبلى كان احق برجعتها والا كانت احق بنفسها
فكانت المراة اذا احبت الرجل قالت انا حبلى وليست حبلى ليراجعها واذا كرهته وهي حبلى قالت

لست

لست بحبلى لكيلا يقدر على مراجعتها فجعل الله عدة المطلقات ثلثة قروء ونهى النسا عن كتمان ما في
ارحامهن من الحيض والحبل • ومعنى الاية والمطلقات ينتظرن بانفسهن ماذا يصنع بهن ازواجهن من
المراجعة وترك المراجعة • وقد اختلف السلف في القرء المذكور • وقال ابو بكر وعمر وعثمان و
ابن عباس وابن مسعود وابو موسى الاشعري هو الحيض وقالوا ان الزوج احق بها ما لم تغتسل من الحيضة
الثالثة وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه • وقال ابن عمر وزيد بن ثابت وعايشة الاقرا هي الاطهار
واذا دخلت في الحيضة الثالثة فلا سبيل له عليها وبه قال مالك والشافعي • وانما اختلف السلف
في هذه المسيله لان القرء في اللغة عبارة عن الحيض وعن الطهر وهو من اسماء الاضداد • وقال ابو عبيد
هو خروج من شيء الى شيء يقال قرا النجم اذا طلع وقرا النجم اذا غاب والمراة يخرج من الحيض الى الطهر ومن
الطهر الى الحيض قال الشاعر • يا رب ذي ضغن وضب قابض • له قرء كقرء الحايض • واراد بذلك
الحيض يعني ان عداوته تهيج في اوقات معلومة كما ان المراة تحيض في اوقات معلومه وقال اخر •
افي كل عام انت جاسم غزوة • تشد لاقصاها عزيم عزايكا • مورثة مالا وفي الحي رفعة • لما
ضاع فيها من قروء نسايكا • واراد بالقرو في هذا البيت الطهر لانه خرج الى الغزو ولم يغش نساءه
فاضاع اقراهن اي اطهارهن • فلما اختلف السلف واختلفت اللغة في هذا الاسم ولم يجز حمله
على الامرين جميعا وجب حمله على حقيقته دون مجازه واسم القرو حقيقة في الحيض مجاز في
الطهر لان كل طهر لا يسمى قروا وانما الطهر الذي يكون بين الحيضتين فسمي بهذا الاسم لمجاورته
للحيض فلو كان هذا الاسم حقيقة في الطهر لكان لا ينتفي عنه بحال لان الاسما الحقايق لا ينتفي عن
مسمياتها بحال ووجدنا هذا الاسم ينتفي عن طهر الايسة والصغيرة فكان حمله على الحيض اولى من حمله
على غيره فاذا اختلفت الامة في ذلك كان المرجع الى لغة النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال
صلى الله عليه وسلم المستحاضة تدع الصلوة ايام اقرائها واراد بالاقراء الحيض • واتفقت
الصحابة ان عدة ام الولد بالحيض وكذلك الاستبرا بالحيض بالاجماع • وذهب الزجاج الى
ان القرء الجمع من قولهم قرات القران اي لفظت به مجموعا ويقال قريت الما في الحوض ويسمى الحيض

مقراه • قال انما يجتمع الدم في البدن في الطهر فهو القرء غير ان الامر لا نظاهر في الحقيقة لان هذا
من علم ما في الارحام • وقد خص الله تعالى نفسه بعلم ما في الارحام • ولا يمنع ان يجتمع الدم في
حالة الحيض قطرة او قطرتين كالعبرة ونحوها اذ لو اجتمع جملة لدر درورا لا ينقطع كالبول
وساير المايعات المجتمعه والمطلقة قبل الدخول مخصوصة من هذه الاية باية اخرى وهو
قوله تعالى اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وكذلك
الحامل مخصوصة باية اخرى • وروى ان رجلا من اشجع قال يا رسول الله طلقت امراتي وهي
حامل وقد ذهبت وانا اخاف ان تطلق فتزوج من تعدى فيكون ولدي له فانزل الله تعالى والمطلقات
يتربصن بانفسهن ثلثة قروء الى اخر الاية فردت امراة الاشجعي الى الاشجعي فقام معاذ بن جبل
فقال يا رسول الله ارايت الكبيرة التي يئست من الحيض ما عدتها فنزل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم
ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر • فقام اخر فقال يا رسول الله ارايت الصغيرة التي لم تبلغ الحلم ما
عدتها فانزل واللائي لم يحضن • فقام اخر فقال يا رسول الله والحوامل ما عدتهن فنزل واولات
الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن قوله تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن نحو نهى من
الله تعالى للمعتدات كيلا يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الحبل فيخبرن بانقضاء العدة ثم يتزوجن
فيلزمن الولد غير ابيه ولا يكتمن الحيض فيمتنعن عن الاخبار بانقضاء العدة ليستوجبن النفقة على ازواجهن
وفي هذه الاية دليل على ان قول المراة يقبل على ما في رحمها حتى لو قالت حضت حرم على الزوج وطيها
واذا قالت طهرت حل له وطيها لو لم يجب قبول قولها لم يكن لنهيها عن الكتمان معنى ولا فايدة ولهذا
اذا قال لامراته اذا حضت فانت طالق فقالت حضت طلقت وكان قولها كالبينة في حق نفسها
لانا قبلنا قولها فيما يخصها من انقضاء عدتها واباحة وطيها وحظره وفرقوا بين هذا وبين ساير
الشروط نحو قوله اذا دخلت الدار وكلمت زيدا فقالوا لا يقبل قولها فيه الا ببينة فاما اذا علق عتق عبد
بحيض زوجته فقالت حضت لم يصدق لان ذلك حكم في غيرها لا يخصها ولا يتعلق بها فهو كغيره
من الشروط ولا يصدق قوله عز وجل وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا اي ازواجهن

احق

احق بمراجعتهن في الاجل الذي امرن ان يتربصن فيه ان ارادوا بمراجعتهن حسن الصحبة والمعاشرة
دون الاضرار والعدوان قوله عز وجل ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي لهن على ازواجهن من الحق
والحرمة وحسن المعاشرة مثل ما للزوج عليهن من الحقوق بالمعروف واسم المعروف عام في كل ما
يعرف من اقامة الحق يسمى بذلك لان كل يعرف انه حق قوله تعالى وللرجال عليهن درجة اي لهم زيادة
فيما للنسا عليهم وهو الفضل بنفقتهن وقيامهم بمصالحهن والفضل في العقل والميراث ان يكون الرجل
مسلطا على تاديب المراة اذا نشزت • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يصلح لبشر
ان يسجد لبشر ولو صلح ذلك لامرت المراة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها والذي نفسي بيده لو
كان من قدمه الى مفرق قروح تنبجس بالقيح والصديد ثم لحسته ما ادت حقه قوله تعالى والله
عزيز حكيم اي ملك غالب يحكم بما اراد ويمتحن بما احب فينتقم ممن عصاه وهو ذو حكمة فيما يامر
من امر الدين والدنيا لا يامر شيا الا بالحكمة قوله عز وجل الطلاق مرتان فامساك بمعروف او
تسريح باحسان قال عروة ابن الزبير وقتادة في معنى هذه الاية ان الطلاق الذي تملك فيه الرجعة
مرتان فانه بعد الطلقة الثالثة لا يملك الرجعة وفي الاية ما يدل على هذا لان الله تعالى عقبه
بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان • وعن ابن عباس ومجاهد ان المراد بالاية بيان طلاق
السنة وقوله الطلاق مرتان لفظه لفظ الخبر ومعناه الامر والندب وفي لفظ المرتين دليل على ان
التفريق سنة لان من طلق اثنين معا لا يقال طلقها مرتين وليس في هذه الاية كيفية سنة التفريق
وقد فسره الله تعالى بقوله اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واراد بذلك تفريق الطلاق
على اطهار العدة الا ترى انه تعالى خاطب الرجال باحصاء العدة وذكر الرجعة في سياق الاية
بقوله لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وعلى هذا • قال صلى الله عليه وسلم لابن
عمر حين طلق امراته في حال الحيض ما هكذا امرك ربك انما امرك ان تستقبل الطهر استقبالا
فطلقها لكل قرء تطليقه فانها العدة التي امر الله تعالى ان يطلق فيها النسا وقوله تعالى فامساك
بمعروف اي عليكم امساكهن بحسن الصحبة والمعاشرة اذا اردتم الرجعة او تسريح باحسان

واحد صح

راسه صح

اى تتركوهن حتى تنقضى تمام الطهر وتكن املك لانفسهن والاحسان ان يوفى الزوج حقها فى
المهر ونفقة العدة وان لا يطول العدة عليها • وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن
هذه الاية فقيل له اين التطليقة الثالثة فقال فى قوله او تسريح باحسان قوله عز وجل ولا يحل
لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله قال ابن عباس نزلت فى جميلة بنت
عبد الله بن ابى بن سلول وفى زوجها ثابت بن قيس كانت تبغضه بغضا شديدا لا تقدر على النظر
اليه وكان يحبها حبا شديدا لا يقدر على ان يصبر عنها وكان بينهما كلام فاتت اباها فشكت عليه
وقالت انه يضربنى ويسئ الى فقال لها ارجعى الى زوجك فاتته الثانيه وبها اثر الضرب فشكت اليه
فقال لها ارجعى الى زوجك فلما رات انه لا يشكيها ولا ينظر فى امرها اتت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فشكت عليه وارته اثر الضرب بها فقالت يا رسول الله لا انا ولا هو فارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت وقال يا ثابت ما لك ولاهلك قال والذى بعثك
بالحق نبيا ما على الارض شئ احب الى منها غيرك لكنها لا تطيعنى فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم
ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ما كنت احدثك اليوم حديثا
ينزل عليك خلافه غدا هو من اكرم الناس لزوجته لا عيب عليه فى دين ولا خلق ولكنى ابغضه
لا انا ولا هو فقال ثابت قد اعطيتها حديقة لى قل لها فتردها على وانا اخلى سبيلها فقال لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتردين عليه حديقته وتملكين امرك قالت نعم وزيادة فانزل قوله
تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الاية فقال صلى
الله عليه وسلم اما الزيادة فلا ثم قال لثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل وكان
ذلك اول خلع فى الاسلام • ومعنى الاية ولا يحل لكم ان تاخذوا شيئا مما اعطيتموهن من مهر وغيره
الا ان يخافا • قال ابو عبيد معناه تعلما وتوقنا حقيقته اى الا ان يكون الاغلب عليهما على ما ظهر
منهما من اسباب التباعد الخوف من ان لا يقيما حدود الله ومن قرا يخافا على فعل ما لم يسم فاعله كان المعنى
الا ان يخافا عليهما ان لا يقيما حدود الله وهو ما فرض الله تعالى للزوج على المراة والمراة على الزوج

وقد يذكر

وقد يذكر الخوف فى معنى العلم كما قال ابو محجن الثقفى اذا مت فادفنى الى اصل كرمة • تروى عظامى بعد موتى
عروقها • ولا تدفننى بالفلاة فاننى • اخاف اذا مت الا اذوقها • واما قوله فان خفتم الا يقيما حدود
الله اى علمتم بغالب ظنكم ان لا يكون بينهما صلاح ولا مقام على النكاح فلا جناح عليهما فيما افتدت به
اى لا حرج عليهما فى الاخذ والاعطا ويقال معناه لا حرج على الزوج ان ياخذ ما افتدت به المراة نفسها
مما اعطاها الزوج • وقال الفرا هذا كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج ذلك من احدهما
كذلك فى هذه الاية اراد بقوله تعالى فلا جناح عليهما نفى الحرج عن الزوج فى الاخذ فاما المراة فهى
معتدية باختيارها ورضاها وانما يباح للزوج ان يخلعها اذا كان النشوز من قبل المراة • و
روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال لو اختلعت بكل شئ لها لاجزته • وروى ان امراة نشزت
فرفعت الى عمر رضى الله عنه فاباتها فى بيت الزبل ثلث ليال ثم دعاها فقال رضى الله عنه كيف وجدت
مبيتك فقالت ما بت ليالى منذ كنت عنده اقر لعينى منهن فقال عمر رضى الله عنه لزوجها اخلعها
ولو بقرطها قوله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها الاية اى هذه الايات المنزلة من الاوامر والنواهى
فرايض الله واحكامه فلا تعتدوها اى فلا تجاوزوها ومن يتعد حدود الله اى من يتجاوز احكام
الله ويترك ما امر الله به او عمل بما نهاه فاولئك هم الظالمون الضارون لانفسهم بمعصيتهم و
اذا كان النشوز من قبل الزوج فلا يحل له اخذ شئ منها ديانة لقوله تعالى وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا • واختلف السلف رضى
الله عنهم فى الخلع هل هو طلاق او فسخ فذهب بعضهم الى انه فسخ وهى رواية عن ابن عباس
واستدلوا بظاهر هذه الاية فقالوا ان الله ذكر الطلاق الثلث بعد هذا بقوله فان طلقها فلا تحل له
من بعد حتى تنكح زوجا غيره فلو كان الخلع طلاقا لجعل الطلاق اكثر من ثلث • واكثر فقها الامصار
قالوا الخلع طلاق وهو قول عمر وعثمان وابن مسعود والحسن وابراهيم النخعى وغيرهم وليس فى
ظاهر هذه الاية دليل ان الخلع فسخ لان قوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا حكم مبتدا اذا الواو للاستيناف
الا ان يقوم دليل الجمع فكان الله تعالى ذكر فى اول هذه الاية حكم الطلاق بغير بدل وخير الزوج

الجزو العاشر

بين ان يراجعها في العدة او يتركها حتى تنقضي عدتها ثم استانف بيان حكم الطلاق بين اذا كانا على وجه
الخلع وابان عن موضع الحظر والاباحة فيهما ثم ذكر حكم الطلقة الثالثة بالاية التي بعد هذه الاية •
وهذا مما يستدل به على ان المختلعة يلحقها الطلاق لان عامة الفقها اتفقوا على ان تقدير الاية وترتيب احكامها
على ما وصفناه فحصلت التطليقة الثالثة بعد الخلع قوله عز وجل فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح
زوجا غيره اي فان طلقها الطلقة الثالثة فلا تحل له من بعد الثالثة حتى تتزوج زوجا غير الزوج الاول
ويدخل بها ويطلقها اذ لا خلاف بين اهل العلم ان دخول الزوج الثاني بها شرط في اباحتها للاول الا ما
روي عن سعيد ابن المسيب رواية شاذة انه لم يجعله شرطا ولم يتابعه احد على ذلك وانما جعل
دخول الزوج الثاني بها شرطا لمفهوم الاية وورود السنة اما مفهوم الاية فلان الله تعالى قال
حتى تنكح زوجا غيره والنكاح هو الوطي في الحقيقة وذكر الزوج يفيد العقد استحالة ان يكون زوجا
من غير عقد فكان قوله حتى تنكح كناية مفهمة مغنية عن التصريح • واما السنة فما روي ان رفاعة
القرظي طلق امراته ثلثا فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
تريد ان ترجع الى زوجها الاول قال صلى الله عليه وسلم هل جامعك عبد الرحمن فقالت ما الذي
معه الا كهدبة ثوبي هذا • فقال صلى الله عليه وسلم افتريدين ان ترجعي الى زوجك الاول قالت
نعم • قال صلى الله عليه وسلم لا حتى تذوقي من عسيلته ويذوق من عسيلتك فقدمت على مقالتها
فقالت يا رسول الله قد طاف بي فقال صلى الله عليه وسلم لا اصدقك الان قوله عز وجل فان
طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله اي فان طلقها الزوج الثاني
بعد ما دخل بها فلا حرج على المراة والزوج الاول ان يتراجعا بان يتزوجا مرة اخرى بعد انقضا
العدة قوله تعالى ان ظنا ان يقيما حدود الله اي ان علما بغالب ظنهما [انهما صح] يقيمان حدود الله فيما بينهما لانهما
قد افترقا وراى الزوج وحدته ورات المراة غربتها ووحشتها • والحكمة في شرط دخول الزوج
الثاني بها ان الطلاق لما كان من ابغض المباحات الى الله تعالى على ما ورد به الخبر عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان من ابغض المباحات الى الله الطلاق • شرط الله في حرمة الطلقة الثالثة ما يكبر على

الازواج

الازواج من غشيان الغير تلك المراة حتى لا يعجلوا بالطلاق عند الغضب ولا يطلقوا الا على وجه السنة
قوله عز وجل وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون اي هذه التي ذكرت احكام الله وفرايضه يبينها
في القرآن لقوم يعلمون امر الله تعالى وانما ياتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق وتخصيص
العلما في هذه الاية لانهم هم الذين يحفظون امر الله تعالى واحكامه وينتفعون بالايات • وقيل
خصهم الله بالذكر على جهة التباهي لهم كما خص جبريل وميكائيل من بين الملائكة على جهة التباهي لهما
قوله عز وجل واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن
ضرارا لتعتدوا نزلت في ثابت بن يسار الانصاري طلق امراته حتى اذا انقضت عدتها الا يومين او
ثلثة وكادت تبين منه راجعها ثم طلقها ففعل بها مثل ذلك حتى مضت لها سبعة اشهر مضارا لها
بذلك وكان الرجل اذا اراد ان يضار امراته طلقها ثم تركها حتى تحيض الحيضة الثالثة ثم راجعها
ثم طلقها فتطول عليها العدة فهذا هو الضرار فانزل الله هذه الاية • ومعنى الاية واذا طلقتم النسا
تطليقة او تطليقتين فبلغن اجلهن اي قاربن وقت انقضا العدة فامسكوهن بمعروف اي احبسوهن
بالرجعة على حسن الصحبة لا على تطويل العدة او سرحوهن بمعروف اي اتركوهن بمعروف حتى تنقضي
تمام اجلهن ولا تمسكوهن ضرارا اي لا تحبسوهن في العدة اضرارا لتعتدوا عليهن اي تظلموهن
قوله تعالى ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه اي من يفعل ذلك لاعتدا فقد عرض نفسه لعذاب
الله باتيان ما نهى الله عنه • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من ضار مسلما
او ماكره قوله تعالى ولا تتخذوا آيات الله هزوا اي لا تتركوا ما حد الله لكم من امر الطلاق و
غيره فتكونوا مقصرين لاعبين • وعن ابي الدردا رضي الله عنه قال كان الرجل يطلق امراته او
يعتق عبده ثم يقول انما كنت لاعبا فيرجع في العتق والنكاح فانزل الله هذه الاية فقال صلى الله
عليه وسلم من طلق لاعبا او اعتق لاعبا فقد جاز عليه اي نفذ عليه • وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والعتاق والنكاح • وفي
بعض الروايات الطلاق والنكاح والرجعة • وروي في الخبر خمس جدهن جد وهزلهن جد

الطلاق والعتاق والرجعة والنكاح والنذر • وعن ابي موسى الاشعري قال غضب رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الاشعريين فاتيته فقلت يا رسول الله غضبت على الاشعريين قال يقول احدكم
لامراته قد طلقتك ثم يقول قد راجعتك ليس هذا طلاق المسلمين طلقوا المراة في قبل طهرها • وقال
الكلبي معنى لا تتخذوا ايات الله هزوا اى امسكوا بمعروف وسرحوا باحسان قوله عز وجل واذكروا
نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به اى احفظوا منة الله عليكم في امر الدين •
وقيل اذكروا نعمة الله عليكم بالايمان وما انزل عليكم من الكتاب يعني القران والحكمة يعني مواعظ القران
والحدود والاحكام • وقيل الحكمة هي فقه الحلال والحرام وقوله يعظكم به اى ينهاكم عن الاضرار وساير
المعاصي قوله تعالى واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم اى اخشوه فيما امركم به ونهاكم عنه واعلموا
ان الله بكل شيء من اعمالكم من العدل والجور عليم اى عالم يجزيكم على الخير والشر ومن الناس من يحتج بقوله
فامساك بمعروف او تسريح باحسان في ايجاب الفرقة بين المعسر العاجز عن النفقة وبين امراته لان
الله خيرهم بين احد شيئين فاذا عجز عن احدهما تعين عليه الثاني قلنا هذا الاحتجاج بعيد من الاية
لان العاجز عن نفقة المراة ممسك بالمعروف اذ لم يكلف الانفاق في هذه الحالة قال الله تعالى ومن قدر
عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها • وغير جايز ان يقال للمعسر غير ممسك بالمعروف
اذ ترك الامساك بالمعروف ذم والعاجز غير مذموم قوله عز وجل واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف قال الحسن وقتادة نزلت هذه الاية في
معقل بن يسار كانت اخته جميل تحت ابي البداح طلقها تطليقة واحدة ثم تركها حتى انقضت عدتها
ثم ندم على طلاقه اياها فخطبها فرضيت المراة بذلك واحبت ان يراجعه وابى اخوها معقل وقال لها
اني اكرمته على اشراف قومي فطلقك ثم يريد ان يراجعه وجهي من وجهك حرام ابدا ان تزوجتيه فانزل
الله هذه الاية ينهى معقلا عما صنع • وروي ان ابا البداح لما طلقها وتركها حتى انقضت عدتها جا يخطبها
واراد مراجعتها وكانت المراة تحب مراجعته قال له اخوها افرشتك كريمتي واثرتك على قومي فطلقتها
ولم تراجعها حتى اذا انقضت عدتها جيت تخطبها والله لا انكحها ابدا فانزل الله هذه الاية ومعناها

واذا طلقتم النسا واحدة او اثنتين فبلغن اجلهن يعني انقضت عدتهن والمراد ببلوغ الاجل في هذه
الاية حقيقة البلوغ بانقضا العدة فلا تعضلوهن اى لا تمنعوهن ان ينكحن ازواجهن يعني الذين
كانوا ازواجا لهن من قبل وقوله تعالى اذا تراضوا بينهم بالمعروف اى اذا تراضوا بنكاح جديد
ومهر وشهود وما لا يكون مستنكرا في عقل ولا عادة ولا خلق قوله عز وجل ذلك يوعظ به من كان
منكم يومن بالله واليوم الاخر اى ذلك الذي ذكر من النهي عن العضل يوعظ به من كان منكم يومن
بالله ويومن بالبعث قوله تعالى ذلكم ازكى لكم واطهر اى ان لا تمنعوها خير لكم وافضل وادخل
في التزكية من المنع لهن واطهر من الذنب وابعد من الريبة لانه اذا كان في نفس كل واحد منهما
علاقة حب لم يومن ان يتجاوزا ذلك الى غير ما احل الله لهما وقوله تعالى والله يعلم وانتم
لا تعلمون اى والله يعلم حب كل واحد منهما لصاحبه وانتم لا تعلمون ذلك • وقيل معناه
والله يعلم ما لكم فيه الصلاح في العاجل والاجل ويعلم ما يزكيكم مما تردتكم وانتم لا تعلمون
ذلك • فلما نزلت هذه الاية دعا النبي صلى الله عليه وسلم معقلا فقرا الاية عليه وقال ان
كنت تومن بالله واليوم الاخر فلا تمنع اختك من ابي البداح فقال اني اومن بالله واليوم الاخر
واشهدك اني قد انكحته وكفر عن يمينه • والعضل في اللغة له معنيان احدهما المنع يقال عضل الرجل
المراة يعضلها ويعضلها اذا منعها عن الازواج ظلما واعضل الدا الاطبا اذا اعياهم عن معالجته
ويقال دا عضال ومسلة معضلة والاخر الضيق يقال عضل الفضا بالجيش اذا ضاق بهم
وعضلت المراة بولدها اذا عسر خروجه • وفي الاية دليل على جواز نكاح المراة على نفسها اذا
عقدت بغير ولي لان الله تعالى اضاف العقد اليها ونهى الولي عن عضلها اذا تراضا الزوجان
بالمعروف ويدل على ذلك قوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا وقوله فلا جناح عليكم فيما فعلن
في انفسهن بالمعروف قوله عز وجل والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد
ان يتم الرضاعة اى والمطلقات اللاتي لهن اولاد من ازواجهن المطلقين ولدنهم قبل الطلاق
او بعده وقوله يرضعن اولادهن لفظه لفظ الخبر ومعناه الامر كانه قال لترضع الوالدات

اولادهن كما قال تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن يدل على ذلك انه لو كان قوله يرضعن خبراً لما
وجد مخبره على خلاف ما اخبر الله به فلما كان من الوالدات من لا ترضع علم انه لم يرد به الخبر فكان هذا
محمولاً في حال قيام النكاح على الاوامر الواجبة من طريق الدين لا من جهة الحكم فانها اذا امتنعت من
الارضاع لم يكن للزوج ان يجبرها على ذلك من حيث الحكم وان رضعت لم يستحق نفقة الرضاع مع بقاء
الزوجية ولا يجتمع لها نفقتان وفي الاية اثبات حق الرضاع للام وبيان مدة الرضاع المستحق على الوالد
فان الوالد لو امتنع من الارضاع في الحولين اجبر عليه كما قال تعالى في اية المطلقات فان ارضعن لكم
فاتوهن اجورهن وقال وان تعاسرتم فسترضع له اخرى • فان قيل كيف قال الله تعالى حولين كاملين
والحولان لا يكونان الا كاملين • قيل لازالة الايهام فان الانسان قد يقول اقمت عند فلان سنتين اذا
كان قريباً من سنتين وسنة وشهراً اذا كان قريباً من شهر فبين الله تعالى انهما حولان كاملان اربعة و
عشرون شهراً من يوم يولد الى ان يفطم وقوله تعالى لمن اراد ان يتم الرضاعة اي لمن اراد من الاباء ان
يتم الرضاعة المفروضة عليه اي هذا منتهى الرضاعة وليس فيما دون ذلك وقت محدود وانما هو
على مقدار صلاح الصبي وما يعيش به • قرا ابو رجا الرضاعة بكسر الرا • قال الخليل وهما لغتان
مثل الوكالة والوكالة والدلالة والدلالة • وقرا مجاهد لمن اراد ان يتم الرضعة وهي فعلة كالمرة
الواحدة • وقرا عكرمة لمن اراد ان يتم الرضاعة على الفاعل • وقرا ابن عباس لمن اراد ان يكمل الرضاعة
قوله عز وجل وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها معناه وعلى الاب
نفقتهن وكسوتهن كما يعرف انه العدل يكون ذلك اجرة لهن على الرضاع اذا كان ارضاع الولد بعد
الفراق وقوله تعالى لا تكلف نفس الا وسعها اي لا يجبر الاب على النفقة والكسوة الا مقدار طاقته
والتكليف هو الالزام • قال الضحاك هذا في المطلقات دون المزوجات لان الله تعالى قابل هذه
النفقة بالارضاع ونفقة الزوجية لا يجب بالارضاع وانما يجب بسبب الزوجية قوله عز وجل
لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده قرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وسلام برفع الرا
مشددة على الخبر منسوقاً على قوله لا تكلف نفس واصله لا تضارر فادغمت الرا في الرا • وقراء

نافع

نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي لا تضار مشددة منصوبة على النهي واصله لا تضارر
فادغمت الرا في الرا وحركت الى اخف الحركات وهو النصب وتدل عليه قراة عمر لا تضارر على اظهار التضعيف
ومعنى الاية لا تضار والدة بولدها فينزع الولد منها الى غيرها بعد ان رضيت بارضاعه والفها
الطفل ولا مولود له بولده اي لا تلقيه هي الى ابيه بعد ان عرفها الولد لتضار الاب بذلك • وقيل
معناه لا تضار والدة بولدها فتكره على رضاعه اذا قبل من غيرها وكرهت هي رضاعة لان ذلك
ليس بواجب عليها ولا مولود له بولده • فيحمل على ان يعطي الام اذا لم يرضع الولد الا منها اكثر مما يجب لها
عليه • وهذان القولان على مذهب الفعل المجهول على معنى انه يفعل ذلك بهما والوالدة والمولود له
مفعولان واصل الكلمة تضارر بفتح الرا الاولى ويحتمل ان يكون الفعل لهما ويكون على مذهب من قد
سمي فاعله والمعنى لا تضارر والدة بولدها فتابى ان ترضع ولدها ليشق على ابيه ولا مولود له
بولده اي ولا يضار الاب ام الصبي فيمنعها من رضاعه وينزعه منها وهذا المذهب اصله لا تضارر
بكسر الرا الاولى • وجعل الزجاج قوله لا تضار بالنصب نهياً للوالدة عن الاضرار بالولد وقوله ولا
مولود له بولده نهياً للوالد عن الاضرار بولده • ومعنى ذلك لا تترك الوالدة ارضاع ولدها على ابيه
فتضر بالولد لان الوالدة اشفق بولدها من الاجنبية ولا ياخذ الاب الولد من امه قصداً الى الاضرار بها
فيضر بولده ولا يمنعها الاجرة فيضر بولده قوله عز وجل وعلى الوارث مثل ذلك يعني على وارث المولود
اذا لم يكن له اب مثل ما على الاب من النفقة والكسوة وترك الاضرار • وقال عمر والحسن انه على العصبات
دون اصحاب الفرايض • وقال قتادة انه على الوارث من العصبات واصحاب الفرايض جميعاً على كل واحد
منهم بمقدار نصيبه من الميراث الا انه لم يشترط ان يكون الوارث ذا رحم محرم من الولد وقد شرط اصحابنا
ذلك قوله عز وجل فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما اي ان اراد الابوان
فطام الولد من اللبن دون الحولين بتراضيهما وتشاورهما فلا اثم عليهما في ذلك • وعن ابن عباس فطام
الولد من اللبن دون حولين بتراضيهما وتشاورهما فلا اثم عليهما في ذلك • وعن ابن عباس معناه ان
ارادا فصالا قبل الحولين او بعدهما بتراضيهما فلا جناح عليهما فان لم يتشاورا رجعا الى الحولين

وانما سمي الفطام فصالا لانفصال المولود من الاعتداء بثدي امه الى غيره من الاقوات واصل الفصل
القطع والتفريق قوله عز وجل وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم
بالمعروف اي وان اردتم يعني الاباء والامهات ان يسترضعوا اولادكم غير الوالدة فلا اثم عليكم اذا سلمتم من
الاجرة ما تراضيتم به ولهذا قالوا ان الام اذا لم تختر ان ترضع الولد بعد الطلاق واختارت ان يكون
الولد عندها امر الزوج ان يستاجر ظئرا لترضعه في بيتها ام الرضيع قوله تعالى واتقوا الله واعلموا
ان الله بما تعملون بصير اي اتقوا الله في الضرار ومخالفة امر الله واعلموا ان الله بما تعملون من العدل والجور
في اولادكم ونسائكم بصير عالم يجزيكم به • واما تاويل ذكر الحولين في مدة الرضاع فاما اكثر مدته على قول
ابي حنيفة فعلى بيان مقدار استحقاق نفقة الرضاع وثبوت حكم الحرمة فثلثون شهرا على مذهبه •
وعن ابن عباس انه كان يقول في قوله وحمله وفصاله ثلثون شهرا بيان اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع
لان الله تعالى قال في اية اخرى وفصاله في عامين وكان يقول اذا كان الحمل لستة اشهر كان مدة الرضاع
سنتين • وان كان الحمل تسعة اشهر كان الرضاع سنة وتسعة اشهر وعلى هذا مهما زاد في الحمل شهرا نقص
بازايه من الرضاع وهذا يقتضي ان الحمل اذا بلغ سنتين ان المراة لا ترضع ولدها الا ستة اشهر • وكان
ابو حنيفة يحمل قوله وحمله وفصاله ثلثون شهرا على ذكر الحمل على الايدي مع بيان مدة اكثر الرضاع قوله
عز وجل والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا معناه ان الذين
يموتون منكم ويتركون نساء من بعدهم ينتظرون في عدتهن مضي اربعة اشهر وعشرا لا يتزوجن
ولا يتزين في هذه المدة وقوله تعالى فاذا بلغن اجلهن اي اذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم
فيما فعلن في انفسهن اي لا حرج عليكم في تركهن بعد انقضا المدة ليتزين زينة لا ينكر مثلها ويتزوجن
من الاكفا ويفعلن كل معروف قوله تعالى والله بما تعملون خبير اي بما تعملون من الخير والشر عالم يجزيكم
به • فان قيل الذين اسم موصول ويتوفون ويذرون من صلته وجملته مبتدا ويتربصن فعل الازواج
لا فعل الذين ولا فيه ضمير عايد الى الذين فيبقى المبتدا بلا خبر والمبتدا لا يخلوا من خبر اسما كان او
فعلا وليس من ذلك هاهنا شيء • قيل قال ابو العباس السراج في الاية ضمير تقديره ازواجهم يتربصن

لان الفعل تدل على الفاعل وقال الاخفش تقديره يتربصن من بعد اربعة اشهر حتى يكون الضمير عايدا الى
الذين • وذكر الزجاج ان النون في قوله يتربصن قايم مقام الازواج كناية عنها لا محالة فصار كالتصريح
وهذا كما يقال الذي يموت ويخلف بنتين يرثان الثلثين معناه يرث ابنتاه الثلثين قوله تعالى وعشرا
ظاهر لفظ العشر يتناول الليالي لا ترى انه يقال للايام عشرة ايام وانما غلب لفظ التانيث في الاية فقيل
عشرا لان العرب يقدم الليل على النهار ويعدون اول كل شهر من الليلة الا ترا هم يصلون التراويح اذا
راوا الهلال ويدعونها اذا راوا هلال شوال ومن عادتهم انهم اذا ذكروا احد العددين على سبيل
الجمع ارادوا مثله من العدد الاخر كما قال تعالى في قصة زكريا عليه السلام قال ايتك الا تكلم الناس
ثلثة ايام الا رمزا • وقال في موضع اخر ثلث ليال سويا والقصة واحدة فعبر تارة بالايام عن الليالي
وتارة بالليالي عن الايام • وقيل الحكمة في تقدير عدة الوفاة باربعة اشهر وعشر • ما روي عن عبد
الله بن مسعود انه قال يجمع خلق احدكم في بطن امه اربعين يوما نطفة واربعين يوما علقة ثم
اربعين يوما مضغة ثم ينفخ فيه الروح في عشرة ايام فيكتب اجله ورزقه وانه شقي او سعيد فيجوز
ان الله قدرهن في عدة الوفاة ليظهر انها حامل او حايل • واختلفوا في عدة الحامل • فقال عمر وابن
مسعود وعبد الله بن عمر وابو هريرة رضي الله عنهم ان الحامل تخرج من العدة اذا وضعت وان
كان زوجها على السرير حتى قال ابن مسعود من شا باهلته ان قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن
حملهن نزل بعد قوله اربعة اشهر وعشرا • وقال علي عدة الحامل المتوفى عنها زوجها يقتضي بابعد
الاجلين • وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله واولات الاحمال اجلهن ان يضعن
حملهن في المطلقة او المتوفى عنها زوجها قال صلى الله عليه وسلم فيهما جميعا كذا في تفسير عبد الصمد
وروي ان سبيعة بنت الحرث وضعت حملها بعد زوجها بايام فارادت ان تتزوج فمر بها ابو السنابل
فقال اتريدين ان تتزوجي قالت نعم قال كلا وانه اخر الاجلين فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت
له فقال صلى الله عليه وسلم كذب ابو السنابل اذا اتاك من يريد ذلك فاعلميني • وجميع اهل التفسير
على ان هذه الاية ناسخة لقوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى

الحول غير اخراج • وان كانت هذه الاية متقدمة على تلك الاية فى التلاوة • واجمع الفقها الا ابا بكر الاصم
ان اربعة اشهر وعشرا عدة الحرة دون الامة وان عدة الامة ينقضى بشهرين وخمسة ايام وكان ابو بكر الاصم
يقول ان عدتهما جميعا تنقضى باربعة اشهر وعشر فان ولد الامة انما ينفخ فيه الروح فى الوقت الذى ينفخ
فيه الروح فى ولد الحرة • والجواب عن هذا ان يقال ان خبر عبد الله بن مسعود رضى الله عنه من اخبار
الاحاد لا يوجب حقيقة العلم • ولما اجمعوا على ان الرق ينصف عدد الاقرا وعدة الشهور فى الايسة
والصغيرة كذلك وجب ان ينتصف عدة الوفاة قوله عز وجل ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة
النساء او اكننتم فى انفسكم الاية قال ابن عباس التعريض هو ان يقول الرجل للمعتدة انى اريد النكاح واحب
المراة من صفتها كذا وكذا فيصفها بالصفة التى هى عليها حتى تعلم رغبته فيها • وقيل هو ان يقول لها
انك لتعجبينى وارجو ان يجمع الله بينى وبينك وتقول يا ليت لى مثلك وان قضى الله امرا كان • و
معنى الاية ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النسا اللواتى هن فى عدة موات وطلاق
باين وثلاث قوله عز وجل او اكننتم فى انفسكم معناه او اضمرتم فى قلوبكم العزم على النكاح قوله
تعالى علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا اى علم الله انكم ستذكرونهن فى العدة لرغبتكم
فيهن وخوفكم لسبق غيركم اليهن ولكن لا تواعدوهن اى لا تواعدها اى الخاطب فى السر ولا تواثقها
اى لا يتزوج غيرها • وقيل لا تواعدها فى السر تصريحا • وقيل المراد بالسر الجماع لانه لا يكون الا فى السر
كانه يقول لا تبعث الخاطب نفسه لها ليرغبها فى نفسه قوله عز وجل الا ان تقولوا قولا معروفا
اى الا ان تعرضوا بالخطبة كناية من غير افصاح قوله عز وجل ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ
الكتاب اجله اى لا تعزموا على عقدة النكاح حذف على للتخفيف كما يقال ضرب فلان ظهره وبطنه اى
على ظهره وعلى بطنه ومعنى حتى يبلغ الكتاب اجله اى حتى يبلغ فرض المطلقات اجله اى حتى ينقضى العدة
فان العدة فرض القران قوله تعالى واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه اى يعلم ما فى قلوبكم من
الوفا وغير ذلك فاحذروه ان تخالفوه فيما امركم ونهاكم عنه قوله تعالى واعلموا ان الله غفور حليم
اى غفور لمخالفتكم ان تبتم حليم حين لم يعجل عليكم بالعقوبة والتعريض فى اللغة هو الايما و

التلويح والدلالة على الشىء من غير كشف ولا تبيين نحو ان يقول الرجل لغيره ما اقبح البخل يعرضه لذلك
والخطبة بكسر الخا هى الكلام الذى يستدعى به الى النكاح • والخطبة بالضم هو الكلام المؤلف اما
لموعظة او دعا الى شىء والكناية هى الدلالة على الشىء مع العدول عن الاسم الاخص الى لفظ اخر يدل
عليه نحو ان يكنى عن زيد فيقول لغيره ما ابخل صديقك وما ابخل الذى كنا عنده والاكنان هو الستر
يقول فى كل شىء سترته اكننته وفيما يصونه كننته قال الله تعالى كانهن بيض مكنون اى مصون قوله عز
جل لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره اى لا حرج عليكم ان طلقتم النسا ما لم تجامعوهن او تسموا لهن مهرا ومتعوهن
اى متعوا التى طلقتموهن قبل المسيس والفرض على الغنى بقدر اغناه وعلى الفقير بقدر طاقته قوله
تعالى متاعا بالمعروف حقا على المحسنين اى بما يعرفون انه القصد وقدر الامكان حقا على المحسنين
اى واجبا على المومنين انتصب متاعا على المصدر من قوله تعالى ومتعوهن ونصب حقا على الحال
من قوله بالمعروف حقا تقديره فحقا ويجوز ان يكون نصبا على معنى حق ذلك عليهم حقا •
وفى الاية دلالة جواز النكاح بغير تسمية المهر لان الله تعالى حكم بصحة الطلاق مع عدم التسمية
والطلاق لا يصح الا فى نكاح صحيح ومعنى او تفرضوا لهن فريضة اى ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة
وقد تكون او بمعنى الوا وكقوله ولا تطع منهم اثما او كفورا وكذلك قوله وان كنتم مرضى او على سفر
او جاء احد منكم من الغايط المعنى وجا احد منكم من الغايط واعلى المتعة خادم وثياب وورق
وادناها خمار ودرع وملحفة ولا يجاوز بالمتعة نصف مهر المثل بغير رضا الزوج • وقد
اختلف السلف فى ان هذه المتعة هل يجبر الزوج عليها ام لا • قال شريح ان القاضى يامر الزوج بها
من غير ان يجبره عليها • وكان شريح يقول للزوج ان كنت من المتقين او من المحسنين فمتعها • واما عندنا
فان القاضى يجبر الزوج على المتعة للمراة التى طلقها قبل المسيس والفرض لان الله تعالى قال حقا وليس
فى الفاظ الايجاب اكد من قولهم حقا عليه • وفى قوله على المحسنين بيان انها من شروط الاسلام وعلى
كل احد ان يكون محسنا كما قال تعالى هدى للمتقين وهو هدى للناس كلهم • وقيل انما خص المحسنين

بالذكر تشريفا لهم لانه لا يجب على غيرهم فوصف المومنين بالاحسان لان الاحسان اكثر اخلاقهم قوله تعالى
وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون معناه و
ان طلقتموهن من قبل ان تجامعوهن وقد سميتم لهن مهرا فعليكم نصف ما سميتم من المهر الا ان يتركن ما
وجب لهن من الصداق بان تقول احداهن ما مسني ولا قربني فادع له المهر قوله او يعفو الذي بيده عقدة
النكاح ذهب اكثر المفسرين الى ان الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج وعفوه ان يترك لها جميع الصداق
ولا يرجع عليها بشيء منه اذا كان قد اعطاها مهرها وان لم يكن اعطاها فعفوه ان يتفضل عليها بان
يتم لها جميع مهرها وقد يكون الصداق عبدا بعينه او عرضا بعينه لا يمكن تمليكه بالاسقاط والابرا
من واحد من الجانبين فيكون معنى العفو في ذلك الفضل وفي الاية ما يدل على ذلك وهو قوله ولا تنسوا
الفضل بينكم وانما ندب الزوج الى تتميم الصداق لانه اذا تزوجها ثم طلقها فقد فعل ما يشينها فكان
افضل ان يعطيها مهرها • وذهب بعضهم الى ان الذي بيده عقدة النكاح هو ولي المراة حتى قال مالك
لابي البكر ان يسقط نصف الصداق عن الزوج بعد الطلاق قبل الدخول والصحيح هو الاول لان قوله
عقدة النكاح يقتضي عقدة موجودة والزوج هو الذي يملك استدامة النكاح وحله وهو الذي
يملك العقد على نفسه من غير ولي يحتاج اليه وتكون عقدة النكاح على الحقيقة بيد الزوج • و
اما ولي المراة فلا يملك العقد عليها الا برضاها ولا يملك اسقاط شيء من حقوقها قوله عز وجل وان تعفوا
اقرب للتقوى ندب الله كل فريق من الزوج والمراة الى العفو كانه قال ايهما عفا عن صاحبه فقد اخذ
بالفضل وقوله تعالى اقرب للتقوى اي اقرب الى ان يتقي احدهما ظلم صاحبه فان من ترك حقه كان اقرب
الى ان لا يظلم غيره بطلب ما ليس له ومن يبذل النفل كان اقرب الى بذل الفرض قوله تعالى ولا تنسوا الفضل
بينكم اي لا تتركوا الاحسان والانسانية فيما بينكم ان الله بما تعملون بصير اي بما تعملون من الفضل والاحسان
بصير عالم يجزيكم به ونسيان الفضل هو الاستقصا في استيفا الحق على الكمال حتى لا تترك شيا من حقه
على صاحبه وظاهر هذه الاية يقتضي ان الزوج اذا كان سمى لها مهرا بعد عقد النكاح ثم طلقها
ان المسمى يتنصف واليه ذهب مالك والشافعي وهو قول ابي يوسف الاول ثم رجع الى قول ابي حنيفة

ومحمد

ومحمد فكان المراد بهذه الاية على قولهم ان يكون الفرض في نفس العقد لان التسمية بعد تمام عقد النكاح
تقدير لمهر المثل وبدل عنه فيسقط بالطلاق قبل الدخول فتجب المتعة وقد ذهب ابو حنيفة واصحابه
الى ان المراد بقوله تعالى من قبل ان تمسوهن نفس المسيس او ما يقوم مقامه فانه اذا خلا بها خلوة صحيحة
نحو ان لا يكون احدهما محرما ولا مريضا ولا صايما صوم فرض ولا يكون المراة حايضا ولا رتقا ثم
طلقها وجب لها المهر كله وان لم يدخل بها • كما روي عن زرارة بن ابي اوفى انه قال اجمع الخلفا الراشدون
المهديون ان من اغلق على امراته بابا وارخى سترا ثم طلقها وجب لها الصداق كاملا وعليها العدة •
وفرق عمر رضي الله عنه بين العنين وامراته واوجب عليه المهر وقال ما ذنبهن اذا جا العجز
من قبلكم قوله عز وجل حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى اي واظبوا وداوموا على الصلوات
المفروضة في مواقيتها وشروطها قوله تعالى والصلوة الوسطى • اختلفوا فيها فعن علي وابن عباس
وابي هريرة وعبد الله والحسن والنخعي وقتادة وابي ايوب والضحاك والكلبي ومقاتل انها صلوة
العصر • يدل عليه ما روى سمرة بن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصلوة
الوسطى هي العصر • وفي بعض الاخبار هي التي فرط فيها سليمان • وعن هشام بن عروة عن ابيه قال
كان في مصحف عايشه رضي الله عنها حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى صلوة العصر وقوموا
لله قانتين وهكذا كان يقراوها ابي بن كعب • وعن يونس رضي الله عنه مولى عايشه رضي الله عنها
قال امرتني عايشه رضي الله عنها ان اكتب لها مصحفا فقالت اذا بلغت حافظوا على الصلوات
فاذني فلما بلغت اعلمتها فاملت علي حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى صلوة العصر • وروى
نافع عن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت لكاتب مصحفها اذا بلغت حافظوا
على الصلوات فاخبرني حتى اخبرك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغ الى ذلك
اخبرها فقالت له اكتب فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حافظوا على الصلوات
والصلوة الوسطى صلوة العصر • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الخندق
شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله قلوبهم وبطونهم نارا • وقال علي رضي الله عنه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم وقبورهم
نارا ثم صلاها بين العشائين • وروى ان رجلا قال في مجلس عمر بن عبد العزيز بن مروان ارسلني ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما وانا غلام صغير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسئله عن الصلوة الوسطى
فاخذ باصبعي الصغيرة وقال هذه الفجر وقبض التي تليها وقال هذه الظهر ثم قبض الابهام وقال هذه المغرب
ثم قبض التي تليها وقال هذه العشا ثم قال اي اصابعك بقيت قلت الوسطى فقال واي الصلوات بقيت
قلت العصر قال هي العصر • قالوا وانما كانت العصر هي الوسطى لانها بين صلوتي ليل وصلوتي نهار وانما
خصها بالذكر لانها تقع في وقت اشتغال الناس بامور البيت فخصها بالذكر للحث عليها • روى ابو هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بكروا بالعصر يوم الغيم فانه من ترك صلوة العصر فقد حبط
عمله • وروى نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فاتته صلوة العصر فكانما وتر
اهله وماله • وقال قبيصة بن ذويب هي صلوة المغرب لانها اوسط صلوة وجبت على الناس وقيل
لانها وسط في عدد الركعات لانها بين الثنتين والاربع ولا تقصر في السفر وهي وتر النهار وانما خصها
بالذكر لانها اول صلوة الليل الذي يرغب الناس عن الصلوة فيه • روى هشام بن عروة عن ابيه عن
عايشه رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان افضل الصلوات عند الله صلوة
المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح الله بها صلوة الليل وختم بها صلوة النهار • فمن صلاها وصلى
بعدها ركعتين بنى الله له قصرا في الجنة ومن صلى اربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين سنة او قال اربعين
سنه • وحكى الشيخ الامام ابو الطيب السهل بن محمد بن سليمان انها صلوة العشا لانها بين صلوتين لا يقصران
روى ابو عمر بن عثمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشا في جماعة
كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة • وقال جابر بن عبد الله هي صلوة الفجر لانها
تقع بين الظلام والضيا • وقال زيد بن ثابت وابو سعيد الخدري واسامة وعايشه رضي الله عنهم
انها صلوة الظهر لانها تقع في وسط النهار وانما خصها بالذكر لانها اول صلوة فرضت على الناس • روى
زيد بن ثابت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر وكانت اثقل الصلوات على اصحابه

فلا يكون

فلا يكون وراءه الا الصف والصفان من الناس يكونون في قايلتهم وتجارتهم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقد هممت ان احرق على قوم لا يشهدون الصلوة بيوتهم فنزل قوله تعالى حافظوا على الصلوات
والصلوة الوسطى • وقال علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زالت
الشمس سبح كل شيء لربنا فامر الله بالصلوة في تلك الساعة وهي الساعة التي تفتح فيها ابواب السماء
فلا تغلق حتى يصلى الظهر ويستجاب فيها الدعا ولانها اول صلوة توجه فيها النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه الى الكعبة وهي التي ترفع جميع الصلوات والجماعات لاجلها يوم الجمعة • وقال
بعضهم هي احدى الصلوات الخمس ولا نعرفها بعينها • وسئل الربيع بن خثيم عن الصلوة الوسطى
فقال للسائل اذا انت علمتها اكنت محافظا عليها ومضيعا سايرهن قال لا قال فانك اذا حافظت عليهن
فقد حافظت عليها وبه يقول ابو بكر الوراق قال لو شا الله تعالى لعينها ولكنه سبحانه اراد تنبيه
الخلق على اداء جميع الصلوات فاخفاها الله في جملة الصلوات ليحافظوا على جميعها رجاء الوسطى
كما اخفى ليلة القدر في ليالي شهر رمضان واخفى اسمه الاعظم في جميع الاسما واخفى ساعة الاجابة
في ساعات الجمعة حكمة منه في فضله ورحمة لخلقه قوله تعالى وقوموا لله قانتين اي مطيعين
وبه قال الشعبي وعطا والحسن وابن جبير وقتادة وطاووس وعطية وهو رواية عكرمة عن ابن
عباس • وقال الضحاك ومقاتل والكلبي لكل اهل دين صلوة يقومون فيها عاصين وقوموا انتم في
صلوتكم مطيعين • ودليل هذا التاويل ما روى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال كل قنوت في القرآن فهو الطاعة • وقال عبد الله بن مسعود معناه وقوموا لله ساكتين كما روى
عن زيد بن ارقم قال كنا نتكلم في الصلوة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكلم احدنا من الى
جانبه ويدخل الرجل فيسلم ويردون عليه السلام ويسالهم كم صليتم فيردون عليه كم صلوا
ويجي خادم الرجل وهو في الصلوة فيكلمه بحاجته كفعل اهل الكتاب وكنا كذلك الى ان نزل قوله
تعالى وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام • قال مجاهد معناه وقوموا لله
خاشعين فنهوا عن العبث والالتفات في الصلوة • وقيل معناه مصلين القيام كما في قوله تعالى

سبيل

يا مريم اقنتي لربك • ويدل عليه ايضا حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم اي الصلوات افضل قال طول القنوت • وقيل معناه وقوموا لله مصلين دليله قوله تعالى امن هو قانت آناء الليل اي مصل • وقال صلى الله عليه وسلم مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصايم اي المصلي الصايم • وقال ابن عباس وقوموا لله داعين والقنوت هو الدعا في الصلوة قوله عز وجل فان خفتم فرجالا او ركبانا اي اذا خفتم من العدو ولم يمكنكم ان تقوموا قانتين موفين حق الصلوة فصلوا قياما على ارجلكم وحيث ما توجهتم بالايما اذا لم يمكنكم استقبال القبلة واقامة الركوع والسجود وركبانا على دوابكم اذا لم تستطيعوا النزول فصلوا ركبانا حيث ما توجهت بكم لا عذر لكم في ترك الصلوة حالة الخوف وانتصب رجالا على الحال • وكان الحسن يقول فرجالا اي قايمين ماشين • وذهب ابو حنيفه واصحابه الى انهم لا يصلون وهم يقاتلون او يمشون • لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فاته يوم الخندق ثلث صلوات فقضاهن على الترتيب فلولا ان الاستقبال بالقتال يفسدها لما ترك الايما بها حال القيام قوله عز وجل فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون اي اذا امنتم من الخوف فصلوا لله تعالى كما امركم قانتين مؤدين حقوق الصلوة وشرايطها قوله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون معناه ما لم تكونوا تعلمونه قبل التعليم قوله عز وجل والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج قال ابن عباس نزلت هذه الاية قبل نزول اية المواريث وقبل استقرار العدة وكانت المراة في ابتدا الاسلام اذا احتضر زوجها اوصى لها في ماله بنفقة سنه من طعامها وشرابها وكسوتها وسكناها وكان ذلك حظها من الميراث من مال زوجها فان كانت من اهل المدر سكنت بيت زوجها حتى تبني بيتا وان كانت من اهل الوبر سكنت بيت زوجها حتى تغزل بيتا فتحول اليه فان خرجت من بيت زوجها او تزوجت فلا نفقة لها ولا سكنى ثم نسخت الوصية باية المواريث وبقوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث ونسخ حكم الحول باعتبار اربعة اشهر وعشرا عدة الوفاة بقوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا • ومعنى الاية والذين يتوفون منكم ويذرون نساء اي ويتركون نساء من بعدهم فعليهم

وصية

وصية لازواجهم ويقال كتب عليهم وصية وكانت هذه الوصية واجبة من الله تعالى لنسايهم اوصى الميت او لم يوص كما قال الله تعالى في اية المواريث وصية من الله • قرا الحسن وابو عمرو وابن عامر والاصم والاعمش وحمزة وحفص وصية بالنصب على معنى فليوصوا وصية • وقرا الباقون بالرفع على معنى لازواجهم وصية او كتب عليهم وصية وقوله متاعا نصب على المصدر اي متعوهن متاعا • وقيل جعل الله ذلك لهم متاعا • وقيل نصب على الحال وقوله الى الحول اي متعوهن بالنفقة والسكنى والكسوة وما تحتاج اليه حولا كاملا وقوله تعالى غير اخراج اي لا تخرجوهن من بيوت ازواجهن وانما انتصب غير لانه صفة للمتاع • وقيل على الحال وقيل بنزع الخافض اي من غير اخراج وقيل على معنى اخراجا كما يقال اتيتك غير رغبة اليك قوله عز وجل فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف اي فان خرجن من قبل انفسهن قبل مضي الحول من غير اخراج الورثه فلا جناح عليكم يا اوليا الميت فيما فعلن في انفسهن من التشوف والتزين والتزوج بالمعروف اذا لم يكن المراة حبلى من الميت • وقيل معناه فان خرجن بعد انقضا عدتهن فلا جناح عليكم فيما فعلن • وفي معنى رفع الجناح عن الرجال بفعل النسا وجهان احدهما لا جناح عليكم في قطع النفقة اذا خرجن قبل تمام الحول • والثاني لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لان مقامها حولا في بيت زوجها غير واجب عليها خيرها الله تعالى في ذلك الى ان نسخت باربعة اشهر وعشر لان ذلك لو كان واجبا عليها لكان واجبا على اوليا الزوج منعها من ذلك وقوله تعالى غير اخراج يتضمن معنيين احدهما وجوب السكنى في مال الزوج وقد نسخ ذلك • والثاني حظر الخروج والاخراج وهو لزوم اللبث في البيت الى انقضا عدتها اربعة اشهر وعشرا وذلك باق لم ينسخ ولا يجوز لها ان تبيت بالليالي في غير منزلها ولا يجوز لها ان تتزين لان امراة جات الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها اتكحلها فرخص لها ثم قال صلى الله عليه وسلم كانت احداكن تجلس في احلاس بيتها حولا لا تخرج حتى اذا مر بها كلب خرجت ورمته بعرة فهو الان اربعة اشهر وعشرا • وعن زينب بنت ابي سلمة قالت دخلت على زينب بنت جحش حين توفي اخوها فدعت بطيب فمسته ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة

غير انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تحد
على ميت فوق ثلث ليال الا على زوجها اربعة اشهر وعشرا • وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان نسوة قد
احد شكون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحشة فامرهم ان يتزاورن بالنهار ولا يبيتن بالليل
الا فى منازلهن قوله تعالى والله عزيز حكيم اى قادر على النقمة ممن خالف امره وحكمه فيما حكم على الازواج
قوله عز وجل وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين قال سعيد بن جبير وابو العاليه والزهرى
المراد بالمتاع فى هذه الاية المتعة وهى واجبة لكل مطلقة • وذهب اصحاب ابى حنيفه الى ان المتعه
تجب للمطلقات كلهن من طريق الديانه بحكم هذه الاية ولكن لا يجبر الزوج على المتعة الا المطلقة لم
يدخل بها ولم يفرض لها مهرا للرواية المتقدمة • وقال بعضهم اراد بالمتاع فى هذه الاية نفقة عدة
الطلاق لان الله تعالى عطفه على قوله متاعا الى الحول والمراد هناك النفقة والسكنى قوله عز وجل
كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون اى مثل هذا البيان يبين الله لكم دلايله فى المستقبل كما بين
فى الماضى من امور دينكم ودنياكم لكى تفهموا ما امرتم به • ويقال لكى تكمل عقولكم فان العقل الغريزى
انما يكمل بالعقل المكتسب وحقيقة العاقل ان يعمل بما افترض عليه وحقيقة العمل استعمال الاشيا
المستقيمة قوله عز وجل الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا
ثم احياهم قال ابن عباس وذلك ان ملكا من ملوك بنى اسرائيل امر بالخروج الى قتال عدو لهم فخرجوا
للقتال ثم جبنوا وكرهوا القتال فقالوا لملكهم ان الارض التى تريدها فيها الوبا فلا نأتيها حتى ينقطع عنها
الوبا فقال لهم الله موتوا • واختلفوا فى مبلغ عددهم فقال مقاتل والكلبى كانوا ثمانية الاف • وقال
ابو روق عشرة الاف • وقال ابو مالك ثلثون الفا • وقال السدى بضعة وثلثون الفا • وقال ابن
جريج اربعون الفا • وقال عطا بن ابى رباح تسعون الفا • وقال الضحاك كانوا عددا كثيرا فقوله تعالى
الوف دليل على كثرتهم اذ لو كانوا كما قال مقاتل والكلبى لقال وهم الاف لان من عشرة الاف الى ما دونها يقال فيها
الاف ولا يقال فيها الوف لان الوف جمع الكثير والاف جمع القليل فمكثوا موتى ثمانية ايام حتى انتفخوا وبلغ بنى
اسرائيل موت اصحابهم فخرجوا اليهم ليدفنوهم فعجزوا عنهم من كثرتهم فحظروا عليهم الحظاير ثم احياهم الله

تعالى بعد ثمانية ايام فبقى فيهم من ريح النتن التى كانت فيهم بعد الموت حتى بقى فى اولادهم الى اليوم • و
قال السدى وقع الطاعون فى بنى اسرائيل فخرج قوم منهم من ديارهم هاربين حتى انتهوا الى مكان فماتوا
وتفرقت عظامهم وتقطعت اوصالهم فاتى عليهم مدة وقد بليت اجسادهم فمر بهم نبى يقال له حزقيل
ثالث خلفا بنى اسرائيل بعد موسى عليه السلام لانه كان بعد موسى يوشع بن نون ثم كالب بن يوفنا ثم
حزقيل وكان يقال له ابن العجوز وذلك ان امه كانت عجوزا فسالت الله تعالى الولد وقد كبرت وعقمت
فوهبه الله لها فلذلك سمى ابن العجوز • وقال الحسن ومقاتل هو ذو الكفل وانما سمى حزقيل ذا الكفل لانه
يكفل بسبعين نبيا وانجاهم من القتل فقال لهم اذهبوا فانى ان قتلت كان خيرا من ان تقتلوا جميعا فلما
جاء اليهود وسالوا حزقيل عن الانبيا السبعين فقال لهم ذهبوا ولم ادر اين هم وحفظ الله ذا الكفل من
اليهود • فلما مر حزقيل على اولئك الموتى وقف عليهم وجعل يتفكر فيهم متعجبا فقال الحمد لله القادر على ان
يحيى هذه الاجساد فاوحى الله اليه يا حزقيل اتريد ان اريك كيف احيى الموتى قال نعم فقال له نادهم
فنادى ايتها العظام البالية ان الله يامركن ان يجتمعن فاجتمعن حتى صرن اجسادا من عظام ثم قال الا
ايتها الاجساد البالية ان الله يامركن ان تكتسين لحما فجعل اللحم تجرى عليهن حتى صرن اجسادا من لحوم
ثم قال الا ايتها الاجساد البالية الخاوية ان الله يامركن ان تقمن باذن الله فقاموا فرجعوا الى بلادهم
واقاموا وتوالدوا وكان احدهم اذا اكتسى ثوبا صار عليه كفنا يكون فيه ريح الموت • وقال
وهب اصابهم بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما اصابهم فقالوا يا ليتنا قد متنا فاسترحنا مما نحن فيه
فاوحى الله تعالى الى حزقيل ان قومك قد صاحوا من البلاء وزعموا انهم لو ماتوا استراحوا
واى راحة فى الموت فانطلق الى جبانة كذا فان فيها امواتا فاتاهم فقال الله تعالى يا حزقيل نادهم وكانت اجسادهم
وعظامهم قد تفرقت فرقتها الطير والسباع فنادى حزقيل بالندا الذى ذكرناه • ومعنى الاية الم
تعلم الذين • وقيل معناه الم تنته علمك الى خبر هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم والمراد بالروية روية
القلب لا روية العين وقوله تعالى حذر الموت اى خرجوا هاربين حذر الموت وانتصب على انه
مفعول له وظاهر هذا يقتضى ان خروجهم كان على جهة الفرار من الوبا على ما فسره السدى • وقيل

[illegible]

في معنى الموت اي موتلفو القلوب لم يخرجوا عن تباغض ومعنى فقال لهم الله موتوا اي اماتهم الله ثم
سمعوه وسمعته الملائكة قوله عز وجل ان الله لذو فضل على الناس اي متفضل على جميع الناس
كما يتفضل على هؤلاء بان احياهم بعد الموت واراهم النصرة التي لا غاية بعدها ولكن اكثر الناس
لا يشكرون رب النعم وفي الاية دلالة على ان الموت لا ينفع الهرب منه كما قال تعالى اينما تكونوا يدرككم
الموت ولو كنتم في بروج مشيدة • وقال تعالى قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل • واذا كانت
الاجال موقتة محصورة لا يقع فيها تقديم ولا تاخير كما قدر الله تعالى لم ينفع الفرار من الطاعون وغير ذلك
وقد روي ان عمر رضي الله عنه اراد ان يدخل الشام وبها طاعون فاستشار اصحابه في ذلك فاشار اليه
بعض المهاجرين بالرجوع فعزم على الرجوع فقال له ابو عبيدة يا امير المؤمنين اتفر من قدر الله تعالى
فقال عمر رضي الله عنه لو كان غيرك يقولها يا ابا عبيدة نفر من قدر الله الى قدر الله ارايت لو كان لك
ابل فهبطت بها واديا له عدوتان احدهما خصبة والاخرى جدبة اليس ان رعيت الخصبة رعيتها بقدر
الله وان رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله فجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال عندي في هذا علم
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا وقع هذا الزجر في ارض فلا تدخلوا عليه واذا وقع
وانتم بها فلا تخرجوا منها فحمد الله تعالى عمر رضي الله عنه ورجع • فان قيل اذا كانت الاجال معقدة
لا تتقدم ولا تتاخر فما وجه النهي منه صلى الله عليه وسلم عن دخول ارض بها الطاعون واي فرق
بين دخولها والبقاء فيها • قيل وجه النهي عن الدخول انه اذا دخلها وبها طاعون فجاء ان يدركه اجله
بها فيقول قايل لو لم يدخلها ما مات كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم
اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم •
فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل ارضا فيها طاعون لما يخشى ان يموت فيها احد
باجله فتقول الجهال لو لم يدخلها لم يمت قوله عز وجل وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم
قال اكثر المفسرين هذا خطاب لهذه الامة معناه قاتلوا في طاعة الله تعالى ولا تهربوا من الموت كما هرب هؤلاء
الذين سمعتم خبرهم فلا ينفعكم الهرب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المنافق بتثبيط الهرب من القتال عليم بما يضمره

وقال بعضهم

وقال بعضهم هذه الاية خطاب للذين جبنوا وهي متصلة بقوله فقال لهم الله موتوا ثم احياهم اي
احياهم وقال لهم قاتلوا في سبيل الله قوله عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه
له اضعافا كثيرة قال سفيان لما انزل الله قوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قال صلى الله
عليه وسلم رب زد امتي فنزل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فقال رب زد امتي فنزل انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب • وفي الاية استدعا الى انفاق والبر في سبيل الله بالطف الكلام وابلغه
وسماه الله قرضا تاكيدا لاستحقاق الجزاء لانه لا يكون قرضا الا والعوض مستحق فيه ومعنى الاية من
ذا الذي يتصدق بصدقة طيبة من نفس طيبة لا يمن بها على السايل ولا يوذيه • قال الحسن هو النفقة
في ابواب البر من النفل • وقال ابن زيد هو الانفاق في الجهاد في سبيل الله • وقال الواقدي قرضا حسنا
اي طيبة بها نفسه • وقال ابن المبارك قرضا حسنا يكون المال من الحلال • وقال سهل بن عبد الله
هو ان لا يعتقد بقرضه عوضا وقوله تعالى فيضاعفه له اضعافا كثيرة • وقرا عاصم وابو حاتم
فيضاعفه بالنصب • وقرا ابن عامر ويعقوب بالتشديد والنصب بغير الف • وقرا ابن كثير وشيبة
بالتشديد والرفع • وقرا الاخرون بالالف والتخفيف ورفع الفا فمن رفعه عطفه على يقرض ومن
نصب جعله جواب الاستفهام بالفا والتشديد والتخفيف لغتان ودليل التشديد قوله تعالى
اضعافا كثيرة لان التشديد للتكثير • قال الحسن والسدي هذا التضعيف لا يعلمه الا الله • قال ابو زيد
معنى قوله تعالى فيضاعفه له اضعافا كثيرة اي يعطيه سبعمايه امثاله كما قال تعالى في اية اخرى مثل
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة • وعن ابي
عثمان النهدي قال دخل ابو هريرة رضي الله عنه اصبعيه في اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعت من رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ليضاعف الله تعالى للمؤمن حسنته الى الفي الف حسنة قوله عز وجل
والله يقبض ويبسط اي يقتر ويوسع على من يشاء من خلقه • ومنه قوله تعالى ويقبضون ايديهم
اي يمسكونها عن النفقة في سبيل الله وقوله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض • وقيل
معناه والله يسلب النعمة من قوم ويبسطها على قوم • وقيل معناه يقبض الصدقات ويبسط عليها

الجزاء عاجلة وآجلة • وقيل القبض والبسط الاحيا والاماته فمن اماته الله فقد قبضه ومن مد له في عمره
فقد بسط له قوله عز وجل وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ اى ترجعون في الاخرة فيجزيكم بما قدمتم وقد جهلت اليهود
في معنى هذه الاية او تجاهلت حتى قالت ان الله يستقرض منا فهو فقير الينا ونحن اغنيا كما قال تعالى لقد سمع
الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا وعرف المسلمون معنى الاية ووثقوا بثواب الله ووعده • قال
ابن عباس لما نزلت هذه الاية جا ابو الدحداحه رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ارى ربنا يستقرض مما اعطانا لانفسنا وان لي حديقتين فان تصدقت باحداهما فلي مثلها
في الجنة قال نعم قال وام الدحداحة معي قال نعم قال والصبية معي قال نعم فتصدق بافضل حديقتيه وهي
تسمى الحنينه • فلما رجع الى اهله وجد ام الدحداحة والصبيه في الحديقة التي تصدق بها فقام على
بابها وتحرج ان يدخلها ثم نادى يا ام الدحداحة يا ام الدحداحة قالت لبيك قال قد جعلت
حديقتي هذه صدقه واشترطت مثلها في الجنة وام الدحداحة معي والصبيه معي قالت بارك الله لك
فيما اشتريت ثم خرجوا منها ودفعوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى قد قبل منك فاعطه اليتيمين اللذين في حجرك • وقال صلى الله عليه وسلم كم من نخلة
مدلى عروقها في الجنة لابي الدحداحة • وعن ابي زيد بن اسلم قال لما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا الاية • قال ابو الدحداح فداك ابي وامي يا رسول الله ان الله يستقرضنا وهو غني عن القرض
قال نعم يريد ان يدخلكم الجنة قال فاني ان اقرضت ربي تضمن لي به الجنة قال نعم من تصدق بصدقة
فله مثلها في الجنة قال وزوجتي ام الدحداح معي قال نعم قال وبنتي الدحداحة قال نعم قال والصبية
معي قال نعم قال ناولني يدك فناوله النبي صلى الله عليه وسلم يده المباركة فقال يا رسول الله
ان لي حديقتين احداهما بالسافله والاخرى بالعاليه والله ما املك غيرهما قد جعلتهما قرضا لله
عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجعل احداهما قرضا لله عز وجل والاخرى معيشة لك
ولعيالك قال اشهد يا رسول الله اني قد جعلت احسنهما لله عز وجل وهو حايط فيه ستمايه نخلة
قال اذا يجزيك به الله الجنة قال فانطلق ابو الدحداح حتى اتى ام الدحداح وهي مع اولادها

في الحديقه تدور تحت النخل فانشا يقول • هداك ربي سبل الرشاد • الى سبيل الخير والسداد •
بيني من الحايط بالوادي • فقد مضى قرضا الى التناد • اقرضته الله على اعتماد • بالطوع لا من ولا انكاد •
الا رجا الضعف في المعاد • فارتحلي بالنفس والاولاد • والبر لا شك فخير زاد • قدمه المرء الى المعاد •
قالت ام الدحداح ربح بيعك بارك الله لك فيما اشتريت فاجابته ام الدحداح وهي تقول •
بشرك الله بخير وفرح • مثلك ادى ما لديه ونصح • ان لك الحظ اذا الحظ وضح • قد متع الله عيالي ومنح •
بالعجوة السودا والزهو البلح • والعبد يسعى وله ما قد كدح • طول الليالي وعليه ما اجترح • ثم
اقبلت ام الدحداح على اولادها تخرج ما في افواههم وتنفض ما في اكمامهم وتطرح ما في ثيابهم حتى
افضت الى الحايط الاخر • فقال صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح ودار فياح في الجنة لابي
الدحداح • وقال اهل المعاني في الاية اختصار واضمار تقديره من ذا الذي يقرض عباد الله قرضا حسنا
وجا في الحديث ان الله تعالى يقول لعبده يوم القيمة استطعمتك فلم تطعمني واستسقيتك فلم
تسقني واستكسيتك فلم تكسني فيقول العبد وكيف ذلك يا سيدي فيقول مر بك عبدي فلان الجايع
وفلان العاري فلم تعد عليهم من فضلك فلامنعنك اليوم فضلي كما منعتهم من فضلك • قال يحيى بن
معاذ عجبت لمن يبقى له مال ورب العرش يستقرضه • وعن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رايت على باب الجنة مكتوبا القرض بثمانية عشر والصدقة بعشر فقلت يا جبريل ما بال القرض اكثر
اجرا قال لان صاحب القرض لا ياتيك الا محتاجا وربما وقعت الصدقة في غير اهلها • وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقرض اخاه المسلم فله بكل درهم وزن ثبير
وطور سينا حسنات وهما جبلان قوله عز وجل الم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا
لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اى الم تعلم يا محمد بالملا من بني اسرائيل والملا من القوم
اشرافهم ووجوههم يجتمعون للمشاورة وجمعه الاملا واشتقاقه من ملات الشي لا واحد له من لفظه
كالابل والخيل والجيش والقوم والرهط قوله تعالى من بعد موسى اى من بعد وفاة موسى وقوله اذ قالوا
لنبي لهم • اختلفوا فيه من هو قال قتادة هو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب عليه السلام

وقال السدى هو شمعون وقد كان بعد يوشع وانما سمى شمعون لان امه دعت الله عز وجل ان يرزقها
غلاما فاستجاب الله دعاها فولدت غلاما فسمته شمعون وقالت قد سمع الله دعاى فلذلك
سمته شمعون والشين فى لغة العبرانية سين فهو بالعبرانية سمعون وبالعربية شمعون • وقال الكلبى
ومقاتل وساير المفسرين هو اشمويل بن هلقانا وبالعربية يسمى اسمعيل بن بالى وهو من نسل هارون
عليه السلام • قال الكلبى وكان سبب مسئلتهم اياه انه لما مات موسى عليه السلام خلف بعده فى بنى
اسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم التورية وامر الله تعالى كالبا يقيم فيهم التورية حتى قبضه الله ثم
خلف فيهم حزقيل كذلك حتى قبضه الله وعظمت فى بنى اسرائيل الاحداث فنسيوا عهد الله تعالى حتى
عبدوا الاوثان فبعث الله اليهم الياس عليه السلام نبيا فجعل يدعوهم الى الله • ثم خلف بعد الياس
عليهم اليسع وكان فيهم ما شاء الله ثم قبضه الله • فعظمت فيهم الاحداث وكثرت فيهم الخطايا وظهر لهم
عدو يقال له البلثاثا وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة
فظهروا على بنى اسرائيل وغلبوهم على كثير من اراضيهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وضربوا عليهم الجزية ولقوا
منهم بلاء شديدا ولم يكن لهم نبى يدبر امرهم فكانوا يسالون الله تعالى ان يبعث لهم نبيا يقاتلون معه
وكان سبط النبوة قد هلكوا ولم يبق منهم الا امراة حبلى فاخذوها وحبسوها فى بيت خشية ان تلد
انثى فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بنى اسرائيل فى ولدها فجعلت المراة تدعو الله ان يرزقها غلاما
فولدت غلاما فسمته اشمويل اى اسمعيل وكبر الغلام فتعلم التورية فى بيت المقدس وكفله شيخ منهم
فلما بلغ ان يبعثه الله نبيا اتاه جبريل والغلام نايم الى جنب الشيخ فدعاه يا اشمويل اذهب الى قومك
فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم فلما اتاهم كذبوه وقالوا ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا
نقاتل فى سبيل الله وانما سالوا الملك لانهم علموا ان كلمتهم لا تتفق وامورهم لا تنتظم ولا يحصل منهم الاجتماع
على القتال الا بملك يحملهم على ذلك ويجمع شملهم فكان الملك هو الذى يجمع امرهم والنبى يشير عليه ويرشده
ويأتيه من ربه بالخبر • فلما قالوا لاشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال لهم لعلكم اذا بعث الله ملكا وفرض
عليكم القتال ان تجبنوا عن القتال فلا تقاتلوا وانما قال ذلك متعرفا ما عندهم من الحد وذلك قوله تعالى

ملكا صح

قال هل

قل هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد
اخرجنا من ديارنا وابنائنا معناه قال لهم نبيهم عسى ربكم ان فرض عليكم القتال مع ذلك الملك
ان لا تفوا بما تقولون ولا تقاتلون معه قالوا وما لنا ان لا نقاتل فى سبيل الله اى وما لنا فى ان لا نقاتل
فى سبيل الله فى ترك القتال • وقيل معناه وليس لنا ان نمتنع عن قتال عدونا فى طلب مرضات الله
وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اى وقد اجلونا من منازلنا وسبوا ذرارينا ومعنى الاخراج من الابنا
انه لما كان الاخراج يودى الى مفارقة الابنا قالوا اخرجنا من ديارنا وابنائنا ويجوز ان يكون
على وجه الاتباع كما يقال متقلد سيفا ورمحا • فان قيل ما وجه دخول ان فى قوله ان لا نقاتل
والعرب لا تقول ما لك ان لا تفعل كذا وانما يقولون ما لك لا تفعل • قيل دخول ان وحذفها لغتان
فصيحتان فدليل اثباتها قوله تعالى ما لك ان لا تسجد وما لك ان لا تكون مع الساجدين • ودليل
حذفها قوله تعالى وما لكم لا تؤمنون بالله • واختلفوا فى قراءة قوله تعالى ابعث لنا ملكا نقاتل
قرا بعضهم نقاتل بالرفع على معنى فانا نقاتل واكثرهم على نقاتل بالجزم على جواب الامر • وقرا ابو عبد
الرحمن السلمى يقاتل بالياء والجزم جعل الفعل للملك وكذلك قوله تعالى وقد اخرجنا من ديارنا
قرا عمرو وقد اخرجنا بفتح الهمزة والجيم يعنى العدو وقوله عز وجل فلما كتب عليهم القتال تولوا
الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين فيه حذف معناه فبعث الله لهم ملكا وكتب عليهم القتال
اى لما فرض الله عليهم اعرضوا عنه وضيعوا امر الله عز وجل الا قليلا منهم وهم ثلثمايه وثلثة
عشر رجلا وهم الذين عبروا النهر وسنذكرهم ان شا الله فى موضعهم قوله تعالى والله عليم
بالظالمين اى عالم بالذين ظلموا انفسهم بالمعصية وبعقوبتهم وفى هذا تهديد لمن ولى عن القتال
واختلفوا فى قراءة عسيتم فقرا نافع وطلحة والحسن عسيتم بكسر السين فى كل القران وهى لغة • و
قرا الباقون بالفتح وهى اللغة الفصيحة قوله عز وجل وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت
ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال وكان السبب فيه على
ما ذكر المفسرون ان اشمويل عليه السلام سال الله تعالى ان يبعث لهم ملكا فاتى بعصا وقرن فيه دهن

فلما كتب عليهم القتال صح

وقالوا له ان صاحبكم الذى يكون ملكا طوله طول هذه العصا وقيل له انظر الى القرن الذى فيه الدهن
فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذى فى القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن به راسه وملكه على بنى
اسرائيل فقاسوا انفسهم بالعصا فلم يكن احد منهم مثلها • قال وهب كان طالوت رجلا دباغا • وقال
عكرمة والسدى كان سيقى على حمار له من النيل فضل حماره فخرج فى طلبه • وقال بعضهم ضلت حمولا
لابيه فارسله ابوه مع غلام له يطلبانها فمرا ببيت اشمويل فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبى
فسالناه عن الحمولات ليرشدنا ويدعو لنا بخير فقال طالوت نفعل ذلك فدخلا عليه فبينما هما عنده اذ نش
الدهن الذى فى القرن فقام اشمويل وقاس طالوت بالعصا فكان على طوله فقال لطالوت قرب راسك فقربه فدهنه
بذلك الدهن ثم قال له انت ملك بنى اسرائيل الذى امرنى الله ان املكك عليهم فقال لطالوت اوما علمت ان
سبطى ادنى اسباط بنى اسرائيل قال بلى قال فباى آية اكون اهلا لذلك قال بآية انك ترجع الى ابيك وقد وجد
ابوك حمولاته فرجع فكان كذلك ثم قال اشمويل لبنى اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فقالوا انى يكون
له الملك علينا ونحن احق بالملك منه وانما قالوا ذلك لانه كان فى بنى اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط
مملكة وكان سبط النبوة لاوى بن يعقوب ومنه موسى وهارون وسبط المملكة سبط يهودا بن يعقوب
ومنه كان داود وسليمان ولم يك طالوت من هؤلاء ولا من هؤلاء وانما هو من سبط بنيامين بن يعقوب
فمن اين يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ومع ذلك هو فقير لم يؤت سعة من المال ينفقه علينا
كما يفعله الملوك • قال اشمويل ان الله اصطفاه عليكم اى اختاره عليكم للملك وزاده بسطة فى العلم
والجسم اى فضله عليكم فى العلم وذلك انه كان اعلمهم فى وقته ونفعه الله تعالى بعلمه • وقيل كان عالما
بامر الحرب وكان طويلا جسيما وكان يفوق الناس بمنكبيه وعنقه وراسه وانما سمى طالوت لطوله
وقوته فاعلمهم الله تعالى ان العلم هو الذى يجب ان يقع به الاجتباء وان الزيادة فى الجسم مما يهيب به
العدو • قوله تعالى والله يؤتى ملكه من يشاء اى يعطى ملكه من يشاء وهو جل وعز لا يشاء الا الحكمة و
العدل فلا تنكروا ملك طالوت مع كونه من غير اهل الملك وان الملك ليس بالوراثة وانما هو بيد الله
يؤتيه من يشاء قوله تعالى والله واسع عليم اى يوسع على من يشاء ويعلم من ينبغى ان يكون الملك والسعة

وانما قال

وانما قال واسع بمعنى موسع كما يقال اليم بمعنى مولم • وقيل معناه واسع الفضل الا انه حذف الفضل
كما يقال فلان كبير اى كبير القدر • واما طالوت وجالوت وداود فاجتمع فيهم العجمة والتعريف فلذلك
لم ينصرف فلو سميت رجلا باسم جاموس لانصرف وان كان اعجميا لانه قد يمكن فى العربية لانك تدخل
عليها الالف واللام فتقول الجاموس قوله عز وجل وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه
سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة قال ابن عباس هذا جواب عن قولهم
لنبيهم والله ما نصدقك ان الله بعثه علينا ولكنك انت بعثته علينا ملكا مضارة لنا حين سالناك
ملكا والا فائتنا بآية ان الله قد بعثه علينا • فقال لهم ان آية ملكه اى الدلالة على كون طالوت ملكا ان
يأتيكم التابوت الذى اخذ منكم عدوكم وكان ذلك التابوت من عود الشمشار الذى يتخذ منه الامشاط
مقوها بالذهب عليه صفائح الذهب وكانت السكينة فى التابوت وهى شبه دابة راسها كراس الهرة
ولها ذنب كذنبها لها راسان ووجه كوجه الانسان ولها جناحان من زبرجد وياقوت وكان فيها
روح تكلمهم بالبيان فما اختلفوا فيه وكان لعينيها شعاع اذا نظرت الى انسان دعر • قال ابن عباس
كانت بنو اسرائيل اذا حضر القتال قدموا التابوت بين ايديهم الى العدو فاذا انت السكينة فى التابوت
وسمع التابوت انينها قرب نحو العدو وهم يمضون معه اين ما مضى فاذا استقر ثبتوا خلفه وكانت
السكينة اذا صرخت فى التابوت بصراخ هر ايقنوا بالنصر وجاءهم الفتح • فلما عصت بنو اسرائيل الانبياء
صلوات الله عليهم سلط الله عليهم عدوهم فقاتلهم وغلبهم على التابوت ومضوا به الى قرية من قرى فلسطين
وجعلوه فى بيت صنم لهم وجعلوا التابوت تحت الصنم فاصبحوا من الغد والصنم تحته واصنامهم كلها
مكسرة فاخرجوا التابوت من بيت الصنم ووضعوه فى ناحية من مدينتهم فاخذ اهل تلك الناحية
وجع فى اعناقهم حتى هلك اكثرهم • فقال بعضهم لبعض اليس قد علمتم ان آله بنى اسرائيل لا يقوم له شئ
فاخرجوا التابوت الى قرية اخرى فبعث الله على اهل تلك القرية بلاء حتى كان الرجل منهم يبيت سالما
ويصبح ميتا قد اكل ما فى جوفه فاخرجوه منها الى الصحراء ودفنوه فى مخراة لهم فكان كل من تغوط منهم
هنالك اخذه الباسور والقولنج فتحيروا فقال لهم امراة من بنى اسرائيل كانت عندهم قد سبوها اعلموا

انكم لاتزالون ترون ما تكرهون ما دام التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فاتوا بعجلة باشارة تلك المراة
فحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين ثم ضربوا جنوبهما فاقبل الثوران يسيران ووكل الله اربعة
من الملئكة يسوقون الثورين فلم يمر التابوت بشىء من الارض الا كان مقدسا فاقبلا حتى وقفا على ارض
بنى اسرائيل فوضعوا التابوت فى ارض بنى اسرائيل • فلما راى بنوا اسرائيل التابوت كبروا وحمدوا الله و
اطاعوا طالوت واقروا بملكه فذلك قوله تحمله الملئكة اى تسوقه • وقال ابن عباس جاءت الملئكة بالتابوت
تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته الملئكة عند طالوت • وقرا ابن مسعود ومجاهد
والاعمش يحمله بالياء • وعن على رضى الله عنه ان السكينة كانت ريحا هفافة لها وجه كوجه الانسان
وقوله تعالى وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون يعنى انه كان فى التابوت ايضا رضاض الالواح
لموسى وعصاه من آس وعمامة هارون وقفيز من المن وهو الترنجبين الذى كان لبنى اسرائيل فى طشت
من ذهب • وقوله تعالى تحمله الملئكة اى تسوقه الملئكة • وقال بعضهم ارسل الله ريحا انتزعت التابوت
من ايدى الكفار ثم حملته الملائكة فالقته بين يدى طالوت قوله تعالى ان فى ذلك لاية لكم اى ان فى
رجوع التابوت اليكم لعلامة ان الله ملك عليكم طالوت ان كنتم مؤمنين اى مصدقين بذلك قوله
عز وجل فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر الاية اى فلما خرج طالوت من البلد بالجنود
يعنى خرج بهم من بيت المقدس وهم سبعون الف مقاتل • وقيل ثمانون الفا ولم يتخلف عنه الا كبير لهرمه
او مريض لسقمه او ضرير لضرره او معذور لعذره وذلك انهم لما راوا التابوت قالوا قد اتانا التابوت
وهو النصر لاشك فيه فسارعوا الى الجهاد فخرج معه خلق كثير فقال لا حاجة لى فى كل ما ارى
ولا ابتغى الا كل شاب نشيط فارغ ولا يخرج معى صاحب تجارة ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج
امراة لم يبن بها لانهم يكونون مشغولين فاجتمع اليه ثمانون الفا من شرطه فخرج بهم فى حر شديد
فاصابهم العطش فسالوا الماء فقال لهم طالوت ان الله مبتليكم بنهر اى مختبركم بنهر جار وهو نهر الاردن
وفلسطين ليرى طاعتكم وهو اعلم فمن شرب منه فليس منى اى فليس من اهل دينى وطاعتى وليس معى على
عدوى ومن لم يطعمه اى فمن لم يشربه فانه منى ومعى على عدوى وقد يطلق لفظ الطعم على الشرب قال الله

تعالى ليس على

تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا قوله تعالى الا من اغترف غرفة بيده فشربوا
منه قرا ابن عباس وابو الجوزا وابن كثير وشيبة ونافع وابو عمرو وايوب غرفة بفتح الغين • وقراء
الباقون بضمها وهى قراءة عثمان وهما لغتان • قال الكسائى الغرفة بالضم الذى يحصل فى الكف من الماء اذا
غرف والغرفة بالفتح الاغتراف • فالضم اسم والفتح مصدر • قال ابو حاتم الغرفة بالضم ملء الكف
وملء المغرفة وبالفتح الواحدة من القليل والكثير • قال الكلبى ومقاتل كانت الغرفة يشرب منها الرجل
وخادمه ودابته قيل ابتلاهم الله بذلك النهر ليميز الصادق من الكاذب • وكان اشمويل هو الذى
اخبر طالوت بذلك لان الله تعالى لا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فلا يجوز هذا القول
الا من نبى قوله تعالى فشربوا منه الا قليلا منهم نصب قليلا على الاستثناء • وقرا ابن مسعود الا قليل
بالرفع كقول الشاعر • وكل اخ مفارقه اخوه • لعمر ابيك الا الفرقدان • ومعنى الاية انه لما
عرض لهم النهر وقد اشتد بهم العطش وقعوا فيه فشربوا كلهم اكثر من غرفة الا قليلا منهم وهم
ثلثمائة وثلثة عشر رجلا كعدة اهل بدر • قال صلى الله عليه وسلم يوم بدر لاصحابه انتم
على عدد اصحاب طالوت قالوا فمن اغترف غرفة كما امر الله قوى قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما
وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وخادمه ودوابه • واما الذين اخذوا اكثر من ذلك و
خالفوا اسودت شفاههم واشتد عطشهم فلم يرووا وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو ولم
يشهدوا الفتح قوله تعالى فلما جاوزه هو والذين امنوا معه يعنى لما جاوز طالوت النهر هو والذين
صدقوه وهم القليل الذين لم يشربوا الا مقدار الغرفة قال الذين شربوا وخالفوا امر الله وكانوا اهل
شك ونفاق لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت
قال بعض المفسرين ان القوم كلهم جاوزوا النهر ثم ان الذين خالفوا فى الشرب من النهر اعتزلوا من المطيعين
وقالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة باذن الله معناه قال الذين يوقنون ويعلمون انهم ملاقوا الله وهم القليل الذين ثبتوا مع
طالوت كم من فئة قليلة اى كم من فرقة قليلة قهرت فرقة عدتها كثيرة بامر الله ونصره وكانت

قوله تعالى

فئة جالوت مائة الف والفئة جمع لا واحد له من لفظه قوله تعالى والله مع الصابرين اى معهم بالنصر
والمعونة قوله عز وجل ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا الاية معناها لما خرجوا
واصطفوا لمحاربة جالوت وجنوده قالوا ربنا اصبب علينا الصبر صبا وثبت اقدامنا فى اماكنها فى الحرب
بتقويه قلوبنا وانصرنا على القوم الكافرين اى اعنا على قوم جالوت بالقاء الرعب فى قلوبهم قوله عز وجل
فهزموهم باذن الله فى هذا ايجاز لان ذكر الهزيمة بعد سؤال النصر يدل على اجابة الدعا كان الله
تعالى قال فاستجاب الله دعاهم فهزموهم قوله تعالى وقتل داود جالوت قال المفسرون لما عبر طالوت
ومن معه النهر كان من جملة من عبر معهم ابو داود عليه السلام واسمه ايشا فى ثلثة عشر ابنا له وكان
داود اصغرهم ثم ان جالوت ارسل لطالوت ان ابرز الى من يقاتلنى فان قتلنى فلكم ملكى وان قتلته
فلى ملككم فشق ذلك على طالوت ونادى فى عسكره من قتل منكم جالوت زوجته ابنتى واعطيته نصف
مملكتى فلم يجب احد منهم وهاب الناس جالوت فسال طالوت نبيهم ان يدعو الله فدعا الله تعالى فاتى بقرن
فيه دهن فقيل له ان صاحبكم الذى يقتل جالوت هو الذى يوضع هذا القرن على راسه فيغلى الدهن
فدعا طالوت بنى اسرائيل فجربهم فلم يوافق ذلك منهم احد فاوحى الله الى نبيهم ان فى اولاد ايشا من يقتل
جالوت فدعا طالوت ايشا وقال له اعرض على اولادك فاخرج له اثنا عشر رجلا امثال الاسطوانات
وفيهم رجل بارع عليهم فجعل يعرضهم على القرن فلم ير شيئا فلم يزل يردد القرن على ذلك الجسيم حتى اوحى
اليه انا لا ناخذ الرجال على قدر صورهم بل على اصلاح قلوبهم فقال لايشا هل لك ولد غيرهم فقال لا
فقال رب انه زعم انه لا ولد له غيرهم فقال كذب فقال له ان ربك كذبك فقال صدق الله ان لى ابنا
صغيرا يقال له داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته فجعلته فى الغنم يرعاه وهو فى
شعب كذا وكان داود عليه السلام قصيرا مسقاما ازرق فخرج طالوت فى طلبه فوجد الوادى قد سال
بينه وبين الزريبة التى كان يريح اليها الغنم فوجده يحمل شاتين يجوز بهما السيل ولا يخوض بهما
الماء • فلما راه قال هذا هو لا شك فيه هذا ترحم البهائم فهو بالناس ارحم فدعاه فوضع القرن على
راسه ففاض فقال له طالوت هل لك ان تقتل جالوت وازوجك بابنتى واعطيك نصف مملكتى

قال نعم

قال نعم قال له فهل جربت نفسك فى شىء قال نعم وقع الذيب فى غنمى فضربته ثم اخذت براسه وجبذت
فقطعت راسه من جسده فقال له طالوت ان الذيب ضعيف فهل جربت نفسك فى غيره قال نعم دخل
الاسد فى غنمى فضربته واخذت بلحييه فشققتهما فمضى به طالوت الى العسكر فمر داود بثلثة احجار
فقلن له خذنا معك ففينا منية جالوت فاخذهن ثم مضى • فلما تصافوا للقتال وبرز جالوت
وسال المبارزة انتدب اليه داود فاعطاه طالوت فرسا ودرعا وسلاحا فقال داود انى لم اتعود
القتال بهذا ولكنى اقاتله بالقلاعة كما اريد فاخذ داود القلاعة ومضى نحو جالوت وكان
جالوت من اشد الناس واقواهم وكان له بيضة هى ثلثمائة رطل من حديد • فلما نظر الى داود القى فى
قلبه الرعب وكان جالوت على فرس ابلق عليه السلاح التام قال برزت الى بالقلاعة والحجر لتقتلنى
كما يقتل الكلب قال نعم لانك شر من الكلب • قال جالوت لا جرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض والطير
السما • فقال داود بل يقسم الله لحمك ثم قال داود باسم اله ابرهيم واخرج حجرا ووضعه فى مقلاعته
ثم اخرج الحجر الثانى وقال باسم اله اسحق ووضعه فى مقلاعته ثم اخرج الحجر الثالث وقال باسم اله
يعقوب ووضعه فى مقلاعته فصارت كلها حجرا واحدا ودور المقلاع ورمى به فاصاب الحجر
انف البيضة وخالط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلثين رجلا وهزم الله الجيش وخر
جالوت قتيلا فاخذه داود وجره حتى القاه بين يدى طالوت ثم قال له انجز لى ما وعدتنى واعطنى
امراتى • فقال له طالوت اتريد ابنة الملك بغير صداق قال انما شرطت على صداقا وليس لى شىء فزوجه
ابنته واراد ان يدفع اليه نصف ملكه فقال له وزيره ان دفعت اليه ذلك نازعك فى الملك و
افسد عليك ملكك فامتنع طالوت من ذلك وقصد قتله فهرب داود عليه السلام فندم طالوت
فخرج فى طلبه حتى اتى على امراة من قدماء بنى اسرائيل وهى تبكى على داود فضرب بابها فقالت من هذا
قال انا طالوت قالت انت اشقى الناس طردت داود وقد قتل جالوت وهزم جنوده • قال انما اتيتك
لاسالك ما توبتى قالت توبتك ان تاتى مدينة كذا وتقاتل اهلها فان فتحتها فهى توبتك وان قتلت فهى
توبتك فانطلق طالوت الى تلك المدينة فقاتل اهلها حتى قتل فاجتمع بنو اسرائيل فملكوا داود

عليه السلام من بعد فكذلك قوله تعالى وآتاه الله الملك والحكمة اى جمع له بين الملك والنبوة والحكمة
هى النبوة ولم يجتمع كلاهما لاحد الا لداود وسليمان عليهما السلام قوله عز وجل وعلمه مما يشاء اى علمه
الدروع والمنطق الطير وغير ذلك من العلوم قوله تعالى ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض
اى ولولا دفع الله ناس المشركين بالغزاة المجاهدين كما دفع بداود شر جالوت لفسدت الارض باهلها لغلبة
الكفار • وقيل معناه لولا الانبيا صلوات الله عليهم الداعون الى سبيله الناهون عن الفساد لفسدت
احوال الناس • روى فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى لولا رجال ركع
وصبيان رضع وبهايم رتع لصبت عليكم العذاب صبا • وقال الحسن يزع الله بالسلطان اكثر مما يزع بالقرآن
ولولا السلاطين والامرا المسلطون على الجبارين والدعاة لخرجوا على اهل الصلاح واستولوا عليهم
قوله تعالى ولولا دفاع الله من قرا دفاع فهو من قولهم دافع مدافعة ودفاعا والدفع الصرف قوله تعالى
ولكن الله ذو فضل على العالمين اى ذو من عليهم بدفع المفسدين عن المصلحين قوله عز وجل تلك آيات الله
نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين اى القرآن بما فيه من الاخبار الماضية آيات الله بتنزيل
جبريل عليه السلام بها عليك لتبيان الحق من الباطل وانك لمن المرسلين لانك اخبرت بهذه الايات
مع انك لم تشاهدها ولم تخالط اهلها • وقيل فى معنى هذه الايات اماتة الله الالوف دفعة واحدة
واحياؤهم دفعة واحدة واعطاؤه الملك طالوت وهو من اهل الخمول الذى لا ينقاد له الناس
ونصر اصحاب طالوت مع قلة عددهم وضعفهم على جالوت واصحابه مع شوكتهم وكثرتهم دلالة
على قدرته وعلى نبوة انبيائه صلوات الله عليهم وقوله تعالى وانك لمن المرسلين لانك قد اعطيت
من الآيات مثل ما اعطى الانبياء صلوات الله عليهم وزيادة قوله تعالى عز وجل تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات معناه ان الذى نزلنا عليك خبرهم فى القرآن
هم الرسل لم يكونوا فى الفضل متساوين ولكن فضلنا بعضهم على بعض فى الدنيا والعقبى • ثم فسر فضيلة
كل واحد منهم فقال منهم من كلم الله وهو موسى عليه السلام كلمه الله من غير سفير ورفع بعضهم فوق
بعض درجات اى اتخذ الله ابراهيم خليلا وسخر لسليمان الريح والجن والشياطين وعلمه منطق

الطير

الطير • وقال مجاهد اراد بهذه الاية فضيلة محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الانبيا صلوات الله عليهم
كما قال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك • وقيل هو ادريس كما قال تعالى ورفعناه مكانا عليا قوله تعالى
وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس اى اعطيناه الدلالات على اثبات نبوته من ابرا
الاكمه والابرص واحيا الموتى والانبا بما غاب عنه وايدناه بروح القدس اى قويناه واعناه بجبريل الطاهر
حين ارادوا قتله حتى رفعه الله الى السما • وقال الحسن الروح جبريل والقدس هو الله تعالى فيصير
تقدير الاية وقويناه بروح الله تعالى • وعن ابن عباس انه قال القدس اسم الله الاعظم الذى كان به عيسى
عليه السلام يحيى الموتى قوله تعالى ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات
ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر اى لو شاء الله لم يقتتل الذين من بعد الرسل من بعد ما وضحت
لهم الحجج والدلائل كما قال تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى • وقيل معناه ولو شاء الله لانزل آية
تضطرهم الى الايمان وتمنعهم عن الكفر كما قال تعالى ان نشا ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين
وقوله تعالى ولكن اختلفوا اى شا اختلافهم فاختلفوا ويقال لم يلجئهم الى الايمان لان التكليف لا يحسن
مع الضرورة والجزا لا يحسن الا مع التلجيه قوله تعالى ومنهم من كفر اى بالكتب والرسل قوله تعالى ولو شا
الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد اى ولو شا الله لم يقتتلوا مع اختلافهم بان يامر المؤمنين بالكف
عن القتال وبان يلجئهم جميعا الى ترك القتال ولكن الله يفعل ما يريد من تقدير الاتفاق والاختلاف وغير
ذلك من ما توجبه الحكمة قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه
ولا خلة ولا شفاعة حث على الانفاق فى الجهاد فى سبيل الله • وقيل هو الامر بالزكوة المفروضة وقوله
تعالى من قبل ان ياتى يوم يعنى يوم القيمة لا بيع فيه اى لا فدا فيه ولا خلة اى ليس فيه خلة لغير المؤمنين واما
المؤمنون فتكون لهم خلة كما قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين قوله تعالى ولا
شفاعة اى لغير المؤمنين واما المؤمنون فيشفع بعضهم لبعض ويشفع لهم الانبيا والرسل عليهم السلام قوله
تعالى والكافرون هم الظالمون اى هم الذين ظلموا انفسهم حتى لا خلة لهم ولا شفاعة • وكان عطاء يقول
الحمد لله الذى لم يقل والظالمون هم الكافرون لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافرا قوله عز وجل الله لا اله الا

هو الحي القيوم ذكر وحدانية الله تعالى وصفته ليعلم من كان بهذه الصفة لا يخفى عليه كفر من كفر ومعصية
من عصى فيجازي كل عابد على ما عمل فاول هذه الاية نفي معبود الكفار واثبات معبود المومنين واثبات الشيء
مع نفي غيره ابلغ في الاثبات كانه قال الله لا اله الا هو دون غيره وهو المعبود لا معبود للخلق سواه • ومعنى
الحي القيوم الدايم الذي لا يموت موصوف بالبقا على الابد • وبه حي كل حي • واما القيوم فهو القايم بتدبير
الخلق في شانهم وارزاقهم واعمالهم واجالهم ومجازاتهم على عملهم • وقيل معنى القيوم العالم بالامور من قولهم
فلان يقوم بهذا الكتاب اي يحسنه ويعلم ما فيه • وقيل معنى الحي القيوم الدايم الذي لا يزول قوله تعالى
لا تاخذه سنة ولا نوم اي لا تاخذه نعاس ولا نوم والنعاس اسم لاول ما يدخل في الراس من النوم قبل وصوله
الى القلب والنوم هو الذي يصل الى القلب فيستثقل • ومعنى الاية لا يغفل عن تدبير الخلق • فان قيل
ما معنى نفي النوم بعد نفي النعاس • قلنا مثل هذا اللفظ انما يكون لنفي قليل النوم وكثيره ونظيره قول العرب
فلان لا يملك قليلا ولا كثيرا قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض اي هو مالك السموات والارض وما
فيهما كلهم عبيده واماوه وتحت قبضته وقدرته قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه هذا
جواب عن قول المشركين في اصنامهم هولاء شفعاونا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
اي لا يشفع احد لاحد عند الله الا بامره ورضاه كما يشفع المومنون بعضهم لبعض بالدعا وكما يشفع
الانبياء للمومنين قوله تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي يعلم ما بين ايديهم من امر الاخرة وما
خلفهم من امر الدنيا • قال مجاهد على الضد من هذا • وقيل يعلم الغيب الذي تقدمهم والذي يكون
بعدهم قوله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء اي لا يعلمون الغيب لا مما تقدمهم ولا مما يكون
بعدهم الا بما شا الله ان يعلموه وهو ما انبا به الانبيا صلوات الله عليهم قوله تعالى وسع كرسيه
السموات والارض قال ابن عباس كرسيه علمه فلا يخفى عليه شيء مما في السموات والارض • وقيل معناه
وسعت قدرته التي يمسك بها السموات والارض • وقال الحسن الكرسي هو العرش • ويقال هو سرير
دون العرش • ويقال هو مكان خلق الله فيه السموات والارض • وقال عطا والكلبي ومقاتل السموات
السبع والارضون السبع تحت الكرسي في الصغر كحلقة في فلاة • وقال الكلبي يحمل العرش اربعة املاك

لكل ملك اربعة اوجه وجه انسان ووجه ثور ووجه اسد ووجه نسر اقدامهم في الصخرة التي
تحت الارضين بمسيرة خمسماية عام وبين السماء السابعة وبين الكرسي مسيرة خمسماية عام والعرش
فوق الما قوله عز وجل ولا يوده حفظهما اي لا يثقله ولا يشق عليه حفظ السموات والارض وقوله
تعالى وهو العلي العظيم اي العلي عن الاشباه والامثال وصفات المحدثين عظيم الشان والسلطان
والبرهان • روى محمد بن الحنفية قال لما نزلت اية الكرسي خر كل صنم في دار الدنيا وخر كل ملك في
الدنيا على وجهه وسقطت التيجان عن رؤسهم وهربت الشياطين فضرب بعضهم على بعض حتى اجتمعوا
الى ابليس فاخبروه بذلك فامرهم ان يبحثوا فجاوا الى المدينة فبلغهم ان اية الكرسي قد نزلت • وعن ابي
بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة
اعطاه الله قلوب الشاكرين واعمال الصديقين وثواب النبيين وبسط عليه يمينه بالرحمة ولم يمنعه
من دخول الجنة الا ان يموت فيدخلها ومن قراها حين ياخذ مضجعه امنه الله وجاره وجار
جاره والدويرات حوله قوله عز وجل لا اكراه في الدين الاية اختلف المفسرون في هذه الاية
على ثلثة اقوال • قال السدي والضحاك ان هذه الاية نزلت قبل الامر بقتال المشركين كما قال تعالى
ادفع بالتي هي احسن وكان القتال غير مباح في اول الاسلام الى ان قامت عليهم الحجة الصحيحة
بصحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما عاندوا بعد البيان امر الله المسلمين بقتالهم
لقوله تعالى قاتلوا المشركين وغير ذلك من ايات القتال • وقال الحسن وقتادة ان هذه الاية خاصة
في اهل الكتاب ان لا يكرهوا على الاسلام بعد ان يودوا الجزية • واما مشركوا العرب فلا يقرون بالجزيه
ولا يقبل منهم الا الاسلام او السيف • والقول الثالث ان معناه من دخل في الاسلام بمحاربة المسلمين
ثم رضي بعد الحرب فليس بمكره اي لا يقولوا لهم انما اسلمتم كرها فلا اسلام لكم ومعنى الاية لا اكراه
في الاسلام اي لا تكرهوا على الاسلام وقد وضح الطريق المستقيم من طريق الذي ليس بمستقيم بما اعطا
الله انبياءه من المعجزات فلا تكرهوا على الدين ودخول الالف واللام في الدين لتعريف المعهود قوله
تعالى ومن يكفر بالطاغوت ويومن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها اي فمن يكفر

بما امر الله ان يكفر به ويصدق بالله وبما امر به فقد عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا تحله
حجة من الحجج لانقطاعها بالشبهة والشكوك قوله تعالى والله سميع عليم اى سميع لما يعقد الانسان فى امر
الدين عالم بنيته فى ذلك والغى نقيض الرشد والطاغوت ماخوذ من الطغيان والطاغوت اسم للاصنام
والشياطين وكل ما يعبد من دون الله قوله تعالى الله ولى الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور
معناه الله ولى المؤمنين فى نصرهم واظهارهم وهدايتهم فى اقامة الحجة فى دينهم ومتولى جزائهم على
حسن عملهم يخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الهدى وقوله تعالى والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت الاية
معناه والذين جحدوا توحيد الله اولياؤهم الذين يتولونهم الطاغوت ومعنى يخرجونهم من النور الى
الظلمات ولم يكن لهم نور قيل اراد به اليهود دون النصارى الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام
خرجوا من التوحيد الذى كانوا فيه الى الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل الم تر الى الذى
حاج ابراهيم فى ربه ان اتاه الله الملك اى الم تعلم يا محمد بالذى جادل ابراهيم فى ربه اى هل رايت
كالذى حاج ابراهيم فى ربه ان اتاه الله الملك اى بان اعطاه الله الملك واعجب بملكه وسلطانه وهو
نمرود بن كنعان اول من تجبر فى الارض بادعا الربوبية فخاصم ابراهيم فى توحيده • وقيل ان الها
فى قوله اتاه راجعة الى ربه عليه السلام والملك هو النبوة ووجوب طاعته على الناس قوله تعالى
اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت وذلك ان نمرود قال لابراهيم من ربك قال ابراهيم ربى
الذى يحيى ويميت عند انقضاء الاجال فقال نمرود انا احيى واميت قال ابراهيم بين بيان ذلك
فاتى برجلين من سجنه وجب عليهما القتل فقتل احدهما وترك الاخر فقال هذا قد احييته وهذا
قد امته قال ابراهيم فان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر اى تحير وانقطع
بما ظهر عليه من الحجة والله لا يهدى القوم الظالمين اى لا يرشد المشركين الى دينه وحجته • فان قيل
لم لم يثبت ابراهيم على الحجة الاولى والانتقال من الحجة الى حجة اخرى فى المناظرة غير محمود • قيل عنه اجوبة
احدها ان ابراهيم كان داعيا ولم يكن مناظرا فما كان يراه اقرب الى الهداية اخذ به • والثانى انه
روى انه قال لنمرود ان كنت امت الحى ولم تحى الميت والانتقال بعد الالزام محمود • والثالث ان نمرود كان

عالما ان ما ذكره ليس بمعارضة وكان من حوله من اصحابه يوقنون بكذبه فى قوله انا احيى واميت
لكن اراد التمويه على اغمار قومه كما قال فرعون للسحرة حين امنوا ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة كذلك
فعل نمرود بقوله انا احيى واميت فترك ابراهيم اطالة الكلام وعدل الى الحجة مسكتة لا يمكنه التمويه فيها
فان قيل فهلا قال نمرود لابراهيم ان مجئ الشمس هو عادة فقل لربك حتى ياتى بها من المغرب قيل علم لما راى
من المعجزات التى ظهرت انه لو ساله ذلك لاتى به فكان يزداد فضيحة عند الناس • وقيل خذله الله
عن هذا القول فلم يوفق للسؤال قوله تعالى فبهت الذى كفر البهت فى اللغة هى مواجهة الرجل بالكذب
عليه • يقال بهت يبهت بهتانا وباهت يباهت مباهتة • وفى الحديث ان اليهود قوم بهت اى كذبة
والبهت الحيرة عند انقطاع الحجة ايضا وفيه لغات بهت وبهت وبهت وبهت واجودها بهت بضم البا
قوله عز وجل او كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها عطف هذه الاية على معنى الكلام
الاول لا على اللفظ كانه قال ارايت كالذى حاج ابراهيم فى ربه او كالذى مر على قرية • قال ابن
عباس نزلت هذه الاية فى عزير بن شرخيا وكان من علماء بنى اسرائيل سباه بخت نصر من بيت المقدس الى
ارض بابل حين سلطه الله عليهم فخرب بيت المقدس فخرج عزير فى ارض بابل ذات يوم على حمار
فمر بدير هرقل على شاطئ دجلة فطاف بالقرية فلم ير بها ساكنا وعامة شجرها حامل فجعل يتعجب من
خراب القرية وموت اهلها وكثرة حملها وهى ساقطة على سقوفها وذلك ان السقف يقع قبل الحيطان
ثم يقع الحيطان عليه فاخذ من التين والعنب وعصر العنب فشرب منه ثم جعل فضل التين فى سلة و
فضل العنب فى اخرى وفضل العصير فى الزق ثم نظر الى القرية فقال انى يحيى هذه الله بعد موتها
اى كيف يحيى الله هذه القرية بعد خرابها وموت اهلها لم يكن هذا القول منه انكارا للبعث لكن
احب ان يرى كيف يحيى الله الموتى فيزداد بصيرة فى ايمانه فنام فى ذلك الدير فاماته الله فى منامه
مائة عام واعمى عنه السباع والطير ثم احياه فنودى يا عزير كم لبثت وكان امات فى صدر النهار
ثم بعث بعد مائة سنة فى اخر النهار فظن ان مقدار لبثه يوم فقال لبثت يوما فلما نظر الى
الشمس قد بقى منها شئ فقال او بعض يوم فنودى بل لبثت مائة عام ميتا فانظر الى طعامك

من التين والعنب وشرابك العصير لم يتسنه اى لم يتغير طعمها بعد مائة عام ولم تغيرها السنون فنظر
فاذا بالعنب والتين كما شاهده وبالعصير طريا ثم قيل له وانظر الى حمارك فنظر فاذا هو عظام
بيض تلوح قد تفرقت اوصاله فسمع صوتا ايتها العظام البالية ان الله جاعل فيك روحا فاجتمعن
فانهشت العظام وسعى بعضها الى بعض فقال فرايت الصلب يسعى كل فقره منها الى صاحبتها ثم رايت الوركين
يسعيان الى مكانهما والساقين الى مكانهما والوظيفين الى مكانهما ثم رايت كل الاضلاع يسعى كل واحد
منهم الى فقرته ثم رايت الكعبين سعيا الى مكانهما والذراعين الى مكانهما ثم رايت العنق يسعى كل فقره منه الى
صاحبتها ثم جا الراس الى مكانه ثم رايت العصب والعروق واللحم القى اليه ثم بسط عليه الجلد ثم ذرى
عليه الشعر ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قايم ينهق فخر عزير ساجدا لله تعالى • وقال عند ذلك اعلم ان الله
على كل شيء قدير • قال ذلك حين تبين له من كمال القدرة البلاء في حماره والموت في نفسه والتقا في العنب و
العصير اللذين هما من اسرع الاشيا فسادا وتغيرا ثم مشاهدة البعث بعد الموت • قال ابن عباس وبعث
وهو شاب ابن اربعين سنه على السن الذي اميت عليها وكان ابنه في ذلك الوقت ابن عشرين سنة فصار
لابنه مائة وعشرون سنه ولعزير اربعين سنه على السن الذي اميت عليها فذلك قوله تعالى ولنجعلك
آية للناس ثم انه رجع الى بني اسرائيل وهو يقرا التورية كلها عن ظهر قلبه فاملاها عليهم لم يخرم منها حرفا
واحدا وكانت التورية قد ذهبت عنهم فجاءهم رجل من بني اسرائيل فانتسب اليهم فعرفوه • قال اخبرني جدي
انه قال دفنت التورية يوم سبينا في خابية كرمي فاروه كرم جده فاخرج التورية فعارضوها
بما املا عزير فما اختلفا في حرف فعجبوا من كثرة علمه وحداثة سنه فقال بعضهم عزير ابن الله • وقال
الحسن وقتادة والربيع ان القرية المذكورة في هذه الآية هي بيت المقدس بعد ما خربه بخت نصر • وكان
وهب بن منبه يقول كان المار بهذه القرية ارميا النبي عليه السلام • وقيل معنى خاوية اى خالية
لا انيس فيها يقال خوت الدار اذا خلت وخوي البطن اذا جاع وسمي السقف عرشا لارتفاعه عن ارضه
ويسمى السرير عرشا لارتفاعه عن الارض قوله تعالى ننشرها من قرا بالرا المهملة فمعناه نحييها من النشر يقال
انشر الله اذا احياه ومنه قوله تعالى ثم اذا شاء انشره ومن قرا ننشزها بالزاي المعجمة فمعناه نرفعها

ويعلى

ويعلي بعضها على بعض من النشز وهو المكان المرتفع ومنه نشوز المراة على زوجها ترفعها عن طاعته قوله
تعالى اعلم ان الله من قرا اعلم بقطع الالف اى قال عزير علمت مشاهدة ما كنت اعلمه غيبا ومن قرا اعلم بالوصل
فالمعنى قال لنفسه اعلم ان الله على كل شيء قدير قوله عز وجل واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى
قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي تقدير الآية الم تر اذ قال ابراهيم ويقال واذكر اذ قال ابراهيم •
قال ابن عباس سبب هذه القصة ان ابراهيم عليه السلام مر بجيفة على ساحل البحر ينقض عليها طيور السماء
فياخذ منها بافواهها فتاكل ويسقط من افواهها في البحر فياكل منه الحيتان وتجي السباع فياخذ منها
عضوا عضوا فوقف متعجبا • وقال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن اى ولم تصدق باني احيي
الموتى قال بلى عرفت ولكن احببت ان اعلم كيف تحيي هذه النفس التي ارى بعضها في بطون السباع وبعضها
في بطون الحيتان وبعضها في حواصل الطير فذلك قوله تعالى ولكن ليطمئن قلبي • وقيل معنى ولكن
ليطمئن قلبي اى ليسكن قلبي انك الذي اعطيتني ما سالتك • وقيل انك اتخذتني خليلا • قال الله تعالى
فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا وذلك ان
ابراهيم عليه السلام لما مر بالجيفة وقد توزعتها الطيور والسباع والحيتان تعجب منها وقال يارب
قد علمت بانك تجمعها من بطون السباع وحواصل الطير وبطون الحيتان فارني كيف تحييها لاعاين ذلك
فازداد يقينا قال الله تعالى له اولم تؤمن قال بلى يا رب امنت وليس الخبر كالمعاينة والمشاهدة • وقال
ابن زيد مر ابراهيم عليه السلام بحوت ميت نصفه في البحر ونصفه في البر فما كان في البحر فدواب
البحر تاكله وما كان في البر فدواب البر تاكله فقال ابليس لعنه الله يا ابراهيم متى يجمع الله هذا
من بطون هؤلاء فقال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بذهاب
وسوسة الشيطان ويصير الشيطان خاسيا صاغرا • وروي ان نمرود قال لابراهيم انك تزعم
ان ربك يحيي الموتى وتدعوني الى عبادته فقال له يحيي الموتى ان كان قادرا والا قتلتك فقال ابراهيم
رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن باني احييهم فقال بلى ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجتي ونجاتي
من القتل فان عدو الله توعدني بالقتل ان لم تحي له ميتا • وقال ابن عباس وابن جبير والسدي

لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سال ملك الموت ربه ان ياذن له فيبشر ابراهيم بذلك فاذن له فاتى ابراهيم
وقال يا ابراهيم جئت بشرك ان الله اتخذك خليلا فحمد الله تعالى وقال ما علامة ذلك قال ان يجيب الله
دعاك ويحيي الموتى بسؤالك ثم انطلق ملك الموت فقال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى
ولكن ليطمئن قلبي اي ليعلم انك تجيبني اذا دعوتك وتعطيني اذا سالتك وانك اتخذتني خليلا • روى ابو
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله ابراهيم عليه السلام نحن احق بالشك منه
يعني انما شك ابراهيم ان يجيبه ربه الى ما سال اولا قوله تعالى فخذ اربعة من الطير مختلفة اجناسها
وطباعها ليكون ابلغ في القدرة وخص الطير من سائر الحيوان لخاصية الطيران • واختلفوا في تلك
الاربعة من الطيور • فقال ابن عباس اخذ طاووسا ونسرا وغرابا وديكا • وقال مجاهد وابن
جريج اخذ غرابا وديكا وطاووسا وحمامة • وعن ابن جبير انه اخذ الطاوس والديك والغرنوق
والحمامة • وقال عطا اخذ قطاة خضرا وغرابا اسود وحمامة بيضا وديكا احمر قوله تعالى فصرهن
اليك قرا علي رضي الله عنه وابو الاسود والحسن وعكرمة والاعرج وشيبة ونافع وابن كثير وابن
عامر وعاصم والكسائي وابو عمرو ويعقوب وايوب فصرهن بضم الصاد معناه املهن اليك يقال
صرت الشيء اصوره اي املته ويقال رجل اصور اذا كان مايل العنق ويقال اني اليك لاصور اي
لمايل مشتاق وامراة صورا اي مشتاقة مايلة قال الشاعر • الله يعلم انا في تلفتنا • يوم الفراق الى
جيراننا صور • وقال عطا والمورخ وعطية معنى فصرهن اي اجمعهن واضممهن اليك يقال صار
يصور صورا اذا جمع • وقال ابو عبيد وابن الانباري معنا فصرهن اي قطعهن ومزقهن يقال صار يصير
صيرا اذا قطع وانصار الشيء انصارا انصارا اذا انقطع وانشد بعضهم بيتا في اللغز • وعلام رايته
ما ركليا • ثم في ساعتين صار غزالا • اي قطع • وقرا علقمة وسعيد بن جبير وقتادة ويحيى بن وثاب والاعمش
وخلف فصرهن بكسر الصاد معناه قطعهن • قال ابو العباس السراج هما لغتان للعرب • وعن ابن
عباس روايتان احدهما فصرهن مفتوحة الصاد مشددة الرا مكسورة من التصرية وهي الجمع
ومنه المصراة والاخرى فصرهن بضم الصاد وفتح الراء والتشديد من الصر • وهي في معنى الجمع فمن تاوله

على القطع

على القطع والتمزيق ففيه تقديم وتاخير تقديره فخذ اربعة من الطير اليك فصرهن ومن تاوله على
الضم والامالة ففيه اضمار معناه فصرهن اليك ثم قطعهن فحذفه واكتفى بقوله ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا لانه يدل عليه وهذا كما يقال خذ هذا الثوب واجعل منه على كل رمح علما قوله تعالى
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا لفظه عام ومعناه خاص لان اربعة من الطير لا تبلغ الجبال كلها ولا
كان ابراهيم يصل الى ذلك وهذا كقوله تعالى واوتيت من كل شيء وقوله يدمر كل شيء وقوله جزءا
قرئ برفع الزاي مثقل بالهمزة حيث وقع • وقرا ابو جعفر جزا بتشديد الزاي • وقرا الباقون بالهمز مخففا
وهي لغات • قال المفسرون امر الله ابراهيم ان يذبح تلك الطيور وينتف ريشها ويقطعها ويفرق
اجزاها ويخلط ريشها ودماها ولحومها بعضها ببعض ففعل ابراهيم ذلك ثم امر ان يجعل اجزاها
على الجبال • واختلفوا في عدد الاجزا والجبال • فقال ابن عباس وقتادة والربيع امر ان يجعل كل طاير
اربعة اجزا ثم يعمد الى اربعة اجبل فيجعل على كل جبل ربعا من كل طاير فيدعوهن تعالين باذن الله
وهذا مثل ضربه الله لابراهيم واراه اياه يقول كما بعثت الطيور من هذه الجبال الاربعة فكذلك
ابعث الناس يوم القيمة من بقاع الارض ونواحيها • وقال ابن جريج والسدي جزاها سبعة اجزا ووضعها
على سبعة اجبل وامسك رؤسهن عنده ثم دعاهن تعالين باذن الله فجعل الريش كل ريشة تطير الى
الاخرى وكل قطرة من الدم تطير الى الاخرى وكل عظم يطير الى الاخر وكل قطعة تطير الى الاخرى وابراهيم
ينظر حتى التفت كل جثة بعضها الى بعض حتى سواهن الله تعالى ثم جئن يسعين على رجلهن بغير روس
فعلق عليهن ابراهيم روسهن • واختلفوا في معنى السعي قال بعضهم هو الاسراع في المشي • وقال بعضهم
مشيا على رجلهن والحكمة في المشي دون الطيران كونه ابلغ في الحجة وابعد من الشبهة لانها لو طارت لتوهم
متوهم انها غير تلك الطيور وان رجلها غير سليمة • قال ابو الحسن الاقطع صح عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال لكل اية ظهر وبطن • وظاهر هذه الاية ما ذكره المفسرون وباطنها ان ابراهيم
امر بذبح اربعة اشيا في نفسه بسكين الاياس كما ذبح في الظاهر الاربعة الطيور بسكين الحديد
فالنسر مثل لطول العمر والامل والطاوس زينة الدنيا وبهجتها والغراب الحرص والديك

الثاني عشر

الشهوة قوله تعالى واعلم ان الله عزيز حكيم اى غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريد حكيم فيما يريد
لا يفعل الا ما فيه حكمة • قال بعضهم كانت هذه القصة قبل ان يولد لابراهيم ولد وقبل ان تنزل عليه
الصحف وكان يومئذ ابن خمس وتسعين سنة قوله عز وجل مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله
كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه اخبر فيما
تقدم ذكر النفقة فى الجهاد بقوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ثم ذكر ما كان من مسئلة
قوم اشمويل من الله ان يبعث له ملكا يقاتلون معه اعداهم وكانت الغلبة لهم مع قلة عددهم ثم عقبه
الله تعالى بذكر امور تدل على وحدانيته فبين ان الكفر بعد هذه الايات اعظم واشنع فمن كفر بعد هذا
فقاتلوه وانفقوا فى القتال فان النفقة فى القتال تكون بسبعماية • وعن ابن عباس نزلت هذه الاية والتى
بعدها فى شان عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما اما عثمان فجا الى النبى صلى الله عليه
وسلم فى غزوة تبوك فقال على جهاز من لا جهاز له واشترى بئر رومه وجعلها سبيلا للمسلمين • واما
عبد الرحمن فكان له ثمانيه الاف فجا باربعة الاف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى لى ثمانية
الاف امسكت نصفها لنفسى ولعيالى واقرضت نصفها لربى وهى هذه فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله
لك فيما امسكت وفيما اعطيت وامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضت منه • ومعنى الاية صفة
الذين ينفقون اموالهم فى طاعة الله كصفة حبة القيت فى الارض واخرجت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة
حبة اى كما تكون الحبة واحدة والمكتسب بها سبعمائة فكذلك النفقة تكون واحدة والمكتسب بها سبعمائة
ضعف قوله تعالى والله يضاعف لمن يشاء اى كما يضاعف الله فى زرع الزارع الحادث من البذر الجيد
فى الارض العامرة كذلك يضاعف للمرء الصالح ثواب صدقته بالمال الطيب اذا وضعه فى موضعه يضاعف
لمن يشاء من السبع الى السبعين الى السبعماية الى الف لما شا الله من الاضعاف مما لا يعلمه الا هو قوله
تعالى والله واسع عليم اى غنى بتلك الاضعاف عليم بمن ينفق • وقيل معناه والله واسع اى واسع
الفضل جواد لا ينقصه ما يتفضل به من السعة والمضاعفة عليم بمن يستحق الزيادة والفايدة فى تخصيص
السبع فى الاية ما قالوا ان السبع اشرف الاعداد • كما روى عن ابن عباس انه قال كادت الاشيا تكون كلها

سبعا

والبحار سبعة صح

سبعا فان السموات سبع والارضون سبع والكواكب السيارة سبعة وايام الاسبوع سبعة وسجود
العبد على سبعة اعضا واجمع اهل التفسير الا السدى ان العشر المضاعفة بسبعماية مختصة بالانفاق
فى الجهاد واما غير ذلك من الطاعات فالحسنة بعشر امثالها كما قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله
عشر امثالها قوله عز وجل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت
فى شان النفقة التى مستحق بها الثواب المضاعف معناه الذين ينفقون اموالهم فى طاعة الله ثم لا يتبعون
ما انفقوا منا على السائل نحو ان يقول للسائل اذا وقع بينه وبينه خصومة اعطيتك كذا واحسنت
اليك وما اشبهه مما يشق على السائل واصله من القطع يقال مننت الشيء اذا قطعته ومنه قوله تعالى
فلهم اجر غير ممنون اى غير مقطوع ويقال حبل متين اى مقطوع • وقيل اصل المنة النعمة يقال من يمن
اذا اعطا وانعم قال الله تعالى هذا عطاونا فامنن او امسك اى اعط او امسك • وقال الكلبى نزلت
هذه الاية فى عثمان وعبد الرحمن اما عثمان رضى الله عنه فجهز المسلمين فى غزوة تبوك بالف بعير باقتابها
واحلاسها • وروى ان عثمان جا بالف مثقال فى جيش العسرة فصبها فى حجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكان صلى الله عليه وسلم يدخل يده فيها ويقلبها ويقول ما ضر عثمان ما ذا عمل بعد
اليوم • وقال ابو سعيد الخدرى رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم رافعا يديه يدعو لعثمان
ويقول يا رب عثمان رضيت عنه فارض عنه فما زال يدعو رافعا يديه حتى طلع الفجر فانزل الله هذه
الاية • واما عبد الرحمن بن عوف فقد ذكرنا صدقته قوله تعالى ولا اذى اى لا يوذى السائل لا يعيره
ولا يزجره نحو ان يقول انت ابدا فى فقر وما ابلانا بك واراحنا الله منك واعطيناك فما شكرت
وما اشبه ذلك • قال صلى الله عليه وسلم المنان بما يعطى لا يكلمه الله يوم القيمة ولا ينظر اليه ولا
يزكيه وله عذاب اليم • فحظر الله على عباده المن بالصنيعة واختص به نفسه لنفسه لانه من
العبد تعيير وتكدير ومن الله تعالى افضال وتذكير • قال بعضهم افسدت بالمن ما قدمت من حسن
ليس الكريم اذا اعطى بمنان • قوله تعالى ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون اى لا خوف عليهم فيما يستقبلهم
من اهوال يوم القيمة ولا هم يحزنون على ما خلفوا فى الدنيا قوله تعالى قول معروف ومغفرة خير

من صدقة يتبعها أذى اي كلام حسن ورد جميل على السائل وتلطف به ودعا له بالسعة وتجاوز عن
مظلمة وعدة حسنة خير عند الله من صدقة يتبعها اذى لان الصدقه اذا تبعها الاذى ذهب المال والثواب
جميعا • وقال الضحاك معنى الاية قول في اصلاح ذات البين قوله ومغفرة • قال ابن جرير معنى مغفرة اي ستر
منه عليه لما علم من خلته وفاقته • وقيل تجاوز عن السائل اذا استطال عليه عند رده • علم الله ان
الفقير اذا رد بغير شيء شق عليه ذلك فربما دعاه ذلك الى بذاءة اللسان واظهار الشكوى وعلم ما يلحق المانع
منه فحثه على العفو والصفح • روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سأل السائل
فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها ثم ردوها عليه بوقار ولين وبذل يسير او رد جميل
فانه قد يأتيكم من ليس بانس ولا جان ينظر كيف صنعكم فيما خولكم الله من النعم عز وجل قوله تعالى والله
غني حليم اي غني عن صدقات العباد حليم اذ لم يعجل بالعقوبة على الذي يمن بصدقته • روي
بشر بن الحارث قال رأيت عليا رضي الله عنه في المنام فقلت له يا امير المؤمنين تقول شيئا لعل الله ينفع
به فقال لي ما احسن عطف الاغنياء على الفقراء رغبة في ثواب الله عز وجل واحسن منه صبر الفقراء عن الاغنياء
ثقة بالله عز وجل قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق
ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر اي لا تبطلوا صدقاتكم بذلك كابطال الذي ينفق ماله
مراءاة وسمعة ليروا نفقته ويقال انه سخي كريم صالح يعني بذلك المنافق الذي ينفق ماله لا رغبة في الثواب
ولا رهبة من العقاب بل خوفا من الناس ورياء لهم انه مؤمن قوله تعالى فمثله اي مثل نفقة هذا
المنافق المرائي كمثل صفوان اي كحجر املس عليه تراب فاصابه وابل اي مطر كثير شديد الوقع فذهب
بالتراب الذي كان على الحجر وبقي الحجر يابسا لا شيء عليه قوله تعالى فتركه صلدا اي حجرا صلبا املس لا
شيء عليه وهو من الارض ما لا ينبت ومن الرؤوس ما لا شعر عليه قال رؤبة • براق اصلاد الجبين الاجله •
وهذا مثل ضربه الله لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن الذي يمن بصدقته ويؤذي يعني ان الناس يرون
في الظاهر ان لهؤلاء اعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا كان يوم القيمة اضمحل وبطل لانه لم يكن
لله كما اذهب الوابل ما كان على الصفوان من التراب فتركه صلدا لا شيء عليه قوله تعالى لا يقدرون على

شيء

شيء مما كسبوا اي لا يقدر المان بنفقته والمؤذي والمنافق على ثواب شيء مما انفقوا كما لا يقدر احد من
الخلق على التراب الذي كان على الحجر الاملس بعد ما اذهبه المطر الشديد قوله تعالى والله لا يهدي القوم
الكافرين اي لا يهديهم حتى يخلصوا اعمالهم • وقيل لا يهديهم بالمثوبة لهم كما يهدي المؤمنين واصل
الوابل من الوبيل وهو الشديد كما قال تعالى اخذا وبيلا • ويقال وبلت السماء تبل اذا اشتد مطرها •
والصلد الحجر الاملس الصلب ويسمى البخيل صلدا تشبيها له بالحجر فانه لا يخرج منه شيء • ويقال للارض
التي لا تنبت شيئا صلدا وصلد الزند صلودا اذا لم يور نارا • وفي الاية دلالة ان الصدقة وساير
القرب اذا لم يكن خالصة لله لا يتعلق بها الثواب وتكون فاعله كمن لا يفعل ولهذا قال اصحابنا لا يجوز
الاستيجار على الحج وساير الافعال التي من شرطها ان يفعل على وجه القربة لان اخذ الاجرة عليها يخرجها
من ان يكون قربة ثم ضرب جل ذكره لنفقة المخلصين المثبتين مثلا واخرجه من المثل الاول فقال ومثل
الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فاتت
اكلها ضعفين اي صفة الذين ينفقون اموالهم طلبا رضى الله وتصديقا وحقيقة • قال الشعبي والكلبي
والضحاك يعني تصديقا من انفسهم يخرجون الزكوة طيبة بها نفوسهم • وقال السدي وابو صالح وابو روق
معناه ويقينا من انفسهم اي على يقين باخلاف الله عليهم • وقال قتادة معناه واحتسابا • وقيل ثقة بالله
وقال مجاهد معناه يتثبتون • قال الحسن كان الرجل اذا هم بصدقة يثبت فان كان لله امضاه وان
خالطه شك امسك • وقال ابن كيسان معناه اخلاصا وتوطينا لانفسهم على طاعة الله • وقال
سعيد بن جبير وتحقيقا في دينهم • قوله كمثل جنة بربوة اصابها وابل فاتت اكلها ضعفين اي كصفة
بستان بمكان مرتفع اصابها مطر كثير شديد فاتت ثمرتها ضعفين في الحمل • قال عطا حملت في سنة
ما يحمل غيرها في سنتين • وقال عكرمة حملت في السنة مرتين • قال الفراء اذا كان في البستان نخل
فهو جنة واذا كان فيه كرم فهو فردوس • وقرا مجاهد كمثل حبة بالحاء والباء • وقرا السلمي والعطاردي
والحسن وعاصم وابن عامر بربوة بفتح الراء ههنا وفي سورة المؤمنين وهي لغة بني تميم • وقرا ابو جعفر
وشيبة ونافع وابن كثير والاعمش وحمزة والكسائي وابو عمرو ويعقوب وايوب بربوة بضم الراء فيهما

واختاره ابو عبيد لانها اكثر اللغات واشهرها • وقرا ابن عباس وابو اسحق برباوة بكسر الرآء • وقراء
اشهب العقيلي برباوة بالالف وكسر الرآء وهن جميعًا للمكان المرتفع المستوى • والمطر على الروابي اشد وبنتها
احسن وانما سميت ربوة لانها ربت وعلت فغلظت من قولهم ربا الشيء يربو اذا اعظم قوله تعالى اكلها
قرا نافع وابن كثير وابو عمرو بالتخفيف • وقرا الباقون بضم الكاف والاكل هو الثمر وهو اسم لما يوكل قوله
تعالى **فان لم يصبها وابل فطل** اي فطش والطل ضعف المطر مثل الرذاذ وهو المطر الدائم الصغار
القطر لا يكاد يسيل منه الموازيب كذلك المنفق لوجه الله ان كانت نفقته كثيرة فثوابها كثير وان كانت
قليلة شيئًا بعد شيء فبعددها • وقال السدي الطل هو الندى • وروي عن زيد بن اسلم في قوله تعالى فان لم
يصبها وابل فطل قال هي ارض مصر ان لم يصبها مطر زكت اي انبتت وان اصابها مطر اضعفت اي اتت ضعفي
ذلك وهذا مثل ضربه الله لعمل المومن المخلص يقول كما ان هذه الجنة يصلح في كل حال ولا تخلف ولا
تخيب صاحبها سوا قل المطر او كثر كذلك يضاعف الله ثواب صدقة المومن المخلص الذي لا يمن ولا يوذي
سوا قلت صدقته او كثرت ولا تخيب بحال قوله تعالى **والله بما تعملون بصير** اي بما تعملون من الريا والاخلاص
يجزيكم على قدر نياتكم قوله عز وجل **ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها
الانهار له فيها من كل الثمرات** الاية هذا الاستفهام في الظاهر يقتضي في الحقيقة تقديرًا اي لا يود احدكم
كقوله تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتًا • ومعنى الاية يتمنى احدكم ان تكون له بستان من نخيل
وكروم تجري من تحت شجرها ومساكنها وغرفها الانهار له في الجنة من الوان الثمار كلها واصابه الهرم
والضعف وله اولاد ضعاف فعجزه عن الحيلة **فاصابها اعصار** يعني تلك الجنة والاعصار ريح عاصف
تهب من الارض بالشدة كالعمود الى نحو السماء وتسميها العرب الزوبعة وسميت اعصارًا لانها تعلو كثوب
عصر قوله تعالى **فيه نار فاحترقت** اي الجنة وهذا مثل ضربه الله لنفقه المنافق والمرائي يقول عمل
هذا المرائي في حسنه كحسن الجنة ينتفع بها كما ينتفع صاحب الجنة فاذا كبر وضعف وصار له
اولاد صغار ضعاف فاصاب جنته اعصار فيه نار فاحترقت عند ما هو احوج اليها وضعف
عن اصلاحها لكبره وضعف اولاده عن اصلاحها لصغرهم وعجزه وعجزهم من ان يغرسوا مثلها

بصير صح

يود

لا يرد عليه شبابه وقوته ليغرس فيحزن ويغتم ويهلك اسفًا وتحسرًا على ذلك فلا هو يجد شيئًا
يعيشه ولا معه اولاده شيء يعودون به عليه فيبقى هو واولاده فقرا عجزة متحيرين لا يقدرون على حيلة
فكذلك يبطل الله صدقة هذا المرائي والمنافق والمان بصدقته حيث لا مستعتب لها ولا توبة ولا
اقاله حرم اجرها عند افقر ما يكون اليها ويرى في القيمة اعماله هباء منثورًا ولا يوذن له في الرجوع
الى الدنيا ليتصدق وليكون من الصالحين قوله تعالى **كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون**
اي كهذا البيان الذي بين الله لكم فيما تقدم وبين لكم الدلالات والعلامات لكي تفكروا فتعتبروا • فان
قيل قوله تعالى ايود احدكم فعل مستقبل وقوله واصابه الكبر فعل ماض فكيف عطف الماضي
على المستقبل • فالجواب من وجهين احدهما ان قد ها هنا مقدر المعنى وقد اصابه الكبر فيكون
للحال كما قال في اية اخرى وان كان قميصه قد اي قد قد • والثاني يود يقتضي ان يكون في خبره لو كما
في قوله يود احدهم لو يعمر وقوله ودوا لو تكفرون ويقتضي ان يكون في خبره ان كما في هذه الاية ولو
للماضي وان للمستقبل ثم قد يستعمل لو مكان ان وان مكان لو ويقام احدهما مقام الاخر يقول
الانسان انا اتمنى لو كان لي ولد ويقول اتمنى ان كان لي ولد واذا كان معنى التمني قد يقع على الماضي
صح عطف الماضي عليه قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا
لكم من الارض** اي انفقوا من خيار ما كسبتم وجياده نظير قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون • وقال ابن مسعود ومجاهد من حلال ما كسبتم من الاموال دليله يا ايها الرسل كلوا من
الطيبات • وقال عليه السلام ان الله طيب لا يقبل الا الطيب • لا يكسب عبد مالًا من حرام فيتصدق
به فيقبل منه ولا ينفق فيبارك له فيه ولا يتركه خلفه الا كان زاده الى النار وان الله لا يمحو
السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن وان الخبيث لا يمحو الخبيث وقوله تعالى ومما اخرجنا لكم من
الارض اي من عشر الحبوب والثمار قوله تعالى **ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه
الا ان تغمضوا فيه** اي لا تعمدوا الى الردي من اموالكم منه تتصدقون ولستم بقابضيه وقابليه
الا ان تغمضوا فيه يقول لو كان لبعضكم على بعض حق فجا بدون حقه لم ياخذ منه الا ان يتغاضى له

عن بعض حقه وتسامح عن عيب فيه فكيف تغمضون في الصدقة • وقد روي في سبب نزول هذه
الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة • وقال إن لله في أموالكم حقا فكان يأتي أهل
الصدقة بصدقاتهم فيضعونها في المسجد فيقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم • فجاء رجل ذات
يوم بعد ما تفرق عامة أهل المسجد بعذق من حشف فوضعه في الصدقة فلما أبصره رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال بئس ما صنع صاحب الحشف فأمر به فعلق فجعل كل من يراه يقول بئس ما صنع صاحب الحشف
فأنزل الله هذه الآية • وقال بعضهم معنى ولا تيمموا الخبيث أي لا تتصدقوا بالحرام فيكون معنى إلا أن تغمضوا فيه
على التأويل إلا أن ترخصوا في تناوله إن كان حراما والإغماض ترك النظر يقال في المثل أغمض في هذا وغمض
أي لا تستقص وكن كأنك لم تبصر قوله تعالى **واعلموا أن الله غني حميد** أي غني عن صدقاتكم محمود
في أفعاله ولم يأمركم بالصدقة عن عوز ولكن بلاكم بما أمركم فهو مستحق للحمد على ذلك وعلى جميع أمره
وفي الآية إباحة الكسب وإخبار أن فيه ما هو طيب • قال صلى الله عليه وسلم الخير عشرة أجزاء
أفضلها التجارة إذا أخذ الحق وأعطى الحق • وقال صلى الله عليه وسلم تسعة أعشار الرزق في التجارة
ولا يفتقر من التجار إلا تاجر حلاف • وسئل النبي صلى الله عليه وسلم أي كسب الرجل أفضل قال عمل
الرجل بيده وكل بيع مبرور • وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر التجار إن هذا البيع يحضره اللغو
والكذب فشوبوه بالصدقة قوله عز وجل **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء** أي الشيطان يعدكم
بالفقر فحذف الباء كقول الشاعر • أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به • فقد تركتك ذا مال وذا نشب • و
يقال وعدته خيرا ووعدته شرا • قال الله تعالى في الخير وعدكم الله مغانم كثيرة • وقال في الشر النار وعدها
الله الذين كفروا وإذا لم يذكر الخير والشر قلت في الخير وعدته وفي الشر أوعدته قال الشاعر • وإني إذا أوعدته
أو وعدته • لمخلف إيعادي ومنجز موعدي • ومعنى يعدكم الفقر أي يخوفكم الفقر بالنفقة في وجوه البر
وإنفاق الجيد من المال وقوله تعالى ويأمركم بالفحشاء أي بالبخل ومنع الزكاة • وزعم الكلبي أن كل فحشاء
في القرآن فهو الزنا إلا في هذه الآية وإنما سمي منع الزكاة فحشا لأن العرب يسمي البخيل فاحشا والبخل فحشا والفقر
سوء الحال وقلة ذات اليد وفيه لغتان الفقر والفقر كالضعف والضعف قوله تعالى **والله يعدكم مغفرة**

منه وفضلا أي مغفرة لذنوبكم بالإنفاق ومن خيار المال وفضلا أي خلفا في الدنيا والآخرة **والله واسع
عليم** يوسع الرزق والخلف والمثوبة ويعلم حيث ينبغي أن يكون السعة • قال ابن عباس وابن مسعود اثنان
من الله واثنان من الشيطان فمن الله المغفرة والفضل ومن الشيطان الفقر والفحشاء ووعد الشيطان وساوس
وتخييل أي يخيل إليه أنك إن أمسكت مالك استغنيت وإن تصدقت به افتقرت قوله تعالى **يؤتي الحكمة
من يشاء** اختلفوا في تفسير الحكمة • قال ابن مسعود هي القرآن • وقال ابن عباس وقتادة علم ناسخ القرآن و
منسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله وغيره • وقال السدي
هي النبوة • وقال أبو العالية هي الفقه • وقال مجاهد وإبراهيم هي الإصابة والفهم • وقال الربيع هي
خشية الله تعالى • وقال سهل بن عبد الله هي السنة • وقيل هي سرعة الجواب مع إصابة الصواب
قوله تعالى **ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا** أي من يعطى العلم فقد أعطي خيرا كثيرا يصل به إلى رحمة
الله تعالى • قال بعض الحكماء سمى الله العلم خيرا كثيرا والدنيا متاعا قليلا • فينبغي لمن أعطي العلم أن يعرف
قدر نفسه ولا يتواضع لأصحاب الدنيا لدنياهم • وقال الحسن ومن يؤت الحكمة يعني الورع في دين الله
قرأ الربيع تؤت الحكمة ومن تؤت الحكمة بالتاء • وقرأ يعقوب ومن يؤت الحكمة بكسر التاء أراد ومن يؤته الله
فحذف الهاء قوله تعالى **وما يذكر إلا أولوا الألباب** أي وما يتعظ إلا ذووا العقول واللب من العقل ما
صفي عن دواعي الهوى ويسمى العقل لبا لأنه أنفس ما في الإنسان كما أن لب الثمرة أنفس ما فيها قوله عز وجل
وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه أي ما تصدقتم به من صدقة أو أوجبتموه
على أنفسكم من فعل بر مثل صلاة أو صدقة أو صوم فإن الله لا يخفى عليه ذلك يقبله ويجازي عليه
ويقال معنى فإن الله يعلمه أي يحفظه وإنما قال يعلمه ولم يقل يعلمهما لأنه رده إلى الآخر منهما كقوله تعالى
ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا وإن شئت حملته على ما التي قبله كقوله تعالى وما أنزل عليكم
من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما قوله تعالى **وما للظالمين من أنصار** أي وما للواضعين
النفقة والنذر في غير موضعهما بالرياء والمعصية ونحوهما من أعوان يدفعون عنهم عذاب الله •
والأنصار جمع نصير مثل حبيب وأحباب وشريف وأشراف قوله عز وجل **إن تبدوا الصدقات فنعما هي**

وان تخفوها وتوتوها الفقرآء فهو خير لكم وذلك انهم قالوا يا رسول الله من فضل صدقة السر او
صدقة العلانية فانزل الله هذه الاية ومعناها ان يظهروا الصدقات ويعلنوها فنعم الشيء صدقة
العلانية واصل فنعما هي فنعم ما هي فوصلت وادغمت وكان الحسن يقرا فنعم ما هي مفصولة على
الاصل اي نعمت الخصلة وما في موضع رفع وهي في محل النصب كما تقول نعم الرجل رجلا فاذا عرفت رفعت
فقلت نعم الرجل زيد • وقرا ابو جعفر ونافع وشيبه وعاصم وابو عمرو بكسر النون وجزم العين • ومثله
في سورة النسا واختاره ابو عبيد وذلك انها لغة النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لعمرو بن العاص
نعما المال الصالح للرجل الصالح • وقرا ابن عامر ويحيى بن وثاب والاعمش وحمزة والكساي وخلف بفتح
النون وكسر العين • وقرا طلحة وابن كثير وورش وحفص ويعقوب وايوب بكسر النون والعين وهي لغات
صحيحة قوله تعالى وان تخفوها وتوتوها الفقرآء فهو خير لكم اي وان تسروها وتعطوها الفقرا سرا
فهو خير لكم وافضل من العلانية وكلاهما مقبول منكم اذا كانت النية صادقة ولكن صدقة السر افضل •
قال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفي غضب الرب وتطفي الخطيئة كما يطفي الما النار وتدفع سبعين
بابا من البلاء • وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله الامام العادل • و
شاب نشا في عبادة الله عز وجل • ورجل قلبه معلق بالمسجد • ورجلان تحابا في الله فاجتمعا عليه و
تفرقا عليه • ورجل دعته امراة ذات حسن وجمال فقال اني اخاف الله • ورجل تصدق بصدقة فاخفاها
حتى لا تعلم شماله ما ينفق يمينه • ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه • وقال اهل المعاني هذه الاية في
صدقة التطوع ولاجماع العلما ان الزكوة المفروضة اعلانها افضل كالصلوة المفروضة في الجماعة افضل
من افرادها وكذلك ساير الفرايض لمعنيين احدهما ليقتدي به الناس والثاني لزوال التهمة لئلا يسي الناس
به الظن ولا ريا في الفرض • واما النوافل والفضايل فاخفاوها افضل لبعدها من الريا يدل على صحة
هذا التاويل ما روي عن ابي جعفر في قوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي قال يعني الزكوة المفروضة وقوله
تعالى وان تخفوها وتوتوها الفقرا يعني التطوع • وعن ابن عباس انه قال جعل الله صدقة التطوع في السر
تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة تفضل علانيتها سرها بخمس وعشرين ضعفا • وقال

صلى الله

صلى الله عليه وسلم المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة والجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة • وذهب الحسن
وقتادة الى ان الاخفا في كل صدقة افضل مفروضة كانت او تطوعا قوله عز وجل ويكفر عنكم من
سيئاتكم قرا ابن عباس وعكرمة وتكفر بالتا يعني الصدقات • وقرا الحسن وابن عامر وحفص ويكفر باليا
والرفع على معنى ويكفر الله • وقرا ابن كثير وعاصم وابو عمرو بالنون ورفع الرا على الاستيناف اي ونحن نكفر
وقرا ابو جعفر وشيبه ونافع والاعمش وحمزة والكساي بالنون والجزم عطفا على موضع الفا التي في
قوله فهو خير لكم لانها موضعها جزم بالجزا وقوله تعالى من سيئاتكم ادخل من للتبعيض ليكون العباد فيها
على وجل فلا يتكلوا • وقال النحاة البصرة معناه الاسقاط اي ويكفر عنكم سيئاتكم قوله عز وجل والله
بما تعملون خبير اي بما تعملون من الصدقة عالم يجزيكم به قوله عز وجل ليس عليك هداهم ولكن الله
يهدي من يشاء قال ابن عباس والكلبي اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء وكانت معه
في تلك العمرة اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه فجاتها امها قتيلة وجدها ابو قحافة يسالونها
الصلة والعطيه فقالت لا اعطيكم شيا حتى استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم لستم
على ديني فاستاذنته في ذلك فنزلت هذه الاية فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق
عليهما • وقال محمد ابن الحنفية كان يكبر على المسلمين التصدق على اليهود والنصارى فامروا بذلك
في غير فريضة • ومعنى الاية ليس عليك يا محمد تحصيل الهدى لهم بان تمنعهم من الصدقة لتحملهم على الايمان
ولكن الله يثبت ويرشد ويوفق للخير من يشا • وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه راى رجلا من اهل
الذمة يسيل على ابواب المسلمين فقال ما انصفناك اخذنا منك الجزية ما دمت شابا ثم ضيعناك
اليوم فامر ان يجرى عليه قوته من بيت المال قوله تعالى وما تنفقوا من خير فلانفسكم اي ما تنفقوا من
مال على بر او فاجر فلانفسكم ثوابه ونفعه عايد اليكم وقوله وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله
اي علم الله انكم لا تريدون بنفقتكم الا طلب مرضات الله وان كان المتصدق عليه كافرا وقوله وما
تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون اي ما تصدقوا به من مال يوف اليكم ثوابه في الاخرة
وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون شيا من ثواب اعمالكم وصدقاتكم وظاهر الاية يقتضي جواز دفع

الصدقات الى الكفار الا ان النبي صلى الله عليه وسلم خصّ منها الزكوات فقال امرت ان اخذ الصدقة
من اغنيائكم واردها على فقرائكم قوله عز وجل للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا
في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف قيل معناه ما انفقتم من نفقة للفقراء • وقيل معناه عليكم
بالنفقة للفقراء الذين حبسوا في طاعة الله اي احصرهم فرض الجهاد فمنعهم من التصرف والسير لطلب المعاش
وهؤلاء اصحاب الصفة حبسوا انفسهم لطلب العلم وفضل الجمعة وخدمة رسول الله صلى الله عليه
وسلم كانوا نحوا من اربعماية رجل لم يكن لهم مساكن ولا عشاير كانوا معتكفين في المسجد في صفته قالوا
نخرج في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله فحث الله على الصدقة عليهم
فكان الرجل اذا كان بقي عنده فضل اتاهم به • وقوله تعالى لا يستطيعون ضربا في الارض الضرب في اللغة هو
السير اي لا يستطيعون سيرا في الارض للتجارة وطلب المعيشة ونظيره قوله تعالى واذا ضربتم في الارض وقوله
تعالى واخرون يضربون في الارض وقال الشاعر • لحفظ المال ايسر من فناه • وضرب في البلاد بغير زاد • و
قال ابن زيد من كثرة ما جاهدوا لا يستطيعون ضربا في الارض فصارت الارض كلها حربا عليهم لا
يتوجهون فيها جهة الا ولهم فيها عدو • وكان السدي يقول معنا احصروا اي منعهم الكفار بالخوف منهم
فلا يستطيعون تفرقا في الارض لمنع الكفار اياهم عن ذلك • وقيل هذا لا يصح لانه لو كان كذلك
لقال حصروا بغير الف • وقال سعيد بن جبير هؤلاء قوم اصابتهم جراحات مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فصاروا زمنا واحصرهم المرض والزمانة عن الضرب في الارض • فاختار الكسائي هذا القول
لانه يقال احصروا من المرض والزمانة عن الضرب في الارض ولو اراد الحبس لقال حصروا وانما الاحصار
من الخوف والمرض والحصر الحبس في غيرهما قوله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف • قرا الحسن
وابو جعفر وشيبة وابن عامر والاعمش وعاصم وحمزة يحسبهم بفتح السين في جميع القران • والباقون
بالكسر ومعنى الاية يظنهم الجاهل بامرهم وشانهم اغنياء من التعفف عن السؤال لتجملهم باللباس
وكفهم عن المسيلة والتعفف يذكر ويراد به ترك المسيلة • كما قال صلى الله عليه وسلم من استغنا
اغناه الله ومن استعف اعفه الله قوله تعالى تعرفهم بسيماهم اي تعرفهم انت يا محمد بعلامة فقرهم

وديانة حالهم • وقيل بتخشعهم وتواضعهم • وقيل بصفرة الوانهم من الجوع وقيام الليل وصيام
النهار • وقيل برثهم واستقامة احوالهم عند تواتر البلاء عليهم قوله تعالى لا يسئلون الناس الحافا
قال عطا اذا كان عنده غدا لا يسئل عشا وان كان عنده عشا لا يسئل غدا • وقال اهل المعاني لا يسئلون
الناس الحافا ولا غير الحاف اي ليس لهم سؤال فيكون الحافا والالحاف الالحاح ودليل هذا القول قوله
تعالى يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف اي من القناعة ولو كانوا يسألون لكان يعرفهم بالسؤال لا بالسيما
وانما سمي الملح في السؤال ملحفا لانه يلصق بالمسؤل ويشتمل على وجود الطلب في المسيلة كاشتمال اللحاف
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده ويكره
البوس والتباوس ويحب الحليم المتعفف ويبغض الفاحش البذي السايل الملحف • وقال صلى الله عليه
وسلم من سال وله ما يغنيه جات مسيلته يوم القيمة كدوحا او خموشا او خدوشا في وجهه • وقيل
وما غناه قال خمسون درهما قوله تعالى وما تنفقوا من خير فان الله به عليم اي ما تصدقوا به من مال
فان الله به عليم يجزيكم به قوله عز وجل الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال ابن عباس ومقاتل نزلت هذه الاية في علي
رضي الله عنه كانت له اربعة دراهم لم يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم
سرا وبدرهم علانية فنزلت هذه الاية • وعن ابن عباس قال لما نزل قوله تعالى للفقراء الذين احصروا
في سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة الى اصحاب الصفة حتى اغناهم وبعث علي بن ابي
طالب رضي الله عنه في جوف الليل بوسق من التمر والوسق ستون صاعا فكان احب الصدقتين الى الله
تعالى صدقة علي كرم الله وجهه ونزل فيهما قوله تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا
وعلانية اراد بالليل سرا صدقة علي رضي الله عنه وبالنهار علانية صدقة عبد الرحمن
رضي الله عنه • وروي ايضا عن ابن عباس في هذه الاية الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار يعني
في علف الخيل المرتبطة في سبيل الله وكان ابو هريرة اذا مر بفرس سمين تلا هذه الاية فاذا مر
بفرس اعجف سكت • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من ارتبط فرسا في سبيل الله

فانفق عليه احتسابا كان شبعه وجوعه وريه وظماؤه وبوله وروثه في ميزانه يوم القيمة •
وقال صلى الله عليه وسلم المنفق في سبيل الله على فرسه كالباسط كفيه بالصدقة قوله تعالى
فلهم اجرهم عند ربهم • قال الاخفش وقطرب جعل الخبر بالفاء لانه في معنى من وجواب من بالفاء كانه
قال من انفق كذا فله اجره عند ربه وقوله تعالى ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قد تقدم تفسيره
قوله تعالى عز وجل **الذين ياكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**
معناه الذين ياكلون الربا في الدنيا لا يقومون في الاخرة من قبورهم لعظم بطونهم الا كما يقوم في الدنيا
الذي يضربه ويصيبه الشيطان من المس اي من الجنون • روي انهم يبعثون يوم القيمة وقد انتفخت
بطونهم كلما قاموا سقطوا والناس يمشون عليهم وهم كالمجانين • قال الحسن هذه علامة اكلة
الربا يعرفون بها يوم القيمة قوله تعالى **ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا** ومعناه كان الرجل
اذا حل ماله طلبه فيقول المطلوب زدني في الاجل وازيدك في مالك فيفعلان ذلك فاذا قيل
لهم ان هذا ربا قالوا هما سوا والزيادة في اخر البيع بعد الاجل كالزيادة في اول البيع اذا بعت
بالنسيئة سوا وليس الامر كما يوهمون لان الزيادة في الثمن في اخر البيع لاجل الايعاد في الاجل بعد
ما صار الثمن دينا في الذمة يكون عوضا عن الاجل والاعتياض عن الاجل باطل • واما الزيادة في
الثمن في اصل العقد تكون مقابلة للبيع ويجوز بيع المبيع بثمن قليل وثمن كثير قوله تعالى **واحل
الله البيع وحرم الربوا** اي احل الله الزيادة في اول البيع وحرم الزيادة في اخره قوله تعالى
فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله اي فمن جاءه زجر من ربه ونهي عن
الربا فانتهى فله ما مضى من اكله الربا قبل النهي لا اثم عليه في ذلك وامره فيما بقي من عمره الى الله
ان شاء عصمه وان شاء لم يعصمه • وقيل معناه فله ما سلف اي له ما اخذ من الربا قبل التحريم وامره
الى الله في المستأنف في العفو والتجاوز وانما لم يقل فمن جاءته موعظة من ربه لان تانيث الموعظة
ليس بحقيقي فيجوز تذكيره ويجوز ان يصرف الى المعنى كانه قال فمن جاءه وعظ ونهي من ربه عن الربا
قوله تعالى **ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** اي من عاد الى اكل الربا فاولئك

اصحاب النار

اصحاب النار هم فيها دائمون الى ما شاء الله • وقيل معناه من عاد بعد النهي الى قوله انما البيع
مثل الربوا فاولئك اهل النار هم فيها مقيمون • لان مستحل الربا كافر لانكاره اية من كتاب الله تعالى
وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سياتي على الناس زمان
لا يبقى احد الا اكل الربا فان لم ياكله اصابه من غباره • وعن عبد الله بن مسعود قال اكل الربا وموكله
وكاتبه وشاهده اذا علموا به ملعون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة • وقال
صلى الله عليه وسلم الربا بضع وسبعون بابا ادناها كاتيان الرجل امه • والخبط في اللغة هو
الضرب على غير استواء يقال خبط البعير اذا ضرب بيده والمس الجنون • يقال رجل ممسوس اي مجنون
قوله عز وجل **يمحق الله الربوا ويربي الصدقات** معناه يهلك الله الربا ويذهب بركته والمحق
نقصان الشيء حالا بعد حال • ويقال ان الربا ينقص حالا بعد حال الى ان يتلف كله قوله ويربي الصدقات
اي يقبلها ويعطي خلفها في الدنيا ويضاعف ثوابها في الاخرة واحدة الى عشر الى سبعين الى سبعمائة الى
ما شاء الله من الاضعاف • كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يقبل الصدقات
ولا يقبل منها الا الطيبة ويربيها لصاحبها كما يربي احدكم مهره وفصيله حتى ان اللقمة تصير مثل
احد قوله تعالى **والله لا يحب كل كفار اثيم** اي يبغض كل جاحد بتحريم الربا فاجر عاص باكله واستحلاله
وانما قال كفار ولم يقل كافر ليبين ان مستحل الربا مع كونه كافر كفار للنعمة والاثيم المتمادي في
الاثم والاثم الفاعل للاثم قوله عز وجل **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا
الزكوة** الاية معناه ان الذين امنوا بالله وكتبه ورسله وتحريم الربا وعملوا الصالحات فيما بينهم و
بين ربهم واتموا الصلوات الخمس واعطوا الزكوة المفروضة من اموالهم فلهم جزاؤهم وثوابهم في الاخرة
عند ربهم ولا خوف عليهم اذا ذبح الموت ولا هم يحزنون اذا اطبقت النار على اهلها قوله عز
وجل **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين** قال ابن عباس نزلت
هذه الاية في نفر من ثقيف مسعود وحبيب وربيعة وعبد ياليل بني عمرو بن عمير الثقفي كانت لهم
ديون على بني المغيرة وكان بنو المغيرة يربونهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على اهل

مكة وضع الربا كله وكان اهل الطايف قد صالحوا على ان لهم رباهم من الناس يأخذونه
وما كان عليهم من ربى الناس فهو موضوع عنهم لا يوخذ منهم فقال صلى الله عليه وسلم اكتب فى آخر
كتابهم ان لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فلما حل الاجل طلبت ثقيف من بنى المغيرة رباهم فقالت
بنوا المغيرة ما بالنا نكون اشقى الناس وضع الربا عن الناس كلهم ويوخذ منا خاصة فقالت لهم
ثقيف انا صالحنا على ذلك فاختصموا الى امير مكة وهو عتاب بن اسيد فلم يدر ماذا يقضى بينهم
فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فانزل الله هذه الآية خطابا لثقيف •
ومعناها يا ايها الذين آمنوا اخشوا الله واتركوا ما بقى من الربى فانه لم يبق غير رباكم ان كنتم مومنين
اى مصدقين بتحريم الربى فهذا احكمه قوله عز وجل فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اى
ان لم تقبلوا امر الله ولم تقروا بتحريم الربى ولم تتركوه فاعلموا انكم كفار يحاربكم الله ورسوله
اى يعذبكم الله فى الآخرة بالنار ويعذبكم رسوله فى الدنيا بالسيف والاذن الاعلام • ومن
قرا فاذنوا اى فاعلموا اصحابكم المتمسكين بمثل ما انتم عليه ان من عامل بالربى مستحلا وله حارب
الله ورسوله • وقيل معنى الآية فان لم تتركوا ما بقى من الربى بعد نزول الامر بتركه فاذنوا بحرب
من الله ورسوله ومثل هذا اللفظ لا يوجب الاكفار لان لفظ محاربة الله ورسوله تطلق على
ما دون الكفر كما فى آية قطاع الطريق وهذا الحكم فى آية الربا انما هو مستقيم اذا اجتمع اهل بلدة
لهم منعة وقوة على المعامله بالربا وكانوا محرمين له فان الامام يستتيبهم فان تابوا والا قاتلهم
واما اذا عامل احد او جماعة قليل عددهم معاملة الربا فان الامام يستتيبهم فان تابوا والا
زجرهم وحبسهم الى ان يظهروا توبتهم • وقد روى عن ابن عباس وقتادة والربيع فيمن اربى ان الامام
يستتيبه فان تاب والا قتله فهذا محمول على ان يفعله مستحلا له لانه لا خلاف بين العلماء انه ليس
بكافر اذا اعتقد تحريمه قوله تعالى فان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون اى
فان رجعتم عن استحلال الربا واقررتم بتحريمه • ويقال ان تبتم عن معاملة الربا فلكم رؤس اموالكم
التى اسلفتموها بنى المغيرة لا تظلمون بطلب الزيادة على راس المال ولا تظلمون بحبس راس المال عنكم

من الله

قال ابن

قال ابن عباس فلما نزلت هاتان الآيتان كتب بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عتاب فقراهما
على ثقيف فقالوا بل نتوب الى الله فانه لا يدان لنا بحرب الله ورسوله ثم طلبوا روس اموالهم من بنى المغيرة
فقالت بنوا المغيرة نحن اليوم اهل عسر فاخرونا الى ان تدرك الثمر فابوا ان يوخروهم فنزل قوله
عز وجل وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة اى ان كان المطلوب ذا ضيق وشدة فتاخير الى سعة
ويسار • وروى عن ابن عباس وشريح وابراهيم ان الانظار انما يجب فى الدين يعنى دين الربا خاصة
وكان شريح يحبس المعسر فى غيره من الديون • وعن ابى هريرة والحسن والضحاك ان ذلك واجب فى كل دين
وهذا هو الاصح لان نزول الآية فى راس مال الربا لا يمنع اعتبار ساير الديون بها بالاستدلال
والقياس • وذهب بعض النحويين الى ان الرفع فى قوله تعالى ذو عسرة دليل على انه ابتداء على
معنى وان وقع ذو عسرة او وجد ذو عسرة ولو كان هذا مختصا بالربا لقال وان كان ذا عسرة
بالنصب ويحتمل ان يكون تقديره الرفع وان كان ذو عسرة غريما لكم ومن قرا ميسرة بضم السين فهى لغة
وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انظر معسرا او وضع له
اظله الله فى ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله • وقال صلى الله عليه وسلم من احب ان يستجاب دعوته
وتكشف كربته فلييسر على المعسر • وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انظر
معسرا كان له بكل يوم صدقة • وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اذان دينا وهو ينوى ان لا يوديه فهو سارق • وعن ابى قتادة ان رجلا اتى به الى النبى صلى الله
عليه وسلم ليصلى عليه فقال هل عليه دين قالوا نعم فتاخر وقال صلوا على صاحبكم قال ابو قتادة
انا اكفل به فقال صلى الله عليه وسلم بالوفا قال بالوفا فصلى عليه وكان عليه ثمانية عشر
درهما او تسعة عشر درهما • وعن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من خطيئة اعظم عند الله عز وجل بعد الكباير من ان يموت الرجل وعليه اموال
الناس دينا وعنقه لا يوخذها قضاء قوله عز وجل وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون
اى وان تصدقوا براس المال فهو افضل ان كنتم تعلمون ثواب من انظر معسرا او وضع عنه قوله

تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية هذا تحذير من الله عز وجل ان يوا في العباد ذلك
اليوم على غرم وغفلة وتقصير في اوامر الله ومخالفته فيما احل وحرم يقول اخشوا عذاب يوم ترجعون
فيه الى جزا الله قوله تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون اى توفى كل نفس جزا ما عملت
من خير او شر وهم لا يظلمون اى لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد في سيئاتهم • قرا ابو عمرو ويعقوب
ترجعون بفتح التاء واعتبره بقراة ابى واتقوا يوما تصيرون فيه الى الله • وقرا الباقون ترجعون
بضم التاء اعتبارا بقراة عبد الله واتقوا يوما تردون فيه الى الله • قال ابن عباس هذه اخر اية نزلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما حج البيت نزل عليه جبريل عليه السلام وهو
واقف بعرفة بقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم الآية ثم نزل بعد ذلك هذه الآية واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله الآية قالوا يا رسول الله ضعها على راس ثمانين وما تين اية من سورة البقرة فقبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية بسبعة ايام • قال المفسرون لما نزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم انك ميت وانهم ميتون قال ليتنى اعلم متى ذلك فانزل الله اذا جاء نصر الله
والفتح قال اما ان نفسى نعيت الى ثم بكا بكاء شديدا فقيل له يا رسول الله اتبكى من الموت وقد
غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال واين خوف المطالع واين ضيق القبر وظلمة اللحد واين القيمة
والاهوال فعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية عاما ثم نزل قوله لقد
جاءكم رسول من انفسكم الى اخر السورة فعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها ستة اشهر
ثم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حجة الوداع نزل عليه في الطريق يستفتونك
قل الله يفتيكم في الكلالة الى اخرها • ثم نزل بعدها وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم
الآية • فعاش بعدها احدى وثمانين ليلة • ثم نزل بعدها ايات الربى • ثم نزل بعد ذلك
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وهي اخر اية نزلت • فعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعدها احدى وعشرين ليلة • قال ابن جريج تسع ليال • وقال ابن جبير ومقاتل سبع ليال •
ثم مات يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الاول حين زاغت الشمس سنه احدى عشرة من الهجرة

قوله

120

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه قال ابن عباس لما حرم
الربا اباح السلم وظاهر الآية على كل دين من سلم وغيره ومعنى الآية يا ايها الذين امنوا اذا تبايعتم
بالنسيئة الى وقت معلوم فاكتبوا الدين باجله واشهدوا عليه وكيدا وتحدث نفس احدكم بالطمع
في حق صاحبه ولا يقع الشك في مقداره ولا جحود ولا نسيان والدين ما كان موجلا والعين ما
كان حاضرا • واختلفوا في هذه الكتابة انها فرض او ندب فذهب ابو سعيد الخدرى والحسن
والشعبى ان الكتابة والاشهاد على الديون الآجلة كانا واجبين بهذه الآية ثم نسخا بقوله تعالى
فان امن بعضكم بعضا • وقال ابن عباس لا والله ان اية الدين محكمة ما فيها نسخ وهو قول الربيع و
كعب وهذا هو الاصح لان الامر بالكتابة والاشهاد دائما ورد مقرونا بقوله فان امن بعضكم بعضا
ويستحيل ورود الناسخ والمنسوخ معا في شيء واحد فكان المراد بالامر الندب والفايدة في قوله
الى اجل مسمى بيان وجوب علوم الاجل فان جهالة الاجل في البياعات مفسدها • وقال بعضهم
ان الكتابة فرض واجب • قال ابن جريج من ادان فليكتب ومن باع فليشهد • يدل عليه ما روى
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلثه يدعون الله فلا يستجاب لهم رجل كان له دين فلم يشهد
ورجل اعطا سفيها مالا وقد قال تعالى ولا توتوا السفها • ورجل كانت عنده امراة سيئة الخلق
فلم يطلقها • وقال قوم مستحب فان كتب فحسن وان ترك فلا باس كقوله تعالى واذا حللتم
فاصطادوا وقوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا قوله تعالى وليكتب بينكم كاتب
بالعدل قرا الحسن وليكتب بكسر اللام وهذه لام الامر وهي اذا كانت مفردة فليس فيها الا الحركة
واذا كان قبلها واو او فا او ثم فاكثر العرب على تسكينها طلبا للخفة ومنهم من يكسرها على الاصل
ومعنى هذه الآية وليكتب كاتب بين البايع والمشترى والطالب والمطلوب بالحق والانصاف
فلا يزيد فيه ولا ينقص منه ولا يقدم الاجل ولا يوخره قوله تعالى ولا يأب كاتب ان يكتب
كما علمه الله اى لا يمتنع ان يكتب كما الهمه الله شكرا لما انعم عليه حيث علمه الكتابة و
احوج غيره اليه فليكتب واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب والشهادة على الشاهد

هو صح

فقال مجاهد والربيع واجب على الكاتب ان يكتب • وقال الحسن ذلك فى الموضع الذى لا يقدر فيه
على كاتب غيره فيضر بصاحب الدين ان يمتنع فان الكتابة حينئذ عليه فريضة وان قدر على كاتب
غيره فهو فى سعة اذا قام به غيره • وقال الضحاك كان هذا واجبا فنسخه قوله تعالى ولا يضار
كاتب ولا شهيد • وقال السدى هو واجب عليه فى حال فراغه • وقال الشعبى هو واجب على الكفاية
كالجهاد والصحيح ان الكتابة غير واجبة فى الاصل على المتداينين فاذا لم يكن واجبة عليهم فكيف
تكون واجبة على الاجنبى الذى لا حكم له فى هذا العقد ولا سبب قوله تعالى وليملل الذى عليه
الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا يعنى المديون المطلوب مقر على نفسه بلسانه ليعلم ما
عليه ويمل على الكاتب والاملال والاملاء بمعنى واحد وهما لغتان فصيحتان جاء بهما القرآن • ثم
خوفه الله تعالى فقال وليتق الله ربه اى وليخش الله ولا ينقص من الحق الذى عليه شيئا قوله عز وجل
فان كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل اى فان كان
المطلوب الذى عليه المال سفيها او خفيف العقل جاهلا بالاملاء لا يميز تمييزا صحيحا قاله مجاهد
وقال السدى يعنى عاجزا لا يستطيع ان يمل لعجمة او زمانة وقوله تعالى ضعيفا اى ضعيفا فى العقل مثل
الصبى والمراة او شيخا كبير السن وقوله تعالى او لا يستطيع ان يمل هو يعنى لمرض او خرس او جنس لا
يمكنه حضور الكتاب او يجهل ما له وعليه قوله فليملل وليه بالعدل اى الذى يقوم بامره وقوله
تعالى بالعدل اى بالحق • وقال ابن عباس والربيع ومقاتل معناه فليملل ولى الحق وهو صاحب الدين
لانه اعلم بدينه يملى بالعدل والصدق والحق والانصاف قوله تعالى واستشهدوا شهيدين من
رجالكم يعنى اشهدوا على الحق شهيدين من الاحرار البالغين دون الكفار والعبيد والصبيان وهذا
مذهب مالك وابى حنيفة والشافعى وسفيان واكثر الفقها واجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد
واجاز بعضهم شهادتهم فى الشى التافه قوله تعالى فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان الاية اى فان
لم يكن الشاهدان رجلين فليكن رجل وامراتان او فليشهد رجل وامراتان قوله ممن ترضون من الشهدا
اى ممن ترضون عدالته وامانته والمرضى من يجتمع فيه ثلثه اشيا احدها العدالة واصلها

الايمان واجتناب الكباير ومراعاته حقوق الله من الواجبات والمسنونات وصدق اللهجة
واداء الامانة • والثانى نفى التهمة نحو ان لا يكون المشهود له ولدا ولا والدا ولا زوجة
ولا زوجا فان شهادة هولاء غير مقبولة لمن ذكرنا كانوا عدولا مرضيين • والثالث التيقظ
وقلة الغفلة وان لا يكون كثير الغلط • قال النخعى الرجل العدل هو من لم يظهر فيه ريبة • و
قال الشعبى هو من لا يطعن عليه فى بطن ولا فرج • وقال الحسن هو من لم تعلم له خيانة • وقال
صلى الله عليه وسلم لا يجوز شهادة خاين ولا خاينة ولا مجلود ولا ذى حقد على اخيه
ولا من جرت عليه شهادة زور ولا الخادم مع اهل البيت • وعن ابن عباس قال سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الشهادة فقال اترى هذه الشمس فقال نعم قال على مثلها فاشهد او دع
قوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى معناه ان تذكر الذاكرة الناسية
ان نسيت • ومعنى تضل تنسى كقوله تعالى قال فعلتها اذا وانا من الضالين وقوله تعالى
فتذكر معطوف على تضل • وقرا الاعمش ان تضل بكسر الهمزه فتذكر بالرفع ومعناه الجزا والابتدا
وموضع تضل جزم بالجزا الا انه لا يبين فيه للتضعيف فتذكر رفعا لان ما بعد فا الجزا مبتدا
وقيل فى تفسير الاية ان تتسعت احدى المراتين عن ادا الشهادة بعضها الاخرى حتى يشهد • ومن
قرا فتذكر بالتخفيف فالاذكار والتذكير بمعنا واحد • وقيل فى معنى التخفيف تجعلها ذكرا اى
يقوما نمقام رجل • قرا زيد بن اسلم فتذاكر احداهما الاخرى من المذاكرة • وقرا ابن كثير وابو عمرو
ويعقوب فتذكر بالتخفيف • وقرا الباقون فتذكر بالتشديد قوله تعالى ولا ياب الشهداء
اذا ما دعوا اى لا يمتنعوا اذا دعوا الى اقامة الشهادة عند الحكام وهذا قول مجاهد وعطا و
عكرمة وابن جبير والضحاك والسدى • وقال بعضهم هذا فى تحمل الشهادة وهو امر ايجاب ايضا •
قال قتادة كان الرجل يطوف فى الحى العظيم فيه القوم فيدعوهم الى الشهادة فلا يتبعه احد منهم فانزل الله
هذه الاية • وقال الشعبى هو مخير فى تحمل الشهادة اذا وجد غيره فاذا لم يوجد غيره وجب عليه التحمل
وقال بعضهم هذا امر ندب وهو مخير فى جميع الاحوال وهو قول عطا • وقال المغيرة قلت لابراهيم

اني دعي الى الشهادة واني خاف ان انسا قال فلو نحمل ان شئت • وقال الحسن هذه الآية في التحمل والاقامة
اذا كان فارغا قوله تعالى ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله اي لا تملوا ان تكتبوا الحق
قليلا او كان الحق او كثيرا الى محله يقال سأمت اسأم سآمة اذا مللت قال زهير • سئمت تكاليف الحيوة
ومن يعش • ثمانين حولا لا ابا لك يسأم • وقال لبيد • ولقد سئمت من الحيوة وطولها • وسؤال هذا
الناس كيف لبيد • وان في موضع نصب من وجهين ان شئت جعلته مع الفعل مصدرا واوقعت
السآمة عليه تقديره ولا تسأموا كتابته وان شئت نصبته بنزع الخافض والها راجعة الى الحق اي
ولا تسأموا من ان تكتبوه • وقرأ السلمي ولا يسأموا بالياء وقوله تعالى صغيرا او كبيرا انتصب من وجهين
احدهما على الحال من الها والثاني ان يجعله خبرا لكان المحذوفة تقديره صغيرا كان الحق او كبيرا
قوله عز وجل ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى ان لا ترتابوا اي الكتاب اعدل عند
الله احصى للاجل واحفظ للشهادة واقرب ان لا تشكوا في مقدار الحق ومقدار الاجل • وفي هذا دليل
انه لا يجوز اقامة الشهادة الا مع الريب • كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا رايت مثل الشمس فاشهد والا فدع قوله تعالى الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم
قرأ عاصم تجارة بالنصب على خبر كان واضمر اسمها تقديره الا ان تكون المداينة تجارة او المبايعة تجارة
وقرأ الباقون بالرفع لوجهين احدهما ان تكون الكون بمعنى الوقوع تقديره الا ان تكون تجارة فحينئذ
لا خبر له • والثاني ان تجعل تجارة اسم تكون والخبر تديرونها تقديره الا ان تكون تجارة حاضرة دايرة
بينكم ومعنى الآية الا ان تقع تجارة حالة يدا بيد فليس عليكم جناح في ترك الكتابة في تلك التجارة لانه
ليس فيه اجل ولا نسيئة وهذا توسعة من الله للعباد لكيلا يضيق عليهم امر بياعاتهم في المأكول و
المشروب والاشيا التي تمس حاجتهم اليها في اكثر الاوقات ويشق عليهم كتابة جميعها قوله تعالى و
اشهدوا اذا تبايعتم اي اشهدوا على حقوقكم اذا بعتم واشتريتم وهذا محمول على البياعات النفيسة
فاما القدر اليسير الذي ليس في العادة التوثق بالاشهاد فيه نحو شرا الخبز والبقل وما جرى مجراه فغير
داخل في هذا الخطاب • قال الضحاك قوله واشهدوا اذا تبايعتم هذا الاشهاد واجب في صغير الحق

وكبيره

وكبيره ونقده ونسيانه ولو كان على ناقة • وقال آخرون هو امر ندب ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد
قوله عز وجل ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل وجهين احدهما لا يضار الكاتب ولا الشاهد الطالب
ولا المطلوب يعني لا يكتب الكاتب الا بالحق ولا يشهد الشاهد الا بالحق تقديره لا يضارر على النهي • والثاني على
اسم ما لم يسم فاعله اي لا يدعا الكاتب وهو مشغول لا يمكنه ترك شغله الا بضرر يدخل عليه و
كذلك لا يدعى الشاهد ومجيئه يضر به قوله تعالى وان تفعلوا فانه فسوق بكم اي لا تقصدوا المضارة
بعد نهي الله تعالى عنها فانه اثم وخروج من امر الله وقوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله اي واتقوا
الله في الضرر ولا تعصوه فيما امركم به ويعلمكم الله ما به قوام دينكم ودنياكم والله بكل شيء من اعمالكم
عليم يعلم ما تعملون في الكتابة والشهادة قوله عز وجل وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان
مقبوضة الآية معناه اذا كنتم مسافرين ولم تجدوا كاتبا يكتب الوثيقة بالحق فالوثيقة رهان
يقبضها الذي له الحق • قرأ ابن عباس وابو العالية ومجاهد كتابا يعني الصحيفة والدواة قالوا لانه
ربما تجد الكاتب ولا تجد المداد والصحيفة • وقرأ الضحاك كتابا على جمع الكاتب • وقرأ الباقون
كاتبا وهو المختار لموافقة المصحف وقوله تعالى فرهان مقبوضة قرأ ابن عباس ومجاهد وابن
كثير وابو عمرو فرهن • وقرأ عكرمة وعبد الوارث فرهن باسكان الها • وقرأ الباقون فرهان
وهو جمع رهن مثل بغل وبغال وجبل وجبال • والرهن جمع رهان وهو جمع الجمع قال الفرا والكسائي
وقال ابو عبيد هو جمع رهن مثل سقف وسقف قوله تعالى فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي
اؤتمن امانته وليتق الله ربه اي ان كان الذي عليه الحق امينا عند صاحب الحق فلم يرتهن منه شيئا
لثقته وحسن ظنه فليؤد الذي اؤتمن امانته اي فليؤد المطلوب امانته بان لا يبخس ولا يجحد قوله
تعالى ولا تكتموا الشهادة اي لا تكتموها عند الحكام ولا تمتنعوا عن ادائها ومن يكتمها فانه آثم قلبه
اي فاجر سريرته واضاف الاثم الى القلب وان كان الآثم هو الكاتم لان اكتساب الاثم بكتمان الشهادة يقع
بالقلب وهذا ابلغ في الوعيد واحسن في البيان لان كاتم الشهادة يلحقه الاثم من وجهين احدهما
العزم على ان لا يؤدي • والثاني ترك ادائها باللسان قوله تعالى والله بما تعملون عليم اي عليم بما

تعملون به من كتمان الشهادة واقامتها واداء الامانة والخيانة فيها عالم لا يخفى عليه شيء مما تفعلون
ولا خلاف بين العلماء في جواز الرهن في الحضر • لان النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي طعاما
الى اجل ورهنه درعه والفايدة في ذكر السفر في الاية ان الاغلب من حال السفر عدم الشهود والكاتب
فخص الرهن بحال السفر • وعن مجاهد انه كان يكره الرهن في الحضر قوله عز وجل لله ما في السموات وما في
الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اختلف المفسرون في هذه الاية فقال
قوم هي خاصة • واختلفوا في خصوصها فقال بعضهم نزلت في كتمان الشهادة واقامتها يعني وان تبدوا
ما في انفسكم ايها الشهود من كتمان الشهادة او تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا قول الشعبي وعكرمة
ورواية مجاهد عن ابن عباس يدل عليه قوله تعالى فيما قبلها ولا تكتموا الشهادة الاية • وذهب بعضهم
الى انها عامة في الشهادة وفي غيرها • ثم اختلفوا في وجه عمومها فقال بعضهم منسوخة • وروي انه
لما نزلت هذه الاية جاء ابو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وناس من الانصار الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجثوا على الركب وقالوا يا رسول الله ما نزل علينا اية اشد من هذه ان احدنا
ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه يعني يحدث نفسه بامر من المعصية ثم لا يعمل بها وانا لمواخذون
بما يحدث به نفوسنا اذا هلكنا • فقال صلى الله عليه وسلم هكذا نزلت فقالوا كلفنا من العمل
ما لا نطيق فقال صلى الله عليه وسلم افتقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا فقالوا بل سمعنا
واطعنا يا رسول الله واشتد عليهم ذلك فمكثوا حولا فانزل الله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا
وسعها فنسخت ما قبلها • فقال صلى الله عليه وسلم ان الله يجاوز لامتي ما حدثت به
انفسها ما لم يعملوا او يتكلموا به وهذا قول ابن مسعود وابي هريرة وعايشة وابن عباس برواية ابن
جبير وعطاء وابن سيرين وقتادة والكلبي وشيبان • وقال بعضهم لا يجوز ان يكون هذه الاية منسوخة
لانها خبر من عند الله والخبر لا يحتمل النسخ لانه خلف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا لكن المراد بالاية
اظهار العمل واخفاؤه • وقال الربيع هذه الاية محكمة لم ينسخها شيء فان الله تعالى يعرف عبده يوم القيمة
يقول انك اخفيت في صدرك كذا وكذا في ساعة كذا وكذا ويحاسبه على ما اسر واعلن من حركة

فيجوارحه

في جوارحه وهمة في قلبه فهكذا يصنع بكل عباده ثم يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وقيل انه لا
يؤاخذ المؤمن بما حاسبه من ذلك فمعناه وان يظهروا ما في انفسكم من المعاصي وتضمروا ارادتها في
انفسكم فتخفوها يحاسبكم به الله اي يخبركم بها ويحاسبكم عليها ثم يغفر لمن يشا ويعذب من يشا
وهذا قول الحسن والربيع ورواية الضحاك عن ابن عباس يدل عليه قوله تعالى ولا تقف ما ليس
لك به علم ان السمع والبصر والفواد كل اوليك كان عنه مسولا • وقال اخرون معنى الاية ان الله
يحاسب خلقه بجميع ما ابدوا من اعمالهم واخفوا ويعاقبهم عليه غير ان معاقبته اياهم على ما
اخفوها مما لم يعملوها بما يحدث في الدنيا من النوايب والمصايب والامور التي يحزنون عليها و
يالمون بها مثل الحما وغير ذلك حتى الشوكة يشاكها والشيء يضع فيفقده فيراع عليه ثم يجده وهذا
قول عايشه رضي الله عنها • وقال بعضهم معناه وان تبدوا ما في انفسكم من الاعمال الظاهرة او
تخفوه من الاحوال الباطنة يحاسبكم به الله العابد على فعاله العارف على احواله • وقال بعضهم
ان الله تعالى يقول يوم القيمة هذا يوم تبلى السراير ويخرج الضماير وان كتابي لم يكتبوا الا ما ظهر من
اعمالكم وانا المطلع على سرايركم مما لم يعلموه ولا يكتبوه فانا اخبركم بذلك واحاسبكم لتعلموا انه لا يعزب
عني مثقال ذرة من اعمالكم ثم اغفر لمن شئت واعذب من شئت • فاما المومنون فيخبرهم بذلك كله و
يغفرهم ولا يؤاخذهم بذلك اظهارا لفضله • واما الكافرون فيخبرهم بها ويعاقبهم عليها اظهارا لعدله
فمعنى الاية وان تبدوا ما في انفسكم فتعملوا به او تخفوه مما اضمرتم واسررتم ونويتم يحاسبكم به
الله ويعرفكم اياه فيغفر للمومنين ويعذب الكافرين يدل عليه قوله تعالى يحاسبكم به الله ولم يقل
يؤاخذكم به الله والمحاسبة غير المعاقبة فالحساب ثابت والعقاب ساقط • وقال الحسن بن مسلم
يحاسب الله المؤمن بالمنة والفضل والكافر بالحجة والعدل • وقيل في تاويل الاية انها وردت فيما
يواخذ به العبد فيما بينه وبين الله تعالى • وتاويل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يجاوز لامتي
ما حدثت به انفسها ما لم يعملوا او يتكلموا به انما ورد فيما يلزم العبد من احكام الدنيا فلا يقع عتقه
ولا طلاقه ولا بيعه ولا هبته بالنية ما لم يتكلم • ومن نظاير هذه الاية ولكن يؤاخذكم بما كسبت

قلوبكم وقوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشه فى الذين امنوا لهم عذاب اليم • ويدل على ذلك
ان من احب ما سعصه الله او بعض ما يحبه الله كان معاقبا على ذلك وان لم يعمل الا بقلبه • وقال
بعضهم ان الاخفا فى هذه الاية ان يصر على السوء ويهم به ثم لا يصل اليه ولا يتمكن منه وهذا القول
حسن جدا اختاره جماعة من المفسرين قوله تعالى فيغفر لمن يشا ويعذب من يشا رفعهما ابو جعفر وابن عامر
والحسن وعاصم ويعقوب على الابتدا اى فهو يغفر ونصبهما ابن عباس على الصرف وجزمهما الباقون عطفا
على يحاسبكم وقوله تعالى والله على كل شىء قدير يعنى من المغفرة والعقوبة قوله عز وجل امن الرسول بما انزل
اليه من ربه والمؤمنون الاية وذلك انه لما سبق فى السورة ذكر احكام كثيرة اثنى الله على من امن بها
وقبلها • وقال عز من قايل من الرسول بجميع الاحكام التى انزلها الله تعالى وكذلك المومنون كلهم امنوا
بالله وقوله تعالى وملئكته انما اتى بالملائكة لان حيا من خزاعة كانوا يقولون الملئكة بنات
الله • فقال صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ان الملائكة عباد الله قوله تعالى وكتبه قرا ابن عباس
وعكرمة والاعمش وحمزة والكساى وخلف وكتابه بالالف • وقرا الباقون وكتبه بالجمع وهو ظاهر
كقوله وملئكته ورسله وللتوحيد وجهان احدهما انهم ارادوا القران خاصه • والثانى انهم
ارادوا جميع الكتب كقول العرب كثر الدرهم والدينار فى ايدى الناس يريدون الدراهم والدنانير
يدل عليه قوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب وقوله تعالى ورسله
قرا الحسن ورسله بسكون السين لكثرة الحركات قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله اى لا نفعل
كما فعل اهل الكتاب امنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض وفى مصحف عبد الله لا يفرقون بين احد من رسله
وقرا جرير بن عبد الله بن سعيد بن جبير ويحيى بن يعمر ويعقوب لا يفرق بالياء بمعنى لا يفرق الكل ويجوز
ان يكون خبرا عن الرسول • وقرا الباقون بالنون على اضمار القول تقديره قالوا لا نفرق كقوله تعالى و
الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اى يقولون سلام عليكم قوله عز وجل وقالوا سمعنا
واطعنا اى سمعنا قولك واطعنا امرك • وقيل معنى اطعنا قبلنا ما سمعنا بخلاف ما قالت اليهود •
وقوله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير اى اغفر غفرانك يا ربنا • وقيل معناه نسالك غفرانك

فالاول مصدر والثانى مفعول وقوله تعالى واليك المصير اى نحن مقرون بالبعث ومعنى قوله واليك
اى الى جزائك وهذا كما قال عز وجل حكاية عن ابراهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى اى الى حيث امرنى
ربى قوله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قرا ابراهيم بن ابى عبلة
الا وسعها بفتح الواو وكسر السين على الفعل يريد الا وسعها امر ومعنى الاية لا يكلف الله نفسا فرضا
من فروضها من صوم او صلوة او صدقة او غير ذلك من حديث النفس الا مقدار طاقتها كما قال صلى الله
عليه وسلم لعمران بن الحصين صل قايما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنبك تومى ايماء
قال قوم لو كلف الله العباد فوق وسعهم لكان ذلك له لان الخلق خلقه والامر امره ولكنه اخبر
انه لا يفعله قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت يعنى النفس لها جزا ما عملت من الخير والعمل
الصالح اى لها اجره وثوابه وعليها وزر ما اكتسبت من المعصية والعمل السى لا يواخذ احد بذنب
احد ولا تزر وازرة وزر اخرى • والفرق بين الكسب والاكتساب ان الكسب فعل الانسان لنفسه
ولغيره والاكتساب ما يفعله لنفسه خاصة • وقيل لا فرق بينهما فى اللغة فعلى القول الاول وصف
المسىء بالاكتساب لان وزره لا يعدوه ومعصيته لا تضر غيره • ووصف المحسن بالكسب لان
غيره يشاركه فى ثوابه بالهداية والشفاعة قوله تعالى ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا
اى لا تعاقبنا ان نسينا طاعتك او اخطانا فى امرك • وقال الكلبى ان جهلنا او تعمدنا فذهب الى
الخطا الذى هو ضد الصواب لا ضد القصد • يقال خطى اذا تعمد واخطا اذا نسى وقد يقال اخطا اذا
تعمد • وقيل معنى الاية ان تركنا امرا او اكتسبنا خطيئة والنسيان بمعنى الترك معروف فى الكلام كما فى
قوله تعالى نسوا الله فنسيهم اى تركوا ذكر الله وامر فتركهم فى العذاب والمراد بالمواخذة والنسيان
سقوط الاثم فى الاخرة فاما فى حكم الدنيا فلا يرتفع التكليف منه اذا ذكر بعد النسيان • كما قال
صلى الله عليه وسلم من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها • وكذلك الخطا مرفوع
الاثم فى الاخرة وهو تاويل الخبر المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتى الخطا والنسيان
وما استكرهوا عليه • فاما فى احكام الدنيا فيتعلق به الحكم لان الله نص على لزوم قتل الخطا فى

ايجاب الدية والكفارة • قال الكلبي كانت بنو اسرائيل اذا نسيوا شيئاً مما امروا به او اخطأوا عجلت لهم
العقوبة فيحرم عليهم شيء من مطعم او مشرب على حسب ذلك الذنب فامر الله نبيه صلى الله عليه
وسلم والمؤمنون ان يسألوه ترك مؤاخذتهم • وقال ابن زيد قوله تعالى ان نسينا اي ان نسينا شيئاً مما
افترضته علينا او اخطأنا شيئاً مما حرمته علينا قوله عز وجل ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته
على الذين من قبلنا اي لا تحمل علينا ثقلا ويقال عهداً كما حملته على بني اسرائيل بجرم منهم امرتهم بقتل بعضهم
بعضاً وحرمت عليهم الطيبات بظلمهم وكما كانوا مامورين بقطع موضع النجاسة من الثياب وكانوا مامورين
باداء ربع اموالهم في الزكوة ونحو ذلك من الامور التي كانت يثقل عليهم ومنه قوله تعالى واخذتم على
ذلكم اصري اي عهدي قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به اي لا تحملنا ما يشق علينا من
الاعمال وهذا كما يقال لا اطيق كلام فلان ولا اطيق هذا الامر اي لا احمله الا بمشقة هذا هو معنى الاية
لان الله تعالى لا يكلف احداً شيئاً لا يكون ذلك في قدرته • وقيل معناه ما لا طاقة لنا به من العذاب
وقيل هو حديث النفس والوسوسة • وعن مكحول انه الغلمة • وعن بعضهم انه كان يقول اللهم اعذني
واخوتي من شر الغلمة فانها ربما جرت الى جهنم • وقال عبد الوهاب يعني العشق • وعن ابراهيم في قوله تعالى
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال يعني الحب • قال بعضهم حضرت ذا النون المصري في مجلس له فتكلم
ذلك اليوم في محبة الله عز وجل فمات احد عشر نفساً في المجلس فصاح رجل من المريدين فقال ذكرت محبة الله
فاذكر محبة المخلوقين فتأوه ذو النون تأوهاً شديداً وشق قميصه نصفين وقال آه غلقت رهونهم
واستعبرت عيونهم وخالفوا السهاد وفارقوا الرقاد فليلهم طويل ونومهم قليل احزانهم لا تنفد وهمومهم
لا تفقد باكية عيونهم قريحة جفونهم • وقال يحيى بن معاذ لو كانت العقوبة بيدي يوم القيمة لما عذبت
العشاق لان ذنوبهم اضطرار لا اختيار • وقال بعضهم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به يعني شماتة الاعداء
قال الشاعر • كل المصايب قد تمر على الفتى • فتهون غير شماتة الحساد • ان المصايب تنقضي ايامها •
وشماتة الحساد بالمرصاد • وقيل هو الفرقة والقطيعة نعوذ بالله العظيم منهما يقال قطع الاوصال
ايسر من قطع الوصال قوله تعالى واعف عنا واغفر لنا وارحمنا اي تجاوز عنا تقصيرنا وذنوبنا ولا

تفضحنا

تفضحنا وارحمنا فاننا لا ينال العمل بطاعتك الا بمعونتك ولا نترك المعصية الا برحمتك • وقيل معنى
واعف عنا اي اترك عنا العقوبة ومعنى العفو الترك وقوله تعالى واغفر لنا اي استر لنا ذنوبنا
وعيوبنا وارحمنا اي انعم علينا بالجنة والثواب • وقيل معنى الاية واعف عنا من المسخ واغفر لنا
من الخسف وارحمنا من الغرق اي لا تفعل بنا ما فعلت ببعض من تقدمنا من الامم • وقيل واعف عنا
الصغاير واغفر لنا الكباير وارحمنا بتثقيل الميزان • وقيل معناه واعف عنا في سكرات الموت
واغفر لنا في ظلمة القبور وارحمنا في اهوال القيمة قوله تعالى انت مولانا فانصرنا على القوم
الكافرين اي انت ولينا وناصرنا فانصرنا على القوم الكافرين اي عليهم في اقامة الحجة واظهار الدين
كما وعدتنا • روي عن عبد الله بن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال غفرانك ربنا
واليك المصير قال قد غفرت لكم فلما قال ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال لا اؤاخذكم فلما
قرأ ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا قال لا احمل عليكم فلما قرأ ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به قال لا احملكم فلما قال واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على
القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين • وكان معاذ
بن جبل اذا ختم هذه السورة قال آمين • وعن الحسن والضحاك ومجاهد وجماعة من المفسرين ان قوله
تعالى آمن الرسول الى آخر السورة كان في قصة المعراج قالوا لما انتهى النبي صلى الله عليه وسلم
الى سدرة المنتهى قال له جبريل اني لم اجاوز هذا المكان ولم يؤمر بالمجاوزة احد غيرك فامض
قال النبي صلى الله عليه وسلم فمضيت حتى انتهيت الى ما اراد الله تعالى فاشار جبريل عليه السلام
ان سلم على ربك فقلت التحيات لله والصلوات والطيبات فقال عز وجل السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته قال النبي صلى الله عليه وسلم فاحببت ان يكون لامتي حظ في السلام
فقلت السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقال جبريل واهل السموات كلهم اشهد ان لا اله الا
الله واشهد ان محمداً عبده ورسوله فقال الله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه فاراد النبي
صلى الله عليه وسلم ان يشرك امته في الكرامة والفضيلة فقال صلى الله عليه وسلم والمؤمنون

كل آمن بالله وملئكته وكتبه ورسله الاية قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها الاية فقال جبريل
عليه السلام عند ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم سل تعط فقال صلى الله عليه وسلم ربنا لا تواخذنا
ان نسينا او اخطانا الى اخر السورة فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى اليه بهذه
الايات ليعلم امته بذلك ويعلمهم كيف يدعون الله تعالى وقد تقدم فضل السورة والله الموفق سورة
آل عمران وهي اربعة عشر الف حرف وخمسمائة وعشرون حرفا وثلاثة الاف كلمة واربعمائة وثمانون
كلمة ومائتا آية ● قال صلى الله عليه وسلم من قرا سورة آل عمران يوم الجمعة صلى الله وملئكته عليه
حتى تجب الشمس ● وقال صلى الله عليه وسلم من قرا آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم ● و
قال صلى الله عليه وسلم تعلموا البقرة وآل عمران فانهما الزهراوان وانهما تاتيان يوم القيمة في صورة
ملكين يشفعان لصاحبهما حتى يدخلاه الجنة وفضايلها اكثر من ان تحصى ● بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الم الله لا اله الا هو الحي القيوم قال ابن عباس معناه انا الله اعلم ويقال هو قسم اقسم الله
بانه واحد لا شريك له ولا معبود للخلق سواه وقد تقدم تفسير الحروف المقطعة في اول سورة البقرة
قال انس رضي الله عنه نزلت هذه الاية في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وفي الاربعة عشر ثلثه يؤول امرهم اليهم العاقب
امير الجيش وصاحب مشورتهم الذين لا يصدرون الا عن رأيه واسمه عبد المسيح والثاني اسمه الايهم
صاحب رحلهم وابو حارثة بن علقمة امامهم وصاحب مدارسهم وكان قد درس كتبهم حتى حسن
علمه فيهم في دينهم فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده وقت صلوة العصر وعليهم
ثياب الحبرات جبب واردية فقاموا واقبلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوجهوا
الى ناحية المشرق فقال صلى الله عليه وسلم للعاقب والايهم اسلما فقالا قد اسلمنا قبلك فقال كذبتما
يمنعكما عن الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير قالا فان لم يكن ولد الله فمن
ابوه وخاصموه جميعا في عيسى عليه السلام فقال صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون انه لا يكون
ولد الا وهو يشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى ياتي عليه الفنا

قالوا بلى

قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك
شيء قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله عز وجل لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السما قالوا بلى قال فهل يعلم
عيسى من ذلك شيئا غير ما علمه الله قالوا لا ● قال فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شا وربنا
لا ياكل ولا يشرب ولا يحدث الستم تعلمون ذلك قالوا بلى ● قال الستم تعلمون ان عيسى حملته امه
كما تحمل المراة ثم وضعته كما تضع المراة ثم غذي كما يغذى الصبي فكان يطعم ويشرب ويحدث
قالوا بلى ● قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فانزل الله عز وجل فيهم اول سورة آل عمران الى بضع
وثمانين آية فيها ● فقال الله عز وجل الم الله لا اله الا هو الحي القيوم الحي هو الدايم الذي لا بد له
الذي لا يموت ولا يزول والقيوم القايم على كل نفس بما كسبت ● واكثر القرآء على فتح الميم من الم وللفتح
وجهان احدهما انه لما كانت الميم بعد يا ساكنه استثقلوا فيها السكون فحركوها الى الفتح لان ذلك
اخف نحو اين وكيف ● والثاني انه القى عليها فتحة الهمزة من الف الله وهذا جايز في الهجا وان كان لا
يجوز مثله في الكلام الموصول من حيث ان حروف الهجا مبنية على الوقف ● ومن قرا بتسكين الميم فعلى
اصل حروف الهجا انها مبنية على الوقوف والسكون قوله عز وجل نزل عليك الكتاب بالحق قراءة
ابراهيم بن ابي عبلة نزل عليك الكتاب بتخفيف الزاي ● وقرا الباقون بالتشديد ونصب الباء لان القرآن
كان ينزل نجوما شيئا بعد شيء والتنزيل مرة بعد مرة قال الله تعالى وانزل التورية والانجيل لانهما
نزلتا دفعة واحدة ومعنى الاية نزل عليك يا محمد القرآن بالصدق لاقامة امر الحق قوله تعالى مصدقا
لما بين يديه اي موافقا لما تقدمه من التورية والانجيل وساير كتب الله تعالى في الدعا الى توحيد الله
وبيان قاصيص الانبيا والامر بالعدل والاحسان وساير ما لا يجري فيه النسخ وبعض الشرايع وانتصب
مصدقا على الحال من الكتاب قوله تعالى وانزل التورية والانجيل اي انزل التورية جملة على موسى
والانجيل جملة على عيسى من قبل القرآن هدى للناس اي بيانا ونورا وضياء لمن تبعه وموضع هدى
نصب على الحال قوله تعالى وانزل الفرقان يعني القرآن واعاد ذكره لبيان انه يفرق بين الحق والباطل
ومتى اختلف فوايد الصفات على موصوف واحد لم يكن ذكر الصفة الثانية تكرارا بل تكون الثانية

في حكم المبتدا لان كل صفة فاية ليست للاخرى والصفة الاولى تفيد ان من شانه ان يكتب والصفة
الثانية تفيد ان من شانه ان يفرق بين الحق والباطل • وقيل ان كل كتاب لله فهو فرقان قوله عز وجل ان الذين
كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام معناه ان في كتب الله ما يدل على صدق
قولك فمن جحد بايات الله وهي العلامات الهادية اليه الدالة على توحيده فاولئك لهم عذاب شديد
والله عزيز ذو انتقام اي غالب في امره لا يتهيا لاحد منعه ممن يريد عذابه ذو انتقام اي ذو نقمة
ينتقم ممن عصاه • ثم حذرهم عن التلبس والاستتار عن المعصية فقال ان الله لا يخفى عليه شيء في
الارض ولا في السماء اي لا يخفى عليه قول الكفار وعملهم يحصي كل ما يعملونه فيجازيهم عليه في الاخرة
وفاية تخصيص الارض والسماء وان كان الله لا يخفى عليه شيء بوجه من الوجوه ان ذكر الارض
والسماء اكبر في النفس واهول في الصدر فذكره على وجه الاهوال اذ كان الغرض به التحذير قوله تعالى
هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي خلقكم في ارحام الامهات كيف يشاء من لون وطول وقصر
وعظم وصغر وذكورة وانوثة وحسنا وقبيحا وسعيدا وشقيا قوله تعالى لا اله الا هو العزيز الحكيم
اي لا مصور ولا خالق الا هو ومعنى العزيز المنيع في سلطانه لا يغالب ولا يمانع ومعنى الحكيم المحكم
في تدبيره وقضائه وافعال الله كلها شاهدة بانه الواحد القديم العالم القادر قوله عز وجل
هو الذي نزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات قال ابن عباس معناه
هو الذي نزل عليك القران منه ايات واضحات مبينات للحلال والحرام لم تنسخ هن اصل الكتاب الذي
انزل عليك تعمل عليه في الاحكام وهن ام في التورية والانجيل والزبور وكل كتاب نحو قوله تعالى قل
تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم وقوله تعالى واخر متشابهات اي ومنه ايات اخر اشتبهت على اليهود
مثل الم والمص • وقيل معناه يشبه بعضها بعضا • واختلفوا في المحكم والمتشابه • فقال قتادة والربيع
والضحاك والسدي المحكم هو الناسخ الذي يعمل به والمتشابه هو المنسوخ الذي يؤمن به ولا يعمل به •
وعن ابن عباس قال المحكمات القران ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرايضه وما يؤمن • و
المتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وامثاله واقسامه • وقال مجاهد وعكرمة المحكم ما فيه

الحلال

الحلال والحرام وسوى ذلك متشابهات • وقال بعضهم المحكم هو الذي لا يحتمل من التاويل الا وجه واحد
والمتشابه ما احتمل وجوها • وقال ابن زيد المحكم ما ذكر الله من قصص الانبيا مثل نوح وهود وصالح
وابرهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام • والمتشابه هو ما اختلف فيه الالفاظ من قصصهم
عند التكرار كما في موضع من قصة نوح قلنا احمل وفي موضع اخر فاسلك وقال تعالى في ذكر العصا
فاذا هي حية تسعى وفي موضع اخر فاذا هي ثعبان مبين وقوله تعالى فباي الاء ربكما تكذبان ونحو
ويل يومئذ للمكذبين ونحو ذلك • وقال بعضهم المحكم ما عرف العلما تاويله وفهموا معانيه والمتشابه
ما ليس لاحد الى علمه سبيل مما استاثر الله بعلمه نحو خروج الدجال ونزول عيسى وطلوع الشمس من
مغربها وقيام الساعة وفنا الدنيا ونحوها • وقال ابن كيسان المحكمات حججها واضحة ودلايلها
واضحة لا حاجة لمن سمعها الى طلب معانيها • والمتشابه هو الذي يدرك علمه بالنظر ولا يعرف العوام
تفصيل الحق فيه من الباطل • وقال بعضهم المحكم ما اجمع على تاويله والمتشابه ما ليس فيه بيان قاطع
وقال محمد بن الفضل المحكم هو سورة الاخلاص لانه ليس فيها الا التوحيد فقط • والمتشابه نحو قوله
الرحمن على العرش استوى ونحو قوله خلقت بيدي ونحو ذلك مما يحتاج الى تاويلها في الابانة
عنها • ويقال المحكم نحو قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام والمتشابه
نحو قوله خلق الارض في يومين ثم قال وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام ثم قال فقضاهن سبع
سموات في يومين فظن من لا معرفة له ان العدد ثمانية ايام ولم يعلم ان اليومين الاولين داخلان
في الاربعة التي ذكرها الله من بعد • وقال الزجاج المحكم ما عرف به اهل الشرك مما اخبر الله به
من انشا الخلق وجعله من الما كل شيء حي وما خلق الله من الثمار وسخر لهم من الفلك والرياح • و
والمتشابه ما يشابه عليهم من امر البعث وقد سمى الله جملة القران محكما فقال كتاب احكمت اياته فوصفه
بالاحكام وسماه كله متشابها في اية اخرى فقال الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها اي يشبه بعضه
بعضا في الحسن والتصديق قوله عز وجل فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه
ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله معناه فاما الذين في قلوبهم ميل عن الحق

والهدى وهم اليهود يتبعون ما اشتبه عليهم من امر الحروف المقطعة يحسبون ذلك بحساب الجمل ابتغاء الفتنة
اى طلب الكفر والشرك وابتغاء تأويله فى طلب تفسير منتهى ما كتب الله لامة محمد صلى الله عليه وسلم من المدة
ليرجع الملك الى اليهود وما يعلم تفسير ما كتب الله لهذه الامة الا الله • وقال الربيع ان هذه الاية نزلت فى
وفد نصارى نجران لما حاجوا النبى صلى الله عليه وسلم فى المسيح فقالوا اليس هو كلمة الله وروح منه قال
بلى قالوا حسبنا فانزل الله هذه الاية • وقال ابن جريج الذين فى قلوبهم زيغ اى شك وهم المنافقون • وقال
الحسن هم الخوارج • وقال بعضهم جميع المبتدعة اعاذنا الله من المبتدعة • ومعنى الاية ان النصارى صرفوا
كلمة الله الى ما يقولون نحن قدم عيسى مع الله عز وجل وصرفوا قوله وروح منه الى انه جزء منه كروح الانسان
وانما اراد الله تعالى بقوله وكلمته ان الله تعالى انما صيره بكلمة منه وهى قوله كن فكان وسماه روحه لانه
خلقه من غير اب بل امر جبريل فنفخ فى جيب مريم عليها السلام فهو روح من الله اضافه الى نفسه تشريفا له
كبيت الله وارض الله • وقيل سماه روحا لانه كان يحيى الموتى كما سمى القرآن روحا من حيث ان فيه حيوة الناس
فى امور دينهم قال الله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا فصرف اهل الزيغ قوله تعالى وكلمته القاها
الى مريم وروح منه الى مذاهبهم الفاسدة طلب الكفر والضلال ولم يردوا هذا اللفظ الذى اشتبه عليهم
وشبهوه على انفسهم الى الاية المحكمة وهو قوله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب
فعلى هذا يكون وما يعلم تأويله الا الله اى ما يعلم تأويل جميع المتشابه حتى يستوعب علم المتشابهات الا الله
واختلف اهل العلم فى معنى هذه الاية • فقال قوم الواو فى قوله تعالى والراسخون فى العلم واو العطف يعنى ان
تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون فى العلم وهم مع علمهم يقولون آمنا به والمعنى والثابتون
فى العلم يعلمون تأويل ما نصب الله لهم الدلالة عليه الى المتشابه وبعلمهم يقولون ربنا آمنا به ••
وروى عن ابن عباس وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يعلمونه قائلين آمنا به ومنهم من جعل تمام
الكلام عند قوله الا الله • وفى قراءة ابن مسعود ويقولون الراسخون فى العلم آمنا به وهو مروى ايضا عن
ابن عباس ولا يبعد ان يكون للقرآن تأويل يستأثر الله بعلمه دون خلقه لانا لا نعلم مراد الله وحكمته
فى جميع اوامره ونواهيه غير انه الزمنا العمل بما انزله ولم يطالبنا بما لا سبيل لنا الى معرفته ولم يخف عنا

علم ما غاب

علم ما غاب عنا مثل قيام الساعة وغير ذلك الا ما فيه من المصلحة لنا وما هو خير لنا فى ديننا ودنيانا • وما
علمناه فلم تعلمناه الا لمصلحتنا ونفعنا فنعترف بصحة جميع ما انزل الله والتصديق بذلك كله ما علمنا منه
وما لم نعلم • وكان ابن عباس يقول انا من الراسخين فى العلم • وقرأ مجاهد هذه الاية فقال انا ممن يعلم تأويله
وروى عكرمة عن ابن عباس قال كل القرآن اعلم تأويله الا اربعا • غسلين • وحنانا • والاواه • والرقيم
وهذا انما قاله ابن عباس فى وقت ثم علمها بعد ذلك وفسرها • وممن اختار تمام الكلام عند قوله الا الله
واستئناف الكلام بقوله والراسخون عائشة وعروة بن الزبير • ورواية طاوس عن ابن عباس كذلك ايضا
واختاره الكسائى والفراء ومحمد بن جرير وقالوا ان الراسخين لا يعلمون تأويله ولكنهم يؤمنون به والاية راجعة
على هذا التأويل الى العلم بمدة اجل هذه الامة ووقت قيام الساعة وفناء الدنيا ووقت طلوع الشمس من مغربها
ونزول عيسى وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج وعلم الروح ونحوها مما استأثر الله بعلمه ولم يطلع
عليه احدا من خلقه قوله تعالى واخر متشابهات اخر جمع اخرى ولم ينصرف لانه معدول عن واخر
مثل عمر وزفر وقوله تعالى والراسخون فى العلم قال بعضهم هم علماء اهل الكتاب الذين آمنوا منهم مثل
عبد الله بن سلام واصحابه ودليله قوله تعالى لكن الراسخون فى العلم منهم يعنى الدارسين علم التورية
وعن ابى امامة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الراسخون فى العلم فقال من برت يمينه وصدق
لسانه واستقام قلبه وعف بطنه وفرجه فذلك الراسخ فى العلم • وسئل انس بن مالك عن تفسير
الراسخين فى العلم منهم فقال الراسخ هو العالم العامل بما علم المتبع • وقيل الراسخون فى العلم المتواضعون
لله المتذللون فى طلب مرضاته لا يتعاظمون على من فوقهم ولا يحتقرون من دونهم • وقال بعضهم الراسخ فى
العلم من وجد فى علمه اربعة اشياء التقوى بينه وبين الله والتواضع بينه وبين الخلق والزهد بينه
وبين الدنيا والمجاهدة بينه وبين نفسه قوله عز وجل ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا اى
ويقول الراسخون فى العلم ربنا لا تمل قلوبنا عن الحق والهدى كما ازغت قلوب اليهود والنصارى بعد
اذ هديتنا اى لا تزغ قلوبنا بعد اذ ارشدتنا ونصرتنا ووفقتنا لدينك الحق وقوله وهب لنا من
لدنك رحمة اى اعطنا من عندك نعمة وقيل لطفا يثبت قلوبنا على الهدى واسم الرحمة يقع على كل خير

ونعمة • وقيل معناه وهب لنا من لدنك توفيقا وتثبيتا على الايمان والهدى • وقال الضحاك معناه وهب لنا تجاوزا ومغفرة • وقيل وهب لنا لزوم خدمتك على شرط السنة • قوله تعالى انك انت الوهاب اى انت المعطي والوهاب الذي من عادته الاعطا والهبه • وانما سمي القلب قلبا لتقلبه وانما مثل القلب مثل ريشه بفلاه من الارض • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان قلب ابن ادم مثل العصفور يتقلب في اليوم سبع مرات قوله عز وجل ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه اى ويقولون ربنا انك تحيي الناس باجمعهم بعد الموت لجزا يوم لا ريب فيه اى لا شك فيه يعني يوم القيمة قوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد اى لا يخلف الله ما وعد من البعث والحساب والميزان والجنة والنار قوله عز وجل ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اراد بالذين كفروا اليهود الذين تقدم ذكرهم • وقيل اراد بهم نصارى نجران ويقال جميع الكفار ومعنى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اى لا يدفع عنهم كثرة اموالهم واولادهم شيئا من عذاب الله في الدنيا والاخرة لانه لا يقبل منهم فدا ولا شفاعة • وسمي الغنا لانه يدفع عن مالكه الفقر والنوايب فاخبر الله ان اموال هولاء الكفار واولادهم لا تغنيهم من العذاب • قرا السلمي لن يغني عنهم باليا لتقدم الفعل ودخول الحايل بين الاسم والفعل • وقرا الحسن لن يغني بالثا وسكون اليا قوله تعالى واولئك هم وقود النار اى حطب النار والوقود بنصب الواو ما يوقد به النار وفي هذا بيان ان اهل النار يحترقون في النار احتراق الحطب لا كما يحترق الانسان بالنار الدنيا فان النار الدنيا يسيل الصديد من الانسان ولا ناخذ كما تاخذ الحطب • ومن قرا وقود بضم الواو فهو مصدر وقدت النار وقودا كما يقال ورد ورودا فيكون المعنى اولئك هم وقود النار قوله عز وجل كداب ال فرعون والذين من قبلهم الاية معنى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا عند حلول النقمة والعقوبة مثل ال فرعون وكفار الامم الخاليه اخذناهم وعاقبناهم • وقيل معناه عادة هولاء الكفار في الكفر والتكذيب بالحق كعادة ال فرعون وعادة الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود كذبوا بكتبنا ورسلنا فعاقبهم الله بكفرهم وشركهم والله شديد العقاب اذا عاقب فعقابه شديد على الدوام والتابيد لا كعقوبة اهل الدنيا والداب في اللغة

العادة

العادة كذا قال النضر بن شميل والمبرد فيكون معناه كعادة ال فرعون • وقال الزجاج الداب الاجتهاد اى كاجتهاد ال فرعون في كفرهم ونظايرهم على الباطل يقال داب في كذا يداب دابا اذا دام العمل فيه ثم نقل معناه الى الشان والحال والعادة • وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك والسدي معناه كفعل ال فرعون وصنيعهم في الكفر والتكذيب يقول كفرت اليهود بمحمد ككفر ال فرعون والذين من قبلهم • وقال الربيع والكسائي معناه كشبه ال فرعون • وقال الاخفش كامر ال فرعون وشانهم • وقال قطرب كحال ال فرعون • وقال سيبويه الكاف في كداب في موضع رفع خبر المبتدا تقديره دابهم كداب ال فرعون قوله عز وجل قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد اى قل يا محمد للذين كفروا ستهزمون وتقتلون وتحشرون بعد الموت الى جهنم وبئس الفراش • قرا يحيى بن وثاب وحمزة والكسائي وخلف باليا فيهما والباقون بالتا فمن قراهما باليا فعلى الاخبار عنهم انهم يغلبون ويحشرون • ومن قراها بالتا فعلى الخطاب اى قل لهم انكم ستغلبون وتحشرون واختلف المفسرون في هولاء الكفار • فقال مقاتل هم كفار مكة ومعناه قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون الى جهنم في الاخرة فلما نزلت هذه قال النبي صلى الله عليه وسلم للكفار يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم • وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان المراد بهم يهود المدينه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هزم الكفار يوم بدر قالت اليهود هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى ونجده في التورية بنعته وصفته وانه لا ترد له راية وارادوا تصديقه واتباعه فقال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة له اخرى • فلما كان يوم احد وغلب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا والله ما هو به فغلب عليهم الشقا فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا ذلك العهد قبل اجله وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى ابي سفيان بمكة ووافقوهم على ان يكون كلمتهم واحدة ثم رجعوا الى المدينة فانزل الله هذه الاية • وعن ابن عباس وقتادة انهما قالا لما اهلك الله قريشا يوم بدر جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود بسوق بني قينقاع فدعاهم الى الاسلام وحذرهم مثل ما نزل بقريش من الانتقام فابوا وقالوا لسنا كقريش الاغمار الذين لم يعرفوا القتال ولم

بما رسوه لئن جاربتنا لنقتلن لتلقين رجالا ويعرفوا الباس والشدة فانزل الله هذه الآية قوله تعالى
الى جهنم انشقا فجهنم من الجهنام وهي البئر البعيدة القعر قوله عز وجل قد كان لكم آية في فئتين
التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين اي قد كان لكم ايها اليهود عبرة
ويقال ايها الكفار على صدق ما اقول لكم في فرقتين التقتا يوم بدر فرقة تقاتل في سبيل الله اي في طاعة الله
وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ثلثمائة وثلثة عشر رجلا سبعة وسبعين رجلا من
المهاجرين ومائتين وستة وثلثين من الانصار وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمهاجرين علي رضي الله عنه وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة • وكان جملة الابل التي في
جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعون بعيرا والخيل فرسين فرس المقداد وفرس مرثد
بن ابي مرثد وقيل فرس علي • وكان معهم من السلاح ستة ادرع وثمانية سيوف • وجميع من استشهد
من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار قوله تعالى واخرى كافرة اي فرقة
اخرى كافرة وهم كفار مكة تسعمائة وخمسون رجلا مقاتلين ورأسهم يومئذ عتبة بن ربيعة و
كانت خيلهم مائة فرس وكانت حرب بدر اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله
تعالى ترونهم مثليهم رأي العين من قرأ بالياء فالمعنى ترى الفئة المؤمنة الفئة الكافرة مثليهم ظاهر العين
اي ظن المسلمون ان المشركين ستمائة ونيف وانهم يغلبوا المشركين كما وعدهم الله بقوله فان يكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين قلل الله المسلمين في اعين المشركين والمشركين في اعين المسلمين حتى اقتتل الفريقان
كما قال الله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ثم قذف الله الرعب
في قلوب الكفرة حتى انهزموا بكف من تراب اخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرماه في وجوههم
وقال شاهت الوجوه • ومن قرأ ترونهم بالتاء فهو خطاب لليهود يعني يرون كفار مكة قريشا والمؤمنين
رأي العين • فان قيل لم قال قد كان لكم آية ولم يقل قد كانت والآية مؤنثة قيل لانه ردها الى البيان
اي قد كان بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ قوله تعالى يرونهم مثليهم رأي العين قرأ ابو رجاء و
الحسن وشيبة ونافع ويعقوب بالتاء وقرأ الباقون بالياء قوله تعالى والله يؤيد بنصره من يشاء

اي يقوي ويشدد بقوته من يشاء وقوله تعالى ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار في غلبة المؤمنين
للمشركين مع قلة المؤمنين وشوكة المشركين لعبرة لذوي الابصار في الدين اي لذوي بصائر القلوب ويجوز
ان يكون معناه لعبرة لمن ابصر الجيش الجمعين بعينه يومئذ وفي قوله تعالى فئة قراءتان من قرأها بالرفع فعلى
معنى احداهما فئة تقاتل ومن قرأها بالخفض فعلى البدل من فئتين كما قال الشاعر • وكنت كذي رجلين
رجل صحيحة • ورجل رماها الدهر بالحدثان • قوله عز وجل زين للناس حب الشهوات من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث بين الله بهذه
الآية انما بسط للمشركين من زهرة الدنيا وزينتها هو الذي يمنعهم من تصديق النبي صلى الله عليه وسلم
فيما يدعوهم اليه والمعنى حسن للناس حب اللذات والمشتهيات من النساء والبنين بدأ بالنساء لانهن
حبايل الشيطان واقرب الى الافتتان ويحملن الرجال على قطع الارحام والآباء والامهات وجمع المال من
الحلال والحرام وقوله والبنين • قال صلى الله عليه وسلم هم ثمرة القلوب وقرة الاعين وانهم مع ذلك
لمجبنة مبخلة قوله تعالى والقناطير المقنطرة القناطير جمع قنطار • واختلفوا فيه فقال الربيع القنطار
هو المال الكثير بعضه على بعض • وقال ابن كيسان هو المال العظيم • وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم القنطار اثنا عشر الف اوقية • وعن انس ان القنطار الف مثقال • وعن معاذ الف
ومائتا اوقية • وعن انس ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الف مثقال • وعن عكرمة مائة الف
ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم • وقيل القنطار ما بين السماء والارض من
المال • وقيل ملء مسك ثور ذهبا وفضة • وقال ابن المسيب وقتادة ثمانون الفا • وعن مجاهد
سبعون الفا • وعن الحسن انه قال القنطار دية احدكم وحاصله ان القنطار هو المال الكثير وقوله
تعالى المقنطرة قال قتادة اي المنضد بعضها على بعض • وقال بعضهم المقنطرة المدفونة • وقال السدي
المضروبة المنقوشة قوله تعالى من الذهب والفضة سمي الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة
لانها تنفض اي تتفرق قوله تعالى والخيل المسومة الخيل جمع لا واحد له من لفظه واحده فرس و
المسومة هي الراعية من السوم وهو الرعي قال الله شجر فيه تسيمون او يكون من السيما وهي العلامة

من الاوضاح والغرتا التي تكون في الخيل • وقال السدي المسومة هي الوافقة • وقال مجاهد الحسان وقال الاخفش هي المعلمة • وقال ابن كيسان البلق • روي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد الله ان يخلق الخيل قال للريح الجنوب اني خالق منك خلقا فاجعله عزا لاوليائي ومذلة لاعدائي وجمالا لاهل طاعتي فقبض منها قبضة وقال له خلقتك وجعلت الخير معقودا بناصيتك والغنايم مجموعة على ظهرك عطفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح وانت للطلب وانت للهرب وساجعل على ظهرك رجالا يسبحوني ويحمدوني ويهللوني ويكبروني كذا في تفسير الثعلبي • وقيل خلق الله خيلا تلقا اعنا فيها كاعنا في البخت فلما ارسلها الى الارض واستوت اقدامها صهل فرسها فقيل له بوركت من دابة اذل بصهيلك المشركين واذل به اعناقهم واملاء به اذانهم وارعب به قلوبهم • فلما عرض الله على ادم كل شيء قال له اختر من خلقي ما شئت فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك وعز ولدك ما خلقت خلقا اعز الي منك ومنه • وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيمة • وعن انس قال لم يكن شيء احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النسا من الخيل • وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من فرس عربي الا يؤذن له عند كل فجر بدعوة فيقول اللهم من خولتني من بني ادم وجعلتني له فاجعلني احب اهله وماله اليه • وقال صلى الله عليه وسلم ارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها وعليكم بكل كميت اغر محجل او اشقر اغر محجل او ادهم اغر محجل • وعن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الشكال من الخيل وهو ان يكون له ثلاث قوايم محجلة والاخرى مطلقة او يكون الثلاث مطلقة والرابعة محجلة ولا يكون الشكال الا في الرجل دون اليد • وقال صلى الله عليه وسلم الشوم في ثلثة المراة والفرس والدار • وقال صلى الله عليه وسلم الخيل ثلثة فرس للرحمن وفرس للانسان وفرس للشيطان فالذي للرحمن هو ما اتخذ في سبيل الله وقوتل عليه اعدا الله و اما فرس الانسان فما استطرق عليه واما فرس الشيطان فما روهن عليه او قومر عليه قوله عز وجل والانعام والحرث الانعام جمع النعم واسم النعم اكثر ما يستعمل في الابل وقد يقع على ساير المواشي من البقر

والغنم والابل وقوله تعالى والحرث يعني الزرع قوله تعالى ذلك متاع الحيوة الدنيا اي هذا الذي ذكرت متاع الحيوة الدنيا اي شيء يستمتع به في الدنيا ثم تزول وتفنا وقوله تعالى والله عنده حسن المآب اي حسن المرجع والمنقلب للمؤمنين وهو الجنة الباقية • ثم بين الله انما اعد الله للمؤمنين في الاخرة خير من هبة الدنيا فقال عز وجل قل ءونبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها الاية اي قل يا محمد اخبركم بخير من الذي زين للناس في الدنيا للذين اتقوا الشرك والكباير والفواحش فلا يشتغلون بالزينة عن طاعة الله لهم عند ربهم جنات اي بساتين تجري من تحت شجرها ومساكنها انهار الما والعسل والخمر واللبن خالدين فيها اي مقيمين دايمين اي ليست تلك المياه كمياه الدنيا تجري احيانا وتنقطع احيانا بل تكون جارية ابدا قوله تعالى وازواج مطهرة اي ولهم نسا مهذبات في الخلق والخلق وقوله تعالى ورضوان من الله اي ولهم مع ذلك رضا الله عنهم وهو من اعظم النعم قال الله تعالى ورضوان من الله اكبر قوله تعالى والله بصير بالعباد اي عالم باعمالهم وثوابهم واختلفوا في منتهى الاستفهام في قوله تعالى ءونبئكم قال بعضهم منتهاه عند قوله بخير من ذلكم قوله تعالى للذين اتقوا استينا في الكلام • وقال بعضهم منتهاه عند ربهم وقوله تعالى جنات استينافا كلام • قراء ابو بكر عن عاصم ورضوان بضم الرا في جميع القران وهي لغة قيس عيلان وتميم وهما لغتان كالعدوان والعدوان والطغيان والطغيان • وقراء عامة القرا ورضوان بكسر الرا قوله عز وجل الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الذين في موضع خفض ردا على قوله للذين اتقوا اي للمتقين الذين يقولون ربنا اننا صدقنا بالله وبالرسول فاغفر لنا خطايانا وادفع عنا عذاب النار ويجوز ان يكون موضع الذين رفعا على معنى هم الذين يقولون ربنا كقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم ثم قال في صفتهم مبتديا التايبون العابدون قوله تعالى الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار الصابرين في موضع خفض بدلا من الذين يقولون • وذهب بعضهم الى ان الصابرين نصب بالمدح ومعنى الاية الصابرين على طاعة الله وعلى الشدايد والمصايب وعن ارتكاب النهي وعلى الباسا والضرا والصادقين في ايمانهم واقوالهم وافعالهم فان الصدق

قد يقع في القول كما يقع في الفعل يقال صدق فلان في القتال وصدق في الحملة اي حقق • قال قتادة
في تفسير الصادقين هم قوم صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم والسنتهم في السر والعلانية والقانتين
اي القايمين بعبادة الله المطيعين والمنفقين يعني في طاعة الله وقوله تعالى والمستغفرين بالاسحار • قال
قتادة اراد به المصلين بالاسحار • وقال انس بن مالك اراد به السايلين المغفرة بالاسحار • وقال
الحسن انتهت صلاتهم الى وقت السحر ثم كان بعدها الاستغفار • وعن ابراهيم بن حاطب عن ابيه قال
سمعت صوتا في ناحية المسجد سحرا يقول الهي دعوتني فاجبتك وامرتني فاطعتك وهذا سحر فاغفر لي
فنظرت فاذا هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه • روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ثلثة اصوات يحبهم الله • صوت الديك • وصوت الذي يقرا القرآن • وصوت المستغفرين بالاسحار •
وروي ان داود عليه السلام سئل جبريل اي الليل افضل فقال لا ادري الا ان العرش يهتز في وقت
السحر • وقال سفيان الثوري ان لله ريحا يقال لها الصبحة تهب وقت السحر تحمل الاذكار والاستغفار
الى الملك الجبار • قال وبلغنا انه اذا كان اول الليل نادى مناد الا ليقم العابدون فيقومون فيصلون
ما شاء الله ثم ينادي مناد في شطر الليل الا ليقم القانتون فيقومون كذلك فيصلون فاذا كان السحر
نادى مناد اين المستغفرون فيستغفر اوليك فاذا طلع الفجر نادى مناد الا ليقم الغافلون فيقومون من
فرشهم كالموتى اذا نشروا من قبورهم • وقال لقمان لابنه يا بني لا يكونن الديك اكيس منك ينادي بالاسحار
وانت نايم • والسحر هو الوقت الذي قبل طلوع الفجر قوله عز وجل شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة
واولوا العلم قايما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم روي انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا شهد الله انه لا اله الا هو عند منامه خلق الله تعالى منها سبعين الف خلق
يستغفرون له الى يوم القيمة • وعن سعيد بن جبير قال كان حول الكعبة ثلثمايه وستين صنما لكل حي من
احياء العرب صنم وصنمان فلما نزلت هذه الاية اصبحت تلك الاصنام كلها وقد خرت سجدا • وعن
ابن مسعود انه قال من قرا شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله ان الدين عند الله الاسلام وقال انا اشهد
بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي وديعة عنده يجا بصاحبها يوم القيمة فيقول

الله عز وجل عبدي عهد لي وانا احق من وفا بالعهد ادخلوا عبدي الجنة • ومعنى الاية قال محمد بن السايب
الكلبي لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينه قدم عليه حبران من احبار اليهود من الشام فقال
احدهما لصاحبه حين بصر المدينة ما اشبه هذه المدينه بمدينة النبي الذي يخرج في اخر الزمان فلما دخلا
على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة والنعت فقالا له انت محمد قال نعم قالا انت احمد قال نعم انا محمد
واحمد قالا فانا نسالك عن شيء فان اخبرتنا به امنا بك وصدقناك • قال سلوا قالا اخبرنا عن اعظم شهادة
في كتاب الله عز وجل فانزل الله تعالى على نبيه هذه الاية شهد الله انه لا اله الا هو الى اخرها فاسلم الرجلان
وصدقا برسول الله صلى الله عليه وسلم • قراء ابو نهيك وابو الشعثا شهدا الله بالمد والرفع على معنى هم
شهدا الله الذين تقدم ذكرهم • وقرا المهلب شهدا الله بالمد والنصب على المدح • وقرا الاخرون شهد الله
على الفعل اي قضا الله ويقال اخبر الله • وقال مجاهد حكم الله • قرا ابن مسعود شهد الله ان لا اله الا هو •
وقرا ابن عباس انه لا اله الا هو بكسر الالف جعله خبرا مستانفا • وقال بعضهم كسر لان الشهادة قول وما بعد
القول مكسور على الحكاية تقديره قال الله انه لا اله الا هو • قال المفضل معنى شهادة الله الاخبار والاعلام
ومعنى شهادة الملايكة والمومنين الاقرار كقوله شهدنا على انفسنا اي اقررنا قوله تعالى واولوا العلم يعني
الانبيا • وقيل المهاجرين والانصار • وقيل علما مومني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه • وقال الكلبي
والسدي علما المومنين كلهم فقرن الله شهادة العلما بشهادته لان العلم صفة الله تعالى العليا ونعمته
العظما والعلما اعلام الاسلام والسابقون الى دار السلام وسرج الامكنة وحجج الازمنة • وعن جابر
بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة من عالم يتكي على فراشه وينظر في علمه خير
من عبادة العابدين سبعين عاما • وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا
العلم فان تعلمه لله خشيه ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقه وذكره
لاهله قربه لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبل الجنة والنار وهو الانس في الوحشة والصاحب في
الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السرا والضرا والسلاح على الاعدا يرفع الله به اقواما فيجعلهم في
الخير قادة تقتدى بهم وتقتص اثارهم وتقتدى بافعالهم وينتهى الى رايهم ~~ الملايكة في خلتهم وباجنحتها

وترغب صح

تسبحهم وفي صلاتهم تستغفر لهم وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيتان البحر وهوامه وسباع الارض وانعامها
والسما ونجومها الا وان العلم حياة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلما يبلغ بالعبد منازل الاحرار ومجالس
الملوك • والفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام وبه يعرف الحلال والحرام • وبه يوصل الارحام
يلهمه الله السعدا ويحرمه الاشقيا قوله عز وجل قايما بالقسط اى بالعدل ونصب قايما على الحال من شهد
وقيل من قوله لا اله الا هو ويجوز وقوع الحال الموكد على الاسم في غير الاشارة تقول انه زيد معروفا وهو
الحق مصدقا فان قيل الحال وصف هيئة الفاعل وذلك مما يقبل التغير فهل يجوز من الله ان تزول عنه
قيامه بالقسط • قيل هذا على مذهب الكوفيين لا يلزم لانهم يسمونه على لفظ القطع يعنون بالقطع قطع
المعرفة الى لفظ النكرة مثل قوله الدين واصبا كان اصله الواصب وهذا كان اصله القايم فلما قطعت
الالف واللام نصب • واما عند البصريين فالحال حالان حال ياتى بعد الفعل يجوز عليه التغير وحال ياتى
بعد الاسلام لا يجوز عليه التغير وهذا من ذلك وكذلك قوله وهذا بعلى شيخا قوله تعالى لا اله الا
هو العزيز الحكيم قال جعفر الصادق انما كرر الشهادة لان الاولى وصف وتوحيد والثانية رسم وتعليم
اى قولوا لا اله الا هو العزيز الحكيم العزيز الغالب المنيع والحكيم ذو الحكمة في امره وسلطانه قوله قايما بالقسط
اى قايم بالتدبير اى يجرى افعاله على الاستقامة قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام يعنى الدين
المرتضى نظيره ورضيت لكم الاسلام دينا والاسلام هو الدخول في السلم والانقياد والطاعة • وعن
قتادة قال هو شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جا من عند الله وهو دين الله الذى شرع لنفسه وبعث
به رسله ودل عليه اولياءه ولا يقبل غيره • وقرا الكسائى ان الدين عند الله بالفتح على معنى شهد الله انه
لا اله الا هو وشهد ان الدين عند الله الاسلام قوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم
العلم بغيا بينهم اى لم تترك اليهود والنصارى الاسلام ولم يتسموا باليهودية والنصرانية الا من بعد ما
جاءهم العلم في كتابهم حسدا بينهم • روى ان اليهود كانوا يسمون مسلمين فلما بعث عيسى عليه السلام
وسمى اصحابه مسلمين حسدت اليهود مشاركتهم في الاسم فسموا انفسهم يهودا فكانوا يسمون مسلمين
ويهودا فغيرت النصارى اسمهم وسموا انفسهم نصارى والبغى هو طلب الاستعلا بغير حق • وقال بعضهم

ومعنى صح

معنى الاية

معنى الآية وما اختلف الذين اوتوا الكتاب في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما جاءهم
بيان نعته وصفته في كتبهم قوله تعالى ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب اى ومن يجحد بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن فان الله سريع المجازاة سريع التعريف للعامل عمله لا يحتاج الى اثبات
وتذكير قوله عز وجل فان حاجوك فقل اسلمت وجهى لله ومن اتبعن اى فان خاصموك يا محمد في الدين
فقل انقدت لله وحده بلسانى وجميع جوارحى وانما خص الوجه لانه اكرم جوارح الانسان و
فيه بهاؤه وتعظيمه فاذا خضع وجهه لشيء فقد خضع له ساير جوارحه التى دون الوجه • وقال
الفرا معناه اخلصت عملى لله والوجه العمل وقوله تعالى ومن اتبعن في موضع رفع عطفا على تا اسلمت
ومن اتبعنى سلم ايضا كما اسلمت والاصل اثبات اليا في اتبعنى لكن حذفت للتخفيف قوله عز وجل وقل
للذين اوتوا الكتاب والاميين ااسلمتم الذين اوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى والاميون مشركوا العرب
اى قل لهم اخلصتم كما اخلصنا فان اخلصوا فقد اهتدوا من الضلال وان تولوا عن الاسلام وقالت
النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود عزير ابن الله فانما عليك البلاغ بالرسالة قوله تعالى والله
بصير بالعباد اى عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن لا يفوته شيء من اعمالهم التى يجازيهم بها • قال الكلبى فلما نزلت
هذه الآية ذكر ذلك لهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال لاهل الكتاب اسلمنا فقال صلى الله عليه
وسلم لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله قالوا معاذ الله وقال للنصارى اتشهدون
ان عيسى عبد الله ورسوله قالوا معاذ الله ولكنه ابن الله فذلك قوله تعالى فان تولوا فانما عليك البلاغ
والله بصير بالعباد اى عليم بصير بمن يؤمن وبمن لا يؤمن وباهل الثواب وباهل العقاب • فان قيل قوله
ومن اتبعن عطف على المضمر في قوله اسلمت والعرب لا تعطف الظاهر على المضمر قيل انما لا تعطف اذا لم يكن
بين الكلامين فاصل اما اذا كان بينهما فاصل جاز وقوله ااسلمتم لفظه استفهام ومعناه امر اى
اسلموا كقوله تعالى فهل انتم منتهون اى انتهوا قوله عز وجل ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون
النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم معناه ان الذين
يجحدون بايات الله وهم اليهود والنصارى ويقتلون النبيين بغير حق قرا الحسن ويقتلون بالتشديد

هؤلاء صح

منهم صح

فيهما على التكثير • وقرا حمزة ويقاتلون الذين يامرون • وفى اضافة قتل الانبيا الى الذين كانوا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم قولان احدهما رضاهم بقتل من سلف [منهم] [هؤلاء] النبيين نحو قتلهم زكريا ويحيى والثانى ان هؤلاء قاتلوا النبى صلى الله عليه وسلم وهموا بقتله كما قال الله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك • وقرا بعضهم ويقاتلون النبيين بغير حق • وعن ابى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله اى الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرا هذه الاية ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنوا اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنى عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلوهم جميعا فى اخر النهار من ذلك اليوم فهم الذين ذكر الله فى كتابه وانزل فيهم الاية قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم اى اخبرهم بعذاب وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم قوله عز وجل اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة اى اهل هذه الصفة بطلت حسناتهم فلا يستحقون الثنا عليها فى الدنيا ولا يستحقون الثواب عليها فى الاخرة وما لهم من ناصرين اى من مانعين يمنعونهم من العذاب اذا نزل بهم قوله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون قال الكلبى وذلك ان رجلا وامراة من اشراف اهل خيبر من اليهود فجرا وكان فى كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما ورجوا ان يكون لهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رخصة فى امرهما فى الرجم فياخذوا به فرفعوا امرهما الى النبى صلى الله عليه وسلم فحكم عليهما بالرجم فقال بعضهم جرت علينا يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم بينى وبينكم التورية فمن اعرفكم بها قالوا ابن صوريا فارسلوا اليه فلما قدم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء من التورية فيه اية الرجم دله على ذلك ابن سلام فقال لابن صوريا اقرا فلما قرا اتى على اية الرجم فوضع كفه عليها ثم قام ابن سلام فقال يا رسول الله قد جاوزها ووضع كفه عليها ثم قام ابن سلام فرفع كفه عنها وقرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة فيسال عن البينة فان كانوا عدولا رجما وان كانت المراة حبلى يتربص بها

حتى يضع

حتى يضع ما فى بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما فغضبت اليهود لذلك غضبا شديدا ورجعوا كفارا فذلك قوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب معناه الم تعلم يا محمد بالذين اعطوا حظا من التورية وقوله يدعون الى كتاب الله قال ابن عباس هو التورية دعى اليها اليهود فابوا لعلمهم بلزوم الحجة وان فيه البشارة بالنبى صلى الله عليه وسلم • وقال الحسن وقتادة اراد به القران فانهم دعوا الى القران لموافقته التورية فى اصول الديانة • وعن الضحاك فى هذه الاية ان الله تعالى جعل القران حكما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القران على اليهود والنصارى بانهم على غير الهدى فاعرضوا عنه • وقال قتادة هم اليهود دعوا الى حكم القران واتباع محمد صلى الله عليه وسلم فاعرضوا وهم يجدونه مكتوبا عندهم فى كتبهم قوله تعالى ثم يتولى فريق منهم اى يعرض جمع كثير منهم من الداعى وهم معرضون عن العمل بالمدعو اليه • وقيل معناه ثم يتولى فريق منهم بعد علمهم انها فى التورية وانما ذكر الاعراض بعد التولى لان الانسان قد يعرض عن الداعى ويتامل ما دعاه اليه فينظر انه حق او باطل وهم لم يتاملوا ولم يتفكروا فيما دعوا اليه قوله عز وجل ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات اى ذلك الاعراض والكذب بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات يعنون الاربعين يوما الذى عبد اباؤهم فيها العجل قوله عز وجل وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون اى غرهم افتراؤهم على الله انه لا يعذبهم الا اياما معدودات • ويقال غرهم افتراؤهم انهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه قوله عز وجل فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه اى كيف يحتالون وكيف يصنعون اذا جمعناهم بعد الموت لجزاء يوم لا شك فيه قوله تعالى ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون اى اعطيت كل نفس برة او فاجرة جزاء ما عملت من خير او شر تاما وافيا وهم لا يظلمون اى لا ينقصون من حسنة ولا يزادون على سيئة • قال الضحاك عن ابن عباس قال راية ترفع لاهل الموقف ذلك اليوم من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار قوله عز وجل قل اللهم مالك الملك توتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء قال على رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد الله تعالى ان ينزل الفاتحة واية الكرسى وشهد الله وقل اللهم مالك الملك تعلقن بالعرش

وقلن تهبطنا دار الذنوب والى من يعصيك فقال الله تعالى وعزتى وجلالى ما من عبد قراكن فى دبر كل صلاة
مكتوبة الا اسكنته حضرة القدس على ما كان منه والا نظرت اليه كل يوم سبعين نظرة والا قضيت له كل يوم
سبعين حاجة ادناها المغفرة واعذته من كل عدو ونصرته عليه ولا يمنعه من دخول الجنة الا ان يموت
ومعنى الاية ما قال ابن عباس لما فتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة ووعد امته ملك فارس والروم
قال المنافقون واليهود هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم وهم اعز وامنع من ذلك الم يكف محمدا مكة والمدينة
حتى طمع نفسه فى ملك فارس والروم • ويقال فى وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان اليهود قالوا لا نتبعك
فان النبوة والملك لم يزل فى سلافنا بنى اسرائيل فانزل الله هذه الاية • ومعناها قل يا محمد يا الله يا مالك
الملك وانما زيدت الميم لانها بدل عن يا التى هى حروف النداء الا ترى انه لا يجوز فى الاخبار ادخال الميم لا يقال
غفر اللهم لكما يقال فى النداء اللهم اغفر وهذا لا يجوز الجمع بين الميم فى اخره والنداء فى اوله لانه لا يجوز الجمع
بين العوض والمعوض وانما شددت الميم لانها عوض عن حرفين فان النداء حرفان وهذا اختيار سيبويه • و
قال الفراء معنا قول القايل اللهم يا الله ام بخير اى اقصد طرحت حركة الهمزة على الهاء قوله تعالى مالك الملك
اى ما لك كل ملك وهذه صفة لا يستحقها احد غير الله • وقيل معناه مالك امر الدنيا والاخرة • وقال مجاهد
اراد بالملك هنا النبوة • وقيل ان هذا لا يصح لانه قال وتنزع الملك والله تعالى لا ينزع النبوة من احد
لانه لا يختار لاداء الرسالة الا من يعلم انه يؤدى الرسالة على الوجه وانه لا يغير ولا يبدل لانه عالم بعواقب
الامور • ومعنى تؤتى الملك من تشاء اى تعطى الملك من تشاء ان تعطيه • وقال الكلبى تؤتى الملك من تشاء يعنى
محمدا واصحابه وتنزع الملك ممن تشاء يعنى الروم والعجم وساير الامم • وقال بعضهم تؤتى الملك اى العافية
قال صلى الله عليه وسلم من اصبح امنا فى سربه معافا فى بدنه وعنده قوت يومه فكانما حيزت له
الدنيا بحذافيرها • وقيل هو القناعة • وقال ابن المبارك دخلت على سفيان الثورى بمكة فوجدته مريضا
شارب دواء وبه غم شديد فسلمت عليه وقلت ما لك يا ابا عبد الله فقال انا مريض شارب دواء وبى غم
شديد فقلت اعندك بصلة قال نعم فقلت ايتنى بها فكسرتها ثم قلت له شمها فشمها فعطس عند ذلك
فقال الحمد لله رب العالمين فسكن ما به فقال يا ابن المبارك انت فقيه وطبيب فقلت مجرب يا ابا عبد الله

اى من ابى جهل واصحابه وقيل معناه تذل من تشاء
يعنى العرب وتنزع الملك ممن تشاء صح

قال قلت

قال فلما رايته سكن ما به وطابت نفسه قلت انى اريد ان اسالك حديثا قال سل ما شئت قلت اخبرنى من
الناس قال الفقهاء قلت فمن الملوك قال الزهاد قلت فمن الاشراف قال الاتقياء قلت فمن السفلة قال الظلمة ثم ودعته
وخرجت • وقيل معنى تؤتى الملك من تشاء يعنى ملك المعرفة كما اتى سحرة فرعون وتنزع الملك ممن تشاء كما نزع من
ابليس وبلعام • وقيل معنى الملك الجنة كما اتى المؤمنين قال الله تعالى وملكا كبيرا وتنزع الملك ممن تشاء كما
نزعته من الكفار • وقيل اراد بالملك توفيق الايمان والطاعة • وقيل هو قيام الليل • وقال الشبلى هو
الاستغناء بالمكون عن الكونين قوله تعالى وتعز من تشاء وتذل من تشاء • قال عطا تعز من تشاء يعنى المهاجرين
والانصار وتذل من تشاء يعنى فارس والروم • وقيل تعز من تشاء محمدا واصحابه حتى دخلوا مكة بعشرة
الاف ظاهرين عليها وتذل من تشاء ابا جهل واصحابه حتى جزت رؤسهم والقوا فى القليب • وقيل تعز من تشاء
بالايمان والمعرفة وتذل من تشاء بالكفر والنكير • وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية • وقيل
تعز من تشاء بالتوفيق والمعرفة وتذل من تشاء بالحرمان والخذلان • وقيل تعز من تشاء بالتمليك والتسديد وتذل
من تشاء بسلب الملك وتسليط العدو عليه • وقيل تعز من تشاء بقهر النفس ومخالفة الهوى وتذل من تشاء
باتباع الهوى • وقيل تعز من تشاء بان يقهر الشيطان وتذل من تشاء بان يقهره الشيطان • وقيل تعز من تشاء بالطاعة
والرضا وتذل من تشاء بالحرص والطمع قال بعضهم • الحر عبد ما طمع • والعبد حر ما قنع • وقال الشافعى
رضى الله عنه • الا يا نفس ان ترضى بقوت • فانت عزيزة ابدا غنية • وقال اخر • افادتنى القناعة كل عز •
وهل عز اعز من القناعة • فصيرها لنفسك راس مال • وصير بعدها التقوى بضاعة • وقال بعضهم معناه
يعز من يشاء بالاخلاص ويذل من يشاء بالريا • وقيل تعز من تشاء بالجنة والرؤية وتذل من تشاء بالنار و
الحجاب قوله عز وجل بيدك الخير انك على كل شىء قدير اى بيدك الخير والشر فاكتفى بذكر الخير لانه الافضل
ولانه انما قال ذلك على وجه الرغبة والرغبة انما يقع فى الخير لا فى الشر وفى كل واحد الامرين دليل على الاخر
كما قال تعالى سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد والمعنى تقيكم الحر والبرد • وقيل معنى الاية بيدك الخير
اى بيدك النصر والفتح والفىء والغنيمة وغير ذلك من خير الدنيا والاخرة قوله تعالى انك على كل شىء قدير
اى من الاعطا والنزع والعز والذل قوله عز وجل تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل اى يدخل

من الليل في النهار حتى يصير النهار خمسة عشر ساعة وهو اطول ما يكون واقصره تسع ساعات ويدخل النهار في الليل حتى تصير الليل خمسة عشر ساعة وهو اطول ما يكون واقصره تسع ساعات فما نقص من اجزاء احدهما دخل في الاخر وهذا قول اكثر المفسرين • وقال بعضهم معناه تذهب بالليل وتجي بالنهار وتذهب بالنهار وتجي بالليل قوله تعالى **وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي** قال ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وابن جبير والسدي معناه تخرج الحيوان من النطفة وهي ميتة وتخرج النطفة من الحيوان والدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة • وقال بعضهم تخرج النخلة من النواة والنواة من النخلة وتخرج السنبلة من الحبة والحبة من السنبلة • وقال الحسن معناه تخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والعالم من الجاهل والجاهل من العالم دليله قوله تعالى ومن كان ميتا فاحييناه الاية • وعن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على بعض نسائه فاذا هو بامراة حسنة الهيئة فقال من هذه قالت احدى خالاتك قال اي خالاتي هذه قالت هذه خالدة بنت الاسود بن عبد يغوث فقال صلى الله عليه وسلم سبحان الذي يخرج الحي من الميت وكانت امراة صالحة وكان مات ابوها كافرا • وقال اهل الاشارة معناه يخرج الحكمة من قلب الفاجر حتى لا تسكن فيه والسقطة من قلب العارف قوله تعالى **وترزق من تشاء بغير حساب** اي بغير تقدير وقد تقدم تفسير ذلك قوله عز وجل **لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين** قال ابن عباس نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي واصحابه المنافقين كانوا مع اظهارهم الايمان يتولون اليهود ويأتونهم باخبار المؤمنين ويرجون ان يكون لهم الظفر على المؤمنين فانزل الله هذه الاية ينهى المؤمنين عن مثل فعلهم وينهى المنافقين ايضا اي ان كنتم مؤمنين فلا تتخذوا الكفار اولياء من دون المؤمنين • وقال الضحاك عن ابن عباس نزلت في عبادة بن الصامت وكان بدريا نقيبا وكان له حلفاء من اليهود • فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب قال عبادة يا رسول الله ان معي خمسمائة رجل من اليهود وقد رايت ان يخرجوا معي فاستظهر بهم على العدو فانزل الله هذه الاية قوله تعالى **ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء** اي من تولاهم في نقل الاخبار اليهم واظهارهم على عورة المسلمين فليس في دين الله في شيء • وقال السدي فليس من الولاية في شيء فقد بري الله منهم كما قال تعالى في اية اخرى ومن يتولهم منكم فانه منهم يعني ان

ولى الكافر

ولى الكافر راض بكفره والرضى بالكفر كفر • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا بريء من كل مسلم مع مشرك قوله تعالى **الا ان تتقوا منهم تقاة** اي الا ان تحصل المؤمن في ايدي الكفار ويخاف على نفسه فيداهنهم فيرضيهم بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان فهو مرخص له في ذلك كما روي ان مسيلمة الكذاب لعنه الله اخذ رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاحدهما اتشهد ان محمد رسول الله قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال نعم وقال للاخر اتشهد ان محمد رسول الله قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال اني اصم فاعاد عليه السؤال ثلثا فاجاب في كل مرة بهذا الجواب فضرب مسيلمة عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما المقتول فمضى على صدقه ويقينه فهنيئا له واما الاخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه • فمعنى الاية الا ان تخافوا منهم مخافة • قرا الحسن والضحاك ومجاهد تقية • وقرا حمزة والكسائي بالامالة • وقرا الباقون بالتفخيم فكل ذلك لغات فيها ومعناها واحد قوله عز وجل **ويحذركم الله نفسه** اي يخوفكم عقوبته وبطشه على موالاة الكفار وارتكاب المنهي عنه • وقال الزجاج معناه يحذركم الله اياه وخاطب الله العباد على قدر علمهم وعقلهم ومعنى قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم حقيقة ما عندي ولا اعلم حقيقة ما عندك قوله تعالى **والى الله المصير** زيادة في الابعاد وتذكير بالمعاد اي ان فعلتم ما نهيتم عنه فمرجعكم الى الله قوله عز وجل **قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله** اي قل ان تسروا ما في قلوبكم من التكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم والعداوة بالمؤمنين والمودة للكفار او تظهروه بالشتم والطعن والحرب يعلمه الله تعالى فيجازيكم عليه وانما ذكر الصدر مكان القلب لانه مشتمل على القلب قوله تعالى **ويعلم ما في السموات وما في الارض** اي لا يخفى عليه شيء من عمل اهل السموات واهل الارض فلا يغرنكم الاخفاء فان الاخفاء والابداء عنده سوا قوله تعالى **والله على كل شيء قدير** اي على جزاء عمل السر والعلانية قادر قوله عز وجل **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا** نصب يوم بنزع الخافض لان اول هذه الاية منصرف الى قوله ويحذركم الله نفسه في يوم تجد • وقيل باضمار فعل اي اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا اي حاضرا مكتوبا في ديوانهم لا ينقص فيه • وقرا عبيدة بن عمير محضرا بكسر الضاد يعني ان عمله يحضره الى الجنة

قوله تعالى وما عملت من سوءٍ تودّ لو ان بينها وبينه امدًا بعيدًا اى والّذى عملت من سوءٍ يتمنى
ان يكون بينه وبين ذلك اجل طويل بعد ما بين المشرق والمغرب ليته لم يعمل جعل بعضهم وما جرا فى موضع
النصب واعمل فيه الوجود اى وتجد عملها وجعله بعضهم جزاءً مستأنفًا قوله عزّ وجلّ ويحذركم
الله نفسه والله رؤف بالعباد اى رحيم بالمؤمنين خاصّة هكذا قال ابن عبّاس • وقيل انّ اوّل
هذه الآية عدل واوسطها تهديد وتخويف وآخرها رأفة ورحمة قوله عزّ وجلّ قل ان كنتم
تحبّون الله فاتّبعونى يحببكم الله لمّا نزلت الآيات المتقدمة قالت اليهود نحن ابناء الله واحبّاؤه
وانّما يقول مثل هذه الآيات فى اعدائه واراد وا بقوله احبّاؤه نحبّه ويحبّنا فانزل الله هذه الآية
والمحبّة فى الحقيقة هى الارادة وهو ان تريد نفع غيرك فيبلغ مراده فى نفعك ايّاه • وامّا العشق
فهو افراط المحبّة فى هذا المعنى وامّا محبّة الطعام والملاذ فهو شهوة وتوقان النفس فامّا محبّة العباد لله
عزّ وجلّ فالله مستحيل عليه المنافع فلا يصحّ ان يراد بمحبّته هذه الطريقة لكن يراد بها اعظامه
واجلاله وطاعته ومحبّة رسوله واوليائه ومحبّة الله ايّاهم اثابته ايّاهم على طاعتهم وانعامه
عليهم وثناؤه عليهم ومغفرته لهم • ومعنى الآية ان كنتم تحبّون طاعة الله والرضا بشرايعه فاتّبعونى
على دينى يزدكم الله حبًّا ويغفر لكم ذنوبكم فى اليهوديّة والله غفور رحيم وروى الضحّاك عن ابن
عبّاس قال وقف النبىّ صلّى الله عليه وسلّم على قريش وهم فى المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم
وعلّقوا عليها بيض النعام وجعلوا فى اذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش والله
لقد خالفتم ملّة ابيكم ابراهيم وقالت قريش انّما نعبد هذه حبًّا لله ليقرّبونا الى الله زلفى فانزل الله
هذه الآية اى قل لهم يا محمّد ان كنتم تحبّون الله فاتّبعونى يحببكم الله فانا رسول الله اليكم وحجّته
عليكم وانا اولى بالتعظيم من اصنامكم فلمّا نزلت هذه الآية عرضها عليهم فلم يقبلوا • وقيل لمّا نزلت
هذه الآية عرضها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على اليهود فقال عبد الله بن ابى بن سلول انّ
محمّدًا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا ان نحبّه كما احبّت النصارى عيسى فانزل الله تعالى قوله
عزّ وجلّ قل اطيعوا الله والرسول فان تولّوا فانّ الله لا يحبّ الكافرين اى فان لم يفعلوا ما تدعوهم

اليه

اليه من اتباعك وطاعة امرك فانّ الله لا يحبّ الكافرين اى لا يغفر لهم ولا يثنى عليهم فلمّا نزلت هذه الآية
قالت اليهود نحن ابناء ابراهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله قوله تعالى انّ الله اصطفى آدم
ونوحًا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين معناه انّ الله اصطفاهم بالاسلام وانّ آدم كما لم ينفع اولاده
المشركين كذلك ساير الانبياء عليهم السلام لا ينفعونهم وصفوة الله هم الذين لا دنس فيهم بوجه من الوجوه
لا فى الاعتقاد ولا فى الفعل والاصطفاء هو الاختيار والصفوة هو الخالص من كلّ شىء فمعناه اصطفى آدم اى
اختاره واستخلصه • واختلفوا فى آل عمران فى هذه الآية • قيل اراد بهم موسى وهارون • وقيل اراد
مريم عليها السلام قوله تعالى ذرّيّة بعضها من بعض انتصب على البدل وقيل على التكرار واصطفى ذرّيّة
بعضها من بعض وقيل على الحال اى اصطفاهم حال كون بعضهم من بعض والله سميع عليم اى سميع لقولهم
عليم بهم وبمجازاتهم قوله عزّ وجلّ اذ قالت امرأة عمران ربّ انّى نذرت لك ما فى بطنى محرّرًا فتقبّل
منّى انّك انت السميع العليم قال ابو عبيد اذ زايدة فى الكلام وكذلك فى ساير الآى • وقال جماعة من
النحويين معناه واذكر اذ قالت وكان اسم امرأة عمران حنّة وهى امّ مريم وكان لها ابنتان احداهما
اشاع وعمران بن ماثان بينه وبين عمران ابى موسى الف وثمانماية سنة قوله تعالى ربّ انّى نذرت لك
ما فى بطنى محرّرًا اى اوجبت لك على نفسى ان اجعله عتيقًا لخدمة البيت المقدس وكانوا يحرّرون
اولادهم اى يعتقونها عن اسباب الدنيا يجعلون الولد خالصًا لله لا يستعملونه فى منافعهم ولم يكونوا
يحرّرون الّا الذكران وكان المحرّرون سكان بيت الله يتعهّدونه ويكنسونه فاذا بلغوا خيّروا فان احبّوا
اقاموا فى البيت وان احبّوا ذهبوا ومحرّرًا نصب على الحال قوله تعالى فتقبّل منّى نذرى انّك انت السميع
لدعائى العليم بنيّتى واخلاصى قوله عزّ وجلّ فلمّا وضعتها قالت ربّ انّى وضعتها انثى وذلك انّها
كانت تظنّ وقت النذر انّ ما فى بطنها ذكرًا فلمّا ولدت انثى توهّمت ان لا تقبل منها فقالت ربّ انّى وضعتها
انثى وكان هذا القول منها على وجه الاعتذار لانّ سعى الانثى اضعف وعقلها انقص وكانوا لا
يحرّرون النسا لخدمة البيت لما تلحقهنّ من الحيض والنفاس وقوله تعالى وليس الذكر كالانثى هو من
قول المرأة معناه ليس الذكر كالانثى فى خدمة البيت لانّ الانثى عورة فلا تصلح لما يصلح له الذكر قوله

على ما كى دينا ابائهم ولابنائهم وامهم وانتم على غير الاسلام

تعالى وانى سميتها مريم اى خادم الرب بلغتهم قوله تعالى وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان
الرجيم اى انى امنعها وولدها بك ان كانها ولد من الشيطان الرجيم المرجوم وهو المطرود من رحمة الله •
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مولود الا والشيطان طعنة فى جنبه حين يولد
فيستهل صارخا من الشيطان الا مريم وابنها عليهما السلام • اقرؤا ان شئتم وانى اعيذها بك وذريتها
من الشيطان الرجيم • قراء على والنخعى وابن عامر وضعت بضم التاء قوله عز وجل فتقبلها ربها بقبول حسن
وانبتها نباتا حسنا اى استجاب الله دعاء حنة وقبل نذرها وجعل مريم صوامة قوامة رباها الله
تربية حسنة قوله تعالى وكفلها زكريا اى ضمها للقيام بامرها • قال صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم
كهاتين واشار باصبعيه • وكان عمران قد مات وحنة حاملة بمريم • قرا الحسن ومجاهد وابن كثير
وشيبه ونافع وعاصم وابو بكر وابن عامر وكفلها مخففا وزكريا فى موضع رفع اى ضمها الى نفسه و
تصديق هذه القراة قوله تعالى ايهم يكفل مريم • وروى عن ابن كثير وكفلها زكريا بكسر الفاء اى ضمها • وقراء
الباقون وكفلها بالتشديد وزكريا بالنصب اى ضمها الله زكريا فضمها اليه بالقرعة وفى مصحف ابى
واكفلها بالالف وكان زكريا وعمران تزوجا اختين فكانت اشياع بنت فاقود اخت حنة عند زكريا
وكانت حنة بنت فاقود ام مريم عند عمران • قال المفسرون فلما وضعت حنة مريم لفتها فى خرقة
وحملتها الى المسجد فوضعتها عند الاحبار ابناء هارون عليه السلام وهم يلون بيت المقدس كما يلى
الحجبة الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم فقال لهم زكريا
عليه السلام انا احق بها لان خالتها عندى فقالت له الاحبار لا تفعل فانها لو تركت لاحق الناس بها لتركت
لامها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار
وقال السدى هو نهر الاردن • وقيل نهر سلوان • وقالوا نطرح اقلامنا فيه فمن صعد قلمه فهو احق
بها ومن سفل قلمه ورسا فلا شئ له ومضوا بالاقلام التى كانوا يكتبون بها كتاب الله تعالى فالقوها فى الماء
فارتفع قلم زكريا فوق الماء واحدرت اقلامهم فرسبت • قال السدى ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء
كانه فى طين وجرت اقلامهم فسهمهم زكريا فذلك قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم

يكفل

يكفل مريم فضمها زكريا الى نفسه وبنى لها بيتا واسترضع لها • وقال ابن اسحق ضمها الى خالتها ام يحيى عليه السلام
حتى اذا نشت وبلغت مبلغ النساء بنا لها محرابا فى المسجد وجعل بابه فى وسطه لا يرقا اليها الا بسلم
مثل باب الكعبة ولا يصعد غيره اليها وكان زكريا يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم وكان اذا دخل عليها وجد
عندها رزقا اى فاكهة فى غير حينها فاكهة الصيف فى الشتا وفاكهة الشتا فى الصيف فيقول لها من اين لك
هذا فانه لا يدخل عليك احد غيرى قالت هو من عند الله اى من قطف الجنة اتانى به جبريل عليه السلام •
وقال الحسن كان يجد عندها فوتها ولم يرضع ثديا قط وكان يأتيها رزقها من الجنة فيقول لها زكريا
انى لك هذا قالت هو من عند الله قال الحسن تكلمت وهى صغيرة فى المهد • والمحراب فى اللغة هو الموضع
العالى المقدم الشريف ومن ذلك سمى محراب المسجد لانه موضع محاربة الشيطان • وقيل المحراب هو
المسجد نفسه وكانت مساجدهم يسمى المحاريب كما قال الله تعالى اذ تسوروا المحراب وقوله تعالى
والله يرزق من يشاء بغير حساب قد تقدم تفسيره قوله عز وجل هنالك دعا زكريا ربه قال رب
هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء اى عندما راى زكريا امر الله فى مريم طمع ان
الذى يأتى مريم بالفاكهة فى الشتا يصلح له عقر زوجته فدعا عند ذلك وقال رب هب لى من لدنك
ذرية طيبة اى ولدا صالحا والذرية تكون واحدا وجمعا ذكرا او انثى وهو ههنا واحد و
يدل عليه قوله فهب لى من لدنك وليا ولم يقل اولياء وانما انث طيبة لانه على لفظ ذرية كما قال الشاعر •
ابوك خليفة ولدته اخرى • وانت خليفة ذاك الكمال • فانث ولدته لتانيث الخليفه قوله تعالى انك
سميع الدعاء اى سامع الدعاء ومجيبه وقولهم سمع الله لمن حمده اى اجاب وانشد • دعوت الله حتى خفت ان لا
يكون الله يسمع ما اقول • اى يجيب قوله عز وجل فنادته الملئكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك
بيحيى قرا الاعمش وحمزة والكسائى وخلف فناداه • وقرا الباقون فنادته واذا تقدم الفعل فانت فيه
بالخيار ان شئت انثت وان شئت ذكرت ومعنى الاية فناداه جبريل عليه السلام وهو قائم يصلى فى
المسجد بان الله يبشرك بولد اسمه يحيى والمراد بالملئكة ههنا جبريل وحده ونظيره قوله تعالى واذ قالت
الملئكة يا مريم يعنى جبريل وحده وقوله فى النحل ينزل الملئكة بالروح يعنى جبريل وحده بالروح اى

قايم

قايم

بالوحي يدل عليه قراة ابن مسعود فناداه جبريل وهو يصلي في المحراب وقوله تعالى ان الله يبشرك • قرأ ابن عامر والاعمش وحمزة ان الله بكسر الالف على اضمار القول تقديره فنادته الملائكة فقالت ان الله لان النداء قول • وقرأ الباقون بالفتح بوقوع النداء عليه كانه قال فنادته الملائكة بان الله قوله تعالى يبشرك قرأ حمزة والكسائي يبشرك بفتح اليا وجزم البا وضم الشين • وقرأ الباقون بضم اليا وفتح البا وتشديد الشين وكسرها قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله انتصب على الحال في قوله بكلمة من الله يعني عيسى عليه السلام يعني ان يحيى مصدقا بعيسى وكان يحيى اول من صدق بعيسى وشهد انه كلمة الله وروحه وكان يحيى اكبر من عيسى بثلث سنين وقيل بستة اشهر • واختلفوا في تسميته يحيى بهذا الاسم • فقال ابن عباس لان الله تعالى احيى به عقر امه وقال قتادة لان الله احيى قلبه بالايمان • وقيل بالنبوة • وقيل ان الله تعالى احيى قلبه بالطاعة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يلقى الله عز وجل الا وقد هم بخطيئة او عملها الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم بها ولم يعملها • وقال بعضهم سمي بذلك لانه استشهد والشهدا احيا عند ربهم يرزقون • قال النبي صلى الله عليه وسلم من هوان الدنيا على الله عز وجل ان يحيى قتلته امراة وقتل يحيى قبل رفع عيسى عليه السلام قوله تعالى بكلمة من الله انما سمي عيسى كلمة لان الله تعالى قال له كن من غير اب فكان فوقع عليه اسم الكلمة قوله تعالى وسيدا وحصورا السيد في اللغة وفي الحقيقة من يلزم طاعته ويجب على الناس الاقتدا به في العلم والحلم والعبادة والتقا • وقال الضحاك السيد الحسن الخلق • وقال ابن جبير السيد الذي يطيع ربه عز وجل • وقال ابن المسيب السيد الفقيه العالم • وقال سفيان هو الذي لا يحسد • وقال عكرمة هو الذي لا يغضب • وقال ذو النون الحسود لا يسود • وقال الخليل سيدا اي مطاعا • وقيل السيد القانع بما قسم الله له • وقيل هو الراضي بقضا الله • وقيل المتوكل على الله • وقال ابو يزيد البسطامي السيد هو الذي قد عظمت همته ونبل قدره ان يحدث نفسه بدار الدنيا • وقيل هو السخي • قال صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني سلمة قالوا جد بن قيس الا انه بخيل قال واي داء ادوى من البخل بل سيدكم عمرو بن الجموح قوله تعالى وحصورا الحصور هو الذي لا ياتي النسا وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وابن جبير وقتادة وعطا والسدي والحسن يعني انه يحصر نفسه عن الشهوات • وقال ابن المسيب والضحاك

هو العنين

هو العنين الذي ما له ذكر قوي ودليل هذا التاويل ما روى ابو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ابن ادم يلقى الله بذنب قد اذنبه يعذبه عليه ان شا او يرحمه الا يحيى بن زكريا فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ثم اهوى النبي صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الارض فاخذها وقال كان ذكره مثل هذه القذاة • وقال المبرد الحصور الذي لا يدخل في اللعب والعبث والاباطيل وقد يسمى كاتم السر حصورا والذي لا يدخل مع الناس في الميسر حصورا لامتناعه من ذلك واصله من الحصر وهو الحبس يقال حصر الرجل عن حاجته اذا حبسته وحصر في قراته اذا امتنع من القراة فلم يقدر عليها ومنه احصار العدو وقال الله تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي محبسا ويسمى الحصير حصيرا لانه ادخل بعضه في بعض بالنسج وحبس بعضه على بعض واولى ما قيل في تفسير قوله تعالى وحصورا هو الذي ياتي النسا يحبس نفسه عن ذلك اختيارا فهذا التاويل واحسن تاويل بعضهم انه لا شهوة له لما في هذا من اضافة عيب لعنة اليه قوله عز وجل قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء معناه قال زكريا لجبريل حين سمع البشارة يا سيدي كيف يكون لي غلام وقد ادركني الهرم وامراتي ذات عقر لا تلد قال له جبريل مثل ذلك يفعل الله ما يشا اي الذي شاه • وقال بعضهم اراد زكريا بالرب الله عز وجل اي قال يا رب كيف يكون لي غلام • قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن تسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة • وروى الضحاك عن ابن عباس انه كان ابن مائة وعشرين سنه وكانت امراته بنت ثماني وتسعين سنه فذلك قوله تعالى حاكيا عنه وامراتي عاقر اي عقيم لا تلد يقال رجل عاقر وامراة عاقر وقد عقر بضم القاف يعقر عقرا ويقال للكلم فلان حتى عقر بكسر القاف اذا بقي لا يقدر على الكلام وانما حذف الها منها قرا لاختصاص الايات بهذه الصفة كما يقال امراة مرضع وقوله تعالى حاكيا عن زكريا وقد بلغني الكبر هذا من المقلوب اي وقد بلغت الكبر وشخت • فان قيل هل يجوز ان يقول الانسان بلغني البلد كما يقول بلغت البلد قيل لا يجوز ذلك بحال وفي قوله بلغني الكبر يعني بلغت الكبر والفرق بينهما ان الكبر طالب للانسان لاتيانه عليه بحدوثه فيه والانسان كالطالب الكبر لبلوغه اياه بمرور السنين والاعوام عليه واما البلد فلا يكون طالبا للانسان كما يكون الانسان طالبا للبلد

الذي يحبس

فان قيل كيف قال زكريا انى يكون لى غلام فاستبعد ان يعطيه الله ولدا على كبر السن من امراة عاقر بعد ما
بشرته الملئكة بذلك • قيل لم يكن هذا القول منه على جهة الاستبعاد ولكن من شان من بشر بما يتمناه ان
يحمله فرط سروره به على الزيادة فى الاستكشاف والاستثبات كما يقول الانسان اذا راى شيئا من الامور
العظيمة كيف كان هذا على جهة الاستعظام لقدرة الله تعالى لا يشك فى القدرة • وقيل معناه على
اى حال يكون الولد ايردنى الله وامراتى الى حال الشباب ام على هذه الحالة • وقيل معناه ايرزقنى الله الولد
من امراتى هذه او من امراة غيرها شابة فقيل له كذلك يفعل الله ما يشاء اى كما ثمار السعفة اليابسة
يفعل الله ما يشاء قوله عز وجل قال رب اجعل لى اية قال ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا اى قال
زكريا يا رب اجعل لى علامة اذا حبلت امراتى عرفت ذلك منها اراد بهذا القول تعجيل السرور قبل
ظهور الولد بالولادة قال علامة ذلك ان لا تطيق الكلام مع احد من الناس مدة ثلثة ايام من غير خرس الا
رمزا اى الا اشارة بالعينين والحاجبين واليدين • وقيل الرمز تحريك الشفتين باللفظ من غير ابانة صوت
فذلك علامة حدوث حبل امراتك قوله تعالى واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار اى اذكر ربك
كثيرا فى هذه الايام الثلثة وسبح بالعشى والابكار اى صل غدوا وعشيا كما كنت تصلى من قبل فانما فرغت
من سبحتى اى من صلوتى وسميت الصلوة تسبيحا لما فيها من التوحيد والتحميد والتنزيه من كل سوء • وقيل
اراد بالتسبيح التسبيح المعروف فيما بين الناس • وقرا الاخفش رمزا بفتح الميم مصدرا مثل طلبا قوله تعالى
واذ قالت الملئكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين معطوف على
اذ قالت امراة عمران والمراد بالملئكة جبريل عليه السلام على ما تقدم ومعنى ان الله اصطفاك اى
اختارك لطاعته وعبادته وطهرك من الكفر بالايمان والطاعات كما قال تعالى ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت ويطهركم تطهيرا اراد طهارة الايمان والطاعات • وقيل معناه وطهرك من الادناس كلها من الحيض
والنفاس وغير ذلك وقوله تعالى واصطفاك على نساء العالمين اى اختارك على نساء عالمى زمانك
وبولادة عيسى من غير اب • وقيل معنى الاية وطهرك من المسيس الرجال • فان قيل كيف يجوز ظهور
الملئكة لمريم وذلك معجزة لا يجوز ظهورها على غير نبى ومريم لم تكن نبيا • قيل وانها وان لم تكن نبيا فان

ذلك

ذلك كان فى وقت زكريا عليه السلام ويجوز ظهور المعجزات فى زمن الانبياء عليهم السلام لغيرهم ويكون
ذلك معجزة له • وقيل كان ذلك ارهاصا لنبوة عيسى كما كانت الشهب وتظليل الغمام وكلام الذئب ارهاصا
لنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل يا مريم اقنتى لربك اى اخلصى لعبادة ربك • وقيل
ادمى الطاعة لربك • وقيل اطيلى القيام فى الصلوة وقيل معنى قوله تعالى اركعى مع الراكعين اى صلى
مع الجماعة فى بيت المقدس لانها كانت تخدم المسجد وفى الاية دليل على ان الواو لا توجب الترتيب لان
الركوع مقدم على السجود فى المعنى وقد تقدم السجود فى هذه الاية فى اللفظ قوله عز وجل ذلك من انباء
الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم اى ذلك ما قصصنا عليك
يا محمد من امر زكريا ويحيى ومريم وعيسى من اخبار ما غاب عنك نرسل جبريل اليك وكنت عندهم
يا محمد اذ يطرحون اقلامهم فى النهر ايهم يضم مريم للقيام بامرها وما كنت عندهم اذ يختصمون
فى امرها للتربية قوله عز وجل اذ قالت الملئكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى
ابن مريم اى اعلم واذكر اذ قالت الملئكة يعنى جبريل يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه يعنى عيسى عليه السلام
سماه كلمة لانه كان بكلمة من الله القاها الى مريم ولم يكن بوالد قوله تعالى اسمه المسيح انما ذكره بلفظ
التذكير لان معنى الكلمة الولد فلذلك لم يقل اسمها • واختلفوا فى تسميته مسيحا • قال ابن عباس المسيح
الممسوح بالبركة فالمسيح فعيل بمعنى مفعول • وقال بعضهم سمى مسيحا بمعنى الماسح كان يمسح ذوى العلل
فيبرؤن • وقيل لانه لا يمسح الارض مسحا ولا يستقر اى يسيح فيها • وقيل لانه خرج من بطن امه ممسوحا
بالدهن • وقيل مسحه جبريل بجناحه من الشيطان حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل • وقال الكلبى المسيح
الملك الذى لا حاجة له الى احد من المخلوقين • روى عن عيسى عليه السلام انه كان يقول الشمس ضيائى
والقمر سراجى ويقول الزيه طعامى ابيت حيث يدركنى الليل ليس لى ولد يموت ولا دار تخرب ولا مال
يسرق اصبح ولا غد الى وامسى ولا عشاء لى وانا [من] اغنى الناس قوله تعالى وجيها فى الدنيا والاخرة اى ذا قدر
ومنزلة فى الدنيا عند اهلها وفى الاخرة عند ربه والوجيه الذى لا يرد قوله ولا مسئلته قوله تعالى
ومن المقربين اى من المقربين الى ثواب الله فى جنة عدن وهى الدرجة العليا والتقرب الى الله يقرب الى

من اغنا صح

ثوابه قوله تعالى ويكلم الناس في المهد اى في مضجع الرضاع • قال مجاهد قالت مريم كنت اذا خلوت
انا وعيسى حدثته وحدثنى فاذا شغلنى انسان يسبح فى بطنى وانا اسمع قوله قوله تعالى وكهلا اى و
يكلم الناس بعد ما دخل في السن يعنى قبل ان يرفع الى السماء • وقال الحسن وكهلا اى بعد نزوله من السماء قوله
تعالى ومن الصالحين اى ومن المرسلين • وقال الكلبي اراد بالمهد الحجر روى انهم لما قالوا لها يا مريم لقد جئت
شيئا فريا كلمهم وهو في حجرها فقال انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا الاية وكان
يومئذ ابن اربعين يوما • فان قيل الكلام في حال كونه في المهد من يحسن يعجب الناس منه • واما الكلام في الكهولة
فليس يعجب فكيف ذكر الله قبل في ذلك الكلام وفي الكهولة بشارة لمريم فى ان عيسى يعيش الى وقت الكهولة • وقيل
تكلم في المهد ببراءة امه مما رماها به اليهود وتكلم بالكهولة بابطال ما ادعاه النصارى من كونه الها لانه
كان طفلا ثم صار كهلا ومن يكون بهذه الصفة لا يكون الها والكهل فى اللغة من جاوز حد الشباب ولم
يبلغ حد الشيخوخة يقال اكتهل النبات اذا قوى واشتد • وقيل الكهل هو الذى يكون ابن اربع وثلثين سنة
قوله عز وجل قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر اى ولم يصبنى رجل بالنكاح ولا بالسفاح وكان
هذا القول منها على جهة الاستعظام لقدرة الله لا على وجه الاستبعاد كما تقدم ذكره قال الله تعالى
قال كذلك الله يخلق ما يشاء اى يكون لك ولد من غير بشر قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن
فيكون اى اذا اراد خلق ما يشاء او حكم بتكوين شيء فانما يقول كن فيكون كما اراده الله تعالى وهذا
اخبار عن سرعة كون مراد الله عز وجل لا يكون في وهم العباد شيء اسرع من كن وانما ذكره بلفظ الامر
لانه ادل على القدرة ونصب بعض القراء فيكون على جواب الامر بالفاء • ورفعه الباقون على اضمار هو اى
فهو يكون قوله تعالى ويعلمه الكتاب والحكمة قرا نافع ومجاهد والحسن وعاصم بالياء لقوله تعالى
كذلك الله يخلق ما يشاء وقال المبرد رده على قوله ان الله يبشرك • وقرا الباقون بالنون على التعظيم
وردا على قوله نوحيه اليك قوله تعالى ويعلمه الكتاب والحكمة اى الخط • وقيل الزبور وغيره من
الكتب سوى التورية والانجيل وقوله تعالى والحكمة اى الفقه وهو فهم المعانى قوله تعالى والتورية و
الانجيل قيل علمه الله تعالى التورية في بطن امه والانجيل بعد خروجه قوله تعالى ورسولا الى بنى

اسرائيل

اسرائيل اى ونجعله بعد ثلثين سنة رسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بعلامة من ربكم لنبوتى
وقيل ورسولا عطفا على وجيها وكان اول انبيا بنى اسرائيل يوسف عليه السلام واخرهم عيسى عليه
السلام وقوله تعالى انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير قرا نافع انى بالكسر على الاستيناف واضمار
القول • وقرا الباقون بالفتح ومعنى الاية انى قد ركم من الطين واصوره كشبه الطير فانفخ في الطين
كنفخ النايم فيصير طيرا يطير بين السماء والارض بامر الله عز وجل ويقراء طايرا الان هذا احسن لان
الطاير يراد به الحال • قرا الزهرى وابو جعفر كهية الطير بالتشديد • وقرا الاخرون بالهمزة والهيئة
الصورة المهياة من قولهم هيات الشيء اذا اصلحته • وقرا ابو جعفر كهيئة الطاير بالالف قوله تعالى
فيكون طيرا قرا عامة القراء طيرا على الجمع لانه يخلق طيرا كثيرة • وقرا اهل المدينة طايرا بالالف على
الواحد ذهبوا الى نوع واحد من الطير لانه لم يخلق الا الخفاش وانما خص الخفاش لانه اكمل الطير
خلقا ليكون ابلغ فى القدرة لان لها ثديا واسنانا وهى تحيض وهى تطير ما دام الناس ينظرون اليه
فاذا غاب عن اعينهم سقط ولانه تطير بغير ريش وتلد ولا تبيض • وروى انهم لما قالوا لعيسى اخلق لنا
خفاشا الا متعنتين له لاجل مخالفته الطيور بهذه الاشيا التى ذكرناها فلما قالوا له اخلق لنا خفاشا
اخذ طينا ونفخ فيه فاذا هو خفاش يطير بين السماء والارض فقالوا هذا سحر فقال انا ابرئ الاكمه والابرص
واحيى الموتى باذن الله فقالوا ان ابرا الاكمه والابرص يفعله اطباؤنا فذهبوا الى جالينوس فاخبروه بذلك
فقال ان الذى ولد اعمى لا يبصر بالعلاج والابرص الذى لو غرز لا يخرج منه الدم لا يبرا بالعلاج
وان كان يحيى الموتى فهو نبى فجاؤا باكمه وابرص فمسح عليهما فبرا فقالوا هذا سحر فان كنت صادقا فاحيى
الموتى فاحيى اربعة من الموتى العازر وكان صديقا له فارسلت اخته الى عيسى ان اخاك العازر مات
فاتاه وكان بينهما مسيرة ثلاثة ايام فاتاه هو واصحابه فوجدوه قد دفن منذ ثلثه ايام فقام على
قبره وقال اللهم رب السموات السبع والارضين السبع احيى العازر فقام العازر من قبره وودكه تقطر
فخرج وبقى مدة طويلة وولد له واحيا ابن العجوز مر به وهو على سرير يحمل على اعناق الرجال الى المقابر
فدعا الله تعالى ان يحييه فجلس على سريره ونزل عن اعناق القوم ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع

الخامس عشر

الى اهله فبقي مدة وولد له • واحيا ابنة العاشر بعد موتها بثلثة فعاشت مدة وولدت • فقالوا
له انك تحيي من كان موته قريبا ولعلهم لم يموتوا فاحيي لنا سام بن نوح فقال دلوني على قبره فدلوه فدعا
الله تعالى ان يحييه فخرج من قبره فقال له عيسى عليه السلام من انت قال سام بن نوح قال ومن انا قال
عيسى روح الله وكلمته قال كيف شيبت يا سام ولم يكن في زمانكم شيب قال سمعت صوتا يقول اجب
روح الله فظننت ان القيمة قد قامت فشاب راسي من هول ذلك وكان سام قد عاش خمسمايه سنة
ومات وهو شاب فقال له عيسى عليه السلام يا سام اتحب ان اسال الله حتى تعيش معنا قال لا قال ولم
قال لان مرارة الموت لم تذهب من حلقي الى الان وكان له من يوم مات اكثر من اربعة الاف سنة ثم مات
مكانه فامن بعيسى بعضهم وكذبه بعضهم وقالوا هذا سحر فاخبرنا بما اكلنا وادخرنا فكان يقول
يا فلان انت اكلت كذا وادخرت كذا وانت يا فلان اكلت كذا وادخرت كذا فذلك قوله وانبئكم بما
تاكلون وما تدخرون في بيوتكم اي بما تاكلونه وما ترفعونه في بيوتكم حتى تاكلوه قوله تعالى وابرئ
الاكمه اختلفوا في الاكمه قال مجاهد والضحاك هو الذي يبصر بالنهار دون الليل • وقال ابن عباس وقتادة هو الذي ولد اعمى ولم يبصر شيئا قط • وقال الحسن والسدي هو الاعمى المعروف والابرص هو الذي به
وضح • وقال وهب ربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم الواحد خمسون الفا من اطاق منهم ان يبلغه
بلغه ومن لم يطق اياه عيسى يمشي اليه وانما كان يداويهم بالدعا على شرط الايمان قال الكلبي كان عيسى يحيي
الموتى بيا حي يا قيوم قوله تعالى وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون اي اخبركم بما تاكلون غدوه وعشيه
وما ترفعون من غدا العشا ومن عشا الغدا • وقرا مجاهد وما تدخرون بدال معجمة ساكنه وفتح الخا
قال السدي كان عيسى اذا كان في الصبيان مع المعلم حدث الصبيان بما يصنع اباوهم ويقول للصبي انطلق
فقد اكل اهلك كذا كذا وهم ياكلون الساعة كذا فينطلق الصبي الى اهله وهو يبكي ويطلب منهم ذلك
الشي حتى يعطوه اياه فيقولون له من اخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا اولادهم عنه وقالوا لا تلعبوا
مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجا عيسى يطلبهم فقالوا له ليسوا هنا قال فما في هذا البيت قالوا
خنازير قال عيسى كذلك يكونون ان شا الله ففتحوا عنهم فاذا هم خنازير باجمعهم فهموا بعيسى ان

يقتلوه

يقتلوه • فلما خافت عليه امه حملته على حمار لها وخرجت به هاربة الى مصر قوله تعالى ان في ذلك لاية
لكم ان كنتم مومنين اي ان فيما قلت لكم لعلامة لكم في نبوتي ان كنتم مصدقين بالله عز وجل قوله عز وجل
ومصدقا لما بين يدي من التورية معناه وجيتكم مصدقا لما بين يدي من التورية اي اتيت بالتوريه واحكامها
وصدقها • وقيل عني بالتصديق ان في التورية البشارة بي فاذا خرجت فقد صدقت ذلك ولا يجوز
ان يكون ومصدقا عطفا على ورسولا لانه لو كان ذلك لقال ومصدقا لما بين يديه قوله عز وجل
ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم لانه كان في التورية اشيا محرمة حلل عيسى بعضها وهو العمل في يوم
السبت وشحوم البقر والغنم وساير ما حرم عليهم بظلمهم • وقيل معناه ولاحل لكم كل الذي حرم عليكم
احباركم لاما حرمه انبياوكم ويكون البعض بمعنى الكل واستدل صاحب هذا القول بقول لبيد •••
تراك امكنة اذا لم ارضها • او يعتلق بعض النفوس حمامها • قيل معناه كل النفوس • وقال الزجاج لا يجوز
ان يذكر البعض عبارة عن الكل لان بعض الشي جزء منه قال ومعنى قول لبيد او يعتلق نفسي حمامها لان نفسه
بعض النفوس • وقرا النخعي ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم اي صار حراما قوله عز وجل وجيتكم باية
من ربكم اي لم احل لكم شيا مما حرم عليكم من غير برهان بل اتيتكم بعلامة نبوتي قوله تعالى فاتقوا الله و
اطيعون اي تقوا الله فيما امركم ونهاكم واطيعون فيما ابينه لكم ان الله ربي وربكم فاعبدوه اي قال لهم
عيسى ان الله خالقي وخالقكم فوحدوه هذا صراط مستقيم اي هذا الذي ادعوكم اليه طريق في الدين
لا عوج له من سلكه اداه الى الحق قوله عز وجل فلما احس عيسى منهم الكفر اي لما وجد عيسى وقيل لما علم
منهم الكفر والقصد الى قتله قال من انصاري الى الله اي من اعواني مع الله • وقيل معناه من انصاري الى
سبيل الله • وقيل من انصاري لله قال الحواريون نحن انصار الله اي قال المخلصون في النصرة والتصديق
نحن اعوان دين الله معك امنا بالله اي صدقنا بتوحيد الله واشهد يا عيسى بانا مسلمون و
الاحساس هو العلم من جهة الحاسه • واختلف المفسرون في الحواريين • قال بعضهم هم المخلصون
الخواص كما قال صلى الله عليه وسلم الزبير بن عمتي وحواري من امتي اي هم من خواص امتي وقد
كان الحواريون لعيسى اثني عشر رجلا من اصحابه مكان العشرة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

سمّوا الحواريين من الحور وهو الخلوص يقال عين حوراء اذا اشتد بياض بياضها وقلص اذا اشتد سواد
سوادها وحلص ومنه يقال دقيق حوارى للذى لم يبق منه الالبابه • وقال بعضهم سمّوا حواريين من
الحور وهو البياض لانهم اختلفوا فى بياضهم قيل كانوا قصّارين يبيضون الثياب فمرّ بهم عيسى عليه السلام
فقال الا ادلكم على تطهير انفع من هذا قالوا نعم قال تعالوا حتى نطهر انفسنا من الذنوب فبايعوه على ذلك
وقيل كانوا بيض الثياب • وقيل كانوا بيض القلوب من الفساد • وقال بعضهم كانوا صيادين فقال لهم عيسى
الا ادلكم على صيد انفع من هذا قالوا بلى قال تعالوا حتى نصطاد انفسنا من شرك ابليس فبايعوه
كانهم ذهبوا الى اشتقاقه من الحور الذى هو الرجوع ومنه سمى المحور لانه راجع الى المكان الذى زال
منه • وقيل لانه يدور لانه ينصقل حتى يبيض والمحور عود الخباز • وقيل المحور الذى يدور عليه
البكرة وربما كان من حديد • واما ما روى فى الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكون فمعناه من
الرجوع والخروج من الجماعة بعد ان كنا فيها يقال كار عمامته اذا لفها على راسه وحارها اذا
نقضها • قال مصعب لما اتبع الحواريون عيسى عليه السلام وهم اثنا عشر رجلا وكانوا اذا جاعوا قالوا يا
روح الله جعنا فيضرب بيده الى الارض سهلا كان او جبلا فيخرج لكل انسان رغيفين فياكلهما فاذا
عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج الما فيشربون فقالوا يا روح الله من افضل
منا اذا شئنا اطعمنا واذا شئنا اسقينا وامنا بك واتبعناك قال افضل منكم من عمل بيده وياكل من كسبه قال
فصاروا يغسلون الثياب بالكرى • وقال ابن المبارك سموا حواريين لانهم كانوا يرى بين اعينهم اثر العبادة و
نورها وحسنها • وقال النضر بن شميل الحوارى خاصة الرجل الذى يستعين به فيما ينوبه • وعن قتادة قال
الحوارى الوزير قوله تعالى ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اى قالوا ربنا امنا
بما انزلت فى كتابك يعنى الانجيل على عيسى واتبعنا عيسى فاكتبنا مع الشاهدين اى مع المصدقين لانبيائك
الذين يشهدوا بصدق الانبيا من قبلنا • وقال عطا معناه فاكتبنا مع الشاهدين مع النبيين • وقال ابن عباس
معناه مع محمد وامته قوله عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين يعنى مكر الكفار الذين
لم يومنوا لقصدهم قتل عيسى عليه السلام والمكر هو الاحتيال فى تدبير الشر وقوله ومكر الله اى

فهذا صح

جازاهم الله

جازاهم الله على ما تقدم ان الجزا على المكر يسمى مكرا كما فى الاعتدا والسيئة والاستهزا وقوله تعالى و
الله خير الماكرين اى هو افضل المعاقبين حين جازى الكفار على صنعهم وخلص الممكور به • وذلك ان عيسى
عليه السلام بعد اخراج قومه اياه وامه من بين اظهرهم عاد اليهم مع الحواريين ودعاهم الى الاسلام
فهموا بقتله وتواطئوا عليه وذلك مكرهم فلما اجتمعوا على قتله هرب منهم الى بيت فدخله فرفعه
جبريل من الكوة الى السما فقال ملك اليهود وامه يهوذا لرجل خبيث منهم يقال له طيطانوس ادخل عليه
البيت فدخل فالقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام فلما لم يجد عيسى خرج فراوه على شبه عيسى
فظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان
هذا صاحبنا فاين عيسى وان كان هذا عيسى فاين صاحبنا فوقع بينهم قتال فقتل بعضهم بعضا • وقال
وهب لما طرقوا عيسى فى بعض الليل ونصبوا له خشبة ليقتلوه اظلمت عليهم الارض فصلبوا رجلا منهم يقال
له يهوذا ظنوا انه عيسى عليه السلام وهو الذى دلهم عليه وذلك ان عيسى جمع الحواريين فى تلك
الليلة ثم قال ليكفرن بى احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعنى بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود
تطلبه فاتى احد الحواريين الى اليهود وقال لهم ما تجعلون لى ان يدلكم على عيسى فجعلوا له ثلثين درهما
فاخذها ودلهم عليه فالقى الله عليه شبه عيسى فلما دخل البيت ورفع عيسى القى الله شبه عيسى
على الذى دلهم عليه فقتلوه وصلبوه • وروى انه لما اخذوه ليقتلوه قال لهم انا الذى دللتكم عليه
فلم يقبلوا منه ولم يلتفتوا عليه وصلبوه وهم يظنونه عيسى • وقال اهل التواريخ حملت مريم بعيسى
ولها ثلث عشر سنة وولدت عيسى لمضى خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى
الله اليه على راس ثلثين سنه ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلث وثلثين
سنه وعاشت امه بعد رفعه ست سنين • والمكر هو السعى بالفساد فى ستر ومناجاة واصله من قول
العرب مكر الليل وامكر اذا اظلم والمكر من المخلوقين الخب والخديعة والغيلة وهو من الله استدراجه العباد
قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون • قال ابن عباس كلما احدثوا خطيئة جددت لهم نعمه •
وقال الزجاج مكر الله مجازاتهم على مكرهم فسمى الجزا باسم الابتدا كقوله تعالى الله يستهزئ بهم

وقوله وهو خادعهم • وقال عمرو بن كلثوم • الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا • وسئل
رجل جنيداً كيف رضى الله المكر لنفسه وقد عاب به غيره قال لا ادري ولكن انشدني فلان • فديتك قد جبلت
على هواكا • فنفسي لا تنازعني سواكا • احبك لا ببعضي بل بكلي • وان لم يبق حبك لي حراكا • ويقبح من سواك
فعل عندي • وتفعله فيحسن منك ذاكا • فقال الرجل سئلتك عن اية في كتاب الله تعالى وتجيبني بشعر فلان
فقال ويحك قد اجبتك ان كنت تعقل • ومكر الله بهم خاصة في هذه الآية القاؤه الشبه على صاحبهم
الذي اراد قتل عيسى عليه السلام كذا في تفسير الثعلبي قوله عز وجل اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك و
رافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة اول هذه
الآية متصل بقوله خير الماكرين وقيل معناه واذكروا اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي • قال
الضحاك كسا الله عيسى الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فطار في الملائكة • و
اختلف المفسرون في معنى التوفي في هذه الآية • فقال الحسن والكلبي وابن جريج معناه اني قابضك ورافعك
من الدنيا من غير موت فعلى هذا القول للتوفي تاويلات احدها اني رافعك الي وافيا لم ينالوا منك
شيئاً من قولهم توفيت كذا واستوفيت اي اخذته تاما • والاخر معناه اني مسلمك من قولهم توفيت كذا
اي سلمته • وقال الحسن معناه اني منيمك ورافعك الي من نومك يدل عليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم
بالليل اي ينيمكم لان النوم اخو الموت • وروي عن ابن عباس ان معنى الآية اي مميتك يدل عليه قوله تعالى
قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وله على هذا القول تاويلان احدهما قال وهب بن منبه توفاه الله
ثلث ساعات من النهار ثم احياه ورفعه اليه • والآخر قال الضحاك ان في الكلام تقديما وتاخيرا معناه
اني رافعك ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك من السماء • وقال الشاعر • الا يا نخلة من
ذات عرق • عليك ورحمة الله السلام • اي عليك السلام ورحمة الله • قال صلى الله عليه و
سلم انا اولى الناس بعيسى عليه السلام لانه لم يكن بيني وبينه نبي وانه نازل على امتي وخليفتي فيهم فاذا
رايتموه فاعرفوه وانه رجل مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الشعر كان شعره يقطر وان لم يصبه
بلل يدق الصليب ويقتل الخنزير ويقاتل الناس على الاسلام ويهلك الله في زمانه الملل كلها ويهلك

الله في

الله في زمانه الدجال ويقع امنه في الارض حتى ترتعي الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب
مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات لا يضر بعضهم بعضا ويلبث في الارض اربعين سنة • وفي رواية
كعب اربع وعشرين سنة ثم يتزوج ويولد له ثم يموت ويصلي عليه المسلمون ويدفنوه في بيت النبي
صلى الله عليه وسلم • وقيل للحسن بن الفضل هل تجد نزول عيسى من السما في القران قال نعم قوله تعالى
ويكلم الناس في المهد وكهلا وهو لم يكتهل في الدنيا وانما رفع وهو شاب وانما معناه وكهلا بعد نزوله
من السما • وعن قول ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يهلك امة انا في اولها وعيسى
في اخرها والمهدي من اهل بيتي في وسطها • وقال ابن عمر رأينا النبي صلى الله عليه وسلم تبسم في
الطواف فقيل له في ذلك فقال استقبلني عيسى في الطواف ومعه ملكان وقوله عز وجل ومطهرك
من الذين كفروا اي مخرجك من بين اظهرهم ومنجيك منهم فانهم كانوا ارجاسا وكان تطهير عيسى منهم
ازالتهم عنه برفعه فان التطهير ازالة الانجاس عن الثوب والبدن وقوله عز وجل ورافعك الي اي
الى السما وقيل الى كرامتي كما قال ابرهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني ربي قوله
عز وجل وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة معناه جاعل الذين امنوا بك فوق الذين
كذبوا بك اي فوقهم في العز والغلبة لا ترى يهوديا حيث كان الا اذل من النصراني قالوا وهذا يدل
على انه لا يكون لليهود ملك كما هو للنصارى • وقيل اراد بقوله فوق الذين كفروا فوقهم بالحجة والبرهان
قال ابن عباس والربيع وقتادة والشعبي ومقاتل والكلبي المراد بالذين اتبعوا عيسى امة محمد صلى الله
عليه وسلم الذين صدقوه فيما قال ان الله ما اتبعه من ادعاه ربا تعالى الله عز وجل وتقدس ان يكون له ولد
قال الضحاك يعني الحواريين قوله تعالى ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون اي مرجع الكفار
والمؤمنين الي فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين وامر عيسى عليه السلام قوله
عز وجل فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة اي اعاقبهم عقوبة شديدة في
الدنيا بالقتل والسبي والجزية وفي الاخرة بالنار وما لهم من ناصرين اي مانعين يمنعونهم من عذاب الله
قوله عز وجل واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم قرا الحسن وحفص فيوفيهم باليا

فوقهم صح

ومعناه الذين صدقوا وعملوا الصالحات يكمل لهم ثواب اعمالهم بالطاعة والله لا يحب الظالمين اى لا
يرحمهم ولا يغفر لهم قوله عز وجل ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم اى ما جرى من القصص ينزل به
عليك يا محمد فيتلوه عليك جبريل بامرنا وانما اضاف التلاوة الى نفسه لانه حصل بامره وقوله تعالى من
الآيات اى من علامات نبوتك وما فيه عبرة لمن اعتبر وقوله والذكر الحكيم اى ومن القرآن ومن الحكمة بالتأليف
والنظم وسماه حكيما لانه بما فيه من الحكمة كانه ينطق بالحكمة ويقال بمعنى الحكيم المحكم وهو فعيل بمعنى مفعول
قوله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون قال ابن عباس وذلك ان نصارى
نجران السيد والعاقب وغيرهم من علمائهم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم النبى صلى الله
عليه وسلم اسلموا فقالوا اسلمنا قبلك فقال صلى الله عليه وسلم يمنعكم من الاسلام ثلث اكلكم الخنزير
وعبادتكم الصليب وقولكم لله عز وجل ولد فقالوا له ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه
عبد الله قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت
انسانا قط من غير اب فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب اى صفة خلق
عيسى بلا اب كصفة خلق آدم خلقه من تراب من غير اب ولا ام ثم قال لآدم كن فكان واراد الله تعالى
بهذه الآية ان كون الولد من غير اب ليس باعجب من كون الانسان بغير اب وام وقد خلق الله آدم من غير
اب وام وفى هذه الآية دلالة على صحة القياس لانه لو لم يصح القياس لم يكن الله يحتج به وفيها
دليل على جواز قياس الشئ بالشئ من وجه دون وجه لان الله عز وجل انما شبه عيسى بآدم فى كونه
من غير اب لا فى كونه من غير ام ولا فى خلقه من التراب • فان قيل هلا قال الله تعالى كن فكان فان آدم قد
انقضى كونه وقد اخبر عنه بالمستقبل قيل ان الفعل الماضى منقطع والمضارع متصل ومن ذلك يقال
روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه فعل كذا وكان فعل كذا لانه لا يقتضى التكرار • وما روى
انه كان يفعل كذا فانه على التكرار دون الانقطاع ثم فعل الله يبنى على المهلة ويحدث على التدريج
الا ترى انه خلق السموات والارض فى ستة ايام وكذلك بدت الحيوة فى آدم على التدريج وكذلك
امر عيسى على التدريج كان يبدا شيئا فشيئا فاخبر الله عز وجل عن ذلك بفعل دائم قوله عز وجل

الحق

الحق من ربك فلا تكونن من الممترين قال الفراء رفع بخبر ابتداء محذوف تقديره هو الحق او هذا الحق وقيل تقديره
هذا الذى انباتك به هو الحق والصدق فى امر عيسى فلا تكن من الممترين اى من الشاكين • فالخطاب للنبى صلى
الله عليه وسلم والمراد به امته لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن شاكا فى امر عيسى عليه السلام
قط وهذا كما قال تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء • وقال بعضهم معناه لا تكن ايها السامع لهذا النبا
من الشاكين قوله عز وجل فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم اى فمن خاصمك وجادلك يا محمد
فى امر عيسى من بعد ما جاءك من البيان بانه عبد الله ورسوله ولم يكن ابن الله ولا شريكه فقل تعالوا
يا معشر النصارى ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم لنخرج الى فضاء من الارض
ثم نبتهل اى نلتعن والبهلة اللعنة يقال بهله الله اى لعنه وباعده ويقال نبتهل نجتهد ونتضرع فى الدعاء على
الكاذب ثم فسر الابتهال فقال تعالى فنجعل لعنة الله على الكاذبين اى نقول لعنة الله على الكاذبين فى
امر عيسى قرا الحسن وابو واقد وابو السمال العدوى تعالوا بضم اللام • وقرا الباقون تعالوا بفتح اللام و
الاصل فيه تعاليوا لانه تفاعلوا من العلو فاستثقلت الضمة على الياء فسكنت ثم حذفت وبقيت اللام
على فتحها ومن ضم فانه نقل حركة الياء المحذوفة على اللام وقال الفراء معنى تعال ارتفع فلما قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الآية على نصارى نجران وقال لهم ان الله امرنى ان اباهلكم ان لم تقبلوا قالوا له
يا ابا القاسم بل نرجع فننظر فى امرنا ثم ناتيك فنعلمك فرجعوا وخلا بعضهم ببعض وقال السيد العاقب
قد والله علمت ان الرجل نبى مرسل ولان لاعنتموه يا معشر النصارى ليستاصلنكم وما لاعن نبى قط قوما
فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم وان انتم ابيتم الا الف دينكم فوادعوه وارجعوا الى بلادكم فاتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد وقد خرج نفر من اهله محتضنا للحسين آخذا بيد الحسن
وفاطمة يمشى على اثرهم وعلى بعدها وهو يقول لهم اذا انا دعوت فامنوا فقال واحد من النصارى
والله انى لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى
على الارض نصرانى الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم قد راينا ان لا نلاعنك ونتركك على دينك
ونثبت على ديننا فقال صلى الله عليه وسلم فان ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم

معنى صح

ما عليهم فابوا فقال انى انا بذكم فقالوا ما لنا بحرب العرب من طاقة ولكنا نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا
عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام الفى حله الف فى صفر والف فى رجب فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ذلك وقال لهم وان كان كيد باليمن اعيرونا ثلثين درعا وثلثين فرسا وثلثين بعيرا والمسلمون ضامنون لها
حتى يردوها عليكم وكتب لهم كتاب الامان والصلح • بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب محمد رسول الله لنجران فى
كل صفراء وبيضاء وسوداء او رقيق فافضل عنهم ترك ذلك كله على الفى حله فى كل صفر الف حله وفى كل رجب الف حله
ثمن كل حلة اوقيه وما زادت الحلل على الاواق فبحسابها وما نقص من درع او خيل او ركاب فبحساب به وعليهم
عارية ثلثين درعا وثلثين فرسا وثلثين بعيرا ان كان كيد باليمن ولنجران وحاشيتها جوار الله تعالى
وذمة محمد على انفسهم وما لهم وكل ما تحت ايديهم من قليل وكثير لا تغير ما كانوا عليه ولا يغير اسقف من اسقفه
ولا راهب من رهبانيته ولا يحشرون من بلادهم ولا يعشرون ولا يطا ارضهم جيش ومن سال منهم حقا فله
النصف غير ظالمين ولا مظلومين ومن اكل الربا من ذى قبل فذمتى منه بريه لا يؤخذ منهم رجل بطالب اخرهم
جوار الله وذمة رسوله ابدا حتى ياتى الله بامره ما نصحوا واصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم شهد الشهود
ابو سفيان بن حرب وعلان بن عمرو ومالك بن عوف وغيرهم ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
معهم معاذ بن جبل ليقضى بالحق فيما بينهم ورجعوا الى بلادهم فقال صلى الله عليه وسلم لو باهلونى لاضطرم
الوادى عليهم نارا ولم يبق نصرانى ولا نصرانيه الى يوم القيمة • وفى بعض الروايات انه قال لو التقوا اهلكوا كلهم
حتى العصافير فى سقوفهم • وفى بعض الروايات ان النبى صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده ان
العذاب تدلى على اهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم الوادى عليهم نارا ولاستاصل
الله نجران واهله حتى الطير والشجر وما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا فدل هذا الخبر على ان امتناعهم
عن المباهلة لم يكن الا لعلمهم ان الحق مع النبى صلى الله عليه وسلم ولو لم يعلموا ذلك لباهلوه قال عز وجل
ان هذا لهو القصص الحق اى هذا الذى اوحينا اليك من الحجج والايات هو الخبر الحق بان عيسى لم يكن لله ولد
ولا شريكه والقصص هو الخبر الذى يتلو بعضه بعضا قوله تعالى **وما من اله الا الله** اى ما اله الا الله
واحد بلا ولد ولا شريك ودخول من فى قوله وما من اله لتوكيد النفى فى جميع ما ادعاه المشركون انهم آلهة

قوله تعالى **وان الله لهو العزيز الحكيم** اى العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن به ذو الحكمة فى خلق عيسى عليه
السلام من غير اب وفى امر الا تعبدوا الا الله تعالى قوله تعالى **فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين**
اى ان اعرضوا عما اتيت به من البيان فان الله عالم بالمفسدين الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس
الى عبادة غير الله يجازيهم على ذلك فدعاهم الله الى التوحيد فقال عز وجل **قل يا اهل الكتاب**
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا اى قل لهم يا محمد يا اهل
الكتاب هلموا الى كلمة عدل بيننا وبينكم وفى سوا ثلث لغات سواء وسوى وسوا ولا يمد فيها الا المفتوح
قال الله تعالى مكانا سوى ثم فسر الكلمة فقال تعالى الا نعبد الا الله ولا نشرك به احدا من المخلوقين
وموضع ان رفع على اضمار هى وقيل موضعها نصب بنزع الخافض وقيل موضعها خفض بدلا من الكلمة
اى تعالوا الى ان لا نعبد الا الله قوله تعالى **ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله** اى يرجع الى
معبودنا وهو الله عز وجل لا شريك له وان عيسى بشر كما اننا بشر فلا نتخذه ربا وسمى الله هذه الثلثة
الالفاظ كلمة لان معناها ترجع الى شئ واحد وهى كلمة العدل لا اله الا الله وقال بعض المفسرين معناه
ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله كما فعلت اليهود والنصارى فانهم اتخذوا احبارهم و
رهبانهم اربابا من دون الله اى اطاعوهم فى معصية الله • وقال عكرمة هو سجود بعضهم لبعض
وقيل معناه لا نطيع احدا فى المعاصى • وفى الخبر من اطاع مخلوقا فى معصية الله فكانما سجد سجدة لغير الله
قوله تعالى **فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون** اى فان ابوا التوحيد فقولوا انتم اشهدوا بانا مقرون
بالتوحيد مستسلمون لما اتتنا به الانبياء صلوات الله عليهم من الله تعالى قوله تعالى **يا اهل الكتاب**
لم تحاجون فى ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده قال الكلبى وذلك ان اليهود
والنصارى اجتمعوا فى بيت مدرسة اليهود وكل فريق يقول ان ابراهيم منا وعلى ديننا فاتاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا اقض بيننا اينا اولى بابراهيم ودينه فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين
منكم برئ من ابراهيم ودينه ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وانا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فانزل
الله هذه الاية ومعناها يا ايها اليهود والنصارى لم تخاصمون فى ابراهيم ودينه وما انزلت التورية

والانجيل الا من بعده افلا تعقلون اى افليس لكم ذهن الانسانية فتعلموا ان اليهودية ملة محرفة عن شريعة
موسى عليه السلام وان اليهود سموا بهذا الاسم لانهم من ولد يهوذا • والنصرانية ملة محرفة عن شريعة
عيسى عليه السلام سموا نصارى لانهم من قرية بالشام يقال لها ناصرة ويقال معناه افلا تعقلون و
تنظرون انه ليس فى التورية والانجيل ان ابراهيم عليه السلام كان يهوديا او نصرانيا قوله تعالى وما انزلت
التورية والانجيل الا من بعده اى من بعد هلاك ابراهيم عليه السلام بزمان طويل • وكان بين ابراهيم
وموسى الف سنة وبين موسى وعيسى الف سنة افلا تعقلون دحوض حجتكم وبطلان قولكم قوله عز وجل
ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم معناه وانتم يا هؤلاء يا معشر
اليهود والنصارى حاججتم فيما لكم به علم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته فى كتابكم فلم تخاصمون
فيما ليس لكم به علم وهو امر ابراهيم عليه السلام والله يعلم دين ابراهيم وشانه وانتم لا تعلمون وها
فها انتم تنبيه وانتم اسم للمخاطبين وهؤلاء اشارة اليهم كانه يقول انتبهوا انتم الذين حاججتم
قرا اهل المدينة والبصرة بغير همز ولا مد الا بقدر خروج الالف الساكنة • وقرا اهل مكة مهموز مقصور
على وزن هعتم • وقرا اهل الكوفة وابن عامر بالمد والهمز • وقرا الباقون بالمد دون الهمز قوله عز وجل
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا هذا تكذيب من الله للفريقين فى قولهم ان ابراهيم كان يهوديا او
نصرانيا وقوله ولكن كان حنيفا مسلما اى مايلا عن اليهودية والنصرانية مخلصا مستسلما لامر الله
عز وجل وما كان من المشركين على دينهم والحنيف هو المايل عن كل دين سوى الاسلام شبه بالاحنف
الذى يكون صدور قدميه مايلة عن جهة الخلقة • وقيل الحنيف الذى يوحد ويحج ويضحى ويختتن
ويستقبل القبلة وهو اسهل الاديان واحبها الى الله واهله اكرم الخلق على الله قوله عز وجل ان
اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين امنوا قال ابن عباس والكلبى وذلك ان رؤسا
اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد علمت انا اولى بدين ابراهيم منك ومن غيرك
وانه كان يهوديا وما بك الا الحسد لنا فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها ان احق الناس بموالاة
ابراهيم للذين اتبعوه فى دينه فى زمانه ولم يغيروا ولم يبدلوا وهذا النبى يعنى محمدا صلى الله عليه

وسلم

وسلم والذين امنوا يعنى اصحابه الذين اتبعوه قوله تعالى والله ولى المؤمنين اى فى النصر والمعونة قوله
عز وجل ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم يعنى كعب بن الاشرف واصحابه دعوا اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم معاذا وحذيفة وعمار بن ياسر الى دينهم اليهودية وقد مضت قصتهم فى سورة البقرة
ومعناه تمنت جماعة من اهل الكتاب ان يهلكوكم بادخالكم فى الضلال وما يرجع وبال اضلالهم الا على انفسهم
وما يشعرون وما يعلمون ان وبال ذلك يعود عليهم وقيل ما يعلمون ان الله يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم
على فعلهم قوله عز وجل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون اى لم تجحدون بمحمد صلى الله
عليه وسلم والقران وانتم تعلمون فى كتابكم انه نبى مرسل يعنى نعته مذكور فى التورية والانجيل
والاصل فلم تكفرون لما تكفرون اى لاى شى تكفرون حذفت الالف للتخفيف وفتحت الميم دليلا على سقوط
الالف وعلى هذا لم تقولون وفيم تبشرون وعم يتساءلون قوله عز وجل يا اهل الكتاب لم تلبسون
الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون معناه لم تخلطون الاسلام باليهودية والنصرانية • وقيل
انهم اقروا ببعض امر النبى صلى الله عليه وسلم وكتموا البعض • وقيل معناه لم تغطون الحق بباطلكم
وتغطيتهم للحق بالباطل تحريفهم للتورية والانجيل وتاويلهم على غير وجهه وقوله تعالى وتكتمون الحق
يعنى صفة النبى صلى الله عليه وسلم كتموها وهم يعلمون انه رسول الله ودينه حق • قرا
ابو مخلد تلبسون بالتشديد • وقرا عبيد بن عمير لم تلبسوا بغير نون ولا وجه له قوله عز وجل و
قالت طايفة من اهل الكتاب امنوا بالذى انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره قال مجاهد
ومقاتل والكلبى هذا فى شان القبلة لما صرفت القبلة الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف
لاصحابه امنوا بالذى انزل على محمد فى شان الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا بالكعبة اخر النهار
وارجعوا الى قبلتكم صخرة بيت المقدس لعلهم يرجعون اى لعلهم يقولون هؤلاء اصحاب كتاب وهم
اعلم منا فربما يرجعون الى قبلتنا فحذر الله نبيه صلى الله عليه وسلم مكر هؤلاء القوم واطلعه على
سرهم • وقال بعضهم ان علماء اليهود قالوا فيما بينهم كنا نخبر اصحابنا باشيا قد اتى بها محمد صلى الله عليه وسلم
فان نحن كفرنا بها كلها اتهمنا اصحابنا ولكن نومن ببعض ونكفر ببعض ليتوهموا انا نصدقه فيما نصدقه

ونبيهم انا نكذب به فيما ليس عندنا ● ويقال انهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم في صدر النهار فقالوا انك
انت الذي خبرنا في التورية انك مبعوث ولكن انظرنا الى العشي لننظر في امرنا فلما كان العشي اتوا الانصار فقالوا
لهم كنا اعلمناكم ان محمدا هو النبي الذي هو مكتوب في التورية الا انا نظرنا في التورية فاذا هو من ولد هارون
عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل بن ابراهيم فليس هو النبي الذي هو عندنا وانما
فعلوا ذلك لعل من آمن به منهم يرجع لان هذا يكون اقرب عندهم الى تشكيك المسلمين ووجه الشيء اوله
يقال لاول الثوب وجه الثوب وسمي وجه النهار اوله لانه احسنه قوله عز وجل **ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم**
حكاية قول كعب بن الاشرف واصحابه وقالوا لليهود لا تصدقوا الا لمن تبع دينكم اليهودية وصلى الى قبلتكم نحو
بيت المقدس قوله تعالى **قل ان الهدى هدى الله** قال بعضهم هذا كلام معترض بين كلامي اليهود ويجوز دخول
العارض بين الكلامين اذا احتيج اليه كما دخل على قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع
اجر من احسن عملا ثم عاد الى اول الكلام فقال تعالى اولئك لهم جنات عدن وكذا قوله تعالى قل ان الهدى
هدى الله عارض ثم عاد الى كلام اليهود فقال تعالى **ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم** اي قالوا لا تصدقوا
ان يعطى احد من الكتاب والعلم مثل ما اعطيتم او ان يحاجكم احد عند ربكم الا من كان مثلكم على دين
اليهودية قل يا محمد ان الهدى هدى الله و**ان الفضل بيد الله** فلا تنكروا ان يؤتيه غيركم ● وقال بعضهم
ليس في الاية تقديم وتاخير ومعناه قالت اليهود ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل يا محمد ان الهدى هدى الله
فلا تجحدوا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
اي النبوة والكتاب والهدى تقديره الله تعالى يعطيه **من يشاء والله واسع عليم** اي واسع الفضل والقدرة
عليم بمن هو من اهل الفضل ● وقيل معنى الاية ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ملتكم ولا تؤمنوا الا ان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والحجة والمن والسلوى وفلق البحر وغيرها من الكرامات ولا
تؤمنوا الا ان يجادلوكم عند ربكم لانكم اصح دينا منهم وهذا قول مجاهد ● وقال ابن جريج معناه ان
اليهود قالت لسفلتهم لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كراهة ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم فاي فضل يكون لكم عليهم حين
علموا ما علمتم وحينئذ يحاجوكم عند ربكم فيقولون عرفتم ان ديننا حق فلا تصدقوهم لئلا يعلموا مثل

علمتم فلا يحاجوكم عند ربكم ويجوز ان يكون على هذا القول مضمر كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا او
يكون تقديره ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم لئلا يؤتى احد مثل ما اوتيتم لئلا يحاجوكم به عند ربكم ● وقرأ
الحسن والاعمش ان يؤتى بكسر الالف وجه هذه القراءة ان هذا من قول الله عز وجل بلا اعتراض وان يكون كلام
اليهود منتهيا عند قوله الا لمن تبع دينكم ومعنى الاية قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم يا امة محمد او يحاجوكم اي يجادلوكم اليهود بالباطل فيقولوا نحن افضل منكم وقوله تعالى عند ربكم
فعل ربكم ذلك ويكون ان على هذا القول بمعنى الجحد والنفي اي لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم وما اعطي احد مثل
ما اوتيتم يا امة محمد صلى الله عليه وسلم من الدين والحجة حتى يجادلوكم عند ربكم ● وقرأ ابن كثير ان
يؤتى احد بالمد وحينئذ في الكلام اختصار تقديره ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب
يحسدونهم ولا يؤمنون به وهذا قول قتادة والربيع قالا هذا من قول الله عز وجل قل يا محمد ان الهدى
هدى الله لما انزل كتابا مثل كتابكم ونبيا مثل نبيكم حسدتموه وكفرتم به ويحتمل ان يكون تمام الخبر
عن اليهود عند قوله تعالى لعلهم يرجعون فيكون قوله تعالى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم الى آخر الاية من
كلام الله عز وجل وذلك ان الله تعالى قال امتحنا لقلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود في دينهم
ولا تصدقوا يا معشر المؤمنين الا لمن تبع دينكم ولا تصدقوا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من الدين والفضل
ولا تصدقوا ان يحاجوكم في دينكم عند ربكم او يقدرون عليه فان الهدى هدى الله وان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء فيكون الاية كلها خطابا من الله للمؤمنين عند تلبيس اليهود عليهم لئلا يزلوا او
ترتابوا يدل عليه قول الضحاك ان اليهود قالوا انا نحاج عند ربنا من خالفنا في ديننا بين الله انهم هم
المدحضون المغلوبون وان المؤمنين هم الغالبون ● وقال اهل الاشارات في هذه الاية لا تعاشروا الا من
يوافقكم على احوالكم وطريقتكم فان من لم يوافقكم لا يرافقكم قوله تعالى **يختص برحمته من يشاء** اي يختص
بدينه الاسلام من يشاء وقيل يختص بالنبوة من يشاء **والله ذو الفضل العظيم** على من اختصه بالاسلام
والنبوة قوله عز وجل **ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا**
يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما في الاية دليل وبيان ان اهل الكتاب فيهم امانة وفيهم خيانة

فمنهم من ان تامنه بملء مسك ثور ذهبا يؤده اليك بلا دعنا ولا تعب ومنهم من ان تامنه بدينار لا
يؤده اليك الا بعد عنا وتعب • قال الضحاك هو فنحاص بن عازورا اليهودي اودعه رجل دينارا فخانه
والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة عن المال القليل • وقال الضحاك عن ابن عباس معنى الاية ومن
اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك وهو عبد الله بن سلام اودعه رجل الفا ومايتي اوقية من
ذهب فاداه اليه فمدحه الله تعالى ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك وهو فنحاص بن عازورا اليهودي
اودعه رجل من قريش دينارا فخانه • وفي بعض التفاسير ان الذي يؤدي الامانه في هذه الاية هم النصارى
والذين لا يؤدونها هم اليهود • قرا اشهب العقيلي تيمنه بقنطار بكسر التا وهي لغة بكر وتميم وفي حرف ابن
مسعود مالك لا تيمنا • وقرا العامة تامنه بالالف وقوله تعالى يؤده فيه خمس قراات فقراها كلها ابو
عمرو وعاصم والاعمش وحمزة ساكنة الها • وقرا ابو جعفر ويعقوب مختلسه مكسورة مشبعه • وقراء
سلام مضمومة مختلسة • وقراء الزهري مضمومة مشبعة • وقرا الاخرون مكسورة مشبعة قوله تعالى
الا ما دمت عليه قايما قرا الاعمش ويحيى بن وثاب وطلحة بكسر الدال ومعنى الاية الا ما دمت عليه قايما اي
ملحا كذا قال ابن عباس • وقال مجاهد الا ما دمت عليه ملازما • وقال ابن جبير مرابطا • وقال الضحاك
مواظبا • وقال قتادة معناه الا ما دمت عليه قايما تقتضيه • وقال السدي قايما على راسه فان سالته
اياه حينيذ فعنه اليه رده عليك وان اخرته انكره وذهب به ذلك الى الاستحلال والخيانه فانهم قالوا
ليس علينا في الاميين سبيل اي في مال العرب نظيره قوله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم والسبيل
هو الاثم والحرج دليله قوله تعالى ما على المحسنين من سبيل • وذلك ان اليهود قالوا لا حرج علينا
في حبس اموال العرب قد احلها الله لنا لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم • وقال
الكلبي قالت اليهود ان الاموال كلها لنا وما كان في ايدي العرب منها فهو لنا وانما ظلمونا وغصبونا عليها ولا سبيل
علينا في اخذنا اياه منهم فاكذبهم الله تعالى بقوله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون فلما نزلت
هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم كذب اعدا الله ما من شيء كان في الجاهلية الا وهو تحت قدمي
الا الامانة فانها موداة الى البر والفاجر قوله تعالى ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل اي ذلك

الاستحلال

الاستحلال والخيانة منهم بقولهم ليس علينا في مال العرب والذين لا كتاب لهم حجة ولا ماثم وقوله تعالى ويقولون
على الله الكذب اي يقولون لم يجعل لهم علينا في كتابنا حرمة كحرمتنا وهم يعلمون ان الله قد اخذ عليهم في كتابهم
الوفا واداء الامانة لمن يتمنهم وخالطهم قوله عز وجل بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين اي ليس
الامر كما يزعمون لكن من اتم عهد الله الذي عاهد الله تعالى في التورية واتقى ظلم الناس في ترك الوفا ونقض العهد
فان الله يحب المتقين لنقض العهد وترك الوفا • قال صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صلى
وصام من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ايتمن خان • وقال صلى الله عليه وسلم من ايتمن على امانة
فاداها ولو شا لم يؤدها زوجه الله من الحور العين ما شا قوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم
ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة قال ابن عباس نزلت هذه الاية فيما كان بين امرئ القيس وعبدان بن
الاشوع من الخصومة في ارض غلبه عليها امرؤ القيس فاستحلفه عبدان فهم بالحلف فنزلت هذه الاية
فامتنع ان يحلف واقر لعبدان بحقه ودفعه اليه فقال صلى الله عليه وسلم لك عليها الجنة • وقيل
نزلت هذه الاية في اليهود لكتمانهم نعت النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الاية ان الذين يختارون
على عهد الله عوضا يسيرا من الدنيا اولئك لا نصيب لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله بكلام خير ولا رحمة •
وقيل لا يسمعهم كلامه كما يكلم اولياءه بغير سفير قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة اي لا يرحمهم ولا يعطف
عليهم ولا ينيلهم خيرا قوله تعالى ولا يزكيهم اي لا يثني عليهم خيرا ولهم عذاب اليم اي لهم مع هذه
الاحوال عذاب مولم اي موجع • روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتطع شيا من مال مسلم
بيمينه فقد اوجب الله له النار وحرم عليه الجنة قال رجل ولو كان يسيرا قال ولو كان قضيبا من اراك •
وقال صلى الله عليه وسلم اكبر الكباير الشرك بالله وعقوق الوالدين واليمين الغموس • وقال صلى الله
عليه وسلم اياكم واليمين الفاجرة فانها تدع الديار بلاقع من اهلها • وقال صلى الله عليه وسلم
اليمين الفاجرة تعقم الرحم وهي منفقة للسلعة ممحقة للكسب قوله عز وجل وان منهم لفريقا يلوون
السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله
روي ان جماعة من اليهود اولي فاقة وفقر قدموا المدينة من الشام ليسلموا فلقيهم كعب بن الاشرف فقال لهم

تعلمون ان محمدًا نبيّ قالوا نعم وما تعلمه انت قال لا قالوا فانا نشهد انه عبد الله ورسوله فقال كعب بن الاشرف
لقد منعكم الله خيرًا كثيرًا كنت اريد ان امير كم واكسوا عيالكم فحرمكم الله فقالوا رويدك حتى نلقاه فانطلقوا
وكتبوا صفة سوى صفته ونعتًا سوى نعته ثم انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلّموه وسايلوه
ثم رجعوا الى كعب فقالوا كنا نرى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو ليس بالنعت الذى نعت لنا
وجدنا نعته مخالفًا للذى عندنا واخرجوا الذى كتبوه فنظر اليه كعب ففرح واخذا قوارهم وخطوطهم
ثم بعث الى كل واحد منهم ثمانيه قمصهن الكرباس وخمسة اصع من الشعير فنزلت هذه الايه ومعناها وان من
اهل الكتاب طايفة يحرفون الكتاب ثم يقرؤن ما حرفوه ليظن المسلمون ان ذلك من التورية وما هو منها
ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله نزل ويقولون على الله الكذب بادعايهم ان ذلك المحرف
من التورية وهم يعلمون انهم يكذبون ولى اللسان هو العدول عن الصدق والصواب وقوله عز وجل
ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادًا لى من دون الله وذلك انه
لما كثرت دعوة النبى صلى الله عليه وسلم اياهم الى الاسلام وقامت عليهم الحجج قالوا ان هذا الرجل يريد ان
نتبعه ونعبده كما سال عيسى من قومه حتى عبدوه فكذبهم الله عز وجل بهذه الاية ومعناها ما كان
لبشر من الانبيا مثل عيسى وعزير وغيرهما ان يعطيه الله الكتاب وعلم الحلال والحرام والنبوة ثم يقول
للناس كونوا عبادًا لى من دون الله اى لا يجمع لاحد النبوة والقول للناس كونوا عبادًا لى وليس هذا على
وجه النهى ولكنه على وجه التنزيه لله عز وجل لانه لا يختار نبيًّا يقول مثل هذا القول للناس • ويجوز
ان يكون هذا على وجه تعظيم الانبيا صلوات الله عليهم • وقال الضحاك ومقاتل معناه ما كان لبشر
يعنى عيسى عليه السلام ان يؤتيه الله الكتاب يعنى الانجيل نزلت فى نصارى نجران • وقال ابن عباس وعطا
ما كان لبشر يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يؤتيه الله الكتاب يعنى القرآن وذلك ان ابا رافع القرظى
من اليهود والرئيس من نصارى نجران قالوا يا محمد نريد ان نعبدك ونتخذك ربًّا فقال صلى الله عليه و
سلم معاذ الله ان نعبد غير الله او نامر بعبادة غير الله ما بذلك بعثنى الله عز وجل ولا بذلك امرنى
فانزل الله هذه الاية • والبشر جمع بنى آدم لا واحد له من لفظه كالقوم والجيش ويوضع موضع الواحد

نزل

والجمع

والجمع قوله تعالى والحكم يعنى الفهم والعلم • وقيل الاحكام عن الله قوله تعالى ولكن كونوا ربانيين
بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اى ولكن نقول كونوا ربانيين اى علما عاملين • و
قيل فقها معلمين • وقال مرة بن شرحبيل كان علقمه من الربانيين يعلمون الناس القرآن • وعن سعيد بن
جبير معناه حكما اتقيا • وقيل متعبدين مخلصين • وقيل علما نصحا لله عز وجل فى خلقه • وقيل الربانى
هو العالم بالحلال والحرام والامر والنهى والعارف بانبا الامه وما كان وما يكون • وقال على رضى الله
عنه هو الذى يرب علمه بعمله اى يصلح علمه بعمله • وقال محمد بن الحنفيه يوم مات ابن عباس مات ربانى
هذه الامه قوله تعالى بما كنتم تعلمون الكتاب معناه بما انتم تعلمون كقوله وكانت امراتى عاقرًا اى وامراتى
عاقرًا وقوله من كان فى المهد صبيًّا اى من هو فى المهد صبيًّا وقوله تعالى تعلمون الكتاب قرا السلمى والنخعى
وابن جبير والضحاك وابن عامر والكوفيون بما كنتم تعلّمون بالتشديد من التعليم • وقرا الباقون بالتخفيف
من العلم • قال ابو عمرو وتصديق هذه القراة وبما كنتم تدرسون ولم يقل تدرّسون • وقرا الحسن بما كنتم
تعلمون بفتح التا والعين وتشديد اللام على معنى تتعلمون • وقرا ابن حيوه تدرّسون بالتشديد • وقرا الباقون
تدرسون من الدرس • وعن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن ذكر ولا انثى ولا
مملوك الا ولله عز وجل عليه حق واجب ان يتعلم من القرآن ويتفقه فيه ثم تلى هذه الاية ولكن كونوا ربانيين
بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون وانما قيل للفقها ربانيون لانهم يربون العلم اى يقومون به وزيدت
الالف والنون للمبالغة كما يقال رجل كبير اللحية لحيانى ولذى جمه جمانى • وعن ثعلب انه قال يقال رجل ربى
وربانى اى عالم عامل معلم قوله عز وجل ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابًا ايامركم بالكفر بعد
اذ انتم مسلمون قرا الحسن وعاصم وحمزة وابن عامر ولا يامركم بنصب الرا عطفًا على ثم يقول مردود على
البشر • وقرا الباقون بالرفع والاستيناف والانقطاع من الكلام الاول • واختلفوا فيه على هذه القراة فقال
الزجاج معناه ولا يامركم الله • وقال ابن جريج وجماعة ولا يامركم محمد صلى الله عليه وسلم • وقيل
ولا يامركم البشر ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابًا كفعل قريش وخزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله و
اليهود والنصارى حيث قالوا المسيح وعزير ابنا الله قوله تعالى ايامركم بالكفر استفهام بمعنى الانكار اى لا يامركم

150

الربانيين

عزوجل بعث النبي صلى الله عليه وسلم ليدعو الناس الى الاسلام فكيف يدعوا الى الكفر بعد ان كانت فطرتكم
على الاسلام • ويقال بعد ان كنتم مقرين بالتوحيد قوله عزوجل وَاِذْ اَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ
مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قرا سعيد بن جبير لمّا بتشديد
الميم وقرا حمزة لِمَا بكسر اللام والتخفيف • وقرا الباقون بالفتح والتخفيف فمن فتح وخفف فهي لام الابتدا دخلت على
ما كقول القايل لزيد افضل من عمرو وما اسم والذي بعده صلة وجوابه لتؤمنن به وان شئت جعلت خبر
ما من كتاب ويكون من زايدة معناه لما اتيتكم كتابا وحكمة ثم ابتدا فقال ثم جاءكم رسول اى ثم يجيكم رسول
مصدق لما معكم لتومنن به اللام لام القسم تقديره والله لتؤمنن به فوكد في اول الكلام بلام التاكيد و
في اخر الكلام بلام القسم كانه استحلفهم والله لتومنن به واخذ الميثاق في معنى التحليف لان الحلف وثيقة
وموضع في قوله لما نصب بقوله اتيتكم كانه قال للذي اتيتكموه من كتاب • وقال الزجاج هذه لام التحقيق
دخلت على ما للجزا ومعناه لمهما اتيتكم ودخل اللام في الشرط والجواب للتاكيد كما في قوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك وكما تقول لان جيتني لاكرمنك • ومن قرا لِمَا بالكسر والتخفيف فهي لام الاضافة دخلت
على ما التي هي بمعنى الذي ومعناه للذي اتيتكم يعني الذي اخذ ميثاق النبيين لاجل الذي اتيناهم من كتاب وحكمة
ثم جاكم رسول مصدق لما معكم قوله تعالى لما اتيتكم قرا نافع بالالف والنون على التعظيم لان عظيم الشان
قد يعبر عن نفسه بلفظ الجمع • وقرا الاخرون اتيتكم • واختلف المفسرون في المعنى بهذه الاية فقال قوم انما
اخذ الميثاق على الانبيا عليهم السلام ان يصدق بعضهم بعضا ويامر بعضهم بالايمان ببعض فذلك معنى
النصرة بالتصديق وهذا قول ابن جبير وطاوس وقتادة والحسن والسدي يدل عليه ظاهر الاية ••
قال علي رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا الا اخذ عليه العهد من محمد وامته واخذ العهد على قومه لتؤمنن به
ولئن بعث وهم احيا لينصرنه • وقال بعضهم انما اخذ الميثاق على اهل الكتاب وهو قول مجاهد والربيع قالوا
الا ترى الى قوله تعالى ثم جاكم رسول مصدق انما كان محمد مبعوث الى اهل الكتاب دون النبيين • وقال بعضهم
انما اخذ العهد على النبيين واممهم واكتفى بذكر الانبيا عن ذكر الامم لان اخذ الميثاق على المتبوع دلالة على اخذه
على الاتباع وهذا قول ابن عباس وهو اولى بالصواب قوله عزوجل قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي

اوقال الله

اى قال الله تعالى للانبيا يا اقررتم امرتكم به على ما قلت لكم وقبلتم على ذلكم عهدي ومعنى اخذتم اى
قبلتم نظيره قوله تعالى فان اوتيتم هذا فخذوه اى فاقبلوه وقوله لا يوخذ منها عدل اى لا يقبل وقوله
وياخذ الصدقات اى يقبلها والاصر في اللغة الثقل لكن براد به العهد لما فيه من الثقل • وقال بعضهم لفظ الاخذ
يحتمل وجهين احدهما قبلتم على ذلكم عهدي والثاني اخذتم العهد بذلكم على اممكم قوله تعالى قَالُوا أَقْرَرْنَا
اى قالت الانبيا صلوات الله عليهم اقررنا بالعهد قَالَ الله تعالى فَاشْهَدُوا اى يشهد بعضكم على بعض بذلك
واشهدوا على اتباعكم • وقيل معنى فاشهدوا اى بينوا لمن يكون بعدكم لان الشاهد هو الذي يصحح دعوى المدعي
ثم قال تعالى وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ اى انا من الشاهدين عليكم وعلى اممكم • وقيل معنى فاشهدوا اى
قال الله للملئكة فاشهدوا على اقرارهم وشهادة الله للنبيين تبيينه امر نبوتهم بالمعجزات قوله عزوجل أَفَغَيْرَ
دِينِ اللّٰهِ تَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ قرا ابو عمرو يبغون بالياء
وترجعون بالتا قال لان الثاني عام والاول خاص ففرق بينهما لافتراقهما في المعنى • وقرا الحسن ويعقوب و
سلام وحفص يبغون باليا ويرجعون باليا ايضا • وقرا الباقون بالتا فهما على الخطاب ومعنى الاية ابعد
هذه الوثايق الجارية بينهم وبين الله في امر النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون دينا سوى دين الله اليهم
قال الكلبي وذلك انه لما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم حين اختلفوا في دين ابراهيم عليه السلام
كل فرقة قد زعمت انها اولى بدينه فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بري من دين ابراهيم فغضبوا
وقالوا والله ما نرضى بقضايك ولا ناخذ بدينك فانزل الله تعالى هذه الاية قوله تعالى وله اسلم من في
السموات والارض طوعا وكرها اى له اخلص وخضع • قال الكلبي اما اهل السموات ومن ولد في الاسلام من اهل
الارض اسلموا طايعين ومن ابى قوتل حتى يدخل في الاسلام كرها كما انهم اسارى في السلاسل ويكرهون على الاسلام
وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عجب ربكم من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل
قوله تعالى واليه ترجعون اى الى جزايه ترجعون في الاخرة فبادروا الى دينه ولا تطلبوا غير ذلك • وقيل
معنى وله اسلم من في السموات والارض اى اقر واله بالالهية كما قال تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله
وقال الزجاج معناه ان كلهم خضعوا لله من جهة ما فطرهم الله عليه • قال الضحاك هذا حين اخذ الميثاق

منه صح

واقربه • وقال الكلبي معناه الذي اسلم طوعًا اي الذي ولد في الاسلام وبالذي اسلم كرهًا يعني الذي اجبر
على الاسلام ممن يسبون فيؤتى بهم في السلاسل فيكرهون على الاسلام • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل الملائكة اطاعوا في السماء والانصار في الارض ولا تسبوا اصحابي فانهم اسلموا من خوف الله واسلم الناس من خوف
سيوفهم • وقال الحسن الطوع لاهل السموات خاصة واهل الارض منهم من اسلم طوعًا ومنهم من اسلم كرهًا • وقرأ
الاعمش كرهًا بضم الكاف • واما انتصاب طوعًا وكرهًا فلانهما مصدران وضعا موضع الحال كما يقال جئت
ركضًا وعدوًا اي راكضًا وماشيًا بسرعة كانه قال وله اسلم من في السموات والارض طائعين وكارهين
وعن ابن عباس انه قال اذا استصعبت دابة احدكم او كانت شموسًا فليقرأ في اذنها هذه الآية افغير دين
الله تبغون الى آخرها قوله عز وجل قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامر له ان يقول عن نفسه وعن امته
آمنا بالله قوله عز وجل لا نفرق بين احد منهم اي من الرسل لا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم كما فعلت اليهود
بل نؤمن بهم جميعًا قوله تعالى ونحن له مسلمون اي مخلصون لله في التوحيد والطاعة قوله عز وجل
ومن يبتغ غير الاسلام دينًا فلن يقبل منه الآية قال ابن عباس نزلت هذه الآيات الى قوله لن تنالوا البر في عشرة
رهط ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت وحارث بن سويد
وغيرهم وندم الحارث وارسل الى اخيه الحلاس بن سويد المسلم اني قد ندمت على ما صنعت فسل لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة والا اذهب في الارض فانزل الله هذه الآيات ومعناها
من يطلب دينًا غير دين الاسلام فلن يقبل منه ما اقام عليه اي لن يثاب ولن يثنى عليه ويقال معناه لم يقبل
من المرتد الا الاسلام او السيف ولن يقر على الكفر بالجزية فان هذه الآية نزلت في المرتدين وقوله تعالى وهو
في الآخرة من الخاسرين اي من المغبونين حيث ترك منزله في الجنة واختار منزله في النار قوله تعالى كيف
يهدي الله قومًا كفروا بعد ايمانهم الآية اي كيف يهديهم وقد كفروا بعد ان آمنوا وبعد ان شهدوا ان الرسول حق
يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم حق وجاءهم البينات اي دلالات صدقه ونبوته فكيف يستحقون
هداية الله قوله تعالى وشهدوا ان الرسول عطف على قوله ايمانهم دون قوله كفروا وقد يعطف الفعل

على المصدر

على المصدر كما يقال اعجبني ضرب زيد وان غضب وتقدير الآية بعد ان آمنوا وبعد ان شهدوا ان الرسول
حق وقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يرشد المشركين من لم يكن اهلًا لذلك • فان قيل ظاهر الآية
يقتضي ان من كفر بعد اسلامه لا يهديه الله وان الظالمين لا يهديهم الله وكثير من المرتدين اسلموا ومن الظالمين
تابوا • وقيل معناه لا يهديهم الله ما داموا مقيمين على كفرهم فاذا جاهدوا وقصدوا الرجوع الى الحق وفقهم
الله كما قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا • وقيل معنى الآية كيف يرحمهم الله وينجيهم
من العقوبة قوله تعالى اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين اي اهل هذه
الصفة جزاؤهم ان عليهم لعنة الله اي عذابه واللعنة من الله الابعاد واما لعنة الملائكة والناس
فدعاؤهم على الكفار بان يبعدهم الله من رحمته • فان قيل كيف قال الله والملائكة والناس اجمعين ومن
الناس من يوالي الكافر ويوافقه ولا يلعنه • قيل انهم في الآخرة يلعن بعضهم بعضًا وقوله تعالى خالدين فيها
اي مقيمين في اللعنة وقيل في العذاب لا يخفف عنهم العذاب ولا هم يؤجلون حين ينزل بهم قوله تعالى الا الذين
تابوا من بعد ذلك واصلحوا استثناء من قول الله عز وجل ان عليهم لعنة الله ومعناه الا الذين تابوا من الكفر
والشرك بعد ارتدادهم واصلحوا اي لم يكتفوا بمجرد الايمان ويقال اصلحوا اعمالهم بالتوبة وقيل اصلحوا ما افسدوه
من الناس ممن تبعهم فان الله غفور رحيم اي يتجاوز عنهم رحيم بهم بعد التوبة • قال ابن عباس لما نزلت للحارث
بن سويد الرخصة في التوبة ارسل اخوه الحلاس اليه ان الله عز وجل قد فرض عليكم التوبة فارجع الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فرجع وتاب وقبل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم منه
فبلغ ذلك اصحابه الذين بمكة فقالوا نتربص بمحمد ريب المنون فان بدا لنا الرجعة اليه ذهبنا كما ذهب الحارث
فيقبل توبتنا فانزل الله تعالى قوله عز وجل ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرًا لن تقبل توبتهم
اي ان الذين كفروا بالله وبالرسول بعد تصديقهم ثم ازدادوا كفرًا بقولهم نقيم بمكة ما بدا لنا لن تقبل توبتهم
واولئك هم الضالون عن الاسلام وفي هذه الآية دليل على ان هؤلاء لم يكونوا محققين التوبة لانه قال
واولئك هم الضالون وكانت هذه الآية خاصة في قوم علم الله انهم لا يتوبون الا عند حضور الموت
وماتت طعمة كافرًا ولو كانوا يحققون التوبة قبل المعاينة لقبلت توبتهم ويجوز ان يكون معنى لن تقبل توبتهم

اى التوبة التى يتوبونها عند الموت قوله عز وجل ثم ازدادوا كفرا • قال الحسن وقتادة وعطا نزلت
هذه الآية فى اليهود كفروا بعيسى عليه السلام والانجيل بعد ايمانهم بانبيائهم وكتبهم ثم ازدادوا كفرا بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن وقوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم
ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اى ان الذين كفروا وماتوا على كفرهم لو كان لاحدهم فى الآخرة ملء الارض
ذهبا فافتدى به لن يقبل منه كما روى انه يقال للكافر يوم القيمة لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت
تفتدى به من العذاب فيقول نعم فيقال له قد سئلت ما هو ايسر عليك من هذا فلم تفعل وقوله تعالى ذهبا
نصب على التفسير فى قول الفرا ومعنى التفسير ان يكون الكلام تاما وهو مبهم كقوله عندى عشرون فالعدد معلوم
والمعدود مبهم فاذا قلت عشرون درهما فسرت العدد وكذلك اذا قلت هو احسن الناس فقد اخبرت عن
حسنه ولم تبين فى اى شىء فاذا قلت وجها او فعلا فقد بينته ونصبت على التفسير وانما نصبته لانه ليس
له ما يخفضه ولا ما يرفعه فلما خلا من هذين نصب لان النصب اخف الحركات فجعل لكل ما لا عامل له • و
قال الكلبى نصب على اضمار من ذهب كقوله تعالى او عدل ذلك صياما اى من صيام وقد يقال نصب على
التمييز والتمييز ثلثة اوجه تمييز جملة مبهمة كما فى قوله انا اكثر منك مالا واعز نفرا وتمييز عدد مبهم
كقولك عشرون درهما وتمييز مقدار مبهم كما يقال عندى ملء زق عسلا واما دخول الواو فى قوله ولو
افتدى به فقال بعضهم هى زايدة وقال الزجاج ليست بزايدة وانما هى لتفهيم النفى لوجوه القبول ولو لم
تكن الواو لاوهم الكلام لان ذلك لا يقبل فى الافتدا او يقبل على غير وجه الافتدا قوله تعالى اولئك لهم عذاب
اليم اى اهل هذه الصفة لهم عذاب وجيع فى الآخرة وما لهم من ناصرين اى من مانع يمنعهم من العذاب
قوله عز وجل لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال ابن عباس معناه لن تنالوا الجنة وقال عطا لن تنالوا الطاعة
وقال ابو روق معناه لن تنالوا الخير وقال مقاتل لن تنالوا التقوى • وقال الحسن لن تكونوا ابرارا حتى
تتصدقوا مما تحبون من الاموال اى من كرايم اموالكم واحبها اليكم طيبة بها انفسكم صغيرة فى اعينكم • و
قال مجاهد والكلبى هذه الاية منسوخة نسختها اية الزكوة • روى الضحاك عن ابن عباس قال اراد بهذه
الاية حتى تخرجوا زكوة اموالكم • وقال عطا معناه لن تنالوا شرف الدين والتقوى حتى تتصدقوا وانتم

اصحا تاملون الغنا وتخشون الفقر • ويقال معناه لن تبلغوا حقيقة التوكل والتقوى حتى تخرجوا زكوة اموالكم
طيبة بها انفسكم • وذهب اكثر المفسرين الى ان المقصود من هذه الآية الحث على صدقة النفل والفرض مما بلغ وجوه
القرب لان قوله مما تحبون يدل على المبالغة فيه • روى عن عبد الله بن عمر انه اشترى جارية كان يهواها فلما
ملكها اعتقها ولم يصب منها فقيل له فى ذلك فقال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون • وعن عمر بن عبد العزيز
انه كان يشترى اعدال السكر فيتصدق بها فقيل له هلا تصدقت بثمنه فقال لان السكر احب الى فاردت
ان انفق مما احب • وروى ان سايلا وقف على باب الربيع بن خثيم فقال اطعموه سكرا فقيل له ما يصنع بالسكر
هلا تطعمه خبزا انفع له قال ويحكم اطعموه سكرا فان الربيع يحب السكر • ووقف سايل على باب الربيع فى ليلة
باردة فخرج اليه فراه كانه مقرور فقال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فنزع برنسا فاعطاه اياه قوله
عز وجل وما تنفقوا من شىء فان الله به عليم اى ما تتصدقوا من مال فان الله به وبنياتكم عليم يجزيكم على
ذلك فى الآخرة قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل
التورية قال ابن عباس معناه كل الطعام الحلال اليوم وهو ما سوى الميتة والدم ولحم الخنزير كان حلا لبنى
يعقوب عليه السلام من قبل ان تنزل التورية على موسى عليه السلام الا الطعام الذى حرمه يعقوب على
نفسه وهو لحم الابل والبانها وذلك ان يعقوب عليه السلام كان يمشى الى بيت المقدس فلقيه ملك من
الملئكة وهو خلف الاثقال فظن يعقوب انه لص فعالجه ليصارعه فكان كذلك حتى اضاء الفجر فغمز الملك
فخذ يعقوب فهاج به عرق النسا فصعد الملك الى السما وجا يعقوب يعرج حتى لحق الاثقال فكان يثبت الليل
ساهرا من وجعه وينصب نهاره فاقسم لان شفاه الله ليحرمن احب الطعام والشراب على نفسه فشفاه الله
من ذلك فحرم احب الطعام والشراب اليه وكان ذلك لحوم الابل والبانها ثم استن ولده بسنته فذلك
قوله تعالى الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية فلما نزلت هذه الآية قال النبى صلى الله
عليه وسلم لليهود ما الذى حرم اسرائيل على نفسه قالوا كل شىء نحرمه اليوم على انفسنا فانه كان محرما
على نوح عليه السلام فهلم جرا حتى انتهى الينا وانت يا محمد واصحابك تستحلونه وادعوا ان ذلك مسطور
فى التورية • وقال الكلبى كان هذا حين قال النبى صلى الله عليه وسلم انا على ملة ابرهيم عليه السلام

قالت اليهود كيف انت تاكل لحم الابل والبانها فقال صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لابراهيم فنحن نحله
فقالت اليهود كل شيء اصبحنا اليوم نحرمه فانه كان حراما على ابراهيم ونوح وهلم حتى انتهى الينا فانزل الله
تعالى تكذيبا لهم كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قوله تعالى **قل فأتوا بالتورية**
فاتلوها ان كنتم صادقين وذلك ان اليهود لما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما الذي حرم اسرائيل
على نفسه قالوا كل شيء نحرمه اليوم على انفسنا قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم قل فأتوا بالتورية
فاتلوها اي فاقرؤها هل تجدون فيها تحريم كل ذي ناب وظفر وتحريم شحوم البقر والغنم وغير ذلك مما
حرم الله عليكم من الطيبات بعد نزول التورية بظلمكم وبغيكم كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم فابوا ان ياتوا بالتورية خوفا من الفضيحة لعلمهم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تعالى قوله تعالى **فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون** اي من اختلق
على الله الكذب بان نزل عليه ما لم ينزله في كتاب من بعد ذلك نقول من بعد قيام الحجة عليه فاولئك
هم الظالمون لانفسهم قوله عز وجل **قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا** اي قل لهم يا محمد
صدق الله في ان كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فاتبعوا ملة ابراهيم في
استباحة لحوم الابل والبانها وافعلوا ما كان يفعله من الصلوة الى الكعبة وحج البيت **وما كان من**
المشركين اي لم يكن ابراهيم على دين المشركين ولم يفعل كما كان يفعله اليهود في دعايهم ان عزيرا ابن الله
ولا كما يفعله النصارى ان المسيح ابن الله وهذه الايات حجة على اليهود في انكارهم نسخ الشريعة قوله عز وجل
ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين قال مجاهد تفاخر المسلمون واليهود
فقالت اليهود بيت المقدس افضل واعظم من الكعبة لانها مهاجر الانبياء وهي الارض المقدسة • وقال المسلمون
بل الكعبة افضل فانزل الله تعالى ان اول بيت وضع للناس • وقرا ابن سميقع بفتح الواو والضاد يعني
وضعه الله للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين **فيه ايات بينات مقام ابراهيم** وليس ذلك بيت
المقدس وكتب على الناس حج البيت وليس ذلك بيت المقدس • واختلفوا في قوله تعالى ان اول بيت وضع
قال بعضهم هو اول بيت وضع على وجه الما عند خلق السموات والارض خلقه الله تعالى قبل الارض

بالفعام

بالفعام وكان ربوة بيضا على الماء فدحيت الارض من تحته • وهذا قول ابن عمر ومجاهد وقتادة و
السدي • وقيل معناه هو اول بيت بناه ادم في الارض قاله ابن عباس • وقال الضحاك معناه اول بيت وضع
فيه البركة واخير من الفردوس الاعلى • وقيل هو اول بيت جعل قبلة للمسلمين • وعن ابي ذر قال سئل النبي
صلى الله عليه وسلم عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فقيل له كم بينهما قال اربعون
عاما • وقال الحسن معناه ان اول بيت وضع لعبادة الناس على وجه الارض الكعبة بناها ابراهيم عليه السلام
كما قال تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الاية واما بناء بيت المقدس فقد كان بعد الكعبة بدهر طويل
بناه سليمان بن داود عليهما السلام • قال الكلبي كان ادم عليه السلام حين اخرج من الجنة بنى الكعبة وطاف
بها فلما كان في زمان طوفان نوح عليه السلام رفعها الله الى السماء السادسة بحيال موضع الكعبة
وهي البيت المعمور يقال له الضراح يدخله كل يوم سبعون الف ملك • وروى ان الله تعالى انزل الكعبة من السما
وهي من ياقوتة حمرا وكانت الملايكة تحجها قبل ادم عليه السلام فلما كثرت الخطايا رفعها الله تعالى • وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الكعبة كانت خشعة على وجه الما فدحيت الارض من تحتها والخشعة
مثل الصبرة متواضعة قوله تعالى ببكة • قال الضحاك هي مكة والعرب تعاقب بين البا والميم فتقول ضربة لازب
وضربة لازم • وقال ابن شهاب بكة المسجد والبيت ومكة الحرم كله ومثله • قال الزهري وسمي المسجد بكة
لان البكة هو الزحمة في اللغة يقال بكه اذا زحمه وسمي المسجد بكة لان الناس يتباكون فيه اي يزدحمون
للطواف • وقال ابو عبيد بكة اسم لبطن مكة ومكة لما بقي • وقال عبد الله بن الزبير سميت البلد بكة لانها
تبك اعناق الجبابرة ما قصدها جبار الا قصمه الله كاصحاب الفيل وغيرهم وسميت مكة لاجتذابها الناس
من كل افق يقال امتك الفصيل ما في ضرع الناقة اذا استقصى فلم يدع شيئا منه • قال ابن عباس رضي الله
عنه ما اعلم على وجه الارض بلدة الحسنة فيها بمائة الف لامكة ولا درهما يتصدق به يكتب لديه الف
درهم الا مكة وما اعلم على وجه الارض فيها شراب الابرار ومصلى الاخيار الا مكة وما اعلم على وجه الارض
بلدة اذا دعا الرجل فيها يدعا من الملايكة على دعايه الا مكة ولا اعلم على وجه الارض بلدة يموت فيها الميت
فيكون تكفير الخطايا له الا مكة وما اعلم على وجه الارض بلدة صدر اليها جميع النبيين والمرسلين الا مكة

بلدة صح

وما اعلم على وجه الارض بلدة ينزل فيها كل يوم من روح الجنة وراحتها ما ينزل الا بمكة
والركعة الواحدة فيها بماية الف ركعة قوله تعالى مباركا نصب على الحال اى الذى استقر بمكة
والبركة ثبوت الخير ونموه وقوله تعالى وهدى للعالمين اى قبلة للمؤمنين • وقيل بيان ودلالة
للعالمين على الله باهلاك من قصده من الجبابرة وباستيناس الطير فيه بالناس وبان لا يعلوه طاير
اعظاما له وبامحاق ما يرمى فيه من الجمار فى كل سنة فلولا انه ما يقبل منها يرفع كما قال ابن عباس
لكان قد اجتمع هناك من الحجارة مثل الجبال ويجوز ان يكون المراد بالهدى انه طريق الجنة قوله
عز وجل فيه ايات بينات مقام ابراهيم اى فيه علامات واضحات وهى ما تقدم ذكره ومقام
ابراهيم ايضا والاية فى مقام ابراهيم ان قدميه دخلتا فى حجر صلد بقدرة الله تعالى فصار الحجر
كالطين حتى صاخت قدماه فيه ثم عاد حجرا صلدا ليكون ذلك دلالة على صدق نبوته عليه
السلام • قرا ابن عباس فيه اية بينة على الواحد واراد مقام ابراهيم وحده • وقرا الباقون ايات
بينات بالجمع ارادوا مقام ابراهيم والحجر الاسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها قوله تعالى ومن دخله
كان امنا قال الحسن عطف الله قلوب العرب فى الجاهلية على ان من لاذ بالحرم وان كان جانيا لا يهاج
فيه وذلك بدعاء ابراهيم عليه السلام حيث قال رب اجعل هذا بلدا امنا وكان فى الجاهلية من دخله
امن من القتل ولم يزده الاسلام الا شدة • وقيل ان ولعن لاذ بالحرم الحيتان الصغار من الكبار فى الطوفان
وقيل من دخله عام عمرة القضا مع النبى صلى الله عليه وسلم كان امنا بيانه قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام
ان شا الله امنين • قال اهل المعانى صورة الاية خبر ومعناها امر تقديرها ومن دخله فامنوه كقوله فلا
رفث ولا فسوق ولا جدال اى لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا • وقيل معناه من دخله لقضا النسك
معظما لله عارفا بحقوقه متقربا الى الله تعالى كان امنا يوم القيمة • وقال الضحاك معناه من حجه فدخله
كان امنا من الذنوب التى اكتسبها قبل ذلك • وقال جعفر الصادق من دخله على الصفا كما دخله الانبيا
والاوليا كان امنا من عذابه • قال ابو النجم القرشى كنت اطوف بالبيت فقلت يا سيدى قد قلت ومن دخله كان
امنا من اى شىء فسمعت قايلا من ورائى يقول امنا من النار فالتفت فلم ار شيئا • يدل على هذا ما روى انس

عز وجل

بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فى احد الحرمين بعثه الله من الامنين • وقال
صلى الله عليه وسلم الحجون والبقيع يوخذ باطرافهما وينثران فى الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة • و
قال صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مايتى عام وتقربت
منه الجنة مسيرة ماية عام كذا فى تفسير الثعلبى • وقال وهب بن منبه مكتوب فى التورية ان الله عز وجل يبعث
سبعماية الف من الملائكة المقربين الى البيت بيد كل واحد منهم سلسلة من ذهب فيقول لهم اذهبوا الى البيت
الحرام فزموه بهذه السلاسل ثم قودوه الى المحشر فياتونه بسبعماية الف سلسلة من ذهب ثم يقودونه
وملك ينادى يا كعبة الله سيرى فتقول لست سايرة حتى اعطى سولى فينادى ملك من جو السما سلى فتقول يا رب
شفعنى فى جيرتى الذين دفنوا حولى من المومنين فيقول الله قد اعطيتك سولك فيحشر موتى مكة من قبورهم
بيض الوجوه كلهم محرمون فيجتمعون حول الكعبة ثم يلبون ثم تقول الملائكة سيرى يا كعبة الله فتقول لست
بسايرة حتى اعطى سولى فينادى ملك من جو السماء سلى فتقول يا رب عبادك المذنبين الذين وفدوا الى
من كل فج عميق شعثا غبرا قد تركوا الاهلين والاولاد والاحباب وخرجوا شوقا زايرين مسلمين طايعين
حتى قضوا مناسكهم كما امرتهم فاسئلك ان تومنهم من الفزع الاكبر وتشفعنى فيهم وتجمعهم حولى فينادى
مناد ان منهم من ارتكب الذنوب بعدك واصر على الكباير حتى وجبت له النار فتقول الكعبة انما اسئلك
الشفاعة لاهل الذنوب العظام فيقول الله تعالى قد شفعتك فيهم واعطيتك سولك ثم ينادى مناد
الا من زار الكعبة فليعتزل من بين الناس فيعتزلون فيجمعهم الله حول البيت الحرام بيض الوجوه امنين من
النار يطوفون ويلبون ثم ينادى ملك من السما الا يا كعبة الله سيرى فتقول الكعبة لبيك لبيك والخير
فى يديك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك ثم يشيعونها
الى المحشر قوله عز وجل ولله على الناس حج البيت قال عكرمة لما نزل قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه قالت اليهود نحن مسلمون فامروا ان يحجوا ان كانوا مسلمين واللام فى قوله لله
لام الايجاب والالزام اى لله فرض واجب على الناس حج البيت • قرا ابو جعفر والاعمش وحمزة والكساى
وخلف وحفص حج بكسر الحا هذا الحرف وحده خاصة • وقرا ابن ابى اسحق جميع ما فى القران بالكسر وهى

جوده

لغة نجد • وقرأ الباقون بالفتح في كل القرآن وهي لغة أهل الحجاز وهما لغتان فصيحتان بمعنى واحد • وقال بعضهم
هو بالفتح المصدر وبالكسر الاسم قوله عز وجل من استطاع إليه سبيلاً بدل من الناس وهو بدل البعض من
الكل • قال عبد الله بن عمر سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاستطاعة في هذه الآية فقال السبيل
إلى البيت الزاد والراحلة ومثله عن ابن مسعود وابن عباس وعايشة وجابر بن عبد الله وانس بن مالك قوله تعالى
ومن كفر فإن الله غني عن العالمين معناه من انكر فريضة الحج فلم يره واجباً فإن الله غني عن من حج وعن من لم
يحج أي لم يتعبد الناس بالعبادات لحاجته إليها وإنما تعبدهم بها لعلمه بصالحهم فيها • وقد روي أنه لما
نزل فرض الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين اليهود والنصارى ومشركي العرب فقال صلى الله
عليه وسلم إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فلم يقبله إلا المسلمون فأنزل الله تعالى ومن كفر فإن الله غني
عن العالمين • وأما ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أدرك حجة الإسلام فلم
يحج فلم يمنعه حاجة ظاهرة ولا امام ظالم ولا مرض حابس حتى يموت على ذلك فليمت على أي حال شا يهودياً
أو نصرانياً • فهو على طريق التهديد والتخويف لا يكون المؤمن يهودياً ولا نصرانياً ولا يجوز الحكم بكفره بأخبار
الآحاد وتأويل الخبر أنه لم ير الحج فرضاً عليه وقد وجد الاستطاعة • وعن عمر رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى ومن كفر أي من كفر بالله واليوم الآخر • وقال صلى الله عليه و
سلم من مات ولم يحج لم يقبل الله له يوم القيمة عملاً • قوله عز وجل قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات
الله والله شهيد على ما تعملون أي قل يا محمد لليهود والنصارى لم تكفرون بالحج ومحمد والقرآن والله عالم
بما تعملون وإنما قال في هذا الموضع قل يا أهل الكتاب وقال من قبل يا أهل الكتاب لأنه تعالى خاطبهم أولاً على
جهة التلطف في استدعايهم إلى الإيمان ثم أعرض عن خطابهم إذلالاً وإهانة لهم وأمر غيره بمخاطبتهم قوله
عز وجل قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء نزل في قوم
من اليهود كانوا يدعون عماراً وأصحابه رضي الله عنهم إلى اليهودية وكانوا يسعون في إحيا الضغاين التي
كانت بين الأوس والخزرج في الجاهلية وكانت قد ماتت في الإسلام ومعنى الآية قل يا محمد لم تصرفون
من آمن عن دين الله وعن طريق التي هي الوصلة إلى رضا الله من الإسلام والحج وغير ذلك تبغونها عوجاً

أي تطلبون لها ميلاً • قال أبو عبيد العوج بالكسر في الدين والقول والعمل والعوج بالفتح في الجدار والحايط
والعصى قوله تعالى وأنتم شهداء أي وأنتم شهداء بتقديم البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم في كتبكم • و
قيل معناه وأنتم عقلاء كما في قوله تعالى أو ألقى السمع وهو شهيد قوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون
تهديد لهم على الكفر أي لا يخفى على الله شيء مما تعملون من الجحد والكتمان قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إن
تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين قال زيد بن أسلم إن شاس بن قيس اليهودي
وكان شيخاً كبيراً عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم مر على نفر من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من جماعتهم و
ألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة فقال والله ما لنا
معهم إذا اجتمعوا بها من قرار فأمر شاباً من اليهود كان معهم فقال اعمد إليهم واجلس إليهم ثم ذكرهم
يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار وكان بعاث بالعين المهملة
يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه الأوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك و
تنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحي أحدهما من الأوس والآخر من الخزرج وتقاولا ثم قال
أحدهما لصاحبه إن شئتم والله رددناها جذعة الآن وغضب الفريقان جميعاً وقالا موعدكم
الحرة فخرجوا إليها بالسلاح وانضمت الأوس إلى الأوس والخزرج إلى الخزرج فبلغ ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم فخرج بمن معه من المهاجرين إليهم فقال يا معشر المسلمين أتدعون إلى الجاهلية وأنا بين
أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فعلموا أنها نزغة من الشيطان
وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وتعانق بعضهم بعضاً ثم رجعوا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم سامعين مطيعين فأنزل الله هذه الآية ومعناها يا أيها الذين آمنوا يعني الأوس والخزرج
إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يعني شاساً وأصحابه إن تطيعوهم في إحيا الضغاين التي كانت بينكم
بالعصبية وحمية الجاهلية يردوكم إلى الشرك والكفر بعد تصديقكم بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن • قال جابر بن عبد الله ما كان من طالع أكره إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيت

يوماً قط اقبح اولاً واحسن آخراً من ذلك اليوم قوله عز وجل وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله و
فيكم رسوله هذا على طريق التعجب والاستبعاد اذ يبعد منهم الكفر مع معرفتهم بدلالات الله اى كيف تكفرون
وانتم يتلى عليكم القرآن ومعكم رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين لكم الآيات قوله تعالى ومن يعتصم
بالله اى من يستمسك بدينه وطاعته ويمتنع به من غيره فقد ارشد الى طريق قاويم رضاه الله وهو الاسلام
والعصمة المنع فكل مانع شاهو عاصم قال الفرزدق • انا ابن العاصمين بني تميم • اذا اعظم الحدثان نابا •
قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون معناه يا ايها الذين صدقوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن اطيعوا الله حق طاعته واثبتوا على الاسلام حتى لا يدرككم الموت
الا وانتم مسلمون • قال الكلبي حق تقاته ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر • و
قال ابن عباس هو ان لا يعصى طرفة • وقال مجاهد معناه جاهدوا في الله حق جهاده ولا يأخذكم في الله

عين صح

لومة لائم وقوموا لله بالقسط ولو على انفسكم وابنائكم • فلما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله من يقوى
على تقوى الله حق تقاته وشق ذلك عليهم فانزل الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فصار ابتداء هذه
الآية منسوخاً به والى هذا ذهب قتادة ومقاتل وجماعة من المفسرين • قال مقاتل وليس في آل عمران
من المنسوخ الا هذه الآية • وقال بعضهم لا يجوز ان يكلف الله عباده ما لا يطيقون وليست هذه الآية
منسوخة وانما معناها اتقوه فيما يحق عليكم ان تتقوه فيه وهو ما فسره الله تعالى في كتابه في مواضع
شتى قوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون اى مؤمنون • وقيل مخلصون مفوضون اموركم الى الله • وقال
الفضيل محسنون الظن بالله • وعن انس رضي الله عنه قال لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه
قوله عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف
بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخواناً الآية قال مقاتل كان بين الاوس والخزرج عداوة في الجاهلية
وقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فاصلح بينهم فافتخر بعد ذلك رجلان
ثعلبة بن غنم الاوسي واسعد بن زرارة الخزرجي فقال الاوسي منا خزيمة ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل
الملائكة ومنا عاصم بن ثابت حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز العرش لموته ورضي بحكمه في بني

قريظة • وقال الخزرجي منا اربعة احكموا القرآن ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت
وابو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهم فغضبوا فقال الخزرجي
اما والله لو تأخر الاسلام قليلاً وقدوم النبي صلى الله عليه وسلم لقتلنا ساداتكم واستعبدنا
ابناءكم ونكحنا نساءكم بغير مهر • فقال الاوسي قد كان تأخر الاسلام متأخراً كثيراً فهلا فعلتم ذلك
حين ضربناكم حتى ادخلناكم البيوت وتكاثروا وتشاتما ثم تنادوا واقتتلوا حتى اجتمع الاوس والخزرج و
معهم السلاح فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم في ناس من المهاجرين وقد نهد
بعضهم الى بعض قال جابر فما كان طالع يومئذ اكره علينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاومأ
الينا بيده فكففنا فوقف بيننا فقرأ يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون
واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا الى قوله تعالى واولئك لهم عذاب عظيم • فالقى الفريقان
السلاح واطفأوا الحرب فلم يكن في الارض شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد نزول الآية ومشى بعضهم الى بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعانق بعضهم بعضاً
يبكون فما رأيت باكياً اكثر من يومئذ قوله تعالى بحبل الله اى تمسكوا بدين الله • وقيل بالجماعة
وقال مجاهد وعطاء بعهد الله • وقال قتادة والسدي والضحاك معناه واعتصموا بالقرآن • و
قال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الله هو الحبل المتين والذكر الحكيم
وهو الصراط المستقيم • وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان هذا القرآن هو حبل المتين وهو النور المبين والشفاء النافع وعصمة من تمسك به ونجاة من تبعه
وقال مقاتل معنى الآية واعتصموا بامر الله وطاعته • وقال ابو العالية باخلاص التوحيد لله • وقال
ابن زيد بالاسلام قوله تعالى ولا تفرقوا اى تتناحروا في دين الله ولا تتفرقوا فيه كما افترقت اليهود والنصارى
قال صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل افترقت على احدى وسبعين فرقة وان امتي ستفترق على اثنين
وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة واحدة فقيل يا رسول الله وما هذه الفرقة الواحدة فقبض يده
وقال الجماعة ثم قرأ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا • وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى

رضى لكم ثلثًا وكره لكم ثلثًا ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وان تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا وان تسمعوا و
اطيعوا لمن ولاه الله امركم • وكره لكم قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال • قوله عز وجل واذكروا نعمة الله
عليكم اى احفظوا منة الله عليكم اذ كنتم اعداء فى الجاهلية يقتل بعضكم بعضا فجمع الله بين قلوبكم بالاسلام
المحرم بالانفس والاموال الا بحقها فصرتم بنعمة الله اخوانا فى الدين • قال محمد بن اسحق كان الاوس والخزرج
اخوين لاب وام فوقعت بينهم عداوة بسبب سمير وحاطب وذلك ان سميرا ابن زيد احد بنى عمرو بن عوف
قتل حليفا لمالك بن العجلان الخزرجى يقال له حاطب بن الحرث فوقع الحرب بين القبيلتين فتطاولت بينهم
تلك العداوة مائة وعشرون سنة ولم يسمع بقوم كان بينهم من العداوة والحرب مثل ما كان بينهم و
اتصلت تلك العداوة الى ان اطفا الله ذلك بالاسلام والف بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث وظهر بمكة امن به الاوس والخزرج وهم بالمدينة
فلما هاجر اليهم النبى صلى الله وسلم وقعت الالفة بينهم وزالت العداوة من قلوبهم وقد كادوا ايتعانون
وكان سبب الفتهم ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج بالموسم وهو بمكة يعرض نفسه على
قبايل العرب فبينما هو عند العقبة اذ لقى رهطا من الخزرج اراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر اسعد بن
زرارة وعوف بن عفرا ورافع بن مالك وقطنه بن عامر وعقبة بن عامر وجابر بن عبد الله فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم من انتم فقالوا نفر من الخزرج فقال افلا تجلسون حتى اكلمكم قالوا بلى فجلسوا
فدعاهم الى الله عز وجل فعرض عليهم الاسلام وتلى عليهم القرآن وكان معهم بالمدينة يهود اهل كتاب
ذكروا لهم ان نبيا مبعوث قد دنا زمانه فلما كلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله
عز وجل قال بعضهم لبعض هذا والله النبى الذى ذكر اليهود فلا يسبقنكم اليه احد فاجابوه وصدقوه
واسلموا وقالوا يا رسول الله انا تركنا قومنا بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى الله ان يجمع كلمتهم بك
فاقدم اليهم وادعهم الى امرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل اعز منك ثم انصرفوا راجعين الى بلادهم
وقد اسلموا فلما وصلوا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام
حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى

اذا كان

اذا كان العام المقبل وافا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الموسم منهم اثنا عشر رجلا اسعد بن زرارة
وعوف ومعاذ ابنا عفرا وعقبة بن عامر وقطنه بن عامر ورافع بن مالك وذكوان بن عبد قيس وعبادة
بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وعباس بن عبادة فهؤلاء الخزرجيون • وابو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة
من الاوس فاجتمعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة وهى العقبة الاولى فبايعوه على ان لا
يشركوا بالله شيئا فان وفيتم فلكم الجنة وكان ذلك قبل ان يفرض الجهاد فلما رجعوا الى المدينة بعث
معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير بن هاشم وامره ان يقريهم القرآن ويعلمهم الاسلام
ويفقههم فى الدين فكان مصعب يسمى فى المدينة المقرى وكان نزوله فى بيت اسعد بن زرارة فقال سعد بن
معاذ لاسيد بن حضير انطلق بنا الى هذين الرجلين اللذين قد اتيا دارنا فسفها ضعفانا واخرجوهم
فان اسعد بن خالتى ولولا ذلك لكفيتك وكان سعد بن معاذ واسيد ابن حضير سيدى قومهما من بنى
عبد الاشهل وكلاهما مشركان فاخذ اسيد بن حضير حربته واقبل الى اسعد ومصعب وهما جالسان
فى حايط فلما راه اسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال
مصعب ان يجلس اكلمه فلما وقف عليهما اسيد شتمهما وقال لهما جئتمانا تسفهان ضعفانا اعتزلا ان كان لكما
فى السلامة حاجة قال مصعب اجلس واسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كففنا عنك ما تكره
قال انصفت ثم ركز حربته وجلس عندهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرا عليه القرآن قالا فوالله لعرفنا
فى وجهه الاسلام قبل ان يتكلم ثم قال ما احسن هذا واجمله كيف تصنعون اذا اردتم ان تدخلوا فى
هذا الدين قالا اغتسل وطهر ثوبك ثم اشهد شهادة الحق لا اله الا الله محمد رسول الله ثم تصلى ركعتين
فقام واغتسل وطهر ثوبيه وقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ثم ركع ركعتين ثم قال
ان ورائى رجلا ان اتبعكما لم يتخلف احد من قومه يعنى سعد بن معاذ وسارسله اليكما ثم اخذ حربته
وانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر اليه سعد مقبلا قال احلف بالله لقد جاءكم اسيد
بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وصل اليهم قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله
ما رايت بهما باسا وقد نهيتهما فقالا نفعل وحدثت ان بنى حارثة خرجوا الى سعد بن زرارة

ليقتلوه كما عرفوا انه انما اتاك ليحقروك فقام سعد مغضبا مبادرا للذى ذكر فاخذ الحربة منه ثم قال والله ما اراك اغنيت شيئا ومضى اليهما فلما راهما مطمئنين عرف ان اسيدا انما فعل ذلك ليستمع منهما فوقف عليهما متبسما ثم قال لاسعد بن زرارة يا ابا امامه لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رمت هذا منى تغشانا فى ديارنا بما نكره فقال له مصعب فتقعد وتسمع فان رضيت امرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره فركز حربته وجلس فعرض عليه الاسلام وقرا عليه القرآن قالا فعرفنا والله فى وجهه الاسلام قبل ان يتكلم به ثم قال كيف تصنعون اذا اسلمتم قالوا تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتصلى ركعتين فقام واغتسل وغسل ثوبه وشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وصلى ركعتين ثم اخذ حربته ومضى الى نادى قومه ومعه اسيد بن حضير الاوسى • فلما وقف عليهم قال يا بنى عبد الاشهل كيف تعلمون امرى فيكم قالوا سيدنا وافضلنا رايا قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله • قال فما امسى فى دار بنى اشهل رجل ولا امراة الا مسلما ومسلمة ورجع اسعد ومصعب الى منزل اسعد بن زرارة فاقاما عنده يدعوان الناس الى الاسلام فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج معه من الانصار من المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من وسط ايام التشريق وهى بيعة العقبة الثانية • قال كعب بن مالك فلما فرغنا من الحج فكانت الليلة التى واعدنا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر اخبرناه وكنا نكتم من المشركين من قومنا ايماننا فكلمناه وقلنا يا ابا جابر انك سيد من ساداتنا وانا نرغب بك فيما نرغب لانفسنا ودعوناه الى الاسلام واخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان نقيبا فبتنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى اذا مضت ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل مستخفين حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امراتان من نسائنا نسيبة بنت كعب من نساء بنى النجار واسماء بنت عمرو بن عدى

من نسا بنى سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس وهو يومئذ مشرك الا انه احب ان يحضر مع ابن اخيه ويتوثق له فلما جلس كان اول من تكلم العباس فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمى الاوس والخزرج باسم الخزرج اعلموا ان محمدا منا حيث قد علمتم هو فى عز من قومه ومنعة فى بلده وانه قد ابى الا اللحوق بكم والانقطاع اليكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الان فدعوه فانه فى عز ومنعة قال فقلنا قد سمعنا قولك فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما شئت فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا القرآن ودعا الى الله ورغب فى الاسلام وقال ابايعكم على ان تمنعونى مما تمنعون انفسكم ونساءكم وابناءكم قال فاخذ البراء بن معرور بيده قال والذى بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع ابناءنا فبايعنا يا رسول الله فنحن اهل الحرب ونحن اهل الحلقة ورثناها صاغرا عن كابر ثم قال ابو الهيثم ابن التيهان يا رسول الله ان بيننا وبين الناس عهودا ونحن قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بل الدم الدم والهدم الهدم انتم منى وانا منكم احارب من حاربتم واسالم من سالمتم ثم قال اخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيبا كفلاء على قومهم ككفالة الحواريين لعيسى عليه السلام فاخرجوا اثنى عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلثة من الاوس فلما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة الانصارى يا معشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون انما تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكت اموالكم بالاخذ واشرافكم بالقتل اسلمتموه فمن الان فهو والله ان فعلتم خزى الدنيا والاخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعاكم اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والاخرة قالوا فانا ناخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا قال لكم الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه فاول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم واحدا واحدا • قال فلما بايعنا صرخ الشيطان من راس العقبة بانفذ صوت

بايعنا صح

سمعته احياء كثيرة فقال صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله شيطان العقبة • ثم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم امضوا الى رحالكم فقال عباس بن عبادة والذى بعثك بالحق نبيا لئن شئت لنميلن غدا على
اهل منى باسيافنا • فقال صلى الله عليه وسلم لم اومر بذلك رجعوا الى رحالكم قال فرجعنا الى
مضاجعنا فنمنا فلما اصبحنا غدت علينا اجلة قريش فقالوا لنا يا معشر الخزرج بلغنا انكم جيتم صاحبنا
هذا لتستخرجوا ابن اخينا من بين ظهرنا وتبايعوه على حربنا وانه والله ما حى من العرب ابغض الينا ان تنشب
الحرب بيننا وبينهم منكم فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون لهم بالله ما كان هذا شىء وما علمنا
وصدقوا لانهم لم يعلموا على بيعتنا فجعل بعضنا ينظر الى بعض ثم انصرفوا الانصار الى المدينة وقد شددوا
العقد • فلما قدموا اظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا فاذوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عليه السلام لاصحابه ان الله قد جعل لكم اخوانا ومنزلا ودارا تامنون فيها فامرهم بالهجرة
الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار • فاول من هاجر الى المدينة ابو سلمة بن عبد الاسد المخزومى
ثم عامر بن ربيعة ومعه امراته ليلى بنت ابى خيثمة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابع اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ارسالا الى المدينة فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر ان يوذن له
فى الهجرة الى ان اذن له فقدم المدينة فجمع الله اهل المدينة اوسها وخزرجها بالاسلام واصلح ذات
بينهم برسوله ورفع عنهم العداوة القديمة والف بينهم وذلك قوله عز وجل ولا تفرقوا واذكروا نعمة
الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم اى بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا اى فصرتم ونظيره فاصبح
من الخاسرين فاصبح من النادمين اويصبح ماؤها غورا وقوله تعالى بنعمته اى بدين الاسلام وقوله
تعالى اخوانا اى فى الدين والولاية نظيره قوله تعالى انما المومنون اخوة • قال صلى الله عليه وسلم
لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تنابزوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم
لا يظلمه ولا يخذله التقوى هاهنا واشار بيده الى صدره حسب امرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم
قوله عز وجل وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها اى كنتم فى الجاهلية على طرف هوة من النار اى
كنتم اشرفتم على النار وكدتم تقعون فيها لو ادرككم الموت على الكفر فانقذكم الله منها اى خلصكم

من النار والحفرة بالنبى صلى الله عليه وسلم والايمان قوله تعالى كذلك يبين الله لكم اياته اى مثل
هذا البيان الذى تلى عليكم يبين الله لكم الدلالات والحجج فى الاوامر والنواهى لكى تهتدوا من الضلالة وتكونوا
على رجاء الهداية قوله عز وجل ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف اى ليكن منكم
جماعة يدعون الى الصلح والاحسان ويامرون بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه وسلم وساير
الطاعات الواجبة وتنهون عن الكفر والشرك وساير ما لا يعرف فى شريعة ولا سنة اولئك هم المفلحون
اى الناجون من السخط والعذاب وانما قال ولتكن منكم ولم يقل وليكن جميعكم لان الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين ويجوز ان يكون المراد بالامة
فى هذه الاية العلماء الذين يحسنون ما يدعون اليه • وذهب بعض المفسرين الى ان المعنى ولتكونوا كلكم
لكن من هنا دخلت للتوكيد وتخصيص المخاطبين من ساير الاجناس كما فى قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من
الاوثان اى فاجتنبوا الاوثان فانها رجس لان المراد فاجتنبوا بعض الاوثان دون البعض واللام
فى ولتكن لام الامر وقوله يدعون الى الخير اى الى الاسلام ثم النهى عن المنكر على مراتب فاولها الوعظ
والتخويف فان زال بذلك لم يجز للناهى ان يتعدا عنه الى ما فوقه ثم بالايدى والنعال ثم
بالسوط ثم بالسلاح والقتال لان المقصود زوال المنكر فاما اذا كان الناهى عن المنكر خايفا
على نفسه فقد قال صلى الله عليه وسلم من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبقلبه و   فبلسانه فان لم يستطع صح
ذلك اضعف الايمان • وقال صلى الله عليه وسلم من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى ارضه
وخليفة رسوله وخليفة كتابه • وقال صلى الله عليه وسلم مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله
وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه كله • وقال على رضى الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهى
عن المنكر وشنان الفاسقين • وقال ابو الدرداء لتامرن بالمعروف وتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم
سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعوا خياركم فلا يستجاب لهم ويستنصرون فلا ينصرون
ويستغفرون فلا يغفر لكم • وقال حذيفة ياتى على الناس زمان لان يكون فيهم جيفة حمار احب اليهم من
مومن يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر • وقال الثورى اذا كان الرجل محبوبا فى جيرانه محمودا عند

اخوانه فاعلم انه مداهن قوله عز وجل ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات
اى ولا تكونوا كاليهود والنصارى الذين اختلفوا فيما بينهم وصاروا فرقا وشيعا من بعد ما جاءهم الكتاب
فى امر محمد صلى الله عليه وسلم واولئك لهم عذاب عظيم على تفريقهم واختلافهم • وقال بعضهم لا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا قال وهم المبتدعة من هذه الامة ثم بين الله تعالى وقت العذاب العظيم الذى
يصيبهم فقال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه معناه واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه وهو يوم القيمة وانتصب على الظرف اى فى يوم • قرا يحيى بن وثاب تبيض وتسود بكسر التاء على لغة
تميم • وقرا الزهرى تبياض وتسواد ومعنى الاية تبيض وجوه المخلصين لله بالتوحيد اى تشرق فتصير كالثلج
بياضا والشمس ضياء وتسود وجوه الكفار والمنافقين من الحزن حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون • و
عن ابن عباس قال معناه تبيض وجوه اهل العلم والسنه وتسود وجوه اهل البدعة • وقال بعضهم البياض
من الوجوه اشراقها واستنارها وسرورها بعملها وبثواب الله واسوادها حزنها وكابتها وكسوفها بعملها
وبعقاب ربها قوله عز وجل فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم جوابه محذوف اى يقال لهم
اكفرتم بعد ايمانكم قيل هم قوم من اهل الكتاب كانوا مصدقين بانبيائهم مصدقين بمحمد صلى الله عليه وسلم
قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به فذلك قوله تعالى اكفرتم بعد ايمانكم وقيل هم من كفر بالله يوم الميثاق حين
اخرجوا من صلب آدم عليه السلام وقيل هم الخوارج واهل البدع كلها وقيل هم اهل الردة قوله
عز وجل واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون وهم المومنون الذين ابيضت وجوههم
فى الاخرة فى جنة الله تعالى صاروا اليها برحمته هم فيها مقيمون دايمون وفى الاية بيان ان الجنة لا تنال
الا برحمة الله وان اجتهد المجتهد فى طاعته قوله عز وجل تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق اى
هذه حجج الله ينزل بها جبريل عليه السلام فيقراها عليك بالصدق وما الله يريد ظلما للعالمين اى للجن
والانس قوله عز وجل ولله ما فى السموات وما فى الارض والى الله ترجع الامور معناه جميع ما فى السموات
والارض من الخلق عبيد الله ومخلوقه فلا يريد ظلمهم فان من بلغ غناه هذا المبلغ لا يحتاج الى الظلم
قوله تعالى والى الله ترجع الامور اى عواقب الامور فى الاخرة قوله عز وجل كنتم خير امة اخرجت

فيها محـ

للناس

للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله خطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يعم سائر امته • قال الحسن نحن آخر الامم واكرمها على الله • وقيل معنى كنتم خير امة اى كنتم فى اللوح
المحفوظ • وقيل كنتم مذ كنتم • وقيل الكاف زايدة اى انتم خير امة قوله تعالى بالمعروف اى بالتوحيد واتباع
الشريعة وتنهون عن المنكر اى من الشرك والظلم وقوله تعالى وتومنون بالله اى توحدون الله تعالى
بالايمان برسوله صلى الله عليه وسلم لان من كفر بالنبى صلى الله عليه وسلم لم يوحد الله تعالى
ودليل هذا التاويل قوله تعالى ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم اى لو صدق اليهود والنصارى مع
ايمانهم بالله تعالى بايمانهم بنبيه صلى الله عليه وسلم لكان خيرا لهم من الاقامة على دينهم • وعن
النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله عز وجل •
وقال صلى الله عليه وسلم اهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون منها من هذه الامة • وقال صلى الله
عليه وسلم ان الجنة محرمة على الامم حتى تدخلها امتى • وقال صلى الله عليه وسلم امتى امة
مرحومة اذا كان يوم القيمة اعطى كل رجل من هذه الامة رجلا من الكفار فيقال له هذا فداك من
النار • وقيل لعيسى عليه السلام يا روح الله هل بعد هذه الامة امة قال نعم امة احمد صلى
الله عليه وسلم علماء حكماء حلماء ابرارا اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق
ويرضى الله تعالى عنهم باليسير من العمل يدخلهم الجنة بشهادة ان لا اله الا الله قوله عز وجل منهم المومنون
يعنى اهل الكتاب منهم المومنون عبد الله بن سلام واصحابه وساير من اسلم من اهل الكتاب واكثرهم
الفاسقون اى الكافرون الخارجون عن امر الله وهم الذين لم يسلموا منهم قوله عز وجل لن يضروكم الا
اذى اى لن يصلوا الى ضرركم ايها المسلمون الا ان يوذوكم باللسان بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله و
ثالث ثلاثة والبهت والتحريف • وقال مقاتل ان رؤسا اليهود كعب بن الاشرف وابو رافع وابو ياسر وابن
صوريا وغيرهم عمدوا الى مومنيهم عبد الله بن سلام واصحابه فاذوهم لاسلامهم فانزل الله عز وجل
لن يضروكم الا اذى اى باللسان يعنى وعيدا وطعنا بالسنتهم ودعا الى الضلالة وكلمة كفر يسمعونها
منهم فيتاذون بها قوله تعالى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون اى يعطوكم الادبار

السابع عشر

منهزمين يعني لا يمنعكم احد من سبيكم اياهم وقتلكم نفوسهم وقوله تعالى ثم لا ينصرون جواب الشرط الا انه
استيناف لاجل روس الاى لانها على النون كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون وتقديره ثم هم
لا ينصرون • وقال في موضع اخر لا يقضى عليهم فيموتوا اذ لم يكن على راس اية قال الشاعر الم تسال الربع القوا
فينطق • اى فهو ينطق قوله عز وجل ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس معناه
جعلت عليهم مذلة القتل والسبى اينما وجدوا واخذوا قوله تعالى الا بحبل من الله الا ان يعتصموا بعهد الله
وهو الاسلام وقوله وحبل من الناس اى عهد وامان وعقد ذمة المسلمين عليهم يؤدون اليهم الخراج
ليؤمنوهم وفي الاية اختصار تقديره الا ان يعتصموا بحبل من الله قوله تعالى وباؤا بغضب من الله اى
انصرفوا بغضب استوجبوه من الله عز وجل قوله تعالى وضربت عليهم المسكنة اى جعل عليهم زى الفقر
والبؤس حتى صاروا من الذلة الى ما لا يبلغه اهل ملة بعد ان كانوا ذوى عز ويسار ومنعة فيرى
الرجل منهم عليه البؤس والمسكنة وانه لغنى ولم يبق لليهود منعة في موضع من المواضع قوله تعالى
ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق اى ذلك الذل والغضب عليهم من الله
بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران ورضاهم بقتل اباءهم الانبيا بغير حق وعصيانهم ومجاوزتهم
الحد قوله عز وجل ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون
قال ابن عباس ومقاتل لما اسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن شعبة واسيد بن عبيد ومن اسلم من اليهود
قالت احبار اليهود ما امن بمحمد الا شرارنا لو كانوا من خيارنا ما تركوا دين اباءهم ثم قالوا لهم قد
خسرتم حين استبدلتم بدينكم دينا غيره فانزل الله هذه الاية • وقيل لما ذكر الله في الايات المتقدمة تعالى
من امن من اهل الكتاب ومن لم يؤمن قال عز وجل ليسوا سواء اى ليس الفريقان سوا وهذا وقف تام • ثم
استونف قوله تعالى من اهل الكتاب امة قائمة اى عادلة مستقيمة مهتدية • وقال الاخفش ذو امة
قائمة اى ذو طريقة قائمة • قال والامة الطريقة ومعنى قوله يتلون ايات الله اناء الليل يعنى يقرؤن القران
في ساعات الليل وهم يسجدون اى وهم يصلون لان القران لا يكون في السجود نظيره قوله تعالى وله
يسجدون اى يصلون • وقوله تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن اى صلوا وانما ذكرت الصلوة باسم

السجود لان السجود نهاية ما فيها من التواضع • وقال ابن مسعود رضى الله عنه اراد به صلوة العتمة
وقيل اراد به ما بين المغرب والعشاء • واختلف النحاة في واحد الاناء قال بعضهم انا مثل معا وامعاء • و
قال بعضهم انى مثل نحى وانحاء • وقال بعض المفسرين في الاية اختصار وحذف تقديره من اهل الكتاب امة
قائمة واخرى غير قائمة وترك الاخرى اكتفاء بذكر احد الفريقين قالوا وهذا فعل مجموع مقدم كقولهم
اكلونى البراغيث وذهبوا اصحابك • وقال الاخرون تمام الكلام عند قوله ليسوا سواء يعنى المؤمنين
والفاسقين لان ذكر الفريقين قد جرى في قوله منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ثم وصف الفاسقين
فقال لن يضروكم الا اذى ووصف المؤمنين فقال امة قائمة الاية قوله عز وجل يؤمنون بالله و
اليوم الاخر قال ابن عباس لما اسلم عبد الله بن سلام ومن معه قالت اليهود ما امن بمحمد الا شرارنا فانزل
هذه الاية الا انها وان نزلت فيهم فمن حق كل مسلم ان يكون على هذه الصفة ومعنى الاية يصدقون بالله و
بالبعث بعد الموت ويامرون بالمعروف اى باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن المنكر اى عن
اتباع الجبت والطاغوت ومخالفة النبى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ويسارعون في الخيرات
اى يبادرون الى الطاعات والاعمال الصالحة واولئك من الصالحين اى من المؤمنين المخلصين وهم
ابو بكر وعمر وساير الصحابة قوله عز وجل وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اى فلن تجحدوه يعنى تجزون
به وتثابون عليه • قرا الاعمش ويحيى وحمزة والكسائى وحفص وخلف وما يفعلوا من خير فلن يكفروه
بالياء فيهما اخبارا عن الامة القائمة • وقيل راجع الى قوله الصالحين • وقرا الباقون بالتاء فيهما على
الخطاب كقوله كنتم خير امة قوله تعالى والله عليم بالمتقين اى عالم باعمالهم وثواب اعمالهم قوله
عز وجل ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا معناه ان الذين جحدوا
بمحمد والقران لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من عذاب الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون اى مقيمون دائمون قوله عز وجل مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر
اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته معناه مثل ما ينفق اليهود في اليهودية على رؤسائهم
وعلمائهم وما ينفق اهل الاوثان على اصنامهم في تظاهرهم على النبى صلى الله عليه وسلم و

اهلكهم ما لانفسهم كمثل ريح فيها برد شديد • ويقال الصرصوت لهب النار التي تحرق الزرع •
وقيل الصر ريح فيها صوت ونار قوله تعالى اصابت حرث قوم اى زرع قوم ظلموا انفسهم بالكفر
والمعصية ومنع حق الله عليهم فاهلكته اى احرقته الريح فلم ينتفعوا منه بشيء في الدنيا
كذلك من ينفق في غير طاعة الله لا ينتفع بنفقته في الآخرة كما لا ينتفع صاحب هذا الزرع بزرعه في
الدنيا قوله تعالى وما ظلمهم الله باهلاك زرعهم ولكن انفسهم يظلمون بمنع حق الله فيه وكفرهم
ومعصيتهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا نزلت هذه
الآية في الانصار كانوا قد ظاهروا اليهود حتى صار وكان بينهم نسبا وكانوا يواصلونهم ويعاطفونهم
حتى كان الرجل من الانصار يتزوج فيهم فيختار دارهم على قومه • فلما جاء الله بمحمد صلى الله عليه وسلم
والاسلام وامن الانصار ابغضهم اليهود وكان الانصار يخالطونهم ويبيتونهم ويزورونهم كما كانوا يفعلون
قبل الاسلام للرضاعة والمصاهرة التي كانت بينهم فنهى الله الانصار بهذه الآية وما بعدها ومعناه
لا تتخذوا دخلاء من غيركم يعني اليهود وبطانة الرجل خاصته واهل سره الذين يستبطنون امره شبهوا
بذلك على جهة التشبيه ببطانة الثوب التي تلي جلد الانسان ومن في قوله من دونكم للتبيين
اى لا تتخذوا الذين هم اسافل وارذال بطانة قوله تعالى لا يألونكم خبالا اى لا يبقون غاية ولا
يتركون الجهد في القائكم في الفساد يقال ما الوت في الحاجة جهدا اى ما قصرت ونصب خبالا على
المفعول الثاني لانه يتعدى الى مفعولين وان شئت على المصدر وان شئت بنزع الخافض اى بالخبال
والخبال الفساد ومثله الخبل ايضا يقال رجل خبال اى فاسد الرأي ويقال نخبل اى جنون
وقال مجاهد نزلت في قوم مؤمنين كانوا يصافحون المنافقين ويخالطونهم فنهاهم الله عز وجل
عن ذلك قوله عز وجل قد بدت البغضاء من افواههم اى قد ظهرت العداوة من السنتهم بالشتم
والطعن وما تخفي صدورهم اكبر اى وما يضمرون في قلوبهم من القتل لو ظفروا بكم اعظم مما اظهروا لكم
قوله تعالى ودوا ما عنتم اى تمنوا اثمكم وضركم وهلاككم والعنت في اللغة المشقة يقال
اكمة عنوت اى طويلة شاقة المسلك • وقرا عبد الله قد بدا البغضاء بالتذكير لتقدم الفعل

بدا صح

ولان

ولان معنى البغضاء البغض قوله تعالى قد بينا لكم الآيات اى اخبرناكم بما اخفوا وابدوا بالدلالات
والعلامات ان كنتم تعقلون العدو من الولي قوله تعالى ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اى
انتم هؤلاء المؤمنون تحبون اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للاسباب التي بينكم من المصاهرة والرضاع
والقرابة والجوار ولا يحبونكم لما بينكم من المخالفة الدين هذا قول اكثر المفسرين • وقال بعضهم معناه
تحبونهم اى تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء ولا يحبونكم لانهم يدعونكم الى الكفر وهو الهلاك
قوله تعالى وتؤمنون بالكتاب كله اى تؤمنون بالتورية والانجيل وساير كتب الله ولا يؤمنون هم
بذلك كله يعني لا يؤمنون بكتابكم قوله تعالى واذا لقوكم قالوا امنا يعني منافقي اهل الكتاب اذا لقوهم
قالوا امنا بمحمد انه رسول صادق فيما يقول واذا خلوا فيما بينهم عضوا عليكم الانامل من الغيظ
اى اطراف الاصابع من الحنق عليكم لما يرون من ائتلافكم واجتماعكم واصلاح ذات بينكم وهذا مثل
ضربه الله لشدة عداوة اليهود للمؤمنين وواحد الانامل انملة بفتح الميم وضمها قوله تعالى قل موتوا
بغيظكم ليس على طريق الايجاب لانه لو كان على طريق الايجاب لماتوا كلهم من ساعتهم لكن معناه تموتون
بغيظكم ولا تبلغون ما تمنيكم من قهر محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه قوله تعالى ان الله عليم
بذات الصدور اى عالم بما في القلوب من البغض والعداوة وغير ذلك • وفي الحديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لا تستضيئوا بنار المشركين اى لا تستشيروا المشركين في شيء من اموركم قوله تعالى
ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها قرأ السلمي بالياء ومعنى الآية ان تصبكم
ايها المؤمنون حسنة بظهوركم على عدوكم وغلبتكم لهم والغنيمة والخصب تسؤهم تلك الحسنة اى
تحزنهم يعني اليهود وان تصبكم محنة من جهة اعدائكم او نكبة او جدب يعجبوا بها قوله تعالى
وان تصبروا وتتقوا اى وان تصبروا على اذى اليهود والمنافقين وتتقوا معصية الله وتخافوا ربكم
لا يضركم كيدهم شيئا اى لا يضركم احتيالهم لايقاعكم في الهلاك ان الله بما تعملون محيط اى
احاط علمه وقدرته باعمالهم • قرا ابو عمرو وابن كثير لا يضركم بكسر الضاد والتخفيف وهو جزم
على جواب الجزاء • وقرأ الضحاك لا يضركم بفتح وجزم الراء من ضار يضور • وذكر الفراء عن الكسائي انه

سمع بعض اهل العالية يقول لا ينفعنى ذلك ولا يضورنى • وقرا الباقون بضم الضاد وتشديد الراء من
ضر يضر ضرا وفى رفع يضركم وجهان • احدهما انه اراد الجزم واصله يضرركم فادغمت الراء فى الراء
ونقلت ضمة الراء الاولى الى الضاد وضمت الراء الاخيرة اتباعا لاقرب الحركات اليها وهى الضاد طلبا للمشاكلة
والوجه الثانى ان لا بمعنى ليس وبضم الفاء فيه تقديره وان تصبروا فليس يضركم والضير والضر بمعنى واحد
قال الله تعالى قالوا لا ضير وقال واذا مسكم الضر وقوله تعالى ان الله بما تعملون محيط اى عالم • قراء
الحسن والاعمش باليا وقرا الباقون بالتا قوله عز وجل واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد
للقتال قال مجاهد والكلبى غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عايشة يمشى على رجليه
الى احد وصف اصحابه للقتال كما يصف للصلوة وذلك ان المشركين نزلوا يوم الاربعا فلما سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار اصحابه فقال اكثرهم يا رسول الله اقم بالمدينة
لا نخرج اليهم فان اقاموا هنالك اقاموا فى شر مجلس وان دخلوا الينا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم
النسا والصبيان بالحجارة من فوقهم ورجعوا كما جاؤا فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا الراى • وقال بعض الصحابة يا رسول الله اخرج بنا الى هولاء الاكلب لا يرون انا جبنا عنهم و
ضعفنا واتاه النعمان بن مالك الانصارى فقال يا رسول الله لا تحرمنى الجنة فوالذى بعثك بالحق نبيا
لادخلن الجنة فقال له بم قال بانى اشهد ان لا اله الا الله وانى لا افر من الزحف فقال صدقت فقتل
يوميذ شهيدا فقال صلى الله عليه وسلم انى قد رايت فى منامى ان فى ذبابة سيفى ثلما فاولتها هزيمة
ورايت انى ادخل يدى فى درع حصينة فاولتها المدينة فكرهت الخروج اليهم فان رايتم ان تقيموا
بالمدينة وتدعوهم فان اقاموا اقاموا على شر مقام وان دخلوا المدينة قاتلناهم فيها فكان صلى
الله عليه وسلم يعجبه ان يدخلوا المدينة فيقاتلوا فى الازقة • فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم
يوم بدر واراد الله لهم الشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا يا رسول الله فكره الخروج
اليهم وامر تبوية المقاعد للقتال الى ان يوافيهم المشركون والمقاعد هى المواطن والاماكن فلم يزالوا
برسول الله صلى الله عليه وسلم يحثونه على لقائهم حتى دخل بيته فلبس لامته وعزم على

الخروج

وسلم صح

الخروج فندم المسلمون وقالوا بيسما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه والوحى ياتيه فقاموا
واعتذروا اليه وقالوا اصنع ما رايت يا رسول الله فقال لا ينبغى لنبى ان يلبس لامته فيضعها حتى
يقاتل وكان قد اقام المشركون باحد يوم الاربعا والخميس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الجمعة بعد ما صلى باصحابه الجمعة فاصبح بالشعب من احد يوم السبت فى النصف من شوال سنة
ثلث من الهجرة • وكان من امر حرب احد ما كان فذلك قوله عز وجل واذ غدوت من اهلك تبوئ المومنين
مقاعد للقتال اى واذكر اذ غدوت من عند اهلك من المدينة تهيئ للمومنين مواضع للحرب لقتال المشركين
يوم احد • وقال الحسن نزلت هذه الاية فى يوم الاحزاب وكل موضع منها قريب من المدينة قوله عز وجل
اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا والله وليهما اى ان تجبنا وتضعفا وتتخلفا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانوا جناحى العسكر وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خرج الى احد فى الف رجل وقيل فى تسعماية وخمسين رجلا وقد وعد اصحابه
بالنصر والفتح ان صبروا فلما بلغوا الى بعض الطريق انخزل عبد الله بن ابى بن سلول بثلث الناس ورجع بهم
فرجع فى ثلثماية وقال علام نقتل اولادنا وانفسنا فتبعهم جابر وقال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم
فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف معه فعصمهم الله تعالى
ولم ينصرفوا ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت الله قلوبهما فلم يرجعا فذكرهم الله
تعالى عظم نعمته فقال اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا والله وليهما اى حافظهما وناصرهما • وقرا
ابن مسعود وليهم لان الطايفة جمع كقوله تعالى هذان خصمان اختصموا فى ربهم وعلى الله فليتوكل
المومنون فى امورهم • قال جابر بن عبد الله والله ما يسرنا انا لم نهم بالذى هممنا به ولقد اخبرنا الله
تعالى انه ولينا قوله عز وجل ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة بدر اسم موضع بين مكة و
المدينة وهو من بلاد غفار وكان وقعة بدر اول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنفسه • وجملة مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة وعشرون غزوة وكان غزوة بدر
الخامسة منهن • قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى احد عشر غزوة منهن بدر الكبرى واحد

والخندق وغزوة بني قريظة وغزوة بني المصطلق وغزوة بني لحيان وخيبر والفتح وحنين والطايف
وتبوك • فاما بدر الكبرى فكانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنه اثنين من الهجرة على راس تسعة
عشر شهرا من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وغزوة احد في شوال سنه ثلث والخندق وبني قريظة في
شوال سنه اربع • وبني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنه خمس • وخيبر سنه ست • والفتح في
رمضان سنه ثمان • وحنين والطايف في شوال سنه ثمان • فاول غزوة غزاها بنفسه وقاتل
فيها بدر الكبرى وآخرها تبوك • وكانت سراياه ستا وثلثين سريه • ومعنى الاية ولقد نصركم
الله ببدر وانتم قليل في العدد وذلك ان المسلمين كانوا ثلثماية وثلثة عشر رجلا وكان المهاجرون
منهم سبعة وسبعين ومن الانصار ماتين وستة وثلثون • وكان علي رضي الله عنه صاحب راية
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسعد بن معاذ صاحب راية الانصار وكان عدد الكفار
تسعمايه ونيفا قوله عز وجل فاتقوا الله لعلكم تشكرون اي اطيعوه فيما يامركم به لتقوموا
بشكر النعم التي انعمها عليكم قوله تعالى اذ تقول للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملئكة
منزلين وذلك ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يوم احد بعد انصراف عبد الله بن
ابي سلول ثلث الناس سبعماية وكان المشركين ثلثة الاف • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الن
يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة منزلين من السما • قرا الحسن ومجاهد وابن عامر منزلين
بالتشديد • وقرا الباقون بالتخفيف قوله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم
ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين معنى قوله تصديق لوعد الله تعالى وقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان تصبروا العدوكم مع نبيكم وتتقوا مخالفته ويأتوكم اهل مكة من وجههم هذا يمددكم
ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين اي معلمين بالصوف الابيض وقيل بالاحمر في نواصي الخيل واذنابها
اي بين لهم من السماء معلمين بهذه العلامة • ويجوز ان يكون معنى مسومين مرسلين من الاسامة وهي الارسال
ومن قرا مسومين بكسر الواو فانهم سوموا خيولهم • وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لاصحابه يوم احد تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض في قلانسهم ومغافرهم

وقال قتادة كان على الملائكة يوم بدر سيما القتال وكانوا على خيل بلق • وقال ابن عباس كانت يوم بدر
سيما الملئكة عمايم بيض مرخية على اكتافهم قال ولم يصبر المومنون يوم احد للقتال الا قليل منهم ولو صبروا
لنزلت عليهم الملائكة واتاهم ما وعدهم الله ولكنهم لم يصبروا فلم ينزل عليهم الملائكة • قرا ابن كثير وابو عمرو
وعاصم مسومين بكسر الواو • وقرا الباقون بالفتح قوله تعالى وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم
به اي ما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم ولتطمئن قلوبكم به فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلة
عددكم حتى تثبتوا لاعدايكم قوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم اي وان امدكم بالملائكة
وقوى قلوبكم فليس النصر لكثرة العدد وقلته ولكنه من عند الله العزيز الحكيم اي المنيع في سلطانه الحكيم
في امره وفي الاية بيان ان الانسان لا يستغني في حال من الاحوال عن الله وان كثر عدده واجتمع ماله •
قال ابن عباس ان الملائكة لم يباشروا القتال الا يوم بدر فاما ما سوى ذلك فانها تكثر الصف وتكثره
ولا تقاتل • وقال بعض المفسرين ان الملئكة لم تقاتل اصلا ولم يبعثوا الا بالبشارة فلو بعثوا للقتال
لكان ملك واحد يكفيهم كما فعل جبريل عليه السلام يوم لوط • وقال بعضهم ان الملائكة كانت تقاتل
وكان علامة ضربهم اشتعال النار في موضع ضربهم والله اعلم قوله تعالى ليقطع طرفا من الذين كفروا
معناه نصركم ليقتل ويستاسر جماعة من الذين كفروا ابنقضهم ذلك ويهزمهم فينقلبوا خايبين اي
رجعوا منقطعين عن امالهم والكبت هو الوهن في القلب وتضرع المرء على وجهه لاجله ونظم الاية
ولقد نصركم الله ببدر ليقطع طرفا من الذين كفروا اي لكي يهلك طايفة من الذين كفروا • وقال السدى
معناه ليهدم ركنا من اركان المشركين بالقتل والاسر فقتل من ساداتهم يوم بدر سبعون واسر منهم
سبعون وقوله تعالى فينقلبوا خايبين اي لم ينالوا شيا مما كانوا يرجون من الظفر بكم وقوله تعالى
او يكبتهم • قال الكلبي او يهزمهم • وقال النضر بن شميل يغيظهم • وقال السدى يلعنهم • وقال ابو عبيدة
يهلكهم • وقري في الشاذ او يكبدهم يقال كبده اذا رماه فاصاب كبده والمكبود المتلف قوله
عز وجل ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وذلك انه لما شج النبي
صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسرت رباعيته وقتل سبعون من اصحابه جعل يمسح الدم

عن وجهه وهو يقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى ربهم وهمّ ان يلعنهم ويلعن الذين انصرفوا مع عبد الله بن ابي بن سلول فانزل الله هذه الاية ينهاه عن اللعن ويبين ان فلوجهم ليس اليه وانه ليس له من الامر شيء الا ان يبلغ الرسالة ويجاهد حتى يظهر الدين • قال عكرمة وقتادة ادمى رجل من هذيل يقال له عبد الله بن قمئة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلط الله عليه تيسا فنطحه حتى قتله وشج عتبة بن ابي وقاص وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم لا تحول عليه الحول حتى يموت كافرا قال فما حال عليه الحول حتى مات كافرا فانزل الله هذه الاية وقال الكلبي لما شج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واصيبت رباعيته همّ ان يلعن المشركين ويدعو عليهم فانزل الله هذه الاية لعلمه ان كثيرا منهم سيتوبون • يدل عليه ما روى انس انه قال لما كان يوم احد شج رسول الله صلى الله عليه وسلم في قرن حاجبه وكسرت رباعيته وجرح في وجهه فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل من وجهه الدم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله هذه الاية • وقال سعيد بن المسيب لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من ادمى وجه نبيه وعلت عالية من قريش على الجبل فقال عليه السلام لا ينبغي لهم ان يعلونا فاقبل عمر رضي الله عنه ورهط من الانصار حتى اهبطوهم من الجبل ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصخرة ليعلوها وقد ظاهر بين درعين فلم يستطع فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى عليها فقال صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة • ووقعت هند والنسوة اللاتي معها تمثلن بالقتلى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الاذان والانوف حتى اتخذت هند من ذلك قلائد واعطتها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة رضي الله عنه فلاكتها فلم تستطع فلفظتها ثم علت صخرة مشرفة وصرخت ثم قالت • نحن جزيناكم بيوم بدر • والحرب بعد الحرب ذات سعر • ما كان عن عتبة لي من صبر • ابي وعمي واخي وبكري • شفيت صدري وقضيت نذري • شفيت وحشي غليل صدري • فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ما نزل باصحابهم

من جدع الاذان والانوف وقطع المذاكير قالوا لئن ادالنا الله فيهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا ولنمثلن مثلة لم يمثلها احد قط فانزل الله عز وجل هذه الاية • وقال عطا اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد احد يدعو على بطن من هذيل يقال لهم بني لحيان وعلى بطن من سليم يقال لهم رعل وذكوان • وكان يقول اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف فقحطوا حتى اكلوا اولادهم واكلوا الميتة والعظام المحرقة ثم انزل الله هذه الاية • وعن ابن سالم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم العن ابا سفيان اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن صفوان بن امية فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم فاسلموا وحسن اسلامهم ومعنا قوله ليس لك من الامر شيء اي ليس اليك من الامر بهواك شيء • وقد تكون اللام بمعنى الى كقوله تعالى سمعنا مناديا ينادي للايمان اي الى الايمان وقوله الذي هدانا لهذا ونحوه • وقال بعضهم قوله تعالى ليس لك من الامر شيء اعتراض بين الكلام وتقدير الاية ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شيء وهذا وجه حسن • وقال بعضهم او بمعنى حتى • وقال بعضهم نصب باضمار ان تقديره او ان يتوب عليهم قوله عز وجل **ولله ما في السموات وما في الارض** اي له جميع ما فيهم من الخلق كلهم عباد الله وفي ملكه **يغفر لمن يشاء** الذنب الكبير اذا تاب **ويعذب من يشاء** على الذنب الصغير اذا اصر على ذلك **والله غفور رحيم** في قبول توبتهم وتاخير العذاب عنهم وانما ختم الله هذه الصفة بالمغفرة والرحمة لانه وان كان على التعذيب قادرا لكن الغالب على امره وما يريد بخلقه الرحمة والمغفرة قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة** قال ابن عباس نزلت هذه الاية في اهل الطائف كانت بنو المغيرة يربون لهم فاذا حل الاجل وعجزوا عن ذلك زادوا في المال وازدادوا في الاجل فنهاهم الله عن ذلك ومعنى مضاعفة هو ان الرجل اذا كان له على اخر مال فاذا حل الاجل طالبه به فيعجز عنه فيقول المطلوب اخر عني وازيدك في مالك فيفعلون ذلك فنهاهم الله عنه ومعنى اضعافا فلا تاكلوا اضعافا فما اتيتموه اي لا تاخذوا الا المثل ومعنى مضاعفة لا تضعفوا المال بالزيادة في الاجل وقوله **واتقوا الله لعلكم تفلحون** اي تقوا الله في الربا ولا تستحلوه لكي تنجوا من العذاب في الاخرة ثم صارت هذه الاية عامة

فى جميع الناس وانما اعاد الله تحريم الربا بعدما ذكره فى سورة البقرة لتاكيد التحريم بتصريح النهى عنه ويجوز ان
يكون المراد فى سورة البقرة ربا النسية وهنا ربا الفضل قوله تعالى واتقوا النار التى اعدت للكافرين
اى اخشوا النار فى اكل الربا التى خلقت للكافرين بالله وبتحريم الربا • فان قيل اذا كانت النار معدة للكافرين
فكيف يعذب بها غير الكافرين • قيل فائدة تخصيص الكافرين بالذكر لانهم هم العمدة فى اعداد النار لهم وقد
يدخلها غير الكافرين على طريق التبع • كما قال فى الجنة اعدت للمتقين وان كان الاطفال والمجانين يدخلونها تبعا
للمتقين • وقيل معناه واتقوا النار فى استحلال الربا فان من استحله فهو كافر قوله تعالى واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون اى اطيعوا الله ورسوله فى تحريم الربا كى ترحموا فلا تعذبوا قوله عز وجل وسارعوا
الى مغفرة من ربكم معناه بادروا الى ما يوجب لكم مغفرة من ربكم وهو التوبة • قال ابن عباس الى الاسلام
وقال ابو العاليه معناه سارعوا الى الهجرة • وقال على رضى الله عنه الى اداء الفرايض • وقال عثمان بن عفان
رضى الله عنه الى الاخلاص • وقال انس الى التكبيرة الاولى • وقال سعيد بن جبير الى اداء الطاعة • وقال الضحاك
الى الجهاد • وقال عكرمة الى التوبة • وقال الوراق الى ايتمار الاوامر والانتهاء عن الزواجر • وقال سهل
بن عبد الله الى السنه • وقال بعضهم الى الصلوات الخمس • وقال بعضهم الى الجمعة والجماعات • قرا نافع
وابن عامر سارعوا بحذف الواو على سبيل الابتدا الا على العطف قوله عز وجل وجنة عرضها السموات
والارض قال ابن عباس الجنان اربع جنة عدن وهى العليا وجنة الماوى وجنة الفردوس وجنة
النعيم ثم فى كل جنة منها جنات عدد النجوم السما وقطر المطر كل جنة منها فى العرض والسعة لو الصقت
السموات السبع والارضون السبع بعضهن ببعض لكانت الجنة الواحدة اعرض منها • وانما خص العرض
على المبالغة لان طول كل شىء فى الاغلب اكثر من عرضه يقول هذه صفة عرضها فكيف طولها يدل عليه
قول الزهرى انما وصف عرضها فاما طولها فلا يعلمه الا الله وهذا مثل قوله تعالى على فرش بطاينها من استبرق
فوصف البطانة باحسن ما يعلم من الزينة اذ معلوم ان الظواهر يكون احسن وانفس من البطاين • وقال
بعض المفسرين ليس المراد بهذه الاية التقدير لكن المراد بها اوسع شىء رايتموه • قال اسمعيل السدى لو كسرت
السموات والارض وصرن خردلا كان بكل خردلة لله تعالى عرضها السموات والارض قوله تعالى

اعدت للمتقين اى خلقت للمتقين الشرك والمعاصى • فان قيل اذا كانت الجنة عرضها السموات والارض فاين
النار • قيل ان الله خلق الجنة عالية والنار سافلة والشيئان اذا كان احدهما عاليا والاخر سافلا
لا يمتنعان لانهما يوخذان فى مكانين متغايرين • وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن هذا السوال
فقال سبحان الله اذا جاء النهار فاين يكون الليل قوله تعالى الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين
الغيظ والعافين عن الناس قال هذه الاية نعت للمتقين ومعناها الذين يتصدقون فى حال اليسر والعسر
والشدة والرخا يعنى انهم ينفقون على الدوام لا يمنعهم قلة المال ولا كثرته عن الانفاق فاول ما ذكر الله
من اخلاق المتقين الموجبة لهم الجنة السخا • قال صلى الله عليه وسلم الجنة دار الاسخيا والسخى قريب من الله
قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار • ولجاهل سخى احب الى الله
من عالم البخيل • قوله تعالى والكاظمين الغيظ اى الكافين غيظهم عن امضائه يردون غيظهم فى
اجوافهم ويصبرون والكظم الحبس والشد يقال كظمت القربة اذا ملاتها ثم شددت راسها على
الامتلاء والغيظ هو انتقاض الطبع بما يكرهه ولهذا لا يجوز الغيظ على الله وان كان يجوز عليه الغضب
لان الغضب هو ارادة العقاب قوله تعالى والعافين عن الناس معناه الذين يعفون عن المذنبين من
الاحرار والمملوكين • وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كظم غيظا و
هو يقدر على ان ينفذه فلم ينفذه زوجه الله من الحور العين حيث شاء • وما عفا رجل عن مظلمة الا
اراده الله بها عزا ولا نقصت صدقة مالا قط فتصدقوا ولا فتح رجل على نفسه باب مسئلة الا
فتح الله عليه باب فقر واعظم الناس عفوا من عفا عن قدرة قوله تعالى والله يحب المحسنين اى يثنى
على المحسنين الى الناس ويرضى عليهم • قال عيسى عليه السلام ليس الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك
ذلك مكافاة انما الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك • وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان ابا بكر رضى
الله عنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس فجاء رجل فكان يشتم ابا بكر وهو
ساكت والنبى صلى الله عليه وسلم يتبسم ثم رد ابو بكر على الرجل بعض الذى قال فغضب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقام فلحقه ابو بكر رضى الله عنه فقال يا رسول الله شتمنى وانت

تبسم فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت فقال صلى الله عليه وسلم انك حين كنت ساكتا
كان معك ملك يرد عليه فلما تكلمت وقع الشيطان فلم اكن لاقعد في مقعد فيه الشيطان • وعن انس
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت قصورا مشرفة على الجنة فقلت يا جبريل
لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين قوله عز وجل والذين اذا فعلوا
فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم متصل بقوله والعافين عن الناس • قال ابن
مسعود رضي الله عنه قال المسلمون يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب
ذنبا اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على بابه اجدع انفك اجدع اذنك افعل كذا افعل كذا فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اخبركم بخير من ذلك وقرا عليهم هذه الآيات • وقال عطا نزلت في ابي مقبل التمار اتته امراة حسنا
تبتاع منه تمرا فقال ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فهل لك فيه فقالت نعم فذهب بها الى
بيته وضمها وقبلها فقالت له اتق الله سبحانه فتركها وندم على ذلك فاتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت هذه الآية • وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي آخا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين رجلين احدهما من الانصار والآخر من ثقيف فخرج الثقفي في غزاة مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم واستخلف الانصاري على اهله فاشترى لهم لحما ذات يوم فلما ارادت المراة ان تاخذ منه
دخل على اثرها فدخلت بيتا فتبعها فاتقته بيدها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحيا فانصرف فقالت له والله
ما حفظت غيبة اخيك ولا والله نلت حاجتك فخرج الانصاري ووضع التراب على راسه وهام
على وجهه يسيح في الجبال ويتعبد • فلما رجع المسلمون من غزاتهم لم ير الثقفي اخاه فسال امراته عنه
فقالت لا كثر الله في الاخوان مثله واخبرته بفعله فخرج الثقفي في طلبه فسال عنه الرعاة في الجبال
والفيافي حتى دل عليه فوافقه ساجدا وهو يقول رب ذنبي ذنبي فقال يا فلان قم فانطلق الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعل الله ان يجعل لك مخرجا فاقبل معه حتى قدم المدينة فسال اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لا توبة لك اما تعلم ان الله يغار للغازي في سبيله ما لا

يغار للمقيم فقام على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله المذنب المذنب فقال له
مثل ما قال الصحابة فخرج يسيح في الجبال لا يمر على حجر ولا مدر ولا سهل ولا جبل الا تجرد وتمرغ فيها حتى
كان ذات يوم عند العصر نزل جبريل بتوبته بهذه الآية ومعناها والذين اذا فعلوا كبيرة او ظلموا انفسهم
بفعل الصغيرة مثل النظرة واللمس والغمز والتقبيل ذكروا مقامهم بين يدي الله وعقابه • وقيل معناه
ذكروا اسم الله فقالوا ربنا ظلمنا انفسنا فاغفر لنا • وقال السدي قوله تعالى فعلوا فاحشة يعني الزنا
وقوله او ظلموا انفسهم قال الكلبي يعني ما دون الزنا مثل القبلة واللمس والنظر فيما لا يحل • وقيل فعلوا فاحشة
اي فعلوا الكباير • وقوله او ظلموا انفسهم يعني الصغاير • وقيل فعلوا فاحشة فعلا او ظلموا انفسهم
قولا قوله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله اي ليس احد يقدر على غفران الذنوب الا الله قوله عز
وجل ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون معناه ولم يقيموا على ما فعلوا من المعصية فان الاستغفار
باللسان بغير ندامة القلب توبة الكذابين قوله تعالى وهم يعلمون اي يعلمون انها معصية فانهم اذا
لم يعلموا انها خطيئة كان اثمها موضوعا عنهم مثل ان يتزوج امه من الرضاعة او اخته من الرضاعة
وهو لا يعلم او يشتري جارية فيطاها ثم يستحق الجارية كان اثم ذلك موضوعا عنه • وقيل معناه وهم
يعلمون ان لهم ربا يغفر الذنوب • وقال قتادة اياكم والاصرار فانما هلك المصرون لا ينهاهم مخافة الله
عن حرام حرمه الله ولا يتوبون من ذنب اصابوه حتى اتاهم الموت وهم على ذلك • وقال السدي
الاصرار السكوت وترك الاستغفار • قال صلى الله عليه وسلم لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة
مع الاصرار • واصل الاصرار الثبات على الشيء • وقال صلى الله عليه وسلم من اذنب ذنبا وعلم ان له
ربا يغفر الذنوب غفر الله له وان لم يستغفر • وقال صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر ولو
عاد في اليوم سبعين مرة • يقول الله تعالى من علم اني ذو قدرة على المغفرة غفرت له ولا ابالي قوله
عز وجل اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر
العاملين اي اهل هذه الصفة ثوابهم ستر من ربهم لذنوبهم وحط العقاب عنهم وبساتين تجري
من تحت شجرها وغرفها الانهار مقيمين دائمين فيها ونعم اجر الثابتين في التوبة فوضع عنهم

ما كان مكتوبًا على بني اسرائيل فانه كان اذا اذنب احدهم يرى توبته مكتوبة على بابه اجدع انفك
اجدع اذنك فوضع ذلك عن هذه الامة واكتفى منهم بالندم والاستغفار • قوله تعالى ونعم
اجر العاملين اى ثواب المطيعين • قيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى ما اقل حياء من
يطمع في جنتي بغير عمل يا موسى كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي • وقال شهر بن حوشب طلب الجنة
بلا عمل ذنب من الذنوب قوله عز وجل قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين معناه قد مضت من قبلكم سنن وهي الطرايق في الخير والشر • وقيل معناه قد خلت من قبلكم سنن
باهلاك المكذبين لرسلنا فسافروا في الارض فانظروا كيف صار آخر المكذبين بالرسل والكتب اى تعظوا
بالآثار التي بقيت منهم في الارض مثل ديار قوم لوط وعاد وغيرهم قوله عز وجل هذا بيان للناس وهدى
وموعظة للمتقين اى هذا القرآن بيان للناس من الضلالة وهدى من العمى ونهى للمتقين عن الفواحش والبيان
كل ما ظهر به المعنى والهدى بيان طريق الرشد دون طريق الغي • والموعظة ما يدعوا الى فعل الحسنة من
ترغيب وترهيب قوله عز وجل ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون الى هذا عايد الى ما تقدم ذكره
من حديث حرب احد معناه لا تضعفوا ولا تجبنوا يا اصحاب محمد عن قتال عدوكم لما نالكم يوم احد من
القتل والجرح والهزيمة وكان قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعبد الله
بن جحش بن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان بن شماس وسعد مولى عتبة • ومن الانصار سبعون
رجلًا وقوله تعالى وانتم الاعلون اى في الحجة وقيل وانتم الغالبون في العاقبة اى يكون لكم العاقبة بالنصر
قوله تعالى ان كنتم مؤمنين اى مصدقين بوعد الله بالنصر قوله عز وجل ان يمسسكم قرح فقد مس القوم
قرح مثله اى ان يمسسكم قرح يوم احد فقد مس القوم قرح مثله يوم بدر وذلك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم واصحابه كانوا قتلوا من المشركين يوم بدر سبعين رجلًا واسروا سبعين • وقتل يوم
احد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سبعون وجرح سبعون • وقرا محمد بن السميقع قرح بفتح
القاف والرا على المصدر • وقرا الاعمش وعاصم وحمزة والكسائى وخلف بضم القاف فيهما وهي قراة
ابن مسعود • وقرا الباقون بفتح القاف وهي قراة عايشه رضي الله عنها وهما لغتان مثل الجهد والجهد •

وقال بعضهم

وقال بعضهم القرح بفتح القاف الجراحات واحدتها قرحة والقرح بالضم وجع الجراحة يقال قرح الرجل
اذا جرح قوله تعالى عز وجل وتلك الايام نداولها بين الناس اى تارة لهم وتارة عليهم اديل المسلمون
على المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين واسروا سبعين • وادیل المشركون يوم احد حتى جرحوا سبعين
وقتلوا خمسة وسبعين • وقال انس بن مالك رضي الله عنه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلي
رضي الله عنه يومئذ وعليه نيف وستون جراحة من طعنة وضربة ورمية فجعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم يمسحها بيده وهي تلتئم باذن الله فكانها لم تكن قوله تعالى وليعلم الله الذين امنوا
بين الله عز وجل المعنى الذي لاجله يداول الايام بين المؤمنين والكفار فقال وليعلم الله الذين امنوا معناه
ليرى من يقيم على الايمان ممن لا يقيم فيظهر المومن المخلص والذي في قلبه مرض • وقال الزجاج معناه
ليعلم الله علم مشاهدة بعد ما كان علمه علم الغيب لان العلم الذي علمه الله قبل وقوع الشيء لا يجب به
المجازاة ما لم يقع واما الواو في قوله وليعلم واو العطف على خبر محذوف تقديره وتلك الايام نداولها
بين الناس بضروب من التدبير وليعلم الله المؤمنين لتميزهم من المنافقين وقوله تعالى ويتخذ منكم شهداء
اى يكرمهم بالشهادة • وقال بعضهم معناه ويجعلكم شهدا على الناس على معاصيهم لاجلالكم وتعظيمكم
ثم قال تعالى والله لا يحب الظالمين اى لا يفعل الله ذلك لحب الظالمين فانه لا يحب الظالمين وفي هذا
بيان ان الله لا ينصر الكفار على المسلمين اذ النصرة تدل على المحبة والله لا يحب الكفار ولكن قد ينصر المسلمين
في بعض الاوقات على الكفار وفي بعض الاوقات يخل المسلمين الى حولهم وقوتهم لذنب كان حصل منهم
وانما جعل الله الدنيا متقلبة لئلا يطمئن المسلمون اليها لتقلبها ولكنهم يسعون للآخرة التي يكون نعيمها
الى الابد قوله تعالى وليمحص الله الذين امنوا معطوف على قوله ويتخذ منكم شهدا ومعناه وليطهر الذين
امنوا من ذنوبهم يقال محصت الشيء امحصه محصًا اذا اخلصته من العيب ومحص الحبل يمحص محصًا اذا ذهب
عنه الوبر كذا العمل فصار املس وقوله تعالى ويمحق الكافرين اى يفنيهم ويهلكهم وينقصهم لانهم يحربون
فيخرجون للحرب مرة اخرى فيستاصلهم وهذا تاويل مداولة الايام قوله عز وجل ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين معناه اظننتم يا معشر المؤمنين

ان تدخلوا الجنة ولم يعلم الله جهاد المجاهدين ولا صبر الصابرين واقعا فيهم مشاهدة وهذا استفهام بمعنى
الانكار لظنهم وحسبانهم قوله تعالى ولما يعلم الله اى ولم يعلم الله بقول الرجل لما يفعل معناه لم يفعل انضم
اليه حرف ما • وقرا الحسن ويعلم الصابرين بالكسر عطفا على قوله ولما يعلم • واما قراءة النصب فهو
نصب على الظرف يعنى على صرف آخر الكلام عن اوله على تقدير وان يعلم الصابرين وهو قول الكوفيين • و
اما البصريون فيسمونه نصبا على الجمع قال الشاعر • لا تنه عن خلق وتاتى مثله • عار عليك اذا فعلت
عظيم • اى لا يكن منك النهى عن خلق مع اتيانك مثله • ويقال لا تاكل السمك وتشرب اللبن اى لا يكن منك
الجمع بينهما قوله عز وجل ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون قال
ابن عباس وذلك لما اخبرهم الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما فعل بشهدائهم يوم بدر من
الكرامة والثواب فى الجنة رغبوا فى ذلك وقالوا اللهم ارنا قتالا لعلنا نستشهد به فنلحق باخواننا
فى الجنة فاراهم الله تعالى يوم احد فلم يثبتوا مع النبى صلى الله عليه وسلم وانهزموا الا من شاء الله
منهم ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل بعضهم وجرح بعضهم فانزل الله هذه الاية
ومعناها ولقد كنتم تمنون الموت بعد وقعة بدر من قبل ان تنظروا اليه يوم احد فقد رايتموه يومئذ
وانتم تنظرون الى السيوف فيها الموت وهذا تعييرهم لفشلهم عند الحرب مع صدق رغبتهم فى الشهادة ومعنى
فقد رايتموه رايتم اسبابه قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او
قتل انقلبتم على اعقابكم الاية • قال المفسرون خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد
حتى نزل بالشعب من احد فى سبعمائة رجل وامر عبد الله بن جبير من بنى عمرو بن عوف على الرماة وهم
خمسون رجلا وقال اقيموا باصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل لا يوتا من خلفنا وان كانت لنا او علينا
فلا تبرحوا من مكانكم فانا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم فجاءت قريش وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى
ميسرتهم عكرمة بن ابى جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف ويقلن الاشعار وكانت هند تقول •
نحن بنات طارق • نمشى على النمارق • ان تقتلوا نعانق • او تدبروا نفارق • فراق غير وامق • فحمل
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه على المشركين فهزموهم وقتل على بن ابى طالب طلحة

بن ابى طلحة

بن ابى طلحة وهو يحمل لواء المشركين وانزل الله نصره على المؤمنين • قال الزبير فرايت هندا وصواحباتها هاربات
مصعدات فى الجبل • فلما نظرت الرماة الى القوم قد انكشفوا ورأوا اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
ينتهبون الغنيمة اقبلوا يريدون النهب واختلفوا فيما بينهم فقال بعضهم لا نترك امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم • وقال بعضهم ما بقى فى الامر شىء ثم انطلق عامتهم ولحقوا بالعسكر فلما راى خالد بن الوليد
قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة صاح فى المشركين ثم حمل على اصحاب النبى صلى الله عليه و
سلم من خلفهم فهزموهم وقتلوهم ورمى عبد الله بن قمئة الحارثى رسول الله صلى الله عليه و
سلم بحجر فكسر انفه ورباعيته فشجه فى وجهه واثقله وتفرق عنه اصحابه صلى الله عليه وسلم
وكان مصعب بن عمير يذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل وظن قاتله انه قتل النبى
صلى الله عليه وسلم فنادى اقتلت محمدا واقبل عبد الله بن قمئة يريد قتل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال انى قتلت محمدا وصرخ ابليس لعنه الله الا ان محمدا قد قتل وانكفا الناس عنه فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى عباد الله الى عباد الله فاجتمع اليه ثلثون رجلا فحموه وكشفوا
المشركين عنه واصيبت يد طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه فشلت وبها كان يقى رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصيبت عين قتادة بن النعمن رضى الله عنه حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكانها فعادت احسن ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ادركه ابى
بن خلف الجمحى وهو يقول لا نجوت ان نجا • فقال القوم الا نعطف عليه رجل منا يا رسول الله فقال
دعوه حتى اذا دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة ثم استقبله
فطعنه فى عنقه وخدشه خدشة فتدهده عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور وهو يقول قتلنى
محمد واحتمله اصحابه وقالوا له ليس عليك باس قال لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم اليس
قال اقتلك فلو بزق على بعد تلك المقالة لقتلنى فلم يلبث الا يوما حتى مات • وكان ابى قد قال للنبى
صلى الله عليه وسلم قبل هذا عندى فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها • فقال صلى الله
عليه وسلم بل انا اقتلك ان شاء الله فاصدق الله قيل نبيه صلى الله عليه وسلم وفشا فى

الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى عبد الله بن ابي
فيأخذ لنا امانا من ابي سفيان • وبعض الصحابة جلسوا والقوا بايديهم • وقال اناس من اهل النفاق ان كان
محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول • فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد
حي لم يقتل وهو الله عز وجل وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا
على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما تقول هؤلاء القوم يعني
المسلمين وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء المنافقين ثم حمل بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس • فاول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب
بن مالك قال عرفت عينيه تحت المغفر يزهران فناديت باعلا صوتي يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاشار الي ان اسكت فانحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على الفرار فقالوا
يا رسول الله اتانا الخبر بانك قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فانزل الله تعالى هذه الآية وما محمد الا
رسول قد خلت من قبله الرسل • اكرم الله محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم اشتقه من اسمه المحمود
فسماه محمدا واحمد وفيه يقول حسان • الم تر ان الله ارسل عبده • ببرهانه والله اعلى وامجد •
وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد • نبي اتانا بعد ياس وفترة • من الدين والاوثان
في الارض تعبد • فارسله نورا منيرا وهاديا • يلوح كما لاح الصقيل المهند • روى عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال اذا سميتم محمدا فاكرموه ووسعوا له في المجلس ولا تقبحوا له وجها وما من
قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم من اسمه احمد او محمد فادخلوه في مشورتهم الا خار الله لهم وما من مائدة
وضعت فحضرها من اسمه محمد او احمد الا قدس فيكل يوم ذلك المنزل مرتين قوله عز وجل افان مات
او قتل انقلبتم على اعقابكم معناه افان مات على فراشه او قتل في طاعة الله رجعتم الى دينكم الاول
وقلتم لو كان نبيا لما قتل قوله ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا اي من يرجع الى دينه الشرك
فلن ينقص من ملك الله شيئا وانما يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين اي المؤمنين المجاهدين وانما سمي
الارتداد انقلابا على العقب لان الردة رجوع الى اقبح الاديان كما ان الانقلاب على العقب القهقرى

ومن سلطانه شيئا صح

اقبح

اقبح ما يكون من المشي • وسمي المطيع شاكرا لان الطاعات كلها شكر لله عز وجل • قال ابو هريرة رضي الله
عنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر رضي الله عنه وقال ان رجالا من
المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وان رسول الله لم يمت والله
ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقطعن ايدي رجال وارجلهم يزعمون انه مات
فاقبل ابو بكر رضي الله عنه حين بلغه الخبر فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عايشه
رضي الله عنها ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى ببرده فكشف عن وجهه ثم انكب عليه
فقبله وقال بابي انت وامي يا رسول الله اما الموتة التي كتبها الله عليك فقد ذقتها ثم رد الثوب
على وجهه وخرج فاذا هو بعمر يكلم الناس فقال له على رسلك يا عمر انصت فابا الا ان يتكلم فلما
رآه ابو بكر لا ينصت اقبل على الناس فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا
قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا هذه الآية وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الرسل الآية • قال عمر ما هو الا ان سمعت ابا بكر تلاها فعقرت حتى وقعت الى الارض ما تحملني رجلاي
وعرفت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات قوله عز وجل وما كان لنفس ان تموت
الا باذن الله كتابا موجلا قال الاخفش اللام في النفس منقولة تقديره وما نفس لتموت الا بامر
الله كتب الله عز وجل كتابا موجلا اي الى اجل لرزقه وعمره فكل نفس لها اجل تبلغه ورزق
تستوفيه لا يقدر احد على تقديمه وتاخيره • وفي هذا تحريض للمؤمنين على القتال اي لا تتركوا
الجهاد خشية الموت والقتل فانهم لم يملكوا قتلكم وانتصب قوله كتابا موجلا على المصدر كقوله
تعالى وعد الله حقا ورحمة من ربك وصنع الله وكتاب الله عليكم قوله تعالى ومن يرد
ثواب الدنيا نؤته منها يعني من يرد بعمله وطاعته المدحة والريا لا نحرم حظه المقسوم له
في الدنيا من غير ان يكون له حظ في الآخرة يعني نؤته من الدنيا ما يشاء مما قدرناه له نزل ذلك في
الذين تركوا المركز يوم احد طالبا للغنيمة قوله تعالى ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اي من يرد
بعمله الآخرة نعطه منها ما يقسم له في الدنيا من الرزق نزل في الذين ثبتوا مع اميرهم عبد الله

كانت صح

الثامن عشر

بن جبير حتى قتلوا قوله تعالى وسنجزي الشاكرين اى المطيعين بجزيهم الجنة فى الاخرة • وقرا الاعمش وسيجزي
الشاكرين بالياء يعنى الله عز وجل قوله عز وجل وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قرا الحسن وابو جعفر
وكاين مقصورا من غير همز ولا تشديد حيث وقع • وقرا مجاهد وابن كثير ممدودا مهموزا خفيفا على
وزن فاعل • وقرا الباقون مشددا مهموزا على وزن كعين وكلها لغات صحيحة بمعنى واحد ومعناه و
كم من نبي قتل معه جماعات كثيرة فما وهنوا اى فما فتروا فيما بينهم لما اصابهم فى طاعة الله وما ضعفوا
وما استكانوا اى وما جبنوا عن قتال عدوهم وما خضعوا لعدوهم والله يحب الصابرين على قتال
عدوهم لدين الاسلام • وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو قتل معه • وقرا الباقون قاتل معه لقوله فما وهنوا
ويستجيل وصفهم بقلة الوهن بعد ما قتلوا • واما تاويل قتل فله ثلثة اوجه • احدها ان يكون
القتل واقعا على النبي وحده وحينئذ يكون تمام الكلام عند قوله قتل ويكون هناك اضمار تقديره
ومعه ربيون كثير • والثاني ان يكون القتل بالنبي ومن معه من الربيين ويكون معناه قتل بعض من كان
معه يقول العرب قتلنا بنى تميم وانما قتل بعضهم وقوله تعالى فما وهنوا راجع الى الباقين • والثالث ان
يكون القتل للربيين لا غير وقوله تعالى ربيون • قرا ابن مسعود والحسن وعكرمة ربيون بضم الراء •
وقرا الباقون بالكسر وهي اللغة الفاشية وهو جمع الربة وهي الفرقة • وقال ابن عباس ومجاهد
وقتادة والسدي جموع كثيرة • وقال ابن مسعود الربيون الالوف • وقال الضحاك الربة الواحدة
الف • وقال الكلبي الربية الواحدة عشرة الاف • وقال الحسن الربيون هم العلماء الفقهاء الصبراء • وقال
ابن زيد الربانيون الولاة والربيون الرعية • وقال بعضهم الربيون الذين يعبدون الرب كما ينسب
البصريون الى البصرة • وقيل الربيون المنيبون الى الله قوله عز وجل وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا
اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا حكاية قول الربيين اى ما كان قولهم عند قتالهم الا ان قالوا ربنا
اغفر لنا ذنوبنا الصغاير والكباير والاسراف فى اللغة مجاوزة الحد بارتكاب الذنوب العظام قوله
تعالى وثبت اقدامنا اى ثبتها للقتال بتقوية قلوبنا وانصرنا على القوم الكافرين اى اعنا عليهم بالقاء
الرعب فى قلوبهم اى هلا قلتم ايها المؤمنون كما قال الربيون وهلا قاتلتم كما قاتلوا • وقرأ

الاعمش وما كان قولهم بالرفع على انه اسم كان والخبر ما بعد الا • وقرا الباقون بالنصب على خبر كان
والاسم ما بعد الا كما فى قوله وما كان جواب قومه الا ان قالوا وما كان حجتهم الا ان قالوا ونحوهما
قوله عز وجل فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة اى اعطاهم الله النصر والغنيمة والفتح
والثناء الحسن فى الدنيا والجنة فى الاخرة والله يحب المحسنين اى المجاهدين وفى الاية دلالة انه قد
يجوز اجتماع الدنيا والاخرة لواحد • وعن على رضى الله عنه انه قال من عمل لدنياه اضر باخرته
ومن عمل لاخرته اضر بدنياه وقد يجمعهما الله تعالى لاقوام قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان
تطيعوا الذين كفروا يعنى اليهود والنصارى فيما يقولون لكم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لو كان حقا
لما ظهر عليه المشركون يردوكم على اعقابكم اى على دين الشرك فتنقلبوا خاسرين اى فتنصرفوا مغبونين
الى دينكم الاول بل الله مولاكم اى وليكم وناصركم وهو خير الناصرين من الكفار لان احدا لا يقدر ان
ينصر كنصره ولا ان يدفع كدفاعه • وقرئ فى الشواذ بل الله بالنصب على معنى بل اطيعوا الله قوله
عز وجل سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا قال السدي لما ارتحل
ابو سفيان والمشركون يوم احد متوجهين نحو مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ما صنعنا
قتلناهم حتى لم يبق منهم الا اليسير ثم تركناهم ارجعوا فاستاصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب
فى قلوبهم حتى رجعوا عما هموا به وستاتى هذه القصة بتمامها ان شاء الله تعالى فانزل الله هذه الاية
وقرا ابو ايوب سيلقى بالياء يعنى الله تعالى بل الله مولاكم • وقرا الباقون بالنون على التعظيم اى سنقذف
فى قلوب الذين كفروا الخوف • وثقل الرعب ابن عامر والكسائي • وخففه الاخرون قوله تعالى بما اشركوا
بالله اى باشراكهم بالله ما لم ينزل به كتابا فيه عذر وحجة لهم • وقيل معنى قوله سلطانا اى
حجة وبرهانا وبيانا قوله تعالى وماواهم النار وبئس مثوى الظالمين اى ومصيرهم فى الاخرة النار و
بئس مقام الظالمين فى الاخرة • وروى فى الخبر ان ابا سفيان صعد الجبل يوم احد فقال صلى الله عليه
وسلم اللهم انه ليس لهم ان يعلونا فمكث ابو سفيان ساعة ثم قال اين ابن ابى قحافة اين ابن الخطاب
اين محمد فقال عمر رضى الله عنه هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ابو بكر وها انا

عمر فقال ابو سفيان نشدتك الله يا بن الخطاب محمد في الاحيا قال اي والله يسمع كلامك فقال اين الموعد يعني اين
نحارب بعد هذا فقال صلى الله عليه وسلم قل ببدر الصغرى وكانت وقعة بدر الصغرى بعد احد بسنة
فخرج النبي صلى الله عليه وسلم لبدر الصغرى على الموعد ورعب المشركون فلم يتجاسروا على الحضور • وروى
ان ابا سفيان ركب الجبل يوم احد وقال اعل هبل اعل هبل فقال عمر رضي الله عنه الله اعلى واجل فقال ابو
سفيان يوم بيوم وان الايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سوا قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قوله عز وجل
ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اريكم
ما تحبون وذلك انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الى المدينه وقد اصابهم ما
اصابهم قال اناس منهم من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فانزل الله هذه الاية ولقد صدقكم الله وعده
الذى وعد بالنصر والظفر يوم احد وهو قوله ان تصبروا وتتقوا الاية • وقول النبي صلى الله عليه وسلم
للرماة لا تبرحوا من مكانكم وكان صلى الله عليه وسلم قد جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة
واقام الرماة فيما يلي خيل المشركين وامر عليهم عبد الله بن الجبير الانصارى وقال لهم احموا ظهورنا وان
رايتمونا قد غنمنا فلا تشركونا وان رايتمونا نقتل فلا تنصرونا • واقبل المشركون واخذوا في القتال
فجعل الرماة يرشقون خيل المشركين بالنبل والمسلمون يضربونهم بالسيف حتى ولوا هاربين وانكشفوا
منهزمين فذلك قوله اذ تحسونهم باذنه اى تقتلونهم قتلا ذريعا شديدا في اول الحرب بامره وعلمه
حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون اى الى ان فشلتم جعلوا حتى بمعنى
الى فحينئذ لا جواب له • وقيل حتى بمعنى فلما وفي الكلام تقديم وتاخير والواو في قوله وتنازعتم مقحمة
تقديره حتى اذا تنازعتم في الامر وعصيتم فشلتم اى جبنتم وضعفتم وكان تنازعهم ان الرماة
لما انهزم المشركون وقع المسلمون في الغنايم قالوا قد انهزم القوم وامنا • وقال بعضهم لا تجاوزوا
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت عبد الله بن جبير في نفر يسير من اصحابه دون العشرة
فلما نظر خالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل الى ذلك
حملوا على الرماة من قبل ذلك الشعب في مايتين وخمسين فارسا من المشركين وكان خالد يومئذ

مشركا فقتل عبد الله بن جبير ومن بقي معه من الرماة واقبلوا على المسلمين من خلفهم وتفرق المسلمون
وانتقضت صفوفهم واختلطوا وحمل عليهم المشركون حملة رجل واحد وصار المسلمون من بين قتيل
وجريح ومنهزم ومدهوش ونادى ابليس الا ان محمدا قد قتل فذلك قوله تعالى حتى اذا فشلتم و
تنازعتم في الامر اى لما اختلفتم في الامر الذى امركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثبات
على المركز وعصيتم الرسول من بعد ما اراكم ما تحبون من النصر على عدوكم والظفر والغنيمة • قال بعض المفسرين
جواب اذا فشلتم هاهنا مقدر كانه قال اذا فشلتم وتنازعتم امتحنتم بما رايتم من القتل والبلاء قوله
عز وجل منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة يعني من الرماة من يريد الحيوة وهم الذين تركوا المركز
ولم يثبتوا فيه ووقعوا في الغنايم ومنكم من يريد الاخرة يعني الذين ثبتوا في المركز مع عبد الله بن جبير
وباقي الرماة حتى قتلوا • قال ابن مسعود رضي الله عنه ما شعرنا ان احدا من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يريد الدنيا وعرضها حتى كان يوم احد قوله تعالى ثم صرفكم عنهم ليبتليكم اى
صرفكم الله عن المشركين بالهزيمة ليبتليكم • قيل المراد بالصرف في هذا الموضع رفع النصر قوله تعالى
ولقد عفا عنكم اى لم يعاقبكم عند ذلك فلم يقتلوا جميعا • قال الكلبي تجاوز عنكم فلم يواخذكم بذنبكم
والله ذو فضل على المؤمنين اى ذو من عليهم بالعفو والتجاوز قوله تعالى اذ تصعدون ولا تلوون
على احد والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم راجع
الى قوله ولقد عفى عنكم لان عفوه عنهم لا بد ان يتعلق بذنب منهم وذلك الذنب ما بينه بقوله اذ
تصعدون ولا تلوون على احد اى ولقد عفا عنكم اذ تصعدون اى اذ تبعدون هربا في الارض بالهزيمة
والاصعاد السير في مستوى الارض • وقال الحسن وقتادة تصعدون بفتح التا والعين • قال ابو حاتم
يقال اصعدت اذا مضيت حيال وجهك وصعدت اذا رقيت على جبل او غيره والاصعاد السير في
مستوى الارض وبطون الاودية والشعاب والصعود الارتفاع على الجبل والسطوح والسلالم
والدرج وكلا القراءتين صواب • وقد كان يومئذ منهم صاعد ومصعد اى صاعدا الى الجبل ومصعد
هارب على وجهه والرسول يدعوهم الي يا معشر المسلمين ويا اصحاب البقرة وال عمران انا رسول الله

فلم يلتفت اليه منهم احد حتى انتهوا على الجبل ويحتمل انهم ذهبوا في بطن الوادي اولا ثم صعدوا في الجبل فلا منافى في
حينئذ بين القراتين قوله تعالى ولا تلوون على احد اي لا تعرجون ولا تقيمون على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلا يقيم بعضكم على بعض ولا يلتفت بعضكم الى بعض • وقرا الحسن ولا تلون بواو واحدة كما يقال
استحييت واستحيت • قال الكلبي يعني بقوله على احد النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى والرسول يدعوكم
في اخراكم اي من خلفكم وذلك انه لما انهزم المسلمون لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة
عشر رجلا خمسة من المهاجرين ابو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وسعد وثمانية من
الانصار قوله عز وجل فاثابكم غما بغم لكي لا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم اي جازاكم غما متصلا بغم
فاحد الغمين الهزيمة وقتل اصحابهم • والثاني اشراف خالد في فم الشعب مع خيل المشركين • وقيل الغم
الاول هو القتل والجراح • والثاني سماعهم بان النبي صلى الله عليه وسلم قتل فانساهم الغم الاول
بقوله لكي لا تحزنوا على ما فاتكم اي اذا اتاكم غم النبي صلى الله عليه وسلم نسيتم به كل غم من فوت الغنيمة
والهزيمة • وقيل معناه من ترادف عليه الغموم واعتاد ذلك يقل حزنه وتاسفه على ما يفوته من
الدنيا • وقال الزجاج معنى قوله غما بغم اي جزاكم غما بما غممتم به النبي صلى الله عليه وسلم بمفارقة
المكان الذي امركم بحفظه • وقال الحسن يعني هذا الغم بغم المشركين يوم بدر • ويقال لكيلا تحزنوا
على ما فاتكم متصل بقوله ولقد عفا عنكم • وقيل معناه لكيلا تحزنوا على ما فاتكم يعني الغنيمة والفتح
ولا ما اصابكم ما في موضع خفض اي ولا على ما اصابكم من القتل والهزيمة • وقال بعضهم لا زايدة معناه
لكي تحزنوا على ما فاتكم وما اصابكم عقوبة لكم في خلافكم وترككم المركز قوله تعالى والله خبير
بما تعملون اي عالم باعمالكم من اغتمام المسلمين وشماتة المنافقين قوله تعالى ثم انزل عليكم من بعد
الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم الاية وذلك انه لما افترق الفريقان بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليا كرم الله وجهه في اثر المشركين وقال له انظر فان هم جنبوا الخيل وركبوا الابل
فهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون المدينة فخرج علي في اثرهم فاذا
هم ركبوا الابل وقادوا الخيل فرجع علي رضي الله عنه واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال بعضهم

وقال بعضهم يقولون انا قد اجتمعنا لنحارب ثانيا • فقال صلى الله عليه وسلم كذبوا فانهم ارادوا
الانصراف الى مكة فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وامن المسلمون والقى الله عليهم النوم فما بقي
منهم احد الا وقد ضرب ذقنه صدره الا معتب بن قشير واصحابه الذين كانوا يشكون في امر النبي صلى
الله عليه وسلم لما علم الله من باطنهم خلاف ما علم من باطن المؤمنين منعهم ما اعطى المؤمنين فازدادوا
في الخوف على انفسهم وسوء الظن بربهم يئسوا من نصره وشكوا في سابق وعده وصادق عهده ومعنى الاية ثم
انزل عليكم من بعد الغم الذي كنتم فيه امنا وقوله تعالى نعاسا بدل من امنة اي امنكم امنا تنامون معه
لان الخايف لا ينام • ومن هنا قال ابن مسعود رضي الله عنه النعاس في الصلوة من الشيطان وفي القتال
من الرحمن قوله تعالى يغشى طايفة منكم • وقرا الاعمش وحمزة والكسائي وخلف تغشى بالتاء ردوه الى الامنة
وقرا الباقون بالياء ردوه الى النعاس لان النعاس يلي الفعل فالتذكير اولى منه مما بعد منه وهذا
كقوله تعالى الم يك نطفة من مني يمنى يقرا يمنى بالياء والتاء والمراد بالطايفة التي غشيهم النعاس اهل
الصدق واليقين • قال ابو طلحة رضي الله عنه رفعت راسي يوم احد فجعلت ما ارى احدا من الناس
الا وهو يميد تحت حجفته من النعاس • قال ابو طلحة وكنت ممن انزل الله عليه النعاس يومئذ وكان
من النوم صح
السيف يسقط من يدي ثم اخذه ثم يسقط من يدي فاخذه • والمراد بقوله تعالى وطايفة قد اهمتهم
انفسهم المنافقون معتب بن قشير واصحابه احزنتهم انفسهم وحملتهم على الغم يقال لكل من خاف وحزن
في غير موضع الحزن والخوف اهمته نفسه قوله يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يعني هذه الطايفة
التي قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله ان لا ينصروا محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه • وقيل
ظنوا ان محمدا قد قتل وقوله تعالى ظن الجاهلية اي كظن اهل الجاهلية والشرك • وقيل كظنهم
في الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء اي ما لنا من الامر من شيء لفظه استفهام ومعناه جحد
يعنون النصر • وقيل معناه هل نطمع في ان يكون لنا شيء من الظفر والدولة • وقيل معناه لو كان الامر الينا
ما خرجنا ولكن اخرجنا الى القتال مكرهين قل لهم يا محمد ان النصر والظفر والدولة كل ذلك لله عز
وجل من نصب كله جعله توكيدا للامر ومن رفعه جعله خبر ان • قرا ابو عمرو ويعقوب كله

بالرفع على الابتدا وخبره لله وهذا المبتدا وخبره خبر لان • وقرا الباقون بالنصب • وروى الضحاك
عن ابن عباس في قوله يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يعني التكذيب بالقدر لانهم تكلموا بالقدر فقال الله
تعالى قل ان الامر كله لله يعني القدر خيره وشره من الله وهو قولهم لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا هاهنا
وذلك ان المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول ما خرجنا مع محمد لقتال اهل مكة ولم يقتل رؤسانا
فقال الله قل لهم لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل اى لخرج الذين قضى الله عليهم القتل
الى مصارعهم وقوله تعالى يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك اى المنافقون يسرون ويضمرون في
قلوبهم ما لا يظهرون لك بالسنتهم يقولون سرا لو كان من النصر والدولة شئ وكان دين محمد حقا
ما قتل اصحابنا هنا في اتباعه • وقيل معناه لو لم يخرجنا وساقونا الى الحرب ما قتلنا قوله تعالى
قل لو كنتم في بيوتكم اى قل للمنافقين لو تخلفتم انتم في بيوتكم لخرج الذين كتب عليهم القتل الى مصارعهم
ومواضع قتلهم لا محاله لنفوذ قضاء الله • ويقال معناه لو كنتم في بيوتكم لما اخطاكم ما كتب
عليكم • وقيل معناه لو كنتم ايها المنافقون في بيوتكم لبرز الذين فرض عليهم القتال وهم المؤمنون
المخلصون الى مواضع القتال صابرين محتسبين • قرا ابو عبلة لبرز بضم البا وتشديد الرا • و
قرا قتادة القتال قوله عز وجل وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم اى وليختبر الله و
يظهر ما في قلوبكم باعمالكم لانه علمه غيبا فيعلمه مشاهدة ومعنى وليمحص ما في قلوبكم اي يبين ما
في قلوبكم فيذهب نفاق من شا منكم والله عليم بذات الصدور اى بما في القلوب من خير وشر قوله
عز وجل ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا اى ان الذين
انهزموا منكم يا معشر المؤمنين يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين انما استزلهم الشيطان
عن اماكنهم ببعض ما كسبوا وهو مفارقة المكان الذى امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحفظه وقوله تعالى ولقد عفا الله عنهم حين لم يستاصلهم ويقال في معنى هذه الاية انهم
لن يفروا على جهة المعاندة والفرار من الزحف ولكن اذكرهم الشيطان خطاياهم التى كانت منهم فكرهوا
لقاء الله الا على حالة يرضونها ولذلك عفا الله عنهم وقوله تعالى والله غفور حليم اى متجاوز لذنوبهم

لم

لم يعجل بالعقوبة عليهم • روى ان رجلا من الخوارج اتى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فساله عن
عثمان رضى الله عنه اكان شهد بدرا قال لا قال اشهد بيعة الرضوان قال لا قال فكان من الذين تولوا
يوم التقى الجمعان قال نعم فولى الرجل يهتز فرحا فلما علم ابن عمر ببغضه لعثمان قال له ارجع فرجع فقال له
اما تخلفه يوم بدر فان النبي صلى الله عليه وسلم خلفه على بنته رقية يقوم عليها كانت
مريضة فتوفيت يوم بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في الغزو وعثمان
رضى الله عنه في تكفين ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنها والصلوة عليها • فلما رجع
النبي صلى الله عليه وسلم جعل اجره كاجرهم وسهمه كسهمهم • واما بيعة الرضوان فقد بايع
له رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليسرى على اليمنى وقال هذه عن عثمان ويسار رسول الله
صلى الله عليه وسلم خير من يمين عثمان رضى الله عنه • واما الذين تولوا يوم التقى الجمعان
فقد عفا الله عنهم والله غفور حليم فاجهد على جهدك فقام الرجل حزينا ناكسا راسه قوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزا
لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم معناه يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كمنافقي اهل الكتاب عبد الله بن ابى واصحابه قالوا لاخوانهم في النفاق اذا سافروا في الارض تجارا
مسافرين فماتوا في سفرهم او كانوا في الغزو فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا في سفرهم وما قتلوا في
الغزو • وغزا جمع غاز مثل راكع وركع وقد يجمع غاز على غزاة مثل قاض وقضاة • وقوله ليجعل
الله ذلك حسرة في قلوبهم اى ليجعل الله ما ظنوا حزنا يتردد في اجوافهم ثم اخبر الله ان الموت
والحيوة اليه لا يقدمان لسفر ولا يؤخران لحضر قوله تعالى والله يحيي ويميت يحذرهم عن التخلف
عن الجهاد خشية الموت والقتل لان الاحيا والاماتة الى الله تعالى في السفر والحضر وحال القتال
وحال غير القتال وقوله والله بما تعملون بصير ترغيب في الطاعة وتحذير عن المعصية • قرا ابن كثير
والاعمش والحسن وحمزة والكسائى وخلف بالياء • والباقون بالتا قوله تعالى ولئن قتلتم
في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون معناه ولو قتلتم في طاعة او متم فيها

لمغفرة من الله ورحمة خير مما تجمعون من الاموال وانما قال هكذا وان كان هو معلوما لان من الناس
من آثر الدنيا على الجهاد خشية القتل • قرا حفص يجمعون بالياء على الخبر خير لكم ايها المومنون مما يجمع
المنافقون في الدنيا • وقرا نافع واكثر اهل الكوفة متم بكسر الميم من مات يمات • وقرا الباقون بضمها من
مات يموت قوله تعالى ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون معناه لئن متم على فرشكم او قتلتم
في الغزو فالى الله ترجعون في الآخرة كيف ما دارت القصة فان مصيركم الى الله ولان تصيروا الى الله
بالقتل الذي يستحقون عليه العوض خير من ان تصيروا اليه بالموت الذي لا تستحقون عليه العوض •
قال علي رضي الله عنه • فان تكن الابدان للموت انشئت • فقتل امرء بالسيف في الله افضل • واللام
في لان لام القسم ويصلح ان تكون للابتدا والتاكيد واللام في لمغفرة جواب القسم ويصلح ان تكون موكدة
لجواب الشرط قوله عز وجل فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة عظيمة من الله لنت لهم حتى صار لينك
لهم سببا لدخولهم في الدين لانه صلى الله عليه وسلم اتاهم بالحجج والبراهين مع لين وخلق عظيم •
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده • وما في قوله فبما زائدة لا يمنع البا من
عملها مثل قولهم فبما نقضهم ميثاقهم • وقال بعضهم يحتمل ان تكون ما استفهاميه للتعجب تقديره فبما
رحمة من الله سهلت لهم اخلاقك وكثرة احتمالك فلم تغضب عليهم فيما كان منهم يوم احد قوله تعالى
ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك اي لو كنت يا محمد خشنا في القول سيئ الخلق قاسي القلب لتفرقوا
من حولك فلم تر منهم احدا ولكن الله جعلك سمحا سهلا طلقا لطيفا لينا برا رحيما قوله تعالى فاعف
عنهم واستغفر لهم اي فاعف عنهم ما اتوا يوم احد ونجاوزعنهم للجريمة التي تكون بينك وبينهم وكانوا
عصوا النبي صلى الله عليه وسلم في ترك المركز وترك الاجابة لدعوته ارجعوا ارجعوا فندب الله
النبي صلى الله عليه وسلم الى العفو عنهم قوله تعالى واستغفر لهم اي في الذنب الذي يكون منهم حتى اشفعك
فيهم قوله تعالى وشاورهم في الامر اي اذا اردت ان تعمل عملا مما لم يكن عندك فيه وحي فشاورهم
فيه واعمل ابدا تدبيرهم ومشورتهم • وكان صلى الله عليه وسلم مستغنيا عن مشورتهم
فانه كان ارشدهم واكملهم رايا لكن الله انما امر بالمشاورة لتقتدي به الامة وليكون فيه تطييب

لنفوس

لنفوس المؤمنين ورفع لاقدارهم وثنا عليهم • قال مقاتل وقتادة كانت سادات العرب اذا لم يشاوروا
في الامر شق عليهم فامر الله النبي صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم في الامر فانه اطيب لانفسهم واذا
شاورهم عرفوا اكرامه لهم قوله تعالى فاذا عزمت فتوكل على الله اي اذا عزمت على شيء فثق بالله وفوض
اليه ولا تتكل على مشورتهم ان الله يحب المتوكلين على الله • واختلف العلما في معنى التوكل • فقال سهل
بن عبد الله اول مقام التوكل ان تكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشا لا
يكون له حركة ولا تدبير • والمتوكل لا يسال ولا يرد ولا يحبس • وقال ابراهيم الخواص التوكل اسقاط
الخوف والرجا مما سوى الله • وقال بعضهم المتوكل الذي اذا اعطى شكر واذا منع صبر وان يكون العطا والمنع
عنده سوا والمنع مع الشكر احب اليه لعلمه باختيار الله ذلك • وقال ذو النون التوكل انقطاع المطامع
مما سوى الله وقال هو معرفة معطي ارزاق للخلايق ولا يصح لاحد التوكل حتى يكون السما عنده كالصفر
والارض كالحديد لا ينزل من السما مطر ولا يخرج من الارض نبات ويعلم ان الله لا ينسى له ما ضمن من رزقه
بين هذين • وقال بعضهم حسبك من التوكل ان لا تطلب لنفسك ناصرا غير الله ولا لرزقك خازنا غيره
ولا لعملك شاهدا غيره • وقال الجنيد التوكل ان تقبل بالكلية على ربك وتعرض عمن دونه • وقال الثوري
ان تفني تدبيرك في تدبيره وترضى بالله وكيلا ومدبرا • وقال بعضهم هو السكون عن الحركات اعتمادا
على خالق السموات • وقيل لحاتم الاصم على ما بنيت امرك هذا من التوكل قال على اربع خصال علمت
ان رزقي ليس ياكله غيري فلست اشتغل به وعلمت ان عملي ليس يعمله غيري فانا مشغول به وعلمت
ان الموت ياتيني بغتة فانا ابادره وعلمت اني بعين الله في كل حال فانا استحيي منه قوله عز وجل
ان ينصركم الله فلا غالب لكم معناه ان ينصركم الله عز وجل من عدوكم فلا غالب لكم من العدو مثل يوم
بدر وان يخذلكم بان يكلكم الى انفسكم ويرفع نصره عنكم كيوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي
من بعد خذلانه اياكم وعلى الله فليتوكل المومنون في النصرة قوله عز وجل وما كان لنبي ان يغل
وذلك انهم اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغنايم يوم احد حين وقعوا في عسكر
المشركين ياخذون الغنايم فظنوا ان من اخذ شيئا فهو له وان النبي لا يقسم لهم كما لم يقسم يوم

بدر • ولهذا ترك الرماة المركز فوقعوا في الغنيمة • وعن ابن عباس وابن جبير انهما قالا نزلت هذه الاية في
قطيفة حمرا فقدت يوم بدر فقال بعض الناس لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فانزل الله هذه
الاية ومعناها ما كان لنبي ان يخون اصحابه فيستاثر بشيء من الغنيمة • وهذا على قراة من قرا بفتح اليا
وضم الغين وهي قراة مجاهد وابن كثير وابي عمرو وعاصم • وقرا الباقون بضم اليا وفتح الغين ومعناها
ما كان لنبي ان ينسب الى الغلول ولا يخونه اصحابه • وقيل معناه ما كان لنبي ان يخان • وقيل معناه ليس
من حق النبي ان يستر عنه شيء من الغنايم قوله تعالى ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة اي من يخن يات بما خان
يوم القيمة • قال الكلبي يمثل له ذلك الشيء في النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله على ظهره فاذا بلغ
موضعه وقع الى النار ثم يكلف ان ينزل اليه فيخرجه فاذا بلغ به موضعه وقع في اسفل جهنم فيكلف
ان ينزل اليه فلا يزال ذلك دابه ما شا الله والغلول في اللغة اخذ الشيء في الخفية • وعن عبادة بن
الصامت قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنب بعير من المغنم ثم تناول وبرة من
سنام بعير وقال يا ايها الناس ان هذا من غنايمكم فادوا الخيط والمخيط وما دون ذلك وما فوق ذلك
فان الغلول عار على اهله ونار وشنار يوم القيمة • وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل
احد احق بالغنيمة من احد فقال لا ولا السهم الذي تستخرجه من جسدك لست احق به من اخيك المسلم •
وروي ان رجلا من الصحابة توفي يوم خيبر فقال صلى الله عليه وسلم صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه
الناس لذلك فقال انه غل في سبيل الله ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزا من خرز اليهود لا يساوي
درهمين • وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدي له عبد اسود يقال له مدعم فبينما هو
ذات يوم يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه سهم فقتله فقال الناس هنيئا له الجنة
فقال صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي اخذها يوم خيبر لم يصبها المقاسم لتشتعل
عليه نارا • وروي عن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا وجدتم الرجل
قد غل فاحرقوا متاعه واضربوه • وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابي بكر وعمر احرقوا متاع الغال واضربوه وامنعوه سهمه قوله عز وجل ثم توفى كل نفس ما كسبت

اي اجزا

اي اجزا ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون اي لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد في سياتهم قوله عز وجل
افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله استفهام بمعنى تقدير حال الفريقين يقول ليس من اتبع رضوان
الله اي من ترك الغلول واخذ الحلال من الغنيمة كمن استوجب سخط الله باخذ الغلول والحرام • و
قيل معنى الاية افمن اتبع رضوان الله بالجهاد في سبيل الله كمن باء بسخط من الله بالفرار من الجهاد
قوله تعالى وماواه جهنم راجع الى باء بسخط من الله وبيس النار المصير قوله تعالى هم درجات عند الله
معناه ان الذين يتبعون رضوان الله ذووا درجات رفيعة والاخرون ذووا دركات خسيسة فان
لاحد الفريقين درجات في الجنة وللاخر دركات في النار • والمعنى ان من اتبع رضوان الله ومن باء
بسخط من الله مختلفوا المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الكرامة والثواب العظيم • ولمن باء بسخط
من الله المهانة والعذاب الاليم • وقال بعضهم هذه الاية خاصة في المومنين اي هم طبقات بعضهم
ارفع من بعض في الجنة قوله تعالى والله بصير بما تعملون اي عالم بمن يعمل ومن لا يعمل قوله عز وجل لقد من
الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم اي لقد انعم الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا
منهم وهو النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الله من العرب معروف النسب عرفوه بالصدق والامانة
وكان يسمى الامين قبل الوحي • وقيل بعثه الله من جنس بني ادم ولم يبعثه من الملئكة لانه اذا كان
من جنسهم كان تعلمهم منه اسهل عليهم • وقرئ في الشواذ من انفسهم بنصب الفا اي من اشرفهم لان العرب
افضل من غيرهم وقريش افضل العرب قوله تعالى يتلوا عليهم اياته اي يقرا عليهم القران بما فيه
من قصص الامم السالفة وهو امي لم يقرا الكتب قوله تعالى ويزكيهم اي يطهرهم من الشرك والذنوب
وياخذ منهم الزكوة التي يطهرهم بها قوله تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة اي القران والفقه وان كانوا من
قبل اي من قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لفي ضلال عن الهدى وخطا بين قوله عز وجل اولما
اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها اي لما اصابتكم مصيبة يوم احد قد اصبتم مثليها يوم بدر اي
قتلتم يوم بدر سبعين واسرتم سبعين وقتل منكم يوم احد سبعون ولم يوسر منكم احد قوله تعالى
قلتم انى هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا والوحي

ينزل علينا وهم مشركون قل يا محمد هو من عند انفسكم لمخالفتكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالخروج عن المدينه وقد كان امركم بالمقام فيها ليدخل عليكم الكفار فتقتلوهم في ازقتها • وقيل ثم
اصابكم هذا من عند قومكم بمعصية الرماة بتركهم ما امرهم به النبي صلى الله عليه وسلم ان الله على
كل شيء قدير اي على كل شيء من النصر وغير ذلك قادر قوله عز وجل وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن
الله معناه ما اصابكم يا معشر المسلمين يوم احد يوم التقى جيش المسلمين وجيش المشركين من القتل والجرح
والهزيمة فبعلم الله وقضائه وارادته • ويقال اراد بالاذن التخلية بين المؤمنين والكفار والا فالله
لا ياذن في المعصية قوله تعالى وليعلم المؤمنين اي ليرى المؤمنين • وقيل لتعلموا انتم ان الله قد علم
نفاقهم وانتم لم تكونوا تعلمون ذلك والمعنى ليرى الله ايمان المؤمنين لثبوتهم على ما نالهم ويرى المنافقين
بفشلهم وقلة صبرهم على ما ينزل به في ذات الله تعالى قوله تعالى وقيل لهم تعالوا قاتلوا في
سبيل الله او ادفعوا وذلك ان عبد الله بن ابي واصحابه لما رجعوا الى المدينه قبل القتال قال لهم
عبد الله بن جبير تعالوا الى احد وقاتلوا في طاعة الله وادفعوا عن انفسكم واهلكم وحريمكم فقال
المنافقون لا نكون قتال اليوم ولو نعلم ان نكون قتال لكنا معكم قال الله تعالى هم للكفر يومئذ اقرب منهم
للايمان اي كانوا قبل هذا القول عند المؤمنين اقربا الى الايمان بظاهر حالهم حتى هتكوا سترهم واظهروا
ميلهم الى الكفر فصاروا في ذلك اليوم اقرب الى الكفر قوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم كناية
عن كذبهم في قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم قوله تعالى والله اعلم بما يكتمون اي بما يخفون من الشرك قوله تعالى
الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا معناه الذين قالوا لاخوانهم من المنافقين بالمدينه و
قعدوا بانفسهم عن الجهاد لو اطاعونا المسلمون الذين خرجوا الى القتال ما قتلوا في الغزو قل لهم يا محمد فادرءوا
عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين في مقالتكم لو لم يخرجوا الى القتال ما قتلوا • قال الفقيه ابو الليث
سمعت بعض المفسرين يقول لما نزلت هذه الاية مات يومئذ سبعون نفسا من المنافقين قوله عز وجل
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين قال ابن عباس
وابن مسعود وجابر رضي الله عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم يوم احد

بجعل

جعل الله ارواحهم في اجواف طيور خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب
تحت العرش فلما راوا طيب منقلبهم ومطعمهم ومشربهم وما اعد الله لهم من الكرامة قالوا يا ليت
اخواننا علموا ما اعد الله لنا من الكرامة وما نحن فيه من النعيم فلم ينكلوا عند اللقاء ولم يجبنوا في الحرب
قال الله تعالى انا ابلغهم عنكم فانزل الله هذه الاية • وقال جابر بن عبد الله الانصاري قتل ابي يوم احد
وترك علي ثلث بنات فقال صلى الله عليه وسلم الا ابشرك يا جابر قلت بلى يا رسول الله قال ان اباك
حين قتل احياه الله وكلمه كفاحا فقال يا عبد الله سلني ما شئت قال اسالك ان تعيدني الى الدنيا فاقتل
فيها ثانيا قال يا عبد الله اني قضيت ان لا اعيد الى الدنيا خليقة قبضتها قال يا رب فمن يبلغ قومي ما انا
فيه من الكرامة قال الله انا فانزل الله هذه الاية • ومعنى الاية ولا تظنن يا محمد الشهداء المقتولين
في طاعة الله امواتا نصب على المفعول لان الحسبان يتعدى الى مفعولين بل هم احياء عند ربهم
يرزقون التحف سماهم احيا لانهم ياكلون ويتمتعون ويرزقون كالاحيا • وقيل سماهم احيا لانهم
يكتب لهم في كل سنه ثواب غزوة ويشركون في فضل كل جهاد الى يوم القيمة • وقيل لان ارواحهم
تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيمة كارواح الاحيا • وقيل لان الشهيد لا تبلى في الارض
ولا تتغير في القبر • ويقال اربعة لا تبلى اجسادهم الانبيا والعلما والشهدا وحملة القران • وعن عبد
الله بن عبد الرحمن انه بلغه ان عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام الانصاريين كانا قد اخرب
السيل قبرهما وكانا في قبر واحد وهما ممن استشهد يوم احد وكان قبرهما مما يلي السيل فوجدا
في قبرهما لم يتغيرا كانهما ماتا بالامس وكان بين احد وبين خراب السيل ست واربعون سنه • وقيل
سموا احياء لانهم لم يغسلوا كما يغسل الاحيا • قال صلى الله عليه وسلم زملوهم بدمائهم و
كلومهم فانهم يحشرون يوم القيمة بدمائهم اللون لون الدم والريح ريح المسك • قرا الحسن وابن
عامر قتلوا بالتشديد قوله تعالى فرحين بما اتاهم الله من فضله اي من رزقه وثوابه وانتصب
على الحال • وقرا ابن السميقع فارحين وهما لغتان كالفره والفاره والطمع والطامع والحذر و
الحاذر قوله تعالى ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون

اى يطلبون السرور بقدوم من لم يقدم عليهم من اخوانهم يقولون ليت اخواننا قتلوا كما قتلنا فينالوا
من الكرامة والثواب ما نلنا • وقال السدي يؤتى الشهيد بكتاب فيه من يقدم عليه من اخوانه واهله
فيقال يقدم عليك فلان يوم كذا ويقدم عليك فلان يوم كذا فيستبشر بذلك كما يستبشر الانسان بقدوم
غايب له فيتعجل السرور به قبل قدومه • واصل الاستبشار من البشر لان الانسان اذا فرح ظهر اثر
السرور في بشرة وجهه • ومعنى الاية يستبشرون بان لا خوف عليهم على اخوانهم الذين يأتونهم من بعدهم
وانهم لا يحزنون في الاخرة قوله عز وجل يستبشرون بنعمة من الله وفضل اى بجنة وكرامة ويستبشرون
ان الله لا يضيع ثواب الموحدين قوله تعالى وان الله لا يضيع اجر المؤمنين قرا الكسائي والفرا وان الله
بالكسر على الاستيناف ودليله قراة ابن مسعود والله لا يضيع اجر المؤمنين • وفي الحديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لما يجد الشهداء من القتل في سبيل الله الا كما يجد احدكم مس القرصة • وفي حديث
اخر عضة نمل اشد على الشهيد من مس السلاح • وفي حديث اخر ان الضربة والطعنة على الشهيد مثل
شرب الماء البارد • قوله عز وجل الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح يجوز ان يكون
اول هذه الاية في موضع الخفض على النعت للمؤمنين والاحسن ان تكون في موضع الرفع على الابتدا وخبره
للذين احسنوا ومعنى الاية الذين اجابوا الله بالطاعة والرسول بالخروج الى بدر الصغرى من بعد ما اصابهم
الجراح • للذين احسنوا منهم اى وافوا الميعاد واتقوا سخط الله ومعصيته ثواب وافر في الجنة • قال
ابن عباس وذلك انهم تواعدوا يوم احد ان يجتمعوا ببدر الصغرى في العام القابل فلما حضر الاجل ندم المشركون
فلقي ابو سفيان نعيم بن مسعود وكان يخرج الى المدينة للتجارة فقال اذا اتيت المدينة فخوفهم كيلا يخرجوا
ولك عشر من الابل ان رددتهم فلما قدم نعيم المدينة وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريدون موافاة ابي سفيان • قال بئس الراى رايتم اتوكم في دياركم وقراركم ولم يفلت منكم الا الشريد
تريدون ان تاتوهم في ديارهم وقد جمعوا لكم اما ان الرجل الواحد منهم يطيق عشرة منكم اذا والله
ما يفلت منكم الا الشريد فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج اليهم وتثاقلوا •
فلما راى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لاخرجن اليهم وان لم يخرج معي

منهم صح

منهم

منكم احد فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم للميعاد ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير
وسعد وعبد الله بن مسعود وحذيفة وابو عبيدة في سبعين رجلا حتى انتهوا الى بدر فلم يخرج اليهم
ابو سفيان ولم يلقوا بها احدا من المشركين فتسوقوا من السوق حاجتهم ثم انصرفوا فذلك قوله تعالى الذين
استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح • قالت عايشة رضي الله عنها لعبد الله بن الزبير يا ابن اختي
اما والله ان اباك وجدك يعني ابا بكر لمن الذين قال الله فيهم الذين استجابوا لله والرسول الاية قوله عز
وجل الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا معناه الذين قال لهم نعيم
بن مسعود ان ابا سفيان واصحابه قد جمعوا لكم فاخشوهم ولا تخرجوا اليهم فزادهم هذا القول تصديقا
ويقينا وجراة على القتال وقالوا حسبنا الله اى ثقتنا بالله وكافينا الله امرهم ونعم الوكيل اى
الناصر الحافظ • وموضع الذين خفض مردود على الذين الاول وانما ذكر الله نعيما بلفظ الناس لان الواحد
قد يذكر بلفظ الجماعة على معنى الجنس • ولهذا قالوا من حلف وقال ان كلمت الناس فعبدي حر وكلم رجلا
واحدا حنث قوله عز وجل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء اى فانصرفوا باجر
من الله وفضل وهو ما تسوقوا به من السوق • وروي انهم اشتروا ادما وزبيبا وغير ذلك بسعر رخيص
فربحوا على ذلك ومعنى لم يمسسهم سوء لم يصبهم جراحة ولا قتل • واتبعوا رضوان الله في الخروج الى
المشركين والله ذو فضل عظيم يدفع المشركين عن المؤمنين قوله عز وجل انما ذلكم الشيطان يخوف
اولياءه اراد بالشيطان نعيم بن مسعود وكل عات متمرد فهو الشيطان • وقيل معناه ذلك التخويف
من الشيطان ووسوسته وقوله يخوف اولياءه يعني المنافقين ومن لا حقيقة له في ايمانه فلا تخافوا
المشركين في الخروج اليهم وخافون في القعود عن الجهاد ان كنتم مصدقين بما اعلمتكم اني ناصركم و
القي الرعب في قلوب الكفار • وقيل معنى يخوف اولياءه يخوفكم اولياءه اى من اوليائه لان التخويف يتعدى
الى مفعولين كما قال تعالى لينذر باسا شديدا اى بباس شديد • وقرا ابن مسعود يخوفكم اولياءه • و
في قراة ابي يخوفكم باوليائه والمعنى يخوف المؤمنين بالكافرين قوله تعالى وخافون اى خافوني في ترك امري •
وذهب بعض المفسرين الى ان قوله تعالى الذين استجابوا نزلت في حرب احد • وذلك انه لما رجع المسلمون

اشياء صح

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة قال لهم رحم الله قوما انتدبوا لهؤلاء المشركين ليعلموا انا لم
نستاصل فانتدب قوم ممن اصابهم الجراح فى ذلك اليوم فشدوا على المشركين حتى كشفوهم عن القتلى بعد ان
مثلوا بحمزة وقد كانوا هموا بالمثلة بقتلى المسلمين فقذف الله فى قلوبهم الرعب فانهزموا وصلى الله عليه وسلم
على القتلى ودفنهم فجا اناس من العرب وقدموا بابى سفيان واصحابه بموضع يسمى حمرا الاسد فقالوا للمسلمين
تركناهم متاهبين للرجوع الى المدينة لقتل بقيتكم فعند ذلك قال المسلمون حسبنا الله ونعم الوكيل • فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بالمسير اليهم فلما ساروا الى حمرا الاسد وهى على راس ثمانية اميال
من المدينة لم يروا المشركين هناك فانصرف المسلمون الى المدينة بنعمة من الله وفضل وهى كفايته لهم شر
قريش حتى لم ينلهم منهم سوء وفى قوله والله ذو فضل عظيم بيان انه تعالى يفضل عليهم من بعد بنعيم الدنيا
والاخرة قوله عز وجل ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيئا قرا نافع يحزنك بضم اليا
وكسر الزاى فى جميع ما كان فى هذا الفعل فى جميع القرآن الا التى فى الانبيا لا يحزنهم الفزع • وقرا الباقون بفتح اليا
وضم الزاى وهما لغتان • وقرا طلحة بن مصرف يسرعون فى الكفر • والباقون يسارعون ومعنى الاية لا يحزنك
يا محمد الذين يبادرون الى الجحد والتكذيب وهم اليهود كانوا يكتمون صفة النبى صلى الله عليه وسلم
فى التورية وكان ذلك يشق على النبى صلى الله عليه وسلم • وقيل يعنى كفار قريش كانوا يكذبونه و
كان الناس يقولون لو كان نبيا حقا لاتبعه اقرباوه وكان ذلك يشق عليه • وقيل نزلت هذه الاية فى قوم
ارتدوا عن الاسلام فاغتم النبى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى انهم لن يضروا الله شيئا اى لن ينقصوا
شيئا من ملك الله وسلطانه يريد الله ان لا يجعل لهم نصيبا من الجنة فى الاخرة ولهم عذاب عظيم
قوله عز وجل ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا اى الذين اختاروا الكفر على الايمان لن ينقصوا
من ملك الله شيئا وانما اضروا بانفسهم حيث استوجبوا العذاب ولهم عذاب اليم اى وجيع فى الاخرة
قوله عز وجل لا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم قرا حمزة بالتا على الخطاب للنبى صلى الله عليه
وسلم لا تظنن يا محمد اليهود والنصارى والمنافقين ان املاءنا لهم خير لهم من ان نموتوا كما مات شهدا
احد • وقيل معناه لا تحسبن يا محمد املاءنا لهم لخير وتوبة تقع منهم انما املاءنا لهم لتكون عاقبة

امرهم

امرهم ان يزدادوا بذلك معصية على معصية ولهم عذاب مهين يهانون فيه • وقيل المراد بالذين
كفروا كفار مكة اى لا تظنن ما اصابوه يوم احد من الظفر خيرا لانفسهم وانما كان ذلك ليزدادوا معصية
فيزداد فى عقوبتهم • وقرا الباقون ولا يحسبن باليا ومعناه لا يحسبن الكفار املاءنا اياهم خيرا لهم
والاملاء فى اللغة اطالة المدة • والامهال والتاخير ومنه قوله واهجرنى مليا اى دهرا طويلا • قال ابن
مسعود ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها من الحيوة • واما الفاجرة فقد قال الله انما نملى لهم
ليزدادوا اثما • واما البرة فقد قال الله تعالى وما عند الله خير للابرار قوله عز وجل ما كان الله
ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب اختلفوا
فى تاويلها قال الكلبى قالت قريش يا محمد تزعم ان من خالفك فهو فى النار والله عليه غضبان ومن اتبعك
على دينك فهو فى الجنة والله عنه راض • فاخبرنا بمن يؤمن بك ومن لا يؤمن بك فانزل الله هذه
الاية ومعناها لم يكن الله ليترك من كان فى علمه السابق انه يؤمن على ما انتم عليه من الكفر حتى يميز
الكافر والمنافق من المؤمن المخلص وما كان الله ليطلعكم يا اهل مكة على من يصير منكم مؤمنا قبل ان
يؤمن ولكن الله يصطفى بالنبوة والرسالة من يشا فيوحى اليه بما يشا لان الغيب لا يطلع عليه الا
الرسل يوحى من الله ليقيموا البرهان على ان ما اتوا به من عند الله فامنوا بالله ورسله اى صدقوا وان
تؤمنوا بالله ورسله وتتقوا الشرك والمعصية فلكم اجر عظيم فى الجنة • وقال بعضهم الخطاب
للكافرين والمنافقين معنا الاية ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه يا معشر الكفار والمنافقين
من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب • وقيل الخطاب للمؤمنين اى ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين
على ما انتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق حتى يميز الخبيث • قرا الحسن وقتادة والكوفيون الا عاصما
يميز بضم اليا والتشديد وكذلك فى الانفال • والباقون بالتخفيف وفتح اليا من الميز وهو الفرق ويسمى
العاقل مميزا لانه يفرق بين الحق والباطل • والمعنى حتى يميز المنافق من المخلص فميز الله المؤمنين يوم احد
من المنافقين حين اظهروا النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال بعضهم معنى
الاية ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه من الاقرار حتى يفرض الله عليهم الجهاد والفرايض

ليميز بها من يثبت على ايمانه ممن ينقلب على عقبيه وما كان الله ليطلعكم على الغيب لانه لا يعلمه الا الله ولكن
الله يجتار من رسله من يشا فيطلعه على بعض علم الغيب • وروى ان الحجاج بن يوسف كان عنده منجم فاخذ
الحجاج حصيات بيده قد عرف عددها فقال للمنجم كم في يدي فحسب المنجم فاصاب ثم اغتفله الحجاج فاخذ
حصيات لم يعدها فقال للمنجم كم في يدي فحسب المنجم فاخطا ثم حسب فاخطا فقال ايها الامير اظنك
لا تعرف عدده قال لا فقال ان ذلك الاول احصيت عدده فخرج عن حد الغيب فاصبت في حسابه و
هذا لم تعرف عدده فصار غيبا والغيب لا يعلمه الا الله قوله عز وجل ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم
الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم من قرا ولا تحسبن بالتا فمعناه ولا تظنن يا محمد بخل الذين
يبخلون بما اعطاهم الله من المال فيمنعون من ذلك حق الله في الزكوة والجهاد وساير وجوه البر التي وجبت
عليهم لا تظنن ذلك خيرا لهم وقوله هو خيرا للفصل ويسميه الكوفيون العماد ومعنى بل هو شر لهم اي
بخلهم بحق الله شر لهم • ومن قرا باليا فالفعل للباخلين كانه قال ولا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرا لهم
قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة اي سياتون يوم القيمة بما بخلوا به من الزكوة ونفقة
الجهاد كهيئة الطوق في اعناقهم • قال صلى الله عليه وسلم ياتي كنز احدكم شجاعا اقرع فيتطوق
في عنقه يلدغه بخديه ويقول انا الزكوة التي بخلت بي في الدنيا • وقال بعضهم يجعل ما بخل به من الزكوة
حية في عنقه يطوق بها الى يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك فلا تزال
كذلك حتى يساق الى النار ويغل وهذا قول ابن مسعود وابن عباس والشعبي والسدي • وقال صلى الله
عليه وسلم ما من ذي رحم ياتي الى ذي رحمه يساله من فضل ما اعطاه الله فيبخل به عليه الا اخرج
الله له من جهنم شجاعا يتلمظ حتى يطوقه ثم تلا هذه الاية • وقال صلى الله عليه وسلم مانع الزكوة في
النار • وذهب بعضهم الى ان المراد بهذه الاية اليهود بخلوا ببيان صفة النبي صلى الله عليه وسلم
ومعنى سيطوقون على هذا القول وزره وماثمه والاظهر في هذه الاية انه البخل بالمال قوله تعالى
ولله ميراث السموات والارض تحريض على الانفاق ومعناه يموت اهل السموات واهل الارض كلهم
من الملئكة والجن والانس ولا يبقى الا الله واذا كانت الاموال لا تبقى للانسان ولا يحملها مع نفسه

الحقيرة فالاولى به ان ينفقها في الوجوه التي امر الله بها فيستوجب بها الحمد والثواب قوله تعالى والله
بما تعملون خبير اي عالم بمن يؤدي الزكوة ومن يمنعها قوله عز وجل لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير
ونحن اغنياء قال مجاهد لما نزلت قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله يستقرض
منا ونحن اغنيا • قال الحسن ان قايل هذه المقالة حيي بن اخطب • وقال عكرمة والسدي ومقاتل كتب النبي
صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر الصديق رضي الله عنه الى اليهود يدعوهم الى الاسلام والى اقامة الصلوة
وايتا الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر مدارسهم فوجد ناسا كثيرا منهم قد اجتمعوا
على رجل يقال له فنحاص بن عازورا وكان من علمايهم • فقال ابو بكر رضي الله عنه لفنحاص اتق الله واسلم
فوالله انك تعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدونه مكتوبا عندكم في التورية والانجيل
فامن وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة • فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرض
منا اموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان ما تقول حقا فان الله فقير ونحن اغنيا فغضب ابو بكر رضي
الله عنه وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة • وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك
لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر الى ما
صنع بي صاحبك • فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما حملك على ما صنعت • فقال يا رسول الله
انه قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وهم اغنيا فغضبت لله تعالى وضربت وجهه فجحد فنحاص فانزل
الله تعالى ردا على فنحاص وتصديقا لابي بكر رضي الله عنه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير و
نحن اغنيا قوله تعالى سنكتب ما قالوا اي سنكتب الكرام الكاتبون عليهم بامرنا قولهم وقتلهم الانبياء
بغير حق بل وجرمهم فنجازيهم به • وقرا حمزة والاعمش سيكتب بيا مضمومة وفتح التا وقتلهم الانبيا
بالرفع ويقول باليا اعتبارا بقراة ابن مسعود ويقال ذوقوا عذاب الحريق اي النار وانما قال الحريق لان
النار اسم للملتهبة وغير الملتهبة والحريق اسم للملتهبة منها قوله تعالى ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس
بظلام للعبيد اي يقال للكافرين ذلك بما قدمت ايديكم على الكفر والتكذيب وقتل الانبيا صلوات الله
عليهم قوله وان الله اي بان الله ليس بظلام للعبيد لا يعذب احدا بغير ذنب ولا يمنع احدا جزاه حسب

التاسع عشر

استحقاقه خيرًا فعله العبد او شرًّا قوله عز وجل الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا
بقربان تاكله النار قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وفنحاص بن عازور
اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اتزعم يا محمد ان الله بعثك الينا رسولا وانزل عليك كتابا
وان الله قد عهد الينا في التورية ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار فان جئتنا به صدقناك
فانزل الله هذه الاية ومعناها وسمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا ومحل الذين خفض ردًّا على
الذين الاول ومعنا عهد الينا امرنا واوصانا في كتبه وعلى السنة رسله ان لا نصدق رسولا يزعم انه جا
من عند الله حتى ياتينا بقربان وهو ما يتقرب به الى الله من صدقة وكانت القرابين والغنايم لا يحل لبني اسرائيل
وكانوا اذا قربوا قربانا او غنموا غنيمة فيقبل منه جات نار من السما ولها دوي وحفيف فيا كل القربان
وتلك الغنيمة فيكون ذلك علامة القبول واذا لم يقبل بقي على حاله فقال هولاء اليهود ان الله عهد الينا
ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار كما كان في زمن موسى وزكريا ويحيى وغيرهم صلوات الله
عليهم وكان هذا القول منهم كذبًا على الله واعتلالا ومدافعة في الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم
لا احتجاجا صحيحا فاحتج الله عليهم بقوله قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم
اي قل يا محمد قد جاكم رسل من قبلي بالعلامات الواضحات والمعجزات وبالذي قلتم من امر القربان فلم قتلتموهم
ان كنتم صادقين في مقالتكم وكانوا قتلوا زكريا ويحيى وغيرهم واراد بذلك اسلافهم فخاطبهم بذلك
لانهم رضوا بفعل اسلافهم قوله عز وجل فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك اي فان كذبوك يا محمد
فلست باول رسول كذب فقد كذب نوح وهود وصالح وغيرهم جاؤوا بالبينات اي بالعلامات الواضحات
والزبر وهو جمع زبور وهو كل كتاب ذي حكمة يقال زبرت اذا كتبت وزبرت اذا قرات واما الكتاب
المنير فهو الكتاب المبين للحلال والحرام قوله عز وجل كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم
القيمة قرا الاعمش ذائقةٌ بالتنوين ونصب الموت • قال ابن عباس لما نزلت قوله تعالى كل من عليها فان قالت
الملايكة هلك اهل الارض فلما نزلت هذه الاية ايقنت الملايكة بالهلاك • وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله ادم اشتكت الارض الى ربها لما اخذ منها فوعدها

ان يرد اليها ما اخذ منها فما من احد الا يدفن في التربة التي اخذ منها • وراى ابو هريرة قبرا جديدا فقال سبحان
الله انظروا كيف سبق هذا العبد الى تربته التي خلق منها • قوله تعالى وانما توفون اجوركم يوم القيمة اي انما تعطون
جزاء اعمالكم يوم القيمة ان خيرا فخير وان شرا فشر • والمعنى لا تغتروا بنعم الكفار ولا تحزنوا الشدايد المومنين
فان كلا الفريقين يتفرقون فلا بوس يبقى ولا نعيم في الدنيا قوله عز وجل فمن زحزح عن النار اي من بعد عنها
وادخل الجنة فقد فاز اي نجا وسعد وظفر بما يرجوا قوله تعالى وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور الغرور
متاع الدنيا مثل القدر والقصعة والفاس ونحو من الاشيا اي ينتفع بها ثم يذهب فيفنى كذلك الحيوة
الدنيا • وقيل متاع الغرور ما قد يسير به الانسان في الحال فكما ان التاجر يهرب من متاع الغرور وهو
ما يسرع اليه الفساد مثل الزجاج والذي يسرع اليه الكسر ولا يصلحه الخير كذلك ينبغي للحي ان يهرب من الدنيا
الفانية الى متاع الاخرة • وعن عبد الله بن عمر قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سجيناه بثوب
وجلسنا حوله نبكي فاتانا ات نسمع صوته ولا نرى شخصه فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
فقلنا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال كل نفس ذائقة الموت الى اخر الاية ثم قال ان في الله
خلفا من كل هالك وعزاء من كل مصيبة ودركا من كل فايت فبالله فثقوا واياه فارجوا فان المصاب
من حرم الثواب قال فتحدثنا انه جبريل عليه السلام قوله عز وجل لتبلون في اموالكم وانفسكم وذلك
ان الله تعالى لما ذكر الجنة اتى عقبها بما يدعوا اليها ويوجبها فقال لتبلون في اموالكم وانفسكم اي لتختبرن
بالنقص والذهاب في الاموال وفي ابدانكم بالامراض والاوجاع • ويقال ان المراد بالابتلاء ايضا الدين
مثل الجهاد في سبيل الله والانفاق فيه قوله تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا
اذى كثيرا معناه ولتسمعن من اليهود والنصارى ومشركي العرب كلاما اذى كثيرا اما من اليهود فقولهم عزير
ابن الله وقولهم ان الله فقير ونحن اغنيا • ومن النصارى قولهم المسيح ابن الله وقولهم ان الله ثالث ثلثة ومن
المشركين قولهم الملايكة بنات الله وعبادتهم الاوثان ونصبهم الحرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم و
الاذى ما يكره الانسان ويغتم به • وقال الزهري نزلت الاية في كعب بن الاشرف وذلك انه كان يهجو النبي
صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه

في شعره حتى اذاهم • فقال صلى الله عليه وسلم من لي بابن الاشرف فقال محمد بن مسلمة الانصاري انا لك به
يا رسول الله انا اقتله قال افعل ان قدرت على ذلك • قال يا رسول الله انه لا بد لنا ان نقول قال فقولوا ما
بدا لكم فانتم في حل من ذلك واجتمع محمد بن مسلمه وابو نايله وهو اخو كعب من الرضاعة وعباد بن بشير
وقيس والحرث بن اوس وسلكان بن سلامة وابو عيس ومشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بقيع
الغرقد • ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهم اعنهم ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك
في ليلة مقمرة • فاتوا حتى انتهوا الى حصنه فقدموا ابا نايله لانه اخوه من الرضاعة فجاءه فتحدث معه ساعة
ثم قال يا كعب اني جيتك لحاجة اريد اذكرها لك فاكتمها علي قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل بلاء وبلاء
علينا عادتنا العرب فرمونا عن قوس واحدة وانقطعت عنا السبيل حتى ضاعت العيال وجهدت الانفس
فقال كعب انا ابن الاشرف اما والله لقد اخبرتك ان الامر سيصير الى هذا • فقال ابو نايله ان معي اصحابا اردنا
ان تبيعنا من طعامك ونرهنك ونوثق لك سلاحنا وقد علمت حاجتنا اليوم الى السلاح • فقال هاتوا
سلاحكم واراد ابو نايله بذكر السلاح ان لا ينكر السلاح اذا راه فرجع ابو نايله الى اصحابه فاخبرهم
خبره فاقبلوا اليه حتى انتهوا اليه • وكان كعب حديث عهد بعرس فناداه ابو نايله فوثب في ملحفه فاخذت
امراته بصنفها وقالت انك رجل محارب وصاحب الحرب لا تنزل في مثل هذه الساعة • فقال انه لو هولاء
لو وجدوني نايما ما ايقظوني وانه ابو نايله اخي قالت فكلمهم من فوق الحصن فابا عليها فنزل اليهم فتحدث
معهم ساعة ثم قالوا له يا ابن الاشرف هل لك ان نتماشا ونتحدث ساعة فمشى معهم ساعة ثم ان ابا نايله
جعل يده على راس كعب ثم شمها وقال ما شممت طيب عرس قط مثل هذا قال كعب انه طيب ام فلان يعني امراته
ثم مشى ساعة فعاد ابو نايلة لمثلها حتى اطمان ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها ثم اخذ بفودي راسه حتى
استمكن ثم قال لاصحابه اضربوا عدو الله فاختلفت عليه اسيافنا فلم تغن شيا • قال محمد بن مسلمه فذكرت
معولا في ثندوته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فصاح صيحة لم يبق من حولنا حصن الا وقد اوقدت نارا
فوقع عدو الله على الارض وقد اصيب الحرث ابن اوس بجرح في راسه اصابه بعض اسيافنا فنزفه الدم
وابطا علينا فوقفنا له ساعه ثم احتملناه وجينا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر الليل

وهو قايم

وهو قايم يصلي فسلمنا عليه فخرج الينا فاخبرناه بقتل كعب وجينا براسه اليه وتفل على جرح
صاحبنا فبرا ورجعنا الى اهلنا فاصبحنا وقد خافت اليهود لوقعتنا بعدو الله • فقال صلى الله عليه
وسلم من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه قوله عز وجل وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور
اي ان تصبروا على اذى الكفار وتتقوا معصية الله فان ذلك من عزم الامور وخيرها اي من حقيقة الايمان
قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه اي قد اخذ الله
اهل الكتاب لتبينن الكتاب بما فيه من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته للناس ولا تخفون
شيا من ذلك • قرا عاصم وابو عمرو وابن كثير باليا فيهما • وقرا الباقون بالتا فيهما قوله تعالى فنبذوه
وراء ظهورهم اي ضيعوه وتركوا العمل به يقال للذين ترك العمل به جعل خلف ظهره قوله تعالى و
اشتروا به ثمنا قليلا اي اختاروا بكتمان نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته عوضا يسيرا
من الماكل والهدايا التي كانت لعلمائهم من روسائهم فبئس ما يشترون اي يختارون الدنيا على الاخرة
قوله عز وجل لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا قرا اهل الكوفة يحسبن
باليا • وقرا غيرهم بالتا • فمن قرا باليا فمعناه لا يحسبن الفارحون فرحهم منجيا لهم من العذاب • ومن قرا
بالتا فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم • وقوله فلا يحسبنهم اعادة توكيد • قرا الضحاك
بالتا وضم البا اراد محمدا واصحابه • وقرا مجاهد وابن كثير وابو عمرو باليا وضم البا خبرا عن الفارحين
اي فلا يحسبن انفسهم • واختلفوا فيمن نزلت فقال مجاهد وعكرمة نزلت في اليهود كانوا يقولون
نحن اهل الصلوة والصوم والكتاب الاول والعلم الاول يريدون الفخر والسمعة والريا لكي يثنا عليهم
ويحمدهم سفلتهم على ما يفعلون من بيان صفة كتابهم • وقال عطا نزلت في المنافقين كانوا ياتون
النبي صلى الله عليه وسلم ويخالطون المسلمين ويراون بالاعمال التي يحبون ان يحمدوا ويمدحوا
على ذلك قوله عز وجل فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اي لا تظننهم يا محمد بمنجاة اي ببعد من العذاب
فلهم عذاب اليم وجيع في الاخرة وتكرار لا يحسبن لطول القصة • ويجوز ان يكون خبر لا يحسبن
الاول مضمرا تقديره لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ناجين • ومن قرا بما

ثوابا لمن فمعناه بما اعطوا من النفقة والصدقة • ومن قرا بما اوتوا بما اعطوا من الدنيا قوله عز وجل
ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير اي ولله خزاين السموات والارض فخزاين السموات المطر وخزاين
الارض النبات • ووجه اتصال هذه الاية بما سبق ان فهذا تكذيب اليهود في قولهم ان الله فقير ونحن اغنيا
وبيان ان من كان مالك السموات والارض قادر على انتقام من الكفار والاثابه للمومنين وعلى كل شيء قوله
عز وجل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب معناه ان في خلق
السموات بما فيهما من الشمس والقمر والنجوم والارض بما فيها من الجبال والشجر والنبات والدواب واختلاف
الليل والنهار في المجيء والذهاب والالوان لعلامات واضحات لذوي العقول على توحيد الله قوله
تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم بيان لصفة اولي الالباب ومعنا الذكر
المطلق اي يذكرون الله في جميع احوالهم • وقيل المراد به الصلوة اي يتركون الصلوة صحوا
او مرضوا يصلون قياما ان استطاعوا وجلوسا ان لم يستطيعوا القيام ومضطجعين ان لم يستطيعوا
الجلوس قوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض اي في عظم شانهما وما فيهما من الايات
والعبرات قايلين ربنا ما خلقت هذا باطلا اي ما خلقت هذا الخلق للباطل والعبث بل خلقته
دليلا على وحدانيتك وصدق ما اتت به انبياؤك • وقوله تعالى سبحانك اي تنزيها لك وبراة
لك من ان تكون خلقتهما باطلا فادفع عنا عذاب النار قال صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع
في رياض الجنة فليكثر ذكر الله • وقال صلى الله عليه وسلم ذكر الله علم الايمان وبراة من النفاق
وحصن من الشيطان وحرز من النيران • قوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ان لهما صانعا
قادرا مريدا حكيما • وكان سفيان الثوري يبول الدم من طول حزنه وفكرته وكان اذا رفع راسه الى السما
وراى الكواكب غشي عليه وانتصب قوله باطلا بنزع الخافض اي ما خلقته للباطل وقيل على المفعول الثاني
وقوله ما خلقت هذا باطلا ذهب به الى لفظ الخلق ولو رده الى السما والارض لقال هذه قوله عز وجل
ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي فقد اهنته وذللته • وقيل اهلكته • وقيل فضحته وما
للظالمين من انصار اي ما لهم من مانع يمنعهم مما يراد بهم من العذاب قوله تعالى ربنا اننا سمعنا

مناديا

فاستجاب

مناديا للايمان ان امنوا بربكم اي يقولون ربنا اننا سمعنا محمدا صلى الله عليه وسلم يدعو الخلق الى الايمان
ان امنوا بربكم فاجبنا الى ما دعانا اليه وامرنا به • وقال محمد بن كعب القرظي المنادي هو القران يدعو الناس
كلهم الى الشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقوله للايمان اي الى الايمان كقوله لما نهوا عنه قوله
تعالى ربنا فاغفر لنا ذنوبنا اي اغفر لنا الكباير وما دونها وكفر عنا سيئاتنا اي شركنا في الجاهلية وتوفنا
مع الابرار اي اجعل ارواحنا مع ارواح الانبيا والصالحين الذين كانوا قبلنا قوله تعالى ربنا واتنا
ما وعدتنا على رسلك اي اعطنا ما وعدتنا على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة اي لا تعذبنا
انك لا تخلف الميعاد من الثواب والجنة للمومنين • فان قيل ما فايدة قولهم ربنا واتنا ما وعدتنا على
رسلك وقد علموا ان الله لا يخلف الميعاد • قيل فايدته التعبد والخضوع له ورفع الحاجة اليه
في عموم الاحوال • قوله عز وجل فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى قوله
تعالى بعضكم من بعض قال الكلبي يعني في الدين والنصرة والموالاة • وقيل حكم جميعكم في الثواب واحد
وقيل كلكم من ادم وحوى • وقال مجاهد قالت ام سلمه يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في
الهجرة ولا يذكر النسا بشيء فانزل الله هذه الاية فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من
ذكر او انثى بعضكم من بعض • قال الضحاك معناه رجالكم شكل نسايكم في الطاعة ونساؤكم شكل رجالكم
في الطاعة قوله عز وجل فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي الاية اي فالذين هاجروا
من مكة الى المدينة واخرجوا من اوطانهم واوذوا في طاعتي وقاتلوا المشركين مع محمد صلى الله عليه
وسلم وقتلهم العدو في الجهاد لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري اي بساتين تجري من
تحت شجرها ومساكنها الانهار ثوابا جزاء من عند الله انتصب ثوابا على المصدر معناه لاثيبهم
ثوابا وقوله تعالى والله عنده حسن الثواب اي حسن الجزا للموحدين المطيعين • قرا محارب بن دثار
وقاتلوا وقتلوا بالفتح • وقال يزيد بن حازم سمعت عمر بن عبد العزيز يقول وقتلوا وقتلوا يعني انهم
قتلوا المشركين ثم قتلهم المشركون • وقرا ابو رجا وطلحة والحسن وقاتلوا وقتلوا بالتشديد • وقرا
عاصم وابو عمرو ونافع وقاتلوا وقتلوا بالتخفيف اي قاتلوا ثم قتلوا • وقرا الاعمش وحمزة والكسائي

وخلف وقتلوا وقاتلوا اى وقاتل من بقى منهم • وقيل معناه وقتلوا وقد قاتلوا واضمر فيه قد قوله عز
وجل لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ابتدا هذه الآية خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم
والمراد به اصحابه كانه قال لا يغرنك ايها السامع ذهاب اليهود ومجيئهم فى تجاراتهم ومكاسبهم فى الارض
منفعة يسيرة فى الدنيا تنقطع وتفنى ثم مصيرهم الى جهنم وبئس المهاد اى بئس الفراش النار • وقيل كان
النبى صلى الله عليه وسلم لا يغره شىء لتحذير الله اياه عن الاغترار بشىء وتاديبه اياه • وقيل نزلت فى
مشركى العرب كانوا فى رخاء من العيش وكانوا يتجرون ويتنعمون • فقال بعض المومنين ان اعداء الله فيما نرى من
الخير ونحن هلكنا من الجوع والجهد فنزلت هذه الآية • وقرا يعقوب لا يغرنك باسكان النون قوله تعالى
تقلب الذين كفروا فى البلاد اى فى تصرفهم فى الارض للتجارات والبياعات وانواع المكاسب وقوله متاع قليل
اى هو متاع قليل فان • قال النخعى ان الدنيا جعلت قليلا وما بقى منها الا قليل من قليل قوله عز
وجل لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله تقدير هذه الآية
مع ما قبلها لا يعجبك يا محمد تقلب اولئك الكفار فى نعيم الدنيا بل ما اعطى المتقون فى الآخرة افضل
فان الذين اتقوا ربهم اى وحدوه واطاعوه لهم جنات اى بساتين تجرى من تحت اشجارها الانهار
مقيمين فيها قوله تعالى نزلا من عند الله اى رزقا وثوابا لهم وهذا نصب على التفسير كما يقال هذا الشىء هبة
او صدقة • ويجوز ان يكون نصبا على المصدر على معنى انزلوا نزلا والنزل ما يهيا للنازل من كرامة وبر
وطعام وشراب ومنظر حسن قوله تعالى وما عند الله خير للابرار اى ما عند الله من الجزاء والثواب
خير للصالحين من ما لهم فى الدنيا • قرا ابو جعفر لكن الذين بالتشديد • وقرا الحسن والنخعى نزلا
ساكنة الزاى • روى انس بن مالك قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على سرير
وتحت راسه وسادة من ادم وحشوها ليف فدخل عليه عمر رضى الله عنه فانحرف النبى صلى
الله عليه وسلم انحرافة فرأى عمر اثر الشريط فى جنبه فبكى فقال له ما يبكيك يا عمر فقال ومالى
لا ابكى يا رسول الله وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا وانت على الحال الذى ارى فقال
يا عمر اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال بلى قال هو كذلك قوله عز وجل وان من

ومساكنها صح

اهل

اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم معناه وان من اهل الكتاب لمن يصدق بالله و
القرآن والتورية والانجيل والزبور وسائر كتب الله وهم عبد الله بن سلام واصحابه خاشعين لله
اى ذليلة انفسهم لله لا يشترون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا كما فعله
رؤسا اليهود اولئك لهم اجرهم عند ربهم وقال قتادة نزلت هذه الآية فى النجاشى ملك الحبشة
لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى فى اليوم الذى مات فيه • فقال
صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم قالوا ومن هو قال النجاشى
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البقيع وكشف له من المدينة الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشى
فصلى عليه واستغفر له وقال لاصحابه استغفروا له • فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج حبشى
نصرانى لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الآية خاشعين لله انتصب على الحال وقوله تعالى لا يشترون
بآيات الله ثمنا قليلا اى يحرفون كتبهم ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل المأكل
والرياسة كما فعلت رؤسا اليهود قوله تعالى ان الله سريع الحساب قد تقدم تفسيره قوله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا اى اصبروا على اداء الفرائض واجتنابا المحارم وصابروا
اعداكم فى الجهاد فى مقاتلتهم ورابطوا خيولكم على الجهاد والرباط والمرابطة ان يربط كل واحد من
الفريقين خيولهم فى الثغر • وقيل المرابطة المحافظة على الصلوات • قال ابو هريرة رضى الله عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا
بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلوة بعد
الصلوة فذلكم الرباط • وقال الضحاك معنى الآية يا ايها الذين آمنوا اصبروا على امر الله
وقال الكلبى اصبروا على البلاء • وقالت الحكماء الصبر ثلثة اشيا ترك الشكوى وصدق الرضا وقبول
القضا • وقيل الصبر هو الثبات على احكام الكتاب والسنة وقوله تعالى وصابروا اى صابروا الكفار
ورابطوا يعنى داوموا واثبتوا • قال صلى الله عليه وسلم من رابط يوما فى سبيل الله كان
كصيام شهر وقيامه ومن توفى فى سبيل الله اجرى الله له اجره حتى يقضى بينه وبين اهل الجنة

واهل النار ومن رابط يوما في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار سبعة خنادق كل خندق منها
كسبع سموات وسبع ارضين • وقال بعضهم في هذه الآية يا ايها الذين آمنوا اصبروا عند قيام النفير
على احتمال الكرب وصابروا على مقاساة العنا والتعب ورابطوا في دار اعدائي بلا هرب واتقوا ه
مهومكم من الالتفات الى السبب لعلكم تفلحون غدا بلقائي عند بساط القرب • وقال سري السقطي اصبروا
على الدنيا رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا هوى النفس اللوامة
واتقوا ما يعقب لكم الندامة لعلكم تفلحون غدا على بساط الكرامة • وقيل معناه اصبروا على بلوائي
وصابروا بالشكر على نعمائي ورابطوا في دار اعدائي واتقوا محبة من سوائي لعلكم تفلحون بلقائي • و
قيل اصبروا على البغضاء وصابروا على الباساء والضراء ورابطوا في دار الاعداء واتقوا اله الارض و
السماء لعلكم تفلحون في دار البقاء • وعن جعفر الصادق قال معنى هذه الآية اصبروا عن المعاصي وصابروا
مع الطاعات ورابطوا الارواح بالمشاهدة واتقوا الله لكي تبلغوا مواقف اهل الصدق فانها محل
الفلاح والله اعلم سورة النساء مدنية وهي ستة عشر الفا وثلثون حرفا • وثلثة الاف وسبعماية
وخمس واربعون كلمة • ومائة وست وسبعون آية • بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها قال ابن عباس قد يكون يا ايها
الناس عاما وقد يكون خاصا لاهل مكة وهو هاهنا عام لجميع الناس ومعناه اجيبوا ربكم واطيعوه •
وقوله تعالى خلقكم من نفس واحدة يعني آدم عليه السلام وانما انث النفس لاعتبار اللفظ دون المعنى •
قال الشاعر • ابوك خليفة ولدته اخرى • وانت خليفة ذاك الكمال • فقال ولدته اخرى لان
لفظ الخليفة مؤنث وانما من الله علينا بان خلقنا من نفس واحدة لان ذلك لي ان نعطف بعضنا على
بعض ونرحم بعضنا بعضا لرجوعنا في القرابة الى اصل واحد قوله تعالى وخلق منها زوجها
اي وخلق من نفس آدم زوجها حواء خلقها من ضلع من اضلاعه اليسرى وهي القصيرى بعد ما القي عليه
النوم فلم يؤذه ولو آذاه لما عطف عليها ابدا • قال صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع
اعوج فان اردت ان تقيمها كسرتها وان تركتها وفيها عوج استمتعت بها على عوج قوله تعالى وبث

جميعا صح

منهما

منهما رجالا كثيرا ونساء اي نشر وفرق واظهر من آدم وحواء خلقا كثيرا من الرجال والنساء قوله تعالى
واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام اي اتقوا معاصي الله الذي تساءلون به اي يسال بعضكم بعضا
من الحوائج والحقوق بقول الرجل للرجل اسئلك بالله افعل لي كذا • قرا اهل الكوفة تساءلون
مخففا • وقرا الباقون بالتشديد قوله تعالى والارحام قراءة عامة القراء بنصب الارحام على معنى واتقوا
الارحام ان تقطعوها • وقرا النخعي وقتادة والاعمش وحمزة بالخفض على معنى وبالارحام على معنى
تساءلون بالله وبالارحام فيقول الرجل اسئلك بالله وبالرحم وقراءة الاولى افصح لان العرب لا تعطف
بظاهر على مضمر مخفوض الا باعادة الخافض لا يقولون مررت به وزيد ويقولون به وبزيد وقد جاء
في الشعر قال الشاعر • فقد كنت من قبل تهجونا وتشتمنا • فاذهب فما بك والايام من عجب • قوله عز و
جل ان الله كان عليكم رقيبا اي حفيظا لاعمالكم والرقيب هو الحافظ • وقال بعضهم عليما والعليم و
الحافظ متقاربان لان العليم بالشيء حافظ له قوله عز وجل وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث
بالطيب قال مقاتل والكلبي نزلت هذه الآية في رجل من غطفان كان في يده مال كثير لابن اخ له يتيم فلما
بلغ اليتيم طلب ماله فمنعه العم فترافعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية الى قوله
تعالى انه كان حوبا كبيرا • فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرجل اطعنا الله واطعنا
الرسول ونعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله • فقال صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه
ويطيع ربه هكذا فانه يحل داره اي جنته فلما قبض الصبي ماله انفقه في سبيل الله • فقال صلى الله
عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في
سبيل الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على والده لان الوالد كان مشركا • وانما سمى الله تعالى
البالغ يتيما ولا يتم بعد البلوغ استصحابا للاسم الاول كما قال تعالى والقي السحرة ساجدين ولا سحر مع
السجود ولانه قريب عهد باليتيم قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب اي لا تذروا اموالكم الحلال
وتاكلوا الحرام من اموال اليتامى • قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي والضحاك كان اوصياء
اليتامى واولياؤهم ياخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردي وربما كان احدهم ياخذ

الشاة السمينة من مال اليتيم ويجعل مكانها المهزولة وياخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول
درهم بدرهم فذلك تبديلهم فنهاهم الله تعالى عن ذلك • وقال مجاهد معنى الآية لا تجعل رزقك
الحلال حراما بتعجله بان تستهلك مال اليتيم فتنفقه على نفسك او تتجر فيه لنفسك وتعطيه غيره فيكون
ما تاخذه من مال اليتيم حراما خبيثا وتعطيه مالك الحلال ولكن اتوهم اموالهم باعيانها وفي هذا دليل
على انه لا يجوز لولي اليتيم ان يستقرض مال اليتيم ولا ان يستبدله من نفسه • وقيل معنى ولا تتبدلوا
الخبيث بالطيب لا تجعلوا الزيف بدل الجيد ولا المهزول بدل السمين قوله عز وجل **ولا تاكلوا اموالهم الى**
اموالكم كقوله تعالى من انصاري الى الله اي مع الله • وقيل معناه لا تاكلوا اموالهم مضيفين الى اموالكم لانهم
كانوا يخلطون اموال اليتامى باموالهم حتى يصير دينا عليهم ثم كانوا يتبعونها مع اموالهم ويربحون عليها ويستبدون
بتلك الارباح قوله تعالى **انه كان حوبا كبيرا** اي اثما عظيما وفيه ثلث لغات • قراة العامة حوبا بالضم و
هي قراة النبي صلى الله عليه وسلم وهي لغة اهل الحجاز • وقراة الحسن انه كان حوبا بفتح الحا وهي لغة
تميم • وقرا ابي بن كعب حابا على المصدر مثل القال ويجوز ان يكون اسما مثل الزاد ويقال للذنب حوب وحوب
وحاب قوله عز وجل **وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلث ورباع**
قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية خاف الناس ان لا يعدلوا في اموال اليتامى
وكانوا يتزوجون من النساء ما شاؤا فنزلت الاية ومعناها ان خفتم ان لا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا في النسا
اذا اجتمعن عندكم ان لا تعدلوا بينهن فتزوجوا ما حل لكم ولا تنكحوا الا ما يمكنكم امساكهن ثنتان ثنتان وثلث
ثلث واربع اربع ولا تزيدوا على الاربع الحراير • وقيل معنى الاية ان خفتم ان لا تعدلوا يا معشر الاوليا في
اليتامى اذا تزوجتم بهن فانكحوا ما حل لكم من النسا غيرهن • وقال مجاهد معناه ان خفتم في ولاية اليتامى
ايمانا وتصديقا فخافوا في الزنا وانكحوا الطيب من النسا • وقال بعضهم كانوا يتحرجون عن اموال اليتامى و
يترخصون في النساء ولا تعدلون فيهن ويتزوجون منهن ما شاؤا فربما عدلوا وربما لم تعدلوا فلما سالوا عن
اموال اليتامى انزل الله عز وجل وآتوا اليتامى اموالهم وانزل وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى اي كما
خفتم الا تقسطوا في اليتامى وهمكم ذلك فخافوا في النسا ان لا تعدلوا فيهن ولا تتزوجوا اكثر مما يمكنكم

امساكهن

امساكهن والقيام بحقهن لان النسا كاليتامى في الضعف والعجز فما لكم تراقبون الله في شي وتعصونه في مثله
وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والربيع والضحاك والسدى ورواية عن ابن عباس • والاقساط في اللغة العدل
يقال اقسط اذا عدل وقسط اذا جار ونما قال ما طاب ولم يقل من طاب لان ما مع الفعل بمنزلة المصدر كانه
قال فانكحوا الطيب يعني الحلال من النسا • وقرا ابن ابي عبلة من طاب لان ما لما لا يعقل ومن لمن يعقل الا ان عامة
القرا والعلما يقولون ان العرب يجعل ما بمعنى من ومن بمعنى ما وقد جا القرآن بذلك قال الله تعالى والسماء وما
بناها وقال الله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه وقال تعالى قال فرعون وما رب العالمين قوله تعالى مثنى وثلث و
رباع بدل من طاب لكم وهو مما لا ينصرف لان مثنى معدول عن اثنين وذلك نكرة وثلث معدول عن ثلثة وذهب بعض
الروافض الى استحلال تسع استدلالا بهذه الاية وليس ذلك بشي فان الواو ههنا بمعنى او • وروي عن قيس
بن الحرث انه كان عنده ثماني نسوة فلما نزلت هذه الاية امره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يمسك اربعا
ويفارق اربعا • وقال صلى الله عليه وسلم لغيلان حين اسلم وتحته عشرة نسوة امسك منهن اربعا
وفارق سايرهن قوله عز وجل **فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم** معناه ان خفتم ان لا
تعدلوا في القسمة والنفقة بين النسوة الاربع التي احل الله لكم فتزوجوا امراة واحدة لا تخافون المثل في
امرها او اقتصروا على الاما حتى لا تحتاجوا الى القسم بينهن يعني السراري • وقرا الحسن وابو جعفر فواحدة
بالرفع اي فواحدة كافية او فلتكفكم واحدة • وقراة العامة نصبا اي فانكحوا واحدة قوله تعالى او ما
ملكت ايمانكم ذكر الايمان توكيدا تقديره او ما ملكتم قوله تعالى **ذلك ادنى ان لا تعولوا** اي التزوجوا
بالواحدة والاقتصار على ملك اليمين اقرب كي ان لا تميلوا وتجوروا والعول مجاوزة الحد ومنه العول
في الفرايض مجاوزة مخرج الفرايض • روت عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
تعالى ان لا تعولوا قال ان لا تجوروا او ان لا تميلوا • واما من قال معنى ان لا تعولوا الا تكثر عيالكم وهذا يحكى
عن الشافعي رضي الله عنه فقد قيل انه خطا في اللغة لانه لا يقال في كثرة العيال عال يعول وانما يقال عال
يعيل اذا صار ذا عيال • وفي الاية ما يبطل هذا التاويل وهو قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم لان اباحة
كل ما ملك اليمين ازيد في العيال من اربع نسوة • وقرا طاووس ان لا تعيلوا من العيلة يقال عال الرجل

يعيل اذا افتقر والعيلة الفقر قال الشاعر • ولا يدري الفقير متى غناه • ولا يدري الغني متى يعيل • قوله تعالى
وآتوا النساء صدقاتهن نحلة قال الكلبي هذا خطاب للاولياء كان الولي اذا زوج امرأة فان كان زوجها
معهم في العشيرة لم يعطها الولي من مهرها قليلا ولا كثيرا وان كان زوجها غريبا حملوها على بعير الى زوجها
ولا يعطونها من مهرها غير ذلك البعير فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم ان يعطوا الحق اهله • قال مقاتل و
اكثر اهل التفسير هذا خطاب للازواج كان الرجل يتزوج المرأة فلا يعطيها مهرها فامروا ان يعطوا نساءهم
مهورهن التي هي اثمان فروجهن وهذا القول اصح واوضح والصدقات المهور واحدها صدقة بضم الدال وقوله
تعالى نحلة قال قتادة فريضة واجبة • وقال ابن جريج فريضة مسماة • وقال الكلبي عطية وهبة • وقال
ابو عبيدة عن طيب نفس • وقال الزجاج تدينا • وقيل معناه عطية من الله تعالى للنساء حيث جعل مهورهن
ولم يوجب عليهن شيئا من الغرم مع كون الاستمتاع مشتركا بينهن وبين الازواج • وقيل معنى نحلة ديانة
فانتصب نحلة على المصدر وقيل على التفسير • وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من
ادان دينا وهو ينوي ان لا يؤديه لقي الله سارقا ومن اصدق امرأة صداقا وهو ينوي ان لا يوفيها لقي
الله زانيا • وقال صلى الله عليه وسلم ان احق الشروط ان توفوا ما استحللتم به الفروج قوله عز
وجل فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا اي ان احللن لكم عن شيء من المهر او ان وهبن لكم
منه شيئا ونصب نفسا على التمييز لانه اذا قيل طبن لكم لم يعلم في اي صنف وقع فكانه قال فان طابت
انفسهن بهبة شيء من المهر فكلوا الموهوب لكم هنيئا لا اثم فيه مريئا لا ملامة فيه • قال الحضرمي ان ناسا
كانوا يتأثمون ان يرجع احدهم في شيء مما ساق الى امرأته قال الله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا من
غير اكراه ولا خديعة فكلوه هنيئا مريئا اي شافيا طيبا • وقيل معناه فكلوه دواء شافيا • وقيل الهني الطيب
المساغ الذي لا ينغصه شيء والمري المحمود العاقبة الذي لا يضر ولا يؤذي يقول لا تخافون في الدنيا منه
مطالبة ولا في الآخرة تبعة يقال هنأني الطعام ومرأني فاذا افرد يقال امرأني ولا يقال اهنأني وهنيئا مصدر
وعن علي رضي الله عنه انه قال اذا كان احدكم مريضا فيسأل امرأته درهمين من مهرها حتى يهب له
بطيبة نفسها فليشتر بذلك عسلا ويشربه مع ماء المطر فقد اجتمع الهني والمري والشفاء والماء المبارك

ان صح

الطب صح

لان الله

لان الله تعالى سمى المهر هنيئا مريئا اذا وهبته المرأة لزوجها وسمى العسل شفاء وسمى المطر ماء مباركا فاذا
اجتمعت هذه الاشياء رجي له الشفاء قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما اي لا تعطوا
الجهال بمواضع الحق وهم النساء والصبيان اموالكم التي جعل الله لكم قوام امركم ومعيشتكم اي جعلكم تقومون به
قياما اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد لم ينبغ له ان يسلط احدا منهما
على ماله الذي هو قوام امره • ومن قرأ قيما فمعناه التي جعلها الله لكم قيمة للاشياء فبها تقوم اموركم • وقال
مجاهد نهى الرجال ان يؤتوا النساء اموالهم وهن سفهاء كن ازواجا او بنات او امهات • وعن الضحاك النساء
من اسفه السفهاء يدل على هذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم الا انما خلقت النار للسفهاء قالها
ثلاثا الا ان السفهاء النساء الا امرأة اطاعت قيمها • وعن انس رضي الله عنه قال جاءت امرأة سوداء جريئة
المنطق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت بابي وامي انت يا رسول الله بلغني انك تقول فينا
كل شيء قال اي شيء قلت فيكن قالت سميتنا السفهاء قال الله تعالى سماكن السفهاء في كتابه قالت وسميتنا النواقص
قال فكفى نقصا ان تترك كل واحدة منكن الصلوة في كل شهر خمسة ايام لا تصلي فيها يعني ايام حيضها • ثم
قال صلى الله عليه وسلم اما يكفي احداكن اذا حملت كان لها كاجر المرابط في سبيل الله فاذا وضعت
كانت كالمتشحط بدمه في سبيل الله فاذا ارضعت كان لها بكل جرعة عتق رقبة من ولد اسمعيل
فاذا سهرت كان لها بكل سهرة عتق رقبة من ولد اسمعيل وذلك للمؤمنات الخاشعات الصابرات التي لا يكفرن
العشير فقالت السوداء يا له فضلا لولا ما يتبعه من الشروط • وروي ان امرأة مرت بعبد الله بن عمر
لها شارة وهيبة فقال لها ابن عمر ولا تؤتوا السفهاء اموالكم • وقال معوية بن مرة عودوا نساءكم لا فانهن
سفيهات ان اطعت المرأة اهلكتك • وعن ابي موسى الاشعري قال ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم رجل
كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه ورجل اعطى سفيها ماله
وقد قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم اي الجهال بمواضع الحق قوله عز وجل التي جعل الله لكم قياما •
قرأ ابن عمر قواما بفتح القاف والواو • وقرأ عيسى بن عمر قواما بكسر القاف وهما لغتان • وقرأ الاعرج و
نافع وابن عامر قيما بكسر القاف من غير الف • وقرأ الباقون قياما بالالف قوله عز وجل وارزقوهم فيها

اى اطعموا النسا والاولاد واكسوهم من اموالكم وقولوا لهم قولا معروفا اى عدوهم عدة حسنة نحو ان تقول الرجل
سا فعل كذا ان شا الله • وقيل ردوا عليهم ردا جميلا وقولوا لهم قولا لينا تطيب به انفسهم والرزق من الله تعالى
العطية غير المحدودة ومن العباد الشيء الموظف لوقت محدود وانما قال فيها ولم يقل منها لانه اراد اجعلوا لهم
حظا فيها اى رزقا فيها قوله عز وجل وابتلوا اليتامى اى اختبروهم فى عقولهم وتدبيرهم وديانتهم حتى اذا بلغوا
مبلغ النكاح وهو الحلم وهذا دليل جواز الاذن للصبى فى التجارة قوله تعالى فان انستم منهم رشدا
اى علمتم منهم ووجدتم اصلاحا فى عقولهم وحفظا اموالهم فادفعوا اليهم اموالهم التى عندكم نزلت هذه الاية
فى ابن رفاعة وعمه وكان رفاعة توفى وترك ابنه صغيرا فاتى عمه ثابت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال
ان ابن اخى يتيم فى حجرى فمتى ادفع اليه ماله فانزل الله هذه الاية قوله تعالى ولا تاكلوها اسرافا وبدارا
ان يكبروا اى لا تاكلوا اموال اليتامى بغير حق والاسراف مجاوزة الحد قوله تعالى اى مبادرة كبرهم المعنى لا تبادروا
الى اكل اموالهم مخافة ان يكبروا فياخذوا اموالهم منكم وموضع ان يكبروا نصب اى لا تبادروا كبرهم ورشدهم
حذارا ان يبلغوا فيلزمكم تسليم اموالهم اليهم قوله عز وجل ومن كان غنيا فليستعفف اى فليتورع بغناه

كان

عن مال اليتيم ولا ينقص شيئا من ماله والعفة الامتناع عما لا يحل فعله قوله تعالى ومن كان فقيرا فلياكل
بالمعروف اختلفوا فى معنى ذلك قال عمر وابن سعيد بن جبير وعبيدة السلمانى معناه فلياخذ من مال
اليتيم على جهة القرض مقدار حاجته فاذا ايسر رد عليه مثله وهكذا روى الطحاوى عن ابى حنيفة
فمعنى قوله بالمعروف اى بالقرض نظيره قوله تعالى الا من امر بصدقة او معروف اى او قرض • وقال مكحول و
عطا وقتادة ان لولى اليتيم ان ياخذ من مال اليتيم قدر ما يستر عورته ويسد جوعته لا على جهة القرض
قال الشعبى لا ياكل الا ان يضطر اليه كما يضطر الى الميتة • وقال بعضهم فلياكل بالمعروف اى ياكل من غير اسراف
ولا قضا عليه فيما اكل • واختلفوا فى كيفية هذا بالمعروف • فقال عكرمة والسدى ياكل ولا يسرف فى
الاكل ولا يكتسى منه • وقال النخعى لا يلبس الكتان ولا الحلل ولكن ما يسد الجوعة ويوارى العورة • وقال
بعضهم معنى فلياكل بالمعروف هو ان ياكل من ثمر نخيله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضا عليه
فاما الذهب والفضة اذا اخذ منه شيئا رد بدله • وقال الضحاك المعروف ركوب الدابة وخدمة الخادم

وليس له

وليس له ان ياكل من ماله شيئا • وعن ابن عباس ان رجلا جا اليه فقال له ان فى حجرى اموال اليتامى
افتاذن لى ان اصيب منها فقال ان كنت تبغى ضالتها وتهنا جرباها وتلوط حياضها فاشرب غير مضر
بالنسل ولا ناهك فى الحلب • وعن ابن عباس رواية اخرى ان معنى الاية فلياكل من مال نفسه بالمعروف
حتى لا يصيب من مال اليتيم شيئا • وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال لا ياكل من مال اليتيم قرضا ولا
غيره وهذا قول ابى حنيفة • وروى بشر عن ابى يوسف انه قال لا ياكل من مال اليتيم اذا كان مقيما فان
خرج فى تقاضى دين لليتيم او الضياع له فله ان ينفق ويكتسى ويركب فاذا رجع رد الثياب والدابة
الى اليتيم • وعن ابى يوسف رواية اخرى ان قوله فلياكل بالمعروف يجوز ان يكون منسوخا بقوله تعالى
ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم • فحاصل هذه الروايات ان الاصح
على مذهب ابى حنيفة واصحابه انه ليس للوصى ان ياكل من مال اليتيم قرضا ولا غيره الا ان يضطر الى شيء
منه فياخذ بالضرورة ثم يرده اذا وجد • وعن ابن عباس قال جا رجل الى النبى صلى الله عليه و
سلم فقال يا رسول الله ان فى حجرى يتيما فاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك قوله تعالى فاذا دفعتم
اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم اى اذا دفعتم اليهم اموالهم بعد بلوغهم وايناس الرشد منهم فاشهدوا
عليهم وثيقة لكم وكفى بالله حسيبا اى شهيدا ومجازيا فى الاخرة الا ان الاشهاد فيما بين الناس من احكام
الدنيا لضرب من المصلحة وانتصب حسيبا على القطع وكفى بالله الحسيب حسيبا قوله تعالى للرجال نصيب
مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وذلك ان العرب كانت لا تورث
الا من طاعن بالرماح وذاد عن المال وحاز الغنيمة فاعلم الله تعالى ان حق الميراث للرجال وللنساء •
قال ابن عباس توفى اوس بن ثابت الانصارى وترك ثلث بنات له وترك امراة يقال لها ام كحة وهى امهن
فقام رجلان من بنى عمه قتادة وعرفطة وكانا وصيين له فاخذا ماله ولم يعطيا امراته ولا بناته
شيئا من المال فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان اوس بن ثابت
توفى وترك ثلث بنات وليس عندى ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند قتادة
وعرفطة ولم يعطيانى ولا لبناته شيئا وهن فى حجرى لا يطعمن ولا يسقين ولا يرفع لهن راس • فقال

صلى الله عليه وسلم ارجعي الى بيتك حتى انظر ما يحدث الله فيهن فرجعت الى بيتها فانزل الله هذه الآية
ومعناها للرجال حظ مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء كذلك ايضا مما قل من المال او كثر نصيبا مفروضا اى
معلوما مقدرا فارسل النبي صلى الله عليه وسلم الى قتادة وعرفطة ان لا يقربا من مال اوس شيئا فان الله
تعالى قد انزل لبناته نصيبا ولم يبين كم هو حتى انظر كم يبين الله تعالى لهن فانزل الله بعد ذلك يوصيكم الله
في اولادكم الى قوله ذلك الفوز العظيم فارسل النبي صلى الله عليه وسلم الى قتادة وعرفطة ان ادفعا الى
امراته الثمن من جميع المال وادفعا اليها لبناتها الثلثين ولكما باقي المال وانتصب قوله نصيبا لخروجه مخرج المصدر
كقول القايل عندي حقا ولك معي درهم هبة قوله عز وجل وَاِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ اُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ
فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ اى اذا حضر قسمة المواريث ذوو قرابة الميت في الرحم الذين لا يورثون واليتامى المحتاجون والمساكين
فاعطوهم شيئا من المال قبل القسمة وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا اى عدوهم عدة حسنة • وقيل اعتذروا عند
قلة المال وقولوا لهم كنا نحب ان نكون اكثر من ذلك • وعن ابن عباس روايتان احداهما ان هذه الآية محكمة
غير منسوخة وهو قول عطاء ومجاهد والزهري وجماعة حتى روي عن عبيدة السلماني انه ذبح للاقرباء شاة
من اموال اليتامى واعطاهم وقال احب ان نكون ذلك من مالي لولا هذه الآية • وعن ابن سيرين انه فعل مثل
ذلك • وقال قتادة عن الحسن ليست منسوخة ولكن الناس شحوا وبخلوا وكان التابعون يعطون الاواني
الشيء الذي يستحيا من قسمته • والرواية الثانية ان هذه الآية منسوخة بآية المواريث وهو قول سعيد
بن المسيب والسدي وابي مالك وابي صالح والضحاك لانها لو كانت واجبة مع كثرة قسمة المواريث
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ومن بعدهم لنقل وجوب ذلك واستحقاقه لهؤلاء كما نقلت
المواريث للزوم الحاجة الى ذلك لكن يستحب ذلك في حق الورثة لحضور البالغين وحديث عبيدة السلماني
محمول على ان الورثة كانوا بالغين فذبح الشاة من جملة المال باذنهم قوله عز وجل وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا
مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ قال عامة المفسرين كان الرجل اذا حضره الموت يقول له من
يحضره عند وصيته انظر لنفسك فان اولادك وذريتك لا يغنون عنك شيئا قدم لنفسك
اعتق وتصدق اوص لفلان بكذا ولفلان بكذا فلا يزالون كذلك حتى يذهب عامة ماله ويبقى عياله

بغير شيء

بغير شيء فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم ان يتركوا اموالهم لورثتهم • روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه دخل على سعد بن ابي وقاص يزوره فقال سعد يا رسول الله انا ذو مال وليس لي الا بنت واحدة افاوصي
بالثلثين قال لا قال فبالشطر قال لا قال فبالثلث قال والثلث كثير انك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم
فقراء يتكففون الناس • وقال بعض المفسرين هذه الآية خطاب لمن يتصرف باموال اليتامى معناه وليخش الذين يخافون
الضياع على ذريتهم الضعاف من بعد موتهم فلا يفعلون في اموال اليتامى الا ما يحبون ان يفعل في اولادهم من بعد
موتهم • والقول السديد هو الذي لا خلل فيه من جهة الفساد ماخوذ من سد الخلة وهو العدل والصواب من
القول قوله عز وجل اِنَّ الَّذِينَ يَاْكُلُونَ اَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا اِنَّمَا يَاْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا نزلت في حنظلة بن الشمردل
كان ياكل مال يتيم في حجره ظلما ومعناها ان الذين ياكلون اموال اليتامى بغير حق انما ياكلون في بطونهم حراما و
سمي الحرام نارا لان الحرام يوجب النار فسماه باسمها على معنى ان اجوافهم تمتلي نارا في الآخرة • قال السدي
من اكل مال اليتيم ظلما يبعث يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه واذنيه وعينيه وانفه كل من رآه عرف
انه اكل مال اليتيم ظلما قوله تعالى وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا اى سيدخلون نارا في الآخرة ويلزمونها والصلي ملازمة
النار للاحتراق والانضاج • قراءة العامة وسيصلون بفتح الياء اى يدخلونها كقوله تعالى الا من هو
صال الجحيم وقوله تعالى لا يصليها الا الاشقى • وقرا ابو رجاء والحسن وابن عامر وابو بكر عن عاصم بضم الياء
على معنى وسيدخلون النار على ما لم يسم فاعله ونظيره سأصليه سقر وسوف نصليه نارا • وقرا احمد
بن قيس وسيصلّون بتشديد اللام من التصلية لكثرة الفعل اى مرة بعد مرة نظيره ثم الجحيم صلوه والكل صواب
يقال صليت الشيء اذا شويته • وفي الحديث اتي بشاة مصلية واصليته القيته في النار وصليته مرة
بعد مرة والسعير النار المسعورة اى الموقدة • قال صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي قوما لهم
مشافر كمشافر الابل احداهما قالصة على منخره والاخرى على بطنه وخزنة النار يلقمونهم جمر جهنم وصخرها
ثم يخرج من اسافلهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما قوله عز وجل يُوصِيكُمُ اللَّهُ
فِي اَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْاُنْثَيَيْنِ قال ابن عباس كان المال للبنين وكانت الوصية للوالدين والاقربين
الى ان نزلت هذه الآية فصار ذلك منسوخا بها ومعناها يعهد الله اليكم ويفرض عليكم في اولادكم

اذا متم للذكر الواحد من الاولاد مثل نصيب الانثيين في الميراث واسم الولد يتناول ولد من صلبه حقيقة
وولد ولده مجازا فاذا كان للميت ولد من صلبه وجب حمل اللفظ على الحقيقة وان لم يكن له ولد من صلبه حمل على
من كان من صلب بنيه مجازا • واما ولد البنات فلا يعد من ولده في النسبة والتعصيب ولكنهم من ذوي الارحام
قال الشاعر • بنونا بنو ابنائنا وبناتنا • بنوهن ابناء الرجال الاباعد • وعن هذا قال اصحابنا فيمن اوصى لولد
فلان ان ذلك لولده لصلبه فان لم يكن له ولد من صلبه فهو ولد ابنه ولا يدخل اولاد البنات في هذه
الوصية على اظهر الروايتين قوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين اي ان كان الاولاد نساء اكثر من اثنتين ليس
معهن ذكر فلهن ثلثا ما ترك من المال والباقي للعصبة وقوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف قراءة
العامة بالنصب على خبر كان • وقرا نافع وحده بالرفع على معناه ان وقعت واحدة فحينئذ لا خبر له
وقراءة النصب اجود وتقديره فان كانت المولودة واحدة • فان قيل لم اعطيتم البنتين الثلثين وفي الاية
ايجاب الثلثين لاكثر من الاثنتين • قيل في فحوى الاية دليل على ان فرض الاثنتين الثلثان لان في قوله
للذكر مثل حظ الانثيين فيقتضي ان للابنة الواحدة مع الابن الثلث فان كان لها معه الثلث كانت بان تاخذ
الثلث مع عدمه اولى فاحتجنا الى بيان حكم ما فوق الاثنتين فذلك نص على حكم ما فوقهما ويدل عليه انه
اذا كان للابن الثلثان وللابنة الثلث دل ان نصيب الاثنتين الثلثان بحال لان الله تعالى جعل للذكر
مثل حظ الانثيين • وجواب اخر ان الله تعالى جعل للاخت من الاب والام النصف في اخر هذه السورة
كما جعل للابنة النصف في هذه الاية وجعل للاختين هناك الثلثين فاعطينا للابنتين الثلثين قياسا
على الاختين في تلك الاية واعطينا جملة الاخوات الثلثين قياسا على البنات في هذه الاية قوله تعالى
ولابويه لكل واحد منهما السدس اي لابوي الميت كناية عن غير المذكور لكل واحد منهما السدس ان
كان له ولد او ولد ابن قوله تعالى فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث يعني ان لم يكن للميت ولد
ذكر ولا انثى ولا ولد ولد فلامه الثلث والباقي للاب • وروي عن ابن مسعود ان المولد يحجبون الام من الثلث
الى السدس وان لم يرثوا نحو ان يكونوا كفارا او مملوكين او قاتلين لان الله تعالى لم يفرق في الاية بين الولد
الكافر والمسلم فقال لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد • وقال عمر وعلي وزيد بن ثابت

للام الثلث وجعلوا الكافر والرقيق بمنزلة الميت وحملوا الاية على ولد يحوز الميراث • وقرا اهل الكوفة
الا عاصما وخلفا فلامه بكسر الهمزة استثقالا للضمة بعد كسرة • وقرا الباقون بالضم على الاصل قوله تعالى فان
كان له اخوة فلامه السدس ذكره بلفظ الجمع واقله ثلاثة ولا خلاف ان الحجب يقع بثلاثة من الاخوة والاخوات
وان ذلك لا يقع بالواحد ثم قال عامة الصحابة ان حكم الاثنين في هذا حكم الثلاثة كما في الاثنين والاختين
وعن ابن عباس انه كان لا يحجب الام عن الثلث الى السدس باقل من ثلاثة اخوة وهذا القول غير ماخوذ به
وروي عنه ايضا انه جعل للابنتين النصف كنصيب الواحدة بظاهر قوله تعالى فوق اثنتين ولم يقل
بهذا احد غيره فلا يعتد به • وروي ان جدة جاءت الى ابي بكر رضي الله عنه وطلبت ميراثها فقال ابو بكر رضي الله
عنه لا اجد لك في كتاب الله شيء فقام المغيرة بن شعبة وشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى
للجدة ام الام السدس فقال انت معك شاهد اخر فجاء محمد بن مسلمة وشهد بمثل شهادته فاعطاها ابو بكر
رضي الله عنه السدس قوله تعالى من بعد وصية يوصي بها او دين اي ان هذه القسمة بعد فضل المال على
الدين وبعد امضاء الوصية من الثلث لو كان الميت وصى بها • قرا ابن كثير وابن عامر يوصى بها بفتح الصاد • و
قرا الباقون بكسر الصاد • فان قيل كيف ذكر الله الوصية قبل الدين والدين مقدم على الوصية • قيل ان
كلمة او لا يوجب الترتيب ولكنها يوجب تاخير قسمة الميراث في هذه الاية عن احدهما اذا انفرد وعن كل واحد
منهما ان اجتمعا • وعن علي كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قضى بالدين قبل
الوصية وهذا شيء قد اجتمعت عليه الامة حتى روي ان ابن عباس انه قيل له ما لنا نقدم افعال العمرة
على افعال الحج وقد قال الله تعالى واتموا الحج والعمرة لله فقال كما تقدمون الدين على الوصية وقد قال الله
تعالى من بعد وصية يوصي بها او دين قوله تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا معناه
ان المذكورين في الاية اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا في الدنيا ولا في الاخرة • اما في الدنيا
فقد يكون الولد اكثر نفعا لوالده وقد يكون الوالد اكثر نفعا لولده • واما في الاخرة فان كان الاب ارفع
درجة في الجنة سال الله تعالى ان يرفع ابنه اليه فيرفع • وان كان الابن ارفع سال الله ان يرفع اباه اليه
وفي هذا جواب طعن الملحدين عن قولهم هلا كان الرجال اولى بالميراث لكونهم قوامين على النساء • وعن

جواب آخر بينهم لو جاز تفضيل الذكر على الانثى في قسمة الميراث والانثى أولى بالزيادة بعجزها عن التصرف فبين الله
تعالى انه فرض الفرايض على ما هو عنده حكمة ومصلحة لهم ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع فوضعتم الاموال
في غير حكمة • وقيل لا يدري احدكم اهو اقرب وفاة فينتفع ولده بماله ام الولد اقرب وفاة فينتفع والده بماله
قوله تعالى فريضة من الله نصب على الحال والتوكيد من قوله يوصيكم وقيل مصدر وقوله تعالى ان الله كان
عليما حكيما اي لم يزل عالما بالمواريث وغيرها حكيما حين بين قسمة المواريث على الحكمة • وعن الحسن ان معناه كان
الله عالما بالاشيا قبل خلقها حكيما فيما يقدر منه بين فيها قوله عز وجل فلكم نصف ما ترك ازواجكم
ان لم يكن لهن ولد اي لكم يا معشر الرجال نصف ما ترك نساؤكم ان لم يكن لهن ولد ذكر او انثى منكم او من غيركم
او ولد ولد • فان كان لهن ولد ذكر او انثى منكم او من غيركم او ولد ولد • فلكم الربع مما تركن من المال من بعد
وصية يوصين بها او دين اي من بعد قضا دين عليهن او امضا وصية اوصين بها من الثلث قوله تعالى
ولهن الربع مما تركتم اي مما تركتم ايها الازواج من المال ان لم يكن لكم ولد ذكر او انثى او ولد ابن منهن او من غيرهن
فان كان لكم ذلك فلهن الثمن مما تركتم من بعد قضا دين عليكم او امضا وصية اوصيتم بها من الثلث قوله عز
وجل وان كان رجل يورث كلالة او امراة وله اخ او اخت الاية نظم الاية وان كان رجل وامراة
يورث كلالة وهو نصب على المصدر • وقيل على الحال • وقيل على خبر ما لم يسم فاعله تقديره وان كان
رجل يورث ماله كلالة • وقرا الحسن يورث بكسر الرا جعل الفعل له • واختلفوا في الكلالة قال ابن عباس
هو من لا ولد له ولا والد • وعن ابي بكر وعمر وجابر وقتادة والزهري الكلالة اسم لما عدا الوالد والولد
وقال الشعبي سمعت ان ابا بكر رضي الله عنه قال في الكلالة اقضي فيها فان كان صوابا فمن الله تعالى وان
يكن خطا فمني ومن الشيطان والله بري منه هو ما دون الوالد والولد نقول كل وارث دونهما كلالة
قال فلما كان عمر بعده قال اني استحيي من الله ان اخالف ابا بكر هو ما خلا الوالد • والولد • وقال طاووس
هو ما دون الولد • وقال الحكم هو ما دون الاب قوله تعالى وله اخ او اخت انما لم يقل ولهما لان من
عادة العرب ان الرجل والمراة ربما اضافت اليهما وربما اضافت الى احدهما وكلاهما جائز ومعنى وله اخ
او اخت من ام وفي قراءة ابي وسعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام فلكل واحد منهما السدس مما ترك

معناه صح

الميت

الميت من المال قوله تعالى وان كانوا اكثر من ذلك اي اكثر من واحد فهم كلهم سوا في الثلث لا يفضل
الذكر على الانثى قوله تعالى من بعد وصية يوصي بها او دين قد تقدم قوله تعالى غير مضار نصب
على الحال اي يوصي بها الميت غير مضار في حال وصيته بان يزيد على الثلث ويفضل بعض الورثة على بعض •
قال صلى الله عليه وسلم ان الله قد اعطا كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث الا ان يجيزها الورثة
قوله تعالى وصية من الله نصب على المصدر والله عليم بما دبر من هذه الفرايض حليم على من عصاه
بان اخره • وقبل توبته قوله عز وجل تلك حدود الله اي هذه فرايض الله التي امركم بها في المواريث
واموال اليتامى والحدود هي الامكنة التي لا ينبغي ان يتجاوز قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله اي من
يقيم حدود الله وحدود رسوله في امر الميراث وغيره ندخله جنات تجري من تحتها الانهار قرا ندخله
بالنون في الموضعين والباقي بالياء اقرب من لفظ الاية قوله تعالى خالدين فيها نصب على الحال اي ندخلهم مقدرين
للخلود فيها ذلك الفوز العظيم اي النجاة الوافر فازوا بها في الجنة قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله
في قسمة المواريث فلم يقسمها لان المنافقين كانوا لا يفرقون للنساء والصبيان الصغار من قسمة الميراث بشي
وقوله تعالى يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ظاهر المعنى قوله عز وجل واللاتي ياتين الفاحشة
من نسائكم اي اللاتي يزنين من حرايركم الثيبات المحصنات فاطلبوا عليهن اربعة من الشهود من احراركم
المسلمين العدول فان شهدوا عليهن بالزنا فاحبسوهن في البيوت وهي السجون بيوت معروفة في المدينة
حتى يتوفاهن الموت بالحبس او يجعل الله لهن سبيلا اي مخرجا من الحبس قبل الموت وانما كان هذا
قبل نزول الحدود كانت المراة في اول الاسلام اذا زنت حبست في البيت حتى تموت وان كان لها زوج
كان مهرها له حتى نزل قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة • فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب جلد مائة والرجم
والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام فنسخت تلك الاية بعض هذه الاية وهو الامساك في البيوت
وبقي بعضها محكما وهو الاشهاد وكان في هذا النسخ نسخ القرآن بالسنة ثم نسخ التغريب في البكر
عندنا بقوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة لان ظاهر تلك الاية

يقتضي ان الجلد بيان بجميع الحكم المتعلق بالزنا اذ لو لم يجعل ذلك كذلك لكان قصورا في البيان في مواضع الحاجة
ونسخ جلد الزاني المحصن الثيب بحديث ماعز ان النبي صلى الله عليه وسلم رجمه ولم يجلده • وعن عمر
رضي الله عنه انه قال لولا ان الناس يقولون زاد عمر في كتاب الله لكتبت في حاشية المصحف الشيخ والشيخة
اذا زنيا فارجموهما نكالا من الله ويتوب الله على من تاب • وقال الشافعي رحمه الله جلد الثيب المحصن
منسوخ وتغريب البكر غير منسوخ وعند داود ومن تابعه من اصحاب الظواهر ليس شيء منهما منسوخا قوله
تعالى **واللذان يأتيانها منكم فآذوهما** يعني الرجل والمرأة الا ان المذكر والمؤنث اذا اجتمعا غلب المذكر
والهاء راجعة الى الفاحشة • قال المفسرون هما البكران يزنيان فآذوهما باللسان والتعيير فقولا لهما زنيتما
فجرتما انتهكتما حرمات الله • وقيل يعني بهما اللذين لم يحصنا • وقال عطاء وقتادة معنى فآذوهما اي
عنفوهما باللسان اما خفتما الله اما استحييتما منه • وقال ابن عباس رضي اراد بالاذى الضرب بالنعال والايدي
وقوله تعالى **فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما** اي فان تابا عن الزنا واصلحا العمل بعد التوبة فاعرضوا
عنهما لا تسبوهما ولا تعيروهما • وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلين اختصما الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال احدهما اقض بيننا بكتاب الله وقال الآخر اجل يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله
واذن لي ان تكلم قال تكلم فقال ان ابني كان عسيفا على هذا اي اجيرا فزنا بامرأته فاخبروني ان على ابني
الرجم فافتديته بمائة شاة وجارية ثم سألت اهل العلم فاخبروني ان على ابني جلد مائة وتغريب عام
وانما الرجم على امرأته • فقال صلى الله عليه وسلم اما والذي نفسي بيده لاقضين بينكما بكتاب الله
اما غنمك وجاريتك فرد عليك وجلد ابنه مائة وغربه عاما وامر انيسا الاسلمي ان يأتي امرأة
الرجل فان اعترفت رجمها فاعترفت فرجمها قوله تعالى **ان الله كان توابا رحيما** اي لم يزل متجاوزا عن الناس
رحيما بهم بعد التوبة قوله عز وجل **انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب**
معناه انما التجاوز من الله للذين يعملون المعصية بجهالة ثم يتوبون من قبل ان ينزل بهم سلطان
الموت لا في وقت المعاينة **فاولئك يتوب** الله توبتهم **وكان الله عليما** باهل التوبة **حكيما** حكم بقبول
التوبة • قيل ان على في قوله على الله بمعنى عند اي انما التوبة عند الله • وقيل بمعنى من اي من الله • واختلفوا

في قوله بجهالة • قال مجاهد والضحاك الجهالة العمد • وقال الكلبي لم يجهل انه ذنب ولكنه جهل عقوبته • وقال
سائر المفسرين يعني المعاصي كلها فكل من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته • وقال قتادة اجمع الصحابة
ان كل من عصى ربه فهو جاهل عمدا كان او خطاء • وقال الزجاج معنى قوله بجهالة اختيارهم اللذة الفانية
على اللذة الباقية قوله تعالى **ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم** اي ثم يتوبون قبل معاينة اسباب
الموت سمي ذلك قريبا لان كل ما هو آت قريب لان المرء لا يأمنه في كل وقت وساعة وكل ما يكون هذا صفته
فهو موصوف بالقرب • قال صلى الله عليه وسلم من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه ثم قال ان السنة
لكثير من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ثم قال ان الشهر لكثير من تاب قبل موته بجمعة تاب الله عليه ثم

ثم قال صح

قال ان الجمعة لكثير من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ثم قال ان اليوم لكثير من تاب قبل موته بساعة تاب
الله عليه ثم قال ان الساعة لكثير من تاب قبل ان يغرغر بنفسه تاب الله عليه • وقال الكلبي قوله من قريب
القريب ما دام في الصحة قبل المرض والموت • وقال عكرمة ما قبل الموت قريب • وقال الضحاك قبل معاينة
الموت • وقال ابو موسى الاشعري هو ان يتوب قبل موته بفواق ناقة قوله تعالى **وليست التوبة للذين
يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار** اي وليس
قبول التوبة للذين يعملون المعاصي مقيمين عليها حتى اذا عاين احدهم اسباب الموت السوق والنزع
ومعاينة الموت قال اني تبت الآن ولا على الذين يموتون على الكفر **اولئك** هيأنا لهم **عذابا** مؤلما وهو
النار التي مصيرهم اليها • وذهب الربيع الى ان المراد بالذين يعملون السيئات المنافقون ثم عطف الكافرين المجاهرين
بالكفر على المنافقين وحاصل هذه الآية ان من وقع في النزع وقال اني تبت الآن فحينئذ لا يقبل من كافر ايمانه
ولا من عاص توبته وقوله ولا الذين يموتون موضع خفض قوله تعالى عز وجل **يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم
ان ترثوا النساء كرها** الآية قال ابن عباس رضي كانوا في الجاهلية واول الاسلام اذا مات رجل وله امرأة جاء
ابنه من غيرها او قريبه من عصبته الذي يرثه فالقى ثوبه على تلك المرأة فورث نكاحها بالصداق الاول
يقول انا ولي زوجك فورثتك فان كانت جميلة امسكها ودخل بها وان لم تكن جميلة طول عليها
لتفتدي بنفسها منه بما ورثت من الميت او تموت فيرثها فان ذهبت الى اهلها قبل ان يلقي عليها ثوبه فهي

احق بنفسها فكانوا يفعلون ذلك حتى توفي ابو قيس بن الاسلت وترك امراته كبشه بنت معن الانصارية
فقام له ابن من غيرها يقال له حصن بن ابي قيس فطرح ثوبه عليها فولي نكاحها ثم تركها ولم يقربها ولم ينفق عليها
فضارها بذلك لتفتدي منه بمالها فاتت كبشه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
ان ابا قيس توفي وورث ابنه نكاحي وقد اضرني وطول علي فلا هو ينفق علي ولا هو يخلي سبيلي • فقال صلى
الله عليه وسلم اقعدي في بيتك حتى ياتيني فيك امر الله فانصرفت وسمع بذلك نسا المدينه فاتين رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلن يا رسول الله ما نحن الا كهيئة كبشه فانزل الله هذه الاية ومعناها
يا ايها الذين اتقوا وصدقوا لا يحل لكم ان ترثوا النسا حرثا ولا تعضلوهن اي لا تمنعوهن تخلية سبيلهن
حتى يفتدين ببعض ما اتيتموهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة فحينئذ يحل لكم ضرارهن ليفتدين منكم وهو انها
اذا زنت المراة جاز لزوجها ان يسالها الخلع • قال عطا كان الرجل اذا زنت امراته اخذ منها ما ساق اليها
واخرجها فنسخ الله ذلك بالحدود • وقال قتادة والضحاك الفاحشة النشوز يعني اذا نشزت المراة
حل لزوجها ان ياخذ منها الفدية وقوله تعالى مبينة بخفض اليا اي مبينة حنثها • قرا حمزة والكسائي
وخلف والاعمش كرها بضم الكاف هنا وفي التوبة • وقرا الباقون بالفتح وهما لغتان • وعن الضحاك
ان هذه الاية نزلت في الرجل يكون في حجره يتيمة فيكره ان يزوجها لمالها فيتزوجها لاجل مالها او
يكون تحته عجوز ونفسه تتوق الى الشابه فيكره فراق العجوز ويتوقع موتها ليرثها وهو يعتزل فراشها
قوله تعالى وعاشروهن بالمعروف امر للازواج بعشرة نسائهم بالجميل وهو ان يوفيها حقها من المهر
والنفقه والمبيت وترك اذاها بالكلام الغليظ والاعراض عنها والعبوس في وجهها بغير ذنب وقوله تعالى
فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فيه بيان ان الخيرة ربما كانت للعبد
في الصبر على ما يكرهه يقول لعلكم ايها الازواج ان تكرهوا صحبتهن ويجعل الله في ذلك خيرا كثيرا
بان يرزقكم منهن الولد فيظهر بعد ذلك الالفة والموافقة وتنقلب الكراهة صحبة والنفور ميلا •
وقيل يعني بالخير الكثير ما يحصل له من الثواب في الاخرة في الانفاق عليها • وقيل معناه عسى الله ان يقضي
بالفراق على وجه يجمل فتستبدل به المراة من هو خير لها منه ويستبدل هو بها من هي خير له منها • وعن

على صح

رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الله في النسا فانهن عوانات عندكم اخذتموهن بامانة الله
واستحللتم فروجهن بكلمة الله لكم عليهن ان لا يوطين فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن فاضربوهن ضربا غير
مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف • وقال صلى الله عليه وسلم ابغض الحلال الى الله تعالى
الطلاق • وقال صلى الله عليه وسلم تزوجوا ولا تطلقوا فان الله لا يحب الذواقين والذواقات
قوله عز وجل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الاية اي ان اردتم تخلية المراة ولم يكن من قبلها
نشوز واتيان فاحشه واتيتم احداهن قنطارا اي مالا عظيما وقد تقدم تفسير القنطار فلا تاخذوا منه
شيئا اي مما اعطيتموها اتاخذونه بهتانا اي ظلما وذنبا ظاهرا والبهتان هو الباطل الذي تتحير من بطلانه ومن
ذلك سمي الكذب العظيم لانه يباهت به مخبره ويتحير المكذوب عليه لعظمه • واصل البهت التحير قال الله
تعالى فبهت الذي كفر اي تحير لانقطاع حجته وانما سمى الله تعالى اخذ المهر بغير حق بالبهتان لان الزوج
لما استعمل المكر والخداع في اخذ ما اعطاها صار في الوزر بمنزلة من يكذب ويوهم ان الذي قاله
حق قوله عز وجل وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا اي كيف تستحلون
اخذ شي منه وقد وصل بعضكم الى بعض • قال ابن عباس الافضا كناية عن الجماع • وقال جماعة من
اهل التفسير اذا كانا معها في لحاف واحد جامعها او لم يجامعها فقد وجب المهر • وعن زرارة بن اوفى
انه قال قضى الخلفا الراشدون المهديون انه من اغلق على امراة بابا او ارخى سترا وكشف خمارا فقد وجب
المهر والعدة • وذكر الفرا ان الافضا هو الخلوة وان لم يقع دخول كانه ذهب الى ان الافضا ماخوذ
من الفضا وهو المكان المتسع الذي ليس فيه بنا ولا حاجز عن ادراك ما فيه فسميت الخلوة فضا لوصول
الزوج الى جميع ما يقصده من الوطي والدخول في موضع لا مانع فيه من ذلك قوله تعالى واخذن منكم
ميثاقا غليظا اي عهدا ووثيقا وهو ذكر المهر في النكاح • وقيل هو ما اشترط الله تعالى للنسا على الرجال
من امساك بمعروف وتسريح باحسان • وقال الشعبي وعكرمة والربيع هو قول النبي صلى الله عليه
وسلم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فصل فيما ورد من الاخبار في الرخصة
في مغالاة المهور • قال عطا خطب عمر الى علي كرم الله وجهه ابنته ام كلثوم وهي من فاطمه بنت

ان صح

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي رضي الله عنه انها صغيرة فقال عمر اني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان كل نسب وصهر ينقطع يوم القيمة الا نسبي وصهري فلذلك رغبت
في هذا فقال علي كرم الله وجهه فاني مرسلها اليك حتى تنظر الى صغرها فارسلها اليه فجائته فقالت
ان ابي يقول لك هل رضيت هذه الحلة فقال قد رضيتها فانكحه علي فاصدقها عمر اربعين الف درهم •
وعن نافع بن عمر رضي الله عنه انه كان تزوج المراة من بناته على عشرة الاف درهم • وتزوج ابن عباس
رضي الله عنه امراة على عشرة الاف درهم • فصل في قلة المهر • وروي عن عمر رضي الله عنه انه خطب
الناس فحمد الله تعالى واثنى عليه • وقال الا لا تغالوا في صداق النسا فانها لو كانت مكرمة في الدنيا او
تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصدق رسول الله صلى الله عليه
وسلم امراة من نسائه ولا امراة من بناته فوق اثني عشرة اوقيه • وعن عايشه رضي الله عنها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يمن المراة ان تيسير صداقها وان تيسر رحمها • وعن ابي هريرة
قال كان صداقنا مذ كان فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر اواق ربعمايه درهم • وعن
ابي سعيد الخذري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ام سلمه على عشرة دراهم • قوله عز وجل
ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف روي انهم كانوا بعد قوله يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم
ان ترثوا النسا كرها اذا رضيت المراة امسكها ولي الميت برضاها على حكم النكاح فاذا سخطت تركها
فحرم الله ذلك عليهم بهذه الاية ومعناها لا تتزوجوا ما تزوج اباؤكم من النساء ويقال لا تطأوا ما
وطى اباؤكم واسم النكاح يقع على العقد والوطي جميعا • وقوله تعالى الا ما قد سلف معناه الا ما
قد سلف في الجاهليه من نكاح منكوحة الاب كان ذلك مغفورا لكم لا تواخذون به • وقال
قطرب هو استثنا منقطع تقديره لكن ما قد سلف فدعوه واجتنبوه قوله تعالى انه كان فاحشة
ومقتا وساء سبيلا يعني ان نكاح امراة الاب كان فاحشة فيما سلف لانهم كانوا يسمونه في الجاهلية
نكاح المقت وكان المولود يقال له المقتي فاعلمهم الله تعالى ان هذا الذي حرم الله عليهم لم يزل منكرا
في قلوبهم ممقوتا عندهم والمقت هو البغض على امر قبيح ركبه صاحبه • وقيل المقت هو اشد البغض

والفاحشة

والفاحشة اسم لما يرتفع ذكر قبحه فيما بين الناس • وقوله تعالى وساء سبيلا اي نكاح امراة الاب طريق
سوء لانه يؤدي الى جهنم وسبيلا نصب على التمييز قوله عز وجل حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم
وعماتكم وخالاتكم الاية • قال ابن عباس حرم الله تعالى من النسا اربعة عشر صنفا سبعة بالنسب وسبعة بالسبب
وتلى هذه الاية ثم قال والسابعة في قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء • والجدات وان بعدن
محرمات لان اسم الامهات يشملهن كما ان اسم الاباء يتناول الاجداد وان بعدوا • واسم البنات يتناول
بنات الاولاد وان سلفن وقوله تعالى واخواتكم يشمل الاخوات من الاب والام ومن الاب ومن الام قوله تعالى
وعماتكم وخالاتكم يتناول عمات الاب والام وخالات الام والاب قوله تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم
واخواتكم من الرضاعة قال صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب • وقال صلى
الله عليه وسلم لا تحرم الجرعة والجرعتان انما تحرم الحولان الكاملان • وعن عايشه رضي الله عنها ان
افلح اخا ابي قعيس جا يستاذن عليها بعد نزول اية الحجاب وكان عمها من الرضاعة قالت فابيت ان
اذن له حتى اخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال ليلج عليك فانه عمك فقالت انما ارضعتني المراة
ولم يرضعني الرجل • فقال صلى الله عليه وسلم ليلج عليك فانه عمك وكان ابا قعيس زوج المراة التي
ارضعت عاشه رضي الله عنها قوله عز وجل وامهات نسائكم قال ابن عباس وعطا وسعيد بن
جبير ان ام المراة مبهمة يحرم على زوج ابنتها بنفس العقد قوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم
من نسائكم اللاتي دخلتم بهن لا خلاف بين اهل العلم ان كونها في حجره لا تكون شرطا في تحريمها
وانما ذكره الله تعالى على عادة الناس ان الربيبة تكون في حجر زوج الام فخرج الكلام على وفق العادة
دون الشرط وهذا كقوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد ومعلوم ان المعتكف لا يحل له
الجماع وان كان قد خرج من المسجد لحاجة الا ان الغالب من حال العاكف ان يكون في المسجد فقرنه بذكر
المسجد • واما قوله تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فمن الناس من رد هذا الشرط على قوله من نسائكم
وعلى قوله وامهات نسائكم فشرط الدخول بالنسا في المسئلتين في ثبوت التحريم المذكور في الاية على
معنى ان الله عطف حكما على حكم وعقبها بشرط الدخول بقوله اللاتي دخلتم بهن وهو قول بشر بن

عنا ث الا ان هذا لا يصح لان قوله وامهات نسائكم جملة مستقلة بنفسها وقوله تعالى وربائبكم بما فيه من شرط
الدخول جملة اخرى مستقلة بنفسها فلم يجز بنا احدى الجملتين على الاخرى ولو جعلنا شرط الدخول راجعا الى
الاول لحصل عموم اللفظ الاول بالشك قوله تعالى **فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم** اى فان لم تكونوا
دخلتم بنسائكم فلا حرج عليكم فى تزويج الربائب اذا طلقتم امهاتهن قبل الدخول او ماتت امهاتهن قبل دخول
الزوج بهن قوله عز وجل **وحلائل ابنائكم** اى ونكاح نساء ابنائكم **الذين من اصلابكم** وانما سميت امراة الابن
حليلة لانها تحل معه فى الفراش • وقيل لانها حلال له واما امة الابن فلا تسمى حليلة له ولا تحرم على الاب ما لم
يطأها الابن قوله تعالى من اصلابكم ليس هو على ما ظن بعض الناس ان من شرط الصلب فى هذه الاية اخرج امراة
الابن فى الرضاع من التحريم بل امراة الابن فى الرضاع بمنزلة امراة الابن من الصلب فى الحرمة وانما شرط الله تعالى
كون الابن من صلبه لاخراج امراة الابن من التبنى عن التحريم فان النبى صلى الله عليه وسلم لما تزوج امراة
زيد بن حارثة بعد ما فارقها زيد تكلم فيه المشركون وقالوا ان محمدا تبنى هذا ثم تزوج امراته و
كانوا يجعلون المتبنى بمنزلة ابن الصلب فى الميراث والحرمة فانزل الله هذه الاية وقوله تعالى ادعوهم
لابائهم قوله عز وجل **وان تجمعوا بين الاختين** فى موضع رفع ومعناه وحرم عليكم ان تجمعوا بين الاختين
وصورة الجمع ان يتزوج اختين معا او فى عقدين لا يدرى ايتهما كانت هى الاولى • واما اذا تزوج
امراة ثم تزوج بعد ذلك اختها وهو يعلم الثانية فنكاح الثانية حرام دون الاولى لان الجمع حصل
بالثانية • ويحرم عليه ايضا ان يجمع بين وطى الاختين بملك اليمين • ويحرم عليه ايضا ان يتزوج احداهما
والاخرى معتدة منه فى طلاق باين او رجعى قوله تعالى **الا ما قد سلف** الا ما مضى فى الجاهلية فانه
مغفور لكم اذا تبتم عنه وقوله تعالى **ان الله كان غفورا رحيما** اى لا يواخذكم بما كان منكم قبل التحريم
قوله عز وجل **والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم** هذه الاية عطف على ما تقدم اى وحرم عليكم
المحصنات وهن ذوات الازواج اللاتى احصن بالازواج الا ما ملكت ايمانكم اى الا ما افاء الله عليكم من
السبايا • وروى عن ابى سعيد الخدرى ان المسلمين اصابوا يوم اوطاس سبايا لهن ازواج من المشركين فاثم
المسلمون من وطيهن وقالوا لهن ازواج فى دار الحرب فانزل الله هذه الاية فنادى منادى رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم الا لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا الحيالى حتى تستبرئن بحيضة • وذهب بعض الصحابة وهو
ابى بن كعب وانس وجابر رضى الله عنهم ان الامة اذا خرجت من ملك مولاها الى ملك رجل خرجت على
زوجها باى سبب خرجت حتى روى عن ابن عباس انه قال طلاق الامة ست طلاقها وبيعها وهبتها وميراثها و
سبيها وصدقتها وانكر ذلك على وعمر وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم وقالوا انما نزلت هذه الاية فى
السبايا خاصة بدليل ما روى ان عايشة اشترت بريرة واعتقتها فخيرها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان زوجها عبدا اسود يسمى مغيثا قوله عز وجل **كتاب الله عليكم** نصب على المصدر اى كتب الله
عليكم كتاب الله • وقيل نصب على الاغراء اى الزموا كتاب الله واتبعوا كتاب الله قوله تعالى **واحل لكم ما وراء
ذلكم** قرا اهل الكوفة واحل على ما لم يسم فاعله نسقا على قوله حرمت • وقرا الباقون بالفتح على انه قد
ذكر الله بقوله كتاب الله والمعنى واحل لكم نكاح ما سوى ذكرت لكم من المحرمات وقوله تعالى **ان
تبتغوا باموالكم** بدل من ما فمن رفع احل فموضعها رفع ومن نصب فموضعها نصب • وقال الكسائى موضعه
نصب فى القراءتين بنزع الخافض يعنى لان تبتغوا باموالكم اى تطلبوا باموالكم اما بنكاح او ملك يمين محصنين
اى ناكحين اعفاء غير زناة واصله من سفح المذى والمنى وفى هذا دليل ان بدل البضع لا يجوز الا ان يكون
مالا او ما يستحق به تسليم مال ولهذا قال اصحابنا ان تعليم القران لا يجوز ان يكون صداقا وكذلك
خدمة الزوج لا يكون صداقا عند ابى حنيفة وابى يوسف • واصل الاحصان فى اللغة ما يمنع ومنه
سمى الحصن حصنا لانه يمنع من العدو ومنه الدرع الحصينة اى المنيعة والحصان بكسر الحاء الفحل من الخيل
لمنعه راكبه من الهلاك والحصان بفتح الحاء العفيفة من النساء لمنعها فرجها من الفساد قال حسان فى عايشة
حصان رزان ما تزن بريبة • وتصبح غرثى من لحوم الغوافل • والاحصان فى القران يقع على معان مختلفة
منها النكاح كما فى اول هذه الاية ومنها الحرية كما فى قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم ومنها الاسلام كما فى قوله تعالى فاذا احصن فان اتين بفاحشة اى اذا اسلمن ومنها العفة
كما فى قوله تعالى والذين يرمون المحصنات قوله عز وجل **فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن** اختلفوا
فى معنى ذلك • قال الحسن ومجاهد يعنى فما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح الصحيح فاتوهن

مهورهن وهو قول ابن عباس وعطا وسعيد بن جبير • وقال آخرون هو نكاح المتعة وهي رواية عن ابن
عباس انه سئل عن المتعة أسفاح أم نكاح • فقال لا سفاح ولا نكاح • قيل فما هي • قال المتعة كما
قال الله تعالى • قيل له هل لها من عدة قال نعم حيضة • قيل هل يتوارثان • قال لا • ثم روي عنه لانه رجع
عن القول بالمتعة • وقال عند موته اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعه وقولي من الصرف في درهم
بدرهمين يدا بيد • وعن عمر رضي الله عنه انه خطب حين ولي فقال ايها الناس ان الله تعالى احل لنا
المتعه ثلثا ثم حرمها وانا اقسم بالله تعالى لا احد من ينكح الا رجمته • وعنه ايضا انه قال لا اوتي برجل
تزوج امرأة الى اجل الا رجمته بالحجارة • وعن ابن مسعود ان المتعه كانت رخصة لاصحاب محمد صلى
الله عليه في غزاة شكوا فيها العزبة ثم نسخها اية النكاح وقد اجمع ساير الفقها والعلما من الصحابة و
التابعين والسلف الصالحين على ان هذه الاية منسوخة ومتعه النسا حرام • روى الربيع عن سبرة الجهني
عن ابيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فشكونا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم العزبه فاذا هو يقول يا ايها الناس ان الله سبحانه حرم ذلك الى يوم القيمة • وقال بعضهم سالت
الحسن عن نكاح المتعه فقال انما كان ثلثه ايام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهى عنه
قوله تعالى فاتوهن اجورهن فريضة اي مهورهن سمي المهر اجرا لانه ثمن البضع او لانه بدل عن المنافع
كما يسمى بدل منفعه الدار والدابة اجرا وقوله تعالى فريضه اي اعطوهن اجورهن فريضة من الله
لهن عليكم والفرض ما يكون في اعلى مراتب الايجاب عن الله تعالى وهذا لا يجوز اسقاط المهر في ابتدا العقد
قوله تعالى ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة اي لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من الزيادة
والنقصان في المهر من بعد الفريضة في ابتدا النكاح قوله تعالى ان الله كان عليما حكيما اي عليما بما يصلح
امر العباد حكيم فيما امركم به ونهاكم عنه قوله عز وجل ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات
المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات قال ابن عباس وابن جبير وقتادة ومجاهد الطول
الغنا والسعة اي ومن لم يستطع منكم غنا وقدرة ولم يجد ما لا يتزوج به الحراير فليتزوج بعضكم من
اما بعض • وقال جابر بن زيد وربيعه والنخعي الطول الهوى اي من لم يقدر منكم على نكاح الحراير

هوى

هوى وعشقا بامة من الاما لا يتسع قلبه لنكاح الحرة فليتزوج بالامة التي تهواها من الاما المؤمنات • قرا
الكسائي المحصنات بكسر الصاد في كل القران الا الاول وهو قوله والمحصنات من النساء قوله عز وجل
والله اعلم بايمانكم اي بحقيقة الايمان وانتم تعرفون الظواهر وليس عليكم ان تبحثوا عن البواطن قوله
تعالى بعضكم من بعض اي في الدين وقيل في النسب اي كلكم ولد ادم عليه السلام وانما قال ذلك لان العرب
كانت تطعن في الانساب وتفخر في الاحساب وتعير بالهجنه يسمى ابن الامة الهجين فاعلم الله ان الامة في جواز
نكاحها كالحرة بذلك قوله تعالى فانكحوهن باذن اهلهن اي انكحوا الاما باذن مواليهن واعطوهم
مهورهن يعني باذن اهلهن وقوله تعالى وقوله تعالى بالمعروف اي مهرا غير مهر البغي وهو ان يكون
عشرة دراهم فما فوقها قوله محصنات غير مسافحات اي عفايف غير زواني معلنات بالزنا ولا متخذات
اخدان اي اخلا في السر وذلك لان اهل الجاهلية كان فيهم زواني بالعلانيه لهن رايات تضرب به
وبعضهن تتخذن اخدانا في السر • حتى قال ابن عباس كان فيهم من يحرم ما ظهر من الزنا ويستحل ما
خفي منه فنهى الله تعالى عن نكاح الفريقين جميعا قوله تعالى فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن
نصف ما على المحصنات من العذاب معناه ان الاماء اذا اسلمن وتزوجن • ومن قرا احصن بضم الهمزة
فمعناه اذا زوجن واحصن بالازواج فان اتين بفاحشه يعني الزنا فعليهن نصف حد الحراير
خمسون جلدة والمراد بهذه الاية نصف الجلد لان الرجم لا نصف له • وذهب عامة الفقها الى ان الاسلام
والتزوج لا يكونا شرطا في وجوب الجلد على الامة فانها وان لم تكن محصنه بالاسلام والتزويج اقيم
عليها نصف حد الحرة اذا زنت فلم تحصن • واستدلوا بما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه سئل عن الامة اذا زنت ولم تحصن • فقال صلى الله عليه وسلم ان زنت فاجلدوها
ثم ان زنت فاجلدوها ثم ان زنت فبيعوها قوله تعالى ذلك لمن خشي العنت منكم اي تزويج الاما
والرضا بنكاحهن عند عدم طول الحرة لمن خشي الزنا منكم • وقيل لمن خشي الضرر في الدين والدنيا
وان تصبروا عن نكاح الاما خير لكم وانما قال ذلك لان ولد الامة يكون رقيقا لمولى الامة ولكن
استخدام الامه في الحاجات وبين ايدي الرجال الاجانب قوله تعالى والله غفور رحيم اي غفور لما

ثم ان زنت فاجلدوها

اصبتم من الحرمات يغفرها لكم بعد التوبة رحيم لا يعجل بالعقوبة على المذنبين • فان قيل ما فائدة شرط
الاحصان في قوله تعالى فاذا احصن والامة تحد حد الزنا سوا كانت محصنة بالاسلام والزوج او لا
قيل فائدة ذكر احصان الاماء في الاية ان حد الحرة تختلف بالاحصان وعدم الاحصان فكان يجوز
ان يتوهم متوهم ان حد الامة تختلف ايضا بالاحصان بالاسلام والزوج كما تختلف حد الحرة بذلك
فاوجب الله تعالى ذلك الحد بالجلد في الحالة التي تجب فيها الرجم على الحرة ليعلم ان الاما لا مدخل لهن في
الرجم وقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات الفتاة في اللغة الشابة الا ان الامة تسمى فتاة عجوزا كانت او
شابة لانها لا توقر توقير الحرة الكبيرة والاخدان جمع الخدن والخدين وهو الصديق والعنت في اللغة المشقة
وسمي الزنا به لان فاعله يلقى الاثم العظيم في الاخرة ويقام عليه الحد في الدنيا • وقد تعلق اصحاب الشافعي
بظاهر هذه الاية فقالوا اذا كان عند الرجل من المال ما يمكنه ان يتزوج به الحرة لا يجوز له ان يتزوج الامة
قالوا ولا يجوز ان يتزوج الامة اليهودية ولا النصرانية ولا يجوز ان يتزوج اكثر من امة واحدة قالوا
ويجوز للعبد ان يتزوج امة على حرة لان هذه الاية خطاب للاحرار قال الله تعالى فمما ملكت ايمانكم
وليست هذه الاية عند اصحابنا على طريق الشرط ولكن معناها من لم يبسط الله له في الرزق فليرض بما قسم الله
له وليعقد دون النكاحين ان لم يقدر على اعلاهما وقوله من فتياتكم المؤمنات بيان ان المؤمنة خير
من الحرة الكتابية ولو كان جواز نكاح الامة للحر مقيدا بحال الضرورة وخوف العنت لكان الحر اذا
تزوج الحرة على الامة يبطل نكاح الامة ولا خلاف ان نكاح الحرة اذا طرا على نكاح الامة لم يبطل
النكاح • وعن ابي يوسف انه تاول هذه الاية على ان وجود الطول هو كون الحرة في نكاحه عليها ورد به
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنكح الامة على الحرة وتنكح الحرة على الامة و
هذا تاويل صحيح لان من لا يكون عنده حرة فهو غير مستطيع للطول اليها لان القدرة على المال لا يوجب له
ملك الوطي الا بعد وجود النكاح قوله عز وجل يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم اى
يريد الله ان يبين لكم ما تحتاجون لمعرفته من الحلال والحرام وكيفية الطاعة ويبصركم طريق
الذين من قبلكم من اهل التوراة والانجيل يدلكم على طاعة الله كما دل من قبلكم ويتوب عليكم اى يتجاوز

عنكم

عنكم ما كان منكم في الجاهلية والله عليم بما فعلتم وممن يتوب حكيم فيما امركم به ونهاكم عنه في قوله ليبين
يعني ان والعرب تعاقب بين اللام كي وبين ان فيضع احدهما مكان الاخر كقوله وامرت لاعدل بينكم وقوله وامرنا
لنسلم وفي موضع اخر وامرت ان اسلم • وقال يريدون ليطفئوا وفي موضع اخر ان يطفئوا وقال الشاعر •
اريد لانسا ذكرها فكانما • تمثل لي ليلى بكل سبيل • يريد ان انسا ومعنى الاية يريد الله ليبين لكم شرايع
دينكم ومصالح امركم • وقال الحسن معناه يبين لكم ما تاتون وما تذرون • وقال عطا يبين لكم ما يقربكم اليه
وقال الكلبي معناه يبين لكم ان الصبر عن نكاح الاما خير لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم اى شرايع الذين من
قبلكم في تحريم البنات والامهات والاخوات قوله تعالى والله يريد ان يتوب عليكم اى يريد ان يدلكم على ما
يكون سببا لتوبتكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما اختلفوا في الذين يتبعون الشهوات
من هم • قال السدي هم اليهود والنصارى • وقال بعضهم هم المجوس لانهم كانوا يحلون نكاح الاخوات
وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمه الله تعالى قالوا انكم تنكحون بنات الخالة وبنات العمة والعمة و
الخالة حرام عليكم فانكحوا بنات الاخ وبنات الاخت كما تنكحون بنات الخالة والعمة فانزل الله تعالى
هذه الاية • وقال مجاهد الزناة يريدون ان تميلوا عن الحق فتكونوا مثلهم تزنون كما يزنون قوله
عز وجل يريد الله ان يخفف عنكم اى في نكاح الامة اذا لم تجدوا طول الحرة وفي كل احكام الشرع • و
قيل معناه يريد الله ليسهل عليكم فيضع اوزاركم ويحط ذنوبكم وخلق الانسان ضعيفا اى اسيرا للشهوة
وقيل ضعيفا في كل شيء • وقال طاوس والكلبي معناه لا يصبر عن النساء ولا تكون الانسان في شيء اضعف
منه في امر النسا • وقال سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من ابن ادم الا اتاه من قبل النسا وقد اتى على ثمانون
سنة وذهبت احدى عيني وانا اخوف ما اخاف على فتنة النسا • وقال عبادة بن الصامت الا ترونني ما اكل
الا ما لوق لي اى لين ونحن ولا اقوم الا رودا وقد مات صاحبي يعني ذكره وما يسرني اني خلوت
بامراة لا تحل لي مخافة ان ياتيني الشيطان فيحركه على انه لا سمع له ولا بصر • وقال الحسن معنى وخلق
الانسان ضعيفا اى خلق من ماء مهين • وقال ابن كيسان معناه يستميله ويستطيشه هواه وشهوته
خوفه وحزنه • قال ابن عباس ثمان ايات في سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس

وغوت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر
عنكم الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل
سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم
بينكم بالباطل اى لا ياكل بعضكم مال بعض بالظلم وشهادة الزور واليمين الفاجرة والربا والقمار وغير
ذلك مثل الغصب والسرقه والخيانة وقوله تعالى الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثنا منقطع لان
الاستثنا خلاف المستثنى منه لان التجارة ليست بباطل كانه قال لكن كلوا اما ملكتم بالمبايعة عن تراض منكم •
قرا اهل الكوفة تجارة بالنصب على معنى الا ان تكون الاموال تجارة • وقرا الباقون بالرفع على معنى الا ان
تقع تجارة • روى انه لما نزلت هذه الاية امتنع الناس عن كل الاموال بالهبة والهدية والضيافة حتى
نزل قوله تعالى ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت ابائكم الاية قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم
اى لا يقتل بعضكم بعضا فانكم اهل دين واحد وانتم كنفس واحدة • قال صلى الله عليه وسلم المؤمنون
كلهم كنفس واحدة اذا الم عضو تداعا سائر الاعضا للحما والسهر • وقيل معناه لا يقتلن الرجل نفسه
عند الضجر والغضب • قال صلى الله عليه وسلم ان رجلا ممن كان قبلكم اخذته قرحة في يده فقطعها
فما رقا دمها حتى مات فقال الله تعالى بادرنى ابن ادم بنفسه فقتلها بيده فقد حرمت عليه الجنة •
وعن جابر بن سمرة ان رجلا ذبح نفسه فلم يصل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال
بعضهم معنى الايه لا تقتلوا انفسكم لطلب المال بما يودى الى التلف قوله تعالى ان الله كان بكم رحيما اى
لا يرضى منكم قتل بعضكم بعضا ولا اكل المال بالباطل فيرجع ضرره عليكم فى الدنيا والدين قوله عز وجل
ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا اى من ياكل المال بالباطل ويقتل النفس بغير الحق
عدوانا اى اعتداء وجورا بغير حل والعدوان ان تعدو ا غير ما امر به والظلم ان تضع الشىء فى غير موضعه
يعنى اذا فعل ذلك على وجه التعمد فسوف نصليه نارا اى ندخله النار وكان ذلك التعذيب على الله
يسيرا اى لا تمنع كثرة رحمته من تعذيب من يستحق العذاب قوله عز وجل ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه
نكفر عنكم سياتكم معناه ان تتركوا كباير الذنوب نكفر عنكم الصغاير • كما روى عن رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم انه قال الصلوات الخمس والجمعه الى الجمعة كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكباير ويدخلكم مدخلا
كريما يعنى الجنة • قرا اهل المدينه مدخلا بفتح الميم وهو موضع الدخول • وقرا الباقون بالضم على المصدر
بمعنى الادخال • واختلفوا فى الكباير التى جعل الله تعالى اجتنابها مكفرا للصغاير • فقال ابن عباس هى كل شىء تم الله
فيه النار ولمن عملها او شىء نزل فيه حد فى الدنيا • ويروى ان رجلا اتى ابن عمر رضى الله عنهما فقال انى اصبت
ذنبا فاحب ان تعد على الكباير فعد عليه سبعا فقال الاشراك بالله وعقوق الوالدين • وقتل النفس واكل الربا
واكل مال اليتيم وقذف المحصنات واليمين الفاجره • وعن ابن مسعود قال الكباير اربع الاياس من روح الله و
القنوط من رحمة الله والامن من مكر الله والشرك بالله • وقال مقاتل الكباير ما نهى الله تعالى عنه من اول هذه
السورة • ويقال لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار • وعن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله اى
الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم ماذا قال ان تقتل ولدك خشية ان ياكل معك
قلت ثم ماذا قال ان تزنى بحليلة جارك وتصديق ذلك قوله تعالى لا تدعون مع الله الها اخر ولا
تقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تزنون ثم ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم
القيمة ويخلد فيه مهانا • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اكبر الكباير الاشراك بالله
واليمين الغموس وعقوق الوالدين وقتل النفس • وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع
من الكباير الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وشهادة الزور • وسئل ابن عباس رضى الله عنه عن
الكباير اسبع هى قال هى الى السبعين اقرب منهن الى السبع • قال الكباير الشرك وعقوق الوالدين وقتل المومن
والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله والاياس من روح الله والسحر والزنا والربا والسرقه واكل مال
اليتيم وترك الصلوة ومنع الزكوة وشهادة الزور وقتل الولد خشيه ان ياكل معه والحسد والكبر و
الحيف فى الوصيه وتحقير المسلمين • وقال سعيد بن جبير كل ذنب اوعد الله تعالى عليه النار فهو كبيره • و
قال الضحاك كما وعد الله عليه حدا فى الدنيا وعذابا فى الاخرة فهو كبيرة • وقال بعضهم ما سماه الله فى
القران كبيرا وعظيما فهو كبيره • نحو قوله انه كان حوبا كبيرا ان قتلهم كان خطاء كبيرا ان الشرك
لظلم عظيم ان كيدكن عظيم سبحانك هذا بهتان عظيم ان ذلكم كان عند الله عظيما • وقال سفيان

الثوري الكبائر ما كان بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين الله لان الله كريم يعفو • وقيل الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب الكبائر والسيئات مقدماتها وتوابعها مثل النظرة واللمسة والقبلة واشباهها • وقيل الكبيرة ما قبح في العقل والطبع مثل القتل والظلم والزنا والكذب والنميمة ونحوها • وقال بعضهم الكبائر ما يستحقره العبيد والصغائر ما يستعظمه فيخاف منه قوله عز وجل ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اى لا يتمنى الرجل مال اخيه ولا شيئا من الذى لغيره ولكن يقل اللهم ارزقنى مثله ولا يتمنى الرجل امراة اخيه ولا خادمه ولا دابته قوله تعالى للرجال نصيب مما اكتسبوا اى حظ من الاجر مما اكتسبوا من العمل الصالح وللنساء حظ من الاجر مما عملن من العمل الصالح قوله تعالى واسالوا الله من فضله اى من رزقه ان الله لم يزل بكل شيء من اعمال الرجال والنساء عالما • وعن جابر بن عبد الله قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى نفر من اصحابه اذا قبلت امراة حتى قامت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالت يا رسول الله انا وافد النساء اليك ان الله عز وجل رب النساء ورب الرجال وآدم ابو النساء وابو الرجال وحوا ام النساء وام الرجال وانت بعثك الله رسولا الى النساء والرجال ثم الرجال اذا خرجوا فى سبيل الله فقتلوا فهم احياء عند ربهم فرحين ونحن نحبس عليهم ونخدمهم فهل لنا من الاجر من شيء • فقال صلى الله عليه وسلم اقرى النساء منى السلام وقولى لهن ان طاعة الزوج واعترافا لحقه يعدل ما هنالك وقليل منكن تفعله • وقال قتادة والسدى لما نزل قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين قالت الرجال انا لنرجوا ان يفضلنا الله على النساء بحسناتنا فى الآخرة كما فضلنا عليهن بالميراث فيكون اجرنا مثلى اجر النساء وقال النساء انا لنرجوا ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كما لنا فى الميراث النصف من نصيبهم فانزل الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا من الميراث والعقاب وللنساء نصيب كذلك منه • قال قتادة يجزى الرجل بالحسنة عشر امثالها والمراة تجزى عشر امثالها ايضا قوله تعالى واسالوا الله من فضله • قرا ابن كثير والكسائى وخلف وسلوا الله من فضله وسل من ارسلنا وفسل الذين يقرؤن بغير همز وقرا الباقون بالهمز • قال صلى الله عليه وسلم من لم يسال الله من فضله غضب عليه • وقال سفيان

200

بن عيينة لم يامر بالمسئلة الا ليعطى قوله عز وجل ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون اى ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا موالى اى عصبة يرثونه مما ترك والده واقرباؤه من ميراثهم و الوالدان والاقربون على هذا التاويل هم المورثون • وقيل معناه ولكل جعلنا موالى اى ورثة من الذين تركهم ثم فسرهم فقال الوالدان والاقربون اى هم الوالدان والاقربون يكون ما بمعنى من • والوالدان والاقربون على هذا التاويل هم الوارثون قوله تعالى والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم فى محل الرفع بالابتدا والمعاقدة هى المعاهدة بين اثنين • وقرا اهل الكوفة عقدت بغير الف وعقدت لهم ايمانكم • قال ابن عباس كان الرجل فى الجاهلية اذا اعجبه ظرف الرجل عاقده وحالفه وقال انت ابنى ترثنى حرمتى حرمتك وذمتى ذمتك وثارى ثارك فيكون له كبعض ورثته فى ماله يرثه مثل نصيب احدهم الا ان ينقص نصيبه عن السدس لكثرة الورثة فيعطى السدس خاصة لا ينقص منه شيء ثم نسخت بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض • وقال قتادة اراد بقوله الذين عاقدت ايمانكم الحلفا كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دينى دينك وثارى ثارك وحربى حربك وسلمى سلمك ترثنى وارثك وتعقل عنى واعقل عنك وتطلب لى واطلب لك فيكون للحليف السدس ثم نسخ ذلك بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض • وقال مجاهد اراد بقوله فآتوهم نصيبهم النصر والعقل والرفد دون الميراث فعلى هذا تكون الآية غير منسوخة لقوله تعالى واوفوا بالعقود ولقوله صلى الله عليه وسلم اوفوا للحلفا بعهودهم التى عقدت ايمانكم • وليس معنى قول ابن عباس ان هذه الآية منسوخة نسخ حكمها من الاصل ولكن معناه تقديم ذوى الارحام على اهل العقد وهو كحدوث ابن من له اخ لا يخرج الاخ من ان يكون اهلا للميراث الا ان يكون الابن اولى منه كذلك ولى الارحام اولى من الحليف فاذا لم يكن للميت رحم ولا عصبة فالميراث للحليف • ولهذا قال اصحابنا فيمن اسلم على يدى رجل ووالاه وعاقده ثم مات ولا وارث له غيره ان ميراثه له • ولهذا قالوا انه ان وصى بجميع ماله ولا وارث له صحت الوصية قوله تعالى ان الله كان على كل شيء شهيدا اى لم يزل شاهدا على كل شيء من اعطا النصيب ومنعه قوله عز وجل الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض قال ابن عباس ومقاتل نزلت هذه الآية فى سعد

بن الربيع وكان من النقباء وفي امراته ابنة محمد بن مسلمة وهما من الانصار نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها
معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله افرشته كريمتي فلطمها • فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقتصي منه وكان القصاص يومئذ بينهم في اللطمة والشجة والجراح فانصرفت مع
ابيها لتقتص منه • فقال صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل اتاني فانزل الله تعالى هذه الاية
فقال صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد خير ورفع القصاص ومعناها
الرجال مسلطون على ادب النساء بالحق والقوامون المبالغون بالقيام عليهن بتعليمهن وتاديبهن واصلاح
امورهن وقوله تعالى بما فضل الله بعضهم على بعض اي جعل الله ذلك للرجال بفضلهم على النساء في العقل
والراي • وقيل بزيادة الدين واليقين • وقيل بقوة العبادة والجهاد • وقيل بالجمعة والجماعات وبانفاقهم
اموالهم في المهور وقوله قوات النساء قوله تعالى فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله اي
فالمحسنات مطيعات لله في امر ازواجهن • وقيل قايمات بحقوق ازواجهن واصل القنوت مداومة
الطاعة وقوله تعالى حافظات للغيب اي يحفظهن فروجهن واموال ازواجهن في حال غيبة ازواجهن
ويدخل في حفظ المراة للغيب للزوج ان تكتم عليه ما لا يحسن اظهاره مما تقف عليه احد الزوجين على الاخر
وقوله تعالى بما حفظ الله اي بحفظ الله اياهن من معاصيه وبتوفيقه لهن ويقال بما حفظهن الله في
مهورهن والزام الزوج النفقة عليهن • قال صلى الله عليه وسلم خير النساء من اذا نظرت اليها سرتك
واذا امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها قوله تعالى واللاتي تخافون نشوزهن
فعظوهن اي النساء اللاتي تعلمون عصيانهن لازواجهن فعظوهن والنشوز الرفع عن المضاجع ماخوذ
من النشز وهو المكان المرتفع والمراد بالوعظ والهجر والضرب في الاية ان يكون ذلك على الترتيب المذكور
فيها لان هذا من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا امكن الاستدراك بالاسهل والاخف لا يصار
الى الاثقل فالاولى ان يبدا الزوج فيقول لامراته الناشزة اتقي الله وارجعي الى فراشي فان اطاعته والا
سبها هكذا قال ابن عباس والهجر الكلام الفاحش يقال هجر الرجل يهجر اذا هذا واهجر الرجل في منطقه
يهجر هجارا اذا تكلم بقبيح • وقال الحسن وقتادة قوله واهجروهن في المضاجع من الهجر وهو ان لا

يقرب فراشها ولا ينام معها لان الله تعالى قرنه بقوله تعالى في المضاجع واذا لم ينفعها الوعظ هجرها زوجها
في المضجع فان كانت تحبه فيجاشق عليها الهجران وان كانت تبغضه وافقها ذلك فكان دليلا على النشوز
من قبلها فيضربها الزوج حينئذ ضربا غير مبرح ولا شاين كما يؤدب الرجل ولده ويكون ذلك موكولا الى
رايه واجتهاده على ما يرى من المصلحة • ولهذا قيل ان هذا الضرب مقيد بشرط السلامة فالاولى ان يضربها
بالنعل واللطم ضربتين او ثلثا على حسب ما يراه قوله تعالى فان اطعنكم اي فيما تلتمسون منهن فلا تبغوا
عليهن سبيلا اي لا تطيلوا عليهن علوا ولا تكلفوهن الحب لكم فانهن لا تملكن ذلك ان الله كان عليا كبيرا اي
عاليا فوق كل شيء كبيرا فلا شيء اكبر منه اراد بالعلي العلو في القهر والقدرة لا علو المكان واراد بالكبير الجلال
والعظمة والمعنى اني مع علوي وكبريائي ارضى من عبادي بالطاعة ولا اجدهم بالحب الذي لا غاية بعده فان في
اكثر عبادي من يوثر نفسه علي ولا يخلص حبه لي كل الاخلاص • وقد روي انه لما شكى الرجال نساءهم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم بالضرب اصبح بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعون
امراة يشكون ازواجهن فاقبل على اصحابه بعد الصلوة وقال ان المراة خلقت من ضلع اعوج فان اردتم
اقامتها كسرتموها وان رفقتم بها استمتعتم بها على عوج ثم قال خيركم خيركم لاهله قوله عز وجل وان خفتم
شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما اي وان علمتم
ايها المؤمنون بعد العظة والهجران تباعد الزوجين عن الحق وهو ان يكون كل واحد منهما في شق على حدة ولم تدروا
من ايهما جاء النشوز فابعثوا عدلا ذا راي وعقل من اهل الزوج وعدلا من اهل المراة يختار الحاكم حكما من
اهله وحكما من اهلها فيخلو حكم الزوج به فيقول اخبرني بما في نفسك اتهواها ام لا فانا لا ادري
ما اقول وما اعمل حتى ارى ما تريد فان قال اهواها ولكنها تسيء معاشرتي فعظها وارضها عني علم ان الرجل
ليس بناشز وان قال لا حاجة لي بها فرق بيني وبينها وخذ لي منها ما استطعت علم انه ناشز وكذلك يفعل
حكم المراة بالمراة ثم يلتقي الحكمان فيصدق كل واحد منهما صاحبه فيما سمع فيقبلون على الزوج ان كان ناشزا
فيقولان له يا عدو الله انت العاصي لله الظالم على امراتك ويعظانه ويزجرانه وكذلك يفعلون بالمراة
ان كانت هي الناشزة فذلك قوله وان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما اي ان الحكمين اذا ارادا عدلا ونصيحة

الفا الله بين الزوجين ويقال وفق الله بين قول الحكمين إِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلِيمًا بامر الحكمين خَبِيرًا بنصيحتهما
ويقال عليمًا بما فيه صلاح للخلق خبيرًا بذلك • وذهب بعض العلما الى ان الحكمين اذا رايا ان يفرقا بينهما
فرقا بينهما وكذلك اذا راى الحاكم ان يفرق فعل اذا وقع الياس عن زوال الشقاق واعتبروا ذلك باللعنة
فاما عند اصحابنا رحمهم الله فليس للحكمين ان يفرقا الا ان يكونا وكيلين في الخلع من جانبين او يرضى الزوج بتفريقهما
وقوله عز وجل وَاعْبُدُوا اللّٰهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا اى وحدوا الله تعالى واطيعوه
ولا تعبدوا معه غيره فان ذلك يفسد عبادته • قالت الحكما العبودية ترك الاختيار وملازمة الذلة
والافتقار • وقيل العبودية اربعة اشيا • الوفا بالعهود • والحفظ للحدود • والرضا بالموجود • و
الصبر على المفقود • قوله تعالى وبالوالدين احسانا اى احسنوا بالوالدين احسانا • وقيل استوصوا بالوالدين
احسانا وقد ذكر المصدر المنصوب على تقدير فعل محذوف كقوله تعالى فضرب الرقاب ومعناه الامر
قوله تعالى وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ اى واحسنوا بذوى القرابة وباليتامى والمساكين والاحسان
الى ذوى القربى هو مواساة الفقير منهم اذا خاف عليه ضرر الجوع والعرى وحسن العشرة وكف الاذى عنه
والمحاباة دونه ممن يريد ظلمه • وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رجلا شكا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قسوة فى قلبه فقال ان اردت ان تلين قلبك فاطعم المساكين وامسح براس اليتيم واطعمه قوله تعالى
وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ قال صلى الله عليه وسلم الجيران ثلثة جار له
ثلثة حقوق وهو الجار القريب المسلم وجار له حقان وهو جار الاجنبى المسلم وجار له حق واحد
وهو جار الكافر فعلى هذا يكون معنى الجار الجنب هو الجار الذى هو من قوم اخرين لا قرابة بينك وبينه •
ويقال ان الجار ذى القربى هو الذى يقاربك فى الجوار تعرفه ويعرفك والجار الجنب هو الجار الغريب المتباعد
والجنب فى اللغة البعيد • وقرا الاعمش والجار الجنب بفتح الجيم واسكان النون وهما لغتان • يقال رجل
جنب وجنب اذا لم يكن قريبًا وجمعه اجانب • وقيل للجنب جنب لاعتزاله الصلوة وبعده من المسجد حتى
يغتسل • وقال بعضهم الجار الجنب هو الكافر وقوله تعالى والصاحب بالجنب هو الرفيق فى السفر المنقطع الى
الرجل رجاء خيره كذا قال ابن عباس ومجاهد وابن جبير وعكرمة وقتادة • وقال بعضهم الصاحب

بالجنب هو المرأة وصدقاء بدا رك فهو الى جنبك ويقال هو جار الرجل فى البيت الواحد • وقال على وعبد
الله وابن ابى ليلى والنخعى هى الزوجة تكون معه الى جنبه • وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليس بمؤمن من لا يامن جاره بوائقه وايما رجل اغلق بابه دون جاره مخافة على اهله وماله
فليس جاره ذلك بمؤمن قالوا يا رسول الله ما حق الجار قال ان دعاك اجبته وان استعانك اعنته وان استقرضك اقرضته وان اصابه خير هنيته وان مرض عدته وان اصابته مصيبة عزيته وان
مات شهدت جنازته ولا تستعلى عليه بالبنيان لتحجب عنه الريح الا باذنه ولا تؤذه بقتار قدرك الا
ان تغرف له منها وان اشتريت فاكهة فاهد له منها وان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج ولدك منها شيئا
فيغيظ ولده به • قال صلى الله عليه وسلم من اذا جاره فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله قوله تعالى
وَابْنِ السَّبِيلِ قال مجاهد والربيع هو المسافر ومعناه صاحب الطريق • وقال قتادة والضحاك هو الضيف
ينزل بك سمى ابن السبيل لانه كالمجتاز الذى لا يقيم والضيافة ثلثة ايام وما زاد صدقة • وقال
الشافعى هو الذى يريد السفر ولا نفقة له قوله تعالى وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ يعنى المماليك احسنوا اليهم
ولا تكلفوهم الا طاقتهم • قال صلى الله عليه وسلم اطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون ولا
تكلفوهم ما لا يطيقون فانهم لحم ودم وخلق امثالكم • وقال انس كانت وصية رسول الله صلى
الله عليه وسلم عند وفاته الصلوة وما ملكت ايمانكم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يغرغر بهذه الكلمة فى صدره وما يفيض بها لسانه قوله عز وجل إِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا
اى لا يرضى عمل من يختال فى مشيته ويفتخر على الناس بكبره وانما ذكر المختال فى اخر هذه الاية لان المختال
يأنف عن ذوى قرابته اذا كانوا فقراء ومن جيرانه اذا كانوا كذلك ولا يحسن عشرتهم قوله تعالى
الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ يجوز ان يكون قوله هذه الاية
فى موضع نصب بدلا من قوله من كان ويحتمل ان يكون نصبا على الذم على معنى اعنى الذين يبخلون
ويحتمل ان يكون رفعا على الاستيناف على اضمار هم الذين يبخلون • قال ابن عباس ومجاهد المراد
بالاية اليهود بخلوا بما كان عندهم من العلم بامر النبى صلى الله عليه وسلم وامروا قومهم بالبخل

يكون صح

وهو الكتمان ويقال كانوا لا يعطون من اموالهم شيئا ويامرون الناس بذلك • وقال بعضهم الاية عامة في كل من يبخل بما اوتي من المال ويكتم ما اعطاه الله من النعيم لا يخرج زكوته فعلى هذا يكون المراد بالكافرين في اخر الاية كافري النعم دون الكفار بالله فاما على التاويل الاول فالمراد بالكافرين اليهود والبخل مع الواجب • قرا يحيى بن يعمر ومجاهد وحمزة والكسائي وخلف بالبخل بفتح البا والخا • وقرا قتادة وايوب بفتح البا وسكون الخا • وقرا عيسى بن يعمر بضم البا والخا • وقرا الباقون بضم البا وسكون الخا وكذلك في سورة الحديد وكلها لغة معروفة فيه الا ان اللغة العاليه ضم البا وسكون وبفتح البا والخا لغة الانصار قوله عز وجل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر في محل النصب عطفا على الذين يبخلون وان شيت جعلته عطفا على قوله واعتدنا للكافرين • قال السدي نزلت هذه الاية في المنافقين الذين يراؤن الناس في الانفاق ولا يتصدقون في السر • وقيل المراد به كفار مكة انفقوا على الناس وقت خروجهم الى حرب بدر قوله تعالى ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا اي من يفعل ما يدعوه اليه الشيطان وسول له فبيس قرينه الشيطان يغويه في الدنيا ويكون قرينا معه في السلسلة في النار وقرينا نصب على التمييز • وقيل على القطع اي قطع الالف واللام قوله عز وجل وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر اي ما الذي عليهم لو صدقوا الله واليوم الاخر وصدقوا مما رزقهم الله من الاموال وما فرض عليهم من الصدقه وكان الله بهم عليما اي انهم لا يومنون وفي الاية بيان انهم انما كفروا السوء اختيارهم وقلة تاملهم مع قدرتهم على الايمان لانه لا يحسن ان يقال لمن لا يقدر على الشيء ماذا عليك لو فعلت كذا قوله عز وجل ان الله لا يظلم مثقال ذرة اي لا ينقص من جزاء الاعمال وزن نملة حمراء صغيرة والمثقال مفعال من الثقل وهو ما يوزن به الشيء ومن ذلك يسمى ما يوزن الدينار مثقالا لانه يعادله في الثقل • وقرا عبد الله لا يظلم مثقال نملة والمعنى ان الله لا ينقص احدا من خلقه من ثواب عمله وزن ذرة بل يجازيه عليها ويثيبه بها • وقال بعضهم الذر الهبا في الكوة فكل جزء منها ذرة قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها قراءة العامة حسنه بالنصب على معنى وان تك الفعلة حسنه • وقرا اهل الحجاز بالرفع على معنى وان تقع حسنة او يوجد حسنه قوله

ان الله

تعالى

تعالى يضاعفها • قرا الحسن بالنون • والباقون بالياء وهو الصحيح لقوله ويوت من لدنه • وقرا ابو رجا وابن كثير وابن عامر يضعفها بتشديد العين وهما لغتان • وقال ابو عبيد يضاعفها اي يجعلها اضعافا كثيرة ويضعفها بالتشديد يجعلها ضعفين • قال الضحاك اراد بالحسنه التوبه ومن لم يكن له الا حسنه واحدة مقبولة غفر الله له • وقيل معناه اذا زاد على سياته مثقال ذرة من الحسنه يضاعفه الله حتى يجعله مثل احد ويوجب له الجنه ويعطيه من عنده الزيادة على ما يستحقه من جزا عمله فذلك الاجر العظيم لا يعلم مقداره الا الله وقوله تعالى ويوت من لدنه اجرا عظيما وهو الجنه قوله عز وجل فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد معناه كيف يصنع الكفار وكيف يكون حالهم يوم القيمة اذا اتينا من كل جماعة بنبيها شهيدا عليهم ولهم وجينا بك يا محمد على هولاء الذين رسلت اليهم شهيدا تشهد لمن صدق بالتصديق وعلى كل من كذب بالتكذيب قوله تعالى يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض معناه يوم وقوع الشهادة يتمنا الذين كفروا بالله وعصوا الرسول ان الارض تسوى بهم يمشي عليها اهل الجمع ويودون انهم لم يكتمون الله حديثا وذلك حين يميز الله اصحاب اليمين من اصحاب الشمال ويقول للوحوش والطيور والبهايم كوني ترابا ويرى الكفار ذلك ويرون ما اكرم الله به المسلمين فيقول بعض الكفار لبعض هلموا نقول اذا سيلنا والله ربنا ما كنا مشركين فيقولون ذلك فيختم الله تعالى على السنتهم ويا ذن لجوارحهم في الكلام فتشهد عليهم عند ذلك فيقولون يا ليتنا كنا ترابا ويتمنون انهم لم يكتموا الله حديثا لانهم كانوا كذبوا في قولهم ما كنا مشركين • وقال بعضهم معنى ولا يكتمون الله حديثا كلام مستانف غير داخل في التمني ومعناه لا يقدرون على كتمان شيء مما عملوه لظهور ذلك عند الله اي لا يفيد كتمانهم • وقال الكلبي يقول الله للبهايم والوحش والطير كوني ترابا فتسوى بهم الارض فعند ذلك يتمنى الكافر ان يكون كذلك • وقال عطا معناه يود الذين كفروا لو تسوى بهم الارض ولم يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم ولا بعثه • قرا اهل المدينه والشام تسوى بفتح التا والتشديد على معنى تتسوى فادغمت التا الثانيه في السين • وقرا اهل الكوفة الا عاصما بفتح التا والتخفيف على حذف احد التائين مثل قوله لا تكلم نفس • وقرا الباقون بضم التا والتخفيف على المجهول اي لو سويت بهم الارض وصاروا هم والارض شيا واحدا

جينا صح

قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا قال ابن عباس
نزلت هذه الآية في جماعة من الصحابة كانوا يشربون الخمر قبل التحريم ثم يأتون الصلوة مع النبي صلى الله
عليه وسلم فيصلون معه فنهاهم الله تعالى عن ذلك وتاويل الآية على هذا لا تقربوا مواضع الصلوة
وهو المسجد وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وما يقرأ امامكم في الصلوة • وسكارى جمع سكران وهذا
خطاب لمن يبلغ به السكر الحد لا يفهم الكلام كله لان الذي لا يفهم شيئا لا يصح ان يخاطب فكانوا بعد
نزول هذه الآية يجتنبون السكر اوقات الصلوة حتى نزل تحريم الخمر في سورة المايدة • وقال مقاتل نزلت في
جماعة من الصحابة كانوا يشربون الخمر في دار عبد الرحمن بن عوف قبل التحريم فحضر صلوة المغرب فقدموا رجلا
فقرا قل يا ايها الكافرون وقال اعبد ما تعبدون وحذف لا في جميع السورة فانزل الله هذه الآية فمعناها
على هذا لا تقربوا نفس الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقرؤن • وعن عمر رضي الله عنه انه قال بعد
نزول هذه الآية اللهم ان الخمر يضر بالعقول والاموال فانزل فيها امرك فصبحهم الوحي باية المايدة •
قوله تعالى ولا جنبا اي لا تقربوا مواضع الصلوة وانتم جنب حتى تغتسلوا الا ان تكونوا محتاجين واذا لم
يكن الماء الا في المسجد تيمم الجنب ودخل المسجد واخذ الماء ثم خرج واغتسل • وقال الشافعي يجوز للجنب
العبور في المسجد بغير تيمم ولا يجوز له الاقامة فيه • وقيل معنى الآية لا تصلوا وانتم جنب الا ان تكونوا
مسافرين لا تجدون الماء فيتيممون ويصلون هكذا روي عن علي كرم الله وجهه ومجاهد والحكم وانتصب
قوله جنبا على الحال اي لا تقربوا الصلوة وانتم جنب قوله تعالى وان كنتم مرضى او على سفر اي اذا كنتم مرضى
فخفتم الضرر باستعمال الماء او كنتم مسافرين او جاء احد منكم من الغايط معناه وجاء احد كم من الغايط و
الغايط هو المكان المطمين من الارض يقال تغوط الرجل اذا دخل المكان المطمين لقضاء الحاجة وجعل هذا
اللفظ كناية عن ذلك قوله تعالى او لامستم النساء قال علي وابن عباس رضي الله عنهما معناه او جامعتم
النساء وبه قال الحسن ومجاهد وقتادة • وقال ابن مسعود وابن عمر والنخعي والشعبي اراد به اللمس باليد و
كانوا لا يبيحون للجنب التيمم • واختلف العلماء في هذا فقال الشافعي اذا مس الرجل بدن المراة نقض وضوءه
سواء كان باليد او بغيرها من الاعضاء • وقال الاوزاعي ان مسها باليد نقض وان كان بغير اليد لم ينقض

وقال

وقال مالك وابن حنبل والليث بن سعد ان كان اللمس بشهوة نقض والا فلا • وقال ابو حنيفه وابو يوسف
ان كان ملامسة فاحشة تحدث الانتشار في التجرد نقض والا فلا • وقال محمد لا ينقض الملامسة بحال
وبه قال ابن عباس والحسن البصري دليل الشافعي ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع
الملامسة واللمس اكثر ما يستعمل في لمس اليد • وحجة من لم يوجب الوضوء بالملامسة ما روي عن عايشه
رضي الله عنها قالت كنت انام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ورجلاي في قبلته
فاذا سجد وغمزني قبضت رجلاي فاذا قام بسطتها والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح • وعن عايشه رضي
الله عنها ايضا قالت فقدت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعلت اطلبه بيدي فوقعت بيدي
على قدميه وهما منصوبتان وهو ساجد يقول اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك عن عقوبتك و
اعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك • فلما فرغ من الصلوة فقال لي اتاك شيطانك
قالوا فلمسته عايشه وهو في الصلوة فمضى فيها • وعن عايشه رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يقبل بعض ازواجه ثم يصلي ولا يتوضأ • ومذهب الشافعي في الملامسة على ثلثة اوجه لمس
ينقض الوضوء قولا واحدا وهو الشابة الاجنبية باي جزء من الاجزاء ساهيا كان او متعمدا حية كانت
او ميتة • ولمس لا ينقض قولا واحدا وهو مس الشعر والظفر والسن • ولمس فيه قولان وهو لمس الصغيرة
والعجوزة الكبيرة وذوات محارمه احدهما ينقض الوضوء لانهن من جملة النساء • والثاني لا ينقض لانه
لا مدخل للشهوة فيهن دليله ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي وهو حامل لامامه بنت زينب
وابوها ابو العاص ولو كان اللمس من خلف حايل لا ينقض سوا كان الحايل ضعيفا او رقيقا • وفي الملموس
للشافعي قولان احدهما ينقض لاشتراكهما في الالتذاذ به • والثاني لا ينقض لخبر عايشه فوقعت يدي
على اخمص رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل فلم تجدوا ماء فتيمموا اي اذا لم تقدروا
على استعمال الماء وقد يذكر الوجود ويراد به القدرة على استعمال الماء فان كان بينه وبين الماء سبع او عدو
لم يكن واجدا للماء في الحكم ومعنا فتيمموا صعيدا طيبا اي فاقصدوا واتوا ترابا طاهرا • ويقال ان الصعيد ما تصاعد
على وجه الارض ترابا كان او صخرة ولا تراب عليها لان الله تعالى قال فيصبح صعيدا زلقا واذا كان على

لمس صح

الصخرة تراب لا يكون زلقا ولهذا اجوز ابو حنيفه ومحمد التيمم في كل ما كان من جنس الارض • وقال مالك
يجوز التيمم بالارض وبكل ما اتصل بها حتى لو ضرب بيده على شجرة ثم تيمم بها اجزاه • وقال الشافعي لا يجوز
الا بالتراب الذي تعلق باليد والتيمم من خصايص هذه الاية • وسبب نزول هذه الاية ما روي عن عايشه
قالت كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معي عقد استعرته من اسما فانقطع حتى اذا كنا
بالبيدا افتقدته فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاناخ واناخ الناس معه فاموا بالتماسه
فلم يوجد فباتوا ليلتهم تلك وليس عندهم ما فجا الناس الى ابي بكر رضي الله عنه فقالوا الا ترى الى عايشه
حبست الناس على غير ماء فجا ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع راسه على قد نام فعاتبني وقال
قبحها الله من قلادة حبست المسلمين على غير ماء وقد حضرت الصلوة ثم طعن بيده على خاصرتي فما منعني من
التحرف الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان واضعا راسه على فخذي فاصبحنا على غير ماء فانزل
الله تعالى هذه الاية ثم وجدنا القلادة تحت البعير الذي كنت عليه • فقال اسيد بن حضير ما هذا باول
بركتكم يا ال ابي بكر جزاك الله خيرا فوالله ما نزل بك امر تكرهينه الا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيرا
قوله عز وجل **فامسحوا بوجوهكم وايديكم** معناه بعد ضرب الايدي على الصعيد الطيب قوله تعالى **ان الله**
كان عفوا غفورا اي متفضلا عليكم بتسهيل الاوامر وتخفيفها لانه نقلكم من الوضوء الى التيمم غفورا متجاوزا
عنكم يغفر لكم بهذه الطاعات المسهله ذنوبكم • روى جابر قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا شجة في راسه
ثم احتلم فسال اصحابه هل تجدون لي رخصة قالوا لا انت تقدر على الما فاغتسل فمات فلما قدمنا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرناه بذلك فقال قتلوه قتلهم الله هلا سالوا اذ لم يعلموا انما
شفاء العي السوال انما كان يكفيه ان يتيمم قوله تعالى **الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة**
قال ابن عباس هم اليهود كانوا يستبدلون الضلالة باخذ الرشا بكتمان صفة النبي صلى الله عليه وسلم
ياخذون الرشوة على كتمانهم نعتها اوتوا العلم قوله تعالى **ويريدون ان تضلوا السبيل** اي يريدون ان تضلوا
انتم طريق الهدى كما ضلوا هم بانفسهم قوله تعالى **والله اعلم باعدائكم** اي هو اعلم بهم يعلمهم ما هم عليه
وكفى بالله وليا اي ان عداوة اليهود لا تضر المسلمين اذ ضمن لهم النصر والولاية اي اكتفوا بولاية الله ونصرته

قال الحسن ان تضلوا السبيل بفتح الضاد اي عن السبيل • وقيل معناه والله اعلم باعدائكم اي اعلم بهم منكم
فلا تستنصحوهم ويجوز ان يكون اعلم بمعنى عليم قوله تعالى **من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه** ان
شيت جعلته متصلا بقوله الذين اوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وان شيت جعلتها منقطعة
مستانفه • قال ابن عباس كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسالونه عن الامر فيخبرهم
ويرى انهم كانوا ياخذون به فاذا انصرفوا حرفوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون له
سمعنا قولك ويقولون في انفسهم وعصينا امرك • وقال بعضهم من الذين هادوا راجع الى قوله والله اعلم
باعدائكم على جهة التبيين للاعدا كما يقال هذا الثوب من القطن • قوله تعالى **واسمع غير مسمع وراعنا**
معناه انهم كانوا اذا كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشي قالوا اسمع وقالوا في انفسهم لا سمعت
ولا سمعت • وقيل معناه غير مجاب الى شي مما تدعوا اليه وكانوا يقولون راعنا يوهمون انهم يريدون بهذا
القول انظرنا حتى نكلمك بما نريد وكانوا يريدون بذلك السب بالرعونه بلغتهم • ويقال كانوا يقولون
هذه الكلمة على وجه التجبر والتكبر كما يقول المتكبر لغيره افهم كلامي واسمع قولي وكانوا يقولون دعنا
سمعك وتامل كلامنا ومثل هذا مما لا يخاطب به الانبيا صلوات الله عليهم انما يخاطبون بالاجلال
والاعظام وقوله تعالى **ليا بالسنتهم وطعنا في الدين** اي كانوا يلوون السنتهم بالسب والتعيير والطعن
في الدين قوله تعالى **ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا** معناه لو قالوا سمعنا قولك واطعنا
امرك مكان قولهم سمعنا وعصينا وقالوا واسمع وانظرنا نسمع قولك ونفهم كلامك مكان قولهم واسمع
غير مسمع **لكان خيرا لهم** واصوب **ولكن لعنهم الله بكفرهم** اي خذلهم وابعدهم من رحمته مجازاة
بكفرهم **فلا يومنون الا قليلا** وقيل معناه لا يومنون الا قليلا منهم وهم عبد الله بن سلام ومن تابعه
قوله عز وجل **يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم** اي يا ايها الذين اعطوا علم
التورية صدقوا بهذا القران الذي نزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم موافقا لما معكم من التورية
من قبل ان نطمس وجوها اي من قبل ان نمحوا اثار الوجوه منها فنخسف بالعين والانف وغير ذلك
من اثار الوجوه فنحولها الى الاقفية فتمشون القهقرى • روي انه لما نزلت هذه الاية قدم عبد الله بن سلام

ايمانا صحيحا

من الشام فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتى اهله فقال يا رسول الله ما كنت ارى ان
اصل اليك حتى تحول وجهى فى قفاى • ويقال معنى فردها على ادبارها نجعل وجوههم على هيئة
اقفائهم ومعنى ونلعنهم كما لعنا اصحاب السبت اى نجعلهم قردة كما مسخنا اصحاب السبت وكان
امر الله مفعولا قضاؤه كاينا لا شك فيه فان قيل كيف قال الله تعالى امنوا من قبل ان نطمس وجوها
واوعدهم بطمس الوجوه ان لم يؤمنوا ثم لم يؤمنوا ولم يقع قيل يحتمل ان يكون هذا وعيدا لهم على ترك
جميعهم الاسلام وقد امن منهم جماعة بعد هذه الاية كعبد الله بن سلام وعبد الله بن ثعلبه واسيد بن
ثعلبه واسيد بن عبيد وغيرهم ويحتمل ان يكون المراد بالاية الطمس فى الاخرة وسيفعل الله ذلك بهم
فى الاخرة قوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال الكلبى نزلت فى
المشركين وحشى وابن حرب واصحابه وكان قد جعل لوحشى ان هو قتل حمزة ان يعتقه مولاه فلم يوف له
بذلك • فلما قدم مكة ندم هو واصحابه على ما صنعوا من قتل حمزة فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك اذ كنت عندنا بمكة
والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل
ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا وقد دعونا مع الله الها اخر و
قتلنا النفس وزنينا ولولا هذه الاية لاتبعناك فنزل الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا الاية فبعث
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وحشى واصحابه فلما قرؤها كتبوا اليه ان هذا شرط شديد نخاف
ان لا نعمل عملا صالحا فلا نكون من اهل هذه الاية فنزل قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فقالوا نخاف ان لا نكون من اهل المشية فنزل قوله تعالى قل يا عبادى
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فبعث بها اليهم فوجدوها
اوسع مما كان قبلها فدخل هو واصحابه فى الاسلام ورجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقبل منهم ثم قال لوحشى اخبرنى كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال له ويحك غيب وجهك عنى فلحق وحشى
بالشام فكان فيها الى ان مات قالوا مات وفى بطنه الخمر قوله تعالى ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما

القطمس صح

تقول صح

صلى الله عليه وسلم

اى

اى ومن يشرك بالله سواه فقد اختلق على الله كذبا عظيما غير مغفور له قوله عز وجل الم تر الى الذين
يزكون انفسهم بل الله يزكى من يشاء قال ابن عباس نزلت هذه الاية فى بحرى بن عمرو ومرحب بن زيد اتيا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعهما طايفة من اليهود باطفالهم فقالوا يا محمد هل على اولادنا هؤلاء من
ذنب قال لا فقالوا والذى نحلف به ما نحن الا مثلهم ما من ذنب نعمله بالنهار الا كفر عنا بالليل وما من
ذنب نعمله بالليل الا كفر عنا بالنهار فهؤلاء الذين يزكون انفسهم برؤها من الذنوب وزعموا انهم ازكيا
يقول الله تعالى بل الله يزكى من يشاء اى يطهر من الذنوب من يشاء ويصلح من يشاء من كان اهلا لذلك قوله
تعالى ولا يظلمون فتيلا اى لا ينقصون من جزاء ما يستحقونه قدر الفتيل وهو ما تفتله بين اصبعيك
من الوسخ اذا مسحت احداهما بالاخرى • وقيل الفتيل ما فى بطن النواة فى شقها من لحايها والنقير النقيرة فى
ظهر النواة والقطمير جملة ما التف عليها من لحايها قوله عز وجل انظر كيف يفترون على الله الكذب
اى انظر يا محمد كيف يختلق اليهود الكذب على الله وكفى بما يفعلونه ذنبا بينا قوله عز وجل الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت قرا السلمى الم تر ساكنة الراء فى كل القرآن كما قال
الشاعر • من يهد الله يهتد لا مضل له • ومن اضل فما يهديه من هادى • قال ابن عباس ركب كعب بن الاشرف
فى تسعين راكبا من اليهود فيهم حيى بن اخطب وحدى بن اخطب ومالك بن الضيف وغيرهم الى اهل مكة ليحالفوهم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنقضوا العهد الذى كان بينهم وبينه قبل اجله فقال ابو سفيان
يا معشر اهل الكتاب نشدكم بالله اينا اقرب الهدى نحن ام محمد واصحابه فانا نعمر مسجد الله ونسقى الحاج
ونحجب الكعبة ونصل الرحم ومحمد قطع ارحامنا واتبعه شرار الحجيج بنو غفار فنحن اهدى ام هم فقالت
اليهود انتم اهدى منهم فانزل الله هذه الاية ومعناها الم ينته علمك يا محمد الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب اى علما بالتورية وما فيها من نعت محمد وصفته يصدقون بالجبت والطاغوت • قال ابن عباس
الجبت حيى بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف • وقيل الجبت الكهنة والطاغوت الشياطين • وقيل
الجبت والطاغوت صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله • وقيل الجبت الصنم والطاغوت مترجم
الصنم لهم على الصنم على لسانه • وقال اهل اللغة كل معبود سوى الله تعالى من حجر او مدر او صورة

فهو جبت وطاغوت دليله قوله تعالى أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقوله تعالى والذين
اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها • وقال مجاهد الجبت السحر والطاغوت الشيطان يدل عليه قوله والذين
كفروا أولياؤهم الطاغوت والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان • وقال بعض
المفسرين لما خرج كعب بن الاشرف هو ومن معه الى اهل مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل كعب على ابي سفيان فأحسن مثواه ونزل اليهود في دور قريش فقال
اهل مكة انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن ان تكون هذا مكرا منكم فان اردت يا كعب ان نخرج معك
فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل هو واصحابه فذلك قوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت • قال
كعب لاهل مكة يجيء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على
قتال محمد ففعلوا ذلك • ثم قال ابو سفيان يا كعب انك امرؤ تقرأ الكتاب ونحن اميون لا نعلم فمن اهدى
سبيلا واقرب الى الحق نحن ام محمد • فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا من الذي عليه محمد فانزل
الله تعالى هذه الآية الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعبا واصحابه يؤمنون بالجبت والطاغوت
يعني الصنمين ويقولون للذين كفروا اي لابي سفيان واصحابه هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا • قوله عز وجل
اولئك الذين لعنهم الله اي ابعدهم من رحمته ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا قوله تعالى ام لهم نصيب من الملك
فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي الهم نصيب والميم زائدة وهذا على وجه الانكار اي ليس لهم من الملك شيء
فاذا لا يؤتون الناس نقيرا يعني محمدا واصحابه لا يعطونهم شيئا من حسدهم وبخلهم وبغضهم ورفع
قوله يؤتون لاعتراض لا بينه وبين اذا • وفي قراءة عبد الله فاذا لا يؤتوا بالنصب ولم يبال بلا • وقال
بعضهم معناه ان اليهود لو كان لهم نصيب من الملك ما اعطوا الناس مقدار النقير وهو النقطة التي تكون
في ظهر النواة قوله تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله اي بل يحسدون محمدا صلى الله
عليه وسلم على ما اعطاه الله من النبوة • وقيل على ما احل الله له من النساء وقالوا لو كان نبيا
لشغلته النبوة عن النساء • وقال قتادة اراد بالناس العرب حسدوهم على النبوة اكرمهم الله تعالى
بمحمد صلى الله عليه وسلم • وقال علي رضي الله عنه اراد بالناس رسول الله صلى الله عليه

ومن يلعن الله من رحمته صح

وسلم وابا بكر وعمر رضي الله عنهما قوله تعالى فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة اي لما قالت اليهود لو كان
محمد نبيا ما رغب في كثرة النساء حسدوه على كثرة نسائه وعابوه بذلك فاكذبهم الله بقوله فقد آتينا آل
ابراهيم الكتاب والحكمة اراد بالحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما قال ابن عباس هو ملك سليمان بن داود
وكان لسليمان سبعمائة امرأة مهرية اي ممهورة وثلثمائة سرية ولداود مائة امرأة فاقرت اليهود لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لهم الف امرأة عند رجل ومائة امرأة عند رجل اكثر ام تسع نسوة
عند رسول الله فسكتوا قال الله تعالى فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه معناه من اليهود من آمن بمحمد
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن سلام واصحابه ومنهم من اعرض عن الايمان به • وقيل معناه منهم من
آمن بهذا الخبر عن داود وسليمان ومنهم من كذب به وكفى بجهنم سعيرا اي وقودا لمن كفر به اي صرف الله
عن اليهود بعض العذاب في الدنيا مثل الطمس وغيره فقد اعد لهم عذابا بجهنم في الآخرة قوله عز وجل
ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا اي ان الذين كفروا بمحمد والقرآن سوف ندخلهم نارا • وقرأ
حميد بن قيس نصليهم بفتح النون اي نشويهم من قولهم شاة مصلية اي مشوية ونصبت النار بنزع الخافض
على هذه القراءة تقديره بنار قوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها اي كلما احترقت
جلودهم جددنا لهم جلودا غيرها بيضا كالقراطيس وذلك انهم كلما احترقوا احترقت عليهم النار ساعة
ثم زيدت سعيرا وبدلوا خلقا جديدا فيهم الروح ثم عادت النار تحرقهم فهذا دابهم ابدا • قال
الحسن تنضج جلودهم كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم النار وانضجتهم قيل لهم عودوا فيعودون
كما كانوا • وعن مجاهد قال ما بين جلده ولحمه دود لها حلبة كحلبة حمر الوحش • وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال غلظ جلد الكافر اثنان واربعون ذراعا وضرسه مثل احد •
فان قيل كيف كان جاز ان يعذب الله جلدا لم يعصه • قيل ان العاصي والمتألم واحد وهو الانسان
لا الجلد لان الجلود انما تألم بالارواح والدليل على ان القصد تعذيب الانسان لا تعذيب الجلود
قوله تعالى ليذوقوا العذاب ولم يقل ليذوق العذاب • وقيل معناه تبدل جلودا هي تلك
الجلود المحترقة وذلك ان غير على ضربين غير تضاد وغير لا تضاد فالمضاد مثل قولك الليل

غير النهار والذكر غير الانثى • والثاني مثل قولك لصايغ صغ هذا الخاتم خاتما غيره فيكسره ويصوغ لك
منه خاتما والخاتم المصوغ هو الاول الا ان الصياغة قد تغيرت والفضة واحدة • وقال الحكما ان الجلد
بلي قبل البعث كذلك يبدل بعد النضج • وقال السدي يبدل من لحم الكافر فيعاد الجلد لحما ويخرج من اللحم
جلد آخر لا انه جلد لم يعمل خطيئة قوله تعالى إن الله كان عزيزا حكيما اي غالب في امره لا يملك احد
منعه من انزال وعيده ذو حكمة فيما حكم من النار للكفار وقوله عز وجل والذين آمنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات اي بساتين تجري من تحت شجرها وغرفها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج
مطهرة اي في الخلق والخلق وندخلهم ظلا ظليلا اي ظلا دايما وهو ظل الاشجار والقصور ظل لا حر معه
ولا برد وليس كل ظل يكون ظليلا • وقيل الظليل الكثيف الذي لا ينسخه الشمس قوله تعالى إن الله يأمركم
ان تؤدوا الامانات الى اهلها وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة اتى البيت ليدخله
فسال عن المفتاح فقيل هو مع عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة فارسل اليه فقال له
هات المفتاح فابى فلوى علي رضي الله عنه يده واخذ منه وفتح الباب ودخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج قال له عمه العباس بابي انت وامي يا رسول
الله اجعل لي السدانة مع السقاية يعني اجعل لي مفتاح البيت فانزل الله تعالى هذه الاية ان
الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله
عنه ان يرد المفتاح الى عثمان بن طلحة فرده عليه فقال عثمان انا اشهد ان محمدا رسول الله و
اسلم • فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم ما دام هذا البيت واللبنة من لبناته قايمة
فان المفتاح في اولاد عثمان بن ابي طلحة • وروي انه لما طلب المفتاح من عثمان ابى • فقال
صلى الله عليه وسلم يا عثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الاخر فهات المفتاح فقال
هاك انت يا رسول الله خذ بامانة الله فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم المفتاح
ففتح الباب ومكث في البيت ما شا الله فلما خرج نزل جبريل بهذه الاية ويدخل في هذا
جملة الامانة قوله تعالى وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل خطاب للايمة اي

ويأمركم

ويأمركم ان تحكموا بين الناس بالحق إن الله نعما يعظكم به اي نعم الذي يأمركم الله به من اداء
الامانة والحكم بالحق إن الله كان سميعا لمقالة العباس بصيرا بامانة عثمان وقوله عز وجل يا ايها
الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم اي اطيعوا الله فيما امر واطيعوا الرسول
فيما بين • وقيل اطيعوا الله في الفرايض واطيعوا الرسول في السنن وقوله تعالى واولي الامر منكم قال
عكرمة هو ابو بكر وعمر لقوله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وان لي وزيرين
في الارض ووزيرين في السما فبالسما جبريل وميكائيل وبالارض ابو بكر وعمر وهما عندي بمنزلة الراس من
الجسد • وقال الوراق هم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي لقوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي
في اربعة من امتي ابي بكر وعمر وعثمان وعلي • وقال عطا هم المهاجرون والانصار والتابعون باحسان
لقوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين تبعوهم باحسان الاية • وقيل هم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم • وقال جابر بن عبد الله
والحسن والضحاك ومجاهد هم الفقها والعلما اهل الدين والفضل الذين يعلمون الناس معالم دينهم ويامرونهم
بالمعروف وينهونهم عن المنكر فاوجب الله على العباد طاعتهم • قال ابن الاسود ليس شي اعز من العلم فالملوك
حكام على الناس والعلما حكام على الملوك • وقال ابو هريرة هم ولاة المسلمين • وقال الكلبي ومقاتل هم امرا
السرايا كان صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية امر عليهم رجلا وامرهم ان يطيعوه ولا يخالفوه و
الاظهر من هذه الاقاويل ان المراد بهم العلما لقوله تعالى فان تنازعتم في شي فردوه الى الله والرسول اي فان
اختلفتم في شي من الحلال والحرام والشرايع والاحكام فردوه الى ادلة الله وادلة رسوله وهذا الرد لا
يكون الا بالاستدلال والاستخراج بالقياس لان الموجود في نص الكتاب اذا علم وعمل به لا يوصف بانه رد
الى الكتاب وانما يقال هو اتباع للنص وغير العلما لا يعلمون كيفية الرد الى الكتاب والسنة ودلايل الاحكام الجواب
وقوله تعالى ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر دليل ان الايمان اتباع الكتاب والسنة والاجماع قوله
تعالى ذلك خير واحسن تأويلا اي رد الاختلاف الى الله والرسول خير من الاصرار على الاختلاف
واحسن عاقبة لكم • ويقال احسن تأويلا من تأويلكم الذي تتأولونه عن غير رد ذلك الى الكتاب والسنة

تعالى صح

ولا صح

وعن عمر رضي الله عنه انه قال الرجوع الى الحق خير من التمادي في الباطل قوله عز وجل الم تر الى الذين يزعمون
انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك الاية قال الكلبي نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر كان
بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي انطلق نتحاكم الى محمد لانه علم انه لا يقبل الرشوة ولا يجور
في الحكم • وقال المنافق بل ننطلق الى كعب بن الاشرف وهو الذي سماه الله الطاغوت فابى اليهودي ان يخاصمه
الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى معه المنافق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقضى لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر رضي الله عنه فقال اليهودي يا عمر
اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه يخاصمني اليك • فقال عمر للمنافق
اكذلك قال نعم قال رويدكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر واخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج اليهما
فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله وهرب اليهودي فنزلت
هذه الاية • وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق • ومعنى الاية الم تر يا محمد الى الذين
يزعمون انهم امنوا بالقرآن وبالكتب الذي انزلت من قبلك وهم المنافقون يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت
وهو كعب بن الاشرف وقد امروا ان يكفروا بالطاغوت ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا عن الحق
قوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا
قال ابن عباس اختصم الزبير بن العوام وثعلبة بن حاطب الى النبي صلى الله عليه وسلم في امر بينهما فقضى
للزبير فخرجا من عنده فمرا على المقداد • فقال لمن كان القضاء يا ثعلبة • فقال قضى لابن عمته ولوى شدقه
ففطن يهودي كان مع المقداد • فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضيه
بينهم وايم الله لقد اذنبنا في حيوة موسى عليه السلام • فقال لنا اقتلوا انفسكم فقتلنا فبلغ قتلانا سبعين
الفا في طاعة الله حتى رضي عنا فانزل الله تعالى في شان ثعلبة وليه شدقه واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل
الله والى الرسول اي هلموا الى التحاكم الى امر الله في كتابه والى الرسول صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم
رايت المنافقين يعرضون عن حكمك اعراضا قوله عز وجل فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم
اي كيف يكون حالهم من ندم وخزاة اذا اصابتهم مصيبة بقتل عمر لصاحبهم وظهور نفاقهم بما فعلوه من

دد

رد حكم النبي صلى الله عليه وسلم ولي الشدق ثم جاؤك معتذرين يحلفون بالله ما اردنا الا تشهيدا
عليك كيلا تشغلك خصومتنا وتوفيقا بين الخصوم بالتماس ما يقارب التوسط دون الحمل على الاغراض عن
الحكم قال الله تعالى اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فاعرض عن عقوبتهم في الدنيا ويقال اعرض
عن قبول عذرهم وعظهم مع ذلك بلسانك واعلمهم انهم ان عادوا الى رد حكمك فحقهم العقوبة والقتل
والقول البليغ ان يبلغ صاحبه بعبارته كنه ما في قلبه قوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا ليطاع
باذن الله اي ليطاع ذلك الرسول بامر الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بمطالبة الحكم الى الطاغوت جاؤك ايها
الرسول فاستغفروا الله وتابوا اليه واستغفر لهم الرسول عند ذلك لوجدوا الله قابلا للتوبة رحيما بهم بعد
التوبة قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم اي لا يكونوا مؤمنين عند الله حتى يحكموك
فيما وقع من الاختلاف بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت اي ثم لا تضيق صدورهم مما قضيت • وقيل
لا يجدوا شكا في حكمك ويسلموا تسليما اي ينقادوا لحكمك انقيادا والمشاجرة هي المخاصمة ماخوذ من الشجر
تشبيها للخصومة في دخول بعض الكلام في بعض بالاشجار بالتفاف بعضها على بعض قوله عز وجل ولو انا
كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم نزلت في ثابت بن قيس لانه
قال اما والله ان الله يعلم مني الصدق ان محمدا صلى الله عليه وسلم لو امرني بقتل نفسي لقتلت نفسي وكان
ثابت من القليل الذين استثناهم الله في الاية ومعنى الاية لو انا فرضنا عليهم كما فرضنا على بني اسرائيل ان
اقتلوا انفسكم او امرناهم ان يخرجوا من ديارهم لشق ذلك عليهم ولم يفعله الا قليل منهم ورفع القليل
على البدل من الواو والمعنى ما فعله الا قليل منهم • وقرا ابي بن كعب وابن عامر الا قليلا منهم بالنصب على معنى
استثنى قليلا منهم قوله تعالى ولو انهم فعلوا ما يوعظون به اي لو فعل المنافقون ما يؤمرون به من الرضا
بحكمك لكان خيرا لهم من المحاكمة الى غيرك واشد تثبيتا لقلوبهم على الصواب لان الحق يبقى والباطل
يذهب قوله تعالى واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما اي اذا لو فعلوا ما يؤمرون به لاعطيناهم من
عندنا ثوابا جزيلا في الجنة ولهديناهم صراطا مستقيما اي الى صراط مستقيم • وقيل معناه لهديناهم
في الاخرة الى طريق الجنة قوله عز وجل ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين

والصديقين نزلت في ثوبان مولى النبي صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه • فقال صلى الله عليه وسلم
ما غير لونك • فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا بي وجع غير اني اذا لم اراك فاشتقت اليك فاستوحشت
فهذا الذي نزل بي من اجل ذلك ثم ذكرت الاخرة فاخاف ان لا اراك هناك فانك ترفع مع النبيين واني
اذا دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة فذاك حين لا اراك ابدا فانزل
الله هذه الاية • فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه
وامه واهله وولده والناس اجمعين • ومعنى الاية ومن يطع الله في الفرايض والرسول في السنن فاولئك
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين وهم افاضل الصحابة والشهداء هم الذين استشهدوا في
سبيل الله والصالحين وهم الذين استقامت احوالهم بحسن عملهم والمصلح هو المقوم لحسن عمله • وقال
عكرمة النبيون هاهنا محمد صلى الله عليه وسلم والصديقون ابو بكر والشهداء عمر وعثمان وعلي والصالحون
ساير الصحابة • فان قيل كيف يكون المطيعون لله ورسوله مع النبيين ودرجتهم في اعلى عليين • قيل
لان الانبياء ولو كانوا في اعلى عليين فان غيرهم من المؤمنين يرونهم ويزورونهم ويستمتعون برؤيتهم
فيصلح في اللفظ ان يقال انهم معهم قوله تعالى وحسن اولئك رفيقا اي حسن الانبياء ومن معهم رفقا
في الجنة اي ما احسن مرافقتهم فيها فذكر الرفيق بلفظ التوحيد لانه نصب على التمييز كما في قوله تعالى
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا ويجوز ان يكون معناه حسن كل واحد من اولئك رفيقا كما قال تعالى ثم
يخرجكم طفلا ولم يقل اطفالا قوله تعالى ذلك الفضل من الله اي ذلك المن من الله على المطيعين وكفى بالله
عليما بهم وباعمالهم ومجازيا لهم بما يستحقونه من ثواب وكرامة قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا خذوا
حذركم اي من عدوكم بالاسلحة والرجال ولا تخرجوا متفرقين ولكن اخرجوا ثبات او اخرجوا جميعا
اي اخرجوا جماعات جماعات سرية سرية كما يامركم النبي صلى الله عليه وسلم في جهاد عدوكم
او اخرجوا كلكم جميعا مع النبي صلى الله عليه وسلم ان اراد الخروج والثبات الجماعات في
تفرقة واحدها ثبة اي انفروا جماعة بعد جماعة ويجوز ان يكون معنى الحذر السلاح واستدل

اهل القدرية بهذه الاية فقالوا ان الحذر ينفع ويمنع عنكم مكايد العدو والا لم يكن لامره تعالى اياهم
بالحذر معنا • فيقال لهم الايتمار بامر الله والانتهاء بنهيه واجب عليهم لانهم به يسلمون من معصية
الله تعالى لان المعصية ترك الاوامر والنواهي وليس في الاية دليل على ان حذرهم ينفع من القدر شيئا
بل المراد منه طمانينة النفس لا ان ذلك يدفع القدر قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن اي ممن اظهر الايمان
ليتشاغلن عن الجهاد وليثقلن غيره وهو عبد الله بن ابي وجد بن قيس واصحابهما من المنافقين الذين كانوا
يشاركون المسلمين في ظاهر الاسلام كانوا ينتظرون هلاك المسلمين وهزيمتهم ويتثاقلون عن الجهاد
يقال ابطا الرجل اذا تاخر عن العمل باطالة المدة قوله تعالى فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله
علي اذ لم اكن معهم شهيدا اي ان اصابتكم نكبة او هزيمة او قتل قال هذا المبطي قد من الله علي اذ لم اكن
معهم حاضرا في تلك الغزوة فيصيبني مثل الذي اصابهم قوله تعالى ولئن اصابكم فضل من الله اي
وان اصابكم ايها المؤمنون ظفر وغنيمة ليقولن هذا المبطي نادما يا ليتني كنت معهم في الغزو فاصيب
حظا وافرا وغنايم كثيرة • قوله تعالى كان لم يكن بينكم وبينه مودة • وقال بعضهم هو معترض بين
التمني وما قبله تقديره ولين اصابكم فضل من الله ليقولن يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما كان لم يكن
بينكم وبينه مودة اي يتمنى ان ينال المال من غير ان يريد الجهاد والقتال • وقيل هو متصل بقوله قد
انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا كان لم يكن بينكم وبينه مودة اي صلة في الدين ومعرفة في الصحبة
كانه لم يعاقدكم قبل ان يجاهد معكم ثم امر الله تعالى كل من عقد عقد الايمان بالقتال فقال عز وجل
فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اي ليقاتل في طاعة الله ورضاه الذين
يبتغون الحيوة الدنيا بالاخرة وهم المؤمنون • وقيل معناه ان الخطاب للمبطئين ومعنى يشرون يختارون
الحيوة الدنيا على الاخرة وهذا اللفظ من الاضداد يقال شريت بمعنى بعت وشريت بمعنى اشتريت فيكون
معنى الاية على هذا امنوا ثم قاتلوا لانه لا يجوز ان يكون الكافر مامورا بشيء يتقدم على الايمان ثم
ذكر الله تعالى فضل المجاهدين فقال ومن يقاتل في سبيل الله اي في الجهاد الذي هو طاعة الله
تعالى فيقتل هو او يغلب لعدو فسوف نعطيه في كلا الوجهين ثوابا وافرا في الجنة وسماه الله تعالى

الثواب عظيماً لانه تعالى ثامن العبد باغلى الاثمان وقد يكون ثمن الشى مثله ويكون وسطاً من الايمان قوله
عز وجل وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله معناه اى شىء لكم ايها المومنون فى ترك الجهاد مع اجتماع الاسباب
الموجبة للحض عليه وقوله تعالى لا تقاتلون فى موضع نصب على الحال كانه قال وما لكم تاركين للجهاد كما
قال تعالى فى اية اخرى فما لهم عن التذكرة معرضين وقوله تعالى والمستضعفين فى موضع خفض باضمار
فى ومعناه وفى بيان المستضعفين اى وفى نصرة المستضعفين ويجوز ان يكون معناه وعن المستضعفين
اى الذب عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين هم بمكة ويلقون فيها اذى كثيراً وهم
سلمة بن هشام والوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وغيرهم كانوا اسلموا بمكة فاراد عشايرهم من اهل
مكة بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ان يفتنوهم عن الاسلام يقول الله تعالى ما لكم لا تقاتلون
المشركين فى خلاص هولاء الضعفا الذين يسالون الله ويقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية اى
خلصنا من هذه القرية يعنون مكة الظالم اهلها اى الكفار اهلها واجعل لنا من لدنك ولياً اى من
عندك حافظاً يحفظنا من اذاهم واجعل لنا من عندك نصيراً اى مانعاً يمنعنا منهم فاستجاب الله
دعاهم وجعل لهم النبى صلى الله عليه وسلم حافظاً وناصراً بفتح مكة على يديه واستعمل عليهم
عتاب بن اسيد فكان عتاب ينصف الضعيف من الشديد قوله عز وجل الذين امنوا يقاتلون فى سبيل الله معناه
الذين امنوا بمحمد والقران يقاتلون فى طاعة الله بامر الله والذين كفروا ابو سفيان واصحابه يقاتلون
فى طاعة الشيطان فقاتلوا ايها المومنون اولياء ان كيد الشيطان وصنعه بالوسوسة الى اوليايه بان
الظفر يكون لهم كيد ضعيف وانما ادخل على هذا لفظ كان ليبنى ان صفه الضعف لازمة له وانه مذ كان
كان ضعيفاً فخذل اولياءه كما خذلهم يوم بدر حيث قال لهم انى برى منكم انى ارى ما لا ترون قوله عز
جل الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة قال ابن عباس وقتادة والحسن والكلبى
نزلت هذه الاية فى قوم من الصحابة وهم عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وطلحة بن عبد الله والمقداد
وغيرهم كانوا يلقون من المشركين اذى كثيراً وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة فشكوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله اذن لنا فى قتال هولاء فانهم قد اذونا فقال صلى الله

عليه

عليه وسلم كفوا ايديكم فانى لم اومر بقتالهم واقيموا الصلوات الخمس وادوا زكوة اموالكم • فلما خرجوا
الى المدينة وامرهم الله تعالى بقتال المشركين وامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير الى بدر كره
بعضهم وشق ذلك عليهم ومعنى الاية فلما كتب عليهم القتال بالمدينة اى فرض اذا فريق منهم يخشون الناس
يعنى مشركى مكة كخشية الله او اشد وقيل معناه واشد خشية كقوله مائة الف او يزيدون قوله تعالى
وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال اى لم فرضت علينا القتال اى الجهاد لولا اخرتنا الى اجل قريب يعنى هلا تركتنا
حتى نموت باجالنا • قال الحسن لم يقولوا هذا كراهة امر الله ولكن لدخول الخوف عليهم بذلك • وقال
بعضهم نزلت فى المنافقين لان قوله لم كتبت علينا القتال لا يليق بالمومنين وكذلك الخشية عن غير
الله • وقيل نزلت فى قوم من المومنين لم يكونوا راسخين فى العلم قالوا هذا القول لانهم ركنوا الى الدنيا
واثروا نعيمها على القتال قوله تعالى قل متاع الدنيا قليل اى قل لهم يا محمد منفعة الدنيا تنقطع وتفنى
والاستمتاع بها قليل لان الجديد منها الى البلا والشباب منها الى الهرم والانقضا قوله تعالى والاخرة
خير لمن اتقى اى وثواب الاخرة افضل لمن اتقى المعاصى ولا تظلمون فتيلاً اى ولا تنقصون من جزاء اعمالهم
الذى يستحقونه مقدار الفتيل وقد تقدم تفسير الفتيل قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج
مشيدة اى اينما تكونوا يا معشر المومنين والمنافقين فى بر او بحر او سفر وحضر يلحقكم الموت وان كنتم
فى حصون محصنة من حديد وغيره مرتفعة الى عنان السما والمعنى انكم وان سومحتم وامرتم بترك القتال
فان اخر اعمالكم موت لا تنجون منه • وقال عكرمه معنى مشيدة محصصه • وقال القتيبى مطوله
قوله تعالى وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله هذا حكاية قول المنافقين واليهود كانوا
ما زلنا نعرف النقص فى ثمارنا ومراعينا مذ قدم هذا الرجل علينا يعنون النبى صلى الله عليه وسلم
بعد قدومه المدينة فذلك قوله وان تصبهم حسنه يقولوا هذه من عند الله اى ان تصبهم خصب
ورخص سعر وتتابع امطار يقولوا هذه من فضل الله وان تصبهم قحط وجدوبة وغلاء سعر يقولوا
هذه من شوم محمد واصحابه يقول الله تعالى قل كل من عند الله اى قل لهم يا محمد الحسنة والسيئة
كلها بقضا الله وتقديره فما لهؤلاء القوم اليهود والمنافقين لا يقربون من فهم حديث عن الله والفقه

الجزو الثانى وعشرون

هو الفهم ثم اختص من جهة العرف بعلم التقوى • وقال الحسن اراد بالحسنة في هذه الاية الظفر والغنيمة
وبالسيئة القتل والهزيمة وكانوا اذا غلبوا قالوا هذه من عند الله واذا غلبهم العدو قالوا هذه من خطا
رايك وتدبيرك قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك واختلف
المفسرون في المخاطب بهذه الاية • قال اكثرهم هو النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به عامة الناس • و
قال قتادة المخاطب بها الانسان كانه قال ما اصابك ايها الانسان من حسنة اي من خصب ورخص سعر
وفتح وغنيمة فالله تعالى هداك له واعانك عليه ووفقك له وما اصابك من قحط وجدوبة وهزيمة
ونكبة وكل امر تكرهه فانما اصابك ذلك بما كسبت يداك بقضاء الله وقدره كما قال تعالى وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من خدشة عود ولا اختلاج
عرق ولا عثرة قدم الا بذنب وما يعفو الله اكثر • وقال بعض المفسرين بين هذه الاية وبين التي قبلها اضمار
تقديره فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من
سيئة فمن نفسك لانه مستحيل ان يامر الله تعالى باضافة الحسنة والسيئة الى امره وقضائه في اية
ثم تلوها باية تفرق بينهما بعد ان ذم قوما على التفرقة في الاولى فكيف يجوز ان يذم على الجمع في الاية الثانية
ومثل هذا الاضمار كثير في القرآن • وقرا في الشواذ بنصب الميم فمن نفسك اي الكل من الله فمن انت ونفسك
حتى يضاف اليك شيء غير ان القراة سنة متبعة فلا يقرا الا بما يصح به الرواية وحاصل المعنى على قراة العامة
اي ما اصابك من خير ونعمة فمن الله وما اصابك من بلية او شيء تكرهه فمن نفسك اي بذنوبك وانا الذي
قدرتها عليك • قال الضحاك ما حفظ الرجل القرآن ثم نسيه الا بذنب • ثم قرا وما اصابكم من
مصيبة فبما كسبت ايديكم قال فنسيان القرآن من اعظم المصايب قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا
اي من نعمة الله عليك ارساله اياك رسولا اليهم وكفى بالله شهيدا على انك رسول صادق يشهد لك
بالرسالة والصدق • وقيل يشهد على مقالة القوم ان الحسنة من الله والسيئة من عندك • وقيل معناه
يشهد ان الحسنة والسيئة كلها من الله قوله عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله اي من يطع
الرسول فيما يامر وينهاه فقد اطاع الله لان الرسول انما يامر به من عند الله ومن تولى اي اعرض عن

طاعته

طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا اي ليس عليك الا البلاغ وما ارسلناك عليهم مسلطا تجبرهم
على الايمان والطاعة وتمنعهم عن الكفر والمعصية فانك مبلغ وانا العالم بسرايرهم وهذه الكلمة
من اخر الاية منسوخة باية السيف قوله تعالى ويقولون طاعة معناه ان المنافقين كانوا يقولون
للنبي صلى الله عليه وسلم امرك طاعة وقولك متبع فاذا خرجوا من عندك يا محمد غير جماعة
منهم الامر الذي امرتهم به على وجه التكذيب يقال لكل امر قضي بليل قد بيت به وانما لم يقل بيتت لان
كل تانيث غير حقيقي يجوز تعبيره بلفظ التذكير • وقيل معناه قدروا بالليل غير ما اعطوك نهارا قوله
تعالى والله يكتب ما يبيتون اي يحفظ عليهم ما يغيرون من امرك • وقيل ما يسرون من النفاق قوله — تعالى صح
فاعرض عنهم اي لا تعاقبهم يا محمد واستر عليهم الى ان يستقيم امر الاسلام وتوكل على الله اي
ثق بالله وفوض امرك اليه وكفى بالله وكيلا اي حافظا والوكيل هو العالم بما يفوض اليه من
التدبير قوله عز وجل افلا يتدبرون القرآن اي افلا يتفكرون في القرآن انه يشبه بعضه بعضا
ويصدق بعضه بعضا وان احدا من الخلايق لا يقدر على مثله فيعلمون انه حق ويعلمون انه
من عند الله اذ لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اي تفاوتا وتباينا وبعضه
بليغا وبعضه ساقطا قوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن والخوف اذاعوا به يعني المنافقين
كانوا اذا اتاهم خبر من امر السرايا الذي بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفر ودولة
وغنيمة او اتاهم عنهم خبر نكبة او هزيمة افشوا ذلك الخبر واظهروه قبل ان يحدث به رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليحذر بخبر الظفر من ينبغي ان يحذر من الكفار ويقوى بخبر هزيمة المسلمين قلب
من كان ينبغي نكبة المسلمين منهم فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها اذا جاء المنافقين امر من الامن
يعني الغنيمة والفتح والخوف اي الهزيمة والقتل اذاعوا به اي اشاعوه وافشوه ولو ردوه الى الرسول
والى اولي الامر منهم اي لم يتحدثوا به ولم يفشوه حتى يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو
الذي يتحدث به والمعنى لو تركوا امر السرايا والعسكر الى النبي صلى الله عليه وسلم والى اولي
الامر من المؤمنين وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي واكابر الصحابة حتى يكونوا هم الذين يفشونه

لعلمه الذين يطلبون الخبر ويستخرجونه من النبي صلى الله عليه وسلم واكابر الصحابه ان ذلك
الخبر صحيح ام لا سد • قال الكلبي لعلمه الذين يستنبطونه اى يسعونه • وقال عكرمة يسيئلون عنه
اى لو تركوا اذاعته حتى يتحدث به النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه الذين يسيئلون عنه • وقال
القتيبي لعلمه الذين يستخرجونه يقال استنبطت الما اذا اخرجته قوله تعالى يستنبطونه منهم يعني
الذين يستخبرون عن العلم قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته اى لولا انزل الله عليكم من
القرآن وبين لكم الايات على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم لاتبعتم الشيطان الا قليلا
اى كان اقلكم ينجو من الكفر والمراد بالفضل هاهنا النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن • وقيل في الاية
تقديم وتأخير معناه اذاعوا به الا قليلا ومن الخبر لم يذيعوه او الا قليلا ومن المنافقين لم يذيعوه قوله
تعالى فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما التقى
هو وابو سفيان يوم احد وكان من امرهم ما كان ورجع ابو سفيان الى مكة وواعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم الميعاد • قال للناس
اخرجوا الى العدو فكرهوا ذلك كراهة شديدة او بعضهم فانزل الله هذه الاية فقاتل في سبيل الله اى لا تدع
جهاد العدو ولو وحدك • وقيل معناه لا تؤخذ بفعل غيرك وانما تؤخذ بفعل نفسك وليس
عليك ذنب غيرك وحرض المؤمنين ايضا على القتال لعل الله ان يكف عنك قتال الكفار وعسى من الله
واجب لانه في اللغة للاطماع والاطماع الكريم لا يكون الا انجازا والفا في قوله فقاتل جواب عن قوله
ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما فقاتل وحرض المؤمنين على القتال
اى حرضهم على القتال ورغبهم فيه فتثاقلوا ولم يخرجوا معه فخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سبعين راكبا حتى اتى موسم بدر الصغرى فكفاهم الله تعالى بأس العدو ولم يوافقهم
ابو سفيان ولم يكن قتال يومئذ فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فذلك قوله
عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا اى قتال المشركين وصولتهم والله اشد بأسا واشد تنكيلا
اى عقوبة قوله عز وجل من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها اى من يصلح بين اثنين

يكن له

يكن له اجر وثواب من ذلك الاصلاح ومن يمشي بالغيبة والنميمة يكن له حظ من وزرها
وعقوبتها هكذا روى عن ابن عباس • وقيل معناه من يوحد ويأمر بالتوحيد يكن له اجر
من ذلك ومن يشرك ويأمر بالشرك يكن له وزر من ذلك • ويقال الشفاعة الحسنه هي الدعاء
للمؤمنين والشفاعة السيئة الدعاء عليهم فان اليهود كانوا يدعون على المؤمنين فتوعدهم الله بذلك
قوله تعالى كفل منها قال ابن عباس وقتادة الكفل الاثم والوزر • وقال الفرا وابو عبيد الكفل الحظ
والنصيب قوله تعالى وكان الله على كل شيء مقيتا قال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس مقيتا اى
مقتدرا مجازيا بالحسنة والسيئة قال الشاعر • وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على مساءته
مقيتا • اى مقتدرا • وقال الزجاج المقيت الحفيظ قال الشاعر • الى الفضل ام على اذا • حوسبت
انى على الحساب مقيت • وقال مجاهد المقيت الشاهد • وقال الفرا المقيت الذي يعطي كل انسان قوته
وجاء في الحديث كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت ويقيت قوله عز وجل واذا حييتم بتحية فحيوا
باحسن منها او ردوها قال ابن عباس راد بالتحية السلام اى اذا سلم عليكم احد فاجيبوا بتحية
احسن منها وهو ان تزيدوا في التحية فتقولوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يحيي بذلك المسلم
عليه والملكين الحافظين معه بابلغ التحية قوله تعالى او ردوها معناه او اجيبوا بمثل الذي سلم عليكم
وقال بعضهم معنى واذا حييتم بتحية اى اذا اهدي اليكم هدية فكافئوا بافضل منها او بمثلها لان التحية
في اللغة الملك وكانوا يقولون قبل الاسلام حياك الله اى ملكك الله ثم ابدلوا بهذا اللفظ بالسلام
بعد الاسلام مقام قولهم حياك الله قوله تعالى ان الله كان على كل شيء حسيبا اى مجازيا
يعطي كل شيء من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يحسبه اى يكفيه يقال حسبك هذا اى اكتف
به وقوله تعالى عطاء حسابا اى كافيا قوله تعالى الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب
فيه اى لا اله في الارض ولا في السماء غيره واللام في ليجمعنكم لام القسم كأنه قال الله يجمعكم
في الحيوة والموت وفي قبوركم الى يوم القيمة لا ريب فيه اى لا شك فيه انه كائن لا محاله قوله
تعالى ومن اصدق من الله حديثا استفهام بمعنى النفي ليس احد اوفى من الله تعالى وعدا ولا

اصدق منه قولا ولا اصادق الا ولو وجد خبر على خلاف مخبره وقتا من الاوقات الا الله عز وجل
فمن اصدق من الله حديثا قوله عز وجل فما لكم في المنافقين فئتين قال ابن هشام هاجر اناس من قريش
فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينه فاسلموا ثم ندموا على ذلك وارادوا الرجعة
فقال بعضهم لبعض كيف نخرج قالوا نخرج كهيئة المتنزهين فقالوا للمسلمين انا قد احتوينا المدينه
فنخرج ونتنزه اى ننفسح فصدقوهم فخرجوا فجعلوا يتباعدون قليلا قليلا حتى بعدوا ثم اسرعوا
في السير الى مكة حتى لحقوا بها وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على ما فارقناكم عليه
من التصديق ولكنا اشتقنا ارضنا واحتوينا المدينه ثم انهم ارادوا ان يخرجوا في تجاراتهم الى الشام
فاستبضعهم اهل مكة وقالوا انتم على دين محمد فان لقوكم فلا باس عليكم منهم فخرجوا من مكة متوجهين
الى الشام فبلغ ذلك المسلمين فقالت طائفة منهم ما يمنعنا ان نخرج الى هؤلاء الذين رغبوا عن ديننا
وتركوا هجرتنا فنقتلهم وناخذ ما معهم • وقالت طائفة كيف قوما على دينكم وكان هذا بحضرة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لا ينهى احدا من الفريقين فانزل الله تعالى هذه الاية والتي
بعدها فبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم شانهم ومعناها فما لكم في هؤلاء المنافقين حتى
صرتم في امرهم فرقتين من محلل لاموالهم ومحرم والله اركسهم بما كسبوا اى ردهم الى كفرهم وضلالتهم
بما كسبوا من اعمالهم السيئة ونفاقهم وخبث نياتهم وانتصاب فئتين على الحال يقال ما لك قائما اى لم
قمت في هذه الحالة • وقيل على خبر صار قوله تعالى اتريدون ان تهدوا من اضل الله اى تريدون
يا معشر المخلصين ان ترشدوا من خذله الله عن دينه وحجته • وقيل معناه تقولون ان هؤلاء
مهتدون ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اى لن تجد له هاديا • وقيل لن تجد له طريقا الى الهدى
وقرا عبد الله وابي والله ركسهم بالتشديد قوله عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون
سواء اى تمنى المنافقون والكفار ان تكفروا انتم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران كما كفروا فتكونون
انتم وهم سواء في الكفر فلا تتخذوا منهم اولياء اى احبابا حتى يهاجروا في طاعة الله فان اعرضوا عن
الايمان والهجرة فاسروهم واقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم اولياء ولا

نصيرا اى حبيبا في العون والنصرة وهذه الاية محمولة على حال ما كانت الهجرة فرضا كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا برى من كل مسلم اقام بين اظهر المشركين ثم نسخ ذلك يوم فتح مكة كما روى
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وان
استنفرتم فانفروا وقوله تعالى فتكونوا سواء لم يرد جواب التمني لان جوابه بالفاء منصوب وانما اراد
العطف على معنى ودوا لو تكفرون وودوا لو تكونون سواء مثل قوله ودوا لو تدهن فيدهنون اى ودوا
لو تدهن وودوا لو تدهنون ومثله ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون اى وودوا
لو يميلون قوله تعالى الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق هذا استثنا لمن تصل من الكفار بقوم
بينهم وبين المسلمين ميثاق • قال ابن عباس اراد بالقوم الاسلميين وادع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابا برده هلال بن عويمر الاسلمي واصحابه على ان لا يعينوه ولا يعينوا عليه فمن وصل اليهم
ولحق بهم بالانساب او بالولا يعني من لجا الى الاسلميين فله من الجوار مثل ما لهم • ويقال اراد بالوصول
ان يدخل احد من ساير الكفار في عهد الاسلميين على حسب ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين قريش من الموادعة فدخلت خزاعه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ودخلت بنو كنانه في عهد
قريش قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم معناه او يصلون الى قوم جاؤكم ضاقت
صدورهم ان يقاتلوكم مع قومهم او يقاتلوا قومهم معكم وهم بنو مدلج • ولو شاء الله لسلط قوم
هلال بن عويمر وبني مدلج عليكم فقاتلوكم اذا كما قتلتموهم ظالمين لهم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم اى
فان تركوكم فلم يقاتلوكم مع قومهم واستسلموا وخضعوا بالصلح والوفاق فما جعل الله لكم عليهم
سبيلا اى حجة في القتال • وقال اهل النحو معنى او جاؤكم حصرت اى قد حصرت لان حصرت لا يكون
حالا الا بقد قالوا ويجوز ان يكون حصرت صدورهم خبرا بعد خبر كانه قال او جاؤكم ثم اخبر
بعد فقال حصرت صدورهم ان يقاتلوكم • وفي الشواذ او جاؤكم حصرة صدورهم واما اللام
في لسلطهم جواب لو شاء الله واللام في فلقاتلوكم تكرار والفا عطف بمنزلة الواو • وقد
روى عن عطا عن ابن عباس ان هذه الاية منسوخه باية السيف يعني معاهدة المشركين وموادعتهم

منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولان الله تعالى اعز الاسلام واهله فلا يقبل
من مشركي العرب الا الاسلام او السيف بهذه الاية وقد امرنا الله تعالى فى اهل الكتاب بقتالهم حتى يسلموا
او يعطوا الجزية بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الى قوله تعالى وهم صاغرون
فلا يجوز لنا دونه الكفا دون ترك احد منهم على الكفر من غير جزية اذا كان بالمسلمين قوة على القتال واما اذا عجزوا
عن مقاومتهم وخافوا على انفسهم وذراريهم جاز لهم مهادنة العدو من غير جزية يؤدونها اليهم لان حظر
الموادعة كان بسبب القوة فاذا زال السبب زال الحظر قوله عز وجل ستجدون اخرين يريدون ان يأمنوكم
معناه ستجدون قوما اخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم اى يظهرون لكم الصلح يريدون
ان يأمنوا منكم بكلمة التوحيد يظهرونها لكم ويأمنوا من قومهم بالكفر فى السر كلما دعوا الى الكفر رجعوا فيه
قال ابن عباس هم اسد وغطفان كانا حاضرى المدينة وكانا تكلما بالاسلام وهما غير مسلمين وكان
الرجل منهم يقول له قومه بم ذا امنت وبم ذا اسلمت فيقول امنت بهذا العود وبهذا العقرب
وبهذه الخنفساء يريدون به الاستهزاء فاذا لقوا محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه قالوا انا
على دينكم واظهروا الاسلام فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على ذلك بهذه الاية
قوله تعالى فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم اى فان لم يتركوا قتالكم ولم يستدعوا لكم
فى الصلح ولم يمنعوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم اى اسروهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى حيث وجدتموهم
واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا اى اهل هذه الصفة جعلنا لكم عليهم حجة ظاهرة بالقتال
معهم قوله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطاء اى ما كان لمؤمن فى حكم الله ان يقتل مؤمنا
بغير حق الا ان يكون وقوع القتل منه على وجه الخطا وهو ان لا يكون قاصدا قتله فيكون مرفوع
الاثم والعقاب • واختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الاية • قال ابن مسعود نزلت فى عياش بن ربيعة
المخزومى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل ان يهاجر الى المدينة فاسلم معه فخاف ان
يعلم اهله باسلامه فخرج هاربا الى المدينه فاختفى فى جبل من جبالها فجزعت امه جزعا شديدا
حين بلغها اسلامه وخروجه الى المدينه فقالت لابنيها الحرث وابى جهل ابنى هشام وهما اخواه

لامه والله لا يظلنى سقف ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى تاتونى به فخرجا فى طلبه وخرج معهما
الحرث بن زيد حتى اتيا المدينه فوجدا عياشا فى اطم اى فى جبل فقالا له انزل فان امك لم يؤوها سقف
بيت بعدك وقد حلفت لا تاكل طعاما ولا تشرب شرابا حتى ترجع اليها ولك علينا الا نكرهك على شىء
ولا نحول بينك وبين دينك فحلفوا له على ذلك فنزل اليهم فاوثقوه بنسعة ثم جلده كل واحد منهما
مائة جلدة ثم قدموا به على امه فلما اتاها قالت له والله ما احلك من وثاقك ثم اعطاهم الذى رادوا
فاتاه الحرث بن زيد فقال له يا عياش هذا الذى كنت عليه فوالله لان كان الهدى لقد تركت الهدى
ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا القاك خاليا ابدا الا قتلتك
ثم ان عياشا اسلم بعد ذلك وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ثم اسلم بعد ذلك
الحرث بن زيد وهاجر الى المدينه ولم يعلم عياشا باسلامه فبينما عياش يسير بظهر قبا اذ لقى الحرث
بن زيد فقتله • فقال الناس ويحك يا عياش انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم • فقال يا رسول الله قد كان من امرى وامر الحرث ما علمت وانى لم اعلم باسلامه حتى قتلته فنزل
قوله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطاء الاية اى ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة
لا خطاء ولا عمدا بحال لكن ان قتله خطاء على غير قصد او قتله على ظن انه مباح الدم فعليه عتق
رقبة مؤمنة فى ماله وعليه وعلى عاقلته تسليم دية كاملة الى اولياء المقتول ويكون القاتل
كواحد من العاقلة فاذا لم يكن له عاقلة كان الدية فى بيت المال فى ثلث سنين قوله تعالى الا ان يصدقوا
معناه الا ان يتصدقوا اولياء المقتول فيتركوا الدية ويعفوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن
اى ان كان المقتول خطاء من قوم حرب لكم فقتل فى دار الحرب وهو مؤمن اسلم فى دار الحرب ولم
يهاجر حتى قتل فعلى قاتله عتق رقبه مؤمنه ولم يذكر الدية لان دم المقتول لا قيمة له اذ لم يحرز
نفسه بدار الاسلام وليس هو فى صلح المسلمين وقيل انما لم يذكر الدية لئلا يسلم الى اهل الحرب
دية فيتقوون بها علينا وهذا القول يقتضى ان الدية واجبة الا انها لا تسلم اليهم وفى وجوب هذه الدية
خلاف بين العلما قوله عز وجل وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله اى ان كان

حتى يكفر بالذى امنت به ثم تركوه مطروحا موثقا
فى الشمس ما شاء الله

المقتول خطا من قوم بينكم وبينهم عهد او صلح فعلى القاتل وعا قلته تسليم دية كاملة الى اولياء المقتول
وعلى القاتل عتق رقبة مؤمنة ● والفايدة فى اعادة ذكر المؤمنة انه لو لم يعد ذكرها لكان يتوهم متوهم
انه لما وجب فى قتل المؤمن رقبة فى مثل صفته يجب ايضا فى قتل الكافر رقبة فى مثل صفة المقتول قوله تعالى
فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين اى ان لم يجد رقبة مؤمنة فعليه صيام شهرين متواليين لا يفصل بين

يجد صح

صيامهما وقوله توبة من الله اى اعملوا ما امركم الله به للتوبة ليتوب الله عليكم وهذا نصب على ما يقال فعلت
كذا حذارا من الشر اى للحذر من الشر وانما سميت الكفارة توبة لان قاتل الخطا كان عاصيا فى سبب القتل من حيث
انه لم يتحرز وان لم يكن عاصيا فى نفس القتل ويقال معنى التوبة التوسعة والتخفيف من الله قوله تعالى
وكان الله عليما حكيما اى عليم بكل شئ حكيم فيما يامركم به من الدية والكفارة ● وقال بعضهم نزلت هذه
الاية فى ابى الدردا حين قتل داعيا خطاء قوله عز وجل ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال
ابن عباس نزلت فى مقيس بن صبابة وجد اخاه قتيلا فى بنى النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكر له ذلك فارسل معه رجلا من بنى فهر وقال له ايت بنى النجار فاقرئهم منى السلام وقل لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم يامركم ان علمتم قاتل هشام ان تدفعوه الى مقيس يقتص منه وان لم تعلموا له
قاتلا ان تدفعوا اليه ديته فابلغهم الفهرى ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله والله ما نعلم له
قاتلا ولكنا نؤدى ديته فاعطوه مائة من الابل وانصرفا راجعين نحو المدينة وبينها وبين المدينة
قريب فوسوس الشيطان الى مقيس وقال له اى شئ سبب صنعت تقبل دية اخيك فتكون عليك سبة اقتل
الذى معك لتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فرمى الفهرى بصخرة فشدخ راسه فقتله ثم ركب بعيرا منها
وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وجعل يقول ● قتلت به فهرا وحملت عقله ● سراة بنى النجار ارباب
فارع ● فادركت ثارى واضطجعت موسدا ● وكنت الى الاوثان اول راجع ● فنزلت هذه الاية
وقتل مقيس يوم فتح مكة ومعناها ومن يقتل مؤمنا متعمدا فى قتله مستحلا له فجزاؤه جهنم خالدا
فيها باستحلاله وارتداده عن اسلامه وغضب الله عليه بقتله غير قاتل اخيه ولعنه اى ابعده من
رحمته واعد له عذابا عظيما بجراته على الله بقتل نفس بغير حق ● واختلف الناس فى حكم هذه الاية

قالت

قالت الخوارج والمعتزلة انها فى المؤمن اذا قتل مؤمنا وهذا الوعيد لاحق به ● وقالت المرجئة
انها نزلت فى كافر قتل مؤمنا فاما المؤمن اذا قتل مؤمنا فانه لا يخلد فى النار ● وقال طايفة من اصحاب
الحديث كل مؤمن قتل مؤمنا فهو خالد فى النار غير مؤبد ويخرج منها بشفاعة الشافعين وزعمت انه
لا توبة لمن قتل متعمدا والصحيح ان المؤمن اذا قتل مؤمنا متعمدا لا يكفر بذلك ولا يخرج من الايمان

مؤمنا صح

الا اذا فعل ذلك مستحلا له فاذا قيد بقتله فذلك كفارة له وان كان تائبا من ذلك ولم يكن معادا
كانت التوبة ايضا كفارة له فان مات بلا توبة ولا قود فامره الى الله ان شاء غفر له وارضى خصمه وان شاء
عذبه على فعله ثم يخرجه بعد ذلك الى الجنة التى وعد بايمانه لان الله تعالى لا يخلف الميعاد وترك
المجازاة بالوعيد يكون منه تفضلا وترك المجازاة بالوعد تكون خلفا تعالى الله عن الخلف علوا كبيرا ●
والدليل على ان المؤمن لا يصير بقتله المؤمن كافرا ولا خارجا من الايمان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
كتب عليكم القصاص فى القتلى ولا يكون القصاص الا فى قتل العمد فبينما هم مؤمنين واخا بينهم بقوله فمن
عفى له من اخيه شئ ولم يرد به الا الاخوة فى الايمان والكافر لا يكون اخا للمؤمن ثم قال ذلك تخفيف من ربكم
ورحمة ولا يجعل ذلك للكافر ثم اوجب على المعتدى بعد ذلك عذابا اليما لقوله تعالى فمن اعتدى
بعد ذلك فله عذاب اليم ولم يوقع الغضب ولا التخليد فى النار ولا يسما هذا العذاب نارا والعذاب

يعنى صح

قد يكون نارا وقد يكون غيرها فى الدنيا قال الله تعالى يعذبهم الله بايديكم القتل والاسر ولو كان
القتل يخرجهم من الايمان لما خاطبهم بقوله يا ايها الذين امنوا وقال تعالى وان طايفتان من المؤمنين
اقتتلوا الاية واقتتالهم على وجه العمد ● وروى ان مؤمنا قتل مؤمنا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم يامر القاتل بالايمان ولو كان كافرا لامره اولا بالايمان وقال الطالب الدم اتعفو قال
لا ● قال اتاخذ الدية قال لا ● فامر بقتله ثم اعاد عليه مرتين او ثلثا حتى قبل الدية ولم يحكم
عليه بالكفر فلو كان ذلك كفرا لبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم لان ذلك كان ردة
تحرم بها زوجته عليه ولم يجز على رسول الله صلى الله عليه وسلم الاغفال عنه لان الناصح
الشفيق المبعوث بالتاديب والتعليم ● ودليل اخر على ان القاتل لا يصير كافرا هو ان الكفر الجحود

والاباء والشرك اضافه والقاتل لم يجحده ولم ياب قبول الفرايض ولا اضاف الى الله تعالى شريكا ولو جاز ان يكون
كافرا من لم يات بالكفر لجاز ان يكون مؤمنا من لم يات بالايمان فان تعلقت الخوارج والمعتزلة بهذه الاية وقالوا
ان المؤمن اذا قتل مؤمنا متعمدا يبقى في النار مؤبدا لان الله تعالى قال خالدا فيها • يقال لهم ان هذه الاية نزلت
في كافر قتل مؤمنا متعمدا وقد ذكرنا القصة فيه وسياق الاية يدل عليه وروايات المفسرين تدل على انا لو
سلمنا انها نزلت في مؤمن قتل مؤمنا فانا نقول لهم لو قلتم ان الخلود هو التابيد فاخبرونا عن قوله تعالى وما
جعلنا لبشر من قبلك الخلد هنا في الدنيا فان قلتم انه اراد التابيد فالدنيا تزول وتفنى ومثله افإن مت
فهم الخالدون وقوله تعالى يحسب ان ماله اخلده • وان قلتم لم ترد به التابيد وذلك القول منكم لا بد منه
فقد ثبت ان معنى الخلود غير معنى التابيد وكذلك العرب تقول لاخلدن فلانا في السجن • فان قلتم المراد به التابيد
فالسجن ينقطع ويفنى ويموت المسجون او يخرج منه • فان قالوا ان الله تعالى لما قال وغضب الله عليه ولعنه
دل على كفره لان الله تعالى لا يغضب الا على من كان كافرا • قلنا هذه الاية لا يوجب عليه الغضب لان معناه فجزاؤه
جهنم وجزاؤه ان يغضب الله عليه ويلعنه وما ذكره الله وجعله جزاء الشيء فليس يكون ذلك واجبا
لانه لو كان على الوجوب لكان كقوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وفي لغة العرب
اذا قال القايل جزاؤه كذا ثم لم يجازه لم يكن كاذبا واذا قال اجزيه ذلك ولم يفعل كان كاذبا فعلم
ان بينهما فرقا واضحا • وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ومن
يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه ان جازاه • فان قوله وغضب الله عليه ولعنه
من الافعال الماضية ومتى قلتم ان المراد به فجزاؤه ذلك ان جازاه كان من الافعال المستقبل يقال لهم
قد يرد الخطاب باللفظ الماضي والمراد منه المستقبل كقوله تعالى وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله
اي الا ان امنوا بالله ومثله كثير • واما قول من زعم انه لا توبة لمن قتل مؤمنا متعمدا فانه مخالف
للكتاب والسنة وذلك ان الله تعالى عم الذنوب جميعا وامر بالتوبة منها فقال عز وجل وتوبوا
الى الله جميعا ايها المؤمنون ولم يفصل بين ذنب وذنب واذا كان الله تعالى يقبل التوبة من الكفر
فقبولها من القتل اولى • وقال تعالى والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم

قيل صح

الله الا بالحق الى قوله تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا الاية • وقال اخوة يوسف اقتلوا
يوسف ثم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين اي تايبين • وسئل النبي صلى الله عليه وسلم
امن كل ذنب تقبل التوبة قال نعم • ثم المقتول اذا اقتص منه الولي فذلك جزاؤه في الدنيا وفيما بين
المقتول والقاتل الاحكام باقية في الاخرة لان الولي وان قتله فانما اخذ حق نفسه المتشفي ودرك
الغيظ فاما المقتول فلم يكن له في القصاص منفعة قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في
سبيل الله فتبينوا قال ابن عباس نزلت في مرداس بن نهيك كان مسلما لم يسلم من قومه غيره فسمعوا
بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم فهربوا كلهم واقام الرجل في غنمه لانه كان على دين
المسلمين فلما راى الخيل خاف ان يكونوا من غير اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فالجا غنمه الى
عاقول من الجبل وهو المعوج فلما سمعهم انهم يكبرون عرف انهم الصحابة فكبر ونزل وهو يقول لا اله الا الله
محمد رسول الله السلام عليكم فغشاه اسامة بن زيد فقتله واساق غنمه وكان امير السرية غالب
بن فضالة الليثي ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه فانزل الله هذه الاية فقراها
رسول الله صلى الله عليه وسلم على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي قال وكيف بلا اله الا الله
قال ذلك ثلاث مرات ثم استغفر له بعد ثلاث مرات وامره ان يعتق رقبة • وعن الحسن ان اناسا من
المسلمين لقوا اناسا من المشركين فحملوا عليهم فشد رجل منهم معه متاع فلما غشيه السيف قال اني مسلم
فكذبه ثم اوجره السنان واخذ متاعه وكان والله قليلا فاخبر بذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال جندب بن سفيان ولقد كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه وقال
يا رسول الله بينا نحن نطلب القوم وقد هزمهم الله تعالى اذ لحقت رجلا بالسيف فلما احس ان السيف
واقع به قال اني مسلم اني مسلم فقتلته • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلت مسلما قال يا نبي
الله انه قال ذلك متعوذا فقال فهلا شققت عن قلبه فنظرت اصادقا هو ام كاذبا قال لو شققت عن
قلبه ما كان يعلمني هل قلبه الا بضعة من لحم قال فانت قتلته لا ما في قلبه علمت ولا لسانه صدقت انما

تعجز عنه لسانه • فقال يا رسول الله استغفر لي قال لا استغفر لك قال فما لبث القاتل ان مات فدفنوه فاصبح على
ظاهر الارض الى جانب قبره ثم عادوا فحفروا له وامكنوا فدفنوه فاصبح على ظاهر الارض ثلاث مرات • فلما راى
ذلك قومه استحيوا وحزنوا اخذوا برجله فالقوه في شعب من الشعاب • فقال صلى الله عليه وسلم انها لتطابق
على من هو اعظم جرما منه ولكن اراد الله ان يبين لكم حرمة الدم • ومعنى الاية يا ايها الذين امنوا اذا خرجتم
مسافرين في طاعة الله فتبينوا اي ميزوا الكافر من المومن بالدلايل والعلامات ولا تعجلوا بالقتل حتى يتبين
لكم ذلك • ومن قرا فتثبتوا بالثا فمعناه قفوا في امر من اظهر لكم الاسلام ولا تعجلوا بقتله ولا تقولوا لمن
القى اليكم السلم اي الانقياد والمتابعة واسمعكم كلام الاسلام لست مومنا فتقتلوه تطلبون بردا سلامه
استغنام ما معه من المال فعند الله مغانم كثيرة يظهركم عليها ويبيح لكم اخذها • ومن قرا السلام بالالف
فمعناه لا تقولوا لمن سلم عليكم ودعاكم لست مومنا والتسليم من علامات الاسلام به يتعارف المسلمون وبه
يحيي بعضهم بعضا قوله تعالى تبتغون عرض الحيوة الدنيا يعني تطلبون بذلك الغنم والغنيمة وسلبه
وعرض الدنيا منافعها ومتاعها قوله تعالى كذلك كنتم من قبل اي كذلكم كنتم من قبل الهجرة تامنون في
قومكم بين المومنين بلا اله الا الله فكيف تخيفون وتقتلون من قالها فنهاهم الله تعالى ان يخيفوا احدا
يامن بما كانوا يامنون بمثله وهم في قومهم • وقيل معناه كنتم تقتلون وتوخذ اموالكم قبل الهجرة فمن الله
عليكم بتوفيق الايمان والهجرة فتبينوا ولا تخيفوا احدا بامر كنتم تامنون بمثله ان الله كان بما تعملون من
القتل وغير ذلك خبيرا قوله عز وجل لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر اي لا يستوي في
الفضل والثواب القاعدون عن الجهاد من المومنين الاصحاء الذين لا ضرر بهم من المرض والزمانة ولا
عذر يمنعهم من الجهاد والمجاهدون في طاعة الله بالانفاق من اموالهم والخروج بانفسهم • روى
انه نزل اولا لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون في سبيل الله فجا ابن ام مكتوم و
رجل اخر معه وهما اعميان فقالا يا رسول الله امر الله بالجهاد وفضل الله المجاهدين على القاعدين
وحالنا على ما ترى فهل لنا من رخصة والله لو استطعنا لجاهدنا فنزل قوله غير اولي الضرر
اي غير اولي الضرر في البصر يجعل لهم من الاجر ما للمجاهدين • وروى ابن ابي ليلى قال لما نزل قوله تعالى

لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون في سبيل الله • قال ابن ام مكتوم اللهم انزل عذري
فنزل قوله غير اولي الضرر فوضعت بينهما وكان بعد ذلك يغزو ويقول ادفعوا الي اللوا ويقول اقيموني
بين الصفين • وعن زيد بن ثابت قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي
وقد املا علي لا يستوي القاعدون من المومنين فعرض ابن ام مكتوم فثقلت فخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم على فخذي حتى كادت تحطم فنزل عليه غير اولي الضرر • ومن قرا غير اولي الضرر بالنصب
فهو نصب على الاستثنا كانه قال الا اولي الضرر كما يقال جاني القوم غير زيد • ويجوز ان يكون على الحال
اي لا يستوي القاعدون في حال صحتهم والمجاهدون وهذا كما يقال جاني زيد غير مريض اي صحيحا • و
من قرا غير بالرفع فيجوز الرفع في استثنا الاثبات من النفي • ويجوز ان يكون غير صفة للقاعدين وان كان
اصل غير ان يكون صفة لما هو نكرة المعنى لا يستوي القاعدون الذين هم غير اولي الضرر والمجاهدون
في الفضل والثواب وان كانوا كلهم مومنين • واختار بعضهم قراة الرفع لان معنى الصفة على لفظة
غير اغلب من معنى الاستثنا • واختار بعضهم قراة النصب لان قوله اولي الضرر نزل بعد قوله لا يستوي
القاعدون من المومنين والمجاهدون في سبيل الله فكون معنى الاستثنا به اليق قوله تعالى فضل الله
المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة اي فضيلة ومنزلة وكلا وعد الله الحسنى اي
وكلا الفريقين المجاهد والقاعد وعدهم الله الحسنى يعني الجنة بالايمان وفي هذا دليل ان الجهاد
فرض على الكفاية لانه لو كان فرضا على الاعيان لم يجز ان يكون القاعد عنه موعودا بالحسنى قوله
تعالى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما اي فضل الله المجاهدين على القاعدين
عن الجهاد بغير عذر ثوابا حسنا في الجنة فقوله تعالى اجرا نصب على التفسير • وقال الاخفش على
المصدر تقديره اجرهم الله اجرا • والفايدة في تكرار لفظ التفضيل ان في الاول بيان تفضيل
من جاهد بالمال والنفس جميعا وفي اخر الاية بيان تفضيل المجاهد مطلقا فيدخل فيه المجاهد
بالمال والنفس والمجاهد بالمال دون النفس وبالنفس دون المال قوله تعالى درجات منه
ومغفرة ورحمة هذا بدل من قوله تعالى اجرا او صفة له وهو في موضع نصب • وعن ابن محيريز انه

فضّل الله المجاهدين على القاعدين سبعين درجة بين كل درجتين مسيرة سبعين خريفاً للجواد المضمر وقوله
تعالى وكان الله غفوراً رحيماً اي غفور الذنب من جاهد رحيماً اذ سوّى في وعد الحسنى بين من له العذر و
بين من جاهد • فان قيل كيف ذكر التفضيل في هذه الآية بدرجات وفي الآية قبلها بدرجة • قلنا قال
بعضهم اراد بذكر الدرجة في الآية الاولى الفضيلة والكرامة في الدنيا وبذكر الدرجات درجات الجنة
فهي منازل في النعيم بعضها اعلا من بعض • وذكر المغفرة لبيان خلوص نعيمهم عن الكدر كما روي في الخبر
ان الله تعالى لينسيهم في الجنة ما كان منهم من الذنوب في الدنيا حتى لا يلحقهم الحياء وذكر الرحمة لبيان ان الله
اعطاهم ذلك النفع العظيم على جهة النعمة مع ما يضاف اليه من الفضل بالزيادة في النعمة • وقال بعضهم
اراد بالتفضيل في الدرجة في الآية الاولى تفضيل المجاهدين على القاعدين المعذورين وبالآية الثانية
تفضيلهم على القاعدين الذين لا عذر لهم قوله عز وجل ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم
كنتم الآية قال ابن عباس نزلت في قوم من اهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا اي اظهروا الاسلام و
اسروا النفاق فلما كان يوم بدر خرجوا مع المشركين الى المسلمين فلما رأوا قلة المسلمين قالوا وهم
مع المشركين غرّ هؤلاء دينهم فقتلوا يومئذ فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم وقالت لهم لم ذا
خرجتم مع المشركين وتركتم الهجرة • وكان سؤال الملائكة لهم هذا على سبيل التقريع والتوبيخ • ويجوز
ان يكون معناه فيم كنتم في المشركين ام في المسلمين قالوا كنا مستضعفين في الارض اي مقهورون في ارض
مكة فاخرجونا معهم كارهين قالت الملائكة الم تكن ارض الله واسعة يعني ارض المدينة واسعة
امينة فتهاجروا فيها اي اليها وتخرجوا من بين اظهر المشركين وقوله تعالى ظالمي انفسهم نصب على الحال
المعنى توفاهم الملائكة في حال ظلمهم لانفسهم بالشرك والنفاق والاصل ظالمين لان النون حذفت
استخفافاً وهي ثابتة في المعنى فيكون هذا في معنى النكرة وان اضيف الى المعرفة كما في قوله تعالى هدياً
بالغ الكعبة وقوله تعالى توفاهم الملائكة اي تقبض ارواحهم عند الموت وانما حذفت التاء الثانية
لاجتماع التائين قوله تعالى فاولئك مأواهم جهنم اي اهل هذه الصفة مصيرهم ومنزلتهم جهنم
وساءت مصيراً لمن صار اليها • واختلفوا في خبر ان الذين توفاهم • قال بعضهم خبره قالوا فيم كنتم

اي قالوا

اي قالوا لهم فيم كنتم • وقال بعضهم خبره فاولئك مأواهم جهنم • وفي قوله تعالى الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها دليل انه لا عذر لاحد في المقام على المعصية في بلد لاجل المال والولد والاهل
بل ينبغي ان يفارق وطنه ان لم يمكنه اظهار الحق فيه • ولهذا روي عن سعيد بن جبير انه قال اذا عمل
بالمعاصي في ارض فاخرج منها • وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من فرّ بدينه
من ارض الى ارض وان كان شبراً استوجب به الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم
قوله عز وجل الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء من قوله تعالى فاولئك مأواهم
جهنم • والمعنى الا من صدق انه مستضعف من الشيوخ والولدان والنساء لا يجدون نفقة الخروج
الى المدينة ولا يمكنهم الخروج اليها ولا يعرفون الطريق حتى يهاجروا • والمعنى الا المستضعفين المخلصين
المقهورين بمكة لم يستطيعوا الهجرة ومنعوا من اللحوق بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم يريدون
اللحوق به وقوله تعالى ولا يهتدون سبيلا قال مجاهد معناه لا يعرفون طريق المدينة • وقال ابن
عباس كنت انا وامي من الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا وكنت غلاماً صغيراً يومئذ فنحن
ممن استثنا الله عز وجل قوله تعالى فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم اي اهل هذه الصفة من المستضعفين
عسى الله ان يتجاوز عنهم • وعسى من الله كلمة ايجاب لانه ارحم الراحمين • والفائدة في ذكر هذا اللفظ
ان يكون العبد بين الخوف والرجاء وقوله تعالى وكان الله عفواً غفوراً اي لم يزل عفواً عن عباده غفوراً
لهم قوله عز وجل ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغماً كثيراً وسعة اي من يخرج في
سبيل الله الذي امر الله بالهجرة فيه وهو في سبيل المدينة يجد في الارض متحولاً كثيراً ومخرجاً
عما يكره وقوله تعالى وسعة اي سعة في الرزق • وقال قتادة سعة في اظهار الدين وانما قال ذلك
لما كان يلحقهم من التضييق من جهة الكفار وفي اظهار دينهم قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجراً
الى الله ورسوله قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض
مراغماً كثيراً وسعة سمعها رجل من بني الليث شيخ كبير يقال له جندع بن ضمرة فقال انا والله ممن
استثنا الله تعالى فاني لا اجد حيلة والله لا ابيت ليلة بمكة فخرجوا به يحملونه على سرير

فأتوا به التنعيم فأدركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم إن هذه لك وهذه لرسولك
أبايعك على ما بايعك عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات حميدا فبلغ ذلك أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم وكانوا يقولون لو بلغ إلينا لتم أجره وضحك المشركون وقالوا ما أدرك
ما طلب فأنزل الله تعالى هذه الآية ومن يخرج من بيته مهاجرا أي مهاجرا قومه وأهله وولده
إلى طاعة الله وطاعة رسوله ثم يدركه الموت في الطريق فقد وجب ثوابه على الله المليّ الوفي بوعده
وكان الله غفورا لما كان منه في الشرك رحيما به في الإسلام قوله عز وجل وإذا ضربتم في الأرض
فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة أي إذا سافرتم في الأرض لأن الخروج إلى الصحرا والقصد إلى القرية
القريبة لا يسمى ضربا في الأرض وقوله تعالى فليس عليكم جناح أي ليس عليكم حرج ومأثم في أن تقصروا من
الصلوة يعني من أربع ركعات إلى ركعتين إن خفتم أي إن علمتم أن يغتالكم الذين كفروا ويقتلوكم إن
الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا أي عدوا ظاهر العداوة يبينون عداوتهم لكم • وفي الآية ذكر القصر من
الصلوة بين شرطين • وأجمعت الأمة أن أهل القصر لا يتعلق بهما وأن كل واحد منهما يؤثر في القصر نوع تأثير
فتأثير السفر في القصر في العدد في الصلوات الرباعية وتأثير الخوف في القصر في أركان الصلوة إذا خاف
إن قام في الصلوة أن يراه العدو أو خاف وخاف إن نزل عن الدابة أن يدركه العدو كان له ترك
القيام وأن يومي على الدابة فيحتمل أن حرف العطف مضمر في قوله إن خفتم كأنه قال وإن خفتم أن يفتنكم
الذين كفروا فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة • وقال الحسن صلوة السفر ركعتان فإذا قام
الحرب فركعة وهذا اللفظ يقتضي القصر الذي هو في غاية في القصر متعلق بشرطين على مذهبه • وروي
أن رجلا سئل عمر رضي الله عنه عن هذه الآية فقال كيف يقصر الناس وقد أمنوا فقال عمر عجبت مما عجبت
منه حتى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق بها عليكم فاقبلوا
صدقته وصدقة الله علينا تقتضي إسقاط الفرض عنا وفي قوله صلى الله عليه وسلم فاقبلوا صدقة
دليل أن القصر عزيمة لا رخصة لأن ظاهر الأمر على الوجوب • ولهذا قال أصحابنا أن المسافر إذا صلى
الظهر أربعا ولم يقعد في الثانية قدر التشهد فسدت صلاته كمصلي الفجر أربعا قوله عز وجل

وإذا

220

وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة فلتقم طايفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم الآية قال ابن عباس
لما رأى المشركون رسول الله صلى الله عليه وأصحابه قاموا إلى صلوة الظهر وهو يؤمهم ندموا على
تركهم الإقدام على قتالهم • فقال بعضهم دعوهم فإن بعدها صلوة هي أحب إليهم من آبائهم وأولادهم
يريدون العصر فإذا رأيتموهم قاموا إليها فشدوا عليهم فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآية وأطلع
الله النبي صلى الله عليه وسلم على قصدهم ومكرهم • وعن هذا كان إسلام خالد بن الوليد حين
عرف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلع على ما كان من قصد المشركين في السر فيما بينهم ومعنى الآية
وإذا كنت يا محمد مع المؤمنين في الغزو فابتدأت في صلوة الخوف فليقم جماعة منهم معك في الصلوة
ولتكن أسلحتهم معهم في صلوتهم لأن ذلك أهيب للعدو فإذا سجدت الطايفة التي معك وصلت ركعة
فلينصرفوا إلى المصاف وليقفوا بإزاء العدو ولتأت طايفة أخرى وهم الذين كانوا بإزاء العدو ولم
يصلوا معك في الركعة الأولى فليصلوا معك الركعة الأخرى ولتكن أسلحتهم معهم في الصلوة ولم يذكر
في الآية لكل طايفة إلا ركعة واحدة وفي صلوة الخوف خلاف بين العلماء • قال بعضهم إنها غير مشروعة
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رواية عن أبي يوسف وهو قول الحسن بن زياد لأن في
هذه الآية ما يدل على كون النبي صلى الله عليه وسلم شرطا في إقامة صلوة الخوف ولأنها إنما جازت
للنبي صلى الله عليه وسلم ليستدرك الناس فضيلة الصلوة خلفه لأن إمامة غيره لم تكن تقوم
مقام إمامته • وذهب أكثر العلماء إلى أن صلوة الخوف مشروعة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وأن الخطاب
فهذا وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالأئمة بعده يقومون مقامه كما في قوله تعالى خذ من
أموالهم صدقة ونحو ذلك من الآيات • واختلفوا في كيفية صلوة الخوف • فقال أبو حنيفة ومحمد
يجعل الإمام الناس طايفتين طايفة بإزاء العدو وطايفة معه فيصلي بهما ركعة ثم ينصرف هذه الطايفة
إلى وجه العدو وتجيء الأخرى فيصلي بهم ركعة ويتشهد ويسلم ثم ترجع هذه الطايفة إلى وجه
العدو بغير سلام ويأتي الأولى فيقضي الركعة الثانية وحدانا بغير قراءة فإذا سلمت وقفت بإزاء العدو
وجاءت تلك الطايفة فيقضي الركعة الأولى وحدانا بقراءة • وعن أبي يوسف إذا كان العدو في وجه

القبلة ووقف الامام وجعل الناس خلفه صفين فافتتح بهم الصلوة معا فصلى بهم ركعة فاذا سجد سجد
معه الصف الاول ووقف الثاني يحرسونهم فاذا رفعوا رؤسهم من السجود سجد الصف الثاني وتاخر الاول
ويقدم الصف الثاني فركع بهم جميعا ثم يرفعون رؤسهم ويسجد الصف المقدم سجدتين والصف الاخر
يحرسونهم ثم يسجد الصف المؤخر سجدتين لانفسهم ثم تشهد الامام وسلم بهم جميعا وهكذا قال ابن ابي ليلى
وقال ابو حنيفة يجعل الامام الناس طايفتين فيصلي بطايفة ركعة وسجدتين ثم ينتظر الامام حتى يصلوا
بقية صلوتهم ويسلموا وينصرفوا الى وجه العدو وتاتي الطايفة الاخرى فيصلي بهم ركعة وسجدتين
وسلم الامام ويقومون فيتمون صلوتهم • وقال الشافعي مثل ذلك الا انه قال في الطايفة الاخرى
لا يسلم بهم الامام ولكن ينتظر حتى يقوموا فيتموا صلوتهم ثم يسلم بهم وانما وقع بهم هذا الاختلاف
لاختلاف الاخبار الواردة في هذا الباب • روى علي وابن مسعود وجماعة من الصحابة ان النبي صلى الله
عليه وسلم صلاها كما ذكرنا عن ابي حنيفة ومحمد • وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
صلاها كما قال ابو يوسف • وعن سهل بن ابي حثمة انه صلى الله عليه وسلم صلاها كما قال الشافعي
فدلت هذه الاخبار على جواز الجميع وانما يقع الكلام في الاولى والاقرب الى ظاهر القرآن وظاهره يشهد للرواية
التي رواها علي وابن مسعود لان في قوله تعالى فلتقم طايفة منهم معك دليل على ان الامام لا يصلي
بالطايفتين معا وفي قوله تعالى فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم دليل على ان الطايفة الاولى تنصرف
عقيب السجود • وعند مالك والشافعي لا تنصرف الطايفة الاولى الا بعد تمام الصلوة • وفي قوله ولتات
طايفة اخرى لم يصلوا دليل ان الطايفة الثانية تاتي وهي غير مصلية وهذا خلاف ما قال ابو يوسف
وهذا كله اذا امكنهم اقامة الصلوة بالجماعة • اما اذا لم يمكنهم الجماعة لقيام القتال وكثرة
العدو صلى كل واحد منهم لنفسه على حسب ما امكنه اما الى القبلة واما الى غيرها اذا لم
يمكنه التوجه اليها او راكبا يومي ايماء كما قال تعالى فان خفتم فرجالا او ركبانا قوله عز وجل
ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم
ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم قال ابن عباس غزا رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم محاربا وبني انمار فهزمهم الله تعالى فنزل النبي صلى الله عليه وسلم و
المسلمون ولا يرون من العدو واحدا فوضعوا اسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمشي لحاجة له قد وضع سلاحه حتى قطع الوادي فالسما ترش فحال الوادي بين رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصل شجرة فبصر به غورث بن الحرث
المحاربي فانحدر من الجبل ومعه السيف وقال لاصحابه قتلني الله ان لم اقتل محمدا فلم يشعر به رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قايم على راسه وفي يده السيف مسلولا • فقال يا محمد من يعصمك
مني الان فقال الله عز وجل ثم قال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني غورث بن الحرث بما شئت فاهوى
بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فانكب لوجهه وندر سيفه فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخذ السيف وقال من يمنعك ويعصمك مني يا غورث قال لا احد قال اتشهد
قل صح
ان لا اله الا الله واني رسول الله واعطيك سيفك قال لا ولكن لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك
عدوا واعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه • فقال غورث للنبي صلى الله عليه وسلم
والله لانت خير مني • فقال اجل انا احق بذلك منك فرجع الى اصحابه فقالوا له ويلك رايناك
قد اهويت بالسيف قايما على راسه ما منعك منه فقال لقد اهويت لكن والله لا ادري من زلخني
بين كتفي فخررت لوجهي وخر سيفي من يدي فسبقني الى سيفي فاخذ ثم رجع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقطع الوادي واتى اصحابه فاخبرهم بالقصة فانزل الله تعالى ولا جناح عليكم ان كان بكم
اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم اي لا اثم عليكم في ذلك وخذوا حذركم من عدوكم
من صح
ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا يهانون فيه وهو القتل في الدنيا والنار في الاخرة قوله عز وجل
فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم يعني صلوة الخوف اذا فرغتم منها فاذكروا
الله اي فصلوا لله قياما للصحيح وقعودا للمريض وعلى جنوبكم للمرضى والجرحى الذين لا يستطيعون
الجلوس • وقيل معناه فاذكروا الله بتوحيده وتسبيحه وشكره على كل حال • قال ابن عباس لم
يعذر الله احدا في ترك ذكره الا المغلوب على عقله وقوله تعالى فاذا اطماننتم اي رجعتم

الجزو الثاني وعشرون

من سفركم وزال عنكم الخوف والمرض والقتال فاقيموا الصلوة اى اتموها اربعا بركوعها وسجودها وساير
شروطها ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اى فرضا مفروضا موقتا اوقاته وقيل معلوما فرضه
للمسافر ركعتان وللمقيم اربع ركعات • وقال الاخفش موقوتا اى موقتا قوله تعالى ولا تهنوا فى ابتغاء
القوم اى لا تضعفوا فى ذلك القوم ابى سفيان واصحابه لما اصابكم من القتل والجراحات يوم احد وقوله تعالى
ان تكونوا تالمون اى ان كنتم تالمون من الجراح فلهم مثل ذلك والمعنى ان كان لكم صارف عن الحرب وهو انكم
تالمون من الجراح فلهم مثل ذلك من الصارف ولكم اسباب داعية الى الحرب ليست لهم وهو انكم ترجون الثواب
والنصر من الله ما لا يرجون وكان الله عليما بمصالحكم حكيما فيما يامركم به قوله عز وجل انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله قال ابن عباس نزلت هذه الاية فى رجل من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق
سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكان الدرع فى غرار او جراب فيه دقيق فانتثر الدقيق من
المكان الذى سرقه الى باب منزله ففطن به انه هو السارق فمضى بالدرع الى يهودى يقال له زيد بن السمين
فاودعه اياها فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد عنده فحلف لهم ما اخذها ولا له بها علم • فقال
اصحاب الدرع لقد ادلج علينا واخذها وطلبنا اثره حتى دخلنا داره ورأينا اثر الدقيق منتثرا فلما حلف
تركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهوا الى منزل اليهود وطلبوه فقال دفعها الى طعمة بن ابيرق وشهد له ناس
من اليهود على ذلك • فقال قوم طعمة انطلقوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنكلمه فى صاحبنا فيعذر
ويتجاوز عنه فان صاحبنا برى معذور فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اهل لسان وبيان
فسالوه ان يعذره عند الناس فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعذره ويعاقب اليهودى فانزل
الله هذه الاية • وفى رواية عن ابن عباس ان طعمة سرق درعا وكان الدرع فى جراب فيه نخاله فخرق
الجراب حتى كان يتناثر النخاله بطول الطريق فجا به الى دار زيد بن السمين اليهودى وتركه على باب داره وحمل
الدرع الى بيته فلما اصبح صاحب الدرع جا الى زيد بن السمين على اثر النخالة وحمله الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقطع يده فانزل الله هذه الاية انا انزلنا اليك
يا محمد القران انزالا بالحق وقيل بالحق اى بالامر والنهى والفصل لتحكم بين الناس بما اعلمك الله واوحى

اليك ولا تكن يا محمد للخائنين خصيما اى لطعمة وقومه معينا قوله تعالى واستغفر الله اى تب
الى الله واستغفره مما هممت به من قطع يد زيد بن السمين • وقال الكلبى من همك باليهودى ان
تضربه • وقال مقاتل واستغفر الله من جدالك الذى جادلت عن طعمة ان الله كان غفورا لمن
يستغفره رحيما بالتائبين قوله عز وجل ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم اى ولا تخاصم
عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة والسرقة ورمى اليهودى بها ان الله لا يحب من كان خوانا اى
خائنا فى الدرع اثيما فى رميه اليهودى • وقيل الخوان المكتسب للاثم والاثم الفاجر بالكذب ورمى
البرى • وانما قال يختانون انفسهم وان كانوا خانوا غيرهم لان مضرة خيانتهم راجعة اليهم كما يقال
فيمن ظلم غيره ما ظلم الا نفسه • وانما قال خوانا ولم يقل خائنا لعظم امر الخيانة قوله تعالى يستخفون
من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول معناه يستخفى قوم طعمة
اى يستترون من الناس وهم يعلمون انه سارق ولا يستترون من الله اى لا يمكنهم الاستخفاء منه فان
سرهم وعلنهم عند الله ظاهر قوله تعالى وهو معهم وهو شاهد لافعالهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول
اى يدبرون ويقولون بالليل قولا لا يرضاه الله وهو اتفاق قوم طعمة على ان يرموا اليهودى وقوله
تعالى وكان الله بما تعملون محيطا اى عالما لا يفوته شئ كما لا يفوت المحيط بالشئ قوله عز وجل
ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة وذلك ان النبى صلى الله
عليه وسلم اراد ان يقطع طعمة فى السرقة بعد هذه الايات فجا قومه شاكين فى السلاح فجادلوا عنه
وهربوا به فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها ها انتم يا قوم طعمة خاصمتم النبى صلى الله عليه
وسلم عن طعمة وعن خيانته فى دار الدنيا • وفى قراءة ابى جادلتم عنه فمن يجادل الله عالم الغيب والشهادة
يوم القيمة اذا اخذه بعذابه وادخله النار ام من يكون عليهم وكيلا متوكل بهم ويصلح امورهم ويحفظهم
من عذاب الله قوله عز وجل ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه اى ومن يعمل عملا يسوء به غيره نحو السرقة
والقتل والقذف ويظلم نفسه نحو الكذب واليمين الفاجرة وشرب الخمر وترك الفرايض ثم يستغفر الله
بالتوبة يجد الله غفورا للمستغفرين التائبين رحيما بهم بعد التوبة • وانما شرطت التوبة لان

الاستغفار لا يكون توبة بالاجماع ما لم تقل معه تبت واسأت ولا اعود اليه ابدا فاغفر لي يا رب • وقيل
معناه من يعمل سوء السرقه الدرع او يظلم نفسه برميه البرى بالسرقه • وقيل معناه يعمل سوءا اى شركا او يظلم
نفسه يجنى ما دون الشرك ثم يستغفر الله اى يتوب الى الله يجد الله غفورا رحيما • وقيل اراد بالسوء الكبيرة وبظلم
النفس الصغيرة • وعن علي كرم الله وجهه قال حدثني ابو بكر وصدق ابو بكر رضي الله عنه قال ما من عبد يذنب
ذنبا ثم يتوضى ويصلي ركعتين ويستغفر الله تعالى الا غفر الله له وتلى هذه الاية ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه
الاية قوله عز وجل ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه اى من يعمل معصية فانما عقوبته على نفسه وكان الله
عليما حكيما اى لم يزل عليما بكل ما يكون حكيما فيما حكم به من القطع على السارق • وقيل معنى الاية ومن يكسب اثما
يعني يمينه بالباطل فانما يضر به نفسه وكان الله عليما بسارق الدرع حكيما حكم بالقطع على طعمة بالسرقه • و
قد روى انه لما نزلت هذه الاية عرف قوم طعمة كلهم انه هو الظالم فاقبلوا عليه وقالوا له اتق الله وايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبوء بالذنب فقال لا والذي يحلف به ما سرقها الا اليهودي فنزل قوله تعالى
ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا اى ومن يعمل معصية بغير عمد او
متعمدا ثم يرم بما فعل بريا فقد استوجب عقوبة البهتان برميه غيره بشيء لم يفعله واثما مبينا اى ذنبا
بينا ظاهرا • وقيل معناه ومن يكسب خطيئة اى بيمينه الكاذبة او اثما بسرقه الدرع ورمى اليهودي • و
البهتان ان يبهت الرجل بما لم يفعل • وقال الزجاج البهتان الكذب الذي يتحير من عظمه قوله تعالى ولولا فضل
الله عليكم ورحمته لهمت طايفة منهم ان يضلوك اى لولا فضل الله عليك يا محمد بالنبوة والاسلام
ورحمته بارسال جبريل عليه السلام اليك بالقرآن الذي فيه خبر ما غاب عنك لقصدت جماعة
من قوم طعمة ان يخطئوك ويحملوك ان تحكم بما هو غير واجب في الباطن وان تبرئ الخاين من غير حقيقة
وما يضلون الا انفسهم اى وما يكون اضلالهم الا على انفسهم ولا ينقصونك شيئا مع عصمة الله تعالى
اياك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اى القرآن ومعرفة الحلال والحرام وعلمك بالوحى
ما لم تكن تعلم قبله وكان فضل الله عليك عظيما بالنبوة والاسلام • وفي هذه الايات دلالة
انه لا يجوز لاحد ان يخاصم عن غيره في اثبات حق او نفيه وهو غير عالم بحقيقة امره وانه

لايجوز

لا يجوز للحاكم الميل الى احد الخصمين وان كان احدهما مسلما والاخر كافرا وان وجد السرقه في يد الانسان
لا يوجب الحكم بها عليه قوله عز وجل لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح
بين الناس اى لا خير في كثير مما سار به قوم طعمة فيما يديرون بينهم الا نجوى من امر بصدقة فتصدق
بها • ويجوز ان يكون الا من امر استثناء ليس من الاول على معنى لكن فيكون موضع من امر نصبا على الاضمار
والاول موضعه خفض • وذهب الزجاج الى ان النجوى في اللغة ما ينفرد به الجماعة او الاثنان سرا كان
او ظاهرا وقال معنى نجوت الشيء اذا خلصته والقيته ونجوت فلانا اذا استنهكته قوله تعالى او معروف
اى فامر بمعروف ويسمى البر كله معروفا • قال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقه واول
اهل الجنه دخولا اهل المعروف • وصنايع المعروف تقي مصارع السوء قوله تعالى او اصلاح بين
الناس يعني الاصلاح بين المتخاصمين واصلاح ذات البين • قال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم
بافضل درجة من الصلوة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين • وفساد
ذات البين هي الحالقه فلا اقول يحلق الشعر ولكن يحلق الدين قوله تعالى ومن يفعل ذلك
ابتغاء مرضات الله معناه من يفعل ذلك البر والصلاح والصدقه لطلب مرضات الله تعالى
لا للريا والسمعة فسوف نعطيه اجرا عظيما اى ثوابا وافرا في الجنة قوله تعالى ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نزلت في طعمة وذلك انه لما نزل فيه القرآن
وعلم قومه انه ظالم وخاف هو على نفسه القطع والفضيحة هرب الى مكة فانزل الله تعالى هذه الاية
ومعناها ومن يخالف الرسول في التوحيد والحدود معاندا من بعد ما تبين له حكم الله ويتبع
دينا غير دين المؤمنين وهو دين اهل مكة نوله ما تولى اى نكله في الاخرة الى ما تولى في الدنيا • وقيل
نوله في الاخرة جزاء ما تولى في الدنيا • وقيل نتركه الى ما اختار لنفسه في الدنيا اى لا يتولى الله نصره
ولا معونته ونصله جهنم اى ونلزمه دخول جهنم في الاخرة وساءت جهنم مصيرا لمن صار اليها
فلم يتب طعمة ولم يندم واقام على كفره • ثم انه نقب بيت رجل من بني سليم من اهل مكة فسقط عليه
حجر فنشب فيه فلم يستطع ان يدخل ولا يخرج حتى اصبح فاخذ ليقتله فقال بعضهم دعوه فانه

قد جاء اليكم ويحرمكم فاتركوه فاخرجوه من مكة فخرج مع قوم من التجار نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق
بعض متاعهم وهرب فطلبوه فوجدوه فرموه بالحجارة حتى قتلوه فصادقين تلك الحجارة قوله عز وجل
انّ الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال ابن عباس نزلت هذه الاية في وحشي قاتل
حمزة رضي الله عنه والمعنى انّ الله لا يغفر شرك المشرك به اذا مات بغير توبة ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء من
اهل الاسلام من غير توبة • وقال الضحاك عن ابن عباس انّ شيخا من الاعراب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبي الله اني شيخ منهمك في الذنوب والخطايا الا اني لا اشرك بالله شيئا مذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من
دونه وليا ولم اقع على المعاصي جرأة على الله ولا مكابرة له ولا توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم
تايب مستغفر فما لي عند الله فانزل الله تعالى هذه انّ الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء **ومن
يشرك بالله فقد ضلّ ضلالا بعيدا** اي فقد ذهب عن الصواب والهدى ذهابا بعيدا وحرم الخير كله
والفايدة في قوله تعالى بعيدا انّ الذهاب عن الجنة على مراتب ابعدها الشرك بالله تعالى قوله تعالى **ان تدعون
من دونه الّا اناثا** اي ما تعبد اهل مكة من دون الله الا الاصنام والاوثان وسماها اناثا لانهم سموها
باسم الاناث اللات والعزى ومناة فعبدوها مع اعتقادهم بنقصان مراتب الاناث عن الذكور ولان الاناث
من كل جنس ارذله ويقال اناثا اي مواتا لانّ الموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن الاناث يقال هذه الاحجار
تعجبني قوله تعالى **وان يدعون الّا شيطانا مريدا** اي ما يريدون بعبادة الاوثان الا عبادة الشيطان
والمريد العاتي الخارج عن الطاعة ويسمى المريد مريدا لتعريه عن الخير يقال شجرة مرداء اي لا ورق عليها
وغلام امرد اذا لم يكن على وجهه شعر قوله تعالى **لعنه الله وقال لاتخذنّ من عبادك نصيبا مفروضا**
اراد به الشيطان ابعده من رحمته الى عقابه بالحكم له بالخلود في جهنم ويسقط بهذا قول من قال
كيف يصح ان يقال لعنه الله وهو في الدنيا لا يخلو من نعمة تصل اليه من الله في كل حال لانه لا يعتد بتلك
النعمة مع الحكم له بالخلود في النار قوله تعالى وقال لاتخذنّ من عبادك نصيبا مفروضا اي قال ابليس
لاتخذنّ من عبادك نصيبا معلوما فكل ما اطيع فيه فهو مفروض له والفرض في اللغة القطع ومنه
الفرضة اي الثلمة والفرض في القوس ما يشد به الوتر والفريضة في العبادات الامر الحتم القاطع وقوله

تعالى وقد فرضتم لهن فريضة اي جعلتم لهنّ قطيعة من المال واما قول الشاعر • اذا اكلت سمكا او فرضا •
ذهبت طولا وذهبت عرضا • فالفرض هنا التمر يسمى فرضا لانه يوخذ من فرايض الصدقة قوله تعالى **ولاضلنهم
ولامنينهم** حكاية قول ابليس اي لاضلنهم عن الحق ولامنينهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب
ولا رجينهم طول الحيوة في الدنيا **ولامرنهم فليبتكنّ اذان الانعام** اي بتشقيق اذان الانعام وهي البحيرة
التي كانوا يفعلونها نسكا وعبادة للاوثان والبتك القطع **ولامرنهم فليغيرنّ خلق الله** قال ابن عباس
ومجاهد وقتادة والحسن والضحاك فليغيرنّ دين الله نظيره لا تبديل لخلق الله اي لدين الله كقوله
وذلك الدين القيم • وقال عكرمة معناه فليغيرنّ خلق الله بالخصي والوشم وقطع الاذن وفقي العيون
قال مجاهد كذب عكرمة انما هو دين الله قوله تعالى **ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا
مبينا** اي يتخذ ناصرا من دون الله فقد غبن غبنا ظاهرا لانه خسر الجنة والنعيم الذي فيها • فان قيل كيف علم
ابليس انه يتخذ من عباد الله نصيبا فيه اجوبه • منها انّ الله لما خاطبه بقوله لاملانّ جهنم من الجنة والناس
اجمعين علم ابليس انه ينال من ذرية ادم ما يتمنا • ومنها انه لما وسوس لادم فنال منه ما نال طمع في
ذريته • ومنها انه ابليس لما عاين الجنة والنار علم ان لها سكانا من الناس قوله **يعدهم ويمنيهم** اي نعدهم
ان لا جنة ولا نار ويمنيهم طول البقا في الدنيا ودوام نعيمها ويوثروها على الاخرة **وما يعدهم الشيطان
الّا غرورا** اي باطلا والغرور ايهام النفع فيما فيه ضرر **اولئك مأواهم جهنم** اي اهل هذه الصفة مستقرهم
جهنم **ولا يجدون عنها محيصا** اي مخلصا يقال حاص يحيص حيصا اذا عدل عن الشيء قوله تعالى
والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار اي انهار الما واللبن
والخمر والعسل **خالدين فيها** اي مقيمين في الجنة الى الابد • وانما ذكر الطاعة مع الايمان وجمع بينهما
فقال امنوا وعملوا الصالحات ليبين بطلان توهم من يتوهم انه لا تضر المعصية والاخلال
بالطاعة مع الايمان كما لا تنفع الطاعة مع الكفر وليبين استحقاق الثواب على كل واحد من الامرين
قوله تعالى **وعد الله حقا** انتصب وعد على المصدر تقديره وعد الله لهم هذا وعدا حقا كاينا
ومن اصدق من الله قيلا اي ليس احد اصدق من الله قولا ووعدا قوله عز وجل **ليس باماينكم**

ولا اماني اهل الكتاب اى ليس ثواب الله تعالى باما نيكم فان ليس يقضى بها • واختلفوا فى المخاطبين بهذه الاية
قال قتادة والضحاك ان اهل الكتاب والمسلمين افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم
ونحن اولى بالله منكم • وقال المسلمون نحن اولى بالله منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب التى
كانت قبله فانزل الله تعالى هذه الاية • وقال مجاهد المخاطبون بها عبدة الاوثان فانهم قالوا لا بعث ولا
حساب وقال اهل الكتاب لن تمسنا النار الا اياما معدودة فانزل الله تعالى ليس باما نيكم ولا اماني اهل
الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا ينفعه تمنيه والمراد بالسوء الكفر وقال بعضهم المخاطب بها المسلمون اى ليس
باما نيكم يا معشر المسلمين ان لا تواخذوا بسوء بعد الايمان • ولا اماني اهل الكتاب الا يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى من يعمل معصية يجز بذلك ولا ينفعه تمنيه • روى انه لما نزلت هذه الاية قال ابو بكر
رضى الله عنه يا رسول الله كيف الفلاح بعد هذه الاية • فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر
الست تمرض الست تنصب الست تصيبك اللاواء قال بلى فهو ما تجزون به • وعن ابى هريرة رضى الله عنه
انه قال لما نزلت هذه الاية شق ذلك على المسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قاربوا
وسددوا فان كل ما يصيب المؤمن كفارة حتى الشوكة يشاكها فى قدميه والنكبة ينكبها • قال عطا لما نزل
قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر رضى الله عنه هذه قاصمة الظهر يا رسول الله وايّنا لم يعمل
سوءا وانا المجزون بكل سوء عملناه فقال انما هى المصيبات تكون فى الدنيا • وقال ابو هريرة لما نزل قوله تعالى
من يعمل سوءا يجز به بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما ابقت هذه الاية من شىء • قال اما والذى نفسى بيده
لكما انزلت ولكن ابشروا وقاربوا وسددوا انه لا يصيب احدكم مصيبة فى الدنيا الا كفر عنه بها خطيئة
حتى الشوكة يشاكها فى قدمه • وقال الحسن فى قوله من يعمل سوءا يجز به قال هو الكافر واما المؤمن فلا
يجازى يوم القيمة الا باحسن عمله ويتجاوز عنه سيآته ثم قرا ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا و
يجزيهم اجرهم باحسن الذى كانوا يعملون وقرا وهل نجازى الا الكفور ولولا السنة لامكن ان يقال
ان الاية نزلت فى الكفار لان فى سياق الاية ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن لم يكن له يوم
القيمة ولى ولا نصير كان كافرا لان الله تعالى قد ضمن نصر المؤمنين فى الدارين فقال تعالى انا لننصر

رسلنا

رسلنا والذين امنوا فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ولكن الخطاب اذا ورد مجملا وبينه الرسول عليه
السلام كان الحكم لبيانه لا للاية اذ البيان اليه صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لتبين للناس ما
نزل اليهم قوله عز وجل ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن اى وهو مصدق بالثواب والعقاب
فاولئك يدخلون الجنة فى الاخرة ولا يظلمون نقيرا اى ولا ينقصون مما استحقوه من جزاء اعمالهم مقدار
النقير وهو النقرة التى تكون فى ظهر النواة قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن
معناه احكم واصوب طريقة واحسن سيرة ممن اخلص عمله وطاعته لله وهو محسن فى الاعتقاد والعمل
فيما بينه وبين ربه واتبع دين ابراهيم حنيفا اى مائلا عن كل دين سوى الاسلام • وقيل الحنيف المستقيم
فى سلوك الطريق الذى امر بسلوكه • ومعنى المحسن ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن
الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا
قال الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس خليلا اى صفيا • وقيل فى معنى قوله خليلا وجهان احدهما الاصطفا
بالمحبة والاختصاص بالاسرار دون من لم تكن له تلك المنزلة • والثانى من الخلة وهو الحاجة فخليل الله
المحتاج اليه المنقطع بحوائجه الى الله تعالى دون غيره وقد سمى الفقير خليلا قال زهير • وان اتاه خليل
يوم مسغبة • يقول لا غائب مالى ولا حرم • اى ولا ممنوع فاذا اريد به فى الوجه الاول جاز ان
يقال ابراهيم خليل الله والله خليل ابراهيم • واذا اريد الوجه الثانى لم يجز ان يوصف الله تعالى بانه
خليل ابراهيم وجاز وصفه بانه خليل الله • وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال اتخذ الله ابراهيم خليلا لاطعامه الطعام وافشائه السلام وصلوته
بالليل والناس نيام • فان قيل لم كان اتباع ملة ابراهيم اولى من اتباع ملة غيره من الانبيا مثل عيسى وموسى
قيل ان الفرق كلهم متفقون على تعظيمه ووجوب اتباع ملته وهو كان يدعو الى الحنفية دون اليهودية
والنصرانية قوله عز وجل ولله ما فى السموات وما فى الارض انما قال هكذا لتبين ان ابراهيم مع كونه
خليل الله عبد له وانه لم يتخذه لحاجته اليه ولكنه اتخذه خليلا جزاء على عمله • وقال بعضهم انما
قال ذلك انه لما امر الناس بطاعته حثهم على الطاعة بما يوجب الرغبة فيها وهو كونه مالك السموات

والارض قوله تعالى وكان الله بكل شيء محيطا اي لم يزل قادرا على كل شيء عالما بكل شيء من كل وجه فلا
يخرج شيء عن معلومه ومقدوره قوله عز وجل ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن قال ابن عباس
نزلت في ام كجه امراة اوس بن ثابت وبناتها منه لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوريثهن من اوس
اقبل عيينة بن حصن الفزاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتاك قد ورثت
النسا والبنات والصغار ولم نكن نحن نورث الا من قاتل على ظهر الخيل وحاز الغنيمة فانزل الله هذه الاية
ويقال انها نزلت بعد نزول قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم الى قوله عليما حكيما قبل نزول فرض
الزوجات فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتونه في ميراث ام كجه امراة المتوفى فانزل
الله هذه الاية ووعدهم ان يفتيهم في ميراث الزوجات فافتاهم في ذلك بقوله تعالى ولكم نصف
ما ترك ازواجكم الى اخر الاية ومعنى الاية يستفتونك يا محمد في امر النسا وما يجب لهن من
الميراث قل الله يبين لكم ميراثهن والذي يقرا عليكم في كتاب الله في اول هذه السورة يفتيكم ويبين لكم ما سالتم
عنه في بنات ام كجه اللاتي لا تعطونهن ما فرض لهن من الميراث وقوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم قوله تعالى
وترغبون ان تنكحوهن اي وترغبون عن نكاحهن لدمامتهن فلا تعطوهن نصيبهن من الميراث لترغب فيهن
غيركم وذلك ان بني اعمام تلك البنات كانوا اولياءهن وكانوا لا يعطونهن حقهن من الميراث وترغبون ان
يتزوجوهن هذا قول ابن عباس وابن جبير وقتادة ومجاهد • وعن عايشة رضي الله عنها والحسن ان
معناه وترغبون في ان تتزوجوهن بجمالهن ولا تعطوهن ما اوجب الله لهن من الصداق وفي كلا القولين
دليل على جواز نكاح الاوليا لليتاما قوله تعالى والمستضعفين من الولدان اي وفي المستضعفين من
الولدان اي في ميراث اليتامى وقوله وان تقوموا لليتامى بالقسط اي وفي ان تقوموا لليتامى بالقسط في اموالهم
وحقوقهم بالعدل قوله تعالى وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما اي ما تفعلوا من خير في امر اليتامى
والضعاف فان الله كان به عليما يجزيكم على ذلك • واختلف اهل النحو في موضع وما يتلى عليكم فذهب اكثرهم
الى انه موضع رفع تقديره وما يتلى عليكم في الكتاب يفتيكم • وقال بعضهم هو في موضع خفض تقديره
وفيما يتلى عليكم الا ان هذا الوجه اضعف من الاول لانه لا يصح عطف الظاهر على المضمر بحرف الجر من دون

اعادة

اعادة حرف الجر قوله عز وجل وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا الاية نزلت في خويلة
ابنة محمد بن مسلمة وفي زوجها سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر جفاها وتزوج
عليها شابة اثرها عليها فشكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وهذا قول
الكلبي وجماعة من المفسرين • وقال سعيد بن جبير كان رجل له امراة قد كبرت وكان لها ستة اولاد
فاراد ان يطلقها ويتزوج عليها فقالت لا تطلقني دعني على ولادي واقسم لي في كل شهرين او اكثر ان
شئت وان شئت لا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكر له ذلك فانزل الله هذه الاية ومعناها وان امراة خافت اي علمت من زوجها بغضا واعراضا
بوجهه عنها لايثار غيرها عليها قال الكلبي يعني ترك مجامعتها ومضاجعتها ومجالستها ومحادثتها
فلا جناح على الزوج والمراة ان يصالحا بينهما صلحا معلوما بتراضيهما وهو ان تقول لها الزوج انك
امراة قد دخلت في السن وانا اريد ان اتزوج عليك امراة شابة واوثرها عليك في القسم لشبابها
او ازيد في نصيبها من القسم فان رضيت والا سرحتك بالاحسان وتزوجت اخرى فان رضيت بذلك
فهي المحسنة وحل للزوج ذلك • كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه طلق امراته
سودة فسالته لوجه الله ان يراجعها ويجعل يومها لعايشه ففعل ومثل هذا الصلح لا يقع لازما
لانها اذا ابت بعد ذلك الا المقاسمة على السوا كان لها ذلك قوله تعالى والصلح خير اي خير من الاقامة
على النشوز • وقيل خير من الفرقة ودخول حرف الشرط على الاسم في قوله تعالى وان امراة فعلى تقدير
فعل مضمر اي وان خافت امراة خافت وعلى التقديم والتاخير كانه قال وان خافت امراة من بعلها
نشوزا وعلى هذا قوله تعالى ان امرؤ هلك وان احد من المشركين استجارك وهذا لا يكون الا
في الفعل الماضي كما يقال ان الله امكنني فعلت كذا فاما في المستقبل فيقبح ان يفرق بين التي للجزا وبين لفظ
الاستقبال فيقال ان امراة تخف لان ان تجزم المستقبل فلا يفصل بين العامل والمعمول قوله تعالى
واحضرت الانفس الشح اي جبلت الانفس على الشح فشح المراة الكبيرة يمنعها من الرضا بذلك ونحوها وترك
بعض نصيبها من الرجل لغيرها وشح الرجل بنصيبه من الشابة يمنعه من توفير نصيب الكبيرة من القسم

عليها قوله تعالى وإن تحسنوا وتتقوا اي ان تحسنوا العشرة وتتقوا الظلم على النساء فإن الله كان بما تعملون
من الاحسان والجور عالما يخبر عملكم الحسن والسيئ فيجزيكم على ذلك قوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا
بين النساء ولو حرصتم اي ولن تقدروا ان تسووا بين النساء ولو اجتهدتم في العدل • كما روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم ان هذا قسمتي فيما املك
فلا تؤاخذني بما لا املك واراد به التسوية في المحبة قوله تعالى فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة
اي لا تميلوا الى الشابة والجميلة بالفعل كل الميل في النفقة والقسمة والاقبال عليها فتتركوا العجوز بغير قسمة
كالمنوطة والمحبوسة لا ايم ولا ذات بعل • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كانت له
امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل قوله تعالى وإن تصلحوا وتتقوا اي وان تصلحوا
ما افسدتموه بافراط الميل فتعدلوا في القسمة بينهن وتتقوا الجور والعقوبة فيه فإن الله كان غفورا لما
سلف منكم من الظلم عليهن رحيما بكم بعد التوبة قوله عز وجل وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته معناه ان الزوج
والمرأة اذا تفرقا خوفا من ترك حقوق الله تعالى التي اوجبها عليهما اغنى الله كلا من سعته اي من رزقه
الزوج بامرأة اخرى والمرأة بزوج آخر وكان الله واسعا لهما في النكاح حكيما حكم على الزوج بالامساك
بالمعروف والتسريح بالاحسان • وقيل معناه وكان الله واسع الملك جوادا لا يعجزه شيء ذو حكمة فيما يحكم
من الفرقة بجعل لكل واحد منهما من يسكن اليه فيتسلى به عن الاول • ومن حكم هذه الآية ان الرجل اذا قسم
لنسائه لا يجب عليه وطء واحدة منهن لان الوطء لذة له فهو حقه فاذا تركه لم يجبر عليه وليس هو كالمقام
والنفقة وعماد القسم الليل ولا يجامع المرأة في غير يومها ولا يدخل بالليل على التي لم يقسم لها ولا بأس ان يدخل
عليها في النهار في حاجة ويعودها في مرضها في ليلة غيرها فان ثقلت فلا بأس ان يقيم حتى تشفى او تموت
فان اراد ان يقسم ليلتين ليلتين او ثلثا ثلثا كان له ذلك قوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض
كلهم عبيده واماؤه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم اي امرنا اهل التورية في التورية واهل الانجيل
في الانجيل واهل كل كتاب في كتابهم واياكم اي ووصيناكم يا امة محمد في كتابكم ان اتقوا الله واطيعوه في امر
النساء واليتامى واحكامهم قوله تعالى وإن تكفروا اي وان تجحدوا وصية الله سبحانه فلم تعملوا بها

إلى صح

بأس صح

في التورية صح

فإن

فإن لله ما في السموات من الملئكة وما في الارض من الجن والانس وسائر الخلق وكان الله غنيا من عبادتكم لا يضره
كفر من كفر منكم ولا ينفعه طاعة من اطاع منكم حميدا محمودا في ذاته وفي خواص ملئكته وعباده حمدتموه
او لم تحمدوه • وقيل حامدا لمن وحده واطاعه قوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه
بعد تنبيه كانه تعالى ينبههم عن غفلتهم بانه حفيظ على اعمالهم كي يتحفظوا ولا ينتهوا ويؤتمروا
من امر الله تعالى وليس شيء من هذه الالفاظ تكرارا في كتاب الله تعالى ولكن كل واحد منها مقرون بفائدة
جديدة والفائدة في اعادة قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض بالثالث الامر بالاتكال على الله والثقة
به وتفويض الامور اليه ولذلك عقبه بقوله تعالى وكفى بالله وكيلا اي حافظا لاعمالكم كفيلا
بارزاقكم قوله تعالى إن يشاء يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين اي كما ملك الموجود من السموات
والارض يملك ايضا الاستبدال بافناء الخلق وانشاء الآخرين • وقيل هو خطاب للكفار لانه تعالى
قال من قبل وان تكفروا فكانه قال ان يشاء يذهبكم ايها الكفار ويأت بقوم آخرين اطوع منكم وكان الله على
اهلاككم وخلق غيركم قادرا قوله عز وجل من كان يريد ثواب الدنيا اي من كان يريد بعمله منفعة الدنيا
فليعمل لله ولا يقتصر على طلب الدنيا فان ثواب الدنيا واصل الى البر والفاجر والمؤمن والكافر ولكن ليتكلف
طلب الآخرة التي لا ينال الا بالعمل وكان الله سميعا لكلام عباده بصيرا بما في قلوبهم وفي الآية تهديد
للمنافقين المرائين • وفي الحديث ان في النار واديا تتعوذ منه جهنم كل يوم اربعمائة مرة اعد للقراء
المرائين • وقيل معنى الآية من كان يريد بعمله عوضا من الدنيا ولا يريد به وجه الله آتاه الله عليه
من عرض الدنيا ما احبه ودفع منه فيها ما احب قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين
بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم والوالدين والاقربين اي قوموا بالعدل وقولوا الحق والقوام
بالقسط المستعمل له على حسب ما يجب من انصافه من نفسه وانصاف كل مظلوم من ظالمه ومنع كل
ظالم من ظلمه ولفظ القوام لا يكون الا للمبالغة والقسط والاقساط العدل يقال اقسط
الرجل اقساطا اذا عدل واتى بالقسط وقسط يقسط قسوطا اذا جار قال الله تعالى
واقسطوا ان الله يحب المقسطين اي اعدلوا وقال تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم

يويد صح

اى الجايرون منهم

حطباً وقوله تعالى شهداء لله نصب على حد ثلثة اوجه احدها انه خبر ثان كما يقال هذا حلو حامض • والثاني على الحال كما يقال هذا زيد راكباً • والثالث على انه صفة لقوامين فان قوامين نكرة وشهداء نكرة والنكرة تنعت بالنكرة • ومعنى شهداء لله اى تشهدوا بالحق لله على ما كان من قريب او بعيد وقيل معنى الاية كونوا قوالين بالعدل في الشهادة على من كانت ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين في الرحم فاقيموها عليهم لله ولا تخافوا غنياً لغناه ولا ترحموا فقيراً لفقره فذلك قوله تعالى ان يكن غنياً او فقيراً فالله اولى بهما منكم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا اى فلا تتركوا الحق قوله تعالى ولو على انفسكم اى قولوا الحق ولو على انفسكم والشهادة على النفس اقرار قوله تعالى او الوالدين والاقربين اى على والديكم وعلى قرابيكم وفي هذا بيان ان شهادة الابن على الوالدين لا تكون عقوقاً ولا يحل للابن الامتناع عن الشهادة على ابويه لان في الشهادة عليهما بالحق منعاً لهما عن الظلم وقوله تعالى ان يكن غنياً او فقيراً معناه ان يكن المشهود عليه غنياً او فقيراً • فالله احق بالغنى والفقير من عباده من احدهم بوالديه وقراباته وارحم واراف فاقيموا الشهادة لله ولا تميلوا في الشهادة رحمة للفقير ولا تقصدوا اقامتها لاحتمال غنى الغني اى لاجل غناه • وعن هذا قال صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالماً او مظلوماً قيل يا رسول الله كيف ينصره ظالماً قال ان ترده عن ظلمه فان ذلك نصره قوله تعالى فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا معناه ولا تتبعوا الهوى لتعدلوا وهذا كما يقال لا تتبع الهوى لترضي ربك ويقال معناه لا تتبعوا ان لا تعدلوا • ويقال كراهة ان تعدلوا وهذا كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا ويقال معنى تعدلوا تميلوا من الحق الى الهوى قوله تعالى وان تلووا او تعرضوا من قرا تلووا بواوين فمعناه ان تماطلوا في اقامة الشهادة ماخوذ من لوى فلان في دينه اى دافع • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لي الواجد ظلم • والمعنى ان تلووا اللسان لتحرفوا الشهادة لتبطلوا الحق او تعرضوا عنها فتكتموها ولا تقيموها عند الحكام ان الله كان بما تعملون من اقامتها وكتمانها خبيراً ومن قرا تلوا بواو واحدة فهو من الولاية معناه ان اقمتم الشهادة واعرضتم • وعن ابن عباس ان المراد بالاية القاضي يتقدم اليه الخصمان فيعرض عن احدهما ويدافع في امضاء الحق او لا يسوي بينهما في المجلس والنظر والاشارة ولا يمنع ان

يكون

يكون المراد بالاية القاضي والشاهد وعامة الناس لاحتمال اللفظ الجميع • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزول هذه الاية من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقم شهادته على من كانت ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يجحد حقاً هو عليه وليؤديه عفواً ولا يلجئه الى سلطان وخصومة فليقطع بها حقه • وانما رجل خاصم الي فقضيت له على اخيه بحق ليس عليه فلا يأخذنه فانما اقطع له قطعة من نار جهنم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل قال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس نزلت هذه الاية في عبد الله بن سلام واسد بن كعب واخيه اسيد وثعلبة بن قيس وسلام ابن اخت عبد الله بن سلام و سلمة ابن اخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنوا اهل الكتاب اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وبعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل • فقال صلى الله عليه وسلم بل امنوا بالله وبرسوله محمد وبالرسل كلهم وبكل كتاب انزله الله قالوا لا نفعل فانزل الله هذه الاية ومعناها يا ايها الذين امنوا بمحمد والقرآن وموسى والتورية امنوا بالله ورسوله محمد والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل يعني الكتب المتقدمة التورية والانجيل والزبور وسائر الكتب المنزلة ومن يكفر بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالاً بعيداً اى اخطا خطا بعيداً فلما نزلت هذه الاية قالوا يا رسول الله انا نؤمن بالله وبرسوله والقرآن وكل كتاب كان قبل القرآن وكل رسول كان من قبل والملئكة واليوم الاخر لا نفرق بين احد منهم كما فرقت اليهود والنصارى ومعنى الاية يا ايها الذين امنوا بموسى والتورية وعيسى والانجيل امنوا بمحمد والقرآن • قال ابو العالية وجماعة من المفسرين هذه الاية خطاب للمؤمنين وتاويلها يا ايها الذين امنوا امنوا اى اقيموا واثبتوا على الايمان • وقال بعضهم انها خطاب للمنافقين ومعناها يا ايها الذين امنوا في الملاء امنوا في الخلاء قوله تعالى ومن يكفر بالله وملئكته وكتبه ورسله اى من يجحد بوحدانية الله تعالى وبملئكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت فقد اخطا خطاء بعيداً عن الحق والصواب قوله عز وجل ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا اختلف المفسرون في هذه الاية

قيل ان المراد بهم اليهود • قال الكلبي آمنوا بموسى ثم كفروا بعد موته ثم آمنوا بعزير عليه السلام ثم كفروا بعد
عزير بعيسى عليه السلام ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن • وقال مقاتل آمنوا بموسى
عليه السلام ثم كفروا بعد موته ثم آمنوا بعيسى عليه السلام ثم كفروا بعدما رفع الى السماء ثم اقاموا
على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن • وقيل آمنوا بموسى عليه السلام ثم كفروا بعده بعيسى
عليه السلام ثم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث ثم كفروا به بعدما بعث ثم اقاموا على
كفرهم • وقال قتادة آمن اليهود بموسى ثم كفروا به بعبادة العجل ثم آمنوا بالتورية ثم كفروا بعد ذلك
بعيسى ثم ازدادوا كفرا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم اي ما داموا
على كفرهم ولا ليهديهم سبيلا اي ولا ليوفقهم طريقا الى الاسلام ولكن يخذلهم مجازاة لهم على كفرهم
فان قيل ان الله لا يغفر كفر من فما الفائدة في قوله ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا • قيل ان الكافر اذا آمن غفر له
كفره فاذا كفر بعد ايمانه لم يغفر له الكفر الاول وهو مطالب بجميع كفره قوله تعالى بشر المنافقين بان لهم
عذابا اليما اي خوف المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه ومن يكون على سبيلهم الى يوم القيمة بان لهم عذابا
وجيعا يخلص وجعه الى قلوبهم قوله عز وجل الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي
هم الذين يتخذون اليهود احباء في العون والنصرة من دون المؤمنين المخلصين الموحدين قوله تعالى
ايبتغون عندهم العزة هذا استفهام بمعنى الانكار اي كيف يطلبون عند الكفار العزة وهم اذلاء في
حكم الله تعالى فان العزة لله جميعا اي فان القوة والمنعة لله جميعا فمن اراد طلب العزة فليطلبها من
الله تعالى لانه المقتدر بجميع منزله العزة من خلقه فجميع العزة له قوله عز وجل وقد نزل عليكم في الكتاب
ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم اي قد نزل عليكم في القرآن في سورة
الانعام بمكة ان اذا سمعتم آيات الله يجحد بها ويسخر منها فلا تجلسوا معهم حتى يكون خوضهم في
حديث غير القرآن واراد بذلك المذكور في الانعام قوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض
عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره قوله تعالى انكم اذا مثلهم اي من جالسهم راضيا بما هم عليه
من الكفر والاستهزاء بآيات الله فهو مثلهم في الكفر لان الرضا بالكفر والاستهزاء كفر ومن جلس معهم

ساخطا

ساخطا لذلك منهم لم يكفر ولكنه يكون عاصيا بالقعود معهم فيكون معنى قوله تعالى انكم اذا مثلهم
اي في اصل العصيان وان لم تبلغ معصية المؤمنين معصية الكفار وهذا اذا لم يكن جلوس المؤمنين معهم
لاقامة فرض او سنة اما اذا كان جلوسه هنالك لاقامة عبادة وهو ساخط لتلك الحال لا يقدر على
تغييرها فلا باس بالجلوس • كما روي عن الحسن انه حضر هو وابن سيرين جنازة وهناك نوح فانصرف
ابن سيرين فذكر ذلك للحسن فقال انا كنا متى راينا باطلا تركنا حقا اسرع ذلك في ديننا ولم يرجع قوله
تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا اي يجمعهم في جهنم مجازاة لهم لاجتماعهم
في الدنيا للاستهزاء فمن شان لا يكون معهم في جهنم فلا يكون معهم في الدنيا قوله تعالى الذين يتربصون بكم
اي هم الذين ينتظرون بكم الدوائر ويراعون احوالكم يعني المنافقين والمتربص للشيء هو المتوقع لاسبابه
ويسمى المحتكر متربصا لتوقعه غلاء السعر قوله تعالى فان كان لكم فتح من الله اي اذا كان لكم ظفر ودولة
وغنيمة قال المنافقون الم نكن معكم على دينكم فاعطونا من الغنيمة وان كان للكافرين نصيب اي ظهور على
المسلمين قال المنافقون الم نخبركم بعزيمة محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ونطلعكم على سرهم و
نكتب بذلك اليكم ونخذلكم عنهم ونجبنهم عنكم ونوالكم فالله يقضي بين المؤمنين والمنافقين والكفار
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا اي لم يجعل الله لليهود ظهورا على المؤمنين • وقيل
السبيل الحجة ولن يجعل الله للكافرين من اليهود وغيرهم حجة على المسلمين في الدنيا والآخرة •
وقيل معنى السبيل الدولة الدائمة • وقيل معناه لن يدخل الله الكافرين الجنة فيقولون للمؤمنين ما اغنى
عنكم تعبكم في الدنيا وما ضرنا بعد ان تساوينا قوله عز وجل ان المنافقين يخادعون الله
وهو خادعهم اي يخادعون اولياء الله باظهارهم الايمان وابطانهم الكفر ليحقنوا بذلك دماءهم
ويشاركوا المسلمين في غنائمهم وجعل الله مخادعة اولياءه مخادعة له كما قال تعالى ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله قوله تعالى وهو خادعهم اي مجازيهم جزاء اعمالهم وذلك انهم
على الصراط يعطون نورا كما يعطى المؤمنون فاذا مضوا به على الصراط طفي نورهم ويبقى المؤمنون
ينظرون بنورهم فينادون المؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم فينادونهم الملئكة على الصراط

ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وقد علموا انهم لا يستطيعون الرجوع • قال فحينئذ المؤمنون حينئذ ان
يطفا نورهم فيقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير قوله تعالى واذا قاموا الى
الصلوة يعني المنافقين قاموا كسالى اى متثاقلين لا يريدون بها وجه الله تعالى ولا يريدون الصلوة
الا مراياة للناس خوفا منهم ولا يذكرون الله الا قليلا اى لا يصلون لله الا قليلا رياء وسمعة
ولو كانوا يريدون بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا قوله عز وجل مذبذبين بين ذلك هذه
الآية نصب على الذم ومعناه مترددين بين كفر السر وايمان العلانية ليسوا من المؤمنين فيجب لهم
ما يجب للمسلمين وليسوا من الكفار فيجب عليهم ما يجب على الكفار • وقيل معناه متحيرين بين الكفر
والايمان لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء اى ليسوا من المؤمنين فيجب عليهم ما عليهم وليسوا من الكفار
فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار اى ما هم بمؤمنين مخلصين ولا مشركين مصرحين بالشرك • وكان
صلى الله عليه وسلم يضرب مثلا للمؤمنين والمنافقين والكافرين كمثل رهط ثلثة دفعوا الى نهر
فقطعه المؤمن ووقف الكافر ونزل فيه المنافق حتى اذا توسطه عجز فناداه الكافر هلم الي لا تغرق
وناداه المؤمن هلم الي لتتخلص فما زال المنافق يتردد بينهما حتى اتى عليه ما اغرقه فكان المنافق
لم يزل في شك حتى يأتيه الموت قوله تعالى ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اى من يخذله الله
عن الهدى فلن تجد له يا محمد طريقا الى الهدى قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين
اولياء من دون المؤمنين اى لا تفعلوا ايها المؤمنون كفعل المنافقين اتريدون ان تجعلوا لله
عليكم حجة ظاهرة توجب العقوبة عليكم في الدنيا والآخرة والسلطان في اللغة هو الحجة يقال
للامير سلطان يراد بذلك انه حجة قوله عز وجل ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار اى في
الطبق الاسفل وهي الهاوية لمكرهم وخيانتهم للنبي صلى الله عليه وسلم مع ابطان الكفر •
وقال ابو عبيدة جهنم دركات اى منازل كل منزلة منها درك • ومن قرأ الدرك باسكان الراء فهو
لغة واكثر القراء على فتحها • والدركات في النار مثل الدرجات في الجنة كلما كان من درجات
الجنة اعلى فثواب من هو فيه اعظم • وما كان من دركات النار اسفل فعقاب من فيه اشد • و

230

سئل ابن مسعود عن الدرك الاسفل فقال هو توابيت من حديد مبهمة عليهم لا ابواب لها قوله تعالى ولن
تجد لهم نصيرا اى مانعا يمنع عنهم العذاب • وعن عبد الله بن عمر ان اشد الناس عذابا يوم القيمة ثلثة المنافقون
ومن كفر من اصحاب المائدة وآل فرعون قال الله تعالى في اصحاب المائدة فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا
من العالمين • وقال ادخلوا آل فرعون اشد العذاب • وقال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار • فان قيل
ما وجه التوفيق بين هذه الآية وبين قوله تعالى ادخلوا آل فرعون اشد العذاب • قيل لا يمتنع ان يجتمع القوم
في موضع واحد ويكون عذاب بعضهم اشد من بعض الا ترى ان البيت الداخل في الحمام يجتمع فيه الناس
فيكون بعضهم اشد اذى بالنار لكونه ادنى الى موضع الوقود وكذلك يجتمع الناس في الشمس ويتأذى
الصفراوي منها اشد واكثر من تأذي السوداوي • والمنافق في اللغة مأخوذ من النفق وهو السرب اى يستتر
بالاسلام كما يستتر الرجل بالسرب • وقيل هو مأخوذ من قولهم نافق اليربوع اذا دخل نافقاه فاذا
طلب من النافقاء خرج من القاصعاء واذا طلب من القاصعاء خرج من النافقاء والنافقاء والقاصعاء والراهطاء
والداماء حجرة اليربوع قوله عز وجل الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله اى الا الذين تابوا من النفاق
واصلحوا العمل فيما بينهم وبين ربهم وتمسكوا بتوحيد الله ودينه واخلصوا توحيدهم وعملهم لله اى
اخلصوا ذلك عن شوب الريا وطلب عرض الدنيا فاولئك مع المؤمنين في الجنة والثواب لا يضرهم النفاق
السابق اذا اصلحوا وتابوا قوله عز وجل وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما وهو الجنة وانما حذفت
الياء من يؤتي في الخط كما حذفت في اللفظ لسكونها وسكون اللام في اسم الله وكذلك سندع الزبانية
ويدع الداعي • ويحتمل ان يكون معنى الآية بيان زيادة الثواب لمن لم يسبق منه كفر ولا نفاق فذلك قوله
تعالى وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما وسوف كلمة ترجية واطماع وهي من الله سبحانه ايجاب
لانه اكرم الاكرمين ووعد الكريم انجاز قوله عز وجل ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم بين
الله تعالى ان المنافقين هم الذين اوقعوا انفسهم في الدرك الاسفل من النار واستحقوا ذلك بنفاقهم
وانه ليس في حكمة الله تعذيب من شكر وآمن وانما في حكمته ان يجزي كل عامل بما عمل فذلك قوله
تعالى ما يفعل الله بعذابكم اى ما حاجته الى تعذيبكم ايها المنافقون ان وحدتم في السر وصدقتم

عذاب صح

في ايمانكم • ويقال معناه ان شكرتم نعم الله وآمنتم به وبكتبه ورسله • وقيل فيه تقديم وتأخير
اي ان آمنتم وشكرتم لان الشكر لا يقع مع عدم الايمان وبين الله تعالى ان تعذيبه عباده لا يزيد في ملكه
وتركه عقوبتهم على فعلهم لا ينقص في سلطانه قوله تعالى وكان الله شاكرا عليما اي شاكرا القليل من
اعمالكم مثيبا عليها اي يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليها باضعافها كم واحدة الى عشر الى سبعمائة الى ما شاء من
الاضعاف والشكر من العبد هو الاعتراف بالنعمة الواصلة اليه مع ضرب من التعظيم والشكر من الله
تعالى هو مجازاته العبد على طاعته قوله عز وجل لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم قال ابن
عباس معناه لا يحب الله الجهر بالدعاء بالشر على احد الا ان يظلم فيه فيدعو على ظالمه فلا يعاب على ذلك
وهو مأذون له في ان يشكو ظالمه ويدعو عليه • ويقال الا من ظلم استثناء منقطع معناه لكن المظلوم يجهر
بظلامته تشكيا • وفي تفسير الحسن لا يحب الله الشتم في الانتصار الا من ظلم فلا بأس له ان ينتصر ممن ظلمه بما يجوز
له الانتصار به في الدين ونظيره قوله تعالى وانتصروا من بعد ما ظلموا • قال الحسن لا يجوز للرجل اذا قيل له يا زاني
ان يقابل بمثل ذلك او نحوه من انواع الشتم • وقال مجاهد نزلت هذه الآية في الضيف اذا لم يضف ومنع حقه
فقد اذن له ان يشكو والضيافة ثلثة ايام • ومن قرأ الا من ظلم بنصب الظاء معناه لكن الظالم يجهر بذلك ظلما
واعتداء • وقيل لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول قوله تعالى وكان الله سميعا عليما اي سميعا لدعاء
المظلوم عليما بعقوبة الظالم • ويقال سميعا بجميع المسموعات عليما بجميع المعلومات فقوله تعالى الا من ظلم في
موضع نصب على الاستثناء المنقطع • قوله تعالى ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان
عفوا قديرا معناه ان تظهروا خيرا او تسروه او تعفوا عن مظلمة ظلمتم بها فان الله كان عفوا • العفو كثير
العفو من غير حصر • والقدير والقادر بمعنى واحد اي ان الله قادر على العقوبة ثم يعفو عن عباده مع قدرته
على الانتقام • وقيل معنى الآية ان تردوا جوابا حسنا او تسكتوا عن الظالم ولا تحقدوا ولا تؤاخذوه بظلمه
فان الله يعفو عن المظلوم ذنوبه فان عفو الله عنكم معاصيكم اكثر من عفوكم عمن ظلمكم قوله عز وجل ان الذين
يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله نزلت هذه في اليهود والنصارى آمنت اليهود بموسى
والتورية وكفرت بعيسى والانجيل وآمنت النصارى بعيسى والانجيل وكفرت بموسى والتورية وبمحمد

والقرآن وكلهم كفروا بمحمد والقرآن فاعلم الله انه ليس من الايمان بالبعض والكفر بالبعض دين يتخذ ذلك طريقا
قوله عز وجل اولئك هم الكافرون حقا اي اهل هذه الصفة هم الكافرون البتة وانتصب قوله حقا على
المصدر • والفائدة في قوله حقا بيان ان ايمانهم بالبعض لا ينفعهم ولا يسلب اسم الكفر عنهم قوله عز وجل والذين
آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يعني في الايمان والتصديق اولئك سوف يؤتيهم اجورهم اي
ثوابهم وسمي الثواب اجرا لانه مستحق كالاجر قوله عز وجل يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء
اي يسألك يا محمد كعب بن الاشرف وجماعة من اليهود ان تنزل عليهم كتابا من السماء جملة واحدة كما انزلت التورية
على موسى وهذا حين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قوله تعالى
فقد سألوا موسى اكبر من ذلك اي لا تعجب من مسألتهم انزال الكتاب من السماء بعد ما جاءتهم البينات على نبوتك
فانهم سألوا موسى بعد ما رأوا الآيات اعظم من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة اي معاينة ظاهرة منكشفة
وهم السبعون الذين كانوا معه عند الجبل حين كلمه الله سألوه ان يروا ربهم رؤية يدركونها بابصارهم
في الدنيا • وقال ابو عبيد معنى الآية قالوا جهرة ارنا الله فجعل جهرة صفة لقولهم • قال لان الرؤية
لا تكون الا جهرة قوله تعالى فاخذتهم الصاعقة بظلمهم اي اخذتهم النار عقوبة لهم بسؤالهم موسى ما لم
يستحقوه قوله تعالى ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات اي عبدوا العجل من بعد ما جاءتهم الدلالات
على توحيد الله وفي هذا بيان تجهل اليهود وتعنتهم وعنادهم واي جهل اعظم من اتخاذ العجل الها بعد
ظهور المعجزات وثبوت الآيات البينات قوله تعالى فعفونا عن ذلك اي تجاوزنا عنهم بعد توبتهم مع عظم
جناياتهم وجرائمهم ولم نستأصلهم دل الله تعالى بذلك على سعة رحمته ومغفرته وتمام نعمته
ومنته وبين بذلك انه لا جريمة تضيق عنها مغفرة الله وفي هذا منع من القنوط واستدعاء الى التوبة قوله
تعالى وآتينا موسى سلطانا مبينا اي اعطيناه حجة على من خالفه بينة ظاهرة وهي اليد والعصا قوله
تعالى ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم اي ورفعنا فوق رؤسهم الجبل باقرارهم بالله وبنبوة موسى
وذلك حين ابوا قبول التورية فرفع الله فوقهم الطور فقبلوها فخروا سجدا فرفع الله الطور عنهم قوله
تعالى وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا اي قلنا لهم ادخلوا باب اريحا اذا دخلتموها خاشعين لله منحنة

الرابع والعشرون

اصلابكم فدخلوا زحفا وبدلوا ما قيل لهم • ويقال ان الباب الباب الذي عبدوا فيه العجل امرهم الله ان
يدخلوه بعد توبتهم عن عبادة العجل ساجدين لله عز وجل فيصير ذلك كفارة لعبادة العجل قوله تعالى
وقلنا لهم لا تعدوا في السبت اي قلنا لهم مع هذا ايضا لا تستحلوا اخذ السمك في يوم السبت • ومن قرأ
لا تعدّوا بتشديد الدال فاصله لا تعتدوا فادغمت التا في الدال واقيم التشديد مقامه • والقراة بالتخفيف
من عدا يعدو عدوانا قوله تعالى واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي اقرارا وثيقا شديدا يعني العهد الذي اخذ
الله في التورية فابوا الا مضيا على المعصية وخروجا عن الطاعة واستخفافا بامر الله قوله عز وجل فبما نقضهم
ميثاقهم اي فبنقضهم الميثاق الذي اخذ عليهم في التورية وبجحدهم القرآن والانجيل وبما في التورية من نعت
الاسلام وصفة النبي صلى الله عليه وسلم وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اي في اوعية
لا تعي شيئا يقول الله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم اي ليس كما قالوا ولكن ختم الله على قلوبهم مجازاة على
كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا اي الا ايمانا قليلا ولا يجب ان يسموا به مؤمنين فذلك لانهم امنوا ببعض الرسل
والكتب دون البعض • وقال الحسن في هذا تقديم وتاخير معناه بل طبع الله عليها بكفرهم الا قليلا فلا
يؤمنون والمراد بالقليل عبد الله بن سلام ومن تابعه اما دخول ما في قوله تعالى فبما نقضهم فمعناه التاكيد
كانه قال فبنقضهم العهد وجواب قوله تعالى فبما نقضهم مضمر في الاية تقديره فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وهذا
الآن اول الاية ذم على الكفر ومن ذمه الله فقد لعنه يعني من ذمه على الكفر • ويقال ان الجالب للبا في قوله
فبما قوله تعالى من بعد فبظلم من الذين هادوا فقوله تعالى فبظلم بدل من فبما نقضهم وجوابهما جميعا حرمنا
عليهم طيبات قوله عز وجل وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما عطف على ما تقدم اي وبجحدهم
بعيسى والانجيل ومحمد صلى الله عليه وسلم ورميهم مريم بالزنا وهو البهتان العظيم • وذلك ان عيسى
عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فقال بعضهم لبعض قد جا الساحر بن الساحرة والفاعل بن الفاعلة
فقذفوه وامه فلما سمع بذلك عيسى قال اللهم انت ربي وانا عبدك بقدرتك خرجت وبكلمتك خلقتني
ولم اتهم من تلقا نفسي اللهم العن من سبني وسب والدتي فاستجاب الله دعاه ومسخ ذلك الرهط الذين سبوه
وسبوا امه خنازير وكانوا رموا امه بيوسف بن يعقوب بن ماثان قوله تعالى وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى

بن مريم رسول الله قال ابن عباس وذلك انه لما مسخ الرهط الذين سبوا عيسى وامه خنازير فزعت اليهود
وخافت دعوته فاجتمعوا على قتله فثاروا اليه ليقتلوه فهرب منهم ودخل بيتا في سقفه روزنة
اي كوة فرفعه جبريل عليه السلام الى السما وامر يهودا ملك اليهود رجلا يقال له طيطانوس ان يدخل
البيت فيقتله فدخل فلم يجد فالقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام فلما خرج الى اصحابه قتلوه وهم
يظنون انه عيسى ثم صلبوه فقال بعضهم قتلناه • وقال بعضهم ان وجهه وجه عيسى وجسده جسد
صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى فاشتبه عليهم واختلفوا
فيه ثم بعث عليهم ططوس بن سنسيانوس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة • وقوله تعالى رسول الله
قول الله خاصة لا قول اليهود كانت اليهود تقول عيسى بن مريم قال الله تعالى رسول الله اي يعنون
الذي هو رسول الله قوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه اي ما قتلوا عيسى وما صلبوه ولكن القى
الله على طيطانوس شبه عيسى فقتلوه ورفع عيسى الى السما • وقال الحسن ان عيسى عليه السلام قال
للحواريين ايكم يرضى ان تلقى عليه شبهي فيقتل فيدخل الجنة فقام رجل من الحواريين فقال انا يا رسول
الله فالقى الله عليه شبه عيسى فقتل وصلب ورفع الله عيسى الى السماء قوله تعالى وان الذين
اختلفوا فيه لفي شك منه اي من قتله قال الكلبي اختلافهم فيه ان اليهود قالوا نحن قتلناه وصلبناه
وقالت طايفة من النصارى بل نحن قتلناه وصلبناه فما قتله هؤلاء ولا هؤلاء بل رفعه الله اليه الى
السما • ويقال ان الله تعالى لما القى شبه عيسى على طيطيانوس القاه على وجهه دون جسده فلما قتلوا
طيطيانوس نظروا اليه فاذا وجهه وجه عيسى وجسده غير جسد عيسى فقالوا ان كان هذا عيسى فاين
صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى فقال الله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه
يقينا نعت لمصدر محذوف تقديره وما علموه علما يقينا قوله تعالى بل رفعه الله اليه اي
بل رفعه الله الى السماء وانما سمي ذلك رفعا اليه لانه رفع الى موضع لا يملك فيه احد شيئا
الا الله وقوله تعالى وكان الله عزيزا حكيما قد ذكرنا معناه غير مرة وفايدة ذكره هاهنا
بيان قدرة الله سبحانه على نجاة من نبينا وبيان حكمته فيما فعل ويفعل وحكم ويحكم

فلما رفع الله عيسى عليه السلام كساه الريش والبسه النور وقطع عنه شهوات المطعم والمشرب وطار مع الملئكة فهو معهم حول العرش وكان انسيا ملكيا سماويا ارضيا • قال وهب بن منبه بعث عيسى على راس ثلثين سنه ورفعه الله وهو ابن ثلاث وثلثين سنه وكانت نبوته ثلث سنين قوله عز وجل وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته لما ذكر الله تعالى اختلاف اليهود والنصارى في عيسى بين بعد ان هذا الشك سيزول عن كل كتابي فقال تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به اى ما احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل ان يموت الكتابي يعني اذا عاين اليهودي امر الاخرة وحضرته الوفاة ضربت الملئكة وجهه ودبره وقالت اتاك عيسى عليه السلام نبيا فكذبت به فيؤمن حين لا ينفعه ايمانه • و يقول للنصراني اتاك عيسى عليه السلام نبيا فكذبت عبد الله ورسوله فزعمت انه هو الله وابن الله فيؤمن بانه عبد الله حين لا ينفعه ايمانه • وقيل معناه قبل موت عيسى وهذا قول الحسن وقتادة والربيع جعلوا هاتين الكنايتين في به وموته راجعين الى عيسى عليه السلام والقول الاول هو قول عكرمة ومجاهد والسدي جعلوا الها في قوله به راجعه الى عيسى وفي قوله موته راجعة الى الكتابي الذي يؤمن به اذا عاين الموت وهي رواية عن ابن عباس قالوا لا يموت يهودي ولا صاحب كتاب حتى يؤمن بعيسى وان احترق او غرق او تردى او سقط عليه جدار او اكله سبع او اي ميتة كانت حتى قيل لابن عباس لو خر من بيت قال يتكلم به في الهوى قيل له ارايت لو ضرب عنق احدهم قال يتلجلج به لسانه يدل على صحة هذا التاويل قراءة ابي قبل موتهم • قال شهر بن حوشب قال لي الحجاج يوما ان اية من كتاب الله ما قراتها الا تلجلج في نفسي منها شيء فقلت وما هو قال وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته واني لاوتي بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فما اسمعه يقول شيئا قلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملئكة وجهه ودبره وتقول له يا عدو الله اتاك عيسى عبدا نبيا فكذبت به فيقول اني امنت به انه عبد نبي فيؤمن به حين لا ينفعه ايمانه وتقول الملئكة للنصراني يا عدو الله ان عيسى نبيا فكذبت به وقلت انه الله وابن الله فيقول انه عبد الله ورسوله حين لا ينفعه ايمانه • قال الحجاج ومن حدثك بهذا الحديث قلت حدثني به محمد بن الحنفية قال وكان متكيا فجلس ثم نكت في الارض بقضيبه ساعة ثم رفع راسه الي وقال اخذتها من عين صافية اخذتها

من بعدها

من معدنها • قال الكلبي فقلت لشهر بن حوشب وما الذي اردت بقولك للحجاج حدثني بذلك ابن الحنفية وهو يكرهه ويكره من جاء من قبله قال اردت ان اغيظه • وحجة من قال ان الها في قوله موته راجعة الى عيسى ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا اولى الناس بعيسى لانه لم يكن بيني وبينه نبي ويوشك ان ينزل فيكم حكما عدلا فاذا رايتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الخلق الى الحمرة والبياض كان راسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقتل الخنزير ويريق الخمر ويكسر الصليب ويذهب السخرة ويقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير ملة الاسلام ويكون السجدة لله رب العالمين ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال حتى لا يبقى احد من اهل الكتاب وقت نزوله الا يؤمن به ويقع الامنة في زمانه حتى ترتع الابل مع الاسود والبقر مع النمور والغنم مع الذياب وتلعب الصبيان بالحيات لا يؤذي بعضهم بعضا ثم يلبث في الارض اربعين سنة ثم يموت ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه وقال صلى الله عليه وسلم ان المسيح جاي فمن لقيه فليقره مني السلام • وروي انه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في امته ينزل على ثنية جبال بيت المقدس وفي يده عصا من حديد فيمكث في الارض اربعين سنه اماما مهديا • ويقال ان المراد بقوله ليؤمنن به محمد صلى الله عليه وسلم يؤمن به اهل الكتاب في وقت المشاهدة ولكن لا ينفعهم والقول الاول اصح لان الاية في قصة عيسى عليه السلام قوله تعالى ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا اي ليشهد عيسى عليه السلام على نفسه يوم القيمة بالعبودية وعلى النصارى بانهم عبدوه بغير حق وعلى اليهود بانهم كذبوه قوله عز وجل فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم اي فبكفر اليهود وحرمهم حرمنا عليهم اشيا كانت طيبة لهم في التورية منها لحوم الابل والبانها والشحوم وكانوا اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا معناه وبسبب منعهم الناس عن دين الله وهو الاسلام وبسبب اخذهم الربا وقد نهوا عنه ذلك في التورية وبسبب اكلهم اموال الناس بالظلم واخذ الرشا في الحكم وقوله تعالى واعتدنا منهم عذابا اليما اي خلقنا وهيانا للكافرين منهم عذابا وجيعا يخلص وجعه الى قلوبهم • وانما خص الكافرين لبيان ان من يؤمن منهم غير داخل في هذا الوعيد ثم استثنى الله تعالى منهم من امن فقال تعالى لكن الراسخون

في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك اى لكن الثابتون من اهل الكتاب وهم عبد الله
بن سلام واصحابه وتماهم راسخين في العلم لثباتهم في العلم وتبحرهم فيه لا يضطربون ولا تميل بهم الشبه
بمنزلة الشجرة الراسخة بعروقها في الارض قوله تعالى والمؤمنون يؤمنون اى والمؤمنون من غير اهل الكتاب
من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون بما انزل اليك من الفرقان وما فيه من تحريم هذه الاشيا
عليهم ويصدقون بما انزل من قبلك على الانبياء من الكتب والمقيمين الصلوة يجوز ان يكون معناه يؤمنون
بالنبيين المقيمين الصلوة فيكون قوله والمقيمين نسقا على قوله بما انزل اليك • ويجوز ان يكون نصبا على
المدح على معنى اعنى المقيمين الصلوة وهم المؤتون الزكوة كما يقال جاء قومك المطعمون في المحل والمعينون
في الشدايد وقوله تعالى والمؤمنون بالله واليوم الاخر اى المصدقون بالله وبالبعث بعد الموت اولئك
سنعطيهم ثوابا وافرا في الجنة قوله عز وجل انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده اى
انزلنا جبريل عليك بهذا القرآن كما اوحينا الى نوح فامرنا بالاستقامة على التوحيد ودعوة الخلق اليه
وكما اوحينا الى النبيين من بعد نوح اوحينا اليك • قيل ان نوحا عليه السلام عمر الف سنة لم ينقص له
سن ولا نور ولم يشب له شعر ولم يبالغ احد من الانبياء في الدعوة ما بالغ ولم يصبر على اذى قومه ما صبر
وكان يدعو قومه ليلا ونهارا وسرا واعلانا وكان الرجل من قومه يضربه حتى يغمى عليه فاذا افاق
دعا وبلغ • وقيل هو اول من تنشق عنه الارض يوم القيمة بعد محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم بنو يعقوب عليه السلام وهم اثنا عشر
رجلا والى عيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان واعطينا داود زبورا والزبور هو الكتاب ماخوذ
من الزبر وهو الكتابة • ومن قرا زبورا بضم الزاى وهم الاعمش وحمزة وابن وثاب فمعناه الكتب على الجمع • فان
قيل كيف قدم الله ذكر عيسى على ذكر ايوب ويونس وهارون وسليمان وداود وهو من بعدهم • قيل لان
الواو للجمع دون الترتيب فتقديم ذكره في الاية لا يوجب تقديمه في الخلق والارسال • والفائدة في تقديمه
في الذكر الرد على اليهود ولغلوهم في الطعن فيه وفي نسبه فقدمه الله في الذكر لان ذلك بلغ في كبت اليهود
وفي تنزيهه مما رمى به ونسب اليه قوله عز وجل ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل عطف على انا اوحينا

اليك كانه قال انا ارسلناك موحين اليك وارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك • ويجوز ان يكون منصوبا
بالفعل الذي بعده كانه قال وقد قصصنا رسلا عليك • ومعنى قصصناهم اى بيناهم لك في القرآن وعرفناك
قصتهم وارسلنا رسلا لم نسمهم لك امرناهم بالاستقامة على التوحيد ودعوة الخلق اليه • وعن ابي ذر
قال قلت يا رسول الله كم كانت الانبيا وكم كان المرسلون قال كانت الانبيا صلوات الله عليهم مائة الف
واربعة وعشرين الفا وكانت المرسلون ثلثمائة وثلثة عشر • وعن كعب الاحبار انه قال الانبيا صلوات الله
عليهم الفا الف واربعمائة الف وخمسة وعشرون الفا والرسل ثلثمائة وثلثة عشر • وكان داود عليه السلام قد انزل
عليه الزبور وكان ينزل الى البرية ويقرا الزبور فتقوم معه علماء بني اسرائيل خلفه وتقوم الناس خلف العلما
وتقوم الجن خلف الناس وتجي الدواب التي في الجبال اذا سمعت صوت داود فتقوم بين يديه تعجبا لما يسمع
من صوته وتجي الطير حتى تظلل على داود في خلايق لا يحصيهن الا الله يرفرفن على راسه وتجي السباع
حتى تحيط بالدواب والوحش لما يسمعن ولما قارف الذنب لم ير ذلك • فقيل له ذلك انس الطاعة
وهذه وحشة المعصية • وعن ابي موسى الاشعري قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رايتني
البارحة وانا استمع لقراءتك لقد اعطيت مزمارا من مزامير آل داود قال فقلت اما والله يا رسول الله
لو علمت انك تستمع لحبرته تحبيرا • وقال عمر رضي الله عنه اذا راى ابا موسى رضي الله عنه قال ذكرنا يا ابا موسى
فيقرا عنده • وعن ابي عثمان النهدي قال لقد سمعت قط بربطا ولا مزمارا ولا عودا احسن من صوت ابي موسى
وكان يؤمنا في صلوة الغداة فنود انه يقرا سورة البقرة من حسن صوته • وفي تفسير الكلبي ان الله تعالى لما انزل
الاية التي قبل هذه الاية وقراها رسول الله على الناس قالت اليهود فيما بينهم ما انزل محمدا نقرا ما انزل الله
على موسى ولقد اوحي اليه كما اوحي الى النبيين من قبله فانزل الله هذه الاية فقراها رسول الله صلى الله
فقالوا ان محمدا قد ذكر فيمن ذكر وفضله بالكلام عليهم • وفائدة تخصيص موسى عليه السلام بالكلام
مع ان الله تعالى كلم غيره من الانبياء انه تعالى كلمه من غير واسطة وكلم غيره من الانبيا بالوحي اليهم على
لسان بعض الملئكة قوله تعالى تكليما يدل على التاكيد كيلا يحمل كلام الله اياه على معنى الوحي اليه قوله عز
وجل رسلا مبشرين ومنذرين معناه فارسلنا هؤلاء رسلا مبشرين بالجنة لمن اطاع ومخوفين بالنار

وماتنا الفا

عليه وسلم

لمن عصى لئلا يكون للناس على الله حجة يوم القيمة بعد ارسال الرسل اليهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا
رسولا فنتبع اياتك وكان الله عزيزا حكيما ظاهر المراد قوله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك قال ابن عباس
وذلك ان رؤساء مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سألنا اليهود عن نعتك وصفتك
فزعموا انهم لا يعرفونك في كتبهم فائتنا بمن يشهد لك ان الله بعثك الينا رسولا فانزل الله تعالى هذه
الاية وانزل قوله تعالى قل اى شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم الاية قوله تعالى انزله بعلمه اى
على علم منه بانك اهل لانزاله عليك وعلم من يقبل ومن لا يقبل كما قال تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته
وقيل معناه انزله بعلمه اى علم ما فيه من الاحكام وما يحتاج اليه العباد من امر دينهم ودنياهم ثم انزله
وقيل معناه انزله اليك من عنده لم يبدل ولم يغير بل وصل اليك كما كان في اللوح المحفوظ قوله تعالى
والملئكة يشهدون انهم يشهدون على شهادة الله وعلى شهادتك بان الذي شهدت به حق وقوله تعالى وكفى
بالله شهيدا اى كفوا بالله شهيدا في شهادته ان لم يشهد اليهود بما في كتابهم قوله عز وجل ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا معناه ان الذين جحدوا وحدانية الله ومحمدا صلى الله عليه وسلم
والقران وصرفوا الناس عن دين الله وطاعته فقد اخطاؤا خطاء بعيدا عن الهدى والصواب بين الله تعالى
في هذه الاية ضلالتهم في الدنيا ثم بين عقوبتهم في الاخرة فقال تعالى ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم
ولا ليهديهم اى ان الذين كفروا بما يجب الايمان به وظلموا انفسهم بكفرهم لم يكن الله ليغفر لهم ما داموا على كفرهم
ولا ليهديهم طريقا الى الاسلام لكن تركهم على طريق جهنم وهو الكفر • وقيل معناه لا يرشدهم في الاخرة الى طريق
غير طريق جهنم كما في قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم خالدين فيها ابدا وكان ذلك التخليد والتعذيب
على الله يسيرا هينا قوله عز وجل يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم خطاب لعامة الخلق قد
جاءكم الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بكلمة التوحيد والقران من عند ربكم فصدقوا بالله ورسله
وبما جاء به من عنده يكن خيرا لكم من التكذيب • قال الخليل والبصريون انتصب قوله تعالى خيرا لانك اذا امرت
بفعل دخل في معناه تقديره ايتوا خيرا لكم واذا نهيت عن فعل دخل في معناه تقديره ايت بدله خيرا لكم
وقال الفراء انتصب لانه متصل بالامر وهو من صفته تقديره هو خير لكم فلما سقط هو اتصل بما قبله

وعلى

انما صح

وعلى هذا انتهوا خيرا لكم • وقال الكسائي انتصب لخروجه من الكلام • وقال هذا يقوله العرب في الكلام التام
نحو قولك لتقومن خيرا لك وانته خيرا لك فاذا كان الكلام ناقصا رفعوا فقالوا ان تنتهوا خير لكم قوله
تعالى وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض اى ان تكفروا يعاقبكم الله فان لله ما في السموات والارض
وقيل ان تكفروا فان الله غني عنكم لكونه مالك السموات والارض وكان الله عليما حكيما اى لم يزل عليما بخلقه
بمن يؤمن ومن لا يؤمن حكيما في امر حكم بالاسلام على عباده قوله تعالى يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم
ولا تقولوا على الله الا الحق نزلت في نصارى نجران وهم النسطورية الذين يقولون عيسى ابن الله واما اليعقوبية
الذين يقولون عيسى هو الله والمرقوسية الذين يقولون ثالث ثلثه ويقال لهم الملكانيه • ومعنى الاية يا اهل
الكتاب لا تتجاوزوا الحد في الدين فتغيروا فيه والغلو في الدين مجاوزة الحد فيه وقد غلت النصارى في امر
عيسى حتى جاوزوا به منزلة الانبيا فجعلوه الها • ويقال ان الاية خطاب لليهود والنصارى لان اليهود
ايضا غلوا في امر عيسى حتى جاوزوا به منزلة من ولد على الطهارة فجعلوه لغير رشده قوله تعالى ولا تقولوا
على الله الا الحق اى لا تصفوا الله الا بالحق والحق ان يقال له اله واحد لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد
وننزه عن القبايح والنقايص وعن جميع صفات المحدثين قوله تعالى انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله
وكلمته اى ليس المسيح الا رسول الله لان انما تقتضي تحقيق المذكور وتحقيق ما سواه كقوله تعالى انما الله اله
واحد وفي قوله عيسى ابن مريم بيان انه لا يجوز ان يكون الها اذ كيف يكون الها وهو ابن مريم امة الله وكيف
يكون الها وامه قبله قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم اى انه كان بكلمته عز وجل وهو قوله كن فكان
وقوله تعالى وروح منه قال ابن عباس معناه امر من الله عز وجل اتاها جبريل بامر الله فنفخ في جيب
درعها فدخلت تلك النفخة بطنها فخلق الله عيسى بنفخة جبريل عليه السلام والنفخ في اللغة يسمى
روحا • وقيل سماه الله روحا لانه كان يحيي به الناس في الدين كما يحيون بالارواح • وقيل لانه
روح من الارواح اضافه الله اليه تشريفا له كما يقال بيت الله • وقال السدي معناه وروح منه
اى مخلوق منه اى من عنده • وقيل معناه ورحمة منه جعله الله رحمة لمن امن به يدل عليه قوله
تعالى وايدهم بروح منه اى قواهم برحمة منه • وقيل الروح الوحي وحي الى مريم بالبشارة واوحى

الى جبريل بالنفخ واوحى اليه ان كن فكان يدل عليه قوله تعالى ينزل الملئكة بالروح اى بالوحى وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا اى وحيا • وروى انه كان لهارون الرشيد طبيب نصرانى وكان غلاما حسن
الوجه جدا وكان كامل الادب جامعا للخصال التى يتوسل بها الى الملوك وكان الرشيد مولعا بان يسلم وهو
يمتنع وكان الرشيد تمنيه الامانى ان سلم فابى فقال له ذات يوم ما لك لا تؤمن قال ان فى كتابكم حجة على
من انتحله قال وما هى قال قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه فعرّ بهذا ان عيسى جزء منه فضاق
قلب الرشيد وجمع العلما فلم يكن فيهم من يزيل شبهته حتى قيل له قد وفد حجاج خراسان وفيهم رجل يقال له
على بن حسين بن واقد من اهل مرو وهو امام فى علم القرآن فدعاه فجمع بينه وبين الغلام فساله الغلام
عن ذلك فاستعجم عليه الجواب فى الوقت وقال قد علم الله يا امير المؤمنين فى سابق علمه ان هذا الخبيث
يسالنى فى مجلسك عن هذا وانه لم يخل كتابه عن جوابه وانه ليس يحضرنى الآن ولله على ان لا اطعم
ولا اشرب حتى اؤدى الذى يجب من الحق ان شا الله ودخل بيتا مظلما واغلق عليه بابه واندفع فى قراءة
القرآن حتى بلغ سورة الجاثية الى قوله وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا فصاح باعلى صوته افتحوا
الباب فقد وجدت الجواب ففتحوا ودعا الغلام فقراء عليه الاية بين يدى الرشيد وقال ان كان قوله وروح
منه يوجب ان يكون عيسى بعضا منه وجب ان يكون ما فى السموات وما فى الارض بعضا منه فانقطع النصرانى
واسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل على بن الحسين بصلة جيدة فلما عاد على بن الحسين الى مرو صنف
كتابا سماه كتاب النظاير فى القرآن وهو كتاب لا يوازنه كتاب قوله تعالى فآمنوا بالله ورسله اى صدقوا
بوحدانية الله وبما جاءكم به الرسل من الله ولا تقولوا ثلاثة اى لا تقولوا الهنا ثلاثة اب وابن وروح قدس
انتهوا عن هذه المقالة وتوبوا الى الله هو خير لكم من الاصرار على الكفر وقوله تعالى انما الله اله واحد
اى ما الله الا اله واحد سبحانه ان يكون له ولد كلمة تنزيه عن السوء اى تنزيها له عن ان يكون له ولد
له ما فى السموات وما فى الارض كلهم عبيده واماؤه وفى قبضته ويستحيل ان يكون المملوك ابنا للمالك
اى لا يجتمع الملك مع الولادة ونظير هذا قوله تعالى وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من فى السموات
والارض الا اتى الرحمن عبدا قوله تعالى وكفى بالله وكيلا اى اكتفوا بربوبيته وبكفالته فلا ولد له ولا

شريك

شريك سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا قوله عز وجل لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله
ولا الملئكة المقربون نزلت وفد نجران ناظروا النبى صلى الله عليه وسلم فى امر عيسى فقال لهم هو عبد الله
ورسوله فقالوا لا تقل هكذا فان عيسى يانف من هذا القول فنزل تكذيبا لقولهم لن يستنكف المسيح ان يكون
عبدا لله اى لن يانف ولن يتعظم عن الاقرار بالعبودية لله عز وجل ولا الملئكة المقربون اى ولن يستنكف
الملئكة المقربون عن عبوديته وهم حملة العرش وانما خص الملئكة بعد عيسى لان النصارى كانوا يقولون
عيسى ابن الله وبنو مدلج كانوا يقولون الملئكة بنات الله فرد الله على الفريقين جميعا قوله تعالى ومن
يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا اى من يانف ويمتنع عن توحيده وطاعته و
يتعظم عن الايمان به فسيجمعهم اليه جميعا المستنكف والمستكبر والمقر والمطيع فاما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله اى فاما الذين آمنوا بمحمد والقرآن وعملوا الصالحات فيوفر
عليهم جزاء اعمالهم فى الجنة ويزيدهم من عطائه ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على بشر • فاما
الذين ابوا وامتنعوا عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن فيعذبهم عذابا اليما وجيعا ولا
يجدون لهم سوى الله قريبا ينفعهم ولا مانعا يمنعهم من النار قوله عز وجل يا ايها الناس قد جاءكم
برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا خطاب للناس كلهم والبرهان هو النبى صلى الله عليه وسلم
سماه برهانا بالظهور معجزاته والنور المبين القرآن سماه نورا مبينا لان النور هو الذى يبين الاشيا حتى
ترى والقرآن يبين الاشيا كلها قوله تعالى فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة
منه وفضل اى فاما الذين صدقوا بوحدانية الله وتمسكوا بدينه وكتابه وسالوا العصمة من
معاصيه فسيدخلهم فى الآخرة جنته وكراماته التى اعدها لهم فيها ويهديهم اليه صراطا مستقيما اى
ويعرفهم فى الدنيا سبيل الهدى وهو الاسلام ويثبتهم عليه وتقدير الاية يهديهم فى الدنيا ويرحمهم
فى الآخرة قوله عز وجل يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة نزلت فى جابر بن عبد الله حين جاء
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لى اختا فما لى فيها بعد موتها فانزل الله هذه الاية
وقد تقدم تفسير الكلالة وابتدا بالرجل فيقال انه مات قبل اخته قوله تعالى وله اخت يعنى من

قلب صح

ام واب ومن اب وقوله تعالى فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وحكم الثلاث والاربع فصاعدا حكم
الاثنتين كالبنات وان كانوا اخوة رجالا ونساء اى وان كان لورثة اخوة من ام واب ومن اب ذكورا
واناثا فللذكر مثل حظ الانثيين قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا اى يبين الله لكم قسمة المواريث لئلا
تخطئوا في قسمتها وقد تحذف لا في الكلام ويراد اثباتها كما في قوله تعالى والقى في الارض رواسى ان تميد بكم
ويقال في القسم والله ابرح قاعدا اى لا ابرح ويذكر لا ويراد طرحها كما في قوله تعالى لا اقسم وما منعك
الا تسجد وذهب البصريون الى ان معناه كراهة ان تضلوا فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالى صح
واسأل القرية • وقال الفراء موضعه نصب بنزع الخافض قوله تعالى والله بكل شيء عليم ظاهر المعنى •
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة النساء اعطى من الاجر كمن اشترى ذا رحم
فاعتقه وبرئ من الشرك وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم سورة المائدة مدنية الا قوله تعالى
اليوم يئس الذين كفروا من دينكم وقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فان هاتين الايتين نزلتا بمكة بعد
الفتح وحكمهما حكم المدنية لنزولهما بعد الهجرة وعدد حروفها احد عشر الفا وتسعمائة وثلثة وثلثون
حرفا • وعدد كلماتها الفان وثمانمائة واربع كلمات • وعدد اياتها مائة وعشرون اية عند الكوفيين
واثنان وعشرون عند الحجازيين وثلث وعشرون عند البصريين • بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود اى اوفوا بالعقود التي عقدها الله عليكم مما احله لكم وحرمه عليكم •
وقيل معناه اتموا العهود التي بينكم وبين المشركين ولا تنقضوها حتى يكون النقض من قبلهم هكذا روى
عن ابن عباس والضحاك وقتادة • وقال الحسن معناه اوفوا بالعقود الدين يعني اوامر الله ونواهيه
وقيل معناه اوفوا بكل عقد تعقدونه على انفسكم من نذر او يمين • وقيل اوفوا بالعقود التي تعقدها
بعضكم لبعض نحو عقد البيع والاجارة والنكاح والشركة ولا تنافي بين هذه الاقوال لان كل هذه
العقود يجب الوفاء بها قوله تعالى احلت لكم بهيمة الانعام اى احلت لكم الانعام نفسها واضاف البهيمة
الى الانعام كما يقال مسجد الجامع ونفس الانسان والانعام هي الابل والبقر والغنم ودخل في هذه
الاية اباحة الظباء وبقر الوحش وحمار الوحش لانها ابهم في التمييز من الاهلية ولهذا استثنى الله الصيد

فحالة

فحالة الاحرام في قوله تعالى غير محلي الصيد وانتم حرم • والبهيمة في اللغة ما بين ولكل حي لا يميز استبهم
عليه الجواب اى استغلق قوله تعالى الا ما يتلى عليكم اى الا ما يقرأ عليكم في القرآن مما حرم عليكم في هذه السورة
من الميتة والدم ولحم الخنزير والموقوذة والمتردية والنطيحة الاية قوله تعالى غير محلي الصيد نصب على
الحال من الكاف والميم التي في قوله احلت لكم كما يقال جاء زيد راكبا وجاء غير راكب والمعنى احلت لكم بهيمة الانعام
غير محلي الصيد اى من غير ان تستحلوا قتل الصيد وانتم محرمون • وقيل نصب على الحال من قوله اوفوا بالعقود
اى اوفوا بالعقود غير محلي الصيد وهذا قول الاخفش والاول قول الكسائي • ومعنى الاية احلت لكم الانعام
الا ما كان وحشيا فانه صيد لا يحل لكم اذا كنتم محرمين فذلك قوله وانتم حرم قوله تعالى ان الله يحكم
ما يريد اى يقضي على عباده بما شاء من التحليل والتحريم على ما توجبه الحكمة قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
لا تحلوا شعائر الله اراد به المناسك اى لا تستحلوا مخالفة شيء منها ولا تتجاوزوا مواقيت الحرم غير
مؤدين حقوقها • وذلك ان الانصار كانوا لا يسعون بين الصفا والمروة وكان اهل مكة لا يخرجون
الى عرفة فامر الله تعالى ان لا يتركوا شيئا من المناسك • وقال الحسن شعائر الله دين الله اى لا تحلوا في
دين الله شيئا مما لم يحله الله • ويقال هي حدود الله في فرائض الشرع والشعائر في اللغة المعالم والاشعار
الاعلام والشعيرة واحد الشعائر وهي كل ما جعل علما لطاعة الله تعالى قوله تعالى ولا الشهر الحرام
اى ولا تستحلوا القتل والغارة في الشهر الحرام واراد بذلك الاشهر الحرم كلها وهي رجب وذو القعدة وذو
الحجة والمحرم الا انه ذكر باسم الجنس كما في قوله تعالى ان الانسان لفي خسر اراد به جنس الانسان ولذلك
استثنى المطيع بقوله الا الذين امنوا وكان في ابتداء الاسلام لا يجوز المحاربة في الاشهر الحرم كما قال تعالى قل
قتال فيه كبير ثم نسخ حرمة القتال في الشهر الحرام بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم قوله تعالى
ولا الهدي ولا القلائد اى لا تحلوا الهدي اى لا تذبحوه قبل محله ولا تنتفعوا به بعد ان جعلتموه لله ولا
تمنعوه ان يبلغ البيت قوله تعالى ولا القلائد اى ولا تحلوا القلائد التي تكون في اعناق الهدايا اى لا تقطعوها
قبل الذبح وتصدقوا بها بعد الذبح • كما قال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه تصدق بجلالها
وخطامها ولا تعط الجزار منها شيئا قوله تعالى ولا امين البيت الحرام معناه ولا تستحلوا القتل والغارة

على القاصدين المتوجهين نحو البيت الحرام • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الاية وردت في شريح بن ضبيعة
بن هند اليمامي دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينه وقال انت محمد النبي قال نعم قال الى ما تدعو قال
الى شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله فقال ان لي امرا ارجع اليهم واشاورهم فان قبلوا قبلت ثم انصرف
من عند النبي صلى الله عليه وسلم فلما خرج قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر
وخرج بعقبي غادر فمر شريح بسرح لاهل المدينه فاستاقها وانطلق نحو اليمامة وهو يرتجز ويقول • •
بات نياما وابن هند لم ينم • بات يقاسيها غلام كالزلم • خدلج الساقين خفاف القدم • قد لفها الليل
بسواق حطم • ليس براعي ابل ولا غنم • ولا بجزار على ظهر وضم • هذا اوان الحرب فاشتدي زيم • وقد كان
عند دخوله على النبي صلى الله عليه وسلم خلف حمله خارج المدينه ودخل وحده فلما كان في العام
القابل خرج شريح نحو مكة في تجارة عظيمة في حجاج بكر بن وائل من اهل اليمامة وهم مشركون وكانت
العرب في الجاهلية يغير بعضهم على بعض فاذا كان شهر الحج امن الناس بعضهم بعضا واذا سافر احدهم
في غير اشهر الحرم نحو مكة قلد هديه من الشعر والوبر ومن لم يكن معه هدي قلد راحلته ومن لم يكن معه
راحلة جعل في عنقه قلادة وكانوا يامنون بذلك فاذا رجعوا من مكة جعلوا شيئا من لحا
شجر الحرم في عنق الراحلة فيامنوا فلما سمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بخروج شريح
واصحابه من اهل اليمامة الى مكة اراد اهل شريح من اهل المدينه ان يغيروا على شريح واصحابه فاستاذنوا
النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية قوله تعالى يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا
في موضع نصب على الحال معناه قاصدين طالبين رزقا بالتجارة ورضوانا اي رضا من الله تعالى
على زعمهم ولا يرضى الله عنهم حتى يسلموا • وقال الحسن وقتادة معنى رضوانا اي يرضي الله تعالى
عنهم فيصلح معاشهم ويرفع عنهم العقوبات في الدنيا اذ كانوا لا يقرون بالبعث ثم نسخ الله تعالى
بعد ذلك تعرض المشركين بقوله تعالى فاقتلوا المشركين كافة وبقوله تعالى فلا يقربوا المسجد
الحرام بعد عامهم هذا • وقرا الاعمش ولا امي البيت الحرام بالاضافة قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن
قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا اي لا يحملنكم ويكسبنكم بغض قوم وعداوتهم بان

صرفوكم

صرفوكم عام الحديبية عن المسجد الحرام على ان تظلموهم وتتجاوزوا الحد بالمكافاة • وموضع ان تعتدوا
نصب لانه مفعول وان صدوكم مفعول له كانه قال لا يكسبنكم بغض قوم الاعتداء عليهم بصدهم
اياكم • قرا اهل المدينه الا قالون وابن عامر والاعمش شنان بجزم النون الاولى • وقرا الاخرون
بالفتح وهما لغتان الا ان الفتح اجود لانه افصح اللغتين ولان المصادر اكثر ما تجي على فعلان
مثل الضربان والنزوان والعسلان ونحو ذلك • قال ابن عباس معنى ولا يجرمنكم اي ولا يحملنكم
وقال الفرا لا يكسبنكم قال يقال فلان جريمة اهله اي كاسبهم قوله تعالى ان صدوكم • قرا ابن كثير
وابو عمرو بكسر الالف على الاستيناف والجزا • وقرا الباقون بالفتح اي لان صدوكم والفتح اجود
لان الصد كان واقعا من الكفار يوم الحديبية قبل نزول هذه السورة قوله تعالى وتعاونوا على
البر والتقوى اي تعاونوا على الطاعة وترك المعصية • قال ابو العالية البر ما امرت به والتقوى
ترك ما نهيت عنه وظاهر الامر يقتضي وجوب المعاونة على الطاعة وظاهر الامر على الوجوب
قوله تعالى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان لا يعن بعضكم بعضا على شيء من المعاصي والظلم •
وقال بعضهم سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاثم والبر فقال البر حسن الخلق والاثم
ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس قوله تعالى واتقوا الله ان الله شديد
العقاب اي اخشوه واطيعوه فيما امركم به ونهاكم عنه ان الله شديد العقاب اذا عاقب فعقابه
شديد قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به الميتة اسم لكل ذي
روح فارقه روحه حتف انفه والمراد بالدم الدم المسفوح وحرم عليكم لحم الخنزير لعينه
لا لكونه ميتة حتى لا يحل تناوله مع وجود الذكاة فيه • وفايدة تخصيص لحم الخنزير بالذكر دون
لحم الكلب وساير السباع ان كثيرا من الكفار الفوا لحم الخنزير واعتادوا اكله وولعوا به ما لم يعتادوا
اكل غيره • وقيل فايدته ان مطلق لفظ التحريم يدل على نجاسة عينه مع حرمة اكله ولحم الخنزير
مختص بهذا الحكم وذلك ان ساير الحيوانات المحرم اكلها اذا ذبحت كان لحمها طاهرا لا يفسد
الما اذا وقع فيه وان لم يحل اكله بخلاف لحم الخنزير • قوله تعالى وما اهل لغير الله به اي وما ذبح

والدم

عليكم ما ذكر عليه عند الذبح اسم غير الله وذلك انهم كانوا يذبحون لاصنامهم يتقربون بذبحها اليهم فحرم
الله كل ذبيحة تقرب بذبحها الى غير الله تعالى • وكذلك قال الفقهاء ان الذابح لو سمى النبي صلى الله عليه
وسلم مع الله تعالى فقال بسم الله ومحمد حرمت الذبيحة • قال في تفسير عبد الصمد وذكر الامام ابو عاصم
العامري محمد بن احمد عن اصحابنا ان سلطانا لو دخل بلدا فذبح الناس الذبايح تقربا اليه بذبحها واراقة
دمها لم يحل تناول شيء منها لانه قد اهل بها لغير الله وتقرب بذبحها الى غير الله وكان نفرق بين هذا وبينما
يذبحه الرجل لضيفه بمعنى ان صاحب الضيف انما يتقرب لضيفه باللحم دون اراقة الدم الا ترى انه لو ذبح
الشاة بانيه ونسيه ولم يقربها اليه لم يكن متقربا اليه فاما ما يذبح لاجل الامرا عند دخولهم البلاد فانما
تتقربون اليهم بالذبح واراقة الدم دون اللحم فان اللحم لا يحل اليهم ولا يرجع اليهم شيء من منافعه فلذلك
افترقا • وكان يحكى عن بعض المشايخ ان هذه المسيله وقعت ببعض بلاد ما وراء النهر فاختلف فيها فقهاؤها
فكتبوا الى ايمة بخارى فافتوا بتحريمها قوله تعالى والمنخنقة والموقوذة اي وحرم عليكم اكل لحم المنخنقة و
هي التي تخنق بحبل او شبكه فتموت من غير ذكاة • واما الموقوذة فهي المضروبة بالخشب حتى تموت قوله تعالى
والمتردية هي التي تتردى من جبل او سطح او في بئر فتموت قبل الذكاة والتردي هو السقوط ماخوذ من الردا
وهو الهلاك • قال صلى الله عليه وسلم لعدي اذا ترديت رميتك من جبل فوقعت في ماء فلا تاكل فانك
لا تدري لسهمك قتلها ام الما فصار هذا الكلام اصلا في كل موضع اجتمع معنيان احدهما حاظر والاخر
مبيح انه تغلب جهة الحظر • ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهة
فدع ما يريبك الى ما لا يريبك الا وان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه •
وعن عمر رضي الله عنه انه قال كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة الربا قوله تعالى والنطيحة هي التي
تنطح حتى تموت واذا تناطحت الحيوانات فقتل بعضها بعضا في النطاح فهي حرام بالاية • قال ابن عباس كان
اهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت اكلوها وكذلك الموقوذة • قال قتادة كان اهل الجاهلية
يضربون الشاة بالعصى حتى اذا ماتت اكلوها يقال منه وقذه يقذه وقذا اذا ضربه حتى اشفى على الهلاك
قال الفرزدق • شغارة تقذ الفصيل برجلها • فطارة لقوادم الابكار • قوله تعالى النطيحة انما دخلها

بن حاتم صح

فيها وان كان الفعيل بمعنى المفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث كقولهم لحية دهين وعين كحيل وكف خضيب
لان النطيحة لم يتقدمها اسم فلو اسقطت الها منها لم ندر اهي مذكر ام مؤنث فنظير ذلك لو قيل شاة نطيح ثم تذكر
الها لذكر الشاة • وقرا ابن ابي زايدة واكيلة السبع • وقرا الحسن وطلحة السبع بسكون البا وهي لغة في السبع
ومعنى قوله تعالى وما اكل السبع هو فريسته قوله تعالى الا ما ذكيتم اي الا ما ادركتم ذكاته مما اكل منه
السبع فذكيتم فان ذلك يحل لكم • واما ما ابين من الصيد قبل الذكاة فهو ميت ويحتمل ان تكون قوله تعالى
الا ما ذكيتم راجعا الى المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة واكيلة السبع فانها كلها في الحكم بمعنى واحد • وعن
الحسن انه كان يقول في هذه الجملة اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها او حركت بذنبها فذكها وكل • وشرط
اكثر العلما في اباحة اكلها بالذكاة ان تكون حيوتها وقت الذكاة اكثر من حيوة المذبوح فان كانت بهذه الصفة
اثرت الذكاة في اباحتها والاقلا والتذكية تمام فري الاوداج وانهار الدم ومثله الذكا في الفهم اذا كان
تام العقل وذكيت النار اذا اتممت اشعالها قوله تعالى وما ذبح على النصب اي وحرم عليكم ما ذبح على
النصب وهي جمع النصب وهي الحجارة كانوا ينصبونها فيعبدونها من دون الله تعالى ويقربون لها الذبايح
والفرق بين النصب والاصنام ان الصنم اسم لما كان على صورة الانسان والنصب ما لا نقش له ولا
صورة ولكنه يعبد والوثن ما كان منقشا في الحايط لا شخص له • وقيل النصب واحد وجمعه انصاب
مثل عنق واعناق • وقرا الحسن بن صالح وطلحة بن مصرف على النصب بجزم الصاد • وقرا الجحدري بفتح النون
والصاد وكلها لغات وهي الشي المنصوب ومنه قوله تعالى كانهم الى نصب يوفضون • واختلفوا في معنى النصب
هاهنا • قال ابن جريج ومجاهد وقتادة كان حول البيت ثلثمائة وستون حجرا كان اهل الجاهلية يذبحون
عليها ويشرحون اللحم عليها وكانوا يعظمونها ويعبدونها ويذبحون لها وكانوا مع هذا يبدلونها اذا
راوا حجارة هي اعجب اليهم منها وقالوا ليست اصناما انما الصنم ما ينقش • وقال الاخرون النصب هي الاصنام
المنصوبه • قال الاعشى • ولا النصب المنصوب لا تعبدنه • لعاقبة والله ربك فاعبدا • قال قطرب معنى
الاية وما ذبح للنصب اي لاجلها واللام وعلى يتعاقبان في الكلام قال الله تعالى فسلام لك اي عليك
وقال تعالى وان اساتم فلها اي فعليها • وقال بعضهم معناه وما ذبح على اسم النصب قوله تعالى

والمتردية صح

جمعه انصاب كالحمل والحمال والحجر والانصاب كالاحمال والاحجار

وان تستقسموا بالازلام اى وحرم عليكم الاستقسام وهو طلب القسم بالازلام وهى القداح التى كانوا يحلونها عند الغزو على الميسر ويستقسمون بها لحم الجزور على ما تقدم ذكره فى قوله تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر • وقال الحسن كانوا يتخذون السهام فاذا اراد الرجل ان يخرج الى سفر او تجارة او يتزوج اجال السهام بين وكان مكتوبا على بعضها امرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى فان خرج الذى عليه امرنى ربى قال قد امرت بالخروج فلا بد لى من ذلك فيخرج وان كره الخروج خرج غير بعيد ثم رجع ولا يدخل من باب بيته ولكن ينقب ظهر بيته منه يدخل ومنه يخرج الى ان يتفق له الخروج • وان خرج الذى عليه نهانى ربى قال قد نهيت عن الخروج ولا يسعنى فنهى الله تعالى عن ذلك فعلى هذا لا يجوز ان يكون معنى الاستقسام طلبهم فى الخروج والجلوس والخروج فى قسم الرزق والحوايج وظاهر هذه الاية يقتضى ان العمل على قول المنجمين لا يخرج من اجل نجم كذا واخرج من اجل نجم كذا فسق لان ذلك دخول فى علم الغيب ولا يعلم الغيب الا الله ومعنى الفسق الخروج من الطاعة وقوله تعالى ذلكم اشارة الى ما تقدم ذكره من المعاصى والحرام قوله تعالى وان تستقسموا فى موضع رفع اى وحرم عليكم الاستقسام بالازلام والازلام هى القداح التى لا ريش لها ولا نصل واحدها زلم مثل عمر وزفر • وقيل زلم مثل قلم • وقال ابن جبير هى حصا بيض كانوا يضربون بها قوله تعالى اليوم يئس الذين كفروا من دينكم قال ابن عباس نزلت هذه الاية يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ومعه المسلمون وهو يوم الفتح يئس الكفار يومئذ من رجوع المسلمين الى دينهم بما ظهر من علو الاسلام والمسلمين على ساير الاديان وقال بعضهم اراد به يوم حجة الوداع • وقال الحسن اراد باليوم جميع [زمان] النبى صلى الله عليه وسلم وعصره كما يقال كانت حادثة كذا فى يوم فلان يراد به عصره وقوله تعالى فلا تخشوهم واخشون اى ليكن خوفكم لله وحده فقد امنتم وحول الله الخوف الذى كان يلحقكم اليهم باظهار الاسلام وقيل معناه لا تخشوهم باظهار تحريم ما كانوا يبيحونه واسرعوا فى ترك اظهار المحرمات قوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا قال ابن عباس نزلت هذه الاية على النبى صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة يوم عرفة والناس وقوف رافعون ايديهم بالدعا

فبركت

فبركت ناقة النبى صلى الله عليه وسلم من ثقل هذه الاية بعد ان كاد عضدها يندق ولم ينزل بعدها اية حلال ولا حرام وعاش النبى صلى الله عليه وسلم بعدها احد وثمانين يوما ثم قبضه الله تعالى الى رحمته • قال طارق بن شهاب جاء يهودى الى عمر رضى الله عنه فقال يا امير المومنين ايه تقرونها لو انزلت علينا لاتخذنا يوم نزولها عيدا فقال واى اية هى قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى الاية • قال عمر هل علمت فى اى يوم نزلت وفى اى مكان نزلت انها نزلت يوم الجمعة يوم عرفه ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفه وكلاهما بحمد الله لنا عيد ولا يزال ذلك اليوم عيدا • قال ابن عباس انها نزلت فى يوم عيدين يوم جمعه ويوم عرفه • روى عن عمر رضى الله عنه انه بكى يوم نزلت هذه الاية فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر قال ابكانى انا كنا فى زيادة من ديننا فاما اذا اكمل فانه لا يكمل شئ الا نقص قال صدقت واختلفوا فى معنى الاية قال بعضهم معناها اليوم اكملت لكم شرايع دينكم من الفرايض والسنن والاحكام والحدود والحلال والحرام فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ولا شئ من الفرايض وبينت لكم جميع ما اريد ان ابينه لكم فى الانزال فاما دين الله فلم يزل كاملا لا نقص فيه وهذا قول ابن عباس والسدى • وقال قتادة وسعيد معناه اكملت لكم دينكم فلم يحج معكم مشرك ويحتمل ان يكون المراد بالاكمال للدين اظهاره على ساير الاديان بالنصرة والغلبة واليوم نصب على الظرف كما يقال الان وفى هذا الزمان قوله تعالى واتممت عليكم نعمتى اى اتممت عليكم منتى باظهار الدين حتى لم يحج معكم مشرك • وقيل نعمة الله بيان فرايضه • وقيل انجاز الجنة • وقيل معناه وانجزت لكم وعدى فى قولى ولاتم نعمتى عليكم فكان من تمام نعمته ان دخلوا مكة امنين وعليها ظاهرين وحجوا مطمئنين ولم يخالطهم احد من المشركين قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا اى اخترت لكم الاسلام من الاديان كلها دينا فمن دان الاسلام فقد استحق ثوابى ورضاى • والدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وامرهم بالاقامة عليه وهو الذى امروا ان يكون ذلك عادتهم والذى به يجزون فان الدين فى اللغة العادة والدين الجزا قوله تعالى فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم اى من دعته الضرورة الى اكل شئ مما حرم الله

عليه في مخاعة غير ما يل الى اثم اي ذا بد على ما يسد به رمقه فان الله غفور رحيم اباح ذلك
رحمة منه وتسهيلا على خلقه والمخمصة ماخوذة من الخمص وهو شدة ضمور البطن والمتجانف من الجنف وهو الميل
قوله تعالى يسالونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين قال ابن عباس لما نزل
قوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم جاء عدي بن حاتم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لنا كلابا
نتصيد بها فناخذ البقر والظبا والحمر فمنها ما ندرك ذكاته ومنها ما لا ندرك وقد حرم الله الميتة فانزل
الله تعالى هذه الاية ومعناها يسالونك يا محمد اي شيء احل لهم من الصيد وغيره قل احل لكم المباحات يقال
هذا يطيب لفلان اي يحل قال الله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي ما حل لكم وكل شيء لم يات تحريمه في كتاب
او سنة فهو من الطيبات • وقال بعضهم اراد بالطيبات المستلذات والمشتهيات وهو عام اريد به غير ما تضمنته
الاية المتقدمة قوله تعالى وما علمتم من الجوارح مكلبين اي واحل صيد ما علمتم فحذف ذكر الصيد لان في
الكلام دليلا عليه والجوارح هي الكواسب من الفهد والصقر والبازي والعقاب والنسر والباشق والشاهين
وسائر ما تصطاد به الصيد • قال الله تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار اي ما كسبتم • وقيل معنى الجوارح الجارحات
بناب ومخلب قوله تعالى مكلبين حال للمعلمين اي في حال اغرائهم الكلب على الصيد والتكليب اغراء السبع على الصيد
وارساله • ومن قرا مكلبين بفتح اللام فهو حال من الكواسب المعلمين • وقرا ابن مسعود والحسن مكلبين باسكان الكاف
وتخفيف اللام فعلى هذا المعنى يجوز ان يكون من قولهم اكلب الرجل اذا كثرت كلابه وامشى اذا كثرت ماشيته وذكر
الكلاب لانها اعم واكثر والمراد به جميع الجوارح قوله تعالى تعلمونهن مما علمكم الله اي تؤدبوهن ان يمسكن
الصيد عليكم كما ادبكم الله تعالى فكلوا مما امسكن عليكم اي مما حفظن لكم بعد قتلهن اياه وهو ان لا ياكل
الكلب من الصيد فاذا اكل منه حرم الصيد على صاحبه • قال ابن عباس تعليم الكلب ان تضربه حتى يترك الاكل
وتعليم البازي ان تدعوه فيجيبك قوله تعالى واذكروا اسم الله عليه اي على الارسال كما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لعدي بن حاتم اذا ارسلت كلبك المعلم وسميت الله تعالى فكل وان اكل منه
فلا تاكل فانه انما امسك على نفسه • وفي بعض الروايات وان شارك كلبك كلب اخر فلا تاكل فانك انما سميت
على كلبك ولم تسم على كلب غيرك • وذهب بعض اهل العلم الى ان معنى الامساك في هذه الاية ان يحفظ

الكلب

الكلب الصيد حتى يجي صاحبه فان تركه حتى غاب عن صاحبه ثم وجده صاحبه بعد ذلك ميتا لم يحل
اكله • كما قال صلى الله عليه وسلم كل ما اصميت ودع ما انميت • قيل ان الاصماء ما رايت والانماء ما توارى عنك
واختلف اهل العلم في حد التعليم • قال ابو حنيفة رحمه الله ليس فيه حد موقت وانما يرجع فيه الى اهل الصنعة
فان حكموا بتعليمه حل صيده بعد ذلك والا فلا لان الاصطياد بالكلاب بمنزلة الحرف والصناعات للناس
وليس في معرفة كون الانسان عالما بصنعته متقدما على حرفته حد يؤمن عليه ولكن يرجع في كل صنعة الى
اهلها • وقال ابو يوسف ومحمد وكثير من الفقهاء اذا دعي الكلب ثلاث مرات على الولاء فاجاب وارسل فاسترسل
واخذ الصيد ولم ياكل حكمنا بكونه معلما لان التعليم لا يحصل بالمرة الواحدة ويحصل بالمرات الكثيرة فجعل
الحد بين القليل والكثير بالثلاث التي هي اقل الجمع الصحيح قوله تعالى واتقوا الله ان الله سريع الحساب قد تقدم
تفسيره • وروى ابو رافع قال جاء جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذن
فاذن له فلم يدخل فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه وخرج اليه فقال له قد اذنا لك يا رسول
الله قال اجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة فنظروا فاذا في بعض بيوتهم جرو • وعن علي رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب • قال ابو رافع
فامرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا ادع كلبا في المدينة الا قتلته فقتلت حتى بلغت العوالي فانتهيت
الى امراة في ناحية المدينة عندها كلب يحرس غنمها فرحمته ثم اتيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبرته بامره فامرني بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته • وقال ابن عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم رافعا صوته يقول اقتلوا الكلاب • وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يحل ثمن الكلب ولا حلوان الكاهن ولا مهر البغي ونهى عن اقتنائها وامساكها وامر بغسل
الاناء من ولوغها سبع مرات احداهن بالتراب • قال فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل
الكلاب جاء اناس فقالوا يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها فسكت النبي صلى الله
عليه وسلم فانزل الله هذه الاية فلما نزلت اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلاب التي
ينتفع بها ونهى عن اقتناء ما لا ينتفع بها وامر بقتل الكلب العقور وما يضر ويؤذي ورفع القتل عما سواها

القاصل صح

الخامس والعشرون

فما لا ضرر فيه • وعن عبد الله بن المغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الكلاب امة من الامم
لامرت بقتلها فاقتلوا منها الاسود البهيم وانما قوم تخذوا كلبا ليس بكلب صيدا وحرثا وماشيه فانه ينقص
من اجورهم كل يوم قيراط • وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتنا كلبا ليس بكلب
صيد ولا ماشيه ولا ارض فانه ينقص من اجره كل يوم قيراطان والحكمة في ذلك ان يبيح الضيف ويروع
السايل قوله تعالى اليوم احل لكم الطيبات اى الان تمم الله لكم بيان الحلالات وهو كل ما لم يجر ذكره في المحرمات
قوله تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم اى ذبايح اليهود والنصارى حلال لكم والدليل على ان المراد
بالطعام هاهنا الذبايح ان ما سوى الذبايح من الاطعمة والاشربة حلال للمسلمين سوا كانت لاهل الكتاب
او لغيرهم فبان ان المراد به الذبايح لان ذبايح غير اهل الكتاب من الكفار حرام على المسلمين قوله تعالى
وطعامكم حل لهم اى ذبايحكم حلال لهم اى رخص لكم في ان تطعموهم ذلك قوله تعالى والمحصنات من
المومنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب قال الحسن اراد بالمحصنات هاهنا الحراير من المومنات والكتابيات
وقال ابن عباس اراد به الحراير والعفايف منهن وتقدير الاية واحل لكم نكاح المحصنات من المومنات والكتابيات
وقد استدل بعض الفقها بظاهر هذه الاية على انه لا يجوز للمسلم نكاح الامة الكتابية والصحيح انه يجوز
بظاهر قوله تعالى باذن اهلهن بدليل حل ذبايحهن وانما خص الله المحصنات باباحة نكاحهن مع جواز
نكاح غيرهن لان الاية خرجت مخرج الامتنان والمنه في نكاح الحراير العفايف اعظم واتم يدل على
ذلك انه لا خلاف في جواز النكاح بين المسلم والامة المومنة وان كان في الاية تخصيص المحصنات من المومنات
والافضل لمن اراد النكاح ان لا يعدل عن نكاح الحراير الكتابيات مع القدرة عليهن وذلك لان نكاح الامة
يودى الى ارقاق الولد لان الولد يتبع امه في الرق والحرية ولا ينبغي لاحد ان يختار رق ولده كما لا ينبغي
ان يختار رق نفسه قوله تعالى محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان اى ناكحين غير زانين معلنين
بالزنا ولا متخذي صديقات للزنا سرا • قال الحسن كان بعض اهل الجاهلية يسافح ويزني بكل من وجد
من النساء وبعضهم يتخذ خليلة يزني بها سرا ويجتنب الزنا علانية فبين الله تعالى بهذه الاية حرمة الزنا
سرا وعلانيه قوله عز وجل ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين قال ابن عباس

لما رخص الله للمسلمين في نكاح الكتابيات • قال اهل الكتاب لولا ان الله رضي عملنا لم يحل للمسلمين
تزويج نسائنا • وقال المسلمون كيف يتزوج الرجل منا الكتابية وهي كافرة فانزل الله ومن يكفر بالايمان
فقد حبط عمله اى فقد بطل ثواب عمله وهو في الاخرة من المغبونين غبن نفسه ومنزله وصار الى النار
لا يغني عن المراة الكتابية اسلام زوجها ولا ينفعها ذلك ولا يضر المسلم كفر زوجته الكتابية قوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا
برؤسكم وارجلكم الى الكعبين قال ابن عباس وجماعة من المفسرين معناه اذا اردتم القيام الى الصلوة
وانما اضمروا ارادة القيام لان صحة قيام الصلوة بالطهارة فلا يصح جزء من القيام قبل تقدم الطهارة
وظاهر الاية يقتضي ان القيام الى الصلوة يكون سببا لوجوب الطهارة ولا خلاف بين السلف والخلف
ان الطهارة لا يجب بسبب القيام الى الصلوة الا انه روى عن عمر وعلي رضي الله عنهما انهما كانا
يتوضان عند كل صلوة ويقرأن هذه الاية فيحتمل انهما كانا يفعلون ذلك ندبا واستحبابا فان
تجديد الطهارة لكل صلوة مستحب • وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من توضا فهو على وضوء ما لم يحدث • وقال لا وضوء الا من حدث • فثبت ان في الاية اضمار
اخر تقديره اذا اردتم القيام الى الصلوة وانتم محدثون فاغسلوا وجوهكم وهذا نظير
قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر معناه فافطر فعليه عدة من ايام اخر
وقوله فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام معناه فحلق فعليه فدية •
وقال بعضهم معنى الاية اذا قمتم من نومكم الى الصلوة • وقال هذا على ان النوم في حالة الاضطجاع
حدث قوله تعالى فاغسلوا وجوهكم الغسل اجرا الما على المحل وتسييله سواء وجد معه
الدلك ام لا والوجه ما يواجهك من الانسان وحده من قصاص الشعر الى اسفل الذقن ومن شحمة
الاذن الى شحمة الاذن وظاهر الاية يقتضي ان المضمضة والاستنشاق غير واجبين في الوضوء
لان اسم الوجه يتناول الظاهر دون الباطن قوله تعالى وايديكم الى المرافق اى مع المرافق هكذا
قال علماؤنا رحمهم الله تعالى الا زفر رحمه الله فانه ذهب الى ظاهر الاية • وقال ان حرف الى

للغاية والغاية لا تدخل في الحكم كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل • واما عامة العلماء
فقالوا ان الى يذكر بمعنى مع كما في قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم فاذا احتمل اللفظ الغاية
واحتمل معنى المقارنة حل محل المجمل فكان موقوفا على بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد روي انه كان اذا توضأ ادار الماء على مرفقيه فصار فعله بيانا للمجمل فحمل على الوجوب قوله
تعالى وامسحوا برؤسكم اختلف العلماء في مقدار وجوب المسح منه • فذهب مالك الى ان مسح جميع
الراس واجب وقال ظاهر الاية يقتضي الجمع دون البعض لانك اذا قلت مررت بزيد اردت جملته
لا بعضه ومثل ذلك قوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق والمراد كل البيت • وكقوله تعالى فامسحوا
بوجوهكم وايديكم منه • وذهب الشافعي رحمه الله الى ان الواجب مسح مقدار ما يتناوله الاسم
ومن اصحابه من قدره بثلاث شعرات وهذا بعيد لان فاعله لا يسمى ماسحا راسه ولا براسه ولان
ذلك القدر يحصل بغسل الوجه وفعل ذلك ايضا متعسر • وقال اصحابنا في الاحتجاج على مالك
ان الباء تذكر ويراد بها التبعيض كما تقول اخذت براس فلان ومسحت براس اليتيم فاذا احتمل اللفظ
التبعيض كان مجازا فوجب الرجوع فيه الى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقد روي
انه توضى ومسح على ناصيته والناصية هو الربع المقدم من الراس ومعلوم انه كان لا يترك بعض
الواجب فثبت ان الفرض مقصور على هذا المقدار الا ان الافضل ان يمسح جميع الراس ليخرج عن الفرض بيقين •
وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم توضى ومسح جميع راسه • واختلف العلماء في عدد مسح
الراس • قال علماؤنا الافضل ان يمسح جميع راسه بماء واحد • وروى الحسن عن ابي حنيفة ان مسح راسه
ثلاث مرات بماء واحد كان سنة • وقال الشافعي الافضل ان يمسح ثلثا بثلاث مياه • روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مسح راسه مرة واحدة • وقال صلى الله عليه وسلم
الوضوء ثلثا ثلثا الا المسح • واما مسح الاذنين فهو سنة لا خلاف في ذلك بين اهل العلم
وانما اختلفوا في كيفية مسحهما • قال اصحابنا يمسح ظاهرهما وباطنهما مع الراس بماء واحد • كما
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مسح براسه واذنيه بماء واحد • وفي بعض الروايات

مسح

مسح راسه وامسك سبابتيه لاذنيه ثم قال الاذنان من الراس • وقال الشافعي هما عضوان منفردان
يمسحان ثلثا بثلث مياه • واما مسح الرقبة فلم يذكر في شيء من الكتب المشهورة ويحتمل ان يكون سنة
ويحتمل ان يكون مستحبا لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمسح مقدم راسه ومؤخره • فقال بعضهم
ان المقصود من مسح مؤخر الراس مسح الرقبة • وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من مسح رقبته في الوضوء امن من الغل يوم القيمة • قوله تعالى وارجلكم الى الكعبين • قرا ابن عامر ونافع
والكسائي وحفص ويعقوب وارجلكم بالنصب وهي قراءة علي رضي الله عنه • وقرا الباقون وارجلكم
بالخفض وهي قراءة انس وعلقمة والشعبي فمن نصب فمعناه واغسلوا ارجلكم عطفا على الوجه واليدين
ومن خفض فعلى العطف على الرؤس على الاتباع والجوار لفظا لا معنى كقول العرب جحر ضب خرب وقولهم
اكلت التمر واللبن • ويقال فلان متقلد سيفا ورمحا والرمح لا يتقلد به وانما يحمل وقال السد • واطفلت
بالجلهتين ظباؤها ونعامها • والنعام لا تطفل وانما مفرح فقولهم جحر ضب خرب كان ينبغي ان يقال
خرب لانه نعت الجحر وانما خفض للمجاورة • وقال بعضهم اراد بذلك المسح على الخفين يسمى ماسحا على
الرجلين لقرب الجوار • كما يقال قبل فلان رجل الامير وراسه ويده وان كان الرجل في الخف و
الراس في العمامة واليد في الكم • وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا ركع وضع
يديه على ركبتيه وليس المراد انه لم يكن بينهما حايل • واختار بعضهم المسح على الرجلين وهو قول
ابن عباس وقالوا الوضوء غسلان ومسحان • وذهب بعضهم الى ان المتوضي مخير بين غسل الرجلين ومسحهما
واذا احتملت قراءة الخفض المسح على الخفين واحتملت مسح الرجلين واحتملت غسلهما وجب الرجوع
الى فعل النبي صلى الله عليه وسلم • وقد روي انه داوم على غسل رجليه واتفقت الامة على
فعله • وروى ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه توضا مرة مرة وغسل رجليه • و
قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به ولان الله تعالى قال وارجلكم الى الكعبين وهذا يدل على
الغسل كاليدين لما حدهما الى المرافق كان فرضهما الغسل دون المسح • وقال صلى الله عليه وسلم
لا يقبل الله صلاة امرء حتى يضع الطهور مواضعه فيغسل وجهه ويديه ويمسح براسه ويغسل رجليه

وعن جابر رضى الله عنه قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغسل ارجلنا اذا توضانا • وقال
ابن ابى ليلى اجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجوب غسل الرجلين • وعن عبد الله بن عمر قال
مر النبى صلى الله عليه وسلم على قوم وعراقيبهم تلوح فقال اسبغوا الوضوء ويل للاعقاب من النار • ورأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمى يتوضا فقال اغسل باطن قدميك فجعل يغسل حتى سمى باغسل •
وقالت عايشه رضى الله عنها لان نقطع قدماى احب الى من ان امسح عليهما من غير خفين • وذهبت الروافض
الى ان الواجب فى الرجلين المسح ورووا فى المسح خبرا ضعيفا شاذا قوله تعالى الى الكعبين هما الناتيان من جانب
الرجل وهما مجمع مفصل الساق والقدم ماخوذ من الكعب وهو النتو يقال جارية كاعب اذا خرج ثدياها
وروى هشام عن محمد انه الكعب الذى فى وسط القدم عند معقد الشراك والصحيح ان محمدا انما قال ذلك فى
المحرم بالحج فانه يقطع خفيه اسفل من الكعبين • قال والكعب ههنا هو معقد الشراك فنقل هشام ذلك الى
الطهارة ولا خلاف فى الكعب فى الوضوء بين العلماء الثلثه انه داخل فى غسل الرجلين قوله تعالى وان كنتم
جنبا فاطهروا اى ان كنتم جنبا واردتم القيام الى الصلوة فاغسلوا والجنب يوضع موضع الجمع يقال رجل
جنب ورجلان جنب وقوم جنب ولفظ الاطهار يقتضى تطهير جميع البدن فى الاغتسال من الجنابة • كما قال
صلى الله عليه وسلم تحت كل شعرة جنابة فبلوا الشعر وانقوا البشر • ولهذا قال اصحابنا ان المضمضه والاستنشاق
واجبان فى غسل الجنابة وقوله تعالى فاطهروا اى فتطهروا الا ان التا تدغم فى الطا لقرب مخرجهما • وعن
انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى اذا اخذت فى الغسل من الجنابة فبالغ
فيه فان تحت كل شعرة جنابة فقلت يا رسول الله وكيف ابالغ قال روا اصول الشعر وانق بشرتك تخرج
من مغتسلك وقد غفر لك كل ذنب قوله تعالى وان كنتم مرضى او على سفر اى مرضى من حدث او غيره
فلم تطيقوا غسل هذه الاشيا او كنتم مسافرين او جاء احد منكم من الغايط معناه وجاء احد منكم
من قضاء الحاجة لانه لا خلاف ان المريض والمسافر اذا لم يكونا محدثين لا يلزمهما الوضوء ولا التيمم وقد
يذكر حرف او بمعنى الواو مثل قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قوله تعالى او لامستم
النساء معناه او جامعتم النساء فلم تجدوا ماء اى فلم تقدروا على ما تتطهرون به من الجنابة

والحدث

والحدث فتيمموا صعيدا طيبا اى اقصدوا ترابا نظيفا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اختلف
العلما فى قوله منه • قال ابو يوسف معناه التبعيض اى امسحوا بوجوهكم وايديكم من بعض الصعيد وهو
التراب • وقال ابو حنيفة ومحمد معناه من ههنا ابتدا الغاية اى فانقلوا اليد بعد وضعها على الصعيد
الى الوجوه والايدى من غير ان يتخللهما ما يوجب الفصل قوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج
اى ما يريد الله ان يجعل عليكم بتكليف العبادات تضييقا فى الدين وانما يريد بذلك ان يطهركم من الذنوب
والاحداث والجنابة • كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايما رجل قام الى
وضوء يريد الصلوة ثم غسل كفيه نزلت خطيئة كفيه مع اول قطرة فاذا تمضمض واستنشق نزلت خطيئة
لسانه وشفتيه مع اول قطرة فاذا غسل يديه الى المرفقين ورجليه الى الكعبين سلم من كل ذنب
هو عليه وكان كيوم ولدته امه قوله تعالى وليتم نعمته عليكم قال الحسن بادخال الجنة • وقال
ابن عباس بجواز التيمم لكم بالتراب فى حال عدم الما لكى تشكروا نعمة الله عليكم فى رخصته لكم وتخفيفه
عليكم فى التكليف • قال عثمان رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما توضا
عبد فاسبغ وضوءه ثم قام الى الصلوة الا غفر الله له ما بينه وبين الصلوة الاخرى قوله عز وجل واذكروا
نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به اى احفظوا نعم الله عليكم وانما ذكره بلفظ النعمة لانه
ذهب فيه مذهب الجنس وميثاقه اى عهده الذى عاهدكم به • قال ابن عباس والحسن يعنى الميثاق
الذى اخذ الله تعالى على ذرية آدم حين اخرجهم من صلبه وقال الست بربكم قالوا بلى • وقال
السدى اراد بالميثاق ههنا متابعة النبى صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى كل ما امر به
او نهى فى حال العسر واليسر والرضا والكره وهذا اقرب الى ظاهر الاية لان الله تعالى ذكرهم الميثاق
وهم لا يحفظون الميثاق الذى من وقت آدم • وقيل اراد به العهد الوثيق الذى اخذ الله على جميع
عباده فى اوامره ونواهيه فسمعوه وقبلوه وامنوا به على ما فسره الله بقوله اذ قلتم سمعنا و
اطعنا قوله تعالى واتقوا الله اى اخشوا عقابه فى نقض الميثاق انه عليم بذات الصدور اى بما
فى القلوب من الوفا والنقض وذات الصدور ما تضمنته الصدور وهى القلوب قوله عز وجل

يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط اى كونوا قوامين بامر الله قابلين له منتبين
عن دين الله بالحق والعدل ولا يجرمنكم شنئان قوم على ان لا تعدلوا اى لا يحملنكم بغض الكفار على
ترك العدل فيه مكافاة لما سلف منهم ويقال لا يحملنكم عداوة المشهود له على كتمان ماله عندكم من الشهادة
ولا عداوة المشهود عليه على اقامة الشهادة عليه بغير حق قوله اعدلوا هو اقرب للتقوى اى اعدلوا في
جميع اقوالكم وافعالكم في مالكم وعليكم فان العدل اقرب الى التقوى اى اقرب الى ان تصيروا به متقين • وقيل
اقرب الى تقوى عذاب الله واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون من الخير والشر والعدل والجور قوله تعالى
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات اى الذين صدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وعملوا
الطاعات فيما بينهم وبين ربهم وهذا تمام الكلام يقال وعدت الرجل يراد بذلك وعدته خيرا و
اوعدت الرجل يراد بذلك شرا فكان وعد الله لهم دليلا على عدة الخير ثم فسر ذلك الخير فقال
لهم مغفرة واجر عظيم اى مغفرة لذنوبهم وثواب عظيم في الجنة قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا
باياتنا اولئك اصحاب الجحيم اى اصحاب النار الموقدة والجحيم من اسماء جهنم قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم قال ابن عباس رضي الله عنهما وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية سبعين رجلا الى بني عامر بن صعصعه وامر عليهم
المنذر بن عمرو الانصاري وكان طريقهم على بني سليم وكانوا يومئذ صلحا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وامر عليه السلام السريه ان ينزلوا على بني سليم فنزلوا عليهم فبعث بنو سليم الى بني عامر
واخبروهم بامرهم وقلتهم فارتحل المسلمون من عند بني سليم الى بني عامر فاضل اربعة منهم
بعيرا لهم فاستاذنوا اميرهم ان يطلبوا بعيرهم ثم يلحقوا بهم فاذن لهم وسار المنذر بمن بقي معه
حتى اتاهم وقد جمعوا لهم واستعدوا لهم بالسلاح فالتقوا ببئر معونه فاقتتلوا قتالا شديدا
ثم قتل المنذر ومن معه جميعا ثم اقبل الاربعة الذين اضلوا البعير فلقيتهم امة لبني عامر فقالت لهم
امن اصحاب محمد انتم قالوا نعم قالت فان اخوانكم قد قتلوا جميعا على الماء • فقال احد الاربعة
ما ترون قالوا نرى ان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بالامر قال لا ولكني والله

لا تغدرني من غدا اصحابي رجعوا فاقرؤا محمدا صلى الله عليه وسلم مني السلام ثم اشرف على اصحابه
فاذا هم مقتولون والمشركون قعود يتغدون فانحدر اليهم من الجبل بسيفه فقاتلهم حتى قتل
وعشى الثلاثه المدينه فلقوا رجلين من بني سليم خارجين من المدينه فقالا لهما ممن انتما قالا من بني عامر
قالوا هذان من الذين قتلوا اخواننا فقتلوهما واخذوا اسلاحهما ثم دخلوا المدينة و
سلبهما صح
اخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بئسما صنعتم قتلتم رجلين من اهل الميثاق
وجاء اولياء القتيلين يطلبون القصاص • فقال صلى الله عليه وسلم ليس لكم لان صاحبيكم
اعتزنا الى عدونا من بني عامر ولكنا نؤدي اليكم الدية فانطلق رسول الله صلى الله عليه و
سلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي حتى اتى بني قريظة فقال لهم انكم جيراننا وحلفاؤنا
وقد علمتم ما اصبنا به من دم الرجلين من بني سليم وهما من اهل ميثاقي ونحن نريد ان
نؤدي ديتهما فاتخذوا لها عندنا يدا نجزيكم بها بعد اليوم فان الايام دول • فقالوا مرحبا
واهلا يا ابا القاسم ولكن اخواننا من بني النضير لا نقضي امرا دونهم نعلمهم بذلك حتى ايتنا
يوم كذا وقد جمعنا الذي تريد فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فلما
كان يوم الميعاد اتاهم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف
فاجلسوهم في بيت ثم خرجوا يجمعون السلاح وخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا
محمدا اقرب منه الان فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه • فقال عمرو
بن جحاش انا فجاء الى رحا عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله ايديهم • وقيل لما جمعوا
السلاح وهموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه جاء جبريل عليه
السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم
فقام على الباب واذا هم مجتمعون ينتظرون قدوم كعب بن الاشرف ليهجموا على النبي صلى
الله عليه وسلم واصحابه وخرج علي رضي الله عنه واذا هو برسول الله صلى الله
عليه وسلم قائما على الباب فقال يا رسول الله ابطات علينا حتى خفنا ان يكون قد اغتالك

احدٌ • فقال قد ارادوا ذلك اللهم العنهم ثم خرج بقية اصحاب رسول الله صلى الله عليه و
سلم فلحقوا جميعًا بالنبي صلى الله عليه وسلم فجاءت اليهود فقالوا فقالوا يا رسول الله ان قدورنا تغلى
نريد ان نطعمك وقد رجعت بغير علمنا فاخبرهم بما هموا به وعزموا عليه فانزل الله هذه الآيه و
معناها يا ايها الذين امنوا بالله وكتبه ورسله احفظوا منة الله عليكم اذ هم قوم وهم بنو قريظه
ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل فكف ايديهم عنكم بالمنع عن قتلكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
في جميع امورهم واحوالهم قوله عز وجل ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا
اى اخذ الله العهد على بنى اسرائيل ان يؤمنوا به وبجميع كتبه ورسله وبعث منهم اثنى عشر ملكا من كل
سبط منهم رجلا ليأخذ على قومه ما يامرهم الله به من طاعته • وقيل ان النقيب هو الرسول والامين
وهم الذين ارسلهم موسى الى قومه الجبارين عيونا فوجدوهم يدخل فى كم احدهم اربعة منهم
ولا يحمل عنقود عنبهم الا عشرة منهم ويدخل فى شق رمانه اذا نزع حبه خمسة انفس واربعة فرجع
النقبا كلهم ونهى كل نقيب سبطه عن القتال الا يوشع بن نون وكالب بن يوفنا امرا قومهما بالقتال •
وقال الحسن النقيب الضمين وانما اراد بهذا ان يضمن مراعاة احوالهم • وقد روى ان النبي صلى الله
عليه وسلم جعل الانصار ليلة العقبة اثنى عشر نقيبا • وفايدة النقيب ان القوم اذا علموا ان عليهم
نقيبا كانوا اقرب الى الاستقامة والنقيب والعريف نظيران • وقيل النقيب فوق العريف قوله تعالى
وقال الله انى معكم خطاب للنقبا ومعناه انى حفيظ عليكم فى النصر لكم والدفع عنكم • وقيل هو الخطاب
لجميع بنى اسرائيل ضمن لهم النصر على عدوهم بالشرايط التى شرطها عليهم بقوله تعالى لئن اقمتم الصلوة و
اتيتم الزكوة وامنتم برسلى وعزرتموهم اى تصدقتم من اموالكم تطوعا صدقة حسنه وهى ان تكون
من حلال المال وخيار برغبة واخلاص لا تشوبها ريا ولا سمعة ولا يكدرها من ولا اذى لاكفرن
عنكم سياتكم ولادخلنكم جنات تجرى من تحت شجرها ومساكنها الانهار الا فمن كفر بعد العهد
والميثاق منكم فقد اخطا قصد الطريق وهو طريق الجنه فمن اضله وقع فى طريق النار اذ لا طريق
سواهما قوله عز وجل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن

مواضعه

مواضعه اى فبنقض اليهود ميثاقهم الذى اخذ عليهم فى التوريه باعدناهم من الرحمة • وقيل عذبناهم بالجزية
وقيل مسخناهم قردة وخنازير ودخول ما فى هذه الآيه صلة زايد قوله تعالى وجعلنا قلوبهم
قاسية اى صيرناها يابسة خاليه من حلاوة الايمان مجازاة لهم على معصيتهم • قرا يحيى بن وثاب و
الاعمش وحمزة والكسائى قسية بتشديد اليا من غير الف • وقرا الباقون قاسية بالالف وهما لغتان
مثل زكيه وزاكيه • وقيل معنى قاسية غليظة متكبرة لا يقبل الوعظ • وقيل رديئة فاسدة من الدراهم
القسية وهى المغشوشه قوله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه • قرا السلمى والنخعى يحرفون الكلام بالالف
اى يغيرون الفاظه ولا يقرؤنه على ما هو عليه فى التوريه كما اخبر الله تعالى عنهم من لى السنتهم بالكتاب
وقيل يغيرون تاويله قوله تعالى ونسوا حظا مما ذكروا به اى وتركوا نصيبا مما امروا به فى كتابهم
من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ومن رجم الزانى المحصن واصل النسيان الترك قوله
تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم اى لا تزال يا محمد تطالع على خائنة ومعصية منهم وفاعلة من
اسماء المصادر مثل عاقبة وكاذبة وقد تكون الخائنة من اسما الجماعة كما يقال رافض ورافضة
فتكون المعنى ولا تزال تطالع على فرقة خائنة منهم مثل كعب بن الاشرف واصحابه من بنى قريظه حين نقضوا
العهد وركبوا الى ابى سفيان بمكة فحالفوه وعاقدوه على رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما سبق
ذكره قوله تعالى الا قليلا منهم لم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام واصحابه • وقال ابن عباس معنا قوله
خائنه اى معصيه • وقال بعضهم اى كذب وفجور وكانت خيانتهم نقض العهد ومظاهرتهم المشركين
على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله قوله تعالى فاعف عنهم واصفح اى اعرض
عنهم ولا تعاقبهم ان الله يحب المحسنين اى المتجاوزين وهذا منسوخ باية السيف بقوله قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما
ذكروا به بين الله ان النصارى لم يكونوا بعد اخذ الميثاق احسن معاملة من اليهود ومعنى اخذ الميثاق
هو ما اخذ الله عليهم فى الانجيل من العهد المؤكد باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وبيان صفته و
نعته كما قال تعالى فى ايه اخرى مصدقا لما بين يدى من التوريه ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد

فنسوا حظا مما ذكروا اى تركوا بعضا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء اى هيجنا بين فرق
النصارى فهم النسطورية واليعقوبية والملكانية والقينا بينهم العداوة فى الدين وذلك ان الله دفع الالفة
بينهم والقى بينهم العداوة والبغضاء فهم يقتتلون الى يوم القيمة • واصل الاغراء الالصاق ماخوذ من الغرا
وهو الذى يلصق به الاشيا • والعداوة تباعد القلوب والنيات • والبغضا البغض قوله تعالى وسوف ينبئهم
الله بما كانوا يصنعون اى يخبرهم فى الاخرة بما كانوا يصنعون من الخيانة والمخالفة وكتمان بعث محمد صلى الله
عليه وسلم ونعته وصفته ثم خاطب الله تعالى الفريقين من اليهود والنصارى فقال تعالى يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب يعنى التورية والانجيل قوله تعالى تخفون يعنى
صفة محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم • واضافة اليهود والنصارى الى الكتاب تغييرا لهم كما يقال
يا عاقل لم تعلم اى يا جاهل وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعنى بالنور محمد صلى الله عليه
وسلم يبين لكم كثيرا مما كنتم تكتمون من الاسلام واية الرجم وتحريم الزنا وغير ذلك قوله تعالى ويعفوا عن كثير
اى يتجاوز عن كثير مما كنتم تكتمونه ولا تعاقبكم عليه يعنى مما لم يومر ببيانه وقوله تعالى وكتاب مبين يعنى
القران يبين الحلال والحرام والامر والنهى قوله تعالى يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام اى يهدى
الله بالقران من قبل الحق ورغب فى الاسلام وقوله تعالى رضوانه اى رضا الله وقوله تعالى سبل السلام
اى طرق السلامة وهى دين الاسلام والسلام والسلامة كالرضاع والرضاعة • ويقال السلام هو الله و
سبل السلام طرق الله التى دعا اليها قوله تعالى ويخرجهم من الظلمات الى النور اى يخرجهم من ظلمات الكفر
بالتعريف لهم الى نور الايمان باذن الله ومشيته وسمى الايمان نورا لان الانسان اذا امن ابصر به طريق
نجاته فطلبه وطريق هلاكه فحذره قوله تعالى ويهديهم الى صراط مستقيم اى ويرشدهم الى طريق الحق
وقوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم نزلت فى نصارى نجران وهم المار يعقوبيه
قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قال الله تعالى قل فمن يملك من الله شيئا اى قل لهم يا محمد من يقدر يدفع
شيئا من عذاب الله ان اراد ان يهلك عيسى بن مريم وامه ومن فى الارض جميعا وهذا احتجاج من
الله تعالى على النصارى بما لا يملكون دفعه اذ المسيح وامه بشران ياكلان الطعام ويحتاجان

الى ما

الى ما تحتاج اليه الناس وقد علموا ضرورة انهما كانا بعد ان لم يكونا وشاهد كثير منهم ميلاد عيسى
وحاله من الطفولية والشباب والكهولة قوله تعالى ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه اى اذا اراد
الله اهلاك عيسى وامه لما اعجزه ذلك ولا كان هناك دافع وكيف يكون الها من لا يقدر على دفع الهلاك
عن نفسه ولا عن غيره قوله تعالى ولله ملك السموات والارض وما بينهما اى من كان مالك السموات و
الارض لا يوصف بالولادة • وقيل من كان مالك السموات والارض يقدر على خلق ولد بلا والد • كما
قال تعالى يخلق ما يشاء اى كما يشاء باب وبغير اب ولو كان خلق عيسى من غير اب موجبا كونه الها او ابنه لكان
خلق ادم من غير اب ولا ام اولى بذلك لانه اعجب وابدع قوله تعالى والله على كل شيء قدير من خلق عيسى
وغيره قادر على عقوبتكم قوله عز وجل وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه وذلك ان
جماعة من اليهود دخلوا على النبى صلى الله عليه وسلم فدعاهم الى الايمان وحذرهم وانذرهم فقالوا
نحن ابناء الله واحباؤه فلا يعذبنا وكذلك قالت النصارى نجران حين حذرهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم عذاب الله واراد وا بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه نحن من الله بمنزلة الابناء للاباء وقربا من الله كقرب
الوالد لولده وحبه ايانا كحب الوالد لولده وغضب الله علينا كغضب الوالد على ولده والوالد اذا سخط على ولده
فى وقت يرضا عنه فى وقت اخر قوله تعالى قل فلم يعذبكم بذنوبكم اى لم عذب من قبلكم من اليهود والنصارى
الذين كانوا امثالكم فى الدين فمسخهم الله فى الدنيا قوله تعالى بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
اى لستم بابناء الله ولا احبائه ولكنكم خلق كسائر الخلق يغفر لمن هداه للاسلام ويعذب من مات على
الكفر قوله تعالى ولله ملك السموات والارض وما بينهما اى له القدرة على اهل السموات والارض وما بينهما
من الخلق والعجايب واليه المصير اى اليه مصير من امن ومن لم يومن قوله عز وجل يا اهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل اى يا اهل التورية والانجيل قد جاءكم محمد صلى الله عليه وسلم
يبين لكم الحلال والحرام على انقطاع من الرسل ودروس من العلم • قال الكلبى كان بين ميلاد عيسى ومحمد
صلى الله عليه وسلم خمسماية وتسعة وتسعون سنه وبعد ميلاد عيسى اربعة من الرسل فى ماية
واربعة وثلثين سنه كما قال تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث • قال ولا ادرى

الرسول الرابع من هو • وقال بعضهم كان بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما ستمائة سنة وقوله تعالى ان تقولوا
ما جاءنا من بشير ولا نذير معناه كيلا تقولوا يوم القيمة ما جاءنا من بشير ولا نذير اى من بشير يبشرنا بالجنة
ولا مخوف يخوفنا بالنار فقد جاءكم بشير يبشركم بالجنة ان اطعتموه ونذير ينذركم بالنار ان عصيتموه والله
على كل شىء قدير من ارسال الرسل والثواب والعقاب قوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمت
الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا معناه فاذكروا يا اهل الكتاب اذ قال موسى لبنى اسرائيل احفظوا
منة الله عليكم اذ اكرم بعضكم بالنبوة وهم السبعون الذين اختارهم موسى وانطلقوا معه الى الجبل
وانما من الله عليهم بذلك لان كثرة الاشراف والافاضل فى القوم شرف وفضل لهم ولا شرف اعظم من
النبوة وقوله تعالى وجعلكم ملوكا اى احرارا تملكون امر انفسكم بعد ان كانت تستعبدكم القبط فى
مملكة فرعون • وقيل ملوكا ذوى خدم واهل ومنازل لا يدخل عليكم فيها الا باذن قوله تعالى واتاكم
ما لم يؤت احدا من العالمين اى اعطاكم ما لم يعط احدا من عالمى زمانكم • ويقال اراد بذلك جميع
العالمين فانه تعالى انزل عليهم المن والسلوى وظللهم بالغمام ولم يؤت احدا مثل هذه النعم قبلهم و
لا يدخل المستقبل فى اللفظ لان اللفظ خبر عن ما مضى ولا يدل ذلك على انه لم يؤت امة محمد مثل
الفضيلة التى اتاهم او اكثر والغرض من هذه الاية ان الله تعالى اراد ان يكلفهم دخول
الارض المقدس وكان يشق ذلك عليهم فقدم ذكر نعمه عليهم ليكون باعثا لهم على امتثال
امر الله تعالى قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم قال ابن عباس
وذلك ان الاثنى عشر نقيبا الذين ارسلهم موسى الى قرية الجبارين جواسيس لما اتوا المدينة
اخذوا فاتى بهم الى الملك • ويقال اخذهم عوج بن عنق واحملهم فى ثوبه حتى القاهم بين يدى
الملك فقيل للملك ان هؤلاء يزعمون انهم يفتحون مدينتك ويظهرون عليك قال فطوفوا بهم
المدينه فاروهم اياها فطافوا بهم وكانوا يلعبون بهم حتى ان الرجل منهم ليأتى بالقدح و
السكوجه والقصعة فيدخل واحدا منهم تحتها ثم ردوهم الى الملك فاراد قتلهم فقالت امرأته
ايش تصنع بقتل هؤلاء ويكفيهم ما راوا ردوهم الى اصحابهم يحدثونهم بما راوا فارسلوهم

فلما

فلما خرجوا • قال بعضهم لبعض قد علمتم خلاف بنى اسرائيل لموسى وقد وعد الله موسى ان يفتح لهم الارض
ولن يخلف الله وعده فهلموا نتحالف ان لا يخبر بشىء غير موسى فتحالفوا فلما خلوا بنسائهم جعلت المراة
تسئل زوجها عما راى فيأخذ عليها المواثيق ان لا تخبر احدا ثم يخبرها وجعلت المراة ياتيها ابوها
وامها واخوانها فتاخذ عليهم المواثيق ثم تخبرهم فما ارتفع النهار حتى فشا الخبر فى البلاد ولم يخبر
يوشع ولا كالب احدا بشىء من امرهم انما اخبر بذلك العشرة فجمع موسى عليه السلام بنى اسرائيل وخطبهم
قال يا بنى اسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء الى قوله فتنقلبوا خاسرين • واما قوله ادخلوا
الارض المقدسة • قال ابن عباس هى ارض بيت المقدس • ويقال هى دمشق وفلسطين وبعض الاردن
وسميت المقدسة لانها طهرت من الشرك وجعلت مسكنا وقرارا للانبياء صلوات الله عليهم قوله تعالى
التى كتب الله لكم اى امركم بدخولها • وقيل التى كتب الله لكم فى اللوح المحفوظ انها لكم مساكن • ويقال التى
وهب الله لابيكم ابراهيم عليه السلام وجعلها ميراثا لكم • وذلك ان ابراهيم حين ارتفع على الجبل
قيل له انظر فلك ما ادرك بصرك وهو ميراث لولدك من بعدك وقوله تعالى ولا ترتدوا على ادباركم
اى لا ترجعوا وراءكم وتجبنوا عن عدوكم منهزمين منهم فتنصرفوا مغبونين بفوت الظفر فى الدنيا والعقوبة
فى الاخرة قوله تعالى قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين اى قالت بنو اسرائيل يا موسى ان فيها قوما عظاما
قتالين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها اولا فان يخرجوا منها فانا داخلون حينئذ قوله تعالى قال
رجلان من الذين يخافون اى قال يوشع وكالب من الاثنى عشر الذين ارسلهم موسى الى قرية الجبارين وكانوا
يخافون الجبارين انعم الله عليهما اى هداهما لقبول امره ومعرفة صدق وعده ادخلوا عليهم الباب
اى باب قرية الجبارين وهى اريحا فاذا دخلتم ذلك الباب فانكم غالبون عليهم لانهم اذا راوا كثرتكم
انكسرت قلوبهم فتغلبوهم وعلى الله فتوكلوا اى فوضوا امركم اليه ان كنتم مؤمنين اى مصدقين بوعد الله
وفى الاية ثناء على الرجلين اذ لم يمنعهما الخوف من العدو عن قول الحق • وقد روى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال لا يمنعن احدكم مخافة الناس ان يقول الحق اذا راه او علمه فانه لا يبعد من رزق
الله ولا يدنى من اجل قوله عز وجل قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها وذلك ان موسى

لما امرهم من بعد قول الرجلين ان يدخلوا قرية الجبارين قالت له بنو اسرائيل انكذب العشرة ونصدق
الاثنين انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون فقولهم اذهب
انت وربك يحتمل انهم قالوا ذلك على وجه المجاز يعني وربك معين لك وكان هذا القول فسقا
منهم من امتناعهم عن المضي الى امر الله • وقيل يحتمل انهم عنوا بذلك الذهاب ذهاب النقلة وهذا
تشبيه وكفر من قايله وهو اقرب لمعنى كلامهم لان كلام الله تعالى خرج مخرج الانكار عليهم والتعجب
من جهلهم • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما اراد الخروج الى بعض الغزوات استشار
سعد بن معاذ وسعد بن عبادة في ذلك فقالا انا لن نقول لك مثل ما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت
وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون • ولكنا نقول اذهب فقاتل عدوك انا معك مقاتلون • وفي بعض
الروايات قالوا اقعد انت فانا بامرك مقاتلون • وقال المقداد بن الاسود انا والله لا نقول لك كما قالت
بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكنا نقول نقاتل عن يمينك وعن
شمالك وبين يديك وخلفك ولو خضت بنا البحر لخضناه معك ولو علوت جبلا لعلوناه معك
فاشرق وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وسر قوله عز وجل قال رب اني لا املك الا
نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال ابن عباس وذلك ان موسى عليه السلام غضب من
مقالة قومه وكان رجلا حديدا فقال رب لا املك الا نفسي ولا املك الا اخي يعني لا يطيعني من هؤلاء
الا اخي هارون فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين اي اقض وافصل بيننا وبين القوم العاصين وكانت عجلة
عجلها موسى عليه السلام فاوحى الله الى موسى الى متى يعصيني هذا الشعب والى متى لا تصدقون بالايات
لاهلكنهم ولاجعلن لك شعبا اشد واكثر منهم • فقال موسى الهي لو انك اهلكت هذا الشعب من اجل انهم
لن يستطيعوا ان يدخلوا هذه الارض فتقتلهم في البرية وانت عظيم عفوك كثير نعمتك وانت تغفر الذنوب
فاغفر لهم • فقال الله تعالى قد غفرت لهم بكلمتك ولكن بعد ما سميتهم فاسقين ودعوت عليهم فبي حلفت
لاحرمن عليهم دخول الارض المقدسة فذلك قوله تعالى فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون
في الارض يتحيرون في الارض • وقيل ان قول موسى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين كان سؤالا منه

الفرق

الفرق في الحقيقة دون القضا وكان دعاؤه منصرفا الى الاخرة اي دخلنا الجنة اذا ادخلتهم النار ولم يعن
بذلك في الدنيا لانه لو عنا ذلك لاجاب الله تعالى دعاءه واهلكهم جميعا لان دعاء الانبيا لا يرد من اجل
انهم يدعون بامر الله تعالى • ويقال كان هذا دعاء راجعا الى الدنيا وقد اجاب الله تعالى دعاءه
لانه عاقب قومه في التيه ولم يكن موسى وهارون محبوسين في التيه لان الانبيا عليهم السلام لا يعذبون
قال الحسن لا يجوز ان يكون موسى معهم فيها لا حيا ولا ميتا ولا يجوز اذا اعذب الله قوم نبي الا ان ينجي ذلك
النبي ومن امن معه • ويقال ان هذا الدعاء كان من موسى عليه السلام عند الغضب لا انه عني به الحقيقة
الا ترى انه ندم على دعائه وجزع من تحريم قرية الجبارين عليهم جزعا شديدا حتى قيل له لا تاس على
القوم الفاسقين قوله عز وجل فانها محرمة عليهم اربعين سنة • اي قال الله تعالى فان الارض المقدسة
محرمة عليهم اي هم ممنوعون من دخولها اربعين سنة واصل التحريم المنع • وحرمنا عليه المراضع
من قبل اراد به المنع قوله تعالى يتيهون في الارض اي يتحيرون • قال ابن عباس تحيروا في ستة فراسخ
اربعين سنة كانوا يسيرون في اول النهار فيمسون في مكانهم ويسيرون من اول الليل فتدور بهم الارض
فيصبحون في مكانهم • وقال الحسن عمي عليهم السبيل واخفي عليهم الاعلام التي يهتدون بها الى الطريق
فلم يستطيعوا الخروج منها • وذهب بعضهم الى ان قوله اربعين سنه منصوب بيتيهون قالوا وكانت الارض
المقدسة حراما على اوليك القوم الذين عصوا الله عز وجل ابدا ولم يبق منهم احد بعد اربعين سنة
انما بقي يوشع بن نون وكالب • وقيل مات من النقبا العشرة الذين فشوا الخبر ثمانيه وكان جميعهم ستمائة
الف مقاتل وكان كل من دخل التيه ممن جاوز عشرين سنه مات في التيه غير يوشع وكالب ولم يدخل اريحا
ممن قالوا انا لن ندخلها احد ومات موسى واخوه هارون حين انقضا التيه • وفاة هارون
عليه السلام • قال السدي اوحى الله الى موسى اني متوف هارون فائت به جبل كذا فانطلق موسى
وهارون نحو ذلك الجبل فاذا هما بشجرة لم ير مثلها فاذا سرير عليها فرش وريح طيبة فلما نظر
هارون الى ذلك اعجبه فقال يا موسى اني احب ان انام على هذا السرير قال له نم عليه فلما نام
عليه جاءه ملك الموت • فقال يا موسى خدعتني فلما توفي ذهبت تلك الشجرة ورفع السرير الى السماء فلما

قال الله تعالى صح

رجع موسى الى بنى اسرائيل وليس معه هارون قالوا فان موسى قتل هارون وحسده على حب بنى اسرائيل
اياه • فقال لهم موسى ويلكم افترونى قتل اخى فلما اكثروا عليه صلى ركعتين ثم دعا فنزل السرير حتى نظروا
اليه وصدقوه • وقال عمرو بن ميمون مات هارون فى بعض الكهوف فدفنه موسى فرجع الى بنى اسرائيل فقالوا
اين هارون قال مات قالوا لا ولكنك قتلته لحبنا اياه فتضرع موسى الى ربه وشكى ما قال بنوا اسرائيل فاوحى
الله اليه انطلق بهم الى قبره فانا باعثه حتى يخبرهم بانه مات فانطلق بهم الى قبره فناداه يا هارون
فخرج من قبره ينفض التراب عن راسه • فقال له موسى انا قتلتك فقال لا ولكنى مت قال فعد الى مضجعك وانصرفوا
وفاة موسى عليه السلام • قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ملك الموت الى
موسى عليه السلام فقال له اجب ربك فلطم عين ملك الموت ففقاها فرجع ملك الموت قال يا رب
انك ارسلتنى الى عبد لا يريد الموت ففقاء عينى فرد الله عليه عينه • وقال له ارجع الى عبدى وقل له
ان كنت تريد الحيوة فضع يدك على متن ثور فما دارت عليه من شعره فلك بها سنه • قال ثم ماذا
قال ثم الموت قال فالآن من قريب • قال رب ادننى من الارض المقدسه قدر رمية حجر • فقال صلى الله
عليه وسلم والله لو انى عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر • قال محمد بن يحيى قد صح حديث
ملك الموت وموسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرده الا كل مبتدع كذا فى تفسير الثعلبى •
وفى حديث آخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ملك الموت كان ياتى الناس عيانا حتى اتى
موسى عليه السلام ليقبضه فلطمه ففقا عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خفية • وقال وهب خرج موسى
لبعض حوايجه فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير احسن منه نظرة وبهجة فقال يا ملائكة الله لمن هذا
القبر قالوا لعبد كريم على ربه • فقال لعارايت مضجعا احسن من هذا قالوا يا كليم الله اتحب ان تكون له
قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه ففعل ذلك ثم تنفس وقبض الله روحه ثم سوت عليه الملائكة التراب
وروى ان يوشع رآه بعد موته فى المنام فقال كيف وجدت الموت قال كشاة تسلخ وهى حيه • وكان عمر
موسى مائة وعشرين سنه • فلما مات موسى عليه السلام وقد كان استخلف يوشع سار يوشع بالناس حتى
انتهوا الى مدينة الجبارين وحاصروهم فلما كان يوم الجمعة وكادت الشمس تغرب توضى يوشع وصلى

ودعا ربه وسأله ان يؤخرله ما وعده • وذكروا ان الشمس تغرب وليلة السبت لا نقاتل فيها فرد الله الشمس
حتى كانت فى مقدار صلوة الظهر فجمع يوشع بنى اسرائيل وجعل فى كل سبط منهم سورا فصاحوا بشبابيرهم
ودخلوا مدينة اعدائهم فقتلوهم حتى ان الثمانين رجلا من اصحاب يوشع كانوا يقعدون على الرجل ويحزون
راسه فما يطيقونه من عظمه وكان طول كل واحد من الجبارين ثمانين ذراعا • وكان موسى عليه السلام
قد قتل عوج بن عنق قبل ذلك وكان طوله ثلاثة وعشرين الف ذراع وثلثمائه وثلثين ذراعا وثلث ذراع
قاله ابن عمر رضى الله عنهما وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين
الشمس ويأكله • ويروى ان طوفان نوح عليه السلام غمس جميع جبال الدنيا وما بلغ الا الى ركبتيه
وعاش عوج ثلاثة آلاف سنة وسبعمائه سنة واهلكه الله على يدى موسى عليه السلام • وسبب
ذلك انه كان محطة عسكر موسى فرسخا فى فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم جاء الجبل وقد منه
صخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم فبعث الله طيرا حتى قور الصخرة بمنقاره فانثقبت فوقعت
فى عنق عوج فطوقته فصرعته واقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة اذرع وعصاه عشرة ووثب
عشرة اذرع الى جهة السماء فما اصاب الا كعبه وهو مصروع فى الارض فقتله واقبل جماعة كثيرة معهم
سكاكين وخناجر حتى حزوا راسه وكانت امه عنق • ويقال له عناق وكانت احدى بنات آدم
عليه السلام وهى اول امراة زنت على وجه الارض وكان كل اصبع من اصابعها طوله ثلثة اذرع
وعرضها ذراعين فى كل اصبع ظفران مثل المخلتين وكان موضع مجلسها من الارض جريبا
فلما زنت بعث الله عليها اسودا كالفيلة وذبابا كالابل ونمورا كالحمر وسلطهم عليها فاكلوها
قوله عز وجل واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل
من الآخر معناه واقرا يا محمد على قومك خبر ابنى آدم بالصدق اذ وضعا على الجبل قربانا و
القربان ما يتقرب به الى الله تعالى • وقيل معناه واقرا على هؤلاء الذين تقدم ذكرهم
من اهل الكتاب حتى يعرفوا برسالتك قوله تعالى فتقبل من احدهما اى قبل القربان من احدهما
ولم يقبل من الآخر • ومعنى القبول ايجاب الثواب • قال ابن عباس وذلك ان حوى كانت

تلد في كل بطن ولدين ذكرا وانثى الا شيثا فانها ولدته منفردا فولدت اول بطن قابيل واخته اقليما ثم ولدت في البطن الثاني هابيل واخته لبودا فلما ادركوا امر الله آدم ان تزوج قابيل اخت هابيل وتزوج هابيل اخت قابيل فرضي هابيل وكره قابيل لان اخته كانت احسنهما • فقال آدم ما امر الله الا بهذا يا بني ولا يحل لك فابى ان يقبل وقال ان الله لم يامر بهذا وانما هو من رايك فقال لهما قربا قربانا فايكما يقبل قربانه فهو احق بها • وكان هابيل صاحب غنم وقابيل صاحب حرث فقرب هابيل كبشا سمينا ولبنا وزبدا وقرب قابيل سنبلا من شر زرعه واضمر في قلبه ما ابالي اتقبل مني ام لا لا يتزوج اختي ابدا واضمر هابيل في نفسه الرضا لله عز وجل فوضعا قربانهما على الجبل فنزلت نار من السماء فما اكلت شيئا من السنبل بعد ما دنت منه ثم اكلت الكبش واللبن والزبد فذلك قوله تعالى فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر فنزلوا من الجبل وتفرقوا وكان آدم عليه السلام معهم فذهب هابيل الى غنمه وقابيل الى زرعه غضبان واظهر الحسد لهابيل • وقال يا هابيل لاقتلنك قال ولم ذلك قال لان الله تعالى تقبل قربانك ورد علي قرباني فتنكح اختي الحسنة وانكح اختك القبيحة فيحدث الناس انك خير مني • قال هابيل ما ذنبي في ذلك انما يتقبل الله من المتقين اي من الزاكية قلوبهم الذين يخافون على حسناتهم ان لا تقبل ولم تكن انت زاكي القلب فرد الله قربانك لخبث نيتك • وقيل اراد بالمتقين الذين يتقون الشرك • قال ابن عباس كان قابيل كافرا • و في اكثر الروايات انه كان رجل سوء • وقال الحسن كان الرجل اذا اراد ان يقرب القربان تعبد وتاب وتطهر من الذنوب ولبس الثياب البيض ثم قرب وقام يدعو الله فان قبل الله قربانه جاءت نار فاكلته وذلك علامة القبول وان لم تجئ نار فذلك علامة الرد قوله تعالى لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اي قال هابيل مجيبا لقابيل لئن مددت يدك الى القتل ظلما ما انا بالذي امد يدي اليك لاقتلك ظلما قال قابيل ولم ذلك قال اني اخاف الله رب العالمين يقتلك ظلما • واختلف العلماء في وقت مولد قابيل وهابيل • قال بعضهم غشي آدم حوى بعد ما هبطا الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتومته في بطن ثم بعد ذلك البطن هابيل وتومته • قال ابن عباس ولم يمت آدم حتى بلغ

ذهب صح

قابيل صح

ولده وولد ولده اربعين الفا • وقال بعضهم كان آدم يغشى حوى في الجنة فحملت بقابيل وتومته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا ولا نفاسا لطهر الجنة • فلما هبطا الى الارض تغشاها فحملت بهابيل وتومته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم قوله عز وجل اني اريد ان تبوء باثمي واثمك اي قال هابيل لقابيل ان كنت تريد قتلي فلا ترجع عنه فاني اريد ان ترجع الى الله باثم دمي واثم ذنبك الذي من اجله لم يتقبل قربانك فتكون من اصحاب النار في الآخرة وذلك جزاء الظالمين اي وذلك عقوبة من لم يرض بحكم الله قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله اي طاوعته نفسه • وقيل زينت له قتله فقتله • قال السدي لما قصد قابيل قتل هابيل اتاه في راس جبل وهو نايم وغنمه ترعى فاخذ صخرة فشدخ بها راسه فمات • وقال الضحاك كان قابيل لا يدري كيف يقتله حتى جاء ابليس وبيده حية فوضعها بين حجرين فرضخ راسها بالحجر وقابيل ينظر فلما نظر ذلك جاء الى هابيل فلم يزل يضرب بالحجارة على راسه حتى قتله وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة • واختلفوا في موضع قتله فقيل قتل على جبل ثور • وقيل بالبصرة فلما مات هابيل قصدته السباع لتاكله فحمل قابيل على ظهره حتى انتن ريحه فعكف الطيور والسباع حواليه تنتظر متى يرمي به فتاكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ورجله ثم القاه في الحفيرة وواراه وقابيل ينظر اليه فقال يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي وعن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل رجع الى ابيه قبل ان يدفنه فلما ابطا هابيل قال آدم عليه السلام يا قابيل اين اخوك قال ما رايته وكانني به ارسل غنمه في زرعي فافسده فلعله خاف ان يجيء من اجل ذلك قال وحشت نفس آدم فبات ليلته تلك محزونا • فلما اصبح قابيل غدا الى ذلك الموضع فاذا هو بغراب يبحث في الارض على غراب ميت ليواريه • وقيل بعث الله الغراب اكراما لهابيل وكان الغراب يحثي التراب على هابيل ليرى قابيل كيف يواريه اي كيف يغطي عورته • وفي الخبر انه لما قتله سلبه ثيابه وتركه عريانا وقيل اراد بالسوءة جسد المقتول سماه سوءة لانه لما بقي على وجه الارض تغير وانتن والسوءة في اللغة عبارة عن كل شيء مستنكر قوله تعالى فاصبح من الخاسرين اي صار من المغبونين بالوزر والعقوبة

السادس وعشرون

قال الكلبي كان قابيل اول من عصى الله في الارض من ولد ادم وهو اول من يساق الى النار • وقال مقاتل كان
قبل ذلك تستانس السباع والطيور والوحوش فلما قتل قابيل هابيل نفروا فلحقت الطيور بالهوى
والوحوش بالبرية والسباع بالغياض وشاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه واغبرت الارض
وقال عبد الله المخزومي لما قتل هابيل رجفت الارض بما فيها سبعة ايام • وقال سالم بن ابي الجعد مكث
ادم عليه السلام حزينا على قتل ولده هابيل مائة سنة لا يضحك قوله **فبعث الله غرابا يبحث في الارض**
ليريه كيف يوارى سوأة اخيه اي ارسل الله غرابا يثير التراب على غراب اخر ميت بمنقاره وبرجله
فلما ابصر قابيل الغراب يبحث في الارض دعا بالويل على نفسه فقال **يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب**
والويل كلمة تستعمل عند الوقوع في الشدة والهلكة قوله تعالى **فاصبح من النادمين** يحتمل انه ندم ندم
توبة عن جميع ما قال وفعل ويحتمل انه ندم على ترك مواراة سوأة اخيه فان كانت الاولى فالله تواب
رحيم • وان كانت الثانية فاثم القتل في عنقه • قال ابن عباس لو كانت ندامته على قتله لكان توبة منه
وقيل انه انما ندم لانه لم ينتفع بقتله ولم يحصل له مراده فكان ندمه لاجل ذلك لا لقبح فعله ولو كان
ندمه تقربا الى الله عز وجل • قال ابن عباس فقال الله تعالى لقابيل كن خايفا ابدا لا ترى شيئا الا خفت
منه ان يقتلك • قال وكان كل من راى قابيل رماه بالحجارة فابصره بعض ولد ولده فرماه بالحجارة
حتى قتله • ويقال كان على جبل فنطحه ثور فوقع الى سفح الجبل فتفرقت اوصاله • وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها لانه اول من سن
القتل • قال مقاتل وتزوج شيث باقليما • وقال الضحاك لما قتل قابيل هابيل حمله على ظهره ولم يدر كيف
يصنع به فمكث ثلثة ايام يحمله على ظهره لا يدري ماذا يصنع به فبعث الله غرابين يقتتلان فقتل احدهما
صاحبه ثم اخذ يحفر في الارض واخذ برجل الغراب القتيل والقاه في الحفيرة فذلك قوله تعالى فبعث
الله غرابا يبحث في الارض قوله تعالى **من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس**
او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا اي من اجل ذلك القتل الذي عرفه بنو اسرائيل واشتهر عندهم
فرضنا واوجبنا عليهم في التورية انه من قتل نفسا بغير نفس اي من غير ان وجب عليه القود او بغير

فساد

فساد في الارض نحو الشرك وقطع الطريق والزنا عند الاحصان فكانما قتل الناس جميعا اي استوجب
النار بقتل النفس الواحدة كما يستوجبها من قتل الناس جميعا • وقيل معناه ان على الناس كلهم معونة
ولي القتيل حتى يقيدوه ويكون كلهم خصما للقاتل حتى يقاد • وقيل ان المراد به استحقاق القتل عليه
بقتل النفس الواحدة قوله تعالى **ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا** اي من استنقذ نفسا من غرق
او من حرق او مما يميتها لا محالة واستنقذها من كفر وضلال فاحياها بالنعيم الدايم في الجنة او
عفا من دمها بعد ما وجب عليها القصاص استوجب الجنة كما يستوجبها من احيا الناس جميعا •
وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سقا مومنا شربة من ماء والماء موجود
فكانما عتق سبعين رقبة ومن سقاها في غير موطنها فكانما احيا نفسا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا

فكانما حي

قوله تعالى **ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون** اي لقد جاءت
بني اسرائيل رسلنا بالاوامر والنواهي والعلامات الواضحات ثم ان كثيرا منهم بعد انجاتهم الدلايل
والمعجزات في الارض لمسرفون مشركون تاركين امر الله تعالى قوله تعالى **انما جزاء الذين يحاربون الله**
ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا
من الارض قال ابن عباس وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع ابا بردة هلال بن
عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن اتاه من المسلمين فهو امن ومن اتى المسلمين منهم فهو
امن ومن مر بهلال بن عويمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو امن لا يهاج فمر قوم من بني
كنانة يريدون الاسلام على قوم من اسلم قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ حاضرا فخرج اصحابه اليهم
فقتلوهم واخذوا اموالهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله فيهم هذه الاية ومعناها
انما جزاء الذين يحاربون اولياء الله ورسوله ويسعون في الارض بالفساد نحو القتل والنهب والتخريب
وقطع الطريق ان يقتلوا ان قتلوا احدا ولم ياخذوا المال او يصلبوا مقتولين ان قتلوا واخذوا المال
او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اليد اليمنى من الرسغ والرجل اليسرى من الكعب ان اخذوا المال ولم
يقتلوا احدا او ينفوا من الارض ان اخافوا الطريق ولم يفعلوا سوى ذلك • واختلفوا في النفي قال

معنى صح

بعضهم يعني الحبس • وقال بعضهم هو الطلب الدايم حتى لا يستقر بهم مكان • والتوفيق بين القولين انهم ان اخذوا
بعدما اخافوا الطريق ودعهم الامام السجن حتى يتوبوا او يموتوا • وان لم يوخذوا امر بطلبهم وامر
ان ينادى في الناس ان من قتلهم لا سبيل عليه • وانما سمي الحبس نفيا لانه يمنع المحبوسين من التردد و
التصرف في الارض ويكون ذلك بمنزلة النفي من الارض • واختلفوا في كيفية الصلب مع القتل • قال ابو حنيفة
يصلب حيا ليرى الناس ويروه ويكون ذلك زيادة عقوبة له ثم ينفج بطنه بالرمح يطعن في خاصرته حتى
يموت • وقال ابو يوسف والشافعي يقتل ثم يصلب قوله تعالى ذلك لهم خزي في الدنيا اي فضيحة في الدنيا ولهم
في الاخرة عذاب عظيم اعظم من هذا • وقال مقاتل وسعيد بن جبير نزلت هذه الاية في قوم من بني عرينه قدموا
المدينه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وهم كذبة وليس يريدون الاسلام
فاجتووا المدينه وعظمت بطونهم واصفرت وجوههم فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يخرجوا الى ابل الصدقه فيشربوا من ابوالها والبانها ففعلوا ذلك حتى صحوا ثم قتلوا الرعا واستاقوا
الابل وارتدوا عن الاسلام فصاح في الناس يا خيل الله اركبي فركبوا لا ينتظر فارس فارسا فاسرعوا
في طلبهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في طلبهم فجاء بهم
فقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وسمل اعينهم وتركهم بالحرة حتى ماتوا فانزل الله هذه الاية فصارت
عامة في قطاع الطريق ناسخه تسميل العين • وقال الليث بن سعد نزلت هذه الاية معاتبة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وتعليما له عقوبتهم • فقال تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون
في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا ولم يكن جزاؤهم هذه المثله التي هي السمل فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم خطيبا ونهى عن المثله قوله تعالى الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا
معناه ان يقتلوا او يصلبوا الا الذين تابوا من قطع الطريق من قبل ان يقدر عليهم الامام فاعلموا
ان الله غفور لعباده رحيم بهم بعد التوبة • روى الشعبي ان حارثه بن زيد خرج محاربا
في عهد علي رضي الله عنه فاخاف السبل وسفك الدما واخذ الاموال ثم جا تايبا فاتى الحسن
بن علي فطلب اليه ان يستامن له عليا كرم الله وجهه فابى فاتى عبد الله بن جعفر فابى عليه فاتى

سعد بن قيس

سعد بن قيس الهمداني فقبله وضمه اليه • فلما صلى علي رضي الله عنه صلاة الغداة اتاه سعد بن قيس الهمداني
وقال يا امير المومنين ما جزا الذين يحاربون الله ورسوله • قال ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم
وارجلهم من خلاف قال ما تقول فيمن تاب من قبل ان يقدر عليه قال اقول كما قال الله الا الذين تابوا
من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم • فقال سعد بن قيس وان كان حارثه بن زيد قال
نعم فجاء به اليه فبايعه وامنه وكتب له امانا ومنشورا فقال حارثه • الا ابلغا همدان اما لقيتها •
على الناس لا يسلم عدو يعيبها • لعمر ابيها ان همدان تتقي • الاله ويقضي بالكتاب خطيبها • قوله عز
وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اي يا ايها الذين امنوا اخشوا عذاب الله
واحذروا معاصيه واطلبوا اليه القربه بالاعمال الصالحة وجاهدوا اعدا الله في طاعته لعلكم
تفلحون اي لعلكم تظفروا بعدوكم في الدنيا وتنجوا من النار في العقبى والوسيلة القربة وهي فعيلة
من توسل الى فلان بكذا اي تقرب اليه وجمعها وسايل قال الشاعر • اذا غفل الواشون عدنا لوصلنا •
وعاد التصافي بيننا والوسايل • وقال عطا الوسيلة افضل درجات الجنه • قال صلى الله عليه
وسلم سلوا الله لي الوسيله فانها درجة في الجنة لا ينالها الا عبد واحد وارجوا من الله ان اكون انا
هو قوله عز وجل ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم
القيمة ما تقبل منهم وفي الاية ازالة طمع الكفار عن التخلص من عذاب الاخرة يقول لو ماتوا على الكفر
وكان لهم ما في الارض جميعا من الاموال باسرها وضعفه معه ليشتروا به انفسهم من عذاب الله ما
يقبل ذلك الفدا منهم لو فادوا ولهم عذاب وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم قوله تعالى يريدون ان يخرجوا
من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم قيل معناه كلما رفعتهم النار بلهيبها تمنوا ان
يخرجوا منها يقول الله تعالى وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم دايم لا ينقطع قوله عز وجل والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما قال ابن عباس نزلت في طعمة بن ابيرق سارق الدرع وقد مضت قصته
في سورة النسا ثم صارت عامه في جميع الناس ومعنى الاية والسارق من الرجال والسارقة من النساء
فاقطعوا ايديهما اي ايمانهما هكذا تاوله ابن عباس • وفي قراة ابن مسعود فاقطعوا ايمانهما • وقرا عيسى

بن عمر والسارق والسارقة بالنصب على اضمار اقطعوا السارق والسارقة • كما يقال زيدًا اضربه • والقراءة
المختارة الرفع لان القطع على الايدي لا على السارق • وقال المبرد ليس القصد من الكلام الى واحد بعينه وانما
معناه من سرق فاقطعوا يده بخلاف قولك زيدًا اضربه ولو اراد سارقًا بعينه لكان وجه الكلام النصب
وعلى هذا قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما ولو اراد زانيا بعينه لنصب وانما ذكر ايديهما
بلفظ الجمع لانه اراد ايمانهما لان ما كان واحدا فتثنيته بلفظ الجمع والاضافة الى الاثنين ومثل ذلك فقد
صغت قلوبكما والاضافة الى الاثنين يدل على ان المراد به التثنية دون الجمع • فان قيل لاي معنى قدم الله
ذكر السارق على السارقة وقدم ذكر الزانية على الزاني • قيل لان السرقة في الرجال اكثر والنساء هن اصل الفتنة
للرجال بالتعريض لهم ولو لزمت المراة بيتها كما امر الله تعالى لم يقع هي ولا الرجال في الزنا • واختلفوا في كم تقطع
يد السارق من المال الذي يسرقه • فقال بعضهم في عشرة دراهم فصاعدًا ولا يقطع فيما دون ذلك واليه ذهب
ابو حنيفة واصحابه • وكان سليمان بن يسار لا يقطع الخمس الا في خمسة دراهم • وقال مالك يقطع في
ثلثة دراهم فصاعدًا • وقال الاوزاعي والشافعي يقطع في ربع دينار فصاعدًا • وقال بعضهم يقطع في
القليل والكثير ولو كان دانقا وهو قول ابن عباس • وقال بعضهم في درهم ولو قطع السارق ثم عاد فسرق
قطعت رجله اليسرى فان سرق بالثاني قال ابو حنيفة واصحابه لا يقطع • لما روي ان عليا كرم الله وجهه
اتي بسارق فقطع يده اليمنى ثم اتي به مرة اخرى فقطع رجله اليسرى ثم اتي به ثالثة فضربه وحبسه وقال
اني استحيي من الله ان لا ادع له يدًا يستنجي بها ولا رجلًا يمشي بها قوله تعالى جزاء بما كسبا اي عقوبة
على ما فعلا وانتصب جزاء لانه مفعول له كانه قال فاقطعوهما لجزاء فعلهما قوله تعالى نكالا من الله اي
عقوبة وفضيحة من الله والنكال هو ان ينكل به ليعتبر به غيره فينكل اي لا يفعل مثل فعله قوله تعالى ان
الله عزيز حكيم اي منيع بالنقمة من السارق ذو حكمة فيما حكم من القطع لما في ذلك من زجر السراق
عن غيهم صيانة لاموال الناس وظاهر الاية تقتضي وجوب القطع على السارق في القليل والكثير وهو قول
الخوارج • الا انه قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا قطع في اقل من عشرة دراهم
وبه اخذ اصحابنا • وروي عن علي وابن مثل قولنا • وعن عمر رضي الله عنه انه قال لا تقطع الخمس الا

من واحد صح

مسعود صح

في خمس

في خمس اي الخمس الاصابع لا تقطع الا في خمسة دراهم • وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت لا قطع الا في ربع دينار
وهو قول الشافعي • وقال عبد الله بن عمر ثلثة دراهم قوله تعالى فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب
عليه اي من تاب من السرقة من بعد سرقته واصلح العمل فيما بينه وبين الله تعالى فان الله يتوب عليه اي يتجاوز
عنه ولا يؤاخذه به في الاخرة • ولا تقطع يده اذا رد المال قبل المرافعة الى الحاكم رحيم بمن مات على التوبة و
اما اذا رفع الى الحاكم ثم تاب فالقطع واجب فان كانت توبته حقيقية كان ذلك زيادة درجات له
كما ان الله تعالى ابتلى الصالحين والانبياء بالبلايا والمحن والامراض زيادة لهم في درجاتهم وان لم تكن
توبته حقيقية كان الحد عقوبة له على ذنبه وهو مؤاخذ في الاخرة ان لم يتب • وعن عبد الله بن عامر قال
سرقت امراة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاؤا بها اليه فقالوا يا رسول الله ان هذه المراة سرقتنا
فقال قومها نفديها فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا يدها فقالوا نحن نفديها بخمسمائة مثقال فقال اقطعوا
يدها فقطعت يدها اليمنى • فقالت المراة هل من توبة يا رسول الله قال نعم ان التوبة تخرجك من خطيئتك كيوم
ولدتك امك فانزل الله هذه الاية فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه • وعن عائشة قالت كانت
امراة مخزومية تستعير المتاع وتجحده فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع يدها فاتى اهلها اسامة
فكلموه فكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا اسامة لا اراك تكلمني في حد من حدود الله تعالى ثم قام
خطيبا • فقال انما هلك من قبلكم بانهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والذي
نفسي بيده لو كانت فاطمة ابنة محمد لقطعت يدها اعاذها الله من ذلك فقطع يد المخزومية قوله عز وجل
الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض اي له القدرة على اهل السموات والارض والخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم قوله تعالى يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء اي يعذب من يشاء على الذنب الصغير وهو عدل منه ويغفر لمن يشاء
الذنب العظيم وهو فضل منه اي يعذب من توجب الحكمة تعذيبه ويغفر لمن توجب الحكمة مغفرته والله على كل شيء
قدير قوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن
قلوبهم اي لا يحزنك يا محمد فعل الذين يسارع بعضهم بعضا في الاقامة على الكفر والحث عليه • وقرا نافع يحزنك
بضم اليا ومعناهما واحد • وقرا السلمي يسرعون في الكفر وقوله تعالى من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن

نحن صح

قلوبهم وهم المنافقون ومن الذين هادوا اى ومن يهود المدينة الذين هم اهل الصلح للنبى صلى الله عليه وسلم
وفى هذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتثبيت لفواده بوعد النصرة والظفر واعلام ان المنافقين واليهود
لا يضرونه قوله تعالى سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين اى قايلون للكذب يعنى بنى قريظه سماعون لقوم
آخرين لم ياتوك يعنى يهود خيبر • وذلك ان رجلا وامراة من اشراف اهل خيبر زنيا وكانت خيبر حربا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان الزانيين محصنين وكان حدهما الرجم فى التورية فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما
وقالوا ان هذا الرجل الذى فى يثرب ليس فى كتابه الرجم ولكنه الضرب فارسلوا الى اخوانكم بنى قريظه فانهم صلح
له وجيرانه فيسالونه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسالوا محمدا عن الزانيين محصنين
ما حدهما فان امركم بالجلد فاقبلوا منه وان امركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه وارسلوا الزانيين معهم
فقدم الرهط الى بنى قريظه والنضير فذكروا لهم ذلك وقالوا اسالوا لنا محمدا عن قضاية فقال لهم
بنو قريظة اذا والله يامركم بما تكرهون • ثم انطلق منهم قوم مثل كعب بن الاشرف وكعب بن سعد
وسعية بن عمرو ومالك بن الصيف وعازورا وغيرهم وقالوا يا محمد اخبرنا عن الزانيه والزانى
اذا احصنا ما حدهما وكيف تجد فى كتابك • فقال صلى الله عليه وسلم وهل ترضون بقضاى
فى ذلك قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بالرجم فاخبرهم فابوا ان ياخذوا به فقال جبريل
عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له • فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك قالوا نعم • قال واى رجل هو فيكم قالوا هو اعلم من على
وجه الارض من اليهود بالتورية • قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم ابن صوريا فقال له النبى
صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال تجعلونه
بينى وبينكم قالوا نعم قد رضينا به اذا رضيت به • فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انشدك
بالله الذى لا اله الا هو القوى اله بنى اسرائيل الذى انزل التوريه على موسى والذى فلق لكم البحر فانجاكم
واغرق آل فرعون والذى ظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى هل تجدون فى كتابكم
الرجم على من احصن قال ابن صوريا نعم والذى ذكرتنى به ولولا خشية ان يحرقنى التورية

ان كذبت

ان كذبت وغيرت لما اعترفت لك ولكن كيف فى كتابك يا محمد قال اذا شهد اربعة عدول انه ادخل
فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليه الرجم • قال ابن صوريا والذى انزل التورية على موسى هكذا
انزل على موسى فقال له قومه ما اسرع ما صدقته ما كنت لما اثنينا عليك باهل وما انت باعلمنا فقال لهم
نشدنى بالتوريه ولولا خشية التوريه ان تهلكنى لما اخبرته وخفت ان كذبته ان ينزل بنا عذاب
شديد • فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجم اليهود من الزانيين وقال انا اول من يحيى سنة اذ
اماتوها فنزل قوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو
عن كثير فلا يخبركم به • فقال ابن صوريا انشدك بالله يا محمد ان تخبرنا بالكثير الذى امرت ان يعفو عنه
فاعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقال ابن صوريا اخبرنا عن ثلاث خصال • قال ما هن قال اخبرنى
عن نومك قال تنام عيناى وقلبى يقظان قال صدقت قال فاخبرنى عن شبه الولد بابيه ليس فيه من شبه امه
شىء وعن شبه امه ليس فيه من شبه ابيه شىء • قال ايهما علا وسبق ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال
صدقت قال فاخبرنى ما للرجل من الولد وما للمراة من الولد • فقال للمراة اللحم والدم والظفر والشعر وللرجل العظم
والعصب والعروق قال صدقت فاسلم ابن صوريا حينئذ وقال يا محمد من ياتيك من الملئكة بالوحى قال
جبريل قال صفه لى قال فوصفه له النبى صلى الله عليه وسلم • فقال اشهد انه فى التوريه كما قلت و
انك رسول الله فلما اسلم ابن صوريا شتموه قوله تعالى ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اى من
يرد الله بليته وعقوبته وفضيحته فلن تقدر يا محمد ان تدفع عنه شيئا مما اراد الله به قوله تعالى
اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اى اهل هذه الصفه لم يرد الله ان يفتح قلوبهم ليبصروا الحق • وقيل
معناه لم يطهر قلوبهم من علامات الكفر مثل الختم والطبع والضيق كما شرح صدور المؤمنين وطهر
قلوبهم بكتابه الايمان فيها • وقال الحسن لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اى لا يبرى قلوبهم من الكفر وهم مقيمون
على دينهم واعتقادهم لهم فى الدنيا خزى اى فضيحة بما اظهر الله من كذبهم • وقيل اراد بالخزى القتل
والسبى والجزية ولهم فى الآخرة عذاب عظيم اعظم مما فى الدنيا قوله تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت
اول هذه الآيه راجع الى صفة اليهود والمنافقين الذين سبق ذكرهم والقائين فى اعادة وصفهم بسماعين

للكذب بيان انهم انما يستحقون الخزى والعذاب باصرارهم على الكذب واستماعه وضمهم الى ذلك السحت • واختلفوا
فى المراد بالسحت • فقال ابن مسعود والحسن اراد به الرشوة على الحكم • وقال على وابو هريرة هو الرشوة على الحكم ومهر
البغى وعسب التيس وحلوان الكاهن وثمن الخمر والسحت اسم لما لا يحل اخذه واصل السحت من الهلاك • يقال سحته
واسحته اذا استاصله ومنه قوله تعالى فيسحتكم بعذاب اى يهلككم وتسمى الحرام سحتا لانه يؤدى الى الهلاك
والاستيصال • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به قيل ما السحت
يا رسول الله قال الرشوة فى الحكم • وعن مسروق عن ابن مسعود قال الرشوة سحت قلت له افى الحكم قال لا ذاك
الكفر ثم قرا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون واراد بهذا استحلال الرشوة وجحد الحق • والرشوة
تنقسم على وجوه منها الرشوة على الحكم وذلك حرام على الراشى والمرتشى لانه لا يخلو اما ان ترشى ليحكم له الحاكم
بحقه فيكون المرتشى اخذا الاجرة على اداء ما هو فرض عليه ويكون الراشى محاكما الى من لا يصلح للحكم ولا ينفذ حكمه
واما ان يرشى ليقضى له بما ليس له بحق فيكون الاثم اعظم ويفسق الحاكم من وجهين وكذلك المرتشى والراشى اراد
بالراشى الذى يمشى بينهما ومنها الرشوة فى غير الحكم كما روى عن وهب بن منبه انه قيل له الرشوة حرام فى كل شئ
قال انما تكره ان ترشى لتعطى ما ليس لك وتدفع حقا لزمك فاما ان ترشى لتدفع عن دينك ودمك ومالك
فليس بحرام وانما الاثم على القابض • قرا عاصم ونافع وحمزة وابن عامر للسحت بضم السين وجزم الحاء • وقراء
ابو عمرو وابن كثير والكسائى بضمهما جميعا • وقرا ابو العباس للسحت بفتح السين وجزم الحاء • وقرا عبيد بن عمير للسحت
بكسر السين وجزم الحاء وكله بمعنى واحد وهو الحرام • وقيل يقال رجل مسحوت المعدة اذا كان اكولا لا يلفى
ابدا الا جايعا قيل نزلت هذه الاية فى حكام اليهود ككعب بن الاشرف وامثاله كانوا يرتشون ويقضون لمن
رشاهم • وعن الحسن فى قوله سماعون للكذب اكالون للسحت قال ذلك الحكام يسمع كذبه ويأخذ رشوته
فيكون الحاكم قد سمع دعواه الكاذبة ويأكل رشوته • وروى ان مسروقا شفع لرجل فى حاجة فاهدى له
جارية فغضب غضبا شديدا وقال لو علمت انك تفعل هذا ما تكلمت فى حاجتك ولا اتكلم فيما بقى من
حاجتك سمعت ابن مسعود رضى الله عنه يقول من شفع فى حاجة ليرد بها حقا او يدفع بها ظلما فاهدى
اليه شئ فهو سحت فقيل له يا ابا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك الا الاخذ رشوة على الحكم فقال الاخذ

على الحكم

على الحكم كفر قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون • واذا ارتشى الحاكم انعزل من
ساعته وان لم يعزل • ومن السحت ثمن الخمر والخنزير والميتة وعسب الفحل واجرة النايحة والمغنية والساحر
وهدية الشفاعة ومهر البغى وحلوان الكاهن هكذا قال عمر وعلى وابن عباس رضى الله عنهم • وقال
ابن كيسان سمعت الحسن يقول اذا كان لك على رجل دين فاكلت فى بيته فهو سحت قوله تعالى فان جاؤك
فاحكم بينهم او اعرض عنهم وذلك ان اليهود لما ارادوا ان ينهضوا من عند النبى صلى الله عليه وسلم بعد
قصة الزنا تعلقت بنو قريظة ببنى النضير فقالوا يا محمد اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد وكتابنا
واحد اذا قتلوا منا قتيلا اعطونا سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتيلا اخذوا منا اربعين ومائة
وسق وجراحاتنا على النصف من جراحاتهم • فقال صلى الله عليه وسلم دم القرظى وفاء بدم النضيرى
فانزل الله تعالى هذه الاية اى فان جاءك الفريقان كلهم راضين بحكمك فاحكم بينهم بما انزل الله وان شئت
فاعرض عنهم • وقيل معناه فان جاءك اهل خيبر فى حكم الزنا فاقض بينهم بالرجم فى هذه الحادثة وفى نظيرها
من الحوادث التى تقع من بعد او اعرض عنهم وهذا التخيير منسوخ بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله
قوله تعالى وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا لاعراضك عنهم وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط اى بالعدل
ان الله يحب المقسطين اى العادلين قوله تعالى وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله اى كيف
يرضون بحكمك وعندهم التورية فيها حكم الرجم والقصاص وغير ذلك يعرضون عن العمل بها من بعد البيان
الذى فى كتابهم ليسوا بمصدقين بما عندهم يزعمون انهم مؤمنون بالتورية وهم كاذبون وفى هذه الاية
بيان على ان هؤلاء اليهود كانوا لا يحكمون النبى صلى الله عليه وسلم بحكم رضا وانقيادا ولولا طلبهم الترخص
واتباع ما لا يبقى فى كتابهم لما جاؤه قوله عز وجل انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين
اسلموا للذين هادوا اى انا انزلنا التورية على موسى فيها بيان من الضلالة ونور لمن امن به يقضى به النبيون
الذين اخلصوا وهذه صفة الانبياء لا نفيهم من لم يخلص كما يقال صلى الله على محمد وعلى اله الطيبين لا يراد
بذلك ان فى اله غير طيب والمراد بالنبيين موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم اجمعين وغيرهم من الانبياء
الذين كانوا من وقت موسى الى وقت نبينا عليهم السلام ويقال اراد بالنبيين محمدا صلى الله عليه وسلم

موسى صح

فانه كان كالتايب عن انبيا بني اسرائيل في ان يحكم في الزنا بينهم بحكم التورية • وقيل معنى الذين اسلموا اي انقادوا
لاحكام الله لا على ان غيرهم من النبيين لم يكونوا مسلمين • وقيل معنى اسلموا اي صاروا الى السلامة كما يقال
اصبحوا وامسوا اذا دخلوا في الصباح والمسا • وقيل معنى الذين اسلموا انفسهم الى الله كما روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يقول اذا اوى الى فراشه اسلمت نفسي اليك قوله عز وجل للذين هادوا يعني اليهود • وقيل معنى
الاية للذين تابوا من الكفر كما في قوله تعالى انا هدنا اليك قوله تعالى والربانيون هم العلما العاملون
يربون العلم اي يقومون به والاحبار سائر العلما دون الانبيا والربانيين وانما سمي العالم حبرا لكثرة ما يكتب
بالحبر • ويقال هو من التحبير وهو تحسين العلم وتقبيح الجهل قوله تعالى بما استحفظوا من كتاب الله من الرجم و
ساير الاحكام وكانوا عليه شهدا انه كذلك ومعنى استحفظوا استودعوا وقوله تعالى ولا تخشوا الناس
خطاب لعلما اليهود اي لا تخشوا السفلة والجهال في اظهار نعت النبي صلى الله عليه وسلم واية الرجم واخشوا
عقابي في كتمانها ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا اي لا تتخذوا عرضا يسيرا من الدنيا فان الدنيا وما فيها قليل
ومن لم يحكم بما انزل الله ذهبت الخوارج الى ان معنى الاية ومن لم يحكم بما انزل الله وحكم بخلافه كان كافرا
بفعل ذلك اعتقادا كان او غير ذلك وكفروا بذلك كل من عصى الله تعالى بكبيرة او صغيرة فاداهم ذلك الى
الضلال والكفر بتكفيرهم الانبيا صلوات الله عليهم بصغاير ذنوبهم • واما عامة اهل الاسلام قالوا ان
المراد بهذه الاية ان من جحد شيا مما انزل الله مثل ما فعله اليهود من التحريف والتبديل وانكار بعض ايات
كتاب الله تعالى فاولئك هم الكافرون اي اهل هذه الصفة بمنزلة الكافر بالكتب وبالرسل كلها يدل
على هذا انه لا خلاف ان من لم يقض بينهم بما انزل الله لا يكفر بان لم يحكم لان اكثر الناس بهذه الصفة والحاكم
بين الناس في كثير حالاته لا يحكم فاذا صلح للخوارج ان يريدوا في ظاهر اللفظ فيقولوا معناه من لم يحكم بما
انزل الله وحكم بخلافه صلح لغيرهم ان يقولوا معناه ومن لم يحكم بصحة ما انزل الله فاولئك هم الكافرون
وهذا عام في اليهود وغيرهم قوله عز وجل وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف
بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن قال ابن عباس نزلت هذه الاية في الجراحات التي كانت بين بني قريظة و
بني النظير كان بنو النظير فضل على بني قريظة في الدية والدم ضعف ما كان لبني قريظة فانزل الله هذه الاية

ومعناها

ومعناها واوجبنا على بني اسرائيل في التورية ان النفس بالنفس يعني ان نفس القاتل بنفس المقتول وفا و
العين بالعين يفقاوها والانف بالانف يجدع به والاذن بالاذن تقطع به والسن بالسن تقلع به وخفف
نافع الاذن في جميع القران وثقله غيره قوله عز وجل والجروح قصاص اي يجري فيها القصاص والقصاص
عبارة عن المساواة وهذا مخصوص فيما يمكن القصاص فيه فاما ما كان من رضة او هشم لعظم او هزة
دكن لا يحيط العلم به ففيه ارش وحكومة • قرا الكساي والعين رفعا الى اخره وكذلك قوله والجروح
رفعه ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ونصبوا ساير الحروف قبله قالوا لان لها نظاير في القران منها قوله تعالى
ان الله بري من المشركين ورسوله وان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين واذا قيل ان وعد
الله حق والساعة • وقرا نافع وعاصم وحمزة وخلف كلها بالنصب قوله تعالى فمن تصدق به فهو كفارة له
اي من عفى عن مظلمة في الدنيا فهو كفارة للجارح لا يوخذ بها في الاخرة كما ان القصاص كفارة له واما اجر
العافي فعلى الله قال الله تعالى فمن عفى واصلح فاجره على الله وهذا قول ابراهيم ومجاهد وزيد بن اسلم
ورواية عن ابن عباس • وقيل معناه فهو كفارة للمجروح وولي القتيل وهو قول ابن عمر والحسن والشعبي و
قتادة وجابر بن زيد ودليل هذا قوله صلى الله عليه وسلم من تصدق من جسده بشي كفر الله بقدره
من ذنوبه • فمن عفى كان عفوه كفارة لذنوبه يعفو عنه الله ما سلف من ذنوبه • واما الكافر اذا عفا
لا يكون عفوه كفارة له مع اقامته على الكفر • وقال صلى الله عليه وسلم من اصيب بشي من جسده
فتركه لله كان كفارة له • وروي ان رجلا طعن رجلا على عهد معوية رضي الله عنه فاعطوه
ديتين على ان يرضى فلم يرض فحدث رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من تصدق بدم فما دونه كان كفارة له من يوم ولد الى يوم تصدق به فتصدق به • وقال صلى
الله عليه وسلم ثلاث من جا بهن يوم القيمة مع الايمان دخل الجنة من اي ابواب الجنة شا وتزوج
من الحور العين حيث شا من عفى عن قاتله ومن قرا دبر كل صلاة مكتوبة قل هو الله احد عشر مرات
ومن ادى دينا خفيا قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه او احداهن يا رسول الله قال او احداهن •
فاما القصاص في العين فلا يجب الا اذا ضربها رجل فاذهب ضوها وهي قايمة فانه تسد

العين الاخرى وحوالى العين التي يجب فيها القصاص من القضاء بثوب او قطن مبتل ويحمى مرآة وتقرب الى العين حتى تذهب ضوؤها • واما اذا قلعها فلا قصاص فيها لتعذر استيفائه على المماثلة لانا لا نعلم للقلع حدا معلوما ينتهى اليه وهذا كما قطع قطعة لحم من فخذ رجل او ذراعه فانه لا يجب القصاص واما الانف فمعناه اذا قطع المارن وهو ما لان منه وجب فيه القصاص وان قطعه من اصله فلا قصاص فيه لانه عظم لا يمكن استيفاؤه على المساواة كمن قطع يد رجل من نصف الساعد • وعن ابى يوسف ان الانف اذا استوعبت ففيه القصاص وكذلك الذكر واللسان • واما الاذن فمعناه اذا استوفت بالقطع واما اذا قطع بعضها فلا قصاص فيها • واما السن فمعناه القلع وكسر البعض لان القلع لا يمكن استيفاؤه على المساواة ولا يجوز استيفاء اليمنى باليسرى ولا اليسرى باليمنى وان تراضيا على ذلك لانه لا مساواة بينهما • واما المساواة فى النفس فلا تشترط الا ترى ان الرجل يقتل بالمراة فعلم ان التساوى من الرجل والمراة فى الانفس غير معتبر فى القصاص وفى الاطراف معتبر • ولهذا لا يجرى عندنا بين الرجل والمراة فى الاطراف قصاص ولا بين الحر والعبد لعدم التساوى بين الطرفين فى البدل • وكذلك بين العبد والعبد لا يمكن معرفة التساوى بين اطرافهما فى البدل • قوله تعالى والجروح قصاص يعنى التى لها حد معلوم مثل الموضحة ونحوها • واما ما ليس له حد معلوم لا يمكن مراعاة التساوى فيه ففيه الارش دون القصاص قوله عز وجل وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل الاية اى اتبعنا النبيين الذين ذكرناهم بعيسى عليه السلام وجعلناه ممن يقفوهم يقال قفوت اثر فلان اذا اتبعته وحقيقة التقفيه الاتيان بالشئ فى قفا غيره • وقوله مصدقا لما بين يديه نصب على الحال من عيسى كان مصدقا بالكتاب الذى نزل قبله وهو التورية • قوله تعالى وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور اى اعطيناه الانجيل فيه هدى من الضلالة وبيان الاحكام قوله تعالى ومصدقا لما بين يديه نعت الانجيل الذى اعطيناه ذلك كتابا فيه هدى ونور مصدقا اى موافقا لما تقدمه من التورية وهدى اى بيانا لنعت النبى صلى الله عليه وسلم وصفته وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه اى وليقض اهل الانجيل وهذا جزم بالامر اى قلنا لهم احكموا بما انزل الله فى الانجيل • قال الكلبى يبين الله حكم الرجم

على الزانى

على الزانى المحصن وحكم القصاص فى النفس والاطراف وحكم القطع على السارق فى التورية والانجيل وفيما انزل على نبينا صلى الله عليه وسلم وجميع هذه الكتب يصدق بعضها بعضا • قرا الاعمش وحمزة وليحكم بكسر اللام وفتح الميم اى آتيناه الانجيل لكى يحكم • وقرا الباقون بجزم اللام والميم • قال مقاتل امر الله الربانيين ان يحكموا بما فى التورية وامر القسيسين والرهبان ان يحكموا بما فى الانجيل فكفروا وكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وقالوا العزير ابن الله وقالوا المسيح ابن الله قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون اى من لم يقض بما انزل الله فى كتبه على رسله فاولئك هم الخارجون عن امر الله قوله عز وجل وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه اى وانزلنا اليك يا محمد القرآن بالصدق وموافقا لما تقدم من الكتب فى التوحيد وبيان الحق من الباطل ومهيمنا عليه اى امينا ومؤتمنا على ما قبله من الكتب ويقال شاهدا على الكتب كلها وهذا وصف خاص للقرآن دون ما سواه واصل مهيمن مؤتمن على وزن مفيعل من الامانة الا ان الهاء ابدلت عن الهمزة كما قالوا ارقت الماء وهرقت الماء واناك وهناك وهيهات وايهات ونظير المهيمن مسيطر • قال الشعبى والكسائى ورواية الوالبى عن ابن عباس معنى قوله مهيمنا عليه اى شاهدا قال الشاعر • ان الكتاب مهيمن لنبينا • والحق يعرفه ذوو الالباب • اى شاهدا • قال ابن جبير وابو عبيد والحسن امينا وهى رواية العوفى عن ابن عباس وامانة القرآن انه امين على ما قبله من الكتب فما اخبر به اهل الكتاب فى كتبهم فان كان ذلك فى القرآن فصدقوا والا كذبوا • وقال الضحاك مهيمنا اى قاضيا • وقال عكرمة دالا • وقال ابن زيد مصدقا • وقال الخليل رقيبا وحافظا • ويقال هيمن فلان على كذا اذا شاهده وحفظه • يقول العرب للطاير اذا طار حول وكره ورفرف على فرخه صيانة له هيمن الطير يهيمن وكذلك يقال للطاير اذا ارخى جناحيه والبسهما بيضه وفرخه ورفرف على فرخه صيانة له • ومنه قيل لله عز وجل المهيمن اى الرقيب الرحيم • قوله تعالى فاحكم بينهم بما انزل الله اى فاحكم فى الزانى والزانية بالرجم • ويقال احكم بين بنى قريظة وبنى نظير فى الجراحات التى بينهم فى التسوية بين الفريقين ولا تتبع اهواءهم اى لا تتبع مرادهم عما جاءك من الحق قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اى جعلنا لكل نبى منكم يا معشر الانبياء فرايض وسننا • والشرعة والشريعة هو التخلص الى الجنة كشريعة الانهار والحياض فى الدنيا وهو التخلص الى الشرب

والاستقامة • واصل الشرعة من قولهم شرع فلان يشرع شروعا اذا دخل في الامر دخولا ظاهرا • ويقال ان
الشرعة والمنهاج كلاهما الطريق والطريق هاهنا الدين وقد يعبر عن الشيء الواحد بلفظين مختلفين با كيدا للكلام
وقال المبرد الشرعة ابتدا الطريق والمنهاج الطريق المستمر • ويقال معنى المنهاج الدلايل الواضحة التي يستدل بها
على الفرايض من كتاب وسنة • وقيل معناه لكل جعلنا منكم سبيلا وسنة والمنهاج الطريق المبين الواضح • قال
المفسرون عنى بذلك جميع اهل الملل المختلفة جعل الله لكل ملة شرعة ومنهاجا فلاهل التورية شريعة
ولاهل الانجيل شريعة ولاهل القرآن شريعة يحل فيها ما شا ويحرم فيها ما شا فالدين واحد والشريعه مختلفة
قوله تعالى **ولو شا الله لجعلكم امة واحدة** اى لجعلكم على امر واحد في دعوة جميع الانبيا **ولكن ليبلوكم**
اى ولكن ليختبركم فيما اعطاكم من الكتب وفيما امركم به من السنن والشرايع المختلفه فتبين من يطيع الله ومن يعصيه
قوله تعالى **فاستبقوا الخيرات** اى بادروا يا امة محمد صلى الله عليه وسلم الخيرات والطاعات والاعمال
الصالحة قبل الفوت والموت • قال صلى الله عليه وسلم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك
قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك قوله تعالى **الى الله مرجعكم
جميعا** اى الى الله مرجع من امن ومن لم يومن فيجزيكم يوم القيمة **بما كنتم فيه تختلفون** من امر الدين والشريعه قوله
عز وجل **وان احكم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم** معناه انزلنا اليك الكتاب بالحق وبان تحكم بين اليهود
بما انزل الله من رجم الزاني المحصن والقصاص بين الشريف والوضيع ولا تعمل بهواهم في الجلد وترك
الرجم **واحذرهم ان يفتنوك** اى ان يستنزلوك عن بعض ما بين الله في كتابه • قال ابن عباس وذلك
ان يهود بني النظير مثل ابن صوريا وكعب بن اسد وغيرهم قالوا فيما بينهم اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه
عن دينه فانما هو بشر فاتوه فقالوا له يا محمد انك قد عرفت انا احبار اليهود واشرافهم وساداتهم
وانا ان اتبعناك تبعك اليهود كلهم ولن يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم اليك فاقض
لنا عليهم فنومن بك فابى النبي صلى الله عليه وسلم وكان حريصا على اسلامهم فانزل الله تعالى واحذرهم
ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك قوله عز وجل **فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم** اى فان اعرضوا
عن حكمك فاعلم انما يريد الله ان يعاقبهم بالقتل في بني قريظة والجلا الى الشام في بني النضير **ببعض ذنوبهم**

اى بما

اى بما سلف من ذنوبهم وهو جحودهم لدينك ونعتك وصفتك والتورية والانجيل **وان كثيرا من
الناس لفاسقون** اى خارجون عن الطاعة ناقضون للعهد قوله عز وجل **افحكم الجاهلية يبغون**
قرا ابن عامر تبغون بالتا • وقرا الباقون باليا ومعنا الاية اتطلبون من حكم الزنا والقصاص وهم اهل
الكتاب شيا فيما لم ينزل الله عليكم كما يفعل اهل الجاهلية واى احد اعدل في الحكم من الله تعالى قوله
تعالى **لقوم يوقنون** اى لمن يقن يبين له عدل الله في حكمه قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى اولياء** وذلك انه لما كانت وقعة احد خاف الناس من المسلمين ان يظهر عليهم الكفار فاراد
من كان بينه وبين اليهود والنصارى صحبه ان يتولوهم ويعاقدوهم فنهاهم الله عن ذلك ومعناه
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اخا في العون والنصرة بعضهم على دين بعض **ومن يتولهم
منكم فانه منهم** اذا تولاه لاجل كفره صار كافرا مثله واما اذا تولاه لا لاجل كفره صار من جملة المستحقين
لعذاب الله لمخالفته امر الله ولموالاته من اوجب الله عليه ان يعاديه • وقال عكرمة نزلت هذه
الاية في ابي لبابه حين قال لبني قريظة حين رضوا بحكم سعد انه الذبح قوله تعالى **ان الله لا يهدي
القوم الظالمين** اى لا يرشد اليهود والنصارى لدينه وحجته ما داموا على كفرهم قوله تعالى **فترى الذين
في قلوبهم مرض يسارعون فيهم** وذلك ان المنافقين كانوا يوادون يهود عرينه ونصارى نجران لانهم
كانوا اهل ريف وكانوا يميرونهم ويقرضونهم • فقال المنافقون كيف نقطع مودة قوم اذا اصابتنا سنه
واحتجنا اليهم وسعوا بلتنا في المنازل وعرضوا علينا الثمار في القابل فنزل قوله تعالى فترى الذين في
قلوبهم مرض اى ترى يا محمد الذين في قلوبهم شك ونفاق يبادرون الى ولاية الكفار ومعاقدتهم
يقولون نخشى ان تصيبنا دايرة وشدة وجدوبة ويقال الدايرة بهذا القول انهم يخشون ان لا يتم امر
محمد صلى الله عليه وسلم بان يدور الامر على الحالة التي هم عليها فيحتاجون الى الكفار يقول الله تعالى
فعسى الله ان ياتي بالفتح اى عسى ان يظهر المسلمون وعسى من الله واجب وسمى النصر فتحا لان فيه فتح الامر
المغالق قوله تعالى **او امر من عنده** معناه او نقضي بالخصب لمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه • ويقال
هو ان النبي صلى الله عليه وسلم باظهار امر المنافقين وقتلهم فيصبح المنافقون على ما اضمروا في انفسهم

يوم مح

من ولاية اليهود والنصارى رؤس اليهود والنصارى انهم نادمين فلا ينفعهم الندامة حينئذٍ قوله عز وجل
ويقول الذين امنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم قرا اهل الكوفه ويقول بالواو والرفع على
الاستيناف • وقرا اهل البصرة بالنصب والواو عطفا على ان ياتى • وقرا الباقون برفع اللام وحذف الواو
ومعنى الاية يقول المومنون المخلصون عند ما يظهر الله نفاق المنافقين اهؤلاء الذين اقسموا بالله يعنون المنافقين
الذين حلفوا بالله انهم لمعكم على دينكم **حبطت اعمالهم** بطل ما اظهروه من الايمان والاعمال الصالحة فصاروا
مغبونين فى الوزر والعقوبة قوله تعالى جهد ايمانهم تفسير للقسم بالله تعالى فان من يحلف بالله فقد
بذل جهد يمينه اذ لا يمين اعظم من اليمين بالله ولا حرمة اكبر من حرمة الله • قال ابن عباس رضى الله عنه فجا
الله بالفتح ونصر الرسول صلى الله عليه وسلم وجا امر الله من عنده باجلاء بنى النضير وقتل بنى قريظة وسبى
ذراريهم فندم المنافقون حين ظهر نفاقهم • وقال المومنون اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا من يرتدد منكم عن دينه فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه قرا اهل المدينه والشام
يرتدد بدالين • وفى الاية تهديد لمن لا ثبات له على الايمان • قال ابن عباس هم اسد وغطفان واناس من
كندة ارتدوا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فى عهد ابى بكر رضى الله عنه • وكان من المرتدين
فرقة يقال لهم بنو حنيفه باليمامة ورئيسهم مسيلمة الكذاب وكان ادعى النبوة فى حيوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى اخر سنه عشر وزعم انه اشترك مع محمد صلى الله عليه وسلم فى النبوة وكتب الى النبى
صلى الله عليه وسلم من مسيلمه رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها
لك وبعث بذلك رجلين من اصحابه نهشا والحكم بن الطفيل وكانا من سادات اليمامة • فقال لهما
النبى صلى الله عليه وسلم اتشهدان ان مسيلمه رسول الله قالا نعم فقال لولا ان الرسل لا تقتل لضربت
اعناقكما ثم اجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب • اما بعد فان الارض لله يورثها من
يشا من عباده والعاقبة للمتقين • ومرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى وجعل
مسيلمه يعلو مرة باليمامة يوما بعد يوم • فبعث ابو بكر رضى الله عنه خالد بن الوليد فى جيش
عظيم حتى اهلكه الله على يدى وحشى قاتل حمزة بن عبد المطلب بعد حرب شديد وكان وحشى

260

يقول قتلت خير الناس فى الجاهليه وقتلت شر الناس فى الاسلام • ومن المرتدين ايضا طليحة بن خويلد
رئيس بنى اسد وكان قد ادعى النبوة ايضا فى حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتله ابو بكر
رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليه خالد بن الوليد فقاتله قتالا شديدا
وهرب طليحه على وجهه نحو الشام فلحا الى بنى حنيفه فاجاروه ثم اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه •
وارتدا ايضا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير من العرب و رئيسهم عيينه بن حصن وبنو
سليم وبنو يربوع وطايفه من بنى تميم ورأسوا عليهم امراة يقال لها سجاح بنت المنذر وادعت النبوة
ثم زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب • وارتدت كندة ورأسوا عليهم الاشعث بن قيس • وارتدت بنو
بكر بن وايل بارض البحرين وكفى الله المسلمين امر هؤلاء المرتدين ونصر دينه على يدا ابى بكر رضى الله عنه
واخبار اهل الردة طويلة مشهورة فلا نطول بذكرها الكتاب قوله تعالى فسوف ياتى الله بقوم يحبهم
ويحبونه • قال على والحسن وقتادة هم ابو بكر واصحابه • وقال مجاهد هم اهل اليمن • وقال عياض
بن غنم لما نزلت هذه الاية اومى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابى موسى الاشعرى وقال هم قوم هذا
وقال صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم الين قلوبا وارق فيدة الايمان والحكمة يمانيه • وقال
الكلبى هم احيا من اليمن الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيله وثلثه الاف من فنا الناس فقاتلوا
الذين ارتدوا عن الاسلام وهم الذين اثنى الله عليهم بقوله تعالى اذلة على المومنين يلينون لهم بجانبهم ليس
هذا من الهوان انما هو من اللين والرفق كما فى قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة قوله تعالى
اعزة على الكافرين اى اشدا اقويا غلاظا على الكافرين يعادون الكفار ويغالبونهم ونظير هذه الاية قوله تعالى
محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم • قال عطا اذلة على المومنين كانوا كالوالد لولده
وكالعبد لسيده اعزة على الكافرين كالسبع على فريسته • وقال السدى معنى قوله فسوف ياتى الله بقوم
يحبهم ويحبونه يعنى الانصار • وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الاية فضرب يده
على عاتق سلمان الفارسى فقال هذا وذووه ثم قال لو كان الدين معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء
فارس قوله تعالى **يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم** اى يقاتلون العدو فى طاعة الله

نسخة فجاروه

يمان صح

ولا يخافون ملامة اللايمين ذلك فضل الله اى ذلك التمكين والتوفيق فضل من الله يكرم به من يشا من كان
اهلا لذلك والله واسع الفضل والرحمة عليم بمن يصلح للهدى قوله عز وجل انما وليكم الله ورسوله والذين
امنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون قال ابن عباس نزلت هذه الاية في مسلمي اهل الكتاب
عبد الله بن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله بيوتنا قاصية ولا نجد متحدثا دون هذا المسجد وان
قومنا من بني قريظة والنظير لما راونا قد امنا بالله ورسوله وتركناهم ودينهم اظهروا لنا العداوة
واقسموا ان لا يناكحونا ولا يواكلونا ولا يخالطونا ولا نستطيع ان نجالس اصحابك لبعد الموضع فبينا هم
يشكون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس في المسجد يصلون فيه من قايم وراكع وساجد اذ بمسكين
يطوف يسال الناس فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه فقال له هل اعطاك احد شيا قال نعم
قال ماذا قال خاتم فضه قال من اعطاكه قال ذاك الرجل فاذا هو علي رضي الله عنه قال على اى حال اعطاكه قال
اعطانيه وهو راكع فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية على عبد الله بن سلام واصحابه وانسهم
بما بدلهم الله من ولايته وولاية رسوله وولاية المومنين • ومعنى الاية انما حافظكم وناصركم الله ورسوله
والمومنون الذين يقيمون الصلوة بحقوقها ويؤتون الزكوة في حال ركوعهم • وفي الاية دليل على اباحة عمل
اليسير في الصلوة • فلما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم الاية • قال عبد الله بن سلام واصحابه رضينا
بالله وبرسوله وبالمؤمنين ^ • وروى ان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان ذات يوم جالسا عند شفير
زمزم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبل رجل متعمم بعمامه فجعل ابن عباس لا يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال ذلك الرجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقال
ابن عباس سالتك بالله من انت فكشف العمامة عن وجهه وقال ايها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا
جندب بن جنادة البدري انا ابو ذر الغفاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بهاتين والا فصمتا ورايته
بهاتين والا فعميتا • يقول علي قايد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله اما اني صليت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الايام صلوة الظهر فسال سايل في المسجد فلم يعطه احد فرفع
السايل راسه الى السما وقال اللهم اشهد اني سالت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الايام

اولياء صح

فلم

فلم يعطني احد وكان علي راكعا فاومى اليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم فاخذ السايل الخاتم من خنصره وذلك
بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم • فلما فرغ من صلاته رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه
الى السما وقال اللهم ان اخي موسى سالك فقال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني
يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري فانزلت عليه سنشد
عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا • اللهم وانا محمد نبيك وصفيك
اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي امري واجعل لي وزيرا من اهلي عليا اشدد به ظهري • قال ابو ذر فما
استتم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الاية انما وليكم الله ورسوله
والذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون قوله تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا
اى من يختر طاعة الله ورسوله ومحبة المومنين فان جند الله هم الغالبون قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وذلك ان اليهود كانوا اذا قام بلال
للاذان يضحكون ويستهزؤن ويقولون قام الغراب لا قام واذا قام المومنون الى الصلوة قالوا قد قاموا لا قاموا
واذا راوهم ركعا وسجدا استهزؤا بهم ويتغامزوا فيما بينهم تنفيرا للناس عن الصلوة وعن الداعي اليها • ومعنى الاية
لا تتخذوا اليهود والنصارى الذين يتخذون دينكم هزوا ولعبا اى استهزاء وسخرية يسخرون منكم اذا اذن
مؤذنكم ويضحكون من صلاتكم اذا صليتم قوله تعالى والكفار فيه قراتان النصب والخفض فمن نصبه
فمعناه لا تتخذوا الكفار اولياء واراد بهم مشركي العرب ومن خفضه فمعناه من الذين اوتوا الكتاب ومن الكفار
وقوله تعالى واتقوا الله ان كنتم مؤمنين اى اخشوه في ولاية الكافرين ان كنتم مؤمنين بالله وبرسوله
قوله تعالى واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اى اذا ناديتم الناس الى الصلوة بالاذان
والاقامة اتخذوها سخرية واستهزاء وضحكة وباطلا وذلك الاستهزا واللعب بانهم قوم لا
يعقلون ثواب الله تعالى في اقامة الصلوات ولا عقابه في اضاعتها • وروى ان يهوديا كان اذا
سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه البيت بنار فوقعت
شرارة منها في البيت فالتهب واحرق اليهودي هو واهله واستجب دعاؤه على نفسه • وفي الاية

السابع وعشرون

دليل أن للصلوة أذانا تدعى به الناس إليها ونظير هذا قوله تعالى إذا نودي للصلوة من يوم الجمعة • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلثة لا يكترثون من الحساب ولا تفزعهم الصيحة ولا يحزنهم الفزع الأكبر حامل القرآن العامل به يقدم على الله سيدا شريفا ومؤذن أذن سبع سنين لا يأخذ على أذانه طمعا وعبد مملوك أحسن عبادة ربه وأدى حق مولاه • وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذن سنة من نية صادقة أجلس يوم القيمة على باب الجنة فقيل له اشفع لمن شئت • وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذن خمس صلوات إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر • وقال صلى الله عليه وسلم المؤذن المحتسب كالشهيد المتشحط في دمه ما دام في أذانه ويشهد له كل رطب ويابس فإذا مات لم يدود في قبره • وقال عمر رضي الله عنه لو كنت مؤذنا لكمل أمري وما باليت أن لا انتصب لقيام ولا لصيام سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اغفر للمؤذنين اللهم اغفر للمؤذنين قوله عز وجل قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل أي قل يا محمد يا أهل الكتاب هل تطعنون علينا إلا لإيماننا بالله تعالى وبالقرآن ولأن أكثركم فاسقون أي إنما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون أنا على حق لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم لمحبتكم الرياسة وكسبكم بها الأموال فهل تجدون شيئا يعاب علينا إلا هذا فلم ذا تطعنون وأما قوله تعالى وأن أكثركم فاسقون قال بعضهم أراد بالأكثر كلهم وأكثر الشيء يقوم مقام الكل • وقيل إنما ذكر بلفظ الأكثر لأن الآية خرجت مخرج التلطف للدعاء إلى الإيمان وكان فيما بلغ علم الله تعالى أن فيهم من يسلم وكان في القوم من لا يطعن بنفسه في دين الإسلام وإن كان يسكت عن طعن الطاعنين قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وذلك أن اليهود قالوا للمسلمين ما نعلم أهل دين أقل حظا منكم في الدنيا وزجوا أن تكونوا في الآخرة كذلك • فأنزل الله هذه الآية أي قل يا محمد لهؤلاء اليهود هل أخبركم بأسوء من الذي قلتم جزاء عند الله هو من لعنه الله أي بعده من رحمته وسخط عليه وهم اليهود فيكون موضع من لعنه رفعا على معنى هو ويجوز أن يكون خفضا بدلا من شر على معنى هل أنبئكم بمن لعنه الله قوله تعالى وجعل منهم القردة والخنازير أي مسخ بعضهم قردة في زمن داود عليه السلام بدعائه عليهم

حين

حين اعتدوا في السبت واستحلوه ومسخ بعضهم خنازير في زمن عيسى عليه السلام بعد أكلهم من المائدة حين كفروا بعد ما رأوا الآيات البينة • وروي أنه لما نزلت هذه الآية قال المسلمون لليهود يا إخوة القردة والخنازير فنكسوا رؤسهم وفضحهم الله تعالى قوله تعالى وعبد الطاغوت فيه عشر قراءات قراءة العامة وعبد الطاغوت بفتح العين والباء والدال على الفعل • ومعناها وجعل منهم من عبد الطاغوت أي بالغ في طاعة الشيطان والكهان ورؤساء المعصية • وقرأ ابن مسعود وعبدوا الطاغوت أي ومن عبد الطاغوت • وقرأ يحيى بن وثاب وحمزة بفتح العين وضم الباء وكسر التاء من الطاغوت وهو لغة في عبد مثل سبع وسبع • وقرأ أبو جعفر القراء وعبد الطاغوت على الفعل المجهول • وقرأ الحسن وعبد الطاغوت على الواحد • وقرأ يزيد الأسلمي وعابد الطاغوت بالألف • وقرأ ابن عباس وعبيد الطاغوت بالجمع • وقرأ أبو واقد الليثي وعباد الطاغوت مثل كفار • وقرأ عون العقيلي وأبان بن تغلب وعبد الطاغوت مثل راكع وركع • وقرأ عبيد بن عمير وأعبد الطاغوت مثل كلب وأكلب • وقرأ الأعمش وعبد الطاغوت بضم العين والباء وكسر التاء من الطاغوت قال الشاعر • انسب العبد إلى آبائه أسود الجلدة من قوم عبد • قوله تعالى أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل فإن قيل كيف معنى هذا وليس في الإيمان شر وضلال • قيل تسمية المشركين شر مكانا لا يوجب أن يكون في الإيمان شر ونظيره قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ومعلوم أنه لا خير في مستقر الكفار ومنقلبهم فلما نزلت الآية قال المسلمون لليهود يا إخوان القردة والخنازير فسكتوا وافحموا وفيهم يقول الشاعر • فلعنة الله على اليهود • إن اليهود إخوة القرود • قوله عز وجل وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ومعناه وإذا جاؤكم المنافقون من أهل الكتاب قالوا آمنا بك ونحن نعرف نعتك وصفتك يقول الله وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به أي دخلوا عليكم وخرجوا من عندكم كافرين في السر كما دخلوا خرجوا وقوله وهم للصلة والتأكيد والله أعلم بما كانوا يكتمون أي بما كانوا يضمرون في قلوبهم من الكفر والنفاق فأعلمكم به وأطلعكم عليه قوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان أي وترى يا محمد كثيرا من اليهود والمنافقين يبادرون في المعصية والاعتداء والظلم وأكل الرشوة والحرام في تغيير الأحكام

لبئس ما كانوا يعملون من المعصية ومجاوزة الحد قوله تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون معناه هلا ينهاهم العاملون بالعلم والعلما الذين هم دونهم عن قول الشرك والكذب على الله واكل الحرام والرشوة في الحكم • قال الحسن الربانيون علما النصارى والاحبار علما اليهود ويقال هو كله في اليهود • وقرا ابو واقد الليثي لولا ينهاهم الربيون كقوله تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير • وقوله لبئس ما كانوا يصنعون اي بئس ما يصنع علماوهم من كتمانهم الحق وتركهم النهي عن المعصية • قال ابن عباس والضحاك ان هذه الاية اشد الايات في تخويف من ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يجاور قوما فيعمل بالمعاصي بين اظهرهم فلا ياخذون على يديه الا اوشك ان الله تعالى يعمهم منه بعقاب قوله تعالى عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا قال ابن عباس نزلت هذه الاية في فنحاص بن العازورا اليهودي واصحابه كان الله تعالى قد بسط لهم في الرزق وكانوا من اخصب الناس واكثرهم خيرا واموالا فلما عصوا الله تعالى في محمد صلى الله عليه وسلم وبالغوا في تكذيبه كف الله عنهم بعض الذي كان بسط عليهم فعند ذلك قالوا يد الله مغلولة اي قالوا على سبيل الهزوا ان اله محمد الذي ارسله ممسكة يده عنا في الرزق ولا يبسط علينا كما كان يبسط وهذا اللفظ في كلام العرب عبارة عن البخل كما قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك اي لا تمسكها عن الانفاق • وقال بعضهم انما قال هذه المقالة فنحاص ولم ينهه الاخرون ورضوا بقوله فاشركهم الله فيها واراد واباليد العطا لان عطا الناس الناس وبذلهم في الغالب بايديهم فاستعمل الناس اليد في وصف الناس بالجود والبخل ويقال للبخيل جعد الانامل مقبوض الكف مكفوف الاصابع مغلول اليدين قال الشاعر • كانت خراسان ارضا اذ يزيد بها • وكل باب من الخيرات مفتوح • فاستبدلت بعده جعدا انامله كانما وجهه بالخل منضوح • قوله تعالى غلت ايديهم جواب عن كلامهم على طريق المقابلة والازدواج اي مسكت ايديهم عن الانفاق في الخير وجعلوا بخلا واليهود ابخل الناس ولا امة ابخل منهم ويقال معنى غلت ايديهم اي غلت الى اعناقهم في نار جهنم • ويقال لا يخرج يهودي من الدنيا الا وتصير يده

مغلولة الى عنقه قوله تعالى ولعنوا بما قالوا اي عذبوا بالجزية وطردوا من رحمة الله لقولهم يد الله مغلولة قوله تعالى بل يداه مبسوطتان عبارة عن الجود وكثرة العطية لمن يشا كما يقال فلان بسط اليدين وباسط اليدين اذا كان جوادا يعطي يمنة ويسرة • وعن ابن عباس ان معناه بل نعمتاه مبسوطتان واراد نعمة الدين والدنيا • وقيل نعمة الظاهرة ونعمة الباطنة • وقيل اراد بالتثنية في هذا المبالغة في صفة النعمة قال الاعشى • يداك يدا مجد وكف مفيدة • وكف اذا ما ضن بالمال ينفق • وهذا كله لان اليهود قصدوا تبخيل الله فاجيبوا على قدر كلامهم قوله تعالى ينفق كيف يشاء دليل على ان المراد بجواب اليهود بيان بسط النعمة وان الله يرزق كيف يشا بحسب المصالح فربما كان الصلاح في ان يقتر وربما كان في ان يوسع ولا يخلوا حكمه عن الحكمة • واعلم ان اليد في اللغة تتصرف على وجوه منها الجارحة وهي معروفة وتعالى الله عن الجوارح • ومنها النعمة كما يقال لفلان على يد اي نعمة • ومنها القوة كما قال تعالى اولي الايدي والابصار وقال تعالى والسماء بنيناها بايد • ومنها الملك ويعفو الذي بيده عقدة النكاح اي يملكه • ومنها القدرة كقوله تعالى بيده الملك اي بقدرته • ومنها الاختصاص بالفعل كقوله تعالى خلقت بيدي اي توليت خلقه وفائدته التشريف • ومنها التصرف كما يقال هذه الدار في يد فلان اي هو يتصرف فيها بالسكنى والاسكان • وقد يقال اسلم فلان على يدي فلان اي كان سببا في اسلامه قوله عز وجل وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا معناه ليزيد القران الذي انزل اليك وما فيه من حكم الاسلام وحكم الرجم كثيرا من اليهود طغيانا وكفرا اي كلما انزل عليك شيء من القران كفروا به فيزيد كفرهم قوله تعالى والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة اي جعلناهم مختلفين في دينهم متباغضين كما قال تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى وقوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله اي كلما اجتمعوا على قتالكم واعدوا للحرب فرق الله جمعهم واطفا نار مكرهم وخالف بين كلمتهم قوله تعالى ويسعون في الارض فسادا اي يجتهدون في دفع الاسلام والله لا يحب المفسدين اي لا يرضى عمل اهل الفساد قوله تعالى ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا معناه لو ان اليهود والنصارى صدقوا بالله وبالقران وتابوا من اليهودية والنصرانية لعفونا عنهم وسترنا عليهم ذنوبهم وادخلناهم في الاخرة جنات النعيم قوله تعالى ولو انهم اقاموا التورية

والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لو انهم عملوا بما فى التورية والانجيل ولم يكتموا ما علموا من ذكر محمد صلى
الله عليه وسلم فيهما وعملوا بما انزل اليهم من ربهم يعنى القرآن الذى انزل على كافة الناس لوسعنا عليهم الرزق
بانزال المطر من السما واخراج النبات من الارض والشجر والثمار وفى الاية بيان ان التقا سبب لتوسعة الرزق
واستقامة الامر فى الدنيا والاخرة ونظير هذا قوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم
بركات من السماء والارض وقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قوله
تعالى منهم امة مقتصدة اى من اهل الكتاب امة عادلة يعنى جماعة عادلة فى القول وهم الذين اسلموا
منهم وهم ثمانية واربعون رجلا النجاشى واصحابه من النصارى وبحيرا الراهب واصحابه وسلمان
الفارسى واصحابه وعبد الله بن سلام واصحابه وجبر مولى قريش وكثير منهم ساء ما يعملون
اى كثير من اهل الكتاب ساء ما يعملون من كتمان نعت النبى صلى الله عليه وسلم وتكذيبه وهم
كعب بن الاشرف واصحابه يسوءهم عملهم يوم القيمة اذا راوا وبالها قوله عز وجل يا ايها الرسول بلغ ما
انزل اليك من ربك خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وامر له ان يبلغ الناس جميع ما انزل اليه
من ربه من القرآن قوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته معناه ان لم تبلغ اية مما انزل اليك او
حكما امرت بتبليغه اليهم فكانك لم تبلغ شيئا من الرسالة اى لا يحصل لك الثواب الموعود على تبليغ
الرسالة من قبل ان كتمان اية واحدة تحبط ثواب ما بلغ من الرسالة • ويقال ان فى هذه الاية دليلا ان
النبى صلى الله عليه وسلم كان امر بشئ خاص تأنا قليلا عن تبليغه حذرا وخوفا ان يبتليه الله
كما ابتلى قبله ابراهيم بالنار واسمعيل بالذبح وزكريا ويحيى بالقتل وكان صلى الله عليه وسلم
عازما ... على فعل ما امر به مع خوفه فقيل له ان لم تفعل ما امرت به من دعوتهم الى الاسلام وعبث دينهم
فقد بطل جميع ما فعلت من قبل من التبليغ كانك لم تبلغ شيئا من الرسالة • ولهذا قرا نافع وابن عامر و
عاصم رسالاته لانه بلفظ الجمع وقد يذكر الواحد ويراد به الجماعة قوله تعالى والله يعصمك من
الناس ما نعن الله تعالى للنبى صلى الله عليه وسلم كيلا يخاف ولا يحذر كما روى فى الخبر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة قالت له اليهود يا محمد انا ذو عدد وناس فان لم

ترجع

ترجع قتلناك وان رجعت زوجناك واكرمناك فكان عليه السلام يحرسه مائة من المهاجرين والانصار
يبيتون عنده ويخرجون معه خوفا من اليهود • فلما نزلت قوله تعالى والله يعصمك من الناس علم ان
الله يحفظه من كيد اليهود وغيرهم • فقال للمهاجرين والانصار انصرفوا الى رحالكم فان الله قد
عصمنى من اليهود • فكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يخرج وحده فى اول الليل وعند السحر
الى اودية المدينة وحيث ما شا فعصمه الله مع كثرة اعدائه وقلة اعوانه فعاش حميدا ومات
سعيدا صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ان الله لا يهدى القوم الكافرين اى لا يرشدهم الى دينه
وحجته ولا يهديهم الى طريق الجنة فى الاخرة قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا
التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم اى لستم على الدين والثواب الا ان تقروا بما فى التورية
والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه ونبوته وساير الاحكام التى فيهما وتقروا بالقرآن
الذى نزل على كافة الناس من ربهم قوله تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا
قد ذكرنا تفسيره فلا تاس على القوم الكافرين اى ليس عليك الا تبليغ الرسالة فلا تحزن عليهم ان كذبوك
اى لا تحزن على هلاكهم اذا اهلكناهم قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى
من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون معنى الاية ان الذين امنوا بالسنتهم
ولم تؤمن قلوبهم والذين مالوا عن الاسلام وسموا باليهودية والذين صبت قلوبهم وهم صنف من
النصارى • يقال لهم السايحون يحلقون اوساط رؤسهم • ويقال الصابى هو الخارج من ملة فيها امة
عظيمة الى ملة فيها شرذمة قليلة قوله تعالى من امن بالله اى من امن من هذه الفرق بالله وبجميع ما انزل
الله وبالبعث بعد الموت وعمل صالحا فيما بينه وبين الله فلا خوف عليهم حيث يخاف اهل النار ولا هم
يحزنون حيث يحزن اهل النار • واما الرفع فى قوله والصابئون • قال الكسائى هو نسق على المضمر
فى هادوا تقديره هادوا هم والصابئون • وقال الخليل وسيبويه والبصريون ان قوله والذين هادوا
والصابئون مرفوع بالابتدا تقديره ان الذين امنوا ومن امن من الذين هادوا والصابئون والنصارى
من امن بالله واليوم الاخر • وقيل انما رفع لانه عطف على الذين قبل دخول ان لانه لا يحدث

معنى كما تقول زيدٌ قايم وان زيدًا قايمٌ معناهما واحد • وقرا الحسن ان الله وملئكته برفع التا • واما
نفى الحزن عن المومن هاهنا فقد ذهب بعض المفسرين الى انه لا يكون عليهم حزن فى الآخرة ولا خوف ونظيره
قوله تعالى تتنزل عليهم الملئكة الا تخافوا ولا تحزنوا • وقال بعضهم ان المومنين يخافون ويحزنون لقوله
تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه • و
قال صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة حفاة عراة فقالت عايشة واسوأتاه فقال صلى الله
عليه وسلم اما سمعت قوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه • قالوا وانما نفى الله تعالى فى هذه
الاية الحزن عن المومنين لان حزنهم لما كان بعرض الزوال ولم يكن له بقا معهم لم يعتد بذلك قوله عز وجل
لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل اى اخذ عهد بنى اسرائيل على ان يعملوا بما فى التورية والانجيل وكل نبى بعثه
الله الى قومه فيومنوا به فذلك اخذ ميثاقهم وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم
اى كلما جاءهم رسول بما لا يوافق هواهم والذى هم عليه فريقا كذبوا وفريقا يقتلون اى كذبوا جماعة
من الرسل مثل عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وفريقا يقتلون مثل زكريا ويحيى عليهما السلام قوله
تعالى وحسبوا ان لا تكون فتنة اى ظنوا ان لا يكون عذاب وعقوبه وقيل ابتلاء بسبب قتلهم الانبيا
وتكذيبهم الرسل • من قرا تكون بالنصب فمعنى ان تكون • ومن قرا بالرفع فمعناه انه لا يكون اى حسبوا
ان فعلهم غير فاتن لهم فعموا عن الهدى وصموا عن الحق عملوا معاملة الاعمى الذى لا يبصر والاصم الذى
لا يسمع فصاروا كالعمى والصم ثم تاب الله عليهم اى تجاوز عنهم بان ارسل اليهم محمدا صلى الله عليه
وسلم يعلمهم ان الله قد تاب عليهم ان امنوا وصدقوا فلم يومن اكثرهم • ويقال دانوا بعد ذلك
وتابوا من الكفر فقبل الله توبتهم • فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وجاءهم ما عرفوا كفروا به
فذلك قوله ثم عموا وصموا اى عموا عن الهدى وصموا عن الحق بعد ان ازدادهم الامر وضوحا بالنبى
صلى الله عليه وسلم قوله تعالى كثير منهم بدل من الواو فى قوله عموا كانه قال عمى وصم كثير منهم وهذا
كما يقال جاءنى قومك اكثرهم وقوله كثير منهم يقتضى فى المرة الثانيه انهم لم يكفروا كلهم وانما كفر اكثرهم كما
قال تعالى ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قايمة وقال تعالى منهم امة مقتصدة • ويحكى عن بعض اهل

اللغة

اللغة جواز جمع الفعل متقدما على الاسم كما يقال اكلونى البراغيث ويجوز ان يكون كثير خبر مبتدا محذوف
معناه العمى والصم كثير منهم وقوله والله بصير بما تعملون اى بما تعملون من التكذيب ونقض الميثاق
وتحريف الكلم يجازيهم على عملهم قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم نزلت
فى نصارى نجران السيد والعاقب ومن معهما وهم الماريعقوبيه قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قوله
تعالى وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم اعلام من الله تعالى ان المسيح دعاهم الى
توحيد الله واعلمهم ان شانا حاله فى امه مربوبا كحالهم واعلمهم ان من اشرك مع الله شيا غيره فهو كافر
من اهل النار فذلك قوله تعالى اعبدوا الله ربى وربكم اى وحدوه فهو خالقى وخالقكم ورازقى
ورازقكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ان يدخلها ومصيره فى الاخرة النار وما
للظالمين من انصار اى ما للمشركين من مانع يمنعهم من عذاب الله ثم بين الله كفر الفريق الاخر من النصارى
وهم المرقوسية فقال عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اى احد ثلاثة اب وابن و
روح قدس وما من اله الا اله واحد وان لم ينته المنافقون عن مقالتهم الاولى والثانيه ليمسن
الذين كفروا منهم اى ليصيبن الذين قاموا على مقالة الكفر منهم عذاب وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم
قوله تعالى افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه اول هذه الاية استفهام ومعناها الامر اى توبوا الى الله
عن النصرانيه واستغفروه من هذه المقالة الشنيعه والله غفور لمن تاب وامن رحيم بمن مات على التوبة
قوله عز وجل ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اى ما المسيح الا رسول من رسل الله
فان ابرا الاكمه والابرص واحيائه بالمعجزات كما اتى موسى بالمعجزات اى الايات وكما اتى ابراهيم عليه
السلام وغيرهما من الانبياء فلو وجبت عبادة الانبياء لظهور المعجزات عليه لوجبت عبادة ساير
الانبياء واتخاذهم الهة بسبب المعجزات قوله تعالى وامه صديقة اى كثيرة الصدق والتصديق و
ذلك ان جبريل عليه السلام اتاها فقال لها انا رسول ربك فصدقته كما قال تعالى وصدقت
بكلمات ربها قوله عز وجل كانا ياكلان الطعام بيان انهما محدثين محتاجين وهذا احتجاج بين
على القوم فى انه لم يكن الها لان الله تعالى وصفه فى الاية بصفات تنافى الالهية منها انه رسول تعد

اتمامه

ان لم يكن • ومنها انه كسائر الرسل فيما ظهرت منه وعليه • ومنها انه مولود من امه • ومنها انهما كانا يعيشان
بالغذا كما يعيش سائر الآدميين • وكيف يكون الها من كونه حيوته بالجبلة ولا بقيه الا اكل الطعام • ومنها ما
قالوا ان اكل الطعام في الآية كناية عن قضاء الحاجة لان الذي يأكل الطعام لا بد له من قضاء الحاجة
فكل هذه الصفات دلالة على كونه عبدا مخلوقا مربوبا مستحيلا ان يكون الها قديما تعالى الله عما يقول
الظالمون علوا كبيرا قوله تعالى انظر كيف نبين لهم الآيات اي انظر يا محمد كيف نبين لهم العلامات الواضحة •
في امر عيسى انه لم يكن الها ولا ابنا له ولا ثالث ثلاثة ثم انظر يا محمد انى يؤفكون اي من اين يصرفون على
الحق الواضح الى الباطل والافك هو الصرف وكل شيء صرفته عن شيء فهو ما فوك يقول افكته عنه افكه افكا
ويسمى الكذب افكا لانه يصرف عن الحق قوله تعالى قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا اي قل
يا محمد لهؤلاء النصارى ومن سلك طريقتهم في اتخاذ غير الله الها اتعبدون من دون الله ما لا يقدر على
دفع ضر عنكم ولا نفع اليكم والله هو السميع لمقالتكم في عيسى عليه السلام وامه العليم بكم وبعقوبتكم قوله
عز وجل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اي قل لهم يا محمد لا تجاوزوا الحد في دينكم الى غير الحق
فتقولوا هل فعل احد مثل فعل عيسى وتجعلوا لله ولدا فانه ليس بحق • ويقال هذا خطاب لليهود و
النصارى اي لا ترفعوا عيسى عليه السلام عن درجة النبوة الى درجة الربوبية ولا تحطوه عن درجته
فتقولوا انه مولود على غير رشده قوله تعالى ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل اي لا تتبعوا شهوات
آبائكم ورؤسائكم ولا تؤثروا الهوى على البيان والبرهان واضلوا كثيرا من السفلة الذين اطاعوهم واصروا
على ضلالتهم عن قصد الطريق قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم اي طرد
الذين كفروا من بني اسرائيل وبوعدوا من رحمة الله على لسان داود اي بدعائه عليهم حين اعتدوا في
السبت فمسخهم الله قردة ولعنوا بدعاء عيسى حين كفروا بعد ذلك بالمائدة فمسخهم الله خنازير ذلك
اللعن والتعذيب بعصيانهم واستحلالهم المعاصي وقتلهم الانبياء عليهم السلام بغير حق ثم بين الله تعالى
سبب المعصية والكفر فقال تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم بعضا عن قبيح
يعملونه واصطلحوا على الكف عن نهي المنكر لبئس ما كانوا يفعلون ودخول اللام في لبئس للقسم والتوكيد

صح

قوله عز

قوله عز وجل ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا اي ترى يا محمد كثيرا من اليهود يوالون مشركي العرب على معاداتك
ومحاربتك يعني كعب بن الاشرف واصحابه • وقيل معناه ترى كثيرا من المنافقين يتولون اليهود لبئس ما قدمت لهم
انفسهم اي بئس ما عملوا لانفسهم حين سخط الله عليهم وموضع ان سخط نصب على تأويل بئس الشيء ذلك لان
اكسبهم السخط فانتصب ان بالاكون ويجوز ان يكون موضعه رفعا على اضمار هو تقديره هو ان سخط الله عليهم
وفي العذاب هم خالدون اي مقيمون دائمون قوله تعالى ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما
اتخذوهم اولياء معناه لو كان اليهود يصدقون بوحدانية الله وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن
المنزل اليه ما اتخذوا كفار قريش وسائر عبدة الاوثان احبا في العون والنصرة على حرب النبي صلى الله عليه وسلم
ولكن كثيرا من اليهود خارجون عن الطاعة ناقضوا العهد قوله عز وجل لتجدن اشد الناس عداوة للذين
آمنوا اليهود والذين اشركوا اي لتجدن يا محمد اشد الناس عداوة لك والذين آمنوا اليهود وهم يهود بني قريظة
والنضير وفدك وخيبر كانوا اشد اليهود عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين • وروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما خلا يهودي بمسلم الا هم بقتله قوله تعالى والذين اشركوا
يعني مشركي العرب كانوا في العداوة مثل اليهود قوله تعالى ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا
انا نصارى لم يرد به جميع النصارى مع ما فيهم من عداوة المسلمين وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم
وقتلهم واسرهم واحراق مصاحفهم وانما نزلت هذه الآية في النجاشي واصحابه • قال ابن عباس وسعيد
بن جبير والسدي نزلت هذه الآية في النجاشي واصحابه وكان النجاشي ملك الحبشة نصرانيا قبل ظهور الاسلام
ثم اسلم هو واصحابه • قال المفسرون ائتمرت قريش ان يفتنوا المسلمين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من
فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله منهم من شاء ومنع الله النبي صلى الله
عليه وسلم بعمه ابي طالب • فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما باصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر
بالجهاد امرهم بالخروج الى ارض الحبشة • وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا
اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا واراد به النجاشي واسمه اصحمة وهو بالحبشية عطية • وانما
النجاشي اسم الملك كقوله كسرى وقيصر فخرج اليه سرا احد عشر رجلا واربع نسوة وهم عثمان بن

عفان وامراته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن
بن عوف وابو حذيفه بن عتبه وامراته سهلة بنت سهيل ومصعب بن عمير وابو سلمة وامراته ام سلمه
وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامراته ليلى بنت حثمه وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضا فخرجوا الى البحر
واخذوا سفينه بنصف مثقال الى الحبشه وذلك فى رجب فى السنه الخامسة من عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى • ثم خرج جعفر بن ابى طالب وتتابع المسلمون وكان جميع من هاجر الى
الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوا النسا والصبيان • فلما علمت قريش بذلك وجهت عمرو بن العاص وصاحبه
بالهدايا الى النجاشى والى بطارقته ليردوهم اليهم فعصمهم الله وقد ذكرنا هذه القصة فى سورة آل عمران
فلما انصرفا خائبين اقام المسلمون هناك بخير دار واحسن جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعلا امره وذلك فى سنه ست من الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشى على يدى عمرو
بن امية الضمرى ليزوجه ام حبيبه بنت ابى سفيان وكانت هاجرت اليه مع زوجها فمات زوجها •
فارسل النجاشى الى ام حبيبه جارية يقال لها نزهة فاخبرتها بخطبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
اياها فاعطتها اوضاحا لها سرورا بذلك وامرها ان توكل من يزوجها فوكلت خالد بن سعيد بن العاص
فانكحها على صداق اربعماية مثقال وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشى وانفذ الصداق
الى ام حبيبه على يدى نزهة فلما جاءتها بذلك اعطتها خمسين مثقالا • فقالت نزهة ان الملك امرنى ان
لا اخذ منك شيئا فردته اليها ولم تاخذ • ثم قالت لها نزهة انا صاحب دهن الملك وثيابه وقد
صدقت بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنت به فحاجتى اليك ان تقريه منى السلام • ثم امر الملك نساءه
ان يبعثن الى ام حبيبه بما عندهن من عود وعنبر • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عليها
ولا ينكره • قالت ام حبيبه فخرجنا فى سفينتين وبعث معنا النجاشى الملاحين فلما خرجنا من البحر ركبنا الظهر
الى المدينه ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فخرج من خرج اليه فاقمت بالمدينه حتى قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فكان يسالنى عن النجاشى فبلغته سلام نزهة فرد
عليها السلام وانزل الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة يعنى ابا سفيان

ومودة تزويج ام حبيبه • ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ادرى انا بفتح خيبر اسر ام بقدوم
جعفر • وبعث النجاشى بعد ان قدم جعفر المدينه ابنه ازها بن اصحمه فى ستين راكبا من الحبشه وكتب
اليه يا رسول الله انى اشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك
واسلمت لله رب العالمين وقد بعثت اليك ابنى وان شئت ان اتيك بنفسى فعلت والسلام عليك
يا رسول الله فركبوا سفينه فى اثر جعفر واصحابه • فلما بلغوا وسط البحر غرقوا وكان جعفر يوم وصل
المدينه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل فى سبعين رجلا منهم اثنان وستون من الحبشة
وثمانيه من اهل الشام منهم بحيرا الراهب قرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى اخرها
فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان انزل على عيسى عليه السلام فانزل الله فيهم
لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين
قالوا انا نصارى يعنى وفد النجاشى الذين قدموا مع جعفر وهم سبعون • وقال مقاتل والكلبى
كانوا اربعين رجلا اثنان وثلثون من الحبشه وثمانية من اهل الشام • وقال عطا ثمانون رجلا اربعون
من اهل نجران واثنان وثلثون من الحبشه وثمانيه من الروم من اهل الشام • قال قتادة نزلت هذه
الاية فى النصارى الذين هم متمسكون بشريعة عيسى عليه السلام يعنى ان النصارى كانوا اقل مظاهرة
للمشركين من اليهود فقوله واذا سمعوا على هذا التاويل معناه وان منهم من اذا سمعوا ومنهم قوم اذا
سمعوا وفى الاية ما يشهد لهذا القول ايضا لان الله تعالى وصفهم بقرب مودتهم للمسلمين ولم يصفهم لانهم
يوادون المسلمين • ولا يجوز ان يعتقد احد ان فى الاية مدحا للنصارى واخبارا انهم خير من
اليهود الا فى معنى شدة العداوة لان من امعن النظر فى مقالة اليهود والنصارى علم ان مقالة النصارى
اظهر فسادا من مقالة اليهود لان اليهود يقر بالتوحيد فى الجملة وان كانت فيهم مشبهه بنقض القول
بالتوحيد بالتشبيه • والنصارى لا يكونون مقرين بالتوحيد بوجه من الوجوه قوله عز وجل
ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا معناه ان قرب مودة النصارى للمسلمين وقلة مظاهرتهم للمشركين
بان من النصارى قسيسين اى علما وعبادا اصحاب الصوامع وانهم لا يستكبرون عن اتباع الحق اذا تبين لهم

والقسيس في اللغه ماخوذ من القس وهو الشر يقال قس فلان الاذى اذا تبعه • والقس النميمة ايضا
والرهبان العباد اصحاب الصوامع • وقال قطرب القسيس العالم بلغة الروم والرهبان جمع راهب
مثل فارس وفرسان وراكب وركبان وقد يكون رهبان واحد وجمعه رهابين مثل قربان
وقرابين وهو من قول القايل رهب الله اى خافه قوله عز وجل واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى
اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قال ابن عباس هم اربعون رجلا قدموا مع جعفر بن ابى طالب
من الحبشه اثنان وثلثون من الحبشه وثمانيه من الشام • فلما قرا عليهم النبى صلى الله عليه وسلم
القرآن عرفوه وقواله ففاضت اعينهم ولم يستكبروا ان يدخلوا فى دينه • ومعنى الاية واذا سمعوا
قرآن ترى الدمع تسيل من اعينهم بمعرفتهم الحق من صفه محمد صلى الله عليه وسلم ونعته فى كتابهم
يقولون ربنا آمنا اى صدقنا بوحدانيتك وكتابك ورسولك فاكتبنا مع الشاهدين اى مع من شهد
من انبيايك ومومنى عبادك بانك واحد لا اله غيرك اى اجعلنا فى جملتهم • قال ابن عباس فلما رجعوا
الى قومهم لاموهم على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقالوا لهم تركتم ملة عيسى عليه
السلام ودينا بابيكم فردوا عليهم كما قال الله عز وجل وما لنا لا نومن بالله وما جاءنا من الحق اى ما لنا
لا نومن بوحدانية الله وما تبين لنا من الكتاب والرسول ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
اى ونحن نرجوا ان يدخلنا ربنا فى الاخرة الجنة مع صالحى امة محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
فاثابهم الله بما قالوا جنات اى جازاهم الله بان اوجب لهم الجنة فى الاخرة لقولهم ربنا آمنا وقولهم
وما لنا لا نومن بالله جنات اى بساتين تجرى من تحت شجرها ومساكنها وغرفها انهار الماء والعسل والخمر
واللبن خالدين فيها ابدا وذلك جزاء المحسنين اى ذلك الثواب جزاء الموحدين المخلصين قوله تعالى والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اى والذين جحدوا وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن فماتوا على ذلك
فهم اهل النار الشديد الوقود قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا
قال المفسرون جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فذكر النار ووصف القيمة فرق الناس و
بكوا فاجتمع جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ابو بكر وعمر وعلى وعبد الله

بن مسعود وعثمان بن مظعون الجمحى والمقداد وعبد الله بن عمرو وابو ذر وسالم مولى ابو حذيفه وسلمان
الفارسى وعمار بن ياسر ومعقل بن مصرف رضى الله عنهم وتواثقوا فى دار عثمان بن مظعون ان يصوموا
النهار ويقوموا الليل ويرفضوا الدنيا ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم ويعتزلوا النسا ولا ياكلوا اللحم
ولا دسما ويلبسوا المسوح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله فيهم هذه الاية و
معناها لا تحرموا على انفسكم طيبات ما احل الله لكم من الطعام والشراب واللباس والجماع ولا تظلموا انفسكم
بقطع المذاكير ولا تعتدوا اى لا تجاوزوا حدود الله بتحريم حلاله فان محرم ما احل الله كمحل ما حرم
الله قوله تعالى ان الله لا يحب المعتدين لا يرضى عمل المعتدين على انفسهم المتجاوزين حدود الله قوله تعالى
وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اى كلوا مما رزقكم الله من الطعام والشراب حلالا احله الله لكم
واتقوا الله الذى انتم به مومنون وقيل انه لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم اتى دار
عثمان بن مظعون فلم يجده فقال لامراة عثمان بن مظعون ام حكيم بنت امية واسمها الخولا وكانت عطارة
احق ما بلغنى عن زوجك واصحابه فكرهت ان تكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم و
كرهت ان تبدى على زوجها فقالت يا رسول الله ان كان اخبرك عثمان فقد صدق فرجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم • فلما جاء عثمان اخبرته زوجته بذلك فمضى الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فساله النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نعم • فقال عليه السلام اما انى لم اومر بذلك
ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم
والدسم واتى النساء ومن رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم • وقال ما بال قوم حرموا النساء
والطعام والطيب والنوم اما انى لا امركم ان تكونوا قسيسين ولا رهبانا فانه ليس من دينى ترك اللحم
والنسا واتخاذ الصوامع فان سياحة امتى الصوم ورهبانيتهم الجهاد فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيا
وحجوا واعتمروا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان
قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم • وعن سعيد بن المسيب قال جاء عثمان بن مظعون الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان نفسى تحدثنى بان اختصى قال مهلا يا عثمان

فان اختصاء امتي الصيام • قال يا رسول الله ان نفسي تحدثني ان اترهب في رؤوس الجبال • قال مهلا يا عثمان فان ترهب
امتي الجلوس في المساجد لانتظار الصلوة • قال يا رسول الله ان نفسي تحدثني ان اخرج منها لكله • قال مهلا
يا عثمان فان صدقتكم يوما بيوم وتعف نفسك وعيالك وترحم المساكين واليتيم فتعطيهما افضل من ذلك •
قال يا رسول الله ان نفسي تحدثني ان اطلق امراتي خولة • قال مهلا يا عثمان فان الهجرة في امتي من هجر ما حرم الله
عليه او هاجر الي في حياتي او زار قبري بعد وفاتي ومات وله امراة او امراتان او ثلاث او اربع • قال يا رسول
الله فان نهيتني لا اطلقها فان نفسي تحدثني ان لا اغشاها • قال مهلا يا عثمان فان المسلم اذا غشي امراته و
ما ملكت يمينه فلم يكن له من وقعته تلك ولد كان له وصيفا في الجنة وان كان له من وقعته تلك ولد فان مات
قبله كان له فرطا وشفيعا يوم القيمة وان مات بعده كان له نورا يوم القيمة • قال يا رسول الله ان نفسي
تحدثني ان لا اكل اللحم • قال مهلا يا عثمان فاني احب اللحم واكله اذا وجدته ولو سالت ربي ان يطعمنيه
في كل يوم لاطعمنيه • قال يا رسول الله فان نفسي تحدثني ان لا امس الطيب • قال مهلا يا عثمان فان جبريل
عليه السلام امرني بالطيب غبا • وقال يوم الجمعة لا مترك له يا عثمان لا ترغب عن سنتي فان من رغب عن
سنتي ثم مات قبل ان يتوب صرفت الملئكة وجهه عن حوضي يوم القيمة • وعن ابي موسى الاشعري رضي الله
عنه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل لحم الدجاج ورايته ياكل الرطب والبطيخ • وعن
ابن عباس انه قال كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك ثنتان سرف ومخيلة • وعن عايشه رضي الله
عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ياكل الدجاج والفالوذج وكان يعجبه الحلوا والعسل • و
قال ان المومن حلو يحب الحلاوة • وقال ان في بطن المومن زاوية لا يملاها الا الحلوا • وروي ان الحسن كان
ياكل الفالوذج فدخل عليه فرقد السبخي فقال يا فرقد ما تقول في هذا قال لا اكله ولا احب اكله فاقبل
الحسن على من عنده كالمتعجب فقال لعاب النحل ولباب البر مع سمن البقر هل يعيبه مسلم • وجاء رجل الى الحسن
فقال له ان لي جارا لا ياكل الفالوذج قال ولم قال لا يؤدي شكره قال اتشرب الماء قال نعم قال ان جارك هذا
جاهل ان نعمة الله عليه في الماء البارد اكثر من نعمته في الفالوذج قوله عز وجل **لا يؤاخذكم الله باللغو
في ايمانكم** قال ابن عباس هو ان يحلف الرجل بالله في الشيء يرى انه كذلك • وقالت عايشه هو قول الرجل

البارد صح

لا والله

لا والله وبلى والله يصل به كلامه ولا يعقد عليه قلبه واللغو في اللغة هو الكلام الساقط
الذي لا يعتد به قوله تعالى **ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان** اي بما وكدتم الايمان • قرا اهل
الحجاز وحفص وابو عمرو عقدتم بالتشديد بمعنى وكدتم • وقرا اهل الكوفة الا حفصا بالتخفيف
ومعناه ان يحلف الرجل على امر في المستقبل ليفعل ثم لا يفعله او يحلف ان لا يفعله ثم يفعله فمن قرا
عقدتم بالتشديد فمعناه المبالغة والتاكيد • وفايدته ان يعقدها في قلبه ولفظه ولو عقدها
في احدهما دون الاخر لم يكن معتقدا وهو كالتعظيم • وكان ابو الحسن الكرخي رحمه الله يقول
قراة التشديد لا يحتمل الا العقد بالقول • وقراة التخفيف يحتمل عقد القلب وهو العزيمة
والقصد الى القول ويحتمل عقد اليمين قولا يقال عقدت على امر كذا اذا عزمت عليه • وقيل ان الاصح
ان المراد بالعقد القول لانه لا خلاف بين الايمة ان القصد الى اليمين لا يتعلق به وجوب الكفارة
فان وجوبها متعلق باللفظ دون القصد • ويحتمل ان يكون معنى التشديد انه متى اعاد اليمين على
وجه التكرار وهو يريد التكرار لا يلزمه الا كفارة واحدة • وقرا اهل الشام عاقدتم بالف وهو من
المعاقدة وهو ان يحلف الرجل لصاحبه على مسالته او يحلف كل واحد منهما لصاحبه قوله تعالى
فكفارته اطعام عشرة مساكين اي كفارة ما عقدتم من الايمان عند الحنث اطعام عشرة مساكين من اعدل ما
تطعمون اهليكم غداء وعشاء لا وكس ولا شطط • وقيل معناه من وسطه في الشبع ولا يفرط في
الاكل ولا يكون دون المغني عن الجوع فان اراد ان يطعمهم الطعام تمليكا اعطى لكل مسكين نصف صاع
من حنطة عند اصحابنا هكذا روي عن عمر وعلي وعايشه • وقال الشافعي مدا بمد النبي صلى الله
عليه وسلم والمد رطل وثلث وهكذا روي عن زيد بن ثابت وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم اجمعين
واما غداهم وعشاهم فلا عبرة بمقدار الطعام الا ان يكون فيهم صبي صغير لا يستوفي الا شيا يسيرا
فلا يعتد به حينئذ • وانما قالوا يغديهم ويعشيهم لان ذلك اوسط طعام الاهل لان اكثر الاكل ثلاث مرات
واقله وجبه والاوسط الغالب امران • وقال سعيد بن جبير يعطى لكل مسكين مدين مد لطعامه و
مد لادامه • وسيل شريح عن الكفارة فقال الخبز والزيت فقال له السايل رايت ان اطعمت الخبز واللحم

عقدتم صح

قال ذلك رفع طعام اهلك وطعام الناس • وعن ابن مسعود وابن عمران اعلاه ما تطعم الاهل الخبز واللحم
والادون الخبز البحت بغير ادام والاوسط الخبز مع السمن ونحوه • وظاهر الاية تقتضي انه اذا اعطا مسكينا
واحدا طعام العشرة لا تقع الا عن الواحد الا ان اصحابنا انما اختاروا دفع ذلك الى الواحد في عشرة ايام على
اعتبار المعنى لان الماخوذ على الحانث سد عشر خلات ولا فرق بين سد خلة الواحد في عشرة ايام وسد خلة العشرة
في يوم واحد قوله تعالى او كسوتهم قرا السلمي او كسوتهم بضم الكاف وهما لغتان ومعنى الاية او كسوة عشرة
مساكين وادنى ما يجوز في الكسوة ثوب واحد ردا او قميصا او ازارا او قبا او كسا واما القلنسوة والخمار
والعمامة والسراويل فلا يجوز عن الكسوة في ظاهر الرواية • وروى عن محمد ان السراويل يجزى لجواز الصلوة
فيها للرجل • وعند الشافعي يجوز السراويل والعمامة • وعند سعيد بن المسيب والضحاك يجب لكل مسكين
ثوبان قوله تعالى او تحرير رقبة معناه او اعتاق مملوك يستوي فيه الذكر والانثى والصغير والكبير وظاهر
اللفظ تقتضي رقبة سليمة من العاهات لانه اسم للشخص بكماله الا ان الفقها اتفقوا ان النقص اليسير لا يمنع
جوازها ولا يجوز عتق ام الولد والمعتق بعضه بالاجماع • واما المدبر فالخلاف فيه كالخلاف في بيعه
واما المكاتب فيجوز عتقه عن الكفارة اذا لم يؤد شيئا من الكتابة عندنا • وقال الشافعي لا يجوز ويجوز
عندنا عتق الرقبة الكافرة والمؤمنة في كفارة اليمين والظهار لان الرقبة مبهمة فيهما الا العبد المرتد
فانه لا يجوز لانه غير محقون الدم • وقال الشافعي لا يجوز قياسا على كفارة القتل قوله تعالى فمن لم يجد
فصيام ثلثة ايام معناه اذا لم يكن له فضل عن مكسبه وثياب بدنه وما يتاثث به فمنزله مقدار ما
يطعم عشرة مساكين او يكسوهم او يعتق رقبة فعليه صيام ثلثه ايام وظاهر الاية تقتضي انه يجرى في
الصيام التفريق وهو قول مالك والشافعي • وفي قراة ابن مسعود وابي بن كعب فصيام ثلثة ايام متتابعات
وعن ابن عباس ومجاهد وابراهيم وقتادة وطاوس انهم قالوا هي متتابعات قوله تعالى ذلك كفارة ايمانكم
اذا حلفتم اي ذلك الذي ذكرت لكم وامرتكم به كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم وقوله تعالى واحفظوا
ايمانكم اي احفظوها من الحنث وهذا اذا لم تقع اليمين على منع واجب او فعل معصية • واما اذا كانت
اليمين على منع واجب او فعل معصية فعلى الحالف ان يحنث نفسه ويكفر عن يمينه • ويقال معناه

احفظوا

احفظوا ايمانكم راعوا الفاظ ايمانكم ليعلم الرجل ما حلف عليه فيكفر اذا حنث • ويقال معناه لا تحلفوا كما
قال الشاعر • قليل الالايا حافظ ليمينه • اذا بدرت منه الالية برت • والتاويل الاول اقرب الى ظاهر الاية
لان الانسان لا يؤمر بحفظ الشيء المعدوم لا يقال لمن لا مال له احفظ مالك وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم
اياته لعلكم تشكرون اي هكذا يبين الله لكم امره ونهيه كما بين كفارة اليمين لكي تشكروا انعامه وبيانه قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه الميسر هو
القمار كله والانصاب هي الاحجار كانوا ينصبونها ويعبدونها والازلام هي الازلام التي كانوا يحيلونها عند
العزم على الميسر نهى الله عن هذه الاشيا وحرمها بابلغ اسباب التحريم لانه تعالى سماها كلها رجسا
والرجس هو الشيء المستقذر النجس الذي يرتفع ذكره بالقبح يقال رجس الرجل رجس ورجس رجس
والرجس بفتح الراء شدة الصوت ورعد رجاس اذا كان شديد الصوت وسميت هذه المعاصي رجسا لوجوب
اجتنابها كما يجب اجتناب الشيء المستقذر وقوله عز وجل من عمل الشيطان اي من تزيينه لانه هو الداعي
اليه والمرغب فيه والمزين له في قلوب فاعليه وقوله تعالى فاجتنبوه امر بالاجتناب وهو تركه جانبا
وظاهر الامر على الوجوب • وروى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى لا يجمع الخمر والايمان في قلب مؤمن ابدا • وقال صلى الله عليه وسلم
مدمن الخمر كعابد الوثن ومن شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الاخرة • وقال صلى الله
عليه وسلم من شرب الخمر في الدنيا سقاه الله من سم الاساود وسم العقارب اذا شربه يساقط
لحم وجهه في الانا قبل ان يشربها فاذا شربها يفسخ لحمه كالجيفة يتاذى به اهل الموقف ومن
مات قبل ان يتوب من شرب الخمر كان حقا على الله ان يسقيه بكل جرعة شربها في الدنيا شربة من
صديد جهنم • وقال صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبايعها ومبتاعها
وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه واكل ثمنها • وقال صلى الله عليه وسلم اجتنبوا
الخمر فانها مفتاح كل شر • وقال صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر بعد ان حرمها الله على لساني
فليس له ان يزوج اذا خطب ولا يصدق اذا حدث ولا يشفع اذا شفع ولا يؤتمن على امانة

فمن اتمه على ما نه فاستهلكها فحق على الله تعالى ان لا يخلف عليه قوله عز وجل إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ
أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وذلك ان من شرب الخمر وسكر زال عقله وارتكب الفضايح
وربما عربد على جلسائه فيؤدي ذلك الى العداوة والبغضا وكذلك القمار يؤدي الى ذلك • قال قتادة
كان الرجل يقامر غيره على ماله واهله فيقمره ويبقى حزينا سليبا فيكسبه العداوة والبغضاء لذهاب ماله
عنه بغير عوض ولا منة قوله وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ اي يريد الشيطان ان يصرفكم عن طاعة الله وعن
الصلوات الخمس على ما هو معلوم في العادة من احوال اهل الشراب والقمار قوله تعالى فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ معناه
انتهوا عنهما وهذا نهي بالطف الوجوه ليكون ادعا الى الانتها كما قال تعالى فهل انتم مسلمون معناه اسلموا فلما
نزلت هذه الآية قالوا انتهينا يا رب فانزل الله تعالى قوله تعالى وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا
اي اطيعوا الله والرسول في ترك جميع المعاصي عموما واحذروا شرب الخمر وتحليلها وساير المعاصي فَإِنْ
تَوَلَّيْتُمْ اي اعرضتم عن طاعة الله وطاعة الرسول فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا تبليغ الرسالة عن الله باوامره ونواهيه
بلغة تعرفونها • واما التوفيق والخذلان والثواب والعقاب فالى الله عز وجل فلما نزل تحريم الخمر والميسر •
قال الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر حتى قال المهاجرون يا رسول الله
قتل صحابنا يوم بدر وماتوا فيما بين بدر واحد وهم يشربون فما حال من مات منهم فانزل الله قوله
تعالى لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا اي فيما شربوا من الخمر إِذَا مَا اتَّقَوْا الشرك وَآمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا الخمر والميسر بعد تحريمها ثُمَّ اتَّقَوْا ما حرم الله كله وَأَحْسَنُوا وقيل معناه ليس
على الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات يعني الطاعات جناح اي حرج واثم فيما طعموا من الحلال
وشربوا من الخمر قبل تحريمها وقبل العلم بتحريمها اذا ما اجتنبوا الكفر والشرك وساير المعاصي فيما مضى وآمنوا
اي وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وعملوا الطاعات ثم اتقوا شرب الخمر بعد التحريم وآمنوا
اي اقروا بتحريمها ثم داموا على الاتقا وضموا الى ذلك الاحسان في العمل • وقيل اراد بالاتقا الاول اتقا جميع
المعاصي فيما مضى واراد بالثاني اتقا المعاصي في المستقبل • واراد بالثالث اتقا ظلم العباد في المعاملات
وقيل اراد بقوله اذا ما اتقوا وآمنوا اذا ما اجتنبوا شرب الخمر بعد تحريمها وصدقوا بتحريمها ثم اتقوا ساير

المعاصي

المعاصي واقروا بتحريم كل ما تحدث تحريمه من بعد مع مجانبته ثم جمعوا بين اتقا بين المعاصي واحسان
العمل والاحسان الى الناس قوله تعالى وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ اي يرضى عمل الذين يفعلون الافعال الحسنة و
يجتنبون قبايحها • وروي عن ابي عبد الرحمن السلمي انه قال شرب نفر من اهل الشام الخمر وعليهم يومئذ يزيد بن
ابي سفيان وقالوا هي لنا حلال وتاولوا قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
الى آخر الآية وكتب يزيد بذلك الى عمر رضي الله عنه فكتب اليه عمر ابعثهم الي قبل ان يفسدوا من معك
فبعثهم اليه فلما قدموا جمع عمر رضي الله عنه جماعة فقال لهم ما ترون فيهم قالوا انهم افتروا على الله
وشرعوا في دينه ما لم ياذن فاضرب اعناقهم وكان في القوم علي كرم الله وجهه وهو ساكت فقال له عمر
ما ترى قال ارى ان تستتيبهم فان تابوا فاضربوهم ثمانين جلدة وان لم يتوبوا فاضربوا اعناقهم فاستتابهم
فتابوا فضربهم ثمانين وارسلهم • وروي ان قوما شهدوا عند عمر رضي الله عنه على قدامه بن مظعون
انه يشرب الخمر فاراد عمر ان يجلده فقال قدامه ليس لك ذلك لان الله يقول ليس على الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جناح فيما طعموا وقرا الآية فقال عمر رضي الله عنه انك اخطات التاويل يا قدامه ولو اتقيت الله
ما شربت وفي بعض الروايات لو اتقيت الله اجتنبت ما حرم عليك ثم امر باقامة الحد عليه وانما لم يحكموا بكفر
قدامة ولم يستتيبوه لانه كان يتاول الآية على الحال التي هو فيها ووجود الصفة التي ذكر الله تعالى في هذه
الآية مكفرة لذنوبه وانه لا يستحق العقوبة على شربها مع اعتقاده لتحريمها وان احسانه كفر سياته فردت
الصحابه عليه هذا التاويل فاقيم عليه الحد قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ
تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ اي ليعاملنكم الله معاملة المختبر ليجازيكم على ما يظهر منكم قوله تعالى من الصيد
اختلفوا فيه • فقال بعضهم من هاهنا للتبعيض واراد بذلك صيد البر دون صيد البحر وصيد الاحرام دون الاحلال
وقال بعضهم من هاهنا للتجنيس كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان معناه اجتنبوا الرجس الذي هو وثن
وقال بعضهم اراد بقوله بشيء من الصيد بما يكون من جز الصيد وان لم يكن صيدا كالبيض والفرخ والريش والآية
شاملة بجميع هذه المعاني قوله تعالى تناله ايديكم ورماحكم اي تاخذونه بايديكم من فراخ الطير وصغار
الوحش والبيض وما نصيبه برماحكم من كبار الصيد التي لا تصاد باليد وقوله تعالى لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ

بشيء صح

الثامن وعشرون

بالغيب اى ليميز الله من يخافه ممن لا يخافه فى السر بنيه وبين الله تعالى قوله تعالى فمن اعتدى بعد ذلك اى من تجاوز
الحد فى اخذ الصيد التربع الاحرام واخذ الصيد فى الحرم بعد البيان له والنهى عنه فله عذاب اليم يعنى التعزير والكفارة
فى الدنيا تفرق الضرب على اعضائه كلها ما خلا الوجه والراس والفرج فيضرب ضربا وجيعا ويومر بالكفارة ويكون
هذا المتعدى ماخوذا بعذاب الاخرة ان لم تقبل التوبة قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم
حرم روى انها تين الايتين نزلتا بالحديبية وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم محرمين وكان
الصيد من الوحش والطير يغشى رحالهم وفى قوله وانتم حرم وجهان احدهما وانتم محرمون بحج او عمرة والثانى
وانتم داخلون فى الحرم وقوله تعالى لا تقتلوا الصيد دليل ان كل ما يقتله المحرم من الصيد لا يكون مذكا لان الله
تعالى سمى ذلك قتلا فلا يجوز اكل المقتول وانما يجوز اكل المذبوح على شرط الذكاة • والصيد فى اللغة اسم لكل
ممتنع متوحش فلا يفترق الحكم فى وجوب الجزاء بين الماكول منه وبين غير الماكول روى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم الحية والعقرب والغراب والفارة والكلب العقور واراد بالكلب
العقور الذيب على ما ورد فى بعض الروايات قوله تعالى ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم
روى انه نزل فى كعب بن عمرو عرض له حمار وحش فطعنه برمح فقتله ولم يكن علم بنزول اية التحريم • واختلفوا
فى صفة القتل الموجب للجزاء والكفارة فى قتل الصيد • فقال الاكثرون من اهل العلم سوا قتل المحرم الصيد عمدا او خطا
فعليه الجزاء • وجعلوا فايدة تخصيص العمد بالذكر فى هذه الاية ما فى نسقها بقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله
منه لان المخطى لا يجوز ان يلحقه الوعيد • والقول الثانى ما روى عن قتادة وطاوس وعطا انهم قالوا لا شى على الخاطى
وهو رواية عن ابن عباس • والقول الثالث وهو قول مجاهد والحسن المراد به اذا قتله ناسيا لاحرامه وحصل
القتل عمدا وهذا القول يقتضى ان غير العامد لقتله الذاكر لاحرامه لا يومر بالكفارة ولكن الله يعاقبه فى الاخرة
على فعله وعلى هذا التاويل قالوا ان معنى قوله ومن عاد فينتقم الله منه اى عاد الى هذا الفعل من بعد العلم بالنهى كانت
عقوبته النقمة ينتقم الله منه • وقال اخرون هو القتل عمدا وهو ذاكر لاحرامه فحكم عليه فى العمد والخطا والكفارة
والجزاء وهو اختيار الشافعى • وقال الزهرى نزل القران بالعمد وجرت السنة بالخطا • وقال ابن عباس ان قتله عمدا سيل
هل قتلت قبله شيا من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه ويقال له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقتل

قبله

قبله شيا من الصيد حكم عليه فان عاد الى قتل الصيد ثانيا وهو محرم بعد ما حكم لم يحكم عليه ثانيا وملا بطنه
وظهره ضربا وجيعا وعندنا اذا عاد حكم عليه ثانيا وعليه الجمهور • وقال بعضهم اذا قتله عمدا وهو ذاكر لاحرامه
فلا حكم عليه وامره الى الله لانه اعظم من ان يكون له كفارة والقول الاول اصح هذه الاقاويل كلها لان سائر جنايات الاحرام
لا تختلف بين المعذور وغير المعذور وان الله احل للمحرم المريض حلق الراس على الاذى واوجب عليه الفدية قوله تعالى
فجزاء مثل ما قتل من النعم نونه اهل الكوفة ورفعوا المثل على البدل عن الجزا كانه فسر الجزا اى فعليه جزا مثل الصيد
المقتول من النعم • وقرا الباقون بالاضافة ومعناه عليه ان يجزى بمثل المقتول اى يشترى بقيمته من النعم فيذبح وقد
يجوز اضافة الشى الى نفسه كما يقال ثوب خز وباب حديد ويوم الجمعة ويحتمل ان يكون معناه عليه جزا مثل النعم المقتول
ومثل نعم المقتول قيمته من جهة الحكم وقوله تعالى هديا منصوب على الحال اى يحكمان به ويقدر ان يهدى قوله تعالى
بالغ الكعبة لفظه لفظ المعرفة ومعناه النكرة كانه قال بالغا الكعبة الا ان التنوين حذف استخفافا وكنى بالكعبة عن الحرم
لان حرمته لاجل الكعبة وفى ذكر بلوغ الكعبة بيان اختصاص هدى الجزا بالحرم وانه لا يجوز ذبحه الا فيه
ومعنى قوله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم اى فعلى القاتل الفدا مثل المقتول من النعم والنعم فى اللغة من
الابل والبقر والغنم فاذا انفردت الابل قيل انها نعم واذا انفردت البقر والغنم لم يسم نعما • واختلف اهل
العلم فى كيفية الجزا • فقال ابو حنيفة وابو يوسف ينظر الحكمان العدلان من اهل المعرفة الى الصيد المقتول
فيقومانه حيا فى ذلك المكان وذلك الزمان فاذا عرفت القيمة خير القاتل فان شاء اشترى بتلك القيمة
هديا من النعم فذبحه فى الحرم وان شاء اشترى بها طعاما فاطعمه المساكين الحرم وغيرهم كل مسكين نصف
صاع من البر او صاعا من تمر او شعير كما فى الكفارات وان شاء صام مكان كل نصف صاع من بر يوما
وان لم يبلغ قيمة الصيد اطعام مسكين صام يوما كاملا اذا اختار الصوم لان الصوم مما لا يتبعض •
وقال محمد والشافعى ان كان للصيد المقتول مثل من النعم من جهة الخلقة كان على القاتل النظير فى الخلقة
فيجب عليه فى النعامة بدنة وفى بقر الوحش بقرة وفى الظبى شاة وفى الغزال عنز وفى الارنب عناق وفى
اليربوع جفرة وان لم يكن للصيد مثل من النعم من جهة الخلقة كان عليه قيمته • وعن محمد ان الخيار فى
هذا الى الحكمين دون الصيد وهو قول مالك قوله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم اى يحكم بالجزا

فقيهاً عدلان فينظران الى اشبه الاشياء به فيحكمان به • وروي عن قبيصة ابن جابر قال خرجنا حجاجاً وكنا اذا
صلينا الغداة اقتدنا رواحلنا نتمشى ونتحدث فبينا نحن ذات غداة اذ سنح لنا ظبي فابتدرته ورميته بحجر
فاصبت حشاه فركب ردعه فمات فلما قدمنا مكة سألنا عمر رضي الله عنه وكان حاجاً وكان عبد الرحمن بن
عوف جالساً عنده فسألته عن ذلك فقال لعبد الرحمن ما ترى قال عليه شاة قال وانا ارى ذلك قال فاذهب
فاهد شاة قال فخرجت الى صاحبي فقلت ان امير المؤمنين لم يدر ما يقول حتى سأل غيره قال فلم يفجانا الا عمر
ومعه الدرة فعلاني بالدرة قال اتقتل في الحرم وتغمص الفتوى قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا
عبد الرحمن قوله تعالى وكفارة طعام مساكين فيه قراءتان احدهما الرفع والتنوين في كفارة والرفع في طعام من
غير تنوين والاخرى الرفع في كفارة بغير تنوين والخفض في طعام على الاضافة قوله تعالى ليذوق وبال امره ليذوق
عقوبة صنعه والوبال ثقل الشيء في المكروه ماخوذ من الوبيل يقال طعام وبيل وماء وبيل اذا كانا ثقيلين
قال الله تعالى فاخذناه اخذاً وبيلاً اي ثقيلاً وشديداً قوله تعالى عفا الله عما سلف اي تجاوز الله عما مضى
من قتل الصيد قبل التحريم قوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه اي من عاد الى قتل الصيد بعد العلم بالتحريم متعمداً
لقتله يعذبه الله في الاخرة ويعاقبه على فعاله واصل الانتقام الانتصار والانتصاف واذا اضيف الى الله
تعالى اريد به المعاقبة والمجازاة قوله تعالى والله عزيز ذو انتقام اي منيع بالنقمة ينتقم ممن عصاه قوله
عز وجل احل لكم صيد البحر وطعامه اي احل لكم اصطياد ما في البحر وطعامه اي ما لفظه البحر وحسر عنه الما
وهذا قول ابي بكر وعمر وابي هريرة • وقال بعضهم طعامه هو المالح وهو قول سعيد بن جبير وعكرمة والنخعي
وقتادة وقوله تعالى متاعاً لكم اي منفعة لكم وهو مصدر مؤكد للكلام اي متعوا متاعاً لكم وقوله تعالى
وللسيارة اي ومنفعة للمارة في السفر • وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في قوم من بني مدلج كانوا اهل الصيد البحر
اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا نصطاد من البحر وربما مد البحر فعلوا الما كل شيء ثم يرجع و
يبقى السمك بالارض ويذهب الما عنه فنصيبه ميتاً فحلال لنا اكله ام لا فانزل الله هذه الآية قوله تعالى
وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً اي وحرم عليكم اصطياد ما في البر ويقال عين صيد البر ما دمتم محرمين
ولا خلاف في الاصطياد انه حرام على المحرم في البر فاما عين الصيد فان صاده حلال فان كان صاده

بامر المحرم او باعانته او دلالته او اشارته حرم على المحرم تناوله وان صاده الحلال بغير امر المحرم حل للمحرم
تناوله كما روي في حديث ابي قتادة قال كنت في رهط من المحرمين وانا حلال فبصرت بحمار وحش فقلت ناولوني
الرمح فابوا فاخذته واثبت الصيد فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكله فقال هل اعنتم هل
اشرتم هل دللتم فقالوا لا قال اذاً فكلوا قوله تعالى واتقوا الله الذي اليه تحشرون اي اتقوا الله في اخذ الصيد
في الاحرام الذي الى موضع جزائه تبعثون قوله عز وجل جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر
الحرام اي جعل الله الكعبة امناً للناس بها يقومون ويامنون وذلك ان الرجل كان اذا اصاب ذنباً في
الجاهلية والاسلام او قتل قتيلاً ولجأ الى الحرم امن بذلك وكانت الكعبة قواماً لمعاشهم وعماداً لهم في امر
دينهم ودنياهم لما يحصل في ذلك من الحج والعمرة والتجارة وما يجبى الى الحرم من ثمرات كل شيء • وقيل معنى
قوله قياماً للناس اي قبلة لهم امروا ان يقوموا في الصلوة متوجهين اليها قوله تعالى والشهر الحرام اي جعل شهر
الحرام امناً ايضاً كانوا اذا دخل الشهر الحرام لم يقتلوا فيه احداً حتى يمضي قوله تعالى والهدي جعل الهدي الذي
يهدى الى البيت امناً للرفقة وجعل القلائد امناً والقلائد البدن من البقر والابل كانوا يقلدونها بنعل وخف
وربما كانوا يقلدون رواحلهم اذا رجعوا من مكة من لحا شجر الحرم فيامنون بذلك وكان اهل الجاهلية
ياكل الواحد منهم القضب والشجر من الجوع وهو يرى الهدي والقلائد فلا يتعرض له تعظيماً له قوله تعالى
ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض معناه ذلك الامر في الجاهلية دليل انه تعالى يعلم ما
في السموات وما في الارض وما فيه صلاح الخلق اذ جعل في اعظم الاوقات فساداً ما يؤمن به وشرع الحج وفيه
مصالح الخلق على نحو ما تقدم قوله تعالى اعلموا ان الله شديد العقاب لمن استحل ما حرم الله وان الله
غفور رحيم لمن تاب قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ اي ما على محمد صلى الله عليه وسلم الا تبليغ الرسالة
في امر الثواب والعقاب والله يعلم ما تبدون اي ما يظهرون من القول والعمل وما تكتمون وليس على محمد طلب
سرائركم ولا يعلم السرائر الا الله عز وجل قوله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب اي قل يا محمد لا يستوي
الحلال والحرام ولو اعجبك كثرة الحرام فمثقال حبة من الحلال ارجح عند الله من جبال الدنيا من حرام • وقيل
معناه لا يستوي الكافر والمؤمن ولو اعجبك كثرة الكافر ولا العدل والفاسق وان كان في الفساق كثرة ولا يبارك

في الحرام وانما يبادك في الحلال فاتقوا الله يا اولي الالباب اي اخشوا عذاب الله في اخذ الحرام يا ذوي العقول لكي تفوزوا
بالنجاة والسعادة في الاخرة قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم قال ابن عباس
رضي الله عنهما لما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت قام رجل من بني اسد فقال يا رسول الله افي كل عام فوجد من
قول ذلك الرجل وجدا شديدا ثم قال له ما كان يومنك ان اقول نعم فيجب عليكم في كل عام فلا تطيقونه فان لم تفعلوه كفرتم
ذروني ما تركتكم • وفي بعض الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فساله الناس عن اشيا فقال لا تسألوني
عن شيء الا حدثتكم به فاكثروا عليه السوال حتى ساله رجل عن الحج افي كل عام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فاعاد
الرجل عليه ثلثا • فقال صلى الله عليه وسلم لو قلت لكم نعم لوجبت ولما استطعتم فقام رجل اخر [فقال صح] افي الجنة
انا ام في النار فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغير لونه • فقال عمر رضينا بالله ربا وبالاسلام
دينا وبك نبيا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فسري عن النبي صلى الله عليه
وسلم الغضب • وروي ان رجلا قال يا رسول الله اين ابي فقال في النار فقام عمر رضي الله عنه وقال رضينا بالله ربا و
بالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن اماما انا يا رسول الله حديثوا عهد بالجاهلية فاعف عنا عفا الله عنك
فسكن غضبه • وروي ان رجلا من قريش يقال له عبد الله بن حذاقة وكان يطعن في نسبه اذا لاحي يدعا لغير ابيه
فقال يا رسول الله من ابي قال ابوك حذاقة • قال الزهري فقالت امه ما رايت ولدا اعق منك قط اكنت يا من
ان تكون امك قد فارقت ما فارق اهل الجاهلية فتفضحها على رؤس الناس • وفي رواية اخرى انه لما قال له
ابوك حذاقة قال يا رسول الله اني فلان قال انك ولد زنية وان الذي ولدت على فراشه كان كبيرا لما فتعرضت
امك لحذاقة فجامعها فاشتملت بك فانزل الله هذه الاية ومعناها يا ايها الذين امنوا بالله ورسوله لا تسألوا
عن اشيا ان اظهر لكم جوابها ساءكم ذلك وان تسألوا عنها عند نزول القرآن اظهر لكم جوابها عفى الله عنها اي عن مسائلكم
لم يواخذكم بالبحث عنها • ويقال اراد بالعفو بالستر عليهم والله غفور حليم اي متجاوز عن العباد حليم عن الجهال
لا يعجل عليهم بالعقوبة قوله عز وجل قد سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين اي قد سال نحو هذه المسائل
قوم من قبلكم • قال ابن عباس كانت بنوا اسرائيل يسالون انبياهم عن اشيا لم تكتب عليهم و لم يومروا بها فاذا بينوا
لهم حكمها لم يفعلوا فعذبهم الله واهلكهم بسبب ذلك كما سال قوم عيسى المايدة ثم كفروا وسال قوم صالح

الناقة

الناقة ثم عقروها وكفروا قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام اي لم يجعل الله ما يقوله
كفار قريش من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي ولكنهم هم الذين جعلوا من ذات انفسهم واختلفوا على الله
بانه حرم هذه الاشيا اكثرهم لا يعقلون وهم السفلة والعوام لا يعقلون بل يقلدون رؤساهم فيما يقولون
واما تفسير البحيرة فقد كانت الناقة اذا نتجت خمسة ابطن نظروا فان كان البطن الخامس ذكرا ذبحوه لالهتهم
وكان لحمه للرجال من سدنة الهتهم ومن ابنا السبيل دون النسا وان مات قبل الذبح اكله الرجال والنسا وان
كان الخامس انثى بحروا اذنها اي شقوها شقا واسعا وهي البحيرة لا تركب ولا تذبح ولا تطرد من ما ولا كلا والبانها
ومنافعها للرجال من السدنة وابناء السبيل دون النسا حتى تموت فاذا ماتت اشترك فيها الرجال والنسا • واما
السائبة فكان اذا قدم الرجل من سفر او برى من مرض او بنا بنا سيب شيا من ذات الانعام وسلمها الى سدنة الهتهم
فيطعمون منه ابنا السبيل من البانها واثمانها الا النسا فانهم كانوا لا يعطونهن منها شيا حتى تموت فاذا ماتت
اكلها الرجال والنسا جميعا • واما الوصيلة فهي من الغنم كانت الشاة اذا نتجت سبعة ابطن فان كان البطن
السابع ذكرا ذبحوه لالهتهم وان كانت انثى صنعوا بها ما يصنعون بالانثى من البحيرة وان كان ذكرا وانثى
قالوا انها وصلت اخاها فلم يذبح الذكر لمكانه منها وكان منافعهما للرجال دون النسا من السدنة
وابناء السبيل الى ان يموت واحد منهما فيشترك فيها الرجال والنساء • واما الحامي فهو الفحل اذا ركب
ولد ولده قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ما ولا مرعى حتى يموت فياكله الرجال
والنسا • وقد روي عن زيد بن اسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اني لاعرف اول
من سيب السوايب واول من غير عهد ابراهيم خليل الله قالوا من هو يا رسول الله قال عمرو بن لحي ولقد رايته
يجر قصبه في النار يوذي اهل النار بريح قصبه • واني لاعرف اول من بحر البحاير قالوا من هو قال رجل من
بني مدلج كانت له ناقتان فجدع اذنيهما وحرم البانهما ثم شربه بعد ذلك ولقد رايته في النار يعضانه
بافواههما ويخبطانه باخفافهما • وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاكثم الخزاعي رايت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فما رايت من رجل اشبه برجل منه بك ولا بك منه وهو
اول من غير دين ابراهيم عليه السلام ونصب الاوثان وبحر البحيرة وسيب السايبه ووصل الوصيلة

وحما الحامي ولقد رايته في النار يؤذي اهل النار بريح قصبه قال اكثم يا رسول الله ايضرني شبهه فقال انك مؤمن
وهو كافر قوله عز وجل واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه
اباءنا معناه اذا قيل لاهل مكة هلموا الى التحليل والتحريم لما انزل الله في كتابه وبينه الرسول في سنته
قالوا يكفينا ما وجدنا عليه اباءنا من الدين والسنة يقول الله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين
والسنة ولا يهتدون لطريق المستقيم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
اي الزموا انفسكم واحفظوها كما يقال عليك زيدا فنصب زيدا على الاغراء بمعنى الزم زيدا كانه تعالى
قال عليكم ايها المؤمنون باصلاح انفسكم ومتابعة سنة نبيكم فانكم اذا فعلتم ذلك لا يضركم ضلالة من
ضل من اهل مكة اذا اهتديتم انتم الى الله مرجعكم في الاخرة جميعا البر والفاجر والمؤمن والكافر فيجزيكم
بما كنتم تعملون من خير او شر ● وقد روي عن السلف في تاويل هذه الاية احاديث مختلفة الظاهر وهي متفقة
في المعنى ● فمنها ما روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال على المنبر ايها الناس انكم تتلون هذه الاية
يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم يعمل بين ظهر
انيهم بالمعاصي فلم يغيروها الا يوشك ان يعمهم الله بعقابه ● وعن ابي امامة قال سالت ابا ثعلبة الخشني
عن هذه الاية فقال لقد سالت عنها خبيرا سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي يا ابا
ثعلبة ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فاذا رايت دنيا موثرة وشحا مطاعا واعجاب كل ذي راي
برايه فعليك نفسك فان من بعدكم ايام الصبر والصبر فيها كالقبض على الجمر والمتمسك فيها بمثل الذي انتم
عليه له كاجر خمسين عاملا منكم ففي هذه الاخبار دليل على ان فرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يسقط
الا عند العجز عن ذلك كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا راى احدكم منكرا
واستطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف
الايمان ● وحكي انه لما مات الحجاج ● قال الحسن رضي الله عنه اللهم انت امته فاقطع عنا سنته
فانه اتانا اخيفش اعيمش يمد بيد قصيرة البنان والله ما عرق فيها في سبيل الله عنان يرجل جمته
ويتبختر في مشيته ويصعد المنبر فيهدر حتى تفوته الصلوة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي فوقه الله

عز وجل

عز وجل وتحته مائة الف او يزيدون لا يقول له قائل الصلوة ايها الرجل ثم جعل الحسن يقول هيهات والله
حال دون ذلك السيف والسوط ● وفي هذا الخبر دليل ان السلف كانوا معذورين في ذلك الوقت في ترك
الانكار باليد واللسان قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية
اثنان قال ابن عباس نزلت هذه الاية في ثلاثة نفر خرجوا من المدينة الى الشام للتجارة احدهم عدي بن بداء و
الاخر عام بن اوس الداري وهما نصرانيان والثالث بديل بن ورقا مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا
فحضر بديل بن ورقا الوفاة وكان مسلما فاوصى الى صاحبيه وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله اذا
رجعا فمات بديل ففتشا متاعه واخذا منه اناء من فضة منقوشا بالذهب كان فيه ثلثمائة مثقال فلما
قدما المدينة وسلما المتاع الى اهله وجد اهله كتابا في درج الثياب فيه اسماء الامتعة فقالوا لهما هل
باع صاحبكما شيئا من متاعه قالا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق شيئا على نفسه قالا لا انما مرض حين قدم
البلد فلم يلبث ان مات ● فقال لهما عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة فانا وجدنا في متاعه صحيفة
فيها تسمية متاعه وفيها اناء منقوش مموه بالذهب فيه ثلثمائة مثقال قالا ما ندري انما اوصى الينا بشيء
وامرنا ان ندفعه اليكم فدفعناه فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا ذلك له
فانزل الله هذه الاية ومعناها يا ايها الذين امنوا شهادة للحال التي بينكم اذا حضر احدكم الموت فاراد الوصية
شهادة اثنين ذوي عدل منكم اي من اهل دينكم وهذه جملة تامة يثبتان ولحكم الشهادة على الوصية في
الحضر والسفر قوله تعالى واخران من غيركم مقيد بالسفر خاصة معناه او اخران من غير اهل دينكم ان انتم
سافرتم في الارض فاصابتكم في السفر مصيبة الموت ولم يكن يحضركم مسلمون قوله تعالى تحبسونهما من بعد
الصلوة اي تقفونهما وهما النصرانيان والمراد بقوله بعد الصلوة بعد صلوة العصر كان النبي صلى الله عليه
وسلم يقضي بعد صلوة العصر وهو وقت اجتماع الناس واهل الكتاب يعظمونه فيقسمان بالله اي الشاهدان
النصرانيان يحلفان بالله اذا ادعا عليهما ورثة الميت بسبب تهمتهم في خيانتهما ويقولان في اليمين لا نشتري
بهذا القول الذي نقوله بانا دفعنا المال جميعه اليكم عرضا يسيرا من الدنيا ولو كان ذا قربى وان كان
الميت ذا قرابة منا في الرحم اي لم نخن في التركة لقرابته منا ● روي انه كان بين الميت المسلم وبين هذين

النصرانيين قرابة في الرحم ومعنى قوله تعالى ان ارتبتم اى شككتم قوله تعالى **ولا نكتم شهادة الله** اى و
يقولون في اليمين ولا نكتم شهادة الله **انا اذا لمن الآثمين** اى العاصين لو كتمناها كما قال تعالى في آية اخرى ومن كتمها
فانه آثم قلبه وانما اضاف الشهادة الى الله تعظيما لها وتهويلا لامرها • وقرا بعضهم شهادةً الله بتنوين شهادة و
نصب اسم الله على معنى لا نكتم الله شهادة • وقرا الشعبي شهادةٌ الله بتنوين شهادة وخفض الهاء من اسم الله موصولا
على القسم تقديره والله • وقرا جعفر شهادة بالتنوين الله بقطع الالف وكسر الهاء على معنى ولا نكتم شهادة الله
بالاستفهام وكسر الهاء فجعل الاستفهام عوضا عن حرف القسم • قال ابن عباس فلما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم صلاة العصر وحلفهما بعد الصلوة عند المنبر بالذي لا اله الا هو انهما لم يخونا شيئا مما دفع بديل
اليهما فحلفا فخلا عليه الصلوة والسلام سبيلهما فمكثا بعد ذلك ما شاء الله ثم ظهر الاناء فبلغ الورثة ذلك
فسالوا الذي بيده الاناء فقال اشتريته من تميم وعدي • وقيل انه لما طالت المدة اظهرا الاناء ولم يبيعاه فقال لهما
الورثة انتما حلفتما فما بال الاناء معكما فقالا انا كنا اشتريناه منه ولم يكن لنا بينة فكرهنا ان نقر به لكم فتاخذوه
فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى قوله تعالى **فان عثر على انهما استحقا
اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان** معناه فان اطلع على ان الوصيين استوجبا ذنبا
بالخيانة واليمين الفاجرة حيث قالا ان الميت لم يبع شيئا من متاعه ثم قالا بعد ظهور الاناء في ايديهما انهما ابتاعاه
منه فآخران من اولياء الميت وهما عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة يقومان مقام النصرانيين الخائنين في اليمين
فيحلفان بالله لشهادتنا بان الاناء لصاحبنا وانهما لا يعلمان بان الميت باعه في حيوته **احق من شهادتهما** اى اعدل
واحق بالقبول من شهادة النصرانيين **وما اعتدينا** فيما ادعينا وحلفنا **انا اذا لمن الظالمين** على نفسنا لو اعتدينا
فقوله من الذين استحق عليهم راجع الى قوله فآخران والاوليان بدل من آخران كانه قال وآخران من الذين استحق
عليهم الوصية وهم ورثة الميت واولياؤه وهما الاوليان بالميت • ويقال الاوليان باليمين يقومان مقام
النصرانيين في اليمين • ويقال معنى استحق عليهم اى استحق فيهم الاثم وهم الورثة استحق النصرانيين الاثم بسببهم
وقد يقام على مقام في كما في قوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل وواحد الاوليان الاولى والجمع الاولون
والانثى الوليا والجمع الوليات والولى • وقرا الحسن وحفص من الذين استحق عليهم بفتح التاء والحاء اى وجب عليهم

الاثم

الاثم ثم قال الاوليان راجع الى قوله وآخران الاوليان ولم يرتفع بالاستحقاق • وقرا الباقون استحق بضم
التاء وكسر الحاء على المجهول يعني الذين استحق فيهم ولاجلهم الاثم وهم ورثة الميت استحق الحالفان بسببهم وفيهم
الاثم • وقرا الحسن من الذين استحق عليهم الاولان قوله تعالى لشهادتنا احق من شهادتهما اى يميننا احق من يمينهما • و
نظيره فشهادة احدهم اربع شهادات بالله اراد الايمان فلما نزلت هذه الآية حلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة فحلفا فدفع المتاع الى اولياء الميت • قال ابن عباس فذكرت
هذه الآية لتميم بعدما اسلم فقال صدق الله وبلغ رسوله انا اخذت الاناء فاتوب الى الله واستغفره و
انما انتقلت اليمين الى الاولياء لان الوصيين صح عليهما الاناء ثم ادعيا انهما ابتاعاه وكذلك لو ادعا رجل على
رجل مالا فاقر المدعا عليه بذلك وادعا انه قضاه فالقول قول صاحب المال مع يمينه • وكذلك اذا
ادعا سلعة في يد رجل فاعترف بذلك ثم ادعا انه اشتراها من المدعي او وهبها منه المدعي • وعن ابن عباس
رضي الله عنهما عن تميم الداري قال بعنا الاناء بالف درهم فاقتسمناها انا وعدي فلما اسلمت تاثمت
من ذلك بعدما حلفت كاذبا فاتيت اولياء الميت فاخبرتهم ان عند صاحبي مثلها فاتوا به الى النبي صلى الله
عليه وسلم فسالهم البينة فلم يكن لهم بينة فامر الاولياء ان يحلفوا فحلفوا فاخذت الخمس مائة من عدي ورددت
انا الخمس مائة فذلك قوله تعالى **ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها** اى ذلك لكم اقرب الى ان تقوم شهود
الوصية الشهادة على وجهها واقرب الى ان يخافوا ان ترد عليهم ايمانهم بعد ايمان المسلمين • ويقال ان ترد
الايمان الى المدعين المسلمين بعد ايمان المدعى عليهم الكفار قوله تعالى **واتقوا الله واسمعوا** اى اخشوه ان
تحلفوا ايمانا كاذبة او تخونوا امانة واسمعوا اى اقبلوا الموعظة **والله لا يهدي القوم الفاسقين** اى لا
يصلح امر الخائنين الخارجين عن طاعة الله • روي عن مجاهد انه اخذ بظاهر الآية وقال اذا مات
المؤمن في السفر ولا يحضره الا كافران اشهدهما على ذلك فان رضي ورثته بذلك والا حلف الشاهدان
انهما صادقان فان ظهر انهما خانا حلف اثنان من الورثة وابطلت ايمان الشاهدين وعن هذا قال شريح لا يجوز
شهادة اليهودي والنصراني على المسلم الا في السفر ولا يجوز في السفر الا على الوصية • وذهب اكثر الفقهاء
الى ان شهادة الكافر لا تقبل على المسلم بوجه من الوجوه لانه روي ان آية الدين من آخر ما نزل من القرآن

وتلك الآية تقتضي جواز نسخ شهادة الكفار على المسلمين لا محالة لان قوله تعالى واستشهدوا شهيدين
من رجالكم يتناول المؤمنين لان الخطاب في تلك الآية توجه اليهم باسم الايمان وهو قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا قوله تعالى **يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا** يعني يوم القيمة ونصب
يوم على اضمار اذكروا واحذروا ويحتمل انه انتصب بقوله واتقوا الله والسؤال للرسل توبيخ للذين ارسلوا
اليهم كما في قوله تعالى واذا الموؤدة سئلت انما تسئل الموؤدة لتوبيخ قاتلها واما قول الرسل لا علم لنا • فقال
ابن عباس والحسن والسدي ومجاهد ان هذا الجواب انما يكون في بعض مواطن القيمة وذلك عند زفرة جهنم وجثوا
الامم على الركب لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا قال نفسي نفسي • فعند ذلك تطير القلوب عن اماكنها فيقول الرسل
من شدة هول المسألة وهول الموطن لا علم لنا **انك انت علام الغيوب** وترجع اليهم عقولهم فيشهدون على قومهم انهم
بلغوهم الرسالة وان قومهم كيف ردوا عليهم • فان قيل كيف يصح ذهول العقل مع قوله تعالى لا يحزنهم الفزع
الاكبر • قيل ان الفزع الاكبر دخول جهنم • وعن ابن عباس ان معنى لا علم لنا اي لا علم لنا الا ما علمتنا فحذف الاستثناء • و
قيل معناه لا علم لنا بتفصيل الامور وقوله تعالى **اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك**
معناه واذكروا ايها المؤمنون اذ قال الله يا عيسى ويجوز ان يكون عطفا على قوله يوم يجمع الله الرسل تقديره
اذ يقول الله يا عيسى بن مريم الا انه ذكر بلفظ الماضي لتقديم ذكر الوقت ومعنى الآية اظهر منتي عليك بالنبوة
وعلى امك بان طهرتها واصطفيتها على نساء العالمين لتكون حجة على من كفر وادعى لك الهًا فيكون ذلك حسرة
وندامة عليهم يومئذ • والفائدة في ذكر امه ان الناس تكلموا فيها كما تكلموا فيه ثم عدّ الله نعمة نعمة فقال
اذ ايدتك بروح القدس اي اعنتك وقويتك بجبريل الطاهر حين حاولت بنو اسرائيل هلاكك ويقال ايدتك
به في الحجة في كل احوالك وقوله تعالى يا عيسى بن مريم انتصب بن مريم لانه منادى مضاف اي يا عيسى يا ابن مريم
قوله تعالى اذكر نعمتي عليك معناه اذكر نعمتي لفظه واحد ومعناه الجمع كقوله تعالى وان تعدوا نعمت الله
لا تحصوها اي نعم الله لان العدد لا يقع على الواحد • قوله تعالى **تكلم الناس في المهد** اي تكلم الناس في حجر
امك في حال صغرك وتخاطبهم كهلا بعد ثلثين سنة على صفة واحدة وحدٍ واحدٍ وذلك من اعظم
الآيات • ويقال اراد بالمهد الذي يربى فيه الطفل حين قال لهم وهو في المهد اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني

نبيا • وقال الكلبي مكث في رسالته بعد ثلثين سنة ثلثين شهرا ثم رفعه الله اليه • وقيل ثلاث سنين ثم رفع
الى السماء وهو ابن ثلث وثلثين سنة قوله تعالى **واذ علمتك الكتاب والحكمة** اي علمتك كتب الانبياء قبلك والفهم
ويقال اراد بالكتاب الخط بالقلم واراد بالحكمة كل صواب مبين من قول وفعل قوله تعالى **واذ تخلق من
الطين كهيئة الطير** معناه واذ يصور من الطين كشبه الخفاش بامري **فتنفخ فيها** اي في الهيئة **فتصير طيرا** يطير بين
السماء والارض بامر الله ويكون النفخ كنفخ الراقي قوله تعالى **وتبرئ الاكمه والابرص باذني** الاكمه الذي ولد
اعمى والابرص الذي لا يعالجه الاطباء وهو الذي اذا غرز لا يخرج منه الدم قوله تعالى **واذ تخرج الموتى
باذني** اي يحيى الموتى ويخرجهم من قبورهم احياء بارادتي والمراد بالاذن ان الله تعالى كان ياذن له في
المسألة والدعاء فيقع ذلك عن الله قوله تعالى **واذ كففت بني اسرائيل عنك** معناه واذ منعت اولاد
يعقوب عنك حين هموا بقتلك **اذ جئتهم بالبينات** اي بالمعجزات الدالة على رسالتك **فقال الذين كفروا
منهم** من بني اسرائيل ما هذا الذي يرينا عيسى **الا سحر** ظاهر ومن قرأ ساحر مبين اراد به عيسى عليه السلام
قوله عز وجل **واذ اوحيت الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي** معناه واذ الهمت الحواريين وهم
خواص عيسى والقيت في قلوبهم ان صدقوا بتوحيدي وبرسولي **قالوا امنا** وصدقنا **واشهد** يا عيسى
باننا مسلمون اي مخلصون بالعبادة والتوحيد قوله عز وجل **اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم
هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين** كانه قال واذكر
نعمتي عليك اذ قال الحواريون وقوله تعالى هل يستطيع ربك • قرأ الكسائي هل تستطيع ربك بالتاء
بالادغام ونصب الباء من ربك اي هل تقدر بان تسأل ربك • وقد روي عن عايشة رضي الله عنها
انها قالت كان الحواريون اعلم بالله من ان يقولوا هل يستطيع ربك فانهم اصفياء مؤمنون • وقرأ الباقون
هل يستطيع ربك وفيه ثلثة اقوال احدهم ان هذا السؤال كان في ابتداء امرهم قبل ان يستحكم
معرفتهم بالله ولذلك انكر عليهم عيسى عليه السلام فقال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين لانه لم يستكمل
ايمانهم في ذلك الوقت • والقول الثاني ان معناه هل يفعل ذلك كما يقول الرجل لآخر هل تستطيع
ان تقوم معي في امر كذا اي هل انت فاعله • والقول الثالث ان معناه هل يستجيب لك ربك وهل

يطيعك ان سالته كما يقال استجاب بمعنى اجاب • والحواريون خواص اصحاب عيسى عليه السلام • قال
الحسن كانوا قصارين • وقال مجاهد كانوا صيادين • وقيل كانوا ملاحين • وقال قتادة الحواريون
الوزرا • وقال عكرمة هم الاصفيا وكانوا اثنى عشر رجلا • قوله تعالى قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن
قلوبنا اى قال الحواريون نريد بما سالناك ان ناكل من المائدة وتسكن قلوبنا بما جئتنا به من المعجزات
ونعلم ان قد صدقتنا بانك رسول الله • وقيل صدقتنا في دعائك وفيما وعدتنا من كفاية الله تعالى
ايانا ونكون على المائدة من الشاهدين اذا رجعنا الى قومنا قوله تعالى قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا
انزل علينا مائدة من السماء اى قال عيسى يا الله الا انه اقيم الميم في اخر مقام النداء في اوله وقوله انزل علينا
مائدة من السماء اى طعاما تكون لنا عيدا اى نتخذ اليوم الذي تنزل فيه المائدة يوم سرور لاهل زماننا
ولمن يكون خلفنا • روى ان نزول المائدة كان في يوم الاحد فاتخذت النصارى ذلك اليوم عيدا
وقرا زيد بن ثابت لاوائلنا واواخرنا وقوله تعالى واية منك اى وتكون المائدة دلالة وحجة لمن امن وعلى
من كفر وقوله تعالى وارزقنا وانت خير الرازقين اى اجعل ذلك رزقا لنا • وقيل ارزقنا الشكر عليه وانت
افضل المعطين والموفقين قوله تعالى قال الله اني منزلها عليكم اى قال الله يا عيسى اني منزل المائدة عليكم •
قرا اهل المدينة والشام وقتادة وعاصم منزلها بالتشديد لانها نزلت مرات والتفعيل يدل على التكثير مرة
بعد مرة كقوله ونزلناه تنزيلا • وقرا الباقون بالتخفيف لقوله انزل علينا قوله تعالى فمن يكفر بعد منكم فاني
اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين اى فمن يكفر بعد نزول المائدة • وقيل بعد ما اكل من المائدة فاني
اعذبه بجنس من العذاب لا اعذب به احدا من عالمي زمانهم بذلك العذاب وهو ان جعل الله من كفر منهم
بعد نزول المائدة خنازير • ويقال اراد بهذا عذاب الاخرة • كما روى عن ابن عمر انه قال اشد الناس عذابا يوم
القيمة ثلثه المنافقون ومن كفر من اصحاب المائدة وال فرعون • وروى عن ابن عباس في سبب نزول المائدة ان عيسى
كان اذا خرج اتبعه خمسة الاف رجل واكثر من اصحابه الذين يعتقدون به واهل الزمانة والمرضى والبطار
فسلك بهم ذات يوم القفار ففنى طعامهم وجاعوا جوعا شديدا فاعلم الناس تلامين الحواريين • وقالوا ان
كان صاحبكم حقا فليدع ربه نزل علينا مائدة من السماء فكلمه ذلك رجل من الحواريين يقال له شمعون الصفار

فقال له قل لهم تتقوا الله ولا يسالوا لانفسهم البلاء فانهم ان كفروا بعد نزولها عاقبهم الله فاخبرهم شمعون
بذلك • فقالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا فقام عيسى عليه السلام فصلى
ركعتين فاوحى الله اليه اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين • ثم انزل
الله مائدة من السماء فوقها منديل والناس ينظرون اليها وعيسى يبكي حتى استقرت المائدة بين يدي عيسى وهو يقول
اللهم اجعلها رحمة ثم كشف المنديل وقال بسم الله فاذا على المائدة سمكة مشوية لا شوك فيها والودك
يسيل منها والخل عند راسها والملح عند ذنبها وعليها اربعة ارغفة وعليها الوان البقول الا الكراث • قال
عطية كان في السمكة طعم كل شيء • فقال لهم عيسى كلوا من رزق ربكم فاكلوا منها ورجعت المائدة كما كانت
فلما فرغ القوم الى قرارهم ونشروا هذا الحديث لسائر الناس ضحك من لم يشهد وقال ويحكم انه قد سحر
اعينكم واخذ بقلوبكم فمن اراد الله به الخير ثبته على البصيرة ومن اراد فتنته رجع الى كفره فلعنهم عيسى
فباتوا ليلتهم ثم اصبحوا خنازير ينظر الناس اليهم الذكر ذكرا والانثى انثى ويلعنوهم فمكثوا كذلك ثلثة
ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولا طعموا ولا شربوا • وقال بعضهم لما دعا عيسى ربه ان ينزل عليهم مائدة
من السماء اقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعوها بين ايديهم
فاكل منها اخرهم كما اكل اولهم • وقال الكلبي دعا عيسى عليه السلام شمعون الصفار وكان افضل الحواريين
فقال هل معك طعام قال نعم معي سمكتان وسبعة ارغفة قال علي بها فقطعها عيسى قطعا صغارا ثم قال اقعدوا
وترافقوا رفقة رفقة كل رفقة عشرة ثم قام عيسى فدعا الله فاستجاب له وانزل فيه البركة فصار
خبزا صحاحا وسمكا صحاحا • ثم قال كلوا بسم الله فجعل الطعام يكثر حتى بلغ ركبهم فاكلوا كلهم وفضل شيء
كثير وكان الناس يومئذ خمسة الاف ونيفا فقال الناس جميعا نشهد انك عبد الله ورسوله ثم سالوه مرة
اخرى فدعا عيسى فانزل الله خبزا وسمكا وخمسة ارغفة وسمكتين فصنع بها ما صنع بالمرة الاولى
فلما رجعوا الى بيوتهم ونشروا هذا الحديث ضحك منهم من لم يعاين ذلك • وقالوا لهم انما سحر اعينكم فمنهم
من ثبته الله تعالى على بصيرته ومنهم من رجع الى كفره فمسخوا خنازير • وعن سلمان الفارسي رضي الله
عنه قال لما سالت الحواريون عيسى ان ينزل عليهم مائدة لبس صوفا وبكى وقال اللهم انزل علينا مائدة من

من السماء وارزقنا عليها طعاما ناكله وانت خير الرازقين فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة
من تحتها وهم ينظرون اليها منقضة تهوي حتى نزلت بين ايديهم فبكى عيسى وصلى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين
واليهود ينظرون اليها لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا اطيب من ريحه فقام عيسى فتوضا وصلى صلوة طويلة
وبكى كثيرا وكشف المنديل عنها • وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هي سمكة طويلة مشوية ليس عليها فلوسها ولا
شوك فيها تسيل سيلا من الدسم وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا
خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الاخر عسل وعلى الثالث بيض وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد
فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا هذا ام من طعام الاخرة • فقال لا من طعام الدنيا ولا من طعام
الاخرة ولكنه شيء انشاه الله بقدرته الغالبة فكلوا مما سالتم يمددكم ربكم ويزدكم من فضله فقالوا يا رسول
الله لو اريتنا اية اخرى • فقال عيسى عليه السلام يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت السمكة وعاد عليها
فلوسها وشوكها ففزعوا من ذلك فقال ما لكم تسالون شيا فاذا اعطيتموها كرهتموها ما اخوفني عليكم
ان تعذبوا يا سمكة عودي كما كنت باذن الله تعالى فعادت مشوية كما كانت فقالوا يا روح الله كن انت
اول من ياكل منها ثم ناكل نحن • فقال معاذ الله ان اكل منها ولكن ياكل منها من سالها فخافوا ان ياكلوا منها
فدعا عيسى اهل الفاقة والمرضى واهل البرص والجذام والمقعدين والمبتلين فقال لهم كلوا من رزق
الله لكم المهنا ولغيركم البلاء فاكلوا منها فصدر عنها الف وثلثماية من رجل وامراة وفقير وزمن وابرص ومبتلى
كلهم شبعان يتجشا ثم نظر عيسى الى السمكة فاذا هي كهيئتها وطارت الملئكة بالمائدة صعدا وهم ينظرون
اليها حتى توارت عنهم فلم ياكل يومئذ زمن الا صح ولا مريض الا برئ ولا مبتلى الا عوفي ولا فقير الا استغنى
ولم يزل غنيا حتى يموت وندم من لم ياكل منها من الحواريين وكانت اذا نزلت اجتمع الاغنياء والفقراء والصغار
والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها • فلما راى ذلك عيسى جعلها نوبة بينهم فلبثت اربعين
صباحا تنزل ضحى فلا تزال منصوبة ياكلون منها حتى اذا فاء الفيء طارت صعدا وهم ينظرون وكانت
تنزل يوما ولا تنزل يوما يعني كانت تنزل غبا كناقة صالح عليه السلام فاوحى الله الى عيسى عليه
السلام اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا

منهم صح

الناس فيها وقالوا ترون المائدة حقا نزلت من السماء • فقال لهم عيسى هلكتم بعذاب الله تعالى فاوحى
الله اليه اني شرطت على المكذبين شرطا ان من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا اعذبه احدا من العالمين
فقال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم • فمسخ الله منهم ثلثماية و
ثلثة وثلثين رجلا باتوا من ليلتهم على فرشهم مع نسائهم في ديارهم فاصبحوا خنازير • يسعون
في الطرقات والكناسات وياكلون العذرة • فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا على
الممسوخين اهلوهم فلما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف بعيسى وجعل عيسى
يدعوهم باسمائهم واحدا واحدا فيبكون ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلثة ايام وهلكوا
قوله عز وجل اذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله اول هذه الاية
معطوف على قوله اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك ويجوز ان يكون عايدا على ما تقدم من قوله
يوم يجمع الله الرسل كانه قال اذ يقول الله يوم القيمة وفي اخر السورة ما يدل على هذا وهو قوله تعالى قال الله
تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وذكر اللفظ على صيغة الماضي لتحقق امر كانه قد وقع وشوهد
ونظيره ونادى اصحاب الجنة وقوله وقال الشيطان لما قضي الامر اي سيقول • وقال السدي وقطرب ان الله
تعالى قال لعيسى عليه السلام هذا القول حين رفعه واحتجا بقوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم
ولا خلاف ان الله لا يغفر لمشرك مات على شركه • وانما معنى الاية وان تغفر لهم بتوبتهم • وقال اكثر المفسرين
انما يقول الله هذه المقالة يوم القيمة بدليل ما ذكرنا من قوله يوم يجمع الله الرسل ويوم ينفع الصادقين
صدقهم فان قالوا ان اذ للماضي قلنا قد تكون بمعنى اذا كقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت اي اذا فزعوا
قوله تعالى ءانت قلت للناس يعني ءانت قلت لهم في الدنيا اتخذوني وامي الهين من دون الله • فان قيل
ما وجه سؤال الله تعالى لعيسى مع علمه بانه لم يقل • قيل ذلك توبيخ لقوم عيسى وتحذير لهم عن هذه
المقالة • وقيل اراد الله بذلك ان يقر عيسى بالعبودية على نفسه فيظهر منه تكذيبهم وانه لم يامرهم
بذلك فتكون حجة عليهم • قال ابو روق وميسرة اذ قال الله لعيسى عليه السلام ءانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله ارتعدت مفاصله وانفجرت من كل شعرة من جسده عين من الدم ثم يقول عيسى عليه

السلام مجيبا لله عز وجل سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق اي تنزيها لك يا ربنا ما ينبغي لي أن ادعي
شيئا لست بجدير له ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما عندي وما في ضميري وما كان مني في الدنيا ولا
أعلم ما في غيبك إنك أنت علام الغيوب لا يعلم الغيب احد غيرك • وقيل معناه تعلم ما أريد
ولا أعلم ما تريد انك انت علام الغيوب بما كان وما يكون • واما ذكر النفس في قوله ولا أعلم ما في
نفسك فعلى مزاوجة الكلام بان الغيب من الله في حكم الضمير من الادميين والنفس في كلام العرب
على ضروب تذكر ويراد بها ذات الشيء كما يقال جاني زيد نفسه اي ذاته وقتل فلان نفسه واهلك
فلان نفسه ويراد بذلك الذات بكمالها وتذكر ويراد بها الروح كما يقال خرجت نفس فلان اي روحه
وتذكر ويراد بها ما في القلب كما يقال اضمر فلان في نفسه كذا وكذا فاذا احتمل اللفظ هذه الوجوه
كلها وجب حمل الاية على اصح الوجوه لقيام الدلالة على وجوب تبرية صفات الله تعالى عما لا يجوز
ولو كانت النفس لا تستعمل الا في امر كان في غيره لوجب في قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها
ان يقال ان النفس نفسا فاذا بطل ذلك صح ان المراد به الجملة والذات كانه قال يوم ياتي كل
احد يجادل عن نفسه فكان المراد بقوله ولا أعلم ما في نفسك جملة الامر وحقيقة ما عند الله تعالى
فان قيل ليس في النصارى من اتخذ مريم الها فما معنى هذا القول • قيل ان لم يكن فيهم من يقول هذا القول
اليوم فلا بد ان يكون فيهم من قال ذلك لان هذه الاية تدل على انهم قد قالوا ذلك والتصديق
لكتاب الله تعالى وجب من التصديق لنقل ناقل قوله عز وجل ما قلت لهم الا ما أمرتني به اي ما قلت
لهم شيئا الا القول الذي امرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم اي وحدوه واطيعوه وكنت عليهم شهيدا
بالبلاغ ما دمت فيهم مقيما بين اظهرهم في الدنيا قوله تعالى فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم
معناه فلما قبضتني اليك من بينهم ورفعتني الى السما كنت انت الحفيظ عليهم وأنت على كل شيء من مقالتي
ومقالتهم مطلع عالم مشاهد • وذهب بعض المفسرين الى ان معنى قوله فلما توفيتني امتني • وقالوا
ان عيسى ليس بحي في السما الان القول الاول اشهر • ويحتمل ان الله تعالى اماته ثم احياه ورفعه
الى السماء • وقال الحسن الوفاة في كتاب الله على ثلثة اوجه وفاة الموت كقوله تعالى الله يتوفى

الانفس حين موتها • ووفاة النوم كقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم
بالنهار اي ينيمكم • ووفاة الرفع كقوله تعالى يا عيسى اني متوفيك قوله تعالى ان تعذبهم فانهم
عبادك قرا الحسن عبدك قيل معناه التبعيض اي ان تعذب الذين اقاموا على الكفر فانهم عبادك وان
تغفر للذين اسلموا وتابوا فانك انت العزيز الحكيم لانه قال انت قلت للناس وما قلت لهم وفيهم
المسلمون والمشركون فقوله ان تعذبهم راجع الى الكافرين وقوله وان تغفر لهم راجع الى المومنين •
وعن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الاية ان تعذبهم على هذه المقالة التي اجترموها فانهم عبادك
وان يتوبوا فيغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اي منيع في مغفرتك لهم لا يمنعك احد مما تريد الحكيم في
امرك • فان قيل ظاهر الاية تقتضي سوال المغفرة للكفار والله لا يغفر ان يشرك به فما معنى هذا السوال •
قيل يحتمل انه لم يكن في كتابه ان الله لا يغفر ان يشرك به • ويحتمل ان يكون معناه ان تغفر لهم كذبهم
الذي قالوا علي • وقيل ان عيسى علم ان منهم من امن ومنهم من اقام على الكفر فكانه قال ان تعذب الكفار
منهم فانهم عبادك وانت القادر عليهم وان تغفر لمن امن منهم فذلك بفضل منك لانه كان لك ان لا
تفعل ذلك بهم بعد عظيم فريتهم عليك • وكان هذا القول من عيسى عليه السلام على وجه الخضوع
والانقياد والاستسلام على معنى انك انت المالك والقادر على كل شي فلذلك قال فانك انت العزيز
الحكيم ولو كان قال فانك انت الغفور الرحيم لاوهم الدعا بطلب المغفرة والرحمة • وروي انه لما نزلت
هذه الاية احيى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته بها وكان بها يقوم وبها يقعد وبها يسجد
ثم قال امتي امتي يا رب فنزل جبريل فقال الله تعالى يقريك السلام ويقول لك لا نسوك في امتك

عليه صح

قوله عز وجل قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم من قرا يوم بالرفع فمعناه قال الله لعيسى
عليه السلام هذا يوم ينفع النبيين صدقهم بتبليغ الرسالة والمومنين ايمانهم الذي هو صدق في الدنيا
والاخرة ولا ينفع الكفار صدقهم في الاخرة • ومن قرا يوم بالنصب فعلى الظرف على معنى قال الله لعيسى
هذا القول الذي تقدم ذكره في يوم ينفع الصادقين صدقهم • وقال الكلبي معنى الاية قال الله هذا يوم
ينفع المومنين ايمانهم • وقيل ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في الاخرة • وقرا الاعمش هذا يوم بالتنوين

قوله تعالى لهم جنات تجري من تحتها الانهار اى بساتين تجرى من تحت شجرها وغرفها الانهار خالدين فيها
ابدا اى الى الابد رضي الله عنهم بايمانهم وطاعتهم ورضوا عنه باكرامهم اى بما اكرمهم به من الثواب ذلك
الفوز العظيم اى ذلك الثواب والخلود فى الجنة النجاة الوافرة وحقيقة الفوز نيل المراد قوله عز وجل لله
ملك السموات والارض وما فيهن اى لله خزاين السموات والارض وما فيهن من الخلق يعطى من يشاء ما يشاء ويغفر
لمن يشاء ويعذب من يشاء وهو على كل شيء مما يريد بعباده من المغفرة والعذاب قادر والغرض من هذه
الاية نفي الربوبية عن عيسى عليه السلام وبيان ان الله تعالى هو المستحق للعبادة دون غيره فانه هو القادر
على كل شيء من الجزاء ترغيبا فى الطاعة وتحذيرا عن المعصية • وعن ابى بن كعب رضى الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة المايدة اعطى من الاجر بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس فى
الدنيا عشر حسنات ومحى عنه عشر سيات ورفع له عشر درجات سورة الانعام اثنا عشر الف حرف واربع
مائة واثنان وعشرون حرفا • وثلثة الاف واثنتان وخمسون كلمة • ومائة وخمس وستون اية كلها
احتجاج على المشركين وكلها مكية غير ست ايات منها فانها مدنيات • وما قدروا الله حق قدره الى
ثلاث ايات وقوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى قوله لعلكم تتقون • وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمكة ليلة نزلت هذه السورة شيعها سبعون الف ملك قايدهم جبريل عليه السلام قد
سدوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد • فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب
فكتبوها فى ليلتهم • فقال جبريل عليه السلام يا محمد من قراها من امتك ايمانا واحتسابا صلى
عليه السبعون الالف ملك الذين شيعوها اليك بعدد كل اية منها يوما وليلة • فخر النبى صلى الله
عليه وسلم ساجدا شكرا لله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى خلق السموات
والارض قال كعب الاحبار اول مفتاح التورية الحمد لله الذى خلق السموات والارض وخاتمتها خاتمة سورة
هود ولله غيب السموات والارض • قال مقاتل قال المشركون للنبى صلى الله عليه وسلم من ربك قال الذى
خلق السموات والارض فكذبوه فانزل الله تعالى حامدا نفسه دالا على توحيده الحمد لله الذى خلق السموات
والارض اى خلق السموات بما فيها من الشمس والقمر والنجوم والارض وما فيها من البر والبحر والسهل والجبل

والنبات

والنبات والشجر خلق السموات وما فيها فى يومين يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق الارض وما فيها فى يومين
يوم الثلثا ويوم الاربعا قوله تعالى وجعل الظلمات والنور قال السدى ظلمة الليل ونور النهار • وقال
الواقدى كل ما فى القران من الظلمات والنور فهو الكفر والايمان الا فى هذه الاية فانه يريد به الليل والنهار • وقال
قتادة يعنى الجنة والنار • وقال الحسن يعنى الكفر والايمان • وقيل خلق الليل والنهار لمصالح العباد تستريحون
بالليل وتنصرفون فى معايشهم بالنهار • وانما جمع الظلمات ووحد النور لان النور يتعدى والظلمة لا
تتعدى • وقال اهل المعانى جعل هاهنا صلة والعرب تزيد جعل فى الكلام كقول الشاعر • وقد جعلت
ارى الاثنين اربعا • والواحد اثنين لما هدنى الكبر • وتقدير الاية الحمد لله الذى خلق السموات والارض
والظلمات والنور • وقيل معناه خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور لانه خلق الظلمة والنور
قبل السموات والارض • وقال قتادة خلق الله السموات قبل الارض والظلمة قبل النور والجنة قبل النار
وقال وهب اول ما خلق الله مكانا مظلما ثم خلق جوهرة فاضات ذلك المكان ثم نظر الى الجوهرة
نظر الهيبة فصارت ماء وارتفع بخارها وزبدها فخلق من البخار السموات ومن الزبد الارضين
قوله عز وجل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اى ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون الاوثان
اى يشركون • وقيل معناه يعدلون اى يجعلون لله عديلا ويعبدون الحجارة والموات وهم يقرون
بان الله خالق هذه الاشياء فان الاصنام لا تفعل شيا من ذلك قوله تعالى هو الذى خلقكم من طين ثم قضى
اجلا معناه خلقكم من ادم عليه السلام فاخرج الخطاب له لانهم ولده • قال السدى لما اراد الله
خلق ادم بعث جبريل الى الارض لياتيه بطايفة منها فاستعاذت الارض بالله ان ينقص منى فرجع
ولم ياخذ فبعث الله ميكايل فاستعاذت فبعث الله ملك الموت فاستعاذت بالله منه • فقال وانا اعوذ
بالله ان اخالف امره فاخذ من وجه الارض فخلط السودا والبيضا والحمرا فلذلك اختلف الوان بنى ادم ثم عجنها
بالماء العذب والملح والمر فلذلك اختلف اخلاقهم • فقال الله تعالى لملك الموت رحم جبريل وميكايل الارض
ولم ترحمها لاجرم ان اجعل ارواح من اخلق من هذا الطين بيدك • وروى ابو هريرة عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال ان الله تعالى خلق ادم من تراب وجعله طينا ثم تركه حتى كان حما مسنونا ثم

التاسع والعشرون

خلقه وصوره ثم تركه حتى إذا كان صلصالا كالفخار مر به إبليس لعنه الله فقال خلقت لأمر عظيم ثم نفخ الله
فيه الروح قوله تعالى ثم قضى أجلا أي خلقكم من آدم عليه السلام ثم أجلا أي جعل لحياتكم وقتا تحيون
فيه وهو مدة كل واحد منا من يوم يولد إلى يوم يموت قوله تعالى وأجل مسمى عنده أي مدة انقضاء الدنيا
إلى أن تقوم الساعة ولا يعلم وقت قيامها إلا الله • وقال مجاهد وابن جبير ثم قضى أجلا يعني أجل الدنيا وأجل
مسمى عنده وهو الآخرة قوله تعالى ثم أنتم تمترون أي ثم أنتم بعد هذا البيان تشكون في موضع ليس هو موضع
الشك والمرية هي الشك المجالب بالشبهة أصلها من مريت الناقة إذا مسحت ضرعها باليد لتدر لبنها وتجلبه
للحلب قوله عز وجل وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم معناه هو الله المعبود المنفرد بالتدبير
في السموات وفي الأرض العالم بما فيهما وبما يعمل فيهما يعلم ضميركم وسرائركم وعلانية أمركم ويعلم ما تكسبون
أي ما تعملون من خير وشر • وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من
قرأ من أول سورة الأنعام ثلث آيات إلى قوله ويعلم ما تكسبون وكل الله به أربعين ملكا يكتبون له مثل
عبادتهم إلى يوم القيمة وينزل ملك من السماء السابعة معه مرزبة من حديد فإذا أراد الشيطان أن
يوسوس له ضربه بها ضربة كان بينه وبينه سبعون حجابا فإذا كان يوم القيمة يقول الله تعالى
امش في ظلي وكل من ثمار جنتي واشرب من ماء الكوثر واغتسل من ماء السلسبيل وأنت عبدي وأنا ربك
قوله عز وجل وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين أي ما يأتي أهل مكة من دلائل
التوحيد والنبوة مثل كسوف الشمس وانشقاق القمر والدخان إلا كانوا عن هذه الآيات والعلامات معرضين
مكذبين تاركين لها قوله تعالى فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن
أي فقد كذب أهل مكة بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وبما رأوه من انشقاق القمر بمكة • كما روي
عن ابن مسعود أن القمر انفلق فلقتين حتى رأوا حرا بين فلقتي القمر فذهبت فلقة وبقيت فلقة • قوله تعالى
فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن هذا وعيد لهم أي سيعلمون ما يؤول إليه عاقبة استهزائهم
بالرسل والكتب والآيات التي كانت تأتيهم فقتلهم الله يوم بدر بالسيف ويأتيهم خبر استهزائهم حين
يرون العذاب معاينة والنبأ عبارة عن الخبر الذي له عظم وشأن قوله عز وجل ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم

تقضى صح

أن

من قرن

من قرن أي ألم يعلم أهل مكة كم أهلكنا من قبلهم من قرن بكفرهم مثل قوم نوح وعاد وثمود مكناهم
في الأرض ما لم نمكن لكم وأمهلناهم في العمر والولد ورفع الموانع ما لم نمهل لكم وأرسلنا السماء عليهم
مدرارا أي وأنزلنا عليهم المطر مدرارا متتابعا يتبع بعضه بعضا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم أشجارهم
ومساكنهم فلم يشكروا وعصوا ربهم وكذبوا رسلهم فأهلكناهم بكفرهم وتكذيبهم وأنشأنا من بعد
هلاكهم قوما آخرين فسكنوا ديارهم ثم بعث إليهم الرسل فمن لم يأخذ بملة الرسل ومنهاجهم أهلكهم الله
والقرن في قول أكثر المفسرين أهل عصر واحد سموا قرنا لاقترانهم في وقت واحد • ويقال هو أهل كل
عصر فيهم نبي أو عالم لاقترانهم بالنبوة والعلم كما قال صلى الله عليه وسلم خير الناس قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم • وأراد بالقرن الأول الصحابة • وبالثاني التابعين • وبالثالث تابعي التابعين
واختلفوا في مدة القرن فقال بعضهم ثمانون سنة • وقيل مائة سنة وبين القرنين ثماني عشرة سنة قوله
عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله
بن أبي أمية المخزومي • قال يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملئكة يشهدون
أنه من عند الله وأنك رسوله • وقال مقاتل والكلبي نزلت في النضر بن الحرث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل
بن خويلد قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملئكة
يشهدون أنه من عند الله وأنك رسوله فأنزل الله هذه الآية ومعناها ولو نزلنا عليك كتابا في صحيفة
وعلقناه بين السماء والأرض ينظرون إليه ويعاينونه ويلمسونه بأيديهم لقال كفار مكة بعد معاينة ذلك
ما هذا إلا سحر مبين أي كما قالوا في انشقاق القمر سحر مستمر وفي الآية بيان أنهم كانوا مصرين على التكذيب قوله
عز وجل وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون أي قالوا لولا أنزل على
محمد ملك نشاهده ونعاينه يخبرنا بأنه نبي يقول الله تعالى ولو أنزلنا ملكا كما سألوا فكذبوه لعذبناهم
بعذاب الاستئصال ثم لا ينظرون أي لا يؤجلون ولا يمهلون بعد نزول الآيات المقترحة نحو ما ذكر الله
تعالى في قصة قوم صالح وغيرهم • وقال الضحاك معناه لو أتاهم ملك في صورته لماتوا قوله
تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون أي لو أرسلنا إليهم رسولا

معاندين صح

لارسلناه في صورة الانسان لانهم لا يستطيعون النظر الى الملائكة لان ذلك يؤدى الى هلاكهم
وليكون الشكل الى الشكل اميل وبه انس والى الفهم عنه اقرب والى القبول منه اسرع ولو نظر ناظر الى الملك
على هيئته لصعق وقد كانت الملائكة تاتى الانبياء في صورة الانسان من ذلك ان جبريل عليه السلام
كان ياتى النبى صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبى وجاءت الملائكة الى ابراهيم عليه السلام في
صورة الضيفان وجاء الملكان الى داود عليه السلام في صورة رجلين يختصمان اليه فذلك قوله تعالى
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اى لو انزلنا عليهم ملكا لجعلنا ذلك الملك في صورة الرجل ايضا قوله تعالى
وللبسنا عليهم ما يلبسون اى خلطنا وشبهنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حتى يشكوا فلا يدرون املك
هو ام رجل • وهذا لانهم انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ما عرفوه بالصدق والامانة
ثم لبسوا على انفسهم وعلى ضعفتهم • فقالوا انما هو بشر فلو نزل الملك على صورة رجل لبسوا على انفسهم
ايضا فلم يقبلوا منه • وقالوا انه في مثل صورتنا قوله عز وجل ولقد استهزئ برسل من قبلك اى استهزأت
الامم الماضية بانبيائهم كما استهزأ بك يا محمد قومك فحاق بهم اى نزل بهم وحل بالمستهزئين من الكفار عقوبة
استهزائهم بالكتاب والرسول عليه الصلوة والسلام • وقال الضحاك كان النبى صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد
الحرام مع جماعة من المستضعفين بلال وصهيب وعمار وغيرهم فمر بهم ابو جهل في ملاء من قريش فقال يزعم محمد
ان هؤلاء ملوك الجنة فانزل الله تعالى هذه الاية ليثبت فؤاده ويصبره على اذى المشركين اى ان سخر اهل مكة من
اصحابك فقد فعل ذلك الجهلة برسلهم قبلك • والحيق في اللغة ما اشتمل على الانسان من مكروه فعله • ومنه قوله
تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله • واما الاستهزاء فهو ايهام التفخيم بمعنى التحقير قوله تعالى قل سيروا في الارض
ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين اى قل لهم يا محمد سافروا في الارض ثم انظروا بابصاركم وتاملوا بقلوبكم
كيف صار اخر امر المكذبين بالرسل والكتب مثل عاد وثمود وغيرهم الذين عذبهم الله بعذاب الاستيصال وكانت
اثار ديارهم باقية قريبة من مكة • وقال الحسن معنى سيروا في الارض اى اقرؤا القرآن فان من قرأه وتفكر فيه فكانه
سار في الارض قوله تعالى قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة اى قل يا محمد لكفار مكة لمن
ملك ما في السموات والارض فان اجابوك وقالوا لله والا فقل لهم اذ هم يعلمون ويقرون ان الاصنام لا تملك

خلق

اى وجب على نفسه الرحمة صح

خلق شئ وانما الله يملك ذلك وقوله تعالى كتب على نفسه الرحمة فضلا وكرما • وقيل معناه اوجب على نفسه
الثواب لمن اطاعه • وقيل اوجب على نفسه الرحمة بامهال من عصاه ليستدرك ذلك بالتوبة ولم يعاجله
بالعقوبة وهذا استعطاف من الله عز وجل للمتولين عنه الى الاقبال واخبار بانه رحيم بعباده لا يعجل عليهم
بالعقوبة ويقبل منهم الانابة والتوبة • وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما خلق الله الخلق كتب فوق العرش ان رحمتى سبقت غضبى • وقال عمر رضى الله عنه لكعب الاحبار ما اول شئ ابتدا
الله به • فقال كعب كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابه الزبرجد واللؤلؤ والياقوت انى انا الله لا اله
الا انا سبقت رحمتى غضبى • وفي الخبر ان الله تعالى مائة رحمة كلها ملء السماء والارض فاهبط الله تعالى
منها رحمة واحدة الى اهل الدنيا فبها يتراحمون وبها يتعاطفون وبها يتراحم الجن والانس وطير السماء وحيتان
الماء وما بين الهواء ودواب الارض وهوامها واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة قوله
تعالى ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه بدل من الرحمة وتفسيرها فكانه قال ليجمعن بين المؤمن والكافر
في الرزق والنعمة والدولة الى يوم القيمة لا شك فيه عند المؤمنين انه حق كائن ثم تكون العاقبة بعد
البعث للمؤمنين قوله تعالى الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ابتداء كلام وجوابه فهم لا يؤمنون لان الذين
في موضع شرط فتقدير الاية الذين غبنوا انفسهم واهليهم ومنازلهم وخدمهم في الجنة في سابق علم الله
لا يؤمنون اى لا يصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن • وذهب بعضهم الى ان قوله ليجمعنكم كلام مبتدا
على وجه القسم والذين بدل من الكاف والميم في ليجمعنكم كانه قال ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا انفسهم
الى هذا اليوم الذى يجحدونه ويكفرونه • ويحتمل ان يكون قوله الذين خسروا انفسهم راجعا الى المكذبين
كانه قال عاقبة المكذبين الذين خسروا انفسهم قوله عز وجل وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم
قال ابن عباس وذلك ان كفار مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد قد علمنا انه ما
يحملك على ما تدعونا اليه الا الحاجة فنحن نجعل لك من اموالنا حتى تكون اغنانا رجلا وترجع عما انت
عليه فانزل الله هذه الاية ومعناها ولله ملك ما استقر في الليل والنهار من الخلق كلهم وهذا اللفظ
يشتمل على جميع المخلوقات لان من الحيوانات ما يتصرف بالنهار ويسكن بالليل ومنها ما يتصرف بالليل

وَيَسْكُنُ بِالنَّهَار • وقال محمد بن جرير كلما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار والمراد جميع
ما في الأرض لأنه لا شيء من خلق الله الا وهو ساكن في الليل والنهار • وقال اهل المعاني في الآية اضمار تقديره
وله ما سكن وتحرك في الليل والنهار • فان قيل فلم قال وله ما سكن ولم يقل وله ما تحرك • قيل لان الساكن
في الاشيا اعم لانه ما من متحرك الا ويسكن وفي الاشيا الساكنة ما لا يتحرك البتة قوله تعالى وهو السميع
العليم معناه السميع لمقالة الكفار العليم بهم وبعقوبتهم • ويقال هو السميع للاصوات والاقوال العليم
بالاشيا والارزاق قوله عز وجل قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض اى قل لهم يا محمد اسوى
الله اعبد ربا واتخذ ناصرا وقوله تعالى فاطر السموات والارض اى خالقهما ومبتدئهما ومبتدعهما • قال
ابن عباس ما كنت ادري ما فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما لصاحبه
انا فطرتها اى ابتدأتها يعني ابتدأت حفرها قوله تعالى وهو يطعم ولا يطعم اى يرزق ولا يرزق ولا يعاون
على الرزق • وقرأ الاعمش ولا يطعم بفتح اليا اى يرزق ولا ياكل اى لا يجوز عليه الحاجة قوله تعالى فاطر
السموات خفض لانه نعت لاسم الله تعالى ويجوز نصبه على معنى اعني فاطر السموات ويجوز رفعه على اضمار
هو قوله تعالى قل اني امرت ان اكون اول من اسلم اى قل لهم يا محمد اني امرت ان اكون اول من اخلص لله بالتوحيد
والعبادة من اهل هذا الزمان قوله تعالى ولا تكونن من المشركين لا يجوز ان يكون عطفا على قوله قل اني امرت
ان اكون اول من اسلم لانه غير مامور بان يقول ولا تكونن من المشركين وانما هو نهي معطوف على الامر من حيث
المعنى دون اللفظ لان معنى الآية قيل لي كن اول من اسلم ولا تكونن من المشركين قوله عز وجل قل اني اخاف
ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم اى قل يا محمد اني اعلم اني ان عصيت ربي وعبدت غيره ان ينزل بي عذاب
يوم عظيم شانه وهو يوم القيمة قوله تعالى من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه اى من يصرف الله عنه العذاب
العظيم يوم القيمة فقد رحمه وذلك الفوز المبين اى النجاة الوافرة الظاهرة • وقرا اهل الكوفة الا حفصا يصرف
بفتح اليا وكسر الرا وتفسيره ما ذكرناه • وقرا الباقون يصرف على ما لم يسم فاعله اى من يصرف عنه العذاب بامر الله
فقد سبقت رحمة الله له بايجاب الثواب قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو معناه ان
يصبك الله بفقر او مرض وبلاء فلا يقدر احد من الاصنام وغيرها على كشف ذلك الضر الا الله وانما اطلق

هذا

هذا اللفظ وان كان يتصور ان يكشف الانسان عن صاحبه كربة من الكرب لان كاشف الضر في الحقيقة هو الله
اما ان يكشفه بفضله او بسبب له قوله تعالى وان يمسسك بخير اى بغنى وسعة في الرزق وصحة في الجسم فلا
مزيل لها الا هو الا انه لم يقل فلا مزيل لها الا هو لانه لما ذكر هذا في الضر دل على ذلك في الخير فاستغنى عن اعادته
وانما قال يمسسك مع ان كون المس من صفة الاجسام لان المعنى يمسك الله تعالى الضر وقوله تعالى فهو على
كل شيء قدير اى لا يقدر احد ان يمانعه عن فعل ما اراد فعله من كشف ضر او غيره • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال اردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم وراءه وهو راكب على بغلة فلما صار مليا التفت الي وقال لي
يا غلام قلت لبيك يا رسول الله قال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في
الرخا يعرفك في الشدة واذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله وقد مضى القلم بما هو كائن
فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك ما قدروا على ذلك ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتب الله
عليك لما قدروا عليه واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب الفرج وان مع العسر يسرا قوله عز وجل وهو القاهر
فوق عباده اى هو الغالب على امر عباده والقهر هو الاستعلاء بالاقتدار على الغلبة واراد بقوله فوق انهم تحت
التسخير والتذليل بما علاهم من الاقتدار عليهم لا ينفك احد منهم قوله وهو الحكيم الخبير اى المحكم لصنعه الخبير
باعمال الخلائق قوله تعالى قل اى شيء اكبر شهادة قل الله بيني وبينكم قال ابن عباس وذلك ان رؤسا مكة اتوا
شهيد صح
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ما وجد الله رسولا يرسله غيرك ما نرى احدا يصدقك
بما تقول ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة ولا نعت فارنا من يشهد
انك رسول الله كما تزعم فانزل الله هذه الآية ومعناها قل لهم يا محمد اى احد اعظم واعدل برهانا وحجة
فان اجابوك وقالوا الله والا فقل الله اكبر شهادة من خلقه وهو شهيد بيني وبينكم باني رسوله وان هذا القرآن
كلامه والشاهد هو المبين للدعوى وقد بين الله تعالى دعوى رسوله بالبراهين والمعجزات والآيات
الدالة على توحيد الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى واوحي الي هذا القرآن لانذركم
به ومن بلغ معناه انزل علي هذا القرآن لاخوفكم به بما فيه من الدلائل واخبار الامم السالفة والانبا بما
تشكون والتاليف الذي عجز عنه العرب قوله تعالى ومن بلغ اى وانذر من بلغه القرآن سواكم من العجم وغيرهم

من الجن والانس الى ان تقوم الساعة لانه ليس من بعد القرآن كتاب ولا من بعد محمد رسول قوله تعالى ائنكم لتشهدون
ان مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد استفهام بمعنى الانكار اى ان كنتم تشهدون باثبات شريك لله فانا لا اشهد بما
تشهدون به • وانما قال اخرى ولم يقل آخر لان الجمع نذكر بلفظ وحدان الباب كما قال تعالى قالت الاعراب ومثله
كثير قوله تعالى قل انما هو اله واحد لا شريك له ولا ولد وانني برئ مما تشركون به من الاصنام والاوثان قوله
عز وجل الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم اى الذين اعطيناهم التوراة والانجيل يعرفون محمدا
صلى الله عليه وسلم بما يجدونه مكتوبا عندهم من صفته ونعته كما يعرفون ابناءهم اذا داروهم بين
الغلمان • كما روى فى الخبر ان عمر رضى الله عنه قال لعبد الله بن سلام يا اباحرم اتعرف محمدا صلى الله عليه
وسلم كما تعرف ابنك • قال يا عمر انى معرفتى به اشد من معرفتى بابنى لان امين السما يعنى جبريل قد جاء بنعته
الى امين الارض وهو موسى عليه السلام • فقال عمر وكيف ذلك • قال اشهد انه رسول الله حق من الله
تعالى وقد نعته الله فى كتابنا فعرفته واما ابنى فلا ادرى ما احدث النسا بعدى • فقال عمر رضى الله عنه
وفقك الله يا ابن سلام قوله تعالى الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ابتدا كلام معناه الذين غبنوا
انفسهم بذهاب الدنيا والآخرة عنهم وهم المعاندون الذين يعرفون ويجحدون من رؤساء اليهود والنصارى
فهم لا يقرون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن قوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او
كذب باياته معناه اى احد اظلم فى فاحشة اتاها ممن اختلق على الله كذبا باضافته الى الله ما لم
يصفه الى نفسه من صفة او امر او قول وهم الذين اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله
امرنا بها قال ان الله لا يامر بالفحشا قوله تعالى وكذب باياته اى بدلايله انه لا يفلح الظالمون
اى لا يامن من عذاب الله ولا يصل الى مراده ونعته القوم الكافرون قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا
اى واذكر يوم نبعث الكفار والهتهم جميعا للحساب والجزاء • وقال بعضهم الواو عاطفه على قوله
لا يفلح الظالمون كانه قال لا يفلحون فى الدنيا ويوم نحشرهم • والحشر جمع الناس الى موضع معلوم قوله
تعالى ثم نقول للذين اشركوا معناه ثم نقول للذين اشركوا بالله غيره اين آلهتكم التى كنتم تعبدون
من دون الله وتزعمون انهم شركاء لله وشفعاؤكم قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا

قوبلت

وما كنا مشركين اى ثم لم تكن معذرتهم يوم القيمة الا مقالتهم والله ربنا ما كنا مشركين فى دار الدنيا وانما
سميت المعذرة فتنه لانها عين الفتنة • ومن قرا فتنتهم بالنصب فعلى خبر لم تكن واسمها ان قالوا • ومن قراء
ربنا بالنصب فمعناه النداء • وقرا الخفض على البدل ويجوز الرفع على اضمار هو • وقيل المراد بالفتنه محبتهم
للاوثان التى كانوا مفتتنين بها فى الدنيا فاعلم الله تعالى انه لم تكن افتتانهم بشركهم واقامتهم عليه
الا ان تبرؤا منه وانتفوا عنه فحلفوا انهم ما كانوا مشركين قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم
اى انظر يا محمد كيف صار وبال الكذب عليهم وضل عنهم اى عزب عنهم افتراؤهم بما لحقهم من الذهول والدهش
قال الضحاك وذلك حين نطقت الجوارح وشهدت عليهم ايديهم وارجلهم بعد حلفهم والله ربنا
وما كنا مشركين يقول الله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون قوله تعالى
ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا قال ابن عباس وذلك ان ابا سفيان
والوليد بن المغيرة وعتبه وشيبه والنضر بن الحرث وابى بن خلف وجماعة من اهل مكة كانوا يستمعون الى
حديث النبى صلى الله عليه وسلم قالوا للنضر ما يقول محمد قال لا ادرى ما يقول الا انى اراه يحرك
شفتيه ويتكلم بشئ ولا يقول الا اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم من القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث
عن القرون الاولين واخبارهم فانزل الله تعالى هذه الآية ومعناها ومن اهل مكة من يستمع الى حديثك
وقرانك وجعلنا على قلوبهم اغطية كراهة ان يفقهوه وفى آذانهم ثقلا وصمما فلا يسمعون الهدى وموضع
ان يفقهوه نصب على انه مفعول له اى جعلنا على قلوبهم اكنة لكراهة ان يفقهوه • والوقر بفتح الواو
الثقل فى الاذن والوقر بكسر الواو ما يحمل على الظهر قوله تعالى وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها اى وان يروا كل حجة
ودلالة لا يقروا ولا يصدقوا بها وقوله تعالى حتى اذا جاؤك يجادلونك اى يخاصمونك بالباطل يقول
الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين اى يقول النضر بن الحرث واصحابه ما هذا الذى يقول محمد الا احاديث
الاولين واباطيلهم قوله عز وجل وهم ينهون عنه وينأون عنه قال مقاتل نزلت فى ابى طالب كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام فاجتمعت قريش الى ابى طالب يريدون سوءا بالنبى صلى الله
عليه وسلم فقال ابو طالب • والله لن يصلوا اليك بجمعهم • حتى اوسد فى التراب دفينا • فاصدع بامرك

ما عليك غضاضة • وابشر وقر بذاك منك عيونا • ودعوتني وزعمت انك ناصحي • فلقد صدقت وكنت ثم امينا • وعرضت دينا لا محالة انه • من خير اديان البرية دينا • لولا الملامة او حذار مسبة • لوجدتني سمحا بذاك يقينا • فانزل الله تعالى وهم ينهون عنه اى ينهون الناس عن اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينأون عنه اى يتباعدون عما جاء به من الهدى فلا يصدقونه • وقال السدى والضحاك نزلت الاية في جميع كفار مكة يعنى وهم ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والايمان ويبعدون انفسهم عنه وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يعلمون انهم يهلكون انفسهم قوله عز وجل ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا اى لو ترى يا محمد كفار قريش اذ حبسوا على النار اذا عاينوها وقيل دخلوها وعرفوا عذابها فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا يتمنون الرجعة الى الدنيا وقرأ ابن السميقع وقفوا بفتح الواو والقاف من الوقوف • والقراءة الاولى من الوقف وجواب لو محذوف تقديره ولو تراهم في تلك الحالة لرايت عجبا • وقيل لعلمت ما ذا ينزل بهم من الخزى والندامة ورايت حسرة يا لها من حسرة قوله تعالى ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين قرأ حمزة ويعقوب وحفص ولا نكذب ونكون بالنصب على جواب التمنى والعرب تنصب جواب التمنى بالواو كما تنصبه بالفاء كما قالوا ليتك تصير الينا ونكرمك او فنكرمك وكلاهما بالنصب • وقرأ ابن عامر ونكذب بالرفع ونكون بالنصب لانهم تمنوا الرد وان نكونوا مؤمنين واخبروا انهم لا يكذبون بايات ربهم وان ردوا الى الدنيا ومعناه يا ليتنا نرد ويا ليتنا لا نكذب كانهم تمنوا الرد والتوفيق بالتصديق ويجوز ان يكون ذلك رفعا على معنى ونحن لا نكذب بايات ربنا رددنا او لم نرد قوله عز وجل بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اى بل ظهر للذين يتبعون الغواة ما كان الغواة يخفون عنهم من امر البعث والنشور وما كان رؤساهم يخفون من سفلتهم وقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه اى لو ردوا الى الدنيا كما سألوا لعادوا الى ما نهوا عنه من الكفر والشرك قوله تعالى وانهم لكاذبون يعنى وانهم لكاذبون في قولهم ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين لانهم لا يؤمنون لسابق علم الله فيهم انهم خلقوا للنار قوله تعالى وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا اى قال كفار مكة ما حياتنا الا الحيوة الدنيا وما نحن بمبعوثين بعد الموت قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اى لو ترى يا محمد اذ حبسوا

عند

عند ربهم للسؤال والحساب • ويقال عرفوا ما وعدهم ربهم من البعث والقيمة والجنة والنار يقول الله لهم اليس هذا البعث والعذاب بالحق اى بالصدق قالوا بلى وربنا انه الحق اى الصدق يقول الله تعالى فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون في الدنيا وانما ذكر الذوق بمعنى الخلود لتبيين انها لهم في كل وقت كحال من يعذب بالعذاب المبتدأ ومعنى وقفوا على ربهم اى على حكم ربهم وقضائه فيقول لهم الملئكة بامر الله تعالى اليس هذا العذاب بالحق قالوا بلى وربنا انه حق قوله تعالى قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اى قد غبن الذين كذبوا بالبعث بعد الموت حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة اى فجأة ندموا في وقت لا ينفعهم الندامة وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها في كل ساعة وقوله تعالى يا حسرتنا على ما فرطنا فيها اى على ما قصرنا وضيعنا في الدنيا من عمل الاخرة وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم معناه والكفار يحملون اثقال اثامهم او قرت ظهورهم بذنوبهم والذنب من اثقل ما يحمل • وقيل معنا على ما فرطنا فيها اى في الصفقة وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم • قال السدى ليس من رجل ظالم يدخل قبره الا اتاه شخص قبيح الوجه اسود اللون منتن الرايحة عليه ثياب دنسة فاذا راه الظالم • قال له ما اقبحك فيقول له انا عملك في الدنيا فيكون معه في قبره فاذا بعث يوم القيمة قال له طال ما كنت احملك على اللذات والشهوات فانت اليوم تحملني فيركبه ويقدمه فيضرب بها راسه فيفضحه على رؤس الخلايق حتى يدخله النار فذلك قوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم قوله تعالى الا ساء ما يزرون اى بئس الشيء الذي يحملون من الاثام • ويقال بئس الشيء شيئا يزرونه اى يحملونه قوله عز وجل وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو معناه ما زينة الدنيا وزهوتها الا استمتاع يفنى عن قريب ثم يعقبه حسرة وندامة وسمى ذلك لعبا تشبيها بلعب الصبيان يبنون بناء ثم يهدمونه يلعبون بشيء فيلهون به كذلك اهل الدنيا يجمعون ما لا ياكلون ويبنون ما لا يسكنون ويؤملون ما لا يدركون وهذا مثل ضربه الله لكفار مكة يفعلون ما لا يرجون به الثواب ولا يخشون منه العقاب لا يتفكرون في العاقبة كالصبيان في لهوهم واللعب شغل النفس بما لا حقيقة له ولا مقصد • واللهو طلب الفرج بمثل ذلك قوله تعالى وللدار الاخرة خير للذين يتقون يعنى الجنة افضل للذين يتقون الشرك والكباير والفواحش

كذبوا بي

افلا تعقلون ان الاخرة الباقية خير من الدنيا الفانية • قرا ابن عامر ولدار الاخرة بلام واحدة على
الاضافة قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون معناه قد نعلم انه ليحزنك ما يقول كفار مكة من
تكذيبهم اياك في العلانية وجحودهم بالله فانهم لا يكذبونك في السر ولا بقلوبهم اي انهم يعلمون انك
صادق وكنت سميتهم الامين قبل الرسالة فلا يحزنك تكذيبهم اياك فيما يعلمون صدقك فيه ولكن
المشركين بايات الله يجحدون بالسنتهم ما يشهد به قلوبهم بكذبهم فيه • وقال السدي التقى الاخنس
بن شريق وابو جهل فقال الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد صادق هو ام كاذب فانه ليس
ها هنا احد يسمع كلامنا فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط • ولكن اذا ذهب بنو
قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فانزل الله هذه الاية • ويقال معنى لا يكذبونك
يعني لا يقدرون ان يقولوا لك فيما انبات به مما في كتب الانبياء قبلك كذبت • وقرا نافع والكسائي يكذبونك
بالتخفيف ومعناه لا يجدونك كاذبا يقال كذبت فلانا بالتشديد اذا قلت له كذبت واكذبت فلانا اذا
رايت ما اتى به كذبا • وقرا نافع ليحزنك بضم اليا والمعنى واحد قوله عز وجل ولقد كذبت رسل من قبلك
فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ليصبر على اذى
الكفار ومعناه ان الرسل قبلك كذبهم قومهم كما كذبك هؤلاء واذوهم كما اذوك فصبر الرسل على
تكذيبهم واذاهم حتى اتاهم نصرنا اي اتاهم نصرنا باهلاك قومهم فاصبر انت ايضا على تكذيب قومك اياك
واذاهم لك حتى ياتيك نصرنا قوله تعالى ولا مبدل لكلمات الله اي لا مغير لما وعدك الله من النصر
والظفر بقوله انا لننصر رسلنا ولقد جاءك من نبإ المرسلين اي من خبر المرسلين قبلك ما يكون لك
فيه سلوة واعتبر باخبارهم قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم اي ان كان عظم وثقل عليك
يا محمد اعراضهم عن القبول منك وقولهم لولا انزل عليه ملك وسؤالهم كل معجزة شاؤا فان استطعت
ان تطلب مسلكا نافذا في الارض كنفق اليربوع فتدخله هاربا متواريا او تطلب شيئا يسلك الى
السماء فاتيهم بالاية التي سالوها فافعل وليس في القران فافعل لانه قد يحذف ما يكون في الكلام دليلا
عليه مثل قول الرجل ان رايت ان تمضي معي الى فلان ولا تذكر فافعل وقد بين الله تعالى في هذه الاية

انه انما

انه انما ياتي من الايات بما احب وان رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر لا يقدر على الاتيان به الا بما شاء الله
وكان الله قد علم انه لو انزل عليهم الملك وكل اية سالوها لم يؤمنوا فلم ينزل الا ما تثبت به الحجة عليهم
فنوح ذو البصيرة والثبات على الايمان بالاية قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لو شاء الله لاضطرهم
الى الايمان كما قال الله تعالى ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين • وقيل معناه
ولو شاء الله لاطبعهم على الهدى • وقيل لوفقهم وقوله تعالى فلا تكونن من الجاهلين اي لا تكونن من الجاهلين
بترك الصبر واظهار الجزع واستشعار الغم لاعراضهم عنك فان هذا من فعال الجاهلين • ويقال معناه لا تكونن
من الجاهلين بمقدوري عليهم فاني مقدوري عليهم الكفر قوله عز وجل انما يستجيب الذين يسمعون معناه انما يجيب
الذين يقبلون الحق واما الذي لا يقبل الحق فكانه اصم او ميت قوله تعالى والموتى يبعثهم الله اراد به كفار
مكة سماهم موتى لانهم لم يتدبروا ولم يتاملوا ولم ينتفعوا بحياتهم فكانوا بمنزلة الموتى وان كانوا في الصورة
احياء ثم اليه يرجعون في الاخرة فيخبرهم باعمالهم قوله تعالى وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه اي قال
كفار قريش لولا نزل على محمد علامة من ربه لنبوته من ربه يعنون الايات التي كانوا يقترحونها قل يا محمد
ان الله قادر على ان ينزل اية على ما يقترحونها انتم ولكن اكثر اهل مكة لا يعلمون ما عليهم من المضرة في
انزال هذه الاية اذ الحكمة تقتضي التعذيب بعذاب الاستيصال لمن كفر بعد انزال الاية المقترحة قوله تعالى
وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم اي ما من دابة تدب وتتحرك على وجه الارض
ولا طائر يطير في الهوى يطير بجناحيه الا امم امثالكم في الفقر والفاقة والحاجة الى مدبر يدبرهم في اغذيتهم
واكنتهم وهدايتهم الى مراشدهم ومصالحهم • وقيل معناه الا امم امثالكم في الخلق والرزق والموت والبعث
لانه قال والموتى يبعثهم الله فيكون معناه وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم في ان
الله يميتها ويبعثها للجزاء • وقيل معناه الا امم امثالكم يفقه بعضهم عن بعض كما نفقه بعضكم عن بعض وذكر
الجناحين في الاية على جهة التاكيد لانه يقال طار فلان في الامر اي اسرع وفلان طير من الطيور لسرعته في
الامور • وذكر الجناحين في الاية لبيان ان المراد به الطير قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء معناه ما تركنا
في اللوح المحفوظ شيئا الا كتبناه فيه • ويقال ما تركنا بيان شيء في القران مما تحتاجون اليه من احكام الدين

والدّنيا بل قد بيّنا في الكتاب كل شيء اما مفصلا او مجملا • اما المفصل كقوله تعالى ان النفس بالنفس والعين بالعين •
واما المجمل كقوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله تعالى ثم الى ربهم يحشرون معناه ان الطيور
والدواب يجمعون مع ساير الخلق يوم القيمة للحساب وللجزا كما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الله تعالى يحشر الخلق كلهم يوم القيمة البهايم والدواب والطيور وكل شيء فيبلغ من عدله ان ياخذ للجما
من القرنا فاذا ميّز بين اهل الجنة والنار قال للبهايم والوحوش والطيور كوني ترابا تستوي بكم الارض فتكون ترابا فعند
ذلك يتمنى الكافر فيقول يا ليتني كنت ترابا والمراد بهذا الانصاف للبهايم بعد ان احياها انه انصاف لم يكن فيه الم قوله
عز وجل والذين كذبوا باياتنا صم وبكم في الظلمات معناه والذين جحدوا بمحمد صلى الله عليه وسلم و
القرآن صم عن الخير لا يسمعون الهدى خرس لا يتكلمون بخير اي كون حالهم كحال الاصم الابكم وحذف حرف التشبيه
من قوله صم وبكم على جهة المبالغة في الوصف كما يقال في وصف القوم بالبلادة هؤلاء حمر قوله في الظلمات اي في
ضلالات الكفر في ظلمة السمع والبصر والقلب من يشاء الله يضلله اي من يشاء الله يتركه في ضلالة الكفر
فلا يخرجه منه ومن يشا يرشده ويوفقه للاسلام فيثبته على ذلك حتى يموت عليه • ويقال معناه من
يشا الله يضلله في الآخرة عن طريق الجنة الى طريق النار ومن يشا يجعله على طريق الجنة قوله عز وجل قل ارايتكم
ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اي قل يا محمد لاهل مكة ارايتم والكاف زايدة في بيان الخطاب
للتاكيد كما في ذلك واولئك والمعنى قل ارايتم ان اتاكم عذاب الله كما اتى الامم الماضين قبلكم المكذبين لرسلهم
او اتتكم القيمة باهوالها وشدايدها • ويقال اراد بالساعة الوقت الذي يصعق فيه العباد فيموتوا كلهم
قوله تعالى اغير الله تدعون اي اغير الله تدعون في كشف ذلك العذاب ودفع تلك الاهوال عنكم ام تدعون الله
تعالى وقوله تعالى ان كنتم صادقين اي في مقالتكم ان الاصنام شركا لله فهلا تدعون الاصنام عند الشدايد
وهذا احتجاج من الله عليهم بما لا يدفعونه لانهم كانوا اذا مسهم الضر دعوا الله تعالى فقوله تعالى بل اياه
تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء اي بل تدعون الله في كشف العذاب والاهوال وبل للاستدراك
بعد النفي فيكشف ما تدعون اليه اي يكشف عنكم الضر الذي من اجله دعوتموه لكشفه وقوله تعالى ان شا
انما قرن بالمشية لان كشف العذاب فضل من الله تعالى وفضل الله يعطيه من يشا وقوله تعالى وتنسون

ما تشركون

ما تشركون اي وتتركون دعوة الهتكم عند الشدة اذا اشرفتم على الهلاك واضطربت بكم الامواج في لجج البحار
او في غير ذلك من المخوف والاوجاع التي لا اصبر عليها وقد يذكر النسيان بمعنى الترك كما في قوله نسوا الله فنسيهم
اي تركوا ذكر الله فتركهم الله في العذاب قوله عز وجل ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء
والضراء اي ولقد ارسلنا رسلا الى امم من قبلك كما ارسلناك الى قومك فلم يؤمنوا فاخذناهم بالباساء و
الضراء وهي الشدة النازلة ماخوذة من البأس • وقيل من البوس وهو الفقر والضراء وهي الامراض والاوجاع
وهي ماخوذة من الضر وقوله تعالى لعلهم يتضرعون اي لكي تخشع القلوب وتتضرع النفوس عند الشدة
فيرجعون الى الله يؤمنوا به فيكشف عنهم فلم تفعلوا قوله عز وجل فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا اي فهلا
حين جاءهم باسنا اي عذابنا دعوا الله وامنوا به ولكن قست قلوبهم اي يبست وجفت قلوبهم فاقاموا
على كفرهم اذ لم يكن في قلوبهم رقة ولا خوف من الله وزين لهم الشيطان اي حسن لهم ما كانوا يعملون في كفرهم
بان اغواهم ودعاهم الى اللذة والراحة دون التفكر والتدبر لتبيان الحق من الباطل قوله تعالى فلما نسوا
ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء اي فلما تركوا ما وعظوا به وامروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء مما كانت
مغلقا عليهم من الخير والرزق والخصب والمطر واخصبت بلادهم وكثر خيرهم حتى اذا اعجبهم ما اعطوا من
النعيم والسعة والصحة اخذناهم بغتة • اي فجاة بالعذاب بعد ان ابتليناهم في النعمة والشدة فلم يزدادوا
الا كفرا فاذا هم مبلسون اي فاذا هم عند نزول العذاب بهم ايسون من كل خير متحيرون غاية الحسرة والمبلس
الباس الحزين الشديد الحسرة • ويقال هو المنقطع عن الحجة • فان قيل لم انعم الله عليهم حين نسوا ما ذكروا به
وهذا موضع العقوبة دون الانعام • قيل فيه قولان احدهما انه انعم عليهم بالدعاء لهم الى الطاعة
فان الدعاء الى الطاعة تارة تكون بالعنف والتشديد وتارة باللين والانعام • والثاني فانه انما فعل ذلك
بهم لان من ينقل من النعمة والراحة الى العذاب يجتمع عليه العذاب والحسرة على ما فاته فيكون ذلك اشد
عليه ممن ينقل من الشدة الى العذاب قوله عز وجل فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي استوصل بالهلاك
اخر من بقي من القوم الكافرين ودابر القوم اخرهم من نسلهم وغيرهم بحيث لا يبقى لهم بعد ذلك باقية
وقوله والحمد لله رب العالمين يجوز ان يكون حمدا من الله لنفسه على اهلاكه القوم الكافرين والمعاندين

بعد أعذرهم وأنذرهم • ويجوز أن يكون قوله والحمد لله رب العالمين تعليمًا من الله يحمدونه على هلاك
الظالمين وقد قطع الله دابر المعاندين من أهل مكة يوم بدر كما قطع دابر المكذبين قبلهم • وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا رأيت الله تعالى يعطي عبدًا في الدنيا على معصيته ما يحب فإن
ذلك منه استدراج ثم قرأ صلى الله عليه وسلم فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء الآية
قوله عز وجل قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به أي قل يا محمد
لكفار مكة إن سلب الله سمعكم وأبصاركم التي هي أشرف ما فيكم من الأعضاء وختم على قلوبكم بأن سلب
عقولكم حتى لا تفقهوا بها فعاقبكم بذلك على تكذيبكم الرسل هل من إله غير الله يرد عليكم ما سلبه الله
تعالى وهل يقدر على ذلك غيره انظر يا محمد كيف نصرف الآيات في القرآن ونخوفهم بها ثم هم
يصدفون أي يعرضون عما وضح لهم مكذبين به لا تتحرك أفئدتهم والتصريف توجيه المعنى في الجهات التي
تظهر تمام الإظهار قوله تعالى قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة أي أرأيتم إن أتاكم وهذا
حالكم في الإصرار على الكفر عذاب الله فجاءة أو علانية نهارًا جهارًا هل يهلك إلا أنتم ومن شايعكم لأنكم
كفرتم معاندين فقد علمتم أنكم ظالمون • وإنما قابل البغتة بالجهرة وإن كان ضد الجهرة الخفية لأن
ما يأتي فجاءة فإنما يأتي خفية قوله تعالى وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين أي ليس على الرسل
أن يأتوا الناس بما يقترحون عليهم من الآيات إنما نرسلهم بالتبشير بالجنة للمطيعين والتحذير بالنار
للكافرين فمن آمن بالرسل والكتب وأصلح العمل فيما بينه وبين ربه فأقام على إيمانه وتوبته فلا
خوف عليهم حين يخاف أهل النار ولا هم يحزنون إذا حزنوا قوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا
يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون أي يصيبهم العذاب بفسقهم وجحودهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن وقوله عز وجل قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك
نزلت هذه الآية جوابًا عن قول الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد لولا أنزل عليك كنز
فتستغني به فإنك فقير محتاج وعن قولهم لولا أنزل عليه ملك وقولهم لولا أنزل عليه آية
ومعناها قل لهم يا محمد لا أقول لكم عندي خزائن الله أي لا أدعي أن مفاتيح الرزق بيدي

فاقبض

فأقبض وأبسط وليس خزائن الله مثل خزائن العباد إنما خزائن الله مقدوراته التي لا توجد إلا
بتكوينه إياها ولا أعلم الغيب أي لا أدعي علم الغيب فيما مضى وما سيكون ولا أقول لكم إني ملك من
السماء شاهدت ما لم يشاهده البشر إن أتبع إلا ما يوحى إلي أي لا أعمل ولا أقول إلا ما ينزله الله على لسان
بعض الملائكة قل هل يستوي الأعمى والبصير أي الكافر والمؤمن ويقال الجاهل والعالم أفلا تتفكرون
في آيات الله ومواعظه قوله تعالى وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم أي أنذر بالقرآن
وخوف به الذين يعلمون أن نحشرهم إلى ربهم أي إلى موضع لا يملك أحد فيه نفعهم ولا ضرهم إلا الله تعالى
قالوا والذين يخافون البعث أحد رجلين إما مسلم فينذر ليؤدي حق الله في إسلامه • وإما رجل
من أهل الكتاب فهم مقرون بأن الله خلقهم وأنهم مبعوثون محاسبون قوله عز وجل ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه قال عبد الله بن مسعود مر جماعة من المشركين برسول الله
صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وخباب بن الأرت وبلال وعمار بن ياسر وغيرهم من ضعفاء المسلمين
فأرادوا الحيلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليطرد أصحابه فقالوا يا محمد لو طردت هؤلاء
السفلة والعبيد عنك لأتاك أشراف قومك ورؤساهم يستمعون مقالتك ويصدقونك وذكروا ذلك
أيضًا لعمر رضي الله عنه فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم حرصًا على إسلام أشراف قومه فهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بعض الذي طلبوه فأنزل الله هذه الآية يعلمه أنه لا يجب أن
يفضل غنيًا ولا شريفًا على فقير وضعيف لأن طريقه فيما أرسل به الدين دون أحوال الدنيا فذلك قوله
تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم أي يعبدون ربهم بالصلوة المفروضة غدوًا وعشيًا وهم
ضعفة الصحابة وصفهم الله بالمواظبة على عبادته في طرفي النهار ثم شهد لهم أنهم مخلصون في الإيمان
بقوله يريدون وجهه أي يريدون وجه الله تعالى بذلك ويطلبون رضاه • وذكر الوجه على
سبيل التفخيم كقوله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه معناه إلا هو قوله تعالى ما عليك من حسابهم من شيء
أي ما عليك من حساب عملهم وباطن أمورهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء أي ما عليهم من باطن
أمورك شيء لا يسألون عن عملك ولا تسأل أنت عن عملهم • وقيل معناه ما عليك من رزقهم من شيء وما من

رزقك عليهم من شيء قوله تعالى فتطردهم جواب ما عليك من حسابهم وقوله تعالى فتكون جواب ولا تطرد
ومعناه فتكون من الظالمين لنفسك ان لو تطردهم وتقدير الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدات
والعشي فتكون من الظالمين ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم • وقال سلمان
وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري واصحابهم من المؤلفة فوجدوا
النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المسلمين فلما
رأوهم حوله حقروهم وقالوا يا محمد لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء ورايحة جبابهم
لجالسناك وحادثناك واخذنا عنك وكان عليهم جباب من صوف لم يكن عليهم غيرها • فقال صلى الله
عليه وسلم ما انا بطارد المؤمنين • فقالوا انا نحب ان تجعل لنا مجلسا تعرف العرب به فضلنا فان وفود العرب
تاتيك فنستحيي ان ترانا العرب مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن قمنا فاقعدهم
معك ان شئت فاجابهم الى ذلك • فقالوا اكتب لنا عليك بذلك كتابا فدعا بصحيفة ودعا عليا رضي الله
عنه ليكتب • قال فبينا نحن قعود في ناحية المسجد اذ نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغدات والعشي يريدون وجهه الآية • فالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصحيفة من يده ثم دعانا فاتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه
فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدات والعشي
يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم • قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد وندنو منه
حتى تكاد ركبنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال الحمد لله
الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات • وقال مجاهد قالت قريش
لولا بلال وابن ام العبد لتابعنا محمدا فانزل الله هذه الآية • وقال عكرمة جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن
ربيعة ومطعم بن عدي ونوفل بن الحرث وعمرو بن نوفل الى ابي طالب فقالوا لو ان ابن اخيك محمدا يطرد
عنه موالينا فانما هم عبيدنا وعتقاؤنا كان اعظم في صدورنا واطوع له عندنا وادنى لاتباعنا
اياه وتصديقنا له فاتى ابو طالب الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه • فقال عمر بن

الخطاب رضي الله عنه لو فعلت ذلك يا رسول الله حتى ننظر ما الذي يريدون والى ما يصيرون من قولهم
فانزل الله تعالى هذه الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي • قال ابن عباس معناه
يعبدون ربهم بالصلوة المكتوبة بالغداة والعشي يعني صلاة الصبح وصلاة العصر قوله تعالى وكذلك
فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا قال ابن عباس معناه وكذلك ابتلينا بعضهم ببعض
العربي بالمولى والغني بالفقير والشريف بالوضيع ليقول الاغنياء والاشراف مثل عيينة بن حصن الذي دخل على
النبي صلى الله عليه وسلم وقال له لو تطردت هؤلاء السفلة ومثل اصحابه كانوا يقولون اهؤلاء يعنون
سلمان واصحابه من الله عليهم بالمعرفة والاسلام من بيننا • وقال الكلبي هو ان الشريف اذا نظر الى الوضيع
قد اسلم قبله استنكف وانف ان يسلم وقال قد سبقني هذا بالاسلام فلا يسلم • ومعنى اللام في قوله
ليقولوا لام العاقبة ومعناه ليكون عاقبة امرهم ان قال الاغنياء والاشراف هؤلاء المستضعفون فضلهم
الله علينا • ونظير هذه اللام في هذه الآية قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ومعلوم
انهم لم يلتقطوه لاجل ان يكون لهم عدوا ولكن عاقبة التقاطهم اياه ان صار لهم عدوا وحزنا • وقال بعضهم
اللام في قوله ليقولوا معناها الاستفهام اي ليقول بعضهم لبعض استفهاما لا انكارا اهؤلاء من الله عليهم
من بيننا بالايمان • والفايدة في ذلك ان الاغنياء كانوا شاكين في ان يسبق الفقراء الى الايمان وصبرهم على طريقة
الدين هل يوجب ان يكون نعمة عظيمة من الله عليهم فامرهم الله تعالى ان يستفهموا من الرسول صلى الله
عليه وسلم ما لاجله يقدم الفقراء بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم واستحقوا الاعظام فيظهر
عند الاستفهام جواب النبي صلى الله عليه وسلم ويكون في سماعهم لذلك مصلحة عظيمة توجب
رضاهم بتقديم النبي صلى الله عليه وسلم اهل الدين قوله تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين
استفهام بمعنى التحقيق على معنى ان الله اعلم بمن هو من اهل التوحيد والثواب وقوله تعالى واذا جاءك
الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم
تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية • فقال عكرمة نزلت في الذين
نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم • وكان صلى الله عليه وسلم اذا راهم بدأهم

بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في امتي من امرني ان ابدأهم بالسلام • وقال ابن عباس والكلبي لما نزلت
هذه الاية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة الاية جاء عمر رضي الله عنه معتذرا من مقالته
فانزل الله تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم اي الذين يصدقون بمحمد صلى الله
عليه وسلم والقرآن فقل سلام عليكم اي قبل الله معذرتكم وتوبتكم ومعنى السلام السلامة من جميع
الآفات • وقيل ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يسلم على المستضعفين اذا جاؤا اليه
وانما امر بان يبدأهم بالسلام مع ان العادة ان الجائي يسلم على القاعد حتى ينبسط اليهم بالسلام عليهم
لئلا يحتشموا من الانبساط اليه • قال عطا نزلت في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وابي عبيدة وبلال وسالم
ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر • وعن انس بن مالك رضي الله عنه
قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظيمة كبيرة فسكت
عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام
عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة اي قضى على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوء بجهالة اي اثما ثم
تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم • واختلفوا في قوله سوء بجهالة • قال مجاهد معناه لا يعرف
حلالا من حرام فمن جهالته ركب الامر وقيل جاهل بما يورثه ذلك الذنب • وقيل جهله حين آثر المعصية
على الطاعة واللذة اليسيرة الفانية على الكثيرة الباقية الدائمة فعلى هذا يسمى مرتكب المعصية جاهلا
واختلف القراء في قوله تعالى انه من عمل منكم سوء بجهالة وقوله فانه غفور رحيم • فكسرهما
جميعا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي وخلف والاعمش على الاستيناف • ونصبهما الحسن وابن
عامر وعاصم ويعقوب بدلا من الرحمة • وفتح نافع الاول على معنى كتب انه من عمل وكسر الثاني
على الاستيناف قوله عز وجل **وكذلك نفصل الآيات** اي نبين لنا الامر والنهي في القرآن منفصلا وكذا انتهى
ونزل الآيات متفرقة شيئا بعد شيء وقوله تعالى **ولتستبين سبيل المجرمين** معطوف على مضمر تقديره (الكافرين صح)
لنظهر الحق من الباطل ولتستبين طريق المجرمين فانما لم يقل سبيل المؤمنين لان في الكلام ما يدل عليه
لان معناه ولتستبين سبيل المجرمين من سبيل المؤمنين • ويقرأ وليستبين بالياء لان السبيل يذكر

ويؤنث فتميم تذكره واهل الحجاز يؤنثه • ودليل التذكير قوله تعالى لم تصدون عن سبيل الله
من آمن به ولم يقل بها • ودليل التانيث قوله تعالى قل هذه سبيلي ولم يقل هذا • وقرأ اهل المدينة (قل صح)
سبيل بالنصب على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم معناه ولتعرف يا محمد سبيل المجرمين فالخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به عامة المسلمين كانه ولتستبينوا وتزدادوا معرفة بطريق
المجرمين قوله تعالى **قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله** اي قل يا محمد لعيينة واصحابه اني نهيت
عن عبادة الذين تعبدونهم من الاصنام من دون الله **ولا اتبع اهواءكم** فانكم قد عبدتموها وسألتموني
طرد سلمان وبلال واصحابهما على طريق الهوى لا على طريق البينة والبرهان وقوله تعالى **قد ضللت اذا**
اي قد ضللت ان عبدتها معناه ان فعلت ذلك فقد تركت سبيل الحق وسلكت غير سبيل الهدى • وقرأ
يحيى بن وثاب وابو رجا قد ضللت بكسر اللام وهما لغتان الا ان الفتح افصح لانها لغة اهل الحجاز وقوله
وما انا من المهتدين عطف على ضللت اي ان اتبع اهواكم فما انا من الذين سلكوا طريق الهدى • قوله عز وجل
قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به اي قل يا محمد اني على بصيرة وبيان من امر ربي
لا متبع للهوى وكذبتم به اي بالبيان وانما ذكر الكناية لان البينة والبيان بمعنى واحد ويجوز ان
يكون معناه وكذبتم بما اتيتكم به وهو القرآن ومعنى البينة الدلالة بين الحق والباطل قوله تعالى
ما عندي ما تستعجلون به • روي ان رؤسا قريش كانوا يستعجلون العذاب حتى قام النضر بن الحرث
في الحطيم وقال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فائتنا بالعذاب فنزلت هذه الاية • وقيل ما عندي (معناه صح)
ما تستعجلونه به من الآيات التي تقترحونها وقوله تعالى **ان الحكم الا لله** اي ما القضاء ونزول الآيات الا
لله **يقضي الحق** اي يحكم بالعدل ويقضي القضاء الحق **وهو خير الفاصلين** اي اعدل القاضين • من قرأ يقص
الحق بالصاد المشددة فمعناه يبين الحق ويأمر به • ومن قرأ يقضي يحكم • وقرأ ابن عباس يقضي بالحق
واما سقوط الياء في قراءة من قرأ يقض فانما سقطت في الخط لالتقاء الساكنين كما في قوله تعالى سندع
الزبانية يوم يدع الداعي • وفي جميع المصاحف يقض بغير ياء قوله تعالى **قل لو ان عندي ما تستعجلون**
به اي قل يا محمد لو ان عندي ما تستعجلون به من العذاب لاهلكتكم وانقطع ما بيني وبينكم من

مطالبتى اياكم بالاخلاص فى طاعة الله وعبادته وامتناعكم من ذلك والله اعلم بالظالمين اى
بعقوبتهم ووقت عذابهم قوله عز وجل وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو قرا ابن السميفع مفاتيح
الغيب بالياء • واختلفوا فى معنى مفاتح الغيب • فروى عن عبد الله بن عمران رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله علم الساعة ونزول الغيث وعلم ما فى الارحام وما تدرى
نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت • وقال السدى مفاتح الغيب خزاين الغيب وهى
المقدورات التى تستفتح بها ما فى الغيب وسمى الخزانة مفتحا لانه ينفتح منه الامر • وقيل مفاتح الغيب ما ينفتح
به علم ما فى الغيب من وقت نزول العذاب الذى كانوا يستعجلون به وغير ذلك • وقيل معناه وعنده
مفاتح الغيب اى نزول العذاب لا يعلم متى ننزل ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وما يصير اليه من امرى
وامركم الا هو • وقيل معنا مفاتح الغيب الاجال واحوال العباد من السعادة والشقاوة وعواقب الامور
وخواتم الاعمال • وقال ابن مسعود رضى الله عنه اوتى نبيكم عليه السلام كل شىء الا مفاتيح الغيب والمفاتح
جمع مفتح والمفاتيح جمع مفتاح وهو معرفة الغيب وقوله تعالى ويعلم ما فى البر والبحر اى يعلم ما فى
البر من النبات والخلق وما فى البحر من الدواب والعجايب • وقيل يعلم رزق كل من فى البر والبحر يسوق الى كل
ذى روح رزقه قوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها قال ابن عباس ما من شجرة فى بر ولا بحر الا وبها
ملك موكل يعلم ما يوكل منها وما يسقط من ورقها ويعلم عدد ما بقى على الشجرة من الورق وما سقط
منه • وقيل معنى الاية وما سقط من ورقة من اوراق الشجر الا يعلمها الله كلها ثابتة وساقطة ويعلم
متى سقوطها وموضع سقوطها قوله تعالى ولا حبة فى ظلمات الارض اى كل حبة تكون فى الارض حتى الحبة
التى تكون تحت الصخرة التى هى اسفل الارضين يعلمها الله • وقيل اراد كل حبة تكون فى شقوق الارض فما يخرج
منها النبات • ومن قراء ولا حبة بالرفع فعلى الابتدا وخبره الا فى كتاب مبين وقوله تعالى ولا رطب
ولا يابس الا فى كتاب مبين اراد بالرطب الما والحجر وباليابس الحجر والمدر كل ذلك مكتوب فى اللوح المحفوظ
اثبت الله فيه كل ما يخلق قبل ان يخلقه كما قال تعالى ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى
كتاب من قبل ان نبراها • وعلم انه قد اثبت ما خلق قبل خلقه والرطب واليابس عبارة عن جميع

الاشيا التى تكون فى السموات وفى الارض لانها لا تخلو من احدها من الصفتين • وعن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال ما زرع على الارض ولا ثمار على الاشجار الا عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم رزق فلان بن
فلان • فان قيل ما الفايدة فى كون ذلك مكتوبا فى اللوح مع ان الله لا يخفى عليه شىء وانه كان عالما بذلك
قبل ان يخلقه وقبل ان يكتبه لم يكتبها ليحفظها ويدرسها • قيل فايدته ان الحوادث اذا احدثت موافقة للمكتوب
ازدادت الملايكة بذلك علما ويقينا بعظم صفات الله عز وجل قوله عز وجل وهو الذى يتوفاكم بالليل
ويعلم ما جرحتم بالنهار معناه هو الذى يقبضكم عن التصرف بالنوم وما تصيرون فى منامكم بالليل
فى قبضته لا تملكون لانفسكم تصرفا فى اموركم والتوفى فى اللغة هو القبض الا ان روح النايم لا تصير مقبوضة
فى حال نومه على جهة الحقيقة لان النايم يستمهن الهوى على حسب ما يفعله المنتبه ولكن الله يحدث
فى حال النوم فى بدن النايم ضربا من الاسترخا فى اغماضه اما بسلب عقله او باحداث فعل فى البدن
يكون ذلك الفعل سببا لراحة البدن كما قال تعالى وجعلنا نومكم سباتا فلما صار النايم كالميت
فى انه لا يعقل وفى ان تصرفه لا يقع على تمييز شبه بالميت من حيث التوفى على هذا الوجه • كما ورد عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال النوم اخو الموت واهل الجنة لا يموتون كذلك لا ينامون
وعلى هذا الوجه يتاول قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها الى اخر الاية • وذهب
بعضهم الى ان الروح تخرج من البدن فى المنام ولكن لا تنقطع حركة النايم لان نظر الروح لم ينقطع
عن البدن اذ هو على العود فى كل وقت وفى كل ساعة • وقال لا تخرج منه الروح وانما يخرج منه
الذهن قوله تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار اى ما كسبتم من الخير والشر بالنهار يقال جرح واجترح
بمعنى كسب واكتسب واصل الاجتراح عمل الجوارح قوله تعالى ثم يبعثكم فيه اى ينبهكم من نومكم
فى النهار على علم منه بما اجترحتم من قبل وما تجترحون من بعد ليقضى اجل مسمى اى لتبلغوا الوقت
المقدر الذى قدره الله لحيوتكم فينقطع ارزاقكم واعمالكم التى تعملون فى الدنيا من خير او شر قوله تعالى
ثم اليه مرجعكم اى ثم الى الله مصيركم ومنقلبكم بعد الموت ثم ينبيكم بما كنتم تعملون اى ثم يخبركم
فى الاخرة بما كنتم تعملون فى الدنيا فيجازى كل عامل بما عمل قوله عز وجل وهو القاهر فوق عباده

فيرسل عليكم حفظة اى وهو الغالب لعباده المستعلى عليهم بالقدرة وليس معنى فوق معنى المكان لاستحالة اضافة الاماكن الى الله وانما معناه الغلبة والقدرة ونظيره فلان فوق فلان فى العلم اى اعلم منه قوله تعالى ويرسل عليكم حفظة معناه والمرسل عليكم حفظة فاكتفى بالفعل عن الاسم والحفظه هم الملئكة يحفظون على العباد اعمالهم على ما تقدم • وقد ورد فى الخبر ان على كل واحد منا ملكين بالليل وملكين بالنهار يكتب احدهما الحسنات والاخر السيات وصاحب اليمين امير على صاحب الشمال فاذا عمل العبد حسنة كتبت له بعشر امثالها واذا عمل سية فاراد صاحب الشمال ان يكتب قال له صاحب اليمين امسك فيمسك عنه ست ساعات او سبع ساعات فان هو استغفر الله تعالى لم يكتب عليه وان لم يستغفر يكتب عليه سية واحدة قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون معناه حتى اذا حضر احدكم الموت قبض روحه ملك الموت واعوانه وهم لا يقصرون ولا يوخرونه طرفة عين • فان قيل كيف هنا توفته رسلنا وقال فى اية اخرى قل يتوفاكم ملك الموت • قيل له ان ملك الموت هو الذى يقبض الارواح كلها وهو القايم بذلك الا ان له اعوانا فتارة اضاف قبض الروح الى ملك الموت لانه هو المختص بذلك وتارة اضافه اليه والى غيره لانهم يصدرون فى ذلك عن امره • وقال مجاهد جعلت الارض لملك الموت كالطشت يتناول من حيث يشاء وله اعوان يتوفون الانفس ثم يقبضها منهم • ويقال ان اعوان ملك الموت يستخرجون الروح من الاعضا عضوا عضوا حتى اذا جمعوه فى صدره وجعل يغرغر به قبضه حينئذ ملك الموت • وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل على مريض يعوده فراى ملك الموت عند راسه فقال يا ملك الموت ارفق به فانه مومن فقال ملك الموت يا محمد ابشر وطب نفسا وقر عينا فانى بكل مومن رفيق انى لاقبض روح المومن فيصرخ اهله فاعتزل فى جانب الدار فاقول ما لى من ذنب وانى لمامور وان لى لعودة فالحذر الحذر وما من اهل بيت مدر ولا وبر فى بحر او بر الا وانا اتصفحهم فى كل يوم خمس مرات حتى انى لاعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم والله لو اردت ان اقبض روح بعوضة لما قدرت عليها حتى يامرنى الله تعالى بقبضها قوله عز وجل ثم ردوا الى الله مولاهم الحق اى ثم ردهم الملئكة الى الموضع الذى لا يملك احد الحكم فيه الا الله تعالى وقوله مولاهم الحق اى مولاهم من كل جهة فانه يملك خلقهم

وانشاهم

وانشاهم وتربيتهم واماتتهم واحياهم وضرهم ونفعهم وهو الذى دبر فى الابتدا امرهم حين انشاهم ومعنى قوله تعالى مولاهم الحق اى الذى عبادته حق ويعطى الثواب بالحق ويتولى العقاب بالحق • وقيل ان هذه ارجى اية فى كتاب الله تعالى لانه لا مرد للعبد احسن من مرده الى مولاه قوله تعالى الا له الحكم كلمة تنبيه اى علموا ان بيده القضا بين العباد يوم القيمة يحكم فيهم ما يشا وكيف يشا وقوله تعالى وهو اسرع الحاسبين اذا حاسب فحسابه سريع لانه لا يحاسب بعقد ولا يتكلم بالة ولا يحجزه الكلام مع بعضهم منع عن الكلام مع غيرهم بل يحاسب الجميع فى دفعة واحدة • ومعنى المحاسبة تعريف كل واحد ما يستحقه من ثواب وعقاب • حتى روى فى الخبر انه يكون حسابه معهم فى مقدار حلب شاة قوله عز وجل قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية اى قل لهم يا محمد من ينجيكم من شدايد البر والبحر واهوالها يقول العرب لليوم الذى فيه شدة يوم مظلم حتى انهم يقولون يوم ذو كواكب اذا اشتدت ظلمته حتى صار كالليل • ويقال اراد بالظلمات ظلمة الليل وظلمة الغيم وظلمة الامواج وقوله تعالى تدعونه تضرعا وخفية اى تدعونه علانية وسرا • والتضرع اظهار الضراعة وهى شدة الفقر والحاجة الى الشى • وقرا ابو بكر وخفية بكسر الخا • وقرا الاعمش وخيفة من الخوف كما فى اخر الاعراف قوله تعالى لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فى موضع الحال معناه قايلين لان انجيتنا من هذه الشدايد لنكونن من المومنين الموحدين المطيعين وقوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب اى قل الله ينجيكم من شدايد البر والبحر من كل غم ثم انتم تشركون به الاصنام فى الرخا بعد النجاة وبعد قيام الحجة عليكم قوله عز وجل قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم راجع الى مشركى مكة اى قل لهم يا محمد هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما بعث على قوم نوح ولوط من الطوفان والحجارة او من تحت ارجلكم اى هو القادر على ان يخسف بكم كما فعل بقارون وقومه • ويقال اراد بقوله عذابا من فوقكم الظلمة او من تحت ارجلكم ان يغلب عليكم سفهاؤكم قوله تعالى او يلبسكم شيعا معناه او يخلطكم فرقا مختلفى الاهوا بان يضرب بعضكم ببعض بما يلقيه بينكم من العداوة • وقيل

والبحر صح

معنى يلبسكم شيعًا يكلكم الى انفسكم ونخليكم من الطاقه بذنوبكم فتختلفوا حتى يذوق بعضكم شدة بعض
بالحرب والقتال • ويقال ويذيق بعضكم بأس بعض يعنى بالسيوف يقتل بعضكم بعضًا وقوله انظر كيف
نصرف الآيات اى انظر يا محمد كيف نبين لهم آية على اثر آية لعلهم يفقهون اى لكى يفقهوا او امر الله ثم هم
لا يفقهون • قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية شق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا جبريل ما بقى بقاء امتى على هذه الخصال الاربع فقال انما انا عبد مثلك فادع ربك واساله لامتك •
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضى واحسن الوضوء ثم قام فصلى واحسن الصلوة ثم
سال الله ان لا يبعث على امته عذابًا من فوقهم ولا من تحت ارجلهم ولا يلبسهم شيعًا ولا يذيق
بعضهم باس بعض فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله قد سمع مقالتك وانه قد اجارهم
من خصلتين ان لا يبعث عليهم عذابًا من فوقهم ولا من تحت ارجلهم ولم يجرهم من الخصلتين الاخرين
وقال صلى الله عليه وسلم سالت ربى ان لا يبعث على امتى عذابًا من فوقهم ولا من تحت ارجلهم فاعطانى
ذلك وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم • فمنعنى ذلك واخبرنى جبريل ان فناء امتى بالسيف قوله عز
وجل وكذب به قومك وهو الحق اى كذب بالقرآن قومك وهو الصدق قل لست عليكم بوكيل اى بحفيظ
احفظ اعمالكم واجازيكم عليها • وقيل معناه لست اقدر ان احول بينكم وبين الكفر الذى يضركم كما يدفع
الوكيل الضرر عن موكله • وعن ابن عباس ان معناه لست بموكل عليكم اجبركم على الايمان قال ثم نسخ هذا
باية السيف وقوله تعالى لكل نبإ مستقر معناه لكل وعد ووعيد ووقت واجل غايه منه ما يكون
فى الدنيا ومنه ما يكون فى الآخرة وسوف تعلمون يا اهل مكة ذلك اذا نزل بكم قوله تعالى واذا
رايت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره معناه واذا رايت المشركين الذين
يكذبون ويستهزؤن بك وبالقرآن فاعرض عنهم اى اتركهم ولا تجالسهم على وجه الانكار عليهم
الا ان يتركوا استهزاهم ويخوضوا فى حديث غير القرآن وذلك ان المشركين كانوا اذا جالسوا المؤمنين
وقعوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوه واستهزؤا به فنهى الله المؤمنين عن مجالستهم
قوله تعالى واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين معناه واما يوقعنك

الشيطان

الشيطان فى النسيان بعد النهى فتجلس معهم فلا شىء عليك فى تلك الحال التى تكون فيها ناسيًا فلا تقعد بعد الذكرى
معهم اذا ذكرت ودع مجالسة المشركين فانهم • قرا ابن عباس وابن عامر ينسينك بالتشديد فلما نزلت
هذه الآية قال المسلمون يا رسول الله لئن كنا كلما استهزا المشركون بالقرآن قمنا وتركناهم لا نستطيع ان
نجلس فى المسجد الحرام ولا ان نطوف بالبيت فنزل قوله عز وجل وما على الذين يتقون من حسابهم من شىء اى ما
على الذين يتقون الشرك والمعاصى والخوض فى آثامهم ومخالفتهم امر الله من شىء من العقاب ولكن ذكرى اى ولكن
ذكروهم بالقرآن ذكرى اذا فعلوا وعظوهم لعلهم يتقون الشرك والاستهزاء والخوض فموضع ذكرى نصب
على المصدر ويجوز ان يكون فى موضع رفع اى هو ذكرى قوله تعالى وذر الذين اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا وغرتهم
الحيوة الدنيا اى ذر الكفار الذين اختاروا فى انفسهم اللعب والباطل والاستهزاء • ويقال معناه الذين اتخذوا
دينهم بهوى انفسهم ومن اتخذ دينه بهوى نفسه فهو لاعب • وقال الفراء فى معنى الآية ليس من قوم الا ولهم
عيد يلهون فيه الا امة محمد صلى الله عليه وسلم فان اعيادهم صلوة وتكبير وبر وخير وقوله وغرتهم
الحيوة الدنيا معناه وشغلتهم الحيوة الدنيا بما فيها من زهرتها وزينتها قوله تعالى وذكر به ان تبسل
نفس بما كسبت اى ذكر بالقرآن وعظ به كراهة ان تبسل نفس بما كسبت • ويقال قبل ان تبسل ويقال لئلا تبسل
نفس اى لئلا تهلك • وقال الحسن ومجاهد وعكرمة والسدى تبسل اى تسلم للهلكة • وقال ابن زيد
معناه وذكر به ان تبسل اى لئلا تبسل ومعناه لئلا تؤخذ • وعن ابن عباس ان تفضح • وقال الاخفش
ان تبسل ان تجازى • وقال الفراء ترتهن • وقال عطيه العوفى من قبل ان تبسل نفس اى من قبل ان تسلم الى
خزنة جهنم والمستبسل المستسلم قوله عز وجل ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع اى ليس لتلك النفس
من دون الله ولى ولا شفيع اى قريب يمنع العذاب عنها ولا شفيع يشفع لها فى الآخرة وقوله تعالى وان تعدل
كل عدل لا يؤخذ منها اى لو جاءت مكانها بكل ما كان فى الارض جميعًا فتداء عن نفسها لا يقبل منها ويسمى
الفداء عدلًا لانه مثل الشىء • ويقال لاحد جانبى الحمل عدل بالكسر لان كل واحد من العدلين مثل صاحبه
فمعنى الآية وان تفتدى بكل فداء لا يؤخذ منها وقوله تعالى اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب
من حميم وعذاب اليم اى وجيع بما كانوا يكفرون اى بما كانوا يجحدون فى الدنيا بمحمد صلى الله عليه

وسلم والقرآن قوله عز وجل قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا اى قل يا محمد لكفار مكة الذين
يدعونكم الى دين آبائهم انعبد سوى الله من الاصنام ما لا ينفعنا ان عبدناه فى رزق ولا معاش ولا يضرنا
ان تركناه فى رزق ولا معاش ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله عطف على الاستفهام اى كيف نرجع الى
الكفر بعد اذ هدانا الله لدينه واكرمنا بمعرفته فتكون مثلنا كمثل الذى هوت به الشياطين فاذهبته فى الارض
ضالا • ويقال كالذى زينت له الشياطين هواه فهو يعمل فى الارض بالمعاصى • وقيل معناه كالذى استفزته
الغيلان فى المهامه فاضلوه فهو حاير وحيران نصب على الحال • قرا الاعمش وحمزة كالذى استهواه بالالف
والامالة • وقرا الحسن استهوته الشياطون • وفى مصحف عبد الله استهواه الشيطان قوله تعالى له اصحاب
يدعونه الى الهدى ايتنا اى له اصحاب يدعونه الى الطريق المستقيم ان ايتنا واتبعنا واطعنا فانا على الطريق
فتابا ان تاتيهم وتطيعهم • وقيل ان الاية نزلت فى عبد الرحمن بن ابى بكر حين دعا اباه الى الكفر فانزل الله تعالى
قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا الاية • وقوله كالذى استهوته الشياطين هو عبد الرحمن بن
ابى بكر وقوله تعالى له اصحاب يدعونه الى الهدى • قيل كان امه وابوه يدعونه الى الاسلام وكان
الشياطين والكفار يزينون له الكفر الى ان من الله عليه بعد ذلك بقبول الاسلام وقوله تعالى قل ان هدى
الله هو الهدى اى قل لهم ان دين الله هو الاسلام وامرنا لنخلص العبادة لرب العالمين قوله عز وجل
وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على قوله لنسلم اى امرنا لنسلم فقيل لنا اسلموا واقيموا الصلوة بركوعها
وسجودها واتقوه اى اتقوا سخطه وهو الذى اليه تحشرون اى تجمعون يوم القيمة قوله تعالى • وهو الذى
خلق السموات والارض بالحق اى لاقامة امر الحق وهو الثواب والعقاب فى الاخرة ولم يخلقها باطلا ولغير شىء
وقوله تعالى ويوم يقول كن فيكون اى وخلق الخلايق يوم يقول كن فيكون • وقيل معناه واتقوه يوم يقول
كن فيكون • وقيل واذكروا يوم يقول ليوم القيمة كن فيكون مكونا باذن الله تعالى قوله تعالى قوله الحق
وله الملك يوم ينفخ فى الصور اى خبره فى امر يوم القيمة حق كائن لا محالة وله الملك يومئذ وتخصيص
ذلك اليوم بالملك لانه اليوم الذى لا يظهر فيه من احد سوى الله نفع ولا ضر كما قال الله تعالى والامر
يومئذ لله • والصور قرن ينفخ فيه اسرافيل نفختين فيفنى الخلايق كلهم بالنفخة الاولى ويحيون بالنفخة

وقرا طلحة بالالف صح

الثانية

الثانية فتكون النفخة الاولى لانتهاء الدنيا والثانية لابتداء الاخرة قوله تعالى عالم الغيب والشهادة
اى وعالم ما غاب عن العباد وما علموا وهو الحكيم فى امره الخبير باعمال عباده قوله عز وجل واذ قال
ابرهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة اى اذكر يا محمد اذ قال ابراهيم لابيه آزر • من قرا آزر بالنصب
فموضعه خفض بدل لابيه الا انه لا ينصرف لانه اسم اعجمى • ومن رفعه فعلى النداء اى يا آزر وكان
آزر مسكنه كوثى قرية من سواد الكوفة • قال السدى والحسن آزر اسم لابى ابراهيم • وقال الفرا هو صفة
عيب وسب ومعناه فى كلامهم المعوج • وقيل معناه الشيخ الهم • وقيل قال ابراهيم لابيه المخطى وقال لابيه
يا مخطى وكان على هذا القول اسم آزر تارخ بن ناحور • وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم
وهو على هذا التاويل فى موضع نصب وفى الكلام تقديم وتاخير تقديره اتتخذ آزر اصناما آلهة من دون
الله • وقيل كان ابراهيم قال لابيه لا تتخذ آزر الها اتتخذ اصناما آلهة انى اراك وقومك فى ضلال مبين
اى فى ذهاب عن الحق بين قوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض اى كما اريناه ابراهيم النفرة فى
فى دينه والحق فى مخالفة قومه نريه ملكوت السموات والارض اى ملكها ونريه القدرة التى تقوى بها دلالته على
التوحيد لله تعالى وهو ما راى من السما والارض والكواكب والقمر والشمس • وقال مجاهد وسعيد بن جبير
معنى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض اى آيات السموات والارض وذلك انه اقيم على صخرة وكشف
له عن السموات والارض حتى العرش واسفل الارضين ونظر الى مكانه فى الجنة وذلك قوله تعالى وآتيناه
اجره فى الدنيا يعنى اريناه مكانه فى الجنة • وقيل معنى الاية كما ارينا ابراهيم قبح ما كان عليه ابوه
وقومه من المذهب كذلك نريه ملكوت السموات والارض والملكوت عبارة عن اعظم الملك زيدت
الواو والتا للمبالغة كما يقال رهبوت خير من رحموت هذا مثل يقوله العرب معناه لان ترهب خير
من ان ترحم فملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر وقوله تعالى وليكون من الموقنين
اى نريه الملكوت ليستدل بذلك على توحيد الله وليثبت على اليقين قوله عز وجل فلما جن عليه الليل راى
كوكبا قال هذا ربى قال المفسرون ان ابراهيم ولد فى زمان النمرود بن كنعان وكان النمرود اول من دعا
الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد فى هذه السنة غلام يغير دين اهل الارض

كان صح

وبكون هلاك وزوال الملك على يديه • وقال السدي رأى النمرود في منامه كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس
والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك ودعا السحرة والكهان وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك
في هذه السنة يكون هلاك ملكك على يديه فأمر بذبح كل غلام يولد في ناحيته في تلك السنة وأمر الرجال
باعتزال النساء وجعل عليهم الحراس فمكث كذلك ما شاء الله • وقال السدي خرج النمرود بالرجال الى العسكر ونحاهم
عن النساء مخافة من ذلك المولود فبدت له حاجة الى المدينة فلم يأتمن عليها أحدا من قومه الا آزر فدعاه
وأمر لحاجته الى المدينة وقال له انك ثقتي فأقسمت عليك أن لا تدنو من امرأتك ولا تواقعها ثم أوصاه بحاجته
فلما دخل المدينة وقضى حاجته قال لو دخلت على أهلي فرأيت كيف حالهم فلما نظر الى امرأته لم يتمالك حتى وقع
عليها وكانت قد طهرت من الحيض فحملت بابراهيم عليه السلام فلما حملت به قالت الكهنة للنمرود ان الغلام الذي
اخبرناك به قد حملت به امه الليلة فأمر النمرود بذبح كل ولد من الغلمان فلما دنت ولادة ام ابراهيم
واخذها المخاض خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته في موضع ثم لفته في خرقة
وجعلته في الحلفاء ثم رجعت الى زوجها فاعلمته فانطلق ابوه اليه وحفر له سربا في ذلك المكان وجعله
فيه وسد عليه بصخرة مخافة ان السباع ان تأكله وكانت امه تختلف اليه سرا فترضعه وكان اذا بكى
على مدا أتاه جبريل عليه السلام فوضع اصبعه في فمه فيخرج منها اللبن فكان يمص سبابة نفسه
وقال ابو روق كانت ام ابراهيم كلما جاءته لتنظر اليه وجدته يمص اصابعه وقالت ذات يوم
لانظرن الى اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع سمنا •
وقال بعضهم لما وضعت ام ابراهيم حملها ذهبت به وحفرت له حفرة والقته فيها وسدتها
عليه بصخرة ورجعت فسألها ابوه آزر ما فعل حملك قالت وضعت غلاما فمات فصدقها
وسكت عنها وكان ابراهيم يشب في اليوم مثل ما يشب غيره في الشهر ويشب في الشهر ما يشب غيره في السنة
فلم يمكث ابراهيم في المغارة الا خمسة عشر يوما • ثم اخبرت امه آزر بخبره وما صنعت به فلما
شب ابراهيم في المغارة وعقل وتكلم اتته امه ذات يوم فقال لها من ربي قالت انا قال ومن ربك
قالت ابوك قال ومن رب ابي قالت النمرود قال ومن رب النمرود قالت اسكت فسكت ثم رجعت

الى ابيه

الى ابيه واخبرته بذلك فأتاه آزر فقال له يا ابتاه من ربي قال امك قال ومن رب امي قال انا قال ومن
ربك قال النمرود قال ومن رب النمرود فلطمه وقال اسكت فسكت ثم انه خرج من السرب حين غربت الشمس
فنظر ابراهيم الى الابل والخيل والغنم فقال لابد ان يكون لهذه رب وخالق ثم تفكر في خلق السماء والارض •
وقال ان الذي خلقني ورزقني واطعمني وسقاني هو ربي ما لي اله غيره فلما جن عليه الليل اي غشيه الليل
رأى الزهرة قال هذا ربي فلما افل ذلك النجم قال لا احب ربا ليس بدائم ثم نظر فرأى القمر طالعا في آخر الليل
قال هذا ربي فلما رآه يسير وينتقل من مكان الى مكان علم انه محدث لا يصلح ان يكون ربا فقال لئن لم يهدني
ربي لاكونن من الضالين • فلما رأى الشمس طالعة قد ملأت كل شيء قال هذا ربي هذا اكبر مما قبله فلما افلت
جاء الى قومه فرآهم يعبدون الاصنام فقال يا قوم اني بريء مما تشركون قوله تعالى عز وجل فلما جن عليه
الليل اي غطا واظلم يقال جنه الليل واجنه وجن عليه اذا اظلم وجننت الميت واجننته دفنته و
قوله تعالى رأى كوكبا قال هذا ربي في هذا القول ثلاثة اوجه احدها انه قال هذا ربي في ظني لانه كان
في حال فكر واستدلال وكان في ذلك الوقت وقت مهلة له للتروي والنظر فلما رأى الكوكب في علوه و
ضيائه قدر في نفسه على ما ينقسم حكمه من كونه ربا خالقا او مخلوقا مربوبا فلما رآه طالعا آفلا ومتحركا
زائلا قضى بانه محدث لمقارنته امارات الحدث وانه ليس برب وان المحدث غير قادر على احداث
الاجسام وان ذلك يستحيل منه كما استحال ذلك من نفسه اذ كان محدثا فحكم بما رآه له في
جهة الحدوث وامتناع كونه خالقا • ثم لما طلع القمر فوجد صفته في العظم والاشراق وانبساط
النور اكبر قدر في نفسه ايضا على ما ينقسم حكمه فقال هذا ربي فلما رآه وتأمله وجده في معنى
الكوكب في الطلوع والافول فحكم له بحكمه وان كان اكبر منه ضوءا • ثم لما رأى الشمس في عظمها و
اشراقها وتكامل ضيائها قال هذا ربي لانها كانت تخالف الكوكب والقمر في هذه الاوصاف فلما رآها
افلت متنقلة حكم لها بالحدث وانها في حكم الكوكب والقمر لوجود دلالة الحدث في الجميع • قالوا
والذي يؤيد هذا التأويل الذي ذكرناه ان قول ابراهيم كان على وجه النظر والتفكر ما ذكره الله عنه
انه عليه السلام قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين • والثاني وهو الاقرب الى الصحة

بعد ذلك صح

ان ابراهيم انما قال هذا في حال الطفولة قبل كمال عقله حين حركته الخواطر للفكر والنظر في دلايل توحيد الله
تعالى • فان قيل كيف يحمل ان هذا القول من ابراهيم كان على ابتداء النظر وقد تقدم انه كان على ابيه وقومه عبادة
الاصنام لقوله اتتخذ اصناما آلهة • قيل تقدم الآية في التلاوة لا يوجب انها متقدمة في الحال ولا يمتنع ان ابراهيم
عليه السلام انكر على ابيه وقومه بعد هذا النظر الذي ذكرناه • والثالث ان قوله هذا ربي كان على وجه
الانكار الذي يكون مع الف الاستفهام وكان قصده من هذا القول استدراج قومه لاقامة الحجة عليهم
وتقريبهم الى الهدى فانهم كانوا يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب كانه قال لهم هذا ربي في زعمكم
كما قال تعالى اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون • فلما افل الكوكب وتبين انه مسخر مذلل قال لا احب الآفلين اي
لا اعظمه تعظيم الرب جل وعز وقوله تعالى لئن لم يهدني ربي معناه على هذا القول لئن لم يثبتني ربي على الهدى
لان الله تعالى اثنى على ابراهيم عليه السلام في آية اخرى بقوله اذ جاء ربه بقلب سليم والسليم الذي لا شك
فيه وفي سلامته من كل عيب قوله عز وجل فلما رأى القمر بازغا معناه فلما رأى القمر طالعا هذا ربي يقال
بزغ القمر اذا ابتدأ الطلوع وقوله تعالى فلما افل اي فلما غاب قال لئن لم يهدني ربي اي لئن لم يرشدني ربي ويثبتني
على الطريق المستقيم لاكونن من القوم الضالين عن الهدى قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر
اي فلما رأى الشمس طالعة قال هذا الطالع ربي وهذا النور ربي فلما افلت اي غابت الشمس قال يا قوم اني بريء مما
تشركون بالله من الاصنام والاوثان والشمس والقمر والكواكب قالوا فمن تعبد انت يا ابراهيم قال اني وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا اي اني اخلصت ديني وعبادتي وجعلت قصدي للذي ابتدأ خلق
السموات والارض حنيفا اي مائلا عن الاديان الباطلة الى دين الحق ميلا لا رجوع فيه وما انا من المشركين
اي لست على دينكم ايها المشركون قوله عز وجل وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان وذلك
ان قوم ابراهيم خاصموه في مخالفته اياهم في دينهم وخوفوه بآلهتهم وقالوا اما تخاف آلهتنا وانت
تشتمها ان تخبلك وتفسدك وقالوا له ان اهل موضع كذا قد تركوا عبادة الاصنام فامتحنوا وقحطوا
واهل موضع كذا احسنوا عبادة الاصنام فرزقوا السعة والخصب فاجابهم ابراهيم عليه السلام اتحاجوني
في الله اتخاصموني في توحيد الله ودينه وقد بصرني الله وعرفني دينه وتوحيده بما نصب لي من الدلايل

قوله

قوله تعالى ولا اخاف ما تشركون به اي لا اخاف من هذه الاشياء التي تعبدونها وهي مما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع
ولا يضر قوله تعالى الا ان يشاء ربي استثناء منقطع اي ولكن اخاف مشية ربي ان يعذبني ببعض ذنوبي او يبتليني
بشيء من محن الدنيا وموضع ان نصب على تقدير لا اخاف الا مشية الله تعالى وقوله تعالى وسع ربي كل شيء علما
يشاء
اي احاط علم ربي بكل شيء وملا كل شيء علما وهو يعلم انكم على غير الحق وقوله تعالى افلا تتذكرون تنبيه على
التفكر فيما كان يقوله لهم قوله عز وجل وكيف اخاف ما اشركتم اي وكيف اخاف الاصنام التي اشركتموها مع الله
وهي لا تملك النفع والضر بل لا تعرف من عبدها ومن ترك عبادتها ولا تخافون انكم اشركتم بالله الذي
يملك النفع والضر ويعلم من عبده ومن لا يعبده ما لم ينزل به عليكم سلطانا اي عذرا وحجة لكم فاي
الفريقين احق بالامن انا ام انتم الموحد ام المشرك ان كنتم تعلمون ذلك فلم يجيبوا فانزل الله تعالى
الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي الذين اقروا بتوحيد الله ولم يخلطوا ايمانهم بشرك اولئك لهم
الامن من العذاب وهم مهتدون الى الحجة • وقيل الى الجنة • وقيل ان قوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم قول ابراهيم عليه السلام • وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية شق ذلك على اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا واينا لم يلبس ايمانه بظلم • فقال صلى الله عليه وسلم انه
ليس بذلك الا تسمعون الى قول لقمان ان الشرك لظلم عظيم قوله تعالى عز وجل وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم
على قومه اي تلك المقالة التي احتج بها ابراهيم حجتنا اعطيناها ولقناها ابراهيم ليحتج بها على قومه
نرفع درجات من نشاء في الدنيا بالحجة والنصرة وفي الآخرة بالثواب والفضيلة • ومن قرأ درجاتٍ بالتنوين
لا على الاضافة فمعناه نرفع من نشاء درجات ان ربك يا محمد حكيم عليم في تفضيل بعض الناس على بعض
وتخصيص بعضهم بالنبوة قوله عز وجل ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل
اي ووهبنا لابراهيم اسحق ابنا لصلبه ويعقوب نافلة كلا يعني ابراهيم واسحق ويعقوب هديناهم
للنبوة والاسلام ونوحا هدينا من قبل اي هديناه للنبوة والاسلام من قبل ابراهيم ومن ذريته داود
وسليمان اي ومن ذرية نوح وهذا قول بعضهم جعلوا الهاء راجعة الى نوح لانها اقرب المذكورين ولانه
ذكر في جملة المعطوفين على داود وسليمان من ليس من ذرية ابراهيم وهو من ذرية نوح كيونس

عليه السلام وكلوط عليه السلام الذى كان بن اخى ابرهيم ولم يكن من ولده • وقال بعضهم بل هى راجعة
الى ابرهيم لانه هو المقصود بالذكر فيما تقدم من الاى وكذلك نجزى المحسنين اى كما تفضلنا على هولاء
الانبيا بالنبوة وما تصل بها من العز والكرامة كذلك نتفضل على المحسنين قوله تعالى وزكريا ويحيى وعيسى
والياس كل من الصالحين معناه ومن ذرية ابرهيم زكريا ويحيى وعيسى والياس كل من المرسلين • قال الضحاك
كان الياس من ولد اسمعيل بن ابرهيم • وقال بعضهم معنا الاية وهدينا زكريا ويحيى وعيسى والياس • وفى الاية
حجة على من انكر فى الحسن والحسين انهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه تعالى جعل عيسى
ولا اب له من ذرية ابرهيم قوله تعالى واسمعيل واليسع ويونس ولوطا معناه وهدينا اسمعيل واليسع و
هو تلميذ الياس وخليفته من بعده • وقال محمد بن اسحق هو ابن اخى موسى عليه السلام واليسع فيه قراتان
يقرا اليسع بالتشديد وبالتخفيف • وكلا فضلنا على العالمين اى وكل هولاء الانبيا فضلناهم بالنبوة
والاسلام على عالمى زمانهم قوله تعالى ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم اى هدينا بعض ابائهم من قبلهم
مثل ادم وشيث وادريس وبعض ذرياتهم من بعدهم وهم اولاد يعقوب ومن جملة ذرياتهم نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى واخوانهم وهم اخوة يوسف فى عصرهم ويحتمل ان يكون المراد بهم
كل من امن معهم فانهم كلهم داخلون فى هداية الاسلام وقوله تعالى واجتبيناهم اى اصطفيناهم هولاء
الانبيا بالنبوة والاخلاص وجمعنا فيهم خصال الخير ماخوذ من قولهم جبيت الما فى الحوض واجبيته اذا
جمعته وقوله تعالى وهديناهم الى صراط مستقيم اى ثبتناهم على طريق الحق وهو دين الاسلام قوله عز وجل
ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده اى ذلك الطريق المستقيم دين الله يوفق له من يشا من كان
اهلا لذلك ولو اشرك هولاء الانبيا طرفة عين مع اصطفا الله تعالى اياهم لبطل اعمالهم التى كانوا يعملون
من الطاعة فكيف انتم يا اهل مكة قوله تعالى اوليك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة اى اوليك الانبيا
صلوات الله عليهم اعطيناهم الكتاب المنزل والحكم بين الناس واكرمناهم بالنبوة والرسالة فان يكفر
بها هولاء الانبيا يعنى قريشا فقد قام بها قوما ليسوا بها بكافرين وهم اهل المدينة واتباع النبى صلى
الله عليه وسلم • وقيل هم الملئكة وانما قال فقد وكلنا بها ولم يقل فقد قام بها تشريفا للملئكة بالاضافة

الى

الى نفسه على معنى اكرمنا ووفقنا الى الايمان بها يقال معناه فقد الزمناها قوما ليسوا بها بكافرين
فقاموا بها قوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده اى اولئك الانبيا الذين ذكرناهم
من قبلهم الذين اكرمهم الله بالطريقة الحسنة فاقتد بسيرتهم واصبر كما صبروا حتى تستحق من
الثواب ما استحقوا واما الها فى اقتده فانما تثبت فى الوقف ليتبين بها كسرة الدال فان وصلت قلت
اقتد قل لا اسالكم وقوله قل لا اسالكم عليه اجرا معناه قل يا محمد لا اسالكم على الايمان والقرآن
جعلا ان هو يعنى القرآن الا عظة بليغة للجن والانس • وفى الاية دليل على ان شرايع الانبيا يلزمنا
ما لم نعلم نسخه لان اسم الهدى يقع على التوحيد والشرايع قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره
اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء قال ابن عباس وسعيد بن جبير فى معنى هذه الاية جا رجل من اليهود
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له مالك بن الصيف وكان راس اليهود فقال له النبى
صلى الله عليه وسلم انشدك الله يا مالك بالذى نزل التورية على موسى عليه السلام اتجد
فيها ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر السمين وقد سمنت ما كلتك التى تطعمك اليهود
ولست تصوم اى فلست تمسك فضحك به بعض القوم فغضب مالك وكان حبرا سمينا ثم التفت
الى عمر رضى الله عنه وقال ما انزل الله على بشر من شىء فانزل الله هذه الاية • وقال السدى نزلت
فى فنحاص بن عازورا وهو قايل هذه المقالة • وقال محمد بن كعب جا ناس من اليهود الى النبى صلى
الله عليه وسلم وهو محتب فقالوا يا ابا القاسم الا تاتينا بكتاب من عند الله كما جا به موسى
من عند الله فانزل الله تعالى يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا
موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة • فقال رجل من اليهود
ما انزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على احد شيا فانزل الله هذه الاية و
معناها ما عظموا الله حق عظمته ولا عرفوه حق معرفته اذ جحدوا فقالوا ما انزل الله
على بشر من شىء اى من كتاب ولا وحى قل لهم يا محمد من انزل الكتاب الذى جاء به موسى يعنى التورية
نورا وهدى للناس اى ضيا للناس وبيانا لهم من الضلالة تكتبونه صحايف تظهرونها فيها

مما ليس فيه صفة النبي صلى الله عليه وسلم وزمانه ومبعثه ونبوته **وتخفون كثيرا** اي تسترون
ما فيه صفة النبي صلى الله عليه وسلم ونعته وآية الرجم وقوله تعالى **وعلمتم ما لم تعلموا انتم
ولا اباؤكم** يحتمل ان يكون خطابا للمسلمين اي علمتم انتم ايها المؤمنون من الاحكام والحدود ما لم تعلموا
انتم ولا اباؤكم والاظهر انه خطاب لليهود لانه مسوق على ما سبق معناه علمتم بالقران ما كنتم
اخفيتموه قبل نزول القران لانهم قد ضيعوا شيئا كثيرا من الاحكام وكانوا يعاندون ولا يعملون حتى صاروا
كانهم لم يعلموه وقوله تعالى **قل الله** معناه ان هم اجابوك وقالوا علمنا الله والا فقل الله علمكم ويقال
معناه قل الله انزل الكتاب على موسى **ثم ذرهم في خوضهم** اي دعهم واتركهم في باطلهم يلهون ويقال لكل
من عمل عملا لا ينفعه انما انت لاعب • وقال ابن عباس فلما رجع مالك بن الصيف من عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى قومه قالوا له ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك زعمت انه ما انزل الله على بشر
من شيء ارايت كتابنا من جاء به الى موسى وهو بشر قال انه قد اغضبني فلذلك قلت ما قلت قالوا اذا
غضبت قلت غير الحق والله لا تلي لنا شيئا فنزعوه عما كان يلي لهم وولوا مكانه كعب بن الاشرف • قرا
ابن كثير وابو عمرو بالياء فيها على الاخبار • وقرا الباقون بالتاء على الخطاب قوله عز وجل **وهذا كتاب
انزلناه مبارك** يعني القران الذي كذب به اهل الكتاب ومشركوا قريش هو كتاب انزلناه مبارك اي فيه
بركة ومغفرة للذنوب لمن امن به والبركة ثبوت الخير على النماء والازدياد وقوله تعالى **مصدق
الذي بين يديه** اي هو موافق للتورية والانجيل وسائر كتب الله في اصل الدين ويقال المراد
بالذي بين يديه النشاة الثانية قوله تعالى **ولتنذر ام القرى ومن حولها** اي انزلناه للبركة
ولتخوف به اهل ام القرى وسميت مكة ام القرى لانها اصل القرى دحيت الارض من تحتها ويقال
لانها اعظم القرى شانا • وقيل لانها قبلة تاتمها الناس بالصلوة اليها وقوله تعالى **والذين يؤمنون
بالاخرة يؤمنون به** اي الذين يقرون ويصدقون بالبعث يؤمنون بالقران • وفي هذا بيان ان
الايمان بالحساب والجزاء يقتضي الايمان بالقران ولا ينفع بدون الايمان به وبمحمد صلى الله
عليه وسلم وقوله تعالى **وهم على صلاتهم يحافظون** اي يداومون على الصلوات الخمس بركوعها

وسجودها

وسجودها ومواقيتها قوله تعالى **ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه
شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله** قال ابن عباس نزلت هذه الاية في مالك بن الصيف ومسيلمة
الكذاب الذي يدعي النبوة وفي عبد الله بن سعد بن سرح القرشي كان عبد الله بن سعد يتكلم بالاسلام
وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم القران الذي ينزل عليه في بعض الاحيان وكان اذا املى
عليه النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عزيز حكيم كتب من قبله ان الله غفور رحيم • وقال
هذا وذاك سواء فلما نزلت الاية التي في سورة قد افلح ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله
تعالى فكسونا العظام لحما ثم املاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما املا عليه قوله ثم انشاناه
خلقا اخر عجب عبد الله بن سعد من تفصيل خلق الانسان فجرى على لسانه فتبارك الله احسن
الخالقين • فقال صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا انزل علي فشك عبد الله حينئذ وقال لئن
كان محمد صادقا فلقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا فلقد قلت كما قال فانزل الله هذه
الاية ومعناها اي احد اكفر واشد عسا في كفره ممن اختلق على الله كذبا بان يجعل له شريكا وولدا
قال المشركون وما بن الصيف ومن قال سانزل مثل ما انزل الله يعني عبد الله بن سعد قال ساقول مثل
ما انزل الله والمراد بالذي قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء مسيلمة الكذاب كان يسجع ويتكهن ويدعي
النبوة ويزعم ان الله اوحى اليه • واما عبد الله بن سرح فارتد ولحق بالمشركين وقال انا اعلمكم بمحمد
فلقد كان يملي علي فاغيره واكتب كما شئت قوله تعالى **ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة
باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم** اي لو رايت الظالمين في غمرات الموت لرايتهم عذابا عظيما والظالمون
هم الكافرون • وقيل المنافقون راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر في صف المشركين
وقد كانوا مسلمين بمكة فاخرجهم اهل مكة معهم كرها فلما راوا قلة المؤمنين رجعوا الى الشرك
فقالوا غر هؤلاء دينهم عنوا به المؤمنين وقاتلوا مع المشركين فقتلوا جميعا او عامتهم قوله تعالى
في غمرات الموت اي في سكراته ونزعاته وشداته وقوله تعالى والملائكة باسطوا ايديهم معناه
ان ملك الموت واعوانه من ملائكة العذاب يبسطون ايديهم عليهم بالعذاب ويقولون لهم

عزوجل صح

اخرجوا انفسكم اى خلصوا انفسكم ولستم تقدرون على الخلاص • وقيل معناه فادفعوا ارواحكم الخبيثة
كما تقول للذى تعذبه لاخرجن نفسك ولازهقن نفسك وقوله تعالى اليوم تجزون عذاب الهون اى يقال لهم
يوم قبض الروح • وقيل يوم القيمة حين معاينة العذاب اليوم تجزون العذاب الشديد الذى تهانون فيه
بكذبكم على الله وبما كنتم تتعظمون عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن قوله عز وجل ولقد
جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة اى جئتمونا بلا مال ولا ولد كما خلقناكم فى الابتدا والمعنى انه يقال
لهم ولقد جئتمونا فرادى • وفى الخبر انهم يحشرون يوم القيمة عراة حفاة غرلا • قالت عايشة رضى الله
عنها واسوأتاه الرجل والمرأة كذلك • فقال صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه
لا ينظر الرجال الى النسا ولا النسا الى الرجال شغل بعضهم عن بعض قوله تعالى وتركتم ما خولناكم وراء
ظهوركم اى تركتم وخلفتم ما اعطيناكم من الاموال لغيركم اى خلف عليها غيركم فى دار الدنيا ولم تقدموها
لانفسكم وما نرى معكم الهتكم التى زعمتم انهم فيكم شركا يشفعون لكم ويقربونكم الى لقد تقطع بينكم اى وصلكم
ومن قرا بينكم بالنصب فمعناه تقطع بينكم اى ما كنتم فيه من الشركة وضل عنكم ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم
عند الله حين لم يقدروا على دفع شىء من العذاب عنكم • وقال الحسن معنى قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى
اى كل واحد على حدة • وقال ابن كيسان منفردين من المعبودين • وقيل فرادى اى وحدانا لا مال لكم ولا زوج
ولا ولد ولا خدم • وفرادى جمع فردان مثل سكران وسكارى وكسلان وكسالى • ويقال ايضا فرد بجزم
الرا وكسرها وفتحها وجمعها افراد • وقرا الاعرج فردا بغير الف مثل سكرى قوله تعالى كما خلقناكم اول مرة اى
حفاة عراة غرلا وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم اى ما اعطيناكم وملكناكم من الاموال والاولاد و
الخدم وراء ظهوركم فى الدنيا قوله تعالى لقد تقطع بينكم • قرا اهل المدينة والحسن ومجاهد و
الكسائى وحفص بالنصب وهى قراءة ابى موسى الاشعرى • وقرا الباقون بالرفع قوله عز وجل ان الله فالق
الحب والنوى اى خالق الحب والنوى كقوله فاطر السموات والارض اى خالقهما • وقال الحسن وقتادة فالق
الحب اى شاق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة والحب جمع حبة والنوى جمع نواة وقوله تعالى
يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى اى يخرج الانسان من النطفة والنطفة من الانسان وتسمية

النطفة

النطفة ميتا لانها من جملة الموات • وقيل معناه يخرج النبات الغض الطرى من الحب اليابس ويخرج الحب
اليابس من النبات وكل ما يكون ناميا عند اهل اللغة بمنزلة الحى وما لا يكون ناميا فهو بمنزلة الميت
ويقال معناه يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن وقوله ذلكم الله اى ذلكم الله الذى
يفعل هذا الفعل هو الله فانى تؤفكون اى فمن اين تصرفون عن الحق والافك فى اللغة هو قلب الشىء
وصرفه قوله تعالى فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا اى شاق عمود الصبح عن سواد الليل • وقال ابن
عباس معناه خالق الاصباح • وقال الزجاج الاصباح والصبح واحد والاصباح جمع الصبح
ويقال الاصباح بكسر الالف المصدر ومعناه الدخول فى ضوء النهار وقوله تعالى وجاعل
الليل سكنا لتسكنوا فيه من ظلمته فى اوطانكم • وقرا الحسن فالق الاصباح بالفتح جمع صبح و
جاعل الليل سكنا يسكن فيه خلقه • وقرا النخعى وجعل الليل سكنا على الفعل فمعناه نور النهار بالنور
لتبتغوا من فضله وجعل الليل سكنا وقوله تعالى والشمس والقمر حسبانا نصب الشمس على معنى
وجعل لان فى جاعل معنى جعل اى جعل منازل الشمس والقمر بحساب معلوم لا يختلف اذا انتهى
الى اقصى منازله رجع فان الشمس تدور على الفلك كله فى ثلثماية وخمسة وستين يوما وربع يوم
والقمر يدور على الفلك كله فى ثمانية وعشرين ليلة ويكون مستورا فى ليلتين ثم يعود الى ما كان
فيعرف الناس بذلك اجال عقودهم واوقات معاملاتهم وعباداتهم وسنى اعمارهم والحسبان
مصدر ويقال فلان حسبانه على الله اى حسابه على الله ويقال ان الحسبان جمع حسبات كما
يقال شهبات وشهبان قوله تعالى ذلك تقدير العزيز العليم اى ذلك الذى وصف تدبير العزيز المنيع
فى سلطانه الغالب الذى لا يغلب العالم بمصالح مملكته وقوله عز وجل وهو الذى جعل لكم النجوم
لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر اى هو الذى جعل لكم النجوم التى تختلف مواضعها من جهة الشمال والجنوب
والصبا والدبور لتعرفوا بها الطرق من بلد الى بلد فى ظلمات البر والبحر اى فى المفاوز ولجج البحار فى الليالى
المظلمة فى السفن فان من النجوم ما يجعله السائر تلقا وجهه ومنها ما يجعله خلفه ومنها ما يجعله
على يمينه ومنها ما يجعله على يساره ليظهر له الطريق التى تؤديه الى بغيته وقوله تعالى قد

أنشأ

فصّلنا الآيات أي بيّنا العلامات مفصّلة لقوم يعلمون قوله تعالى وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة أي
خلقكم من نفس آدم عليه السلام وحدها فإنه خلقنا جميعا منه وخلق أمّنا حوّى من ضلع من أضلاع
آدم عليه السلام وإنما منّ علينا بهذا لأن الناس إذا رجعوا إلى أصل واحد كانوا أقرب إلى أن يألف بعضهم
بعضا وقوله تعالى فمستقرّ ومستودع قرأ ابن كثير وأبو عمرو فمستقِر بكسر القاف على معنى فمنكم مستقرّ وقرأ الباقون
بفتحها على معنى ولكم مستَقَرّ • قال ابن عباس معنى قوله فمستقر ومستودع أي مستقر في أرحام الأمّهات ومستودع
في أصلاب الآباء • وقال بعضهم على الضد من هذا لأن لفظ المستقر فيمن خلق كلفظ المستودع فيمن لم يخلق وقد
وقال ابن مسعود معناه فمستقر في الرحم إلى أن يولد ومستودع في القبر إلى أن يبعث • وقال الحسن مستقر في
الدنيا ومستودع في القبر • وقال مجاهد فمستقر على ظهر الأرض في الدنيا ومستودع عند الله في الآخرة
وقال أبو العالية مستقرها أيام حياتها ومستودعها حين تموت وحين تبعث • وقال بعضهم مستقر في الرحم
ومستقر فوق الأرض ومستقر تحت الأرض ثم قرأ ونقرّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمّى ولكم في الأرض
مستقر ومتاع إلى حين • وقيل المستقر في القبر ومستودع في الدنيا • قال الحسن يا ابن آدم أنت وديعة
في أهلك ويوشك أن يلحق بصاحبك وأنشد قول لبيد • وما المال والأهلون إلا ودائع •
ولا بد يوما أن تردّ الودائع • وقال الآخر • فجع الأحبة بالأحبة قبلنا • والناس مجروع به ومفجع •
مستودع أو مستقرّ قد خلا • والمستقر يزون المستودع • قوله تعالى قد فصّلنا الآيات أي بيّنا

عز وجل صح

العلامات الدلالات على توحيد الله مفصّلة لقوم يفقهون أي لقوم يستدلون بها في الآيات والفقه
في اللغة هو الفهم لمعنى الكلام إلا أنه قد جعل في العرف عبارة عن علم الغيب على معنى أنه استدراك
معنى الكلام بالاستنباط عن الأصول ولهذا لا يجوز أن يوصف الله تعالى بأنه فقيه لأنه لا يوصف
بالعالم على جهة الاستنباط ولكنه عالم بجميع الأشياء على وجه واحد قوله عز وجل هو الذي أنزل
من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء أي أنزل من السماء المطر فإن الله تعالى ينزل المطر من السماء إلى السحاب
وينزل من السحاب إلى الأرض كما قال تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا وقوله تعالى فأخرجنا به نبات
كل شيء أي فأخرجنا بالمطر نبات كل صنف من أصناف الحبوب معاشا لهم • فإن قيل كيف قال الله تعالى

فأخرجنا به نبات كل شيء فجعل المطر سببا للنبات والفاعل بالسبب يكون مستغنيا بفعل السبب
والله تعالى مستغنٍ عن الأسباب • قيل إنما قال الله تعالى فأخرجنا به لأن المطر سبب يؤدّي إلى النبات و
ليس بمولّد له والله تعالى قادر على إنبات النبات بدون المطر وإنما يكون الفاعل بالسبب مستعينا بذلك
السبب إذا لم يمكنه فعل ذلك الشيء إلا بذلك السبب كما أن الإنسان إذا لم يمكنه أن يصعد السطح إلا بالسلم
كان السلم آلة الصعود والطاير إذا صعد السطح بالسلم لم يكن السلم آلة له لأنه يمكنه أن يصعد السطح
بدون السلم قوله تعالى فأخرجنا منه خضرا أي أخرجنا من المطر نباتا أخضر وهو ساق السنبلة و
قوله تعالى نخرج منه حبا متراكبا أي نخرج من ساق السنبلة حبا قد ركب بعضه بعضا يعني سنابل
البر والشعير والأرز والذرة وساير الحبوب يركب بعضه بعضا قوله تعالى ومن النخل من طلعها قنوان
دانية أي عذوق قريبة المتناول ينالها القاعد والقنوان جمع القنو مثل صنو وصنوان والقنو عذق
النخلة والعذق بفتح العين النخلة • وقال الزجاج في الآية محذوف أي دانية وغير دانية وهي
التي تكون بعيدة المتناول • وقرأ الأعرج قنوان بضم القاف وهي لغة قيس • وقال مجاهد معنى قوله
دانية أي متدلية • وقال الضحاك ملتزقة بالأرض وقوله تعالى جنات من أعناب عطف على قوله
خضرا أي وأخرجنا جنات يعني بساتين وأشجارا ملتفة وكل نبت متكاثف يستر بعضه بعضا فهو
جنة من جن إذا استتر • وقرأ الأعمش ويحيى بن عمرو وعاصم وجنات بالرفع عطفا على قنوان لفظا
وإن لم تكن في المعنى من جنسها وكذلك قوله تعالى والزيتون بالرفع أيضا وقوله تعالى والزيتون والرمان
مشتبها وغير متشابه أي وأخرجنا من شجر الزيتون وشجر الرمان مشتبها وغير متشابه أي منها ما يشبه غيره
في الصورة واللون ومنها ما لا يشبهه • وقيل معناه مشتبها في المنظر واللون وغير متشابه في الطعم مثل
الرمان الحامض والحلو والفائدة في الجمع بين شجر الزيتون وشجر الرمان في هذه الآية لأنهما شجرتان تشتمل
ورقهما على الغصن من أوله إلى آخره يشتبه أوراقهما ويختلف ثمارهما قوله تعالى انظروا إلى ثمره إذا أثمر
وينعه أي انظروا إلى خروج الثمر نظر الاعتبار إذا عقد وهو غض وينعه إذا نضج وأخذ اللون
من بين أصفر وأبيض وأحمر فعناه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه أي ونضجه وإدراكه • وقرأ أبو رجا

ويانعه بالالف وقوله تعالى انظروا الى ثمره اذا اثمر • قرا اهل الكوفة غير عاصم ثمره بضم الثا والميم على جمع
الثمار فيكون جمع الجمع لان الثمر جمع الثمار ومعنى الاية انظروا الى الثمر في ابتداء طلوعه وانظروا اليه
في انتهاء حاله وقت ادراكه ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون اى ان في خلق هذه الاشيا وتصريفها وتنقلها
من حال الى حال لعلامات دالة على البعث لقوم يؤمنون بالله وهذه الاية دالة للمؤمنين وغيرهم الا انه خص
المؤمنين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بالاستدلال بها قوله عز وجل وجعلوا لله شركاء الجن قال ابن عباس
نزلت هذه الاية في الزنادقة قالوا ان الله تعالى وابليس اخوان فالله تعالى خالق الناس والدواب
والانعام وكل خير وابليس خالق السباع والحيات والعقارب وكل شر فذلك قوله تعالى وجعلوا
لله شركاء الجن وقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا • وقال مقاتل نزلت الاية في جهينة
وخزاعة قالوا ان صنفا من الملايكة يقال لهم الجن بنات الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا
وانتصب الجن لكونه بدلا من شركا او لانه مفعول ثان على تقدير وجعلوا الجن شركا لله كقوله
وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا قوله تعالى وخلقهم يجوز ان تكون الهاء والميم
عايدة الى اهل الشرك ويجوز ان تكون عايدة على الجن على معنى ان الله خلق الجن فكيف يكونون شركا
له وقوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم اى وكذبوا بنسبة البنين والبنات الى الله تعالى
فان مشركي العرب قالوا الملايكة بنات الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله واليهود قالوا عزير
ابن الله وكذبوا كلهم لعنة الله عليهم • يقال خرق واخترق واختلق وافترى اذا كذب • و
قرا اهل المدينة وخرّقوا بالتشديد على التكثير وقوله تعالى بغير علم اى بجهلهم بلا حجة سبحانه
وتعالى عما يصفون كلمة تنزيه وتبعيد لله تعالى عن كل سوء اى سبّحوه ايها المؤمنون
عما تقول عليه الجاهلون وقوله وتعالى من العلو اى استعلى عما وصفوه به ويجوز
في صفات الله علا ولا يجوز ارتفع لان العلو قد يكون بالاقتدار والارتفاع يقتضي
الجهة والمكان قوله عز وجل بديع السموات والارض اى مبتدع السموات والارض
ومنشيهما ابتدا على غير مثال سبق وقوله تعالى انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة اى

من اين يكون له ولد وكيف يكون له ولد ولم يكن له زوجة ولا يكون الولد الا من زوجة وقوله تعالى
وخلق كل شيء نفي للزوجة والولد اى كيف يكون له ولد وصاحبة وقد خلق الاشياء كلها
وهو بكل شيء عليم من خلق العباد ومصالحهم وجهل الكفار وعنادهم وقوله تعالى ذلكم الله
ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه معناه ان الذي خلق الاشيا كلها وعلمها واشركتم به هو الله
تعالى ربكم لا اله غيره خالق كل شيء من الخلق فاطيعوه ووحدوه ولا تشركوا بينه وبين غيره في
العبادة وهو على كل شيء وكيل اى حافظ قوله تعالى لا تدركه الابصار اى لا تدرك الابصار
كنهه وهو يدرك الابصار اى يعلم كنهها وما بقيتها فانه لا احد يعلم ان الانسان لم صار يبصر
من عينيه ولا يبصر بغيرهما وما الشيء الذي يبصر به الانسان المبصرات وكيف حقيقة البصر • فاعلم
الله تعالى ان خلقا من خلقه لا تدرك كنهه ولا يحيطون بعلمه فكيف يحيطون بالله فمن حمل
الاية على هذا التاويل لم يكن فيه ما ينفي الروية في الاخرة لان معنى الروية غير معنى الاحاطة
بحقيقة الشيء • وقال بعض المفسرين ان الادراك اذا قرن بالبصر كان المراد منه الروية فانه يقال
ادركت ببصري ورايت ببصري بمعنى واحد كما يقال ادركت باذني وسمعت باذني بمعنى واحد قالوا
واصل الادراك اللحوق نحو قولك ادركت زمان فلان وادركت فلان ابا حنيفة وادرك الزرع
والثمرة وادرك الغلام اذا لحق حال الرجال وادراك البصر الشيء لحوقه له بروية اياه الا انه
لا يمتنع ان يكون هذه الاية عامة من جهة اللفظ والمراد منها الخصوص توفيقا بين هذه الاية وبين
قوله تعالى وجوه يوميذ ناضرة الى ربها ناظرة قوله تعالى وهو اللطيف الخبير اى اللطيف بعباده
في التدبير الخبير بمصالحهم قوله تعالى قد جاءكم بصاير من ربكم فمن ابصر فلنفسه اى قد جاكم القران الذي
فيه البيان والبصاير جمع البصيرة وهي الحجة البينة فمن ابصر فلنفسه نفعه ومن عمي عن الحق والقران
فعلى نفسه ضرر ذلك وما انا عليكم بحفيظ اى برقيب احفظ اعمالكم واجازيكم عليها فان الله يجازيكم
على اعمالكم • وقيل معناه لست عليكم بحفيظ فاحول بينكم وبين اضرادكم بانفسكم وانما انا رسول
ابلغكم رسالات ربكم وهو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شيء من اعمالكم قوله تعالى وكذلك نصرف

الآيات أي مثل ما صرفنا الآيات وبيناها فيما تلي عليك نصرف الآيات ونبينها في المستقبل ليلا يقولوا تختلقه
من تلقاء نفسك وليلا يقولوا درست أي قرأت كتب أهل الكتاب • ومن قرأ دارست فمعناه ذاكرت أهل الكتاب
وكان أهل مكة يقولون إنما يتعلم من جبر ويسار وكانا غلامين عبرانيين بمكة ومعنى درست أي درست هذه
الأخبار التي تتلوها علينا ومعنى دارست أي قارأت أهل الكتاب وتعلمت منهم وقرأت عليهم وقرأوا عليك •
وقرأ قتادة درست أي قرئت وتليت • وقرأ الحسن وابن عامر ويعقوب درست بفتح الدال والراء والسين
وجزم التاء يعني تقادمت وامحت ومضت • وذكر الأخفش درست بضم الراء ومعناها درست إلا أن ضم الراء
أشد مبالغة • وقرأ ابن مسعود والأعمش درس بفتح السين من غير تاء يعنون النبي صلى الله عليه وسلم قوله
تعالى ولنبينه لقوم يعلمون أي ولنبين القرآن والتصريف لقوم يعلمون قوله تعالى اتبع ما أوحي إليك من ربك
أي اعمل يا محمد بما أنزل إليك في القرآن من حلاله وحرامه لا إله إلا هو أنزله وقوله تعالى وأعرض عن
المشركين أي اتركهم في ضلالتهم وهذا منسوخ بآية السيف • وقيل معناه أعرض عنهم سفههم إلا هم قوله
عز وجل ولو شاء الله ما أشركوا أي لو شاء الله لوفقهم إلى الإيمان وما جعلناك عليهم حفيظا أي تمنعهم عن
ما يضرهم وما أنت عليهم بوكيل أي وما أمرناك أن تلزمهم الإيمان شاؤوا أو أبوا فإنك لا يمكنك أن تفعل
ذلك بهم وإنما هو الذي يقدر على فعل هذا ولكنه لم يفعل حتى نزول التكاليف وإنما جمع بين حفيظ ووكيل
لاختلاف معناهما فإن الحافظ للشيء هو الذي يصونه عما يضره والوكيل بالشيء هو الذي يجلب الخير إليه قوله
تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وذلك حين قال تعالى إنكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون • قال
المشركون يا محمد لئن لم تنته عن سب آلهتنا وعيبها لنسبن إلهك الذي تعبد فأنزل الله تعالى هذه الآية
أي لا تسبوا معبودهم الذي يعبدونه من دون الله فيسبوا الله اعتداء وظلما ونصب عدوا على المصدر
أي يعدون عدوا ويقال نصب على إرادة اللام أي يسبون للعدو وقوله تعالى بغير علم أي بجهلهم يحملهم
الغيظ على أن يسبوا معبودكم • وفي هذا دليل على أن الإنسان إذا أراد أن يأمر غيره بالمعروف ويعلم
أن المأمور يقع بذلك في أشد مما هو فيه من شتم أو ضرب أو قتل كان الأولى أن لا يأمر ويتركه

على ما هو فيه • وقرأ بعضهم عدوا بغير علم أي عدا نصب على الحال • وقال قتادة كان المسلمون يسبون
أصنام الكفار فنهاهم الله عن ذلك ليلا يسبوا الله فإنهم قوم جهلة وقوله تعالى كذلك زينا لكل أمة
عملهم أي كما زينا لك دينك وعملك كذلك زينا لكل أمة عملهم الذي يعملونه بميل الطبايع إليه
مجازاة لهم على فعلهم كما قال تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ثم إلى ربهم مرجعهم أي مصيرهم
ومنقلبهم إلى الله فيخبرهم بما كانوا يعملون في الدنيا قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية
ليؤمنن بها أي حلفوا بالله واجتهدوا في المبالغة في اليمين لئن جاءتهم آية أي علامة لثبوتك ليصدقن بها
وعنوا بالآية الآيات التي كانوا يقترحونها عليه قل لهم يا محمد إنما الآيات من عند الله إن شاء أنزلها
وإن شاء لم ينزلها وإنما ينزل على حسب المصلحة وقوله تعالى وما يشعركم خطاب للمؤمنين أي وما يدريكم
أيها المؤمنون أنها إذا جاءت لا يؤمنون لما سبق لهم في علم الله من الشقاوة • قرأ مجاهد وقتادة وأبو
عمرو وابن كثير إنها بالكسر على الابتداء وخبر لا يؤمنون • وقرأ الباقون بالفتح ومعناه عند الخليل وسيبويه
لعلها إذا جاءت • وقرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء على مخاطبة الكفار أي وما يشعركم يا أهل مكة
أنها إذا جاءت لا تؤمنون • وقرأ الباقون بالياء • وقرأ الأعمش وما يشعركم أنها إذا جاءتهم لا يؤمنون قوله
تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة أي نترك أفئدتهم وأبصارهم منقلبة كما
هي في الحيرة التي بهم والغفلة التي فيهم فلا نوفقهم مجازاة لهم فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة
أي أول ما رأوا من الآيات • وقيل معناه ونقلب أفئدتهم وأبصارهم على جمر جهنم ونارها جزاء
على ترك الإيمان وعقوبة عليه ونذرهم في طغيانهم يعمهون أي كما نتركهم في ضلالتهم يتحيرون
ويترددون قوله عز وجل ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا إليهم كل شيء قبلا
ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله نزلت هذه الآية في رهط من أهل مكة من المستهزئين وهم الوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والأسود بن عبد يغوث وغيرهم قالوا يا محمد ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم
عنك أحق ما تقول أم باطل فنؤمن بك وأرنا الملائكة يشهدون أنك رسول الله وأتنا بالله و
الملائكة قبيلا أي كفيلا على ما تقول أنه الحق فأنزل الله هذه الآية ومعناها ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة

معاينة للشهادة على نبوتك كما سألوك وكلمهم الموتى بأنك رسول الله وأن القرآن كلامه وجمعنا عندهم
كل شيء من الطير والوحوش والسباع وسائر الدواب كفلا ويكفلون بصحة ما تقول يا محمد ما كانوا ليؤمنوا بك
الا ان يوفقهم الله للايمان ولكن أكثرهم يجهلون ان الله قادر على ذلك ويجوز ان يكون معنى قبلا اى قبائلهم
وتواجههم من المقابلة • ويقال جماعة جماعة على معنى ان القبل جمع القبيل والقبيل جمع قبيلة كسفينة و
سفن • قرأ اهل المدينة والشام قبلا بكسر القاف وفتح الباء اى معاينة والمعنى لو ناطقتهم الارض والسماء
والطير والوحوش ان محمدا رسول الله وان ما اتاكم به حق قالوا لهم ذلك معاينة ومشافهة ما كانوا ليؤمنوا
الا ان يشاء الله قوله عز وجل وكذلك جعلنا لكل نبي شياطين الانس والجن اى كما جعلنا لك ولامتك

عدوا صح

اعدا امثال ابي جهل واصحابه • كذلك جعلنا لمن تقدمك من الانبيا واممهم اعداء وشياطين نصب على البدل من
عدوا ومفسرا له ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا • قال ابن عباس في معنى هذه الآية ان ابليس قسم جنده فريقين
فبعث فريقا منهم الى الانس وفريقا الى الجن فشياطين الانس وشياطين الجن يلتقي بعضهم ببعض فيقول بعضهم
لبعض اضللت صاحبي بكذا وكذا اتيته من قبل الشهوات واللذات من المراكب والملابس والطعام والشراب
فاذا اعيا نوعين وجه اتيته من وجه اخر فاضل صاحبك بمثله فذلك قوله عز وجل يوحي بعضهم
الى بعض اى يلقي بعضهم الى بعض ويملي بعضهم على بعض زخرف القول اى المموه الذي يكون فيه تزيين
الاعمال القبيحة وقوله تعالى غرورا نصب على المصدر كانه قال يغرون به غرورا • وذهب بعض المفسرين
الى ان الشياطين اسم لكل عات متمرد من الجن شياطين ومن الانس شياطين • كما روي عن ابي ذر رضي
الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فامرني ان اصلي ركعتين
فصليت وجلست اليه فقال لي يا ابا ذر تعوذ بالله من شياطين الانس والجن فقلت يا رسول الله
او من الانس شياطين فقال وما تقرا قوله تعالى شياطين الانس والجن قوله تعالى ولو شاء ربك
ما فعلوه اى لو شاء ربك ان يمنع الشياطين من الوسوسة ما فعلوه ولكن يمتحن عباده بما يعلم انه
ابلغ في الحكمة واجزل في الثواب قوله تعالى فذرهم وما يفترون اى اتركهم وافتراهم وكذبهم على
استجهالاتهم فاني القادر عليهم قوله تعالى ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على

غرورا

غرورا اى يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول الغرور ولتميل اليه افئدة الذين لا يقرون بالبعث
ولكي يرضوا القول المزخرف وليكتسبوا ما هم مكتسبون من الاثم وهو ما قضى عليهم في اللوح المحفوظ يقال
اقترف فلان ذنبا اذا عمله • وقيل معنى ليقترفوا اى ليختلقوا ويكذبوا • وقرا النخعي ولتصغى بضم التاء
وكسر الغين اى تميل • والاصغا الامالة • ومنه الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يصغي الانا للهرة • والافئدة جمع فؤاد مثل غراب واغربة وليقترفوا ما هم مقترفون اى فليكتسبوا ما هم
مكتسبون • وقال ابن زيد وليعملوا ما هم عاملون • يقال اقترف فلان مالا اى اكتسبه وقارفت الامر
اى واقعته • قال الله تعالى ومن يقترف حسنة • ومن قرا وليرضوه وليقترفوا بجزم اللام على لفظ الامر
فمعناه التهديد اى اعملوا ما شئتم قوله عز وجل افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا وذلك
ان نفرا من اهل مكة قالوا يا محمد اجعل بيننا وبينك حكما من اليهود والنصارى فانهم قرأوا الكتب
قبلك فانزل الله هذه الآية ومعناها قل لهم يا محمد افغير الله اطلب ربا ومعبودا يساوي حكمه
حكم الله فاجعله حكما وهو الذي انزل اليكم القرآن مبينا امره ونهيه بلغة تعرفونها • متفرقا سورة
سورة وآية آية والذين آتيناهم الكتاب اى التورية هم عبد الله بن سلام واصحابه يعلمون ان القرآن
منزل من ربك بما تقدم لهم من البشارة في كتبهم بان الله يبعث في آخر الزمان نبيا من ولد اسمعيل
وينزل عليه القرآن وقوله تعالى بالحق اى بما اقام لهم من البراهين على ذلك وقوله تعالى فلا تكونن
من الممترين اى لا تكونن يا محمد من الشاكين في انهم يعلمون ذلك • ويقال هذا خطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والمراد به غيره كانه قال لا تكونن ايها الجاهل بامر محمد صلى الله عليه وسلم من
الشاكين في امره • وقرا الحسن والاعمش وابن عامر وحفص منزل بالتشديد من التنزيل لانه انزل
نجوما مرة بعد مرة • وقرا الباقون بالتخفيف من الانزال قوله عز وجل وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا
لا مبدل لكلماته قرا اهل الكوفة ويعقوب كلمة على التوحيد • وقرا الباقون كلمات على الجمع ومعنى الآية
وتمت الزام الحجة على وجه الحكمة لا نقصان في ذلك قوله صدقا اى مخبره على ما اخبر به فيما وعد واوعد
وعدلا اى احكامه كلها عدل ولا مبدل لكلماته اى لا مغير لحكمه ودينه فان اليهود والنصارى وان غيروا

التورية والانجيل لم يمكنهم ان يأتوا بحكم حتى يقوم مقام حكمه • وقيل معناه وتمت كلمة ربك اى وجب
قول ربك بانه ناصر محمداً صلى الله عليه وسلم وان عاقبة الامر له صدقاً وعدلاً لا مغير لقول انا
لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا وقوله تعالى وهو السميع العليم ظاهر المعنى فقوله تعالى وان تطع
اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وذلك ان اهل مكة كانوا يستحلون اكل الميتة ويدعون المسلمين
الى اكلها وكانوا يقولون انما ذلك ذبح الله فهو احل مما ذبحتم انتم بسكاكينكم فانزل الله هذه الآية
ومعناها ان تطع يا محمد اكثر من في الارض يصرفونك عن دين الله • وانما قال اكثر من في الارض لان اكثرهم
كفار ضلال فقوله تعالى ان يتبعون الا الظن معناه ان اكثرهم يتبعون آباءهم بالشك يتبعونهم
فيما لا يعلمون انهم على الحق وانما يعذبون على هذا الظن لانهم اقتصروا على الظن والجهل واتبعوا اهواءهم
وان هم الا يخرصون اى ما هم الا يكذبون في قولهم ما قتل الله احق ان تاكلوه مما قتلتم انتم بسكاكينكم
فقوله تعالى ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله اى عن دين الاسلام وشرايعه وهو اعلم بالمهتدين
بمحمد والاسلام • وانما قال اعلم لان الله تعالى يعلم الشيء من كل جهاته وغيره يعلم الشيء من بعض جهاته
فقوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه عطف على ما دل عليه الكلام الذي قبله كانه قال كونوا على
الهدى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه من الذبايح ان كنتم بآياته مؤمنين هذا للترغيب في
اعتقاد صحة اباحته ونفي اكله قوله تعالى وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه يعني من الذبايح
وموضع ان نصب لان في سقطت وقد فصل لكم ما حرم عليكم اى وقد بين لكم ما حرم عليكم من الميتة
والدم ولحم الخنزير على ما تقدم في سورة المائدة • قرا الحسن وقتادة ومجاهد واهل المدينة وحفص
وقد فصل لكم ما حرم عليكم بالفتح فيهما على معنى فصل الله • وقرا ابن عامر وابن كثير وابو عمرو بضمهما
جميعا • وقرا اهل الكوفة الا حفصا فصل بالفتح وحرم بالضم • وقراء عطية العوفي فصل
بالتخفيف مفتوحا يعني قطع الحكم فيما حرم عليكم وقوله تعالى الا ما اضطررتم اليه اى الا ما دعتكم
الضرورة الى اكله فقد رخص لكم حينئذ قوله تعالى وان كثيرا يعني الكفار ليأكلون الميتة و
الذبايح التي لم يذكر اسم الله عليها عمداً والتي يذبحونها لآلهتهم بلا علم عندهم ولا بصيرة

يتبعون

يتبعون الهوى والشهوة في ذلك قوله تعالى ليضلون قرا الحسن واهل الكوفة بضم اليا لقوله يضلوك
عن سبيل الله • وقرا الباقون بفتحها لقوله هو اعلم من يضل فمعنى قراة من قرا بضم اليا انهم يصرفون الناس
عن الهدى بالدعا الى اكل الميتة على وجه الجدال والخداع وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بالمعتدين
اى اعلم بعقوبة المتجاوزين من الحلال الى الحرام قوله تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه اى لا تقربوا ما حرم
الله عليكم جهراً ولا سراً • ويقال اراد بظاهر الاثم الزنا الظاهر وبباطنه الزنا السر فان العرب كانوا يرون
الزنا ظاهراً معصية ولا يرونه في الحقيقة معصية وقوله تعالى ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما
كانوا يقترفون اى ان الذين يعملون المعصية ظاهراً وباطنا سيعاقبون في الآخرة بما كانوا يكسبون في
الدنيا من المعاصي والفواحش قوله عز وجل ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه يعني من الذبايح • روى
عن عبد الله بن عمر انه اتى على جزار ذبح شاة ونسي ان يذكر اسم الله عليها فامر ابن عمر غلامه ان يقوم
عنده فاذا جاء انسان ليشتري منه قال ان ابن عمر يقول انه لم يذكر عليها اسم الله فلا تشتر • وقال
ابن سيرين اذا ترك التسمية ناسيا لم توكل الا ان اكثر اهل العلم على ان نسيانها لا يوجب التحريم هكذا روى
عن علي وابن عباس ومجاهد وعطا وابن المسيب قالوا ان ترك التسمية ناسيا لا باس باكلها لان
خطاب الآية يتناول العامد اذ الناسي في حال نسيانه لا مكلفا وقوله تعالى وانه لفسق اى ان اكله
يكون هو
لفسق • وقيل ان ترك التسمية • وقيل المذبوح بغير تسمية الله فسق فيه حين ذبح على غير وجه الحق
كقوله او فسقا اهل لغير الله به قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم اى ان
الشياطين ليوسوسون لاوليائهم من الانس وهم ابو الاحوص الجشمي وبديل بن ورقا الخزاعي وغيرهما
من اهل مكة كانوا يخاصمون النبي صلى الله عليه وسلم في اكل الميتة واستحلالها • والوحي القا المعنى
الى النفس في الخفية وان اطعتموهم في اكل الميتة واستحلالها من غير اضطرار انكم لمشركون مثلهم •
وفي هذا دليل ان من استحل شيئا مما حرم الله او حرم شيئا مما احل الله فهو مشرك • وانما سمي مشركا
لانه اتبع غير الله فاشرك بالله غيره قوله عز وجل او من كان ميتا فاحييناه الآية قال ابن
عباس نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل • ويقال ان المراد بالآية النبي صلى الله عليه وسلم وابو جهل

ومعنى الاية على القول الاول ومن كان كافرا فهديناه بالمعرفة والاسلام وجعلنا له نورا وهو
نور الايمان والقرآن والحكمة نمضى بذلك النور فيما بين الناس كمثل من هو فى الضلالة وظلمات الكفر
ليس بخارج منها ابدا بين الله بهذه الاية ان ابا جهل ليس بخارج من الضلالة ابدا • وقال بعضهم المثل
زايد تقديره كمن فى الظلمات • وعن ابن عباس ايضا ان معناه اومن كان ميتا فاحييناه يريد حمزة بن عبد المطلب
كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ابو جهل رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرث وحمزة كافر
فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس فاقبل وهو غضبان حتى علا ابا جهل بالقوس
وهو يتضرع ويستكين ويقول ما ترى ما جاء به محمد قد سفه عقولنا وسب الهتنا وخالف اباءنا • فقال
حمزة ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله انا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له و
اشهد ان محمدا عبده ورسوله فانزل الله هذه الاية قوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون
اى كما زين لابى جهل عمله الذى كان يعمل كذلك زين للكافرين اعمالهم مجازاة لهم على كفرهم • وقال الحسن
ما زينها لهم الا الشيطان قوله تعالى وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اى كما جعلنا
فى كل قرية دا نور يمشى به فى الناس كذلك جعلنا فى كل قرية رؤساها وكبراها وعظماء اهلها مجرميها
وقيل معناه جعلنا فى اهل مكة عظماهم مجرميها كذلك جعلنا فى كل قرية وقوله تعالى ليمكروا فيها اى
ليصير امرهم الى ان يمكروا بالتكبر والتكذيب للرسل وما يمكرون الا بانفسهم اى ان ذلك يحيق بهم وما يشعرون
ان كل وبال مكرهم يرجع اليهم قوله تعالى واذا جاءتهم اية قالوا لن نومن حتى نوتى مثل ما اوتى رسل
الله اى اذا جاءت الاكابر المذكورين وقيل اهل مكة اذا جاءتهم دلالة واضحة على نبوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالوا لن نصدق حتى نعطى من الايات مثل ما اعطى رسل الله المعجزات والدلايل • وذلك
ان الوليد بن المغيرة قال والله لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لانى اكبر منك سنا واكثر منك
مالا • وقال مقاتل قال ابو جهل زاحمنا بنو عبد المطلب فى الشرف حتى اذا كنا كفرسى رهان قالوا منا
نبى يوحى اليه والله لا نومن به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحى كما ياتيه فانزل الله تعالى هذه الاية
بقول الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته اى هو اعلم لمن يرسل ومن يختص بالرسالة ومن

هو اهلها وهذا جواب بينهم ان يكونوا رسلا وحين نفوا ان يكونوا اتباعا للرسل بعد قيام حجة النبى صلى
الله عليه وسلم بين الله تعالى انه انما يجعل الرسالة عند من يقوم باداها ولا يجعلها عند من يضيع
ولا يصبر على المكاره • وقيل انما لم يجعل الله الرسل من الرؤسا والاغنيا لان الناس يتبعونهم وان لم ياتوا
بالحجج فيقول من بعدهم انما اتبعوهم لانهم كانوا رؤسا اكابر وقوله تعالى سيصيب الذين اجرموا صغار
عند الله اى سيصيب الذين نسبوا الجرم مذلة وهوان ثابت لهم عند الله وعذاب شديد بكفرهم وتكذيبهم
الرسل • قال ابن عباس رضى الله عنهما ثم رجع الى ذكر عمار وابى جهل فقال عز وجل فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام اى فمن يرد الله ان يوفقه للاسلام يوسع قلبه ويلينه لقبول الاسلام ومن يرد
ان يخذله ويجعله فى ضلالة الكفر يجعل صدره ضيقا حرجا قيل الحرج موضع الشجر الملتف يعنى ان
قلب الكافر لا تصل اليه الحكمة كما لا يصل الراعيه الى الموضع الذى التف فيه الشجر • وقال اهل اللغة
الحرج اضيق الضيق • وقال مجاهد الحرج الشاك • وقال قتادة حرجا ملتبسا • وقال النضر بن شميل قلقا •
وقال الكلبى ليس للخير فيه منفد • قرا ابن كثير ضيقا بالتخفيف وشدده الباقون وهما لغتان مثل هين
ولين ولى وقوله تعالى حرجا قرا اهل المدينه وابو بكر بكسر الرا وفتحها الباقون وهما لغتان مثل دنف
ودنف قوله تعالى كانما يصعد فى السماء يعنى يشق عليه الايمان ويمتنع ويعجز عنه كما يشق عليه صعود السما •
واختلف القرا فى قوله تعالى يصعد • قرا اهل المدينة والبصرة والكوفة الا ابا بكر يصعد بتشديد الصاد
والعين من غير الف • وقرا طلحة والنخعى وابو بكر يصاعد بتشديد الصاد وبالف بعدها بمعنى تصاعد •
وقرا الاعرج وابو رجا وابن كثير يصعد مخففا اى لا يجد مخرجا بينا ولا شمالا فكانه من الضيق يصعد
الى السما ولا يستطيعه • وقرا عبد الله كانما يتصعد وقوله تعالى كذلك يجعل الله الرجس اى مثل
ما قصصنا عليك يجعل اللعنه فى الدنيا والعذاب فى الاخرة على الذين لا يومنون اى لا يرغبون ولا
يصدقون بالتوحيد • روى انه لما نزلت هذه الاية قالوا يا رسول الله كيف يشرح الله صدره
للاسلام قال اذا دخل النور فى القلب انشرح واتسع قالوا وما علامة ذلك قال التجافى عن دار
الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزول الموت • وقال بعض المفسرين معنى الاية

للخير صح

فمن يرد الله ان يهديه في الاخرة الى الثواب ونيل الكرامة يشرح صدره للاسلام في الدنيا بالدلالات
ومن يرد ان يضله عن ثوابه ونيل كرامته في الاخرة يجعل صدره ضيقا حرجا في الدنيا عقوبة له على كفره
قوله عز وجل وهذا صراط ربك مستقيما هذا اشارة الى الاسلام • وقيل الى بيان القرآن متى ذلك مستقيما لانه
يستقيم بمن يسلكه فلا يعوج فيه حتى يورده الى الجنة وقوله تعالى قد فصلنا الايات اى تينا باية على اثر
اية مفصلة مبينة لقوم يتعظون بايات الله ويتفكرون في دلالات القرآن فلم يبق لاحد عذر في التخلف
عن الايمان بعد هذا البيان قوله تعالى لهم دار السلام عند ربهم قال ابن عباس الله السلام ودار الجنة كانه
قيل لهم جنة الله • وقال الفرا معناه لهم دار السلامة الدايمة من كل آفة وبلية وقوله تعالى عند ربهم اى
في الاخرة • وقيل معناه مقيمون عند ربهم وهو وليهم اى يتولى امرهم بنصرهم في الدنيا واكرامهم في الاخرة
بما كانوا يعملون من الطاعة قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس معناه يوم
نحشر الخلايق كلهم للحساب والجزا نقول يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس ممن اضللتموه اى اضللتم كثيرا من
من الانس وكثير متبعوكم منهم وقال قرناؤهم من الجن من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اما استمتاع الانس بالجن
فما روى الحسن ان العرب كانوا اذا سافروا فنزلوا واديا خافوا على انفسهم فقالوا نعوذ بسيد هذا الوادى
من سفهاء قومه فيبيتون في جوارهم وكانوا يرون ذلك استجارة بالجن • واما استمتاع الجن بالانس
فكان عظماء الجن يقولون قد سدنا الانس مع الجن حتى ان الانس يعوذون بنا فيزدادون بذلك شرفا في
قومهم وعظما في انفسهم وهو قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن الاية قوله
تعالى وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا اى ادركنا وقتنا الذى وقتّ لنا • قيل ان المراد به وقت البعث
وقيل وقت الموت وفي هذا دليل انه لا يكون للمقتول اجلان بخلاف ما يقوله بعض القوم ان المقتول
لو لم يقتل لكان يبقى حيا لا محالة لانه قد كان في هؤلاء مقتولون وقد اخبر واكلهم انهم بلغوا اجلهم
الذى اجله الله لهم قوله تعالى قال النار مثواكم اى قال الله لهم النار مقركم ومنزلكم فانكم قد اقررتم
على انفسكم باستحقاق العذاب ولزوم الحق عليكم قوله تعالى الا ما شاء الله قال ابن عباس فكان ما شاء الله
بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به • وقيل معناه الا ما شاء الله ما بين البعث من القبر الى وقت الفراغ من

الحساب

الحساب فانه لا يكون لهم عذاب في ذلك الوقت • وقيل معناه الا ما شاء الله ان يعذبهم من صنوف العذاب
قوله تعالى ان ربك عليم حكيم في عقابهم عليم بقدر ما يستحقون من العذاب قوله عز وجل وكذلك
نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون اى مثل ما قصصنا عليك من تسليط الجن على الانس نسلط بعض
المجرمين على بعض ثم ننتقم منهما جميعا في الاخرة بالنار • وقال بعضهم معناه نتبع بعضهم بعضا في
النار من الموالاة • وقال بعضهم نسلط بعضهم على بعض يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم من
اعان ظالما سلطه الله عليه قوله تعالى يا معشر الجن والانس صح الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتى اى نقول لهم
يوم القيمة يا معشر الجن والانس لم ذا فعلتم ما فعلتم الم ياتكم رسل منكم تقرون عليكم القرآن ويخوفونكم
لقاء يومكم هذا وهو يوم القيمة • قال ابن عباس كانت الرسل تبعث الى الانس وبعث محمد صلى الله عليه
وسلم الى الجن والانس قال وهذا كقوله يخرج منهما اللؤلؤ وانما يخرج من الملح منهما وكذلك الرسل من الانس
وقوله تعالى قالوا شهدنا على انفسنا يعنى انهم لا يجدون جوابا الا الاعتراف بذنوبهم ويقولون اقررنا على
انفسنا انهم بلغوا الرسالة وكفرنا بهم يقول الله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا اى بزهرتها ونعيمها وشهدوا
على انفسهم في الاخرة انهم كانوا كافرين في الدنيا اى اقروا قوله تعالى ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم و
اهلها غافلون اى ذلك الامر وقيل اراد الاشارة الى ارسال الرسل وقوله تعالى ان لم يكن ربك اى فعلنا ذلك
لاجل انه لم يكن ربك معذب اهل القرى بشركهم وذنوبهم واهلها غافلون عن الامر والنهى وتبليغ الرسل
اى لم يهلكهم بذنوبهم قبل ان ياتيهم رسول يبين لهم وينهاهم عما هم عليه من المعصية فان رجعوا والا
عذبهم الله • وقيل معناه لا يهلكهم الظلم منه ولا يعذبهم وهم غافلون عما كلفوا من غير اقامة الحجة بالقبيح
ويحسن من غير تنبيه لهم من الرسل قوله عز وجل ولكل درجات مما عملوا اى لكل عامل من الفريقين مراتب
في عمله لاهل الخير درجات في الجنة بعضها فوق بعض ولاهل الشرك دركات في النار بعضها اشد عذابا
من بعض وما ربك بغافل عما تعملون اى لا يجرى عليه السهو عن طاعة المطيعين ومعصية العاصين فيجزى
كل عامل بما عمل قوله تعالى وربك الغنى ذو الرحمة اى هو الغنى عن ايمان العباد وطاعتهم والغنى هو الذى
لا يحتاج الى شيء فيكون وجود كل شيء عنده وعدمه سواء وقوله تعالى ذو الرحمة بيان انه تعالى مع

كونه غنياً عن شكر العباد وطاعتهم ذو انعام عليهم والمعنى وربك الغني عن خلقه ذو الرحمة بهم ان يشا يذهبكم
اى ان شا يهلككم يا اهل مكة ويخلف من بعدكم اى من بعد هلاككم خلقا اخر اطوع لله منكم كما انشاكم اى مثل ما
ابتدا خلقكم قرنا بعد قرن زمنا ولادا قوم هالكين وقوله تعالى انما توعدون لات اى ان الذين تخافون من
البعث والعذاب لكاين لا خلف فيه وما انتم بمعجزين اى بفايتين لستم تقدرون ان تعجزوا الله عن ادراككم
قوله تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اى قل لهم يا محمد اثبتوا على حالتكم وعلى عملكم القبيح الذي انتم عليه
وعلى منازلكم انى عامل فى امرى على منزلتى وهذا على سبيل الوعيد والتهديد فسوف تعلمون اينا يكون له
العاقبة المحمودة فى الدنيا والاخرة انه لا يفلح الظالمون اى لا يظفرون بمرادهم • وقرا السلمى وعاصم
على مكاناتكم على لفظ الجماعة • وقرا مجاهد واهل الكوفة الا عاصما من يكون بالياء لان تانيث العاقبة
غير حقيقى قوله عز وجل وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا
قال ابن عباس وذلك ان اهل الجاهلية كانوا اذا حرثوا حرثا جعلوا لله خطا وقالوا ما دون هذا
الخط لالهتنا ينفق عليها وعلى خدام الاصنام وما وراء هذا الخط لله نتصدق به على اهل الحاجة
والمسكنة والسائلين وكانوا اذا ارسلوا الما فيما سموه لله تعالى فانفجر منه الى الذي جعلوه لالهتهم
تركوه وقالوا هذا احوج والله غنى عنه وان انفجر من الذي جعلوه لاصنامهم ردوه وقالوا ليس
لالهتنا بد من النفقة وكانوا اذا هلك الذي لالهتهم وكثر الذي لله اخذوا الذي لله وانفقوه على
الاصنام واذا هلك الذي لله وكثر الذي للاصنام قالوا لو شا الله لازكى الذي له ومعنى الاية
وجعل المشركون من اهل مكة لله مما خلق من الزرع والانعام نصيبا وللاصنام نصيبا فقالوا هذا
النصيب لله بقولهم لم يامرهم الله بذلك وهذا النصيب الاخر لالهتنا وفى الاية اضمار واختصار
تقديره وجعلوا لله نصيبا ولشركائهم نصيبا وقوله تعالى بزعمهم • قرا السلمى والاعمش والكسائى
بضم الزاى • والباقون بفتحها وهما لغتان وقوله تعالى فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله اى ما كان
من نصيب الهتهم فلا يرجع الى الذي جعلوه لله وما كان لله يرجع الى الذي جعلوه لشركائهم
ساء ما يحكمون اى بئس ما يقضون يوفرون نصيب الاصنام وينقصون نصيب الرحمن فبئس الحكم

حكمهم فى الاشراك والقسمة وكانوا يفعلون فى الانعام المانية الازواج ونحوها كذلك قوله عز وجل و
كذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم قال ابن عباس كان اهل الجاهلية يدفنون
بناتهم احيا كراهية للبنات وكان الرجل منهم يحلف لان ولد له كذا وكذا غلاما لينحر احدهم كما حلف عبد
المطلب على ابنه عبد الله وكان لالهتهم خدام يقومون عليهم الذين كانوا يزينون للمشركين قتل اولادهم ومعنى
الاية وكما زين تحريم الحرث والانعام زين لكثير من المشركين دفن بناتهم احيا كراهية لهن ومخافة الفقر
وقوله تعالى شركاؤهم اى قرناؤهم وشياطينهم • وقيل سدنة الهتهم يعنى خدام اصنامهم • قرا بعضهم
زين على ما لم يسم فاعله ورفع قوله قتل اولادهم وشركاؤهم حمل على المعنى على الفاعل كانه قال من
زين لهم ثم قال شركاؤهم على اضمار زينه • وقرا ابن عامر بضم الزاى وقيل بضم اللام واولادهم بالنصب
وشركائهم بالكسر ومعنى ذلك على التقديم والتاخير كانه قال زين لكثير من المشركين قتل شركائهم اولادهم
فيكون معنى الشركا الكفار القايلين المتعدين منهم والباقين وقوله تعالى ليردوهم اى ليهلكوهم يجوز
ان تكون هذه لام العاقبة فانه لم يكن غرضهم بذلك الامر اهلاكهم • ويجوز ان يكون لام الغرض لانه
قد كان فيهم معاندون وغير معاندين فغلبت صفة المعاندين وقوله تعالى وليلبسوا عليهم دينهم اى
ليخلطوا ويشبهوا عليهم دينهم دين اسمعيل عليه السلام قوله تعالى ولو شاء الله ما فعلوه اى لو شاء الله لمنعهم
عن دفن البنات احيا فذرهم وما يفترون اى اتركهم وافتراهم على الله انه امرهم بدفن بناتهم احيا
فان الله تعالى مع قدرته عليهم وتركهم فاتركهم انت فان لهم موعدا يحاسبون فيه • وقرى قتل
اولادهم شركائهم كلاهما بالكسر فيكون الشركا من نعت الاولاد لان اولادهم شركاوهم فى اموالهم قوله
عز وجل وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم اى قالوا هذه الانعام والحرث التى جعلوا
بعضها لله وبعضها للاوثان حجر اى حرام لا ياكلها ولا يذوقها الا من ياذن له فى اكلها وهم الرجال دون
النساء بزعمهم اى بقولهم قوله تعالى وانعام حرمت ظهورها هى البحيرة والسايبة والحام حرموا الركوب
عليها واما الوصيلة فانها كانت من الغنم خاصة قوله تعالى وانعام لا يذكرون اسم الله عليها اى وانعام
اخر كانوا يذبحونها للاصنام تقربا اليها زعموا ان الله امرهم بذلك قوله تعالى افترا على الله

نصب على معنى لا يذكرون اسم الله عليها كذبا على الله انه امرهم بذلك • وقيل نصب على المصدر اى فترو افتراء وقوله تعالى سيجزيهم اى سيكافيهم بكذبهم وافترائهم على الله قوله تعالى وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا اى قال اهل الجاهلية ان الاجنة التى فى بطون هذه الانعام التى زعموا انها للاوثان انهم اذا انفصلت عن الامهات فهى حلال لرجالنا منافعها والبانها ومحرم على نسائنا ما دامت تلك حية واما تانيث الخالصة فعلى المعنى كانهم قالوا جماعة ما فى بطون هذه الانعام او الانعام التى فى بطونهن الانعام واما تذكير قوله ومحرم فلانه مردود على لفظ ما • وقرا الاعمش خالص لذكورنا بغير ها ورده الى ما ومن نصب خالصة فعلى القطع تقديره ما فى بطون هذه الانعام لذكورنا خالصا • وقرا ابن عباس خالصة بالاضافة الى ها قوله تعالى وان يكن ميتة اى قالوا وان تكن اجنة هذه الانعام ميتة فهم فيه شركاء الرجال والنساء • قرا ابو جعفر وابن عامر وان تكن بالتا ميتة بالرفع على معنى وان تقع • وقرا ابن كثير كذلك الا انه باليا • وقرا ابو بكر تكن بالتا ميتة بالنصب على معنى وان تكن الاجنة ميتة • وقرا الباقون يكن باليا والنصب وردوه الى ما ويؤيد ذلك قوله فهم فيه شركاء ولم يقل فيها قوله سيجزيهم وصفهم اى سيجزيهم فى الآخرة بوصفهم الذى وصفوا فى هذه الانعام الا انه لما حذف الباء انتصب ويجوز ان يكون معناه سيجزيهم جزاء وصفهم الا انه حذف الجزاء واجرى اعرابه على وصفهم انه حليم فى مجازاتهم عليم بمقدار جزائهم سيجزيهم على وصفهم الكذب على الله قوله عز وجل قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم اى الذين قتلوا بناتهم احياء جهلا منهم بغير علم بلا بيان ولا حجة نزلت فى ربيعة ومضر الذين كانوا يدفنون بناتهم احياء مخافة السبي والفقر الا من كان من بنى كنانة فانهم كانوا لا يفعلون ذلك • وقرا الحسن والسلمى واهل مكة والشام قتلوا بالتشديد على التكثير وخفف الباقون قوله تعالى وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله اى حرموا على انفسهم ما اعطاهم الله من الرزق ومن الانعام والحرث يعنى ان هؤلاء الكفار لجهلهم يقتلون البنات احياء مخافة الفقر والانفاق ثم يجعلون طائفة من اموالهم للاوثان ويحرمونها على اناث اولادهم وقوله تعالى افتراء على الله اى يفترون ذلك افتراء على الله بان الله حرم هذه الاشياء قوله تعالى قد ضلوا وما كانوا مهتدين اى ضلوا فى فعلهم هذا عن الهدى وما كانوا مهتدين من الضلالة قوله تعالى وهو الذى

انشاء

انشاء جنات معروشات وغير معروشات اول هذه الآية راجع الى ما قبلها كانه قال افتراء على الله و هو الذى انشأ جنات اى وهو الذى ابتدأ خلق بساتين معروشات وهى الكروم رفع بعض اغصانها على بعض وغير معروشات وهى الشجر والزرع وكل ما لا يرتفع بعضه على بعض هكذا روى عن ابن عباس والحسن • ويقال معنى معروشات ما لا يرفع له حيطان وغير معروشات ما لا يجعل له حائط • وقيل المعروشات ما انبسط على الارض وانتشر مما يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ وشبهها وغير معروشات ما قام على ساق فطال مثل النخل والزرع وساير الاشجار • وقال الضحاك معروشات وغير معروشات الكرم خاصة منها ما عرش ومنها ما لم يعرش • وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ايضا ان المعروشات ما انبته الناس وغير المعروشات ما اخذ من البرارى والجبال من الثمار يدل عليه قراءة على رضى الله عنه معروسات بالغين والسين قوله تعالى والنخل والزرع مختلفا اكله معناه وانشأ النخل والزرع وهذا تخصيص وبعضها داخل فى عموم الاول لكونهما اعم نفعا من جملة ما يكون فى البساتين وقوله تعالى مختلفا اكله اى مختلفا جملة من الالوان كلها ومختلف فى الطعم من الحلو والحامض والمر والجيد والردى ونصب مختلفا على الحال اى انشاه فى حال اختلاف اكله وقد يقال برفع اكل بالابتداء ومختلفا نعته الا انه لما تقدم النعت على الاسم نصب كما يقال عندى طباخا غلام قال الشاعر • السر يكتمه يلقاك عن عرض • والصالحات عليها مغلقا باب • قوله تعالى والزيتون والرمان اى وانشأ شجر الزيتون والرمان متشابها وغير متشابه اى منها ما هو متشابه ومنها ما هو غير متشابه • و قيل متشابها فى النظر وغير متشابه فى الطعم نحو الرمان تتبين لونهما واحد وطعمهما مختلف قوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر هذا امر اباحة لا امر ايجاب والفائدة فى قوله تعالى اذا اثمر اباحة الاكل منه قبل اخراج الحق الذى وجب فيه ثابتا للمساكين قوله تعالى واتوا حقه يوم حصاده اى اعطوا حق الله تعالى يوم يحصد اراد العشر فيما سقته السماء ونصف العشر فيما سقى بغرب ودالية كذا قال ابن عباس والحسن • وقال ابن عمر رضى الله عنه معنى واتوا حقه ما يتطوع به الانسان عند رفع الغلة والتصدق به • قال مجاهد اذا حصدت تحضرك المساكين فاطرح لهم منه واذا دسته وذريته فاطرح لهم منه فاذا عرفت كيله فاخرج زكوته • قال ابراهيم النخعى هذه الآية منسوخة بالعشر ونصف العشر وفى قوله حصاده قراءتان بكسر الحاء

وفتحها قوله تعالى **ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** هذا خطاب للائمة اى لا تأخذوا فوق حقكم • وقيل
خطاب لارباب الاموال اى لا تصدقوا بالجميع فلا تبقوا للعيال شيئا • قال ابن عباس كانوا يتسارعون بالمعروف
عند الحصاد فيعطون المساكين والفقراء فعمد ثابت بن قيس بن شماس من بينهم خاصة فصرم خمسماية نخلة و
قسمها في موضع واحد ولم يترك لاهله شيئا فكره الله له ذلك وانزل قوله تعالى ولا تسرفوا اى لا تجاوزوا
الحد فتحتاجوا الى ما عند الناس • وقال الزهرى الاسراف هو الانفاق فى معصية الله تعالى • وقال مجاهد
لو كان ابو قبيس ذهبا لانفقته فى طاعة الله لم يكن مسرفا ولو انفقت درهما او دونه فى معصية الله تعالى
لكنت مسرفا قوله تعالى انه لا يحب المسرفين ظاهر المعنى • وقيل معنى ولا تسرفوا اى لا تنقصوا عن العشر ونصف
العشر فتمنعوا الصدقة وتاكلوا حق المساكين قوله عز وجل **ومن الانعام حمولة وفرشا** الحمولة كبار الابل التى
يمكن الحمل عليها والفرش صغارها التى لا يمكن الحمل عليها سميت فرشا لاستوائها فى الصغر والانحطاط كما
سوى ما يفرش من الفرش • وقيل سميت فرشا لقربها من الارض وتسمى ايضا الغنم فرشا والمعنى وانشاء من الانعام
حمولة وفرشا ويقال المراد بالفرش ما يفرش من الثياب والبسط التى يعمل من الوبر الا ان القول الاول اقرب
لان الله تعالى ذكر فى الاية بعدها ثمانية ازواج اى انشا الله من الحمولة والفرش ثمانية ازواج قوله
تعالى **كلوا مما رزقكم الله** اذن فى الاكل من الحرث والانعام **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** فى تحريم الحرث
والانعام اى ولا تتبعوا طرق الشيطان فانه لا يدعوكم الا الى المعصية **انه لكم عدو مبين** اى ظاهر
العداوة لابيكم ادم عليه السلام قوله عز وجل **ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين** معناه و
انشا لكم ثمانية ازواج اى اصنافا فمن الضان اثنين ذكرا وانثى يعنى بالذكر زوجا وبالانثى زوجا يقال لكل
من له قرين زوج كما قال تعالى اسكن انت وزوجك الجنة قوله تعالى ومن المعز اثنين اى ذكرا وانثى زوجين
اثنين والضان ذوات الالية وهو جمع ضاين كما يقال تاجر وتجر • وقيل واحده ضاينه والمعز ذوات
الاذناب القصار وفيه قراتان تسكين العين وفتحها قوله تعالى **قل الذكرين حرم ام الانثيين** اى قل لهم
يا محمد من اين جاء هذا التحريم الذى تذكرونه ايها الكفار فى الولد السابع فى الغنم انه حرام على النساء احرم
الله الذكر من الضان والذكر من المعز فحرم ولدهما لحرمة الذكرين ام حرم الانثيين من الضان والمعز فحرم

ولدهما

ولدهما لحرمة الاناث فان جاء هذا التحريم من قبل ذكورهما فيجب ان تكون كل ذكر حراما عليكم وان جاء من
قبل الانثيين فيجب ان تكون كل انثى حراما عليكم وان جاء من قبل اشتمال ارحام الانثيين فيجب ان تكون كل الاولاد
من الذكر والانثى حراما عليكم لان ارحام الانثيين تشتمل عليهما جميعا • قوله تعالى **نبئونى بعلم ان كنتم
صادقين** اى قل للكافرين خبرونى وفسروا لى ما حرم عليكم ببيان وحجة ان كنتم صادقين فى مقالتكم
ان الله حرم الوصيلة ونحوها • وانما قال ان كنتم صادقين لان الصدق لا يمكن الا بعلم و قوله تعالى
ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين اى وانشا من الابل اثنين ذكرا وانثى من جملة الثمانية الازواج ومن
البقر اثنين ذكرا وانثى **قل الذكرين حرم** اى قل لهم يا محمد انكم تحرمون الولد الخامس من الابل والبقر
على النساء فمن اين جاء هذا التحريم من قبل الذكور ام من قبل الاناث ام من قبل الذى اشتملت عليه ارحام
الانثيين **ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا** اى ام شاهدتم الله تعالى حرم هذه الاشياء التى تحرمونها
وامركم بتحريمها يعنى ذلك انتم لا تقرون بنبى من الانبياء فمن اين علمتم تحريم الله بالقياس لان الله تعالى
امر نبيه عليه الصلاة والسلام ان يناظرهم ويبين بالحجة فساد قولهم وبطلان اعتقادهم فلما
نزلت هذه الاية قراها رسول الله صلى الله وسلم على ابى الاحوص الجشمى ومالك بن عوف وكان هو
الذى يحرم لهم وكانوا يرجعون فيه اليه فسكت مالك وتحير فى الجواب • فقال صلى الله عليه وسلم ما لك
يا مالك لا تتكلم فقال له مالك بل تكلم انت وانا اسمع فنزل قوله تعالى **فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل
الناس بغير علم** وهذا استفهام بمعنى التوبيخ والتعجب معناه اى احد اعتى واجرى على الله ممن اختلق
على الله كذبا ليصرف الناس عن دينه وحكمه بالجهل **ان الله لا يهدى القوم الظالمين** اى لا يهديهم الى
الجنة فيما افتروا على الله • ويقال لا يهديهم الى حجته وثوابه فلما نزلت هذه الاية قال مالك بن عوف فما هذا
التحريم الذى حرمه اباؤنا من السايبة والوصيلة والحام والبحيرة فانزل الله عز وجل قوله تعالى **قل لا اجد
فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا
اهل لغير الله به** فقرا النبى صلى الله عليه وسلم الاية ثم قال يا مالك اسلم فقال ان لى مرا من قومى
فاخبرهم عنك فاتى قومه فقالوا كيف رايت فقال رايت رجلا معلما وذكر لهم فقالوا انا وجدنا اباءنا

على امة وانا على اثارهم مقتدون • ومعنى الاية قل لهم يا محمد لا اجد فيما اوحى الى من القران شيا محرما
على اكل ياكله الا ان يكون ميته لم يذك وهى التى تموت حتف انف • فمن قرا الا ان يكون بالياء فعلى معنى الا ان يكون
الماكول ميتة • ومن قرا بالتاء فعلى معنى الا ان يكون تلك الاشيا ميتة • وقرا على رضى الله عنه يطعمه بتشديد الطا
اراد يتطعمه فادغم التاء فى الطاء قوله تعالى او دما مسفوحا اى دما مصبوبا سايلا فكانوا اذا ذبحوا اكلوا الدم
كما ياكلون اللحم وفى الاية دليل على ان الدم اذا لم يكن سايلا مثل الدم الذى يكون فى عروق اللحم المذكى فانه لا يكون
محرما هكذا قال عكرمة وقتادة • وقال عمران بن جرير سالت ابا مخلد عما يتلطخ باللحم من الدم حتى يرى فيه
حمرة الدم قال لا باس به انما نهى عن الدم المسفوح وهو المهراق السايل قوله تعالى فانه رجس او فسقا فيه
بيان ان لحم الخنزير لا يحرم لكونه ميته لكن يحرم لعينه وقوله تعالى او فسقا اهل لغير الله به عطف على قوله او لحم
خنزير والمراد بالفسق المذبوح للصنم وهو الذى يذكر على ذبحه اسم غير الله ومعنى اهل به اى رفع به ماخوذ
من الاهلال الذى هو رفع الصوت ومنه اهلال المحرم بالحج • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا استهل
الصبى ورث وصلى عليه واما الرجس فمعناه الحرام وكل ما استقذرته فهو رجس والرجس العذاب ايضا
فى غير هذا الموضع قوله عز وجل فمن اضطر غير باغ ولا عاد اى من دعته الضرورة الى اكل شى من هذه المحرمات
غير طالب التلذذ بتناوله ولا مجاوز قدر المباح منه فان ربك غفور رحيم اذ رخص لكم فى تناول
هذه الاشيا عند الضرورة • فان قيل لم قصر التحريم فى هذه الاية على الاشيا المذكورة فيه مع انه تعالى
قد حرم اشيا غيرها فى اول سورة المايدة • قيل لان هذه الاية مكية نزلت فى جواب الذين جادلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تحريم البحيرة ونحوها فكانت هذه الاربع المحرمات المذكورات
فى هذه الاية محرمة يوم المجادلة ثم نزلت بعد هذه الاية تحريم غيرها بقوله تعالى حرمت عليكم
الميته والدم ولحم الخنزير فى سورة المايدة وهذه الاية لا تمنع تحريم شى اخر بخبر الاحاد والقياس
على المحرمات المنصوصة لاتفاق الفقها على تحريم اشيا غير مذكورة فى هذه الاية كالخمر ولحم القرد
والنجاسات • واما الخبر المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن اكل كل ذى ناب من
السباع وكل ذى مخلب من الطير فهو بمنزلة اية من كتاب الله تعالى لقوله تعالى وما اتاكم الرسول

فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قوله عز وجل وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر فى هذه الاية
بيان ما حرم الله على اليهود • قال ابن عباس اراد بقوله كل ذى ظفر الابل والنعام والبط والاوز وما
اشبه ذلك مما لا يكون منفرج الاصابع • وقيل اراد به ما يصيد بالظفر مثل النسور والبزاة وما شاكل
ذلك من السباع والكلاب • وقال ابن زيد هى الابل فقط • قرا الحسن كل ذى ظفر بكسر الظا واسكان الفا • وقرا
ابو سماك ظفر بكسرهما جميعا وهى لغة وقوله تعالى ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما
من الشحم وهو السمن وما حملت الحوايا وهى المباعر والامعا التى عليها الشحم من داخلها واحدتها حاوية
وحاويا وحوية سميت بذلك لانها تحوى ما فى البطن وقوله تعالى او ما اختلط بعظم اراد به ما يكون
من الشحم المخالط للحم على عظم الجنب • واما الاليه فقد كانت داخلة فى التحريم قوله تعالى ذلك جزيناهم
ببغيهم اى ذلك التحريم عاقبناهم بظلمهم وانا لصادقون فيما نقول ان هذه الاشيا كانت حلالا فى الاصل
فحرمناها على اليهود بمعصيتهم ومخالفتهم لانبيايهم وكانت اليهود مع هذا التحريم يجملون الشحوم فيبيعونها
فيستحلون ثمنها • كما قال صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها وباعوها
واكلوا ثمنها ان الله تعالى اذا حرم شيا حرم بيعه واكل ثمنه فلما نزلت هذه الاية • قال صلى الله عليه
وسلم هذا ما اوحى الله الى انه محرم ميتة على المسلمين وميتة على اليهود • فقال المشركون انك لم تصب
فيما قلت فقال عز وجل فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة اى ان انكروا ولم يقبلوا قولك فقل ربكم
ذو رحمة واسعة بالامهال بان لم يعاجلكم بالعقوبة ولا يرد باسه عن القوم المجرمين اى لا يرد
عذابه عن المشركين واليهود اذا جاء وقت العذاب قوله تعالى سيقول الذين اشركوا لو شا الله ما اشركنا
ولا اباونا من قبلنا الذين سننا بهم ولا حرمنا على انفسنا من شى من الحرث والانعام ولكنه شا لنا
الشرك والتحريم قال الله تعالى كذلك قال الذين من قبلهم اى هكذا كذب الذين من قبلهم رسلهم كما
كذب قومك حتى ذاقوا باسنا اى عذابنا • ومن قرا كذلك كذب بالتخفيف فمعناه كما كذب قومك على الله
كذلك كذب من قبلهم من الامم الخالية على الله حتى ذاقوا عذابنا قوله تعالى هل عندكم من علم فتخرجوه
لنا اى قل لهم يا محمد هل عندكم من علم من بيان وحجة غيرها فى القران فتبينوه لنا ان تتبعون الا الظن

الجزو الثاني والثلثين

يعني قلتم في تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام قوله تعالى إن أنتم إلا تخرصون أي ما أنتم إلا تكذبون
على الله وإنما قال المشركون لو شاء الله ما أشركنا على وجه الاستهزاء فكذبهم الله في ذلك وإن كانت المشيئة حقا
كما في سورة المنافقين إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد
إن المنافقين لكاذبون فكذبهم الله في قولهم إنك لرسول الله وإن كان ذلك حقا لأنهم قالوا على وجه الاستهزاء
قوله تعالى ولا آباؤنا عطف على الضمير المتصل معناه ما أشركنا نحن ولا آباؤنا • ثم اعلم أن بعضهم قال إن مشيئة
المعاصي إذا أضيف إلى الله تعالى يكون معناها الخذلان مجازاة لهم على سوء أفعالهم وإصرارهم على المعصية
قوله عز وجل قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين أي إن الله قد بلغكم حجته وهو ما أحله من
الثمانية الأزواج فلو شاء لوفقكم لدينه وأكرمكم لمعرفته • وقال الحسن معناه قد قامت عليكم الحجة وجاءكم
الرسول فلو شاء لوفقكم لأجبركم على الإيمان والحجة البالغة الثابتة الكافية قوله تعالى قل هلم شهداءكم
الذين يشهدون أن الله حرم هذا أي قل لهم يا محمد هاتوا شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذه
الأشياء فإن شهدوا بأن الله حرمها فلا تشهد أنت يا محمد معهم لأنهم لا يشهدون إلا بالباطل قوله تعالى
ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا أي يعني بهؤلاء الذين جحدوا بك وبالقرآن ولا بهؤلاء الذين لا يصدقون بالبعث
وإنما فصل بين الفريقين لأن من الكفار من يؤمن بالبعث كأهل الكتاب ومنهم من لا يؤمن بذلك كعبدة
الأوثان قوله تعالى والذين هم بربهم يعدلون أي يسوون بالله تعالى في الطاعة قوله عز وجل قل تعالوا
أتل ما حرم ربكم عليكم أي قل يا محمد لمالك بن عوف الجشمي ولأصحابه هلموا واجتمعوا أقرأ عليكم
الذي حرم ربكم عليكم وقوله تعالى ألا تشركوا به شيئا أي أوصيكم وأمركم أن لا تشركوا ويقال أتلوا
عليكم أن لا تشركوا كما في قوله ما منعك أن لا تسجد وقوله تعالى وبالوالدين إحسانا أي وأوصاكم
بالوالدين أي بالإحسان إلى الوالدين برا بهما وعطفا عليهما ولا تقتلوا أولادكم من إملاق أي لا تدفنوا
بناتكم أحياء مخافة الفقر والإملاق في اللغة نفاد الزاد والنفقة يقال أملق الرجل إذا نفد زاده و
نفقته ومنه الملق وهو بذل المجهود في تحصيل المراد قوله تعالى نحن نرزقكم وإياهم أي علينا
رزقكم ورزقهم جميعا قوله تعالى ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن أي لا تقربوا الزنا سرين

ولا معلنين ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق أي لا يحل قتل أحد إلا بالزنا بعد إحصان وكفر
بعد إيمان وقتل نفس بغير حق • وروي أن عمر رضي الله عنه حين أرادوا قتله أشرف عليهم وقال علام
ما تقتلونني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث رجل
زنا بعد إحصانه فعليه الرجم أو رجل قتل عمدا أو ارتد بعد إسلامه فوالله ما زنيت في جاهلية
ولا إسلام ولا قتلت أحدا فأقتد نفسي منه ولا ارتددت منذ أسلمت إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن
محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلكم وصاكم به أي هذا الذي ذكر لكم أمركم الله به في كتابه
لكي تفعلوا ما أمركم به قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده أي لا تقربوا مال
اليتيم الذي لا أب له إلا لحفظه وتثمير وإصلاحه حتى يبلغ أشده • قال الشعبي هو بلوغ الحلم حيث
تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات • وقال السدي الأشد أن يبلغ ثلثين سنة • وقال الكلبي ما بين
ثماني عشرة سنة إلى ثلثين سنة • وجعل أبو حنيفة غاية الأشد خمسا وعشرين سنة فإذا بلغها دفع
إليه ماله ما لم يكن معتوها قوله تعالى وأوفوا الكيل والميزان بالقسط أي أتموا الكيل والوزن بالعدل
لا نكلف نفسا إلا وسعها أي إلا جهدها وطاقتها وهذه الآية أصل في جواز الاجتهاد في الأحكام وأن كل
مجتهد مصيب فإذا اجتهد الإنسان في الكيل والوزن ووقعت فيه زيادة يسيرة أو نقصان يسير لم
يؤاخذ الله به إذا اجتهد جهده وإن عند الكيل على ذلك قد زاد أو نقص لم يثبت المأثم إذا كان ذلك
القدر من التفاوت مما يقع بين الكيلتين قوله تعالى وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى أي إذا قلتم
فاعدلوا في المقالة • قيل معناه قولوا الحق إذا شهدتم وحكمتم ولو كان المشهود عليه أوله ذا قرابة من
الشاهد قوله تعالى وبعهد الله أوفوا أي أتموا فرائض الله التي أمركم بها كما قال تعالى ألم أعهد إليكم يا بني
آدم • ويقال أراد بالعهد في هذه الآية النذر واليمين كما قال تعالى وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم قوله
تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون أي في هذا الذي ذكر الله لكم أمركم الله به في الكتاب لكي
تتعظوا فتمتنعوا عن المحرمات قوله عز وجل وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم
عن سبيله المراد بالصراط هاهنا الشريعة سمي الشرع طريقا لأنه يؤدي إلى الثواب في الجنة وقوله

تعالى فاتبعوه اى اعتقدوا احلال هذا الدين وحرامه ومامون ومنهيه ولا تتبعوا اليهودية و
النصرانية وساير ملل الكفر فانها سبل الشيطان وهي طريق النار قوله تعالى فتفرق بكم عن سبيله اى
فيضلكم ذلك السبيل الذى تتبعونه بهواكم عن دين الله الذى هو الاسلام ذلكم وصاكم به اى هذا الذى
امركم الله به فى القرآن لتتقوا السبل المختلفة وتستقيموا على الايمان • قال ابن عباس هذه الثلث الايات
من المحكمات وهن امّ فى التورية والانجيل والزبور والفرقان لم ينسخهن شىء فى جميع الكتب وهن محرمات
على بنى آدم كلهم وهن امّ الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار • قال كعب الاحبار
والذى نفس كعب بيده ان هذه لاول شىء فى التورية بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم
عليكم الى آخر الايات الثلث قوله تعالى ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى احسن وتفصيلا لكل شىء معناه
بل آتينا موسى الكتاب وقيل معنى ثم معنى العطف كانه قال تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم اتل ما آتاه الله موسى
من التورية قوله تماما على الذى احسن اى تماما للاحسان على المحسنين لنبى موسى عليه السلام احدهم
ويقال معناه تماما على ما احسن موسى وكان موسى عليه السلام محسنا فى معرفة العلم وكتب المتقدمين
فاعطيناه التوراة زيادة على ذلك وتماما نصب على القطع • وقيل على التفسير • وقرأ ابن عمر على الذى
احسنُ على معنى على الذى هو احسن قوله تعالى وتفصيلا لكل شىء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء
ربهم يؤمنون اى تتميما بالاحسان اليهم وتبيينا لكل شىء من الحلال والحرام وهدى من الضلالة و
نجاة من العذاب لمن آمن به وعمل بما فيه لعلهم بالبعث الذى فيه جزاء الاعمال يقرون ويصدقون قوله
تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه اى وهذا القرآن كتاب انزلناه فيه بركة وخير كثير
لمن آمن به ومعنى البركة ثبوت الخير ونموه فاتبعوه اى اقتدوا به فى اوامره ونواهيه واتقوا مخالفته
وسخطه لتكونوا على رجاء الرحمة قوله تعالى ان تقولوا انما انزل الكتاب على طايفتين من قبلنا اى كراهة
ان تقولوا انما انزل الكتاب على طايفتين من قبلنا اراد به التورية واليهود والانجيل والنصارى وان كنا
عن دراستهم لغافلين اى وقد كنا عن قراة كتبهم التورية والانجيل لغافلين عما فيه • وقيل
معناه وما كنا عن قراة كتبهم التورية والانجيل الا غافلين عما فيه قوله تعالى او تقولوا لو انا انزل

بالرفع صح

علينا

علينا الكتاب لكنا اهدى منهم اى وكراهة ان تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب كما انزل على اليهود والنصارى
لكنا اسرع اجابة منهم وذلك ان اهل مكة كانوا يقولون قاتل الله اليهود كيف كذبوا على انبيائهم
والله لو جاءنا نذير وكتاب لكنا اهدى منهم قال الله تعالى فقد جاءكم بينة من ربكم اى القرآن بيانا
ودلالة من ربكم وهدى من الضلالة ورحمة لمن آمن به واتبعه رحم الله بانزاله عباده قوله تعالى
فمن اظلم ممن كذب بآيات الله اى لا احد اعتى واجرى على الله ممن كذب بآيات الله وصدف عنها
اى اعرض عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا قبح العذاب واشده باعراضهم وتكذيبهم قوله عز
وجل هل ينظرون الا ان تاتيهم الملئكة اى ما ينتظر اهل مكة بعد نزول الايات وقيام الحجج عليهم
الا اتيان ملك الموت واعوانه بقبض ارواحهم اى لم يبق الا هذا قوله او ياتى ربك معناه او ياتى
امر ربك باهلاكهم والانتقام منهم اما بعقاب عاجل او بالقيمة وقوله تعالى او ياتى بعض آيات
ربك يعنى طلوع الشمس من مغربها • قال الحسن او ياتى بعض آيات ربك الحاجبة من التوبة • قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها ودابة الارض وخروج الدجال
والدخان وخويصة احدكم يعنى موته وامر العامة يعنى القيمة • وقال صلى الله عليه وسلم باب
التوبة مفتوح من قبل المغرب مسيرة اربعين سنة وملك قايم على ذلك الباب يدعو الناس الى التوبة
فاذا اراد الله ان تطلع الشمس من مغربها طلعت من ذلك الباب سوداء لا نور لها فتوسط السماء ثم رجعت فيغلق
الباب وترد التوبة ثم ترجع الى مشرقها فتطلع بعد ذلك مائة وعشرين سنة الا انها سنون تمر مرا • وعن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غربت الشمس رفع بها الى السماء السابعة فى سرعة طيران الملئكة و
وتحبس تحت العرش فتستاذن من اين تطلع امن مطلعها ام من مغربها وكذا القمر فلا يزال كذلك حتى ياتى الله
بالوقت الذى وقته لتوبة عباده ويكثر المعاصى فى الارض ويذهب المعروف فلا يامر به احد وينتشر المنكر
فلا ينهى عنه احد فاذا فعلوا ذلك حبست الشمس تحت العرش فاذا مضى مقدار ليلة سجدت واستاذنت
ربها من اين تطلع فلم يجىء لها جواب حتى يوافيها القمر فيسجد معها ويستاذن من اين تطلع فلا يجىء له جواب
فيحبسان مقدار ثلث ليال فلا يعرف مقدار تلك الليلة الا المتهجدون فى الارض وهم يومئذ عصابة

قليلة وهوا زمن الناس فينام احدهم تلك الليلة مثل ما ينام قبلها من الليالى ثم يقوم فيتهجد ورده
فلا يصبح فينكر ذلك فيخرج وينظر الى السماء فاذا هو بالليل مكانه والنجوم مستديره فينكر ذلك
ويظن فيه الظنون فيقول اخففت قرائتى ام قصرت صلاتى ام قمت قبل حينى ثم يقوم فيعود الى صلاته
فيصلى نحو صلاته فى الليلة الثانية ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج فاذا هو بالليل كما هو فيخالطه الخوف
ثم يعود وجلا خايفا الى مصلاه فيصلى مثل ورده كل ليلة ثم ينظر فلا يرى الصبح فيشتد به الخوف
فيجتمع المتهجدون من كل بلد فى تلك الليلة فى مساجدهم ويجارون الى الله بالبكا والتضرع فيرسل
الله جبريل عليه السلام الى الشمس والقمر فيقول لهما ان الله يامركما ان ترجعا الى مغاربكما فتطلعا منه
فانه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيبكيان عند ذلك وجلا من الله بكا يسمعه اهل السموات السبع و
اهل سرادقات العرش ثم يبكى من فيهما من الخلايق من خوف الموت والقيمة فبينما المتهجدون يبكون ويتضرعون
والغافلون فى غفلاتهم اذا بالشمس والقمر قد طلعا من المغرب اسودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر كصفتهما فى
كسوفهما فذلك قوله تعالى وجمع الشمس والقمر فيرتفعان كذلك مثل البعيرين ينازع كل واحد منهما
استباقا فيتصارخ اهل الدنيا حينئذ ويبكون • فاما الصالحون فينفعهم بكاؤهم ويكتب لهم عبادة
واما الفاسقون فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب ذلك عليهم حسرة وندامة فاذا بلغ الشمس
والقمر سرة السما وهو منتصفهما جاجبريل فاخذ بقرونهما فردهما الى المغرب فيغربان فى باب التوبه • فقال
عمر بابى وامى انت يا رسول الله ما باب التوبة • قال يا عمر خلق الله بابا للتوبة خلف المغرب له مصراعان
من ذهب ما بين المصراع الى المصراع اربعون سنه للراكب فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه
الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما فاذا غربا فى ذلك الباب رد المصراعان
والتام ما بينهما فيصير كان لم يكن بينهما صدع فاذا اغلق باب التوبة لم تقبل للعبد توبة بعد ذلك
ولم ينفعه حسنة يعملها الا من كان قبل ذلك محسنا فانه يجرى عليه ما كان يجرى قبل ذلك اليوم
فذلك قوله تعالى يوم ياتى بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت
فى ايمانها خيرا • قال السدى لا ينفع احدا فعل الايمان ولا فعل خير فى تلك الحالة انما ينفع

فعل هذا قبل تلك الحال • وقيل معنى خيرا اخلاصا اى اذا لم تكن النفس مخلصه قبل مجى الايات لا ينفعها
الاخلاص بعد مجى الايات • فقال ابى بن كعب يا رسول الله وكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس
والدنيا • فقال يا ابى ان الشمس والقمر يكسيان الضوء بعد ذلك ثم تطلعان وتغربان كما كانا قبل ذلك
واما الناس فيلحون على الدنيا حتى تجرى اليها الانهار ويغرسوا فيها الاشجار ويبنوا فيها البنيان • وقال حذيفة
بن اسيد والبرا بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تذاكرون
قلنا الساعة يا رسول الله • فقال انها لا تقوم حتى يخرج الدجال ودابة الارض وياجوج وماجوج ونار
من قعر عدن ونزول عيسى وطلوع الشمس من مغربها • وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت وراها الناس امنوا جميعا فذلك
حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل وكسبت فى ايمانها خيرا قوله عز وجل ان الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعا لست منهم فى شى قرا حمزة والكسائى فارقوا بالالف اى خرجوا من دينهم وتركوه وهى قراءة على رضى الله
عنه • وقرا الباقون فرقوا بالتشديد بغير الف وهى قراءة ابن مسعود وابن عباس وابى بن كعب اى جعلوا دين
الله فرقا تهود قوم وتنصر قوم يدل عليه قوله تعالى وكانوا شيعا اى فرقا مختلفة • وقال مجاهد ارادهم
اليهود فانهم كانوا يمالون المشركين على المسلمين لشدة عداوتهم • وقال قتادة هم اليهود والنصارى فان
بعضهم يكفر بعضا • وعن ابى هريرة انه قال هم اهل البدع والضلالة من هذه الامة فان بعضهم يكفر بعضا بالجهالة
قوله عز وجل وكانوا شيعا اى فرقا مختلفة والشيع جمع الشيعة وهى الفرقة التى تتبع بعضها بعضا يقال شايعه
على الامر اذا اتبعه • وقيل اصل الشيع من الظهور يقال شاع الحديث يشيع اذا ظهر قوله تعالى لست منهم
فى شى اى لست من عذابهم الباطلة فى شى اى انت برى من جميع ذلك انما امرهم الى الله اى مصيرهم ومنقلبهم
الى الله ثم يجزيهم فى الاخرة بما كانوا يعملون فى الدنيا فيندم المبطل ويفرح المحق قوله عز وجل من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها اى من جاء بخصلة من الطاعة فله عشر حسنات ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها اى
من جاء بخصلة من المعصية فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون بالزيادة على مقدار ما يستحقون من العقاب
وانما قال ذلك لان التفضل بالنعم جايز والابتدا بالعقاب لا يجوز • وقرا الحسن وسعيد بن جبير ويعقوب

[وحسفا فى المشرق وحسفا بالمغرب]

فله عشر بالتنوين امثالها بالرفع على معنى فله حسنات عشر امثالها • وقد تكلم اهل العلم في الحسنات العشر
التي وعد الله في هذه الاية • فقال بعضهم المراد بها التحديد بالعشرة • وقد قال بعضهم المراد بها التضعيف
دون التحديد بالعشرة كما يقول القايل لان اسديت لي معروفا لاكافينك لعشرة امثاله • ثم اختلفوا فقال
بعضهم هو كله تفضل او ثواب غير ذلك كانه قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر حسنات من النعيم والسرور
زيادة على ثواب حسنته قالوا ولا يجوز ان يساوي منزلة التفضيل منزلة الثواب لان الثواب لا بد ان
يقارنه التعظيم والاجلال • وقال بعضهم هذه الحسنات العشر تفضل من الله تعالى قالوا ويجوز ان يتفضل
على من لم يعمل مثل ثواب العامل ابتداء منه متفضل في فعله لا يستحق عليه شيء • وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال اذا احسن اسلام احدكم فكل حسنة يعملها يكتب له عشر امثالها الى سبعماية
ضعف او ما شاء الله وكل سيئة يعملها يكتب له مثلها الا ان يلقى الله تعالى • وعن خريم بن فاتك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعمال ستة موجبتان ومثل بمثل وحسنة بحسنة وحسنة بعشر
وحسنة بسبعماية فاما الموجبتين فهو من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات وهو مشرك بالله
دخل النار واما مثل بمثل فمن عمل سيئة فجزاء سيئة مثلها واما حسنة بحسنة فمن هم بحسنة حتى تشعر بها
نفسه ويعلمها الله من قلبه كتبت له حسنة واما حسنة بعشر فمن عمل حسنة فله عشر امثالها واما حسنة
بسبعماية فالنفقة في سبيل الله قوله عز وجل قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ اي قل لهم يا محمد انني
وفقني ربي وارشدني لدين الحق الذي ادعو الخلق اليه قوله تعالى دِينًا قِيَمًا اي دينا هو غاية في الاستقامة
قرا اهل الكوفة والشام قيما بكسر القاف وفتح اليا مخففا فمعناه المصدر كالصغر والكبر ولم يقل قوما لانه من
قولك قام يقوم قياما وقيما • وقرا الباقون بالتشديد وتصديق التشديد ذلك الدين القيم وذلك دين
القيمة والقيم المستقيم • واختلف النحاة في نصبه • فقال الاخفش هداني دينا قيما • وقيل عرفني دينا • و
قيل اعني دينا • وقيل نصب على الاغرا اي الزموا دينا واتبعوا دينا قوله تعالى مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا اي دين
ابراهيم وهو بدل من قوله دينا وقوله حنيفا اي مايلا عن الشرك وجميع الاديان الباطلة مبدولا رجوع
فيه وهو نصب على الحال كانه قال عرفني دين ابراهيم في حال حنيفيه وقوله تعالى وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

اى ما كان

اي ما كان ابراهيم عليه السلام على دين المشركين وانما اضاف هذا الدين الى ابراهيم لان ابراهيم كان
معظما في عيون العرب وفي قلوب ساير الاديان اذ اهل كل دين يزعمون انهم ينتحلون دين ابراهيم عليه السلام
قوله تعالى إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اي قل لهم يا محمد ان صلاتي يعني الصلوات
الخمس المفروضة ونسكي اي طاعتي • واصل النسك كل ما يتقرب به الى الله ومنه قولهم للعابد ناسك
وقال ابن جبير معناه ونسكي في الحج والعمرة لله رب العالمين • ويقال اراد بالصلاة صلاة العيد وبالنسك
الاضحية • وقوله تعالى ومحياي ومماتي اي وحيوتي وموتي لله رب الخلايق كلهم وانما اضاف المحيا و
الممات الى الله وان لم يكن ذلك مما يتقرب به اليه لان الغرض بالاية التبري الى الله من كل حول وقوة والاقرار
له بالعبوديه • وقيل المراد بذلك ان الله تعالى هو المختص بان يحييه ويميته لا شريك له في ذلك
قوله تعالى وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ اي امرني ربي بذلك وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ اي اول من استقام على الايمان من
اهل هذا الزمان • قرا اهل المدينه ومحياي بسكون اليا • وقرا الباقون بفتحها ليلا يجتمع ساكنان • و
قرا السلمي ونسكي باسكان السين • وعن انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قرب
كبشا املح اقرن فقال لا اله الا الله والله اكبر ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له
الاية ثم ذبح فقال شعره وصوفه فدا الشعر من النار وجلده فدا الجلد من النار ودمه فدا الدم من
النار ولحمه فدا اللحم من النار وعظمه فدا العظم من النار وعروقه فدا العروق من النار • فقالوا يا رسول
هنيئا مريئا هذا لك خاصه • فقال لا بل لامتي عامة الى ان تقوم الساعة اخبرني بذلك جبريل عليه السلام
عن ربي عز وجل • قوله عز وجل قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ اي قل يا محمد اغير الله اطلب الها
لي ولكم وهو رب كل شيء اي هو مالكي ومالككم ومالك كل شيء فكيف اطلب النفع من مربوب مثلي
ومثلكم وادع سوال رب يملكني ويملككم فهل يجوز هذا وهل يحسن هذا الا بدا ان يكون جوابه لا
قوله تعالى وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا اي لا تعمل كل نفس طاعة ولا معصيه الا عليها • قال اهل الاشارة
ولا تكسب كل نفس من خير او شر الا عليها اما الشر فهو ماخوذ به واما الخير فمطلوب منه صحة قصد وخلوه
من الريا والعجب والافتخار به قوله تعالى وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى اي لا تحمل حاملة ثقل

اهل صح

أخرى والمعنى لا يحمل احد ذنب غيره بل كل نفس مأخوذة بجرمها وعقوبة اثمها والوزر في اللغة هو الثقل

قوله تعالى ثم الى ربكم مرجعكم اي مصيركم ومنقلبكم فيخبركم بما كنتم فيه تختلفون في دار الدنيا قوله تعالى

وهو الذي جعلكم خلائف الأرض اي جعلكم يا امة محمد خلفاء في الأرض والخلائف جمع الخليفة وكل قرن خليفه

للقرن الذين كانوا قبلهم في الأرض وقوله تعالى ورفع بعضكم فوق بعض درجات اي فضل بعضكم في المال

والمعاش والجاه تقديره الى درجات ثم حذف الى وانتصب درجات • ويقال ان الدرجات مفعول على تقدير

ورفعكم درجات كما يقال كسوت فلانا ثوبا قوله تعالى ليبلوكم فيما آتاكم اي ليختبركم فيما اعطاكم يختبر الغني

بالفقير والفقير بالغني فيظهر للناس شكر الشاكرين وصبر الصابرين قوله تعالى ان ربك سريع العقاب وانه لغفور

رحيم اي اذا عاقب فانه سريع العقاب مع انه موصوف بالحلم والامهال لان كل ما هو آت قريب • وقيل

اراد بقوله سريع العقاب سريع الحساب وقوله تعالى وانه لغفور رحيم اي غفور لمن تاب من الذنوب

رحيم بمن مات على التوبة • وقال عطا سريع العقاب لاعدائه غفور رحيم لاوليائه والله اعلم • تم الجزء

الاول من تفسير كتاب الله العزيز والحمد لله رب العالمين • ووافق الفراغ من كتابته نهار الاحد السادس

من شهر ربيع الاول المبارك احد شهور سنه ثلاث •

وستين وتسعماية من الهجرة النبوية •

على صاحبها افضل الصلوة •

والسلام •

م

ذلك على يد كاتبه العبد الفقير الى الله تعالى مصطفى بن عبد الله

عفا الله عنه وعن المسلمين اجمعين •

بحرمة سيد المرسلين •

بلغ المقابلة على حسب الطاقة والاجتهاد

• وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم •

م